
سليم حسن
مصر القديمة
الجزء الرابع
عهد الهكسوس
وتأسيس الأمبراطورية
2000
مكتبة ٢٠٠٠
مهرجان القراءة للجميع
عشر سنوات



موسوعة مصر القديمة

الجزء الرابـع

عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية

مسـليم حسـن



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(موسوعة مصر القديمة)

موسوعة مصر القديمة

الجـــزء الرابع

سليم حســـن

الغـلاف

والإشراف الفني:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سـمير سرحـان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

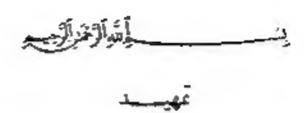
والمجموعة الثقافية المصرية

على سـبيل التقـديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب في المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها في تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبـارك التي لم تبخل بوقت أو جـهـد في سبيل إثراء الحـيـاة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً ويسعر في متناول الجميع ليشبع نهـمـه للمعرفـة دون عناء مـادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع في صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتهـا المعرفيـة المتنوعـة في مـخـتلف فـروع المعـرفـة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخـة كتـاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشبـاباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء) . وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» في (٢٠ جزء) .. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب في البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وملاذاً في عصر المعلومات.

د. سمير سرحان


مكتبة من هنا سور الأزبكية على التليجرام
mohamed khatab



تمهيد

إن عصر الدولة الوسطى — وقد فصلنا القول فيه على قدر ما سمحت به مصادرنا — عهد حضارة وثقافة ، ورقى عظيم ، فقد قطعت فيه مصر شوطاً بعيداً صاعدة فى معارج الرقى الإنسانى من جميع نواحيه ، ولكن ما لبث هذا العهد أن انقضى ، وخلفه عهد مظلم حالك ، لا يكاد المؤرخ المحقق يجمع فيه ما يهديه الى حال البلاد ونظمها ومقدار ثقافتها ، اللهم إلا ومضات لا تكاد تلمع حتى تخبو ، ثم تتوالى جحافل الظلام وتتلاحق بعد ذلك ، فتحجب كل شىء فى جوفها القاتم العابس . كان ملوك هذه الدولة لا يكاد يستقر أحدهم فى عرشه حتى تتزلزل قواعده ، ويهوى بين عشية وضحاها ، وهكذا ظلت هذه الحال المضطربة تطغى على البلاد ، على أثر سقوط الأسرة الثانية عشرة ، حتى حوالى ختام الأسرة الثالثة عشرة ، عندما ظهر على مسرح السياسة المصرية قوم من الأجانب ملكوا أزمة البلاد ، وورثوها بقاصية ، وتحكموا فى أقدارها قرابة قرن ونصف قرن من الزمان . وتدل معلوماتنا الحديثة على أن هؤلاء المغتصبين لم يهبطوا على البلاد بغتة فاستولوا عليها كما يزعم المؤرخون ، ولكنهم تسربوا إليها ببطء وعلى مهل ، حتى إذا نشروا ثقافتهم ومبادئهم ، ووطدت أقدامهم سبل مصر وشمالها ، انقضوا عليها بجيش جرار ، سيطروا به على الدلتا فى بادئ الأمر ، ثم امتد سلطانهم الى مصر الوسطى ، ولقد ألحق المصريون بهؤلاء الغزاة كل نقيصة متأثرين بعدوانهم ، فسموهم «العمو» و «الهكسوس» (الرعاة) و «الطاعون» الى غير هذه الأسماء التى يضفيها المغلوب على المغتصب القاهر . ولم يكن هؤلاء الغزاة الذين اجتاحوا مصر جملة حوالى عام ١٧٣٠ ق م همجاً ولا متوحشين ، كما تحدثنا التقاليد التاريخية التى وصلت إلينا عن تاريخ كتاب الإغريق ، بل كانوا

مثقفين ذوى حضارة وعرفان ، فنهلت مصر من موردهم ، واستنارت بمدنيتهم التى انتظمت فنون الحرب ، ونواحى الصناعة ، وأخذت عنهم كثيرا من المخترعات التى لم تعرف قبل فى وادى النيل . ولقد كان ذلك حافزا لنا على إفراد فصل من هذا الكتاب لبحث أحوال أولئك الأجانب ، وما خلفوه فى البلاد من آثار ، وكيف هاجروا إليها أولا ، ثم كيف غزوها جملة ، ومن أين أتوا ، وإلى أى السلالات البشرية ينتسبون ، وغير ذلك من المسائل المعضلة فى تاريخ هؤلاء القوم . ولقد عنينا بتحقيق مدة إقامتهم فى ديارنا ، إلى أن استيقظ الروح القومى ، وهب الوعى المصرى ، وشعر بما تعانيه البلاد من ذلة ومهانة ، فى ظل الحكم الأجنبى الغاصب ، وسيطرته على معظم تربة مصر ، وهى أرض الدلتا التى تفيض بالثراء ، ومصر الوسطى التى تنعم بأجمل الأجواء ، وأطيب الغلات ، من أجل ذلك هب المصريون إلى ساحة القتال يناضلون من استقلال بلادهم ، يقودهم سلسلة من ملوك مصر الشجعان ، لتخليص البلاد من النير الأجنبى ، فاستشهد منهم من استشهد فى ساحة الشرف مدافعا عن أرض الكنانة ، وناضل منهم من ناضل حتى مات حتف أنفه ، إلى أن قيض الله لمصر النصر النهائى ، وتحررت البلاد منهم على يد الفرعون العظيم « أحمس الأول » ، الذى طارد العدو المستعمر حتى خارج حدود مصر . ومما هو جدير بالذكر هنا أن الجنود السودانيين الشجعان قد أسهموا فى القضاء على هذا العدو المشترك منذ بداية الأمر ، إذ كانوا يؤلفون فرقة فى جيش الفرعون « كامس » .

وقد كان « أحمس الأول » بطل المكسوس من البلاد ، وأول فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ، المؤسس الأول لبناء الإمبراطورية المصرية ، التى امتد سلطانها ، وبلغت معالمها فى أواخر عهد العاهل العظيم « تحتمس الثالث » الذى يلقبه بحق مؤرخو الغرب « نابليون الشرق » ، فصارت تمتد من أعالى نهر « دجلة والفرات » شمالا حتى الشلال الرابع جنوبا ، وقد حافظ على كيانها أخلافه حتى نهاية عهد « أمنحتب الثالث » ، إلى أن جاء الفرعون « إخناتون » يحمل لواء عقيدة

التوحيد ، والإيمان بالإله الأحد الفرد الصمد ، وأخذ فى نشر تعاليمه السامية علنا بعد أن كانت تذاع تحت ستار من الإبهام، غير أن انكبابه على نشر رسالته الروحية قد صرفه عن الالتفات الى أحوال البلاد الداخلية والخارجية ، مما أدى الى تداعى ذلك البنيان الذى أقامه أجداده بحد السيف وحسن السياسة ، فانتقصت الدولة من أطرافها حتى انكمشت فى عقر دارها ، ولكن عهده كان سحابة صيف تقشعت إثر اختفائه من مسرح الحياة ، فقيض الله للبلاد جنديا من أبنائها الأبطال وهو « حور محب » الذى أعاد للبلاد بعض سؤددها السالف وسمعتها الحربية التى كانت قد تداعت .

وسنحاول هنا أن نستعرض تاريخ الكتابة فى عهد هذه الأسرة بطريقتنا الخاصة ، التى سيكون اعتمادنا فيها على الوثائق الأصلية ، وآخر البحوث العلمية التى نشرت حتى الآن .

وعلى الرغم مما يعترض مؤرخى العصور القديمة من عقبات ، ومسائل معقدة لم يزل حلها معلقا ، والقول الفصل فيها متوقف على نتائج الحفائر العلمية التى تقوم فى مصر وغيرها من بلدان الشرق المجاورة ، فإن لدينا مادة وفيرة تكشف لنا القناع بعض الشىء عن حضارة البلاد وثقافتها، بصورة واضحة جلية فى نواح كثيرة كانت مجهولة ، وبخاصة حياة الشعب ، وما كانت عليه أحوال أفراده من صلات اجتماعية تربط بعضهم ببعض ، وبطائفة الحكام ، وكذلك لدينا من الوثائق ما يضع أمامنا صورة مفهومة عن أعمال فراعنة هذه الأسرة فى داخل البلاد وخارجها ، وما تركوه لنا من آثار خالدة هنا وهناك .

وهذه المادة التى سنعتمد على استنباط تاريخ هذا العصر منها تنحصر أولا فيما خلفه لنا عظماء القوم فى نقوش مقابرهم الفاخرة فى طول البلاد وعرضها ، وثانيا فيما تركه لنا الملوك من مبان دينية ، ومقابر ملكية وأوراق بردية فى « طيبة » عاصمة ملكهم وغيرها دونوا عليها كل أعمالهم العظيمة فى كل مرافق الحياة .

والواقع أن المقابر التي نحتها عظماء القوم ، ورجال البلاط ، والموظفون في عهد هذه الأسرة ، والأسرات التي كانت فيها « طيبة » عاصمة الملك تعد بمثابة سجل تاريخي من الطراز الأول ، إذ أنهم لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة في نواحي حياتهم اليومية ، العامة والخاصة إلا أحصوها ، ولم يحد عن هذا النهج المحبب شريف أو موظف منهم . فنرى رئيس الوزراء يصور لنا على جدران مزار قبره صورة صادقة يوضح فيها كل مهام أعماله الحكومية في داخل البلاد ، كما يصور لنا في منظر آخر استقباله الوفود الأجانب الذين أتوا الى مصر حاملين ما فرض عليهم من جزية للفرعون ، أو حاملين الهدايا له ، طلباً في وده ومصادقته . فنرى أمامك ممثل الأقطار الخاضعة لمصر ، وبخاصة السوري ، والفلسطيني ، والسوداني والنوبي ، متقدمين ما عليهم من جزية ، كما ترى « الحيثي » و « الكريتي » و « القبرصي » و « الأشوري » حاملين الهدايا ، وكل منهم يرتدي لباسه القومي ، مقدما ما تنتجه بلاده من خيرات وطرائف ، وفي ناحية أخرى دوّن لنا القوانين والتعاليم التي يجب أن يسير على هديها هو وطائفة الموظفين الذين في ركابه في إقامة العدالة في البلاد ، أو تراه يشرف على كل الأعمال العظيمة من مشاريع اقتصادية وزراعية ونفسية وهندسية ، ويوجه الميال الى إدارة أعمالهم حتى في أحقر المهن وأصغرها شأنا حتى يعلم كل أنه محيط بكل شيء ، ومنتبه لكل صغيرة وكبيرة ، وفي ناحية أخرى تراه مصوَّرا وهو متربع على كرسيه المتواضع في قاعة العدل ، يصرف العدالة بين أفراد الشعب ، ويوجه رجال الدولة الى تصريف مهامها ، ويستقبل وفود المقاطعات ، ويطلع على الضرائب وكيفية توزيعها وجمعها على حسب ما تقتضيه حالة النيل من زيادة أو نقص .

وعلى جدران مزار مقبرة أخرى نرى صاحب الأملاك أو الشريف وهو يشرف على سير العمل في ضياعه ، وهنا نرى صورة صادقة عن حياة الفلاح المصري القديم تطابق حياته الزراعية الحديثة ، فتراه يحرث الأرض ويبذر فيها الحب ،

ويتعهدها بالرى ، ثم يضم المحصول ويدرسه ، ويخزنه الشريف كما يحدث الآن مع فارق واحد هـو أن صاحب الأرض فى مصر القديمة مهما كانت مكانته كان يقبل للفلاح عن نصيب معين يقتات به هو وأسرته ، سـواء أكان المحصول كثيرا أم ضئيلا ، ولذا نلحظ أن الفلاح كان يعمل لسيده بقلب مطمئن ونفس راضية.

ونقرأ على جدران مقابر الموظفين من رجال الإدارة والجيش والسلك السياسى صفحات أخرى تبدى ما كانوا يقومون به من أعمال جسام خدمة لبلادهم وللفرعون الذى كانوا يحيطون به إحاطة النجـوم بالقمر فى ليلة صافيـة الأديم ، وبخاصة إذا علمنا أن هؤلاء الموظفين فى تلك الفترة من تاريخ البلاد لم يكونوا من طبقة أشراف وراثيين ، بل كانوا أفرادا من عامة الشعب ، شقوا طريقهم إلى المجد والرفعة بمـا قاموا به من خدمات خالصة لبلادهم وللفرعون فى ساحة القتال ، أو فى تسيير دفة الحكم فى البلاد ، لذلك كان كل واحد منهم يصور لنا حياته من كل نواحيها ، فيذكر لنا مناقبه ، والوظائف التى تقلدها ، والإنعامات الملكية التى نالها جزاء ما قام به من جليل الأعمال فى داخل البلاد وخارجها ، غير معتمد على نسبته لأسرة شريفة أو جاه عريض ، بل كان يفتخر بأنه نشأ من أبوين رقيق الحال ثم يشفع ذلك بالمناظر التى تصور لنا ذلك كله ، فنشاهده وقد أرسله الفرعون فى بعثة إلى « سـوريا » أو « فلسطين » أو « السودان » لإنجاز مهام سياسية أو لإحضار الأخشاب اللازمة لبناء المعابد والقصور ، ثم نشاهد البعثـة وقد وصلت سالمة إلى ميناء « طيبة » محملة بالخيرات ، وعلى جدران مقبرة أخرى نشاهد أحد كبار رجال الجيش يمثل لنا حياة الجندى المظفر ، وهو يقوم بما فرض عليه من واجبات ، فنراه مع جنوده وضباطه ، وهو يوزع عليهم أرزاقهم وأعطياتهم كما يعرض علينا كيفية تجنيدهم وتسليحهم ، واستعراضهم وتدريبهم على فنون الحرب والفرعون يشرف على هذا بنفسه ، على أن هؤلاء القادة وكبار الموظفين لم ينسوا أن يصوروا لنا على جدران مزار مقابرهم نصيبهم من الحياة الدنيا ومتاعها ، فقد صوروا لنا مناظر خروجهم

الصيد والقنص في مركباتهم المطهمة، تجرها كلابهم المدربة ؛ أو وهم في قواربهم لصيد السمك ، ومعهم أزواجهم وبناتهم ، أو تراهم في حفل أسرى دعى إليه الأقارب والأصدقاء وهنا نشاهد ما كان عليه المصري صاحب اليسار من أناقة الملبس، ونشاهد في مائدة الخمر والطعام أشهى الأطعمة المختلفة الألوان ، وفي هذا الحفل ترى أواصر الأسرة المحكمة والحب المتبادل ، كما ترى من ناحية أخرى مقدار ما وصل إليه المثال من الدقة والإبداع في إخراج الصور وتنسيقها .

وهناك طراز آخر من المقابر نرى على جدرانها أن الموظف قد عني عناية خاصة بتصوير حياته الحكومية فيمثل لنا الحفل الخاص به في وظيفته الجديدة بين يدي الفرعون ذاكرا لنا كل ما كان يحمله من ألقاب ووظائف، وكيف تدرج فيها ومعددا لنا ما كان متصفا به من فضائل وصفات فذة ، وبالقرب من هذا الموظف آخر قد عني بناحية أخرى من حياته الحكومية وبخاصة المشرفين على غلات البلاد ومحاصيلها، وما كان لهم من شأن عظيم في حياة البلاد، ولا سيما إذا علمنا أن حياة مصر كانت تعتمد على ما تنتجه من غلات وما كان للقائمين بهذا العمل من مكانة خطيرة، ولا أدل على ذلك من أن « يوسف » عليه السلام الذي يحتمل أنه دخل مصر حوالي هذه الفترة كان أول ما طلب من الفرعون هو أن يجعله على خزائن الأرض أيضا ، فلذلك نرى المشرف على خزائن غلات مصر في ذلك العهد قد مثل لنا مهام أعماله بدقة بالغة مقدما للفرعون مقدار ما تخرجه أرض مصر وما يجبى عينا من غلات من الخارج ، كما كان يصور لنا الحفل العظيم الذي كان يعقد ابتهاجا بعيد الحصاد الذي كان يرأسه الفرعون بنفسه .

ومما يلاحظ هنا أنه قد أتى على مصر فترة في عهد هذه الأسرة كان الفلاح فيها سعيد الحال موفور العيش مرفهه — إذا صدقنا ما نشاهده في المناظر الباقية — أنه كان يرتدي الملابس الجميلة، ويحتفل الحفلات البهيجة في أثناء قيامه بحصد المحصول مما يجهله فلاح مصر اليوم .

وقد صوّر لنا المصرى معتقداته الدينية فى شعائره التى نرى بعضها حتى الآن ، فقد كان المصرى فى كل مناظر قبره يدوّن الصلوات والتعاويذ الدينية لأجل بقاء تماثيله وجسمه حتى يتمتع بكل ما كان يتمتع به فى الحياة الدنيا التى صوّرها على جدران قبره، والتى كان يأمل أن تكون حقيقة ملموسة ، إذا ما تليت عليها الأدعية والصلوات الخاصة بذلك ، ولعل هذا هو السر فى تصوير كل هذه المناظر فى تلك القبور. ولا نزاع فى أن المصرى كان يعد أكبر مواطن أحب وطنه إذ كان يعلم متاعه فى الحياة الدنيا ، ونعيمه المقيم فى عالم الآخرة ، لأنه كان يعتقد أن جنة عالم الآخرة ليست إلا صورة أخرى لمصر وطنه المحبوب .

من أجل ذلك كله رأيت — وأرجو أن أكون قد أصبت المرمى — أن أتبع عهد كل فرعون بوصف قبور نخبة من رجال عصره شارحا ما تنطوى عليه مناظر مزارات قبورهم وما تكشف لنا من حياة الشعب الاجتماعية ، وعلاقتهم بكبار رجال الدولة وبمليكهم . ولقد وجهت عناية خاصة لقبر الوزير «رخ مى رع» الذى يعد بحق أعظم وزراء مصر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، بل فى التاريخ المصرى كله ، والواقع أن قبر هذا الوزير فضلا عن نقاشه وعظمته من حيث النحت والضخامة يعد فى تاريخ الحياة الاجتماعية والسياسية والفنية والهندسية . ولا نكون مبالغين إذا قررنا هنا أنه يمثل أمامنا تمثيلا حيا مملكة لمصرها رسمت على جدران قاعات مزاره الفسيحة الأرجاء ، فنرى على أحدها الفرعون ينصب الوزير ويلقى عليه خطابا رائعا عن مهام وظيفته فى حفل عظيم رسمى ، ثم نشاهده فى قاعة العدل على كرسيه وحوله أعوانه وكتبته على استعداد لسماع شكايا القوم والفصل فيها ، وبعد ذلك نراه فى مشهد آخر يستقبل الوفود من الممالك المصرية ويستقبل وفود الأقاليم من كل مقاطعة يعرضون عليه أحوال البلاد المختلفة ، ونراه فى منظر آخر يشرف على مشروعات الفرعون العظيمة من بناء معابد ووضع تصميماتها ، وتهيئة كل ما تحتاج إليه حتى صناعة اللبنات كان يشرف عليها ويوجه العمال فى كيفية

ساحتها كما كان يسهر على مصلحة العمال من نساء ورجال ، وبخاصة الأسرى الذين كان يحسن معاملاتهم ويعطيهم نصيبهم من الحياة ، وكذلك نشاهده يشرف على ممتلكات الإله « آمون » وعبيده فى معبد الكرنك وما يتبعه من المعامل والمصانع التى كان يقوم فيها أهل الحرف والصناعات بأعمالهم خير قيام ، ولم يترك لنا « رخ مى رع » حرفة أو صناعة إلا مثلها أمامنا تمثيلا صادقا بكل آلاتها وعددها مما لم يجتمع فى مزار مقبرة أخرى بصورة واضحة جلية ؛ فنرى أمامك النجار يعمل بآلته ، والخباز والحداد ودابغ الجلود ، والصائغ وصانع الأحذية والنحات وتحضير الشهد وصهر المعادن وصبها والمبانى وكيفية إقامتها ، والأحجار وقطعها ونحتها ، وغير ذلك مما سيراه القارئ بعد مفصلا .

ومن ناحية أخرى من قبره نشاهده بين أفراد أسرته فى حفل أسرى دعا إليه الأهل والخلان ، ومن حفل آخر نراه داعيا كبار موظفيه ليستأنس برأيهم فى تصريف الأمور ، ومن كل ذلك نرى الأزياء الخلابة وأنواع الطعام الفاخرة هذا إلى مناظر دينية خاصة بإحياء ذكراه أو موميته فى عالم الآخرة ، وترتيب الأوقاف الخاصة بطعامه الأبدى ، وغير ذلك مما سنراه فى مكانه . هذا إلى أنه قد ترجم لنفسه ليظهر للعالم ما كان عليه من أعباء جسام وما اتصف به من خلق كريم ومكانة فذة .

ولدينا صنف آخر من كبار رجال الدولة قد حاول أن يمثل فى قبره مناظر تصفه فى مكانة رفيعة تضارع ما كان يمثل الفرعون نفسه كما فعل « سنموت » أكبر رجال الدولة فى بلاط « حتشبسوت » فقد رسم على جدران قبره مناظر تدل دلالة واضحة على أنه كان قاب قوسين أو أدنى من الاشتراك فى الملك مع سيدته وصديقته « حتشبسوت » كما ترك لنا بعض المناظر الفلكية وبخاصة المنظر الفلكى الذى حلى به سقف قبره مما لا نجده إلا فى قبور الملوك العظام .

ولا إخال القارئ الذى ينظر إلى التاريخ نظرة اجتماعية يجدنا قد شططنا عن الصواب فى الاهتمام بتصوير حالة الشعب وما كانوا عليه من نعيم أو شقاء ، أو أنا

قد صورت لنا في النهاية شرح ما على مقبرة «رخ مى رع» من مناظر تصف لنا العادات المصرية كما كانت عليه منذ ٣٥٠٠ سنة تقريبا . وفي رأيي أن هذا هو التاريخ الحق ، ذلك التاريخ الذي يعنى بالشعب وحياته من كل الوجوه . ولا غرابة في ذلك فقد عرف أحد المؤرخين المحدثين علم التاريخ بأنه هو «علم الاجتماع» .

والمصدر الثاني الذي اعتمدنا عليه في كشف النقاب عن تاريخ هذه الفترة هو الآثار التي خلفها لنا فراعنة هذه الأسرة وتنحصر في المعابد التي أقاموها للآلهة في مختلف أنحاء الإمبراطورية ، وكذلك المعابد التي شيدوها لأنفسهم والمقابر التي نحتوها في جوف الجبال في الجهة الغربية من النيل ، هذا إلى البقية الضئيلة التي خلفوها لنا من مبانيهم الدنيوية ، وما عثر عليه من أوراق بردية في مختلف هذه الآثار . والواقع أن ملوك هذه الأسرة قد اتخذوا معابد آلهتهم الذين كانوا يمنحونهم النصر في ساحة القتال سجلا لتدوين كل أعمالهم ومغازيهم إلى جانب الغرض الأصلي من إقامة هذه المعابد ، وهو إقامة الشعائر الدينية للإله الذي كان يعد والد الفرعون ، وتلك ميزة خاصة وظاهرة جديدة اختص بها فراعنة الدولة الحديثة ؛ لأن الإله في ذلك العهد أصبح هو المسيطر بنفوذه السياسي والديني على كل الإمبراطورية المصرية ، وسادت العقيدة بذلك كل أرجاء الدولة ، ولما كان الإله يعد في نظر الشعب والد الفرعون كان لزاما على ابنه أن يدون على جدران معابده ومعابد الآلهة الأخرى التابعين له والذين آزروه وعضدوه ونصروه في ساحة القتال ، كل ما أحرزه من نصر حربي ؛ كما يكشف عن خططه الحربية وما إلى ذلك من جسام الأمور وجليل الأعمال التي تمت في عهده في ظل عطف والده الإله سواء أكان ذلك في داخل البلاد أم في خارجها . ومن الحق لم نجد لهذه الظاهرة أثرا من قبل في كل ما جاء لنا من آثار ملوك الدول المصرية السابقة إلا الشيء القليل ، إذ كانت كل نقوشها بوجه عام خاصة بالمراسيم الدينية وإقامة الشعائر .

ولا نزاع في أن معبد «الكرنك» أو معبد «الدير البحري» أو معبد «أمنحتب الثالث» الجنازي وغيرها من المعابد التي أقيمت في المدن المصرية الأخرى

أو في السودان هي سجلات دونت عليها حروب ملوك مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة ،
كما دونت عليها بعوثهم التجارية وعلاقاتهم الخارجية ، وقد كانت ولا تزال معرضا
علميا من الطراز الأول لما كان عليه القوم من ثقافة عالية في مختلف العلوم والفنون ،
وخاصة في فن البناء والنحت والحفر والصناعات الدقيقة ، والأدب مما كان
يهبه الفرعون إرضاء لوالده الإله مستجيبا في تنفيذه لما يتحدث عن الكهانة من جزية
والهدايا التي ترسلها البلاد الخاضعة لسلطان الفرعون بحد السيف أو بالمهادنة
والمصادقة ، كما كانت هذه المعابد سجلا للملوك أنفسهم يدونون عليها تاريخ حياتهم
وكيفية اتصالهم بالإله الأعظم صاحب السيادة العالية « آمون رع » ولذلك
نرى الملكة « حتشبسوت » مثلا تصور لنا على جدران معبدها بالدير البحري
تاريخ ولادتها وكيفية اعتلائها عرش الملك ، كما تمثل لنا في نفس المعبد البعثة
البحرية السلمية التي أرسلتها إلى بلاد « بنت » وهي الأرض المقدسة التي كانت
تمتد على ساحل الصومال و بلاد اليمن لتحضر البخور والأشجار العطرية لتغرس
في معبدها الذي بنته لنفسها ولوالدها الإله « آمون » وتعود البعثة وسفنها محملة بكل
طرائف بلاد بنت مما وقفنا على كثير من أحوال أهلها وغلاتها وحيوانها وسمكها ،
والأجناس التي تسكنها ، ونرى كذلك « تحتمس الثالث » يحدثنا على جدران
« معبد الكرنك » تاريخ حروبه وفق يوميات كانت تؤلف لهذا الغرض في ساحة
القتال ، ويقيم معبدا للإله « آمون » الذي نصره في كل المواقع على هيئة خيمة
حربية مشيرا بذلك أن إلهه لم يكن إله سلم وحسب ، بل كان إله مقاتل أخذ
بناصر ابنه الفرعون في ساحة القتال ، وكذلك نراه يعرض علينا كل أنواع الهدايا
والغنائم والأعمال العظيمة الدينية التي قدمها للآلهة الذين وهبوه النصر في ساحة
الوغى ، ثم يعدد لنا أنواع الجزية التي كانت تجبى من البلاد التي فتحها وخاصة
الذهب والمعادن والأحجار والتحف الفنية التي كانت تأتي إلى خزائنه ، مما
يكشف لنا عن مقدار التقدم الفني والصناعي في ذلك الوقت وكذلك العبيد

والإماء التي كانت ترد إلى مصر فكان لها الأثر السيء في البلاد بعد ، وحدثتنا عن
أسطوله الذي كان تسير أوامره في تلك الأصقاع النائية من امبراطوريته مما ملكه
زمام البر والبحر ، وقد دوّن لنا كل ذلك على جدران المعابد أو على لوحات نصب
كالأعلام في جهات الامبراطورية المختلفة ، وكذلك نجده يحدثنا في مواطن كثيرة
عن حبه للرياضة البدنية في مختلف أشكالها ، وضروب الفروسية التي ورثها عنه
ابنه «أمنحتب الثاني» وغيره من ملوك هذه الأسرة كما يحدثنا عن معاملته السمحة
للأعداء وعلاقته بجنده ورجال بلاطه وحسن معاملته لهم ، وما كان لذلك من
التفاف الشعب حوله ، وبخاصة الطبقة الوسطى التي تألف منهم في آخر الأمر
عظماء جيشه وحاشيته الذين أُنشئوا وتربوا مع أمراء البيت المالك ، فأخلصوا من
أجل ذلك لمليكهم في ساحة القتال وفي إدارة البلاد ولا أدل على ذلك من أن عددا
عظيما منهم كانوا إخوة الفرعون في الرضاعة أو تربوا معه في مدرسة واحدة وقد كان
لهؤلاء الملوك شأن آخر في معاملة أولاد الأمراء الذين أتي بهم أسرى من البلاد المغلوبة
على أمرها إذ كان ينشئهم على حب مصر ثم يوليهم أمور بلادهم بعد موت آبائهم ،
وتلك سياسة انتهجتها دول أخرى قديمة وحديثة ، ولكنها لم تأت ثمرتها المرجوة .

ومقابر هؤلاء الملوك ومعابدهم الجنازية تعد من طراز آخر يختلف اختلافا
بينا عن مقابر عظماء القوم ، فمعظم عنايتهم موجهة إلى إخفاء مقابرهم في جوف
الجبل بما كانت تحتويه من أثاث فاخر عظيم القيمة يدل على ذلك مقبرة «توت عنخ
آمون» مع أنه لم يكن من أعاظم ملوك تلك الأسرة ، والواقع أن أثاث مقابر هؤلاء
الملوك ينطق بما كانت عليه البلاد من ثراء مادي ورقي فني وحياة رفيعة وبذخ وترف
في سبل الحياة مما يجعلنا نقف مشدوهين أمام ما وصلوا إليه من حضارة راقية

ونقوش مقابرهم كانت من طراز فذ إذ كانت كلها خاصة بعالم الآخرة ،
وما كان يلاقيه الفرعون المتوفى من مصاعب لا بد من التغلب عليها حتى يصل
إلى حياة الخلد كما شرحنا ذلك عند الكلام على الحياة الدينية وكتاب الموتى .

وكانت معابدهم الجنازية تشبه معابد الآلهة في محتوياتها ونقوشها الدينية ، وقد كانوا يضعونها بعيدة عن المقبرة الأصلية على حافة النيل الغربية ، ولا غرابة في أن نجدها على طراز معابد الآلهة إذ كان الفرعون يعد نفسه إلهاً أو ابن الإله وخليفته على الأرض، هذا فضلاً عن أن بعض الملوك كانوا يعتقدون آلهة بعد مماتهم أو كانوا يبنون معابدهم على أنهم آلهة سيعبدون فيها ، ولا أدل على ذلك من المعبد الذي أقامه « أمنحتب الثالث » لعبادته هو في « طيبة » الغربية ، ولقد كان الفراعنة يقفون على المعابد الأوقاف العظيمة لإقامة الشعائر الدينية ، كما كانوا يقفون الأملاك العظيمة على معابد الآلهة ويكلون أمر إدارتها وتسييرها في كلتا الحالتين الكهنة ، مما أدى إلى زيادة نفوذ هذه الطائفة الدينية حتى أصبحت عاملاً كبيراً في اضمحلال البلاد ، حتى آل الملك فيما بعد إلى طائفتهم .

والظاهرة التي تبدو غريبة في تلك الأزمان القديمة ، وهي التي وجهنا لها بعض العناية عند التحدث على مقابر الأفراد والملوك ، والمعابد الخاصة بالآلهة والملوك جميعاً هي ما أحدثه أولئك القدماء من تخريب وتغيير وإثبات على جدران ما صنعه غيرهم ، مما يصور لنا ما كان عليه هؤلاء القوم من أحقاد ، وما كان يعتلج في صدورهم من غل متبادل ، فشاهد الملوك يكيد بعضهم لبعض ، فيمحو الخلف ما سطره السلف من كتابة وينسب لنفسه ما لم يكن له ، ولدينا أكبر دليل على هذه المأساة ما قام به ملوك الرعامسة من محو وإثبات في آثارهم مما عقد علينا تتبع تواريخهم بصفة قاطعة حتى الآن وتفشت هذه الظاهرة مقابر الملوك إلى مقابر وجهاء القوم الذين كانوا يمحون أسماء أسلافهم وينسبون آثارهم لأنفسهم أو يتقمصون معالم أعمالهم ، كل ذلك قد فوت علينا جزءاً عظيماً من تاريخ هذه الفترة من حياة الشعب ، ولكنا مع القليل الذي أبقت عليه يد التخريب قد أمكننا أن نضع أمام القارئ صورة قد يكون بعض أجزائها معطى بضباب كثيف إلا أنها مع ذلك في مجموعها تقدم للقارئ فكرة مفهومة عن روح العصر ، واتجاهاته المتنوعة .

ولقد حاولنا في كل هذا البحث أن نعتمد على الوثائق الأصلية ، وقد كان همنا أن نضع أمام القارئ ما عثرنا عليه من مبالغات وتهويل ليرى بنفسه ويحكم إذا أراد ثم عقبنا ذلك بالنقد والتحليل بقدر ما استطعنا . وقد يظن القارئ أننا قد بالغنا في الإكثار من ترجمة النصوص الأصلية ولكنا قد دوناها هنا عن قصد ، وذلك رغبة في أن يعرف أهل الجيل الحاضر كيف كان أجدادهم القدامى يدونون تاريخهم ، وليأخذ النشء الحديث كذلك وخاصة المثقفين منهم تاريخ بلاده من مصادره الأصلية ، ويعرف كيف يفرق بالطرق العلمية الدقيقة بين خالصه وزيفه . ولاشك أن التاريخ الصادق هو حياة الشعب وما تنطوي عليه تلك الحياة من تقدم ورقي أو انحطاط وتدهور ، وأن إسعاد الشعب يتوقف على ما تنطوي عليه نفوس القادة وعلى ما أوتوا من ثقافة حقة وجهتها خير الإنسانية كما ضرب لنا المثل الأعلى في ذلك المضمار الوزير « وسر » ومن بعده الوزير « رخ مي رع » وغيرهما ممن كانوا يعتقدون أن عمل رئيس الوزارة بل مهمته في الحياة تنحصر في إسعاد مصر ورفاهية شعبها ، وأن ذلك لا يتأتى إلا بالعمل على توفير أسباب العدالة الاجتماعية ، والسلام على من اتبع الهدى ، والرفق بالمساكين .

شكر

وإني أتقدم هنا بعظيم شكري لصديقي الأستاذ محمد النجار المدرس بالمدرسة الإبراهيمية لما قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة ، كما أتقدم بوافر الثناء على حضرة الأستاذ محمد نديم مدير مطبعة دار الكتب المصرية لما بذله من جهد مشكور وعناية ملحوظة في إخراج هذا المؤلف . ولا يفوتني أن أتقدم بشكري للأستاذ محمد إبراهيم نصر الذي أبدى عناية في كتابة أصول هذا الكتاب وبذل مجهودا مشكورا في قراءة تجاربه كلها وعمل الفهارس [illegible] .

والله أسأل أن يوفقني إلى ما فيه خير البلاد ومجدها .

مايو سنة ١٩٤٨ سليم حسن

ملوك الأسرة الثامنة عشرة

بيان بأسماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وتواريخ حكمهم على وجه التقريب، على حسب رأى الأستاذ «برستد» ، إذ الواقع أننا لا نزال فى ظلام دامس بالنسبة لمدة حكم كل فرعون من هؤلاء وكذلك ترتيبهم لأن الآثار لم تمدنا حتى الآن بمعلومات أكيدة عنهم

أحمس الأول ... ... ١٥٨٠ — ١٥٥٨ ق . م .

أمنحتب الأول ... ...
تحتمس الأول ... ... } من ١٥٥٧ — ١٥٠٢ ق . م
تحتمس الثانى ... ...

حتشبسوت وتحتمس الثالث حكما ٥٤ سنة من ١٥٠١ — ١٤٥٠ ق . م .

أمنحتب الثانى ... ...
تحتمس الرابع ... ... } ١٤٥٠ — ١٤٠٥ ق . م .

أمنحتب الثالث ... ... ١٤٠٥ — ١٣٧٠ ق . م .

أمنحتب الرابع (أخناتون) ١٣٧٠ — ١٣٥٢ ق . م .

سمنخ كارع ... ...
توت عنخ آمون ... ...
آى ... ... } ١٣٥٢ — ١٣١٠ ق . م .
حور محب ... ...

وسنتناول بالبحث تواريخ أكثر ملوك هذه الأسرة فى الجزء التالى على ضوء الكشوف والآثار الحديثة



بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة الوسطى

الأسرة الثالثة عشرة

مقدمة

كان تولي الملكة «سبك نفرو رع» عرش مصر آخر مرحلة تنذر بسقوط الأسرة الثانية عشرة، وبانتهاء حكمها انقطع نسل هذه الأسرة، ودخلت مصر في عصر مضطرب، تشبه ظلمة حالكة تتضاءل أمامها تلك الظلمة التي عمت البلاد على إثر سقوط الدولة القديمة. فالمصادر التي لدينا عن ذلك العصر نادرة، والآثار التي كُشف عنها حتى الآن ضئيلة، لا تساعدنا على تفهم أحوال البلاد، ولا ترشدنا إلى ترتيب ملوكها ترتيبا تاريخيا مسلسلا.

ومما يؤسف له جد الأسف أن أهم هذه المصادر ورقة «تورين»، وقد وصلتنا ممزقة مهلهلة وبخاصة عند سرد ملوك هذه الأسرة، هذا الجزء الأول منها، من أجل ذلك أصبح من العسير وضع كثير من ملوكها في أماكنهم الأصلية، إلا عن طريق الحدس والتخمين.

وكذلك قائمة الملوك التي أمر بنقشها «تحتمس الثالث» في معبده «بالكرنك»، في المكان المعروف الآن بقاعة الأجداد (راجع الجزء الأول ص ١٥٩) لا تشمل إلا نخبة من الملوك الذين حكموا مصر منذ القدم حتى عهد هذا الفرعون.

أما المصادر الإغريقية فلدينا منها مقتطفات ومختصرات نقلها «يوسيفس» و«أفريكانوس» و«يوزيب» عن المؤرخ المصري «مانيتون». فقد ذكر لنا هذا المؤرخ في مختصره عن تاريخ مصر أن الأسرة الثانية عشرة قد أعقبتها

الأسرة الثالثة عشرة ، وأن ملوكها نحو ستين فرعونا ، وأنهم اتخذوا مدينة « طيبة » عاصمة لملكهم ، وأنهم حكموا نحو ثلاثة وخمسين وأربعمائة عام . ثم خلفهم ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، واتخذوا مدينة « سخا » من أعمال الدلتا مقرا لملكهم ، وكان ملوكها ستة وسبعين فرعونا حكموا نحو أربعة وثمانين ومائة عام . وفى عهد هذه الأسرة كانت كارثة غزو البلاد بفرع من الأعراب يعرفون بـ « الهكسوس » ، أو ملوك الرعاة . والمعروف أن هؤلاء الفاتحين ظلوا يسيطرون على البلاد طيلة عهد الأسرتين : الخامسة عشرة ، وملوكها ستة ، والسادسة عشرة ، وفراعنتها اثنان وثلاثون فرعونا .

وأخيرا جاء عهد الأسرة السابعة عشرة ، وقد حكم خلالها ثلاثة وأربعون ملكا من ملوك « الهكسوس » وثلاثة وأربعون فرعونا من فراعنة « طيبة » المصريين فى وقت واحد .

ويقدر « مانيتون » زمن حكم ثلاث الأسر الأخيرة، أى من الأسرة الخامسة عشرة إلى السابعة عشرة ، بنحو ثلاثين وتسعمائة سنة . ويقدر الفترة التى بين نهاية الأسرة الثانية عشرة والسابعة عشرة ، بما فى ذلك عهد الفرعون « أحمس الأول » مخلص مصر ، بنحو سبعين وخمسمائة وألف عام .

ولا شك فى أن هذا التقدير الزمنى مبالغ فيه إلى درجة لا يقبلها العقل والمنطق معا . وسنتكلم عن هذا الموضوع فى حينه . غير أنا نجد أن ما ذهب إليه « مانيتون » يتفق وما جاء فى « ورقة تورين » فى تتابع الأسر ، ومدى حكم كل ملك ؛ فنجد فى « ورقة تورين » بعد الأسرة الثانية عشرة قائمة بأسماء ملوك شغلت أعمدة عدة منها ، ويمكن الباحث أن يلاحظ فيها نحو خمس فواصل يدل كل منها على تغيير أسرى . وتتعدى إحدى هذه الأسر بالفرعون الواحد والستين . ومن ثم نعرف أن الستين ملكا الذين سبقوا هذا الفرعون هم الفراعنة

الذين تتألف منهم الأسرة الثالثة عشرة ، حسب رأى « مانيتون »[1] . ثم يلى ذلك فى الورقة سلسلة طويلة بأسماء الملوك الذين تتألف منهم الأسرة الرابعة عشرة ولم يبق لنا من الأعمدة الأخيرة المؤلفة لهذا الجزء من البردية إلا بعض قطع صغيرة جداً فيها بعض أسماء ملوك الهكسوس ، وأسماء فراعنة محليين حكموا فى « طيبة » فى عهد الأسرة السابعة عشرة . وإن كان قد بقى لنا محفوظاً فى هذه الورقة نحو ربع عشر ثلاثين فرعوناً ، أكثرهم من الأسرة الثالثة عشرة ، والقليل منهم من الأسر التى أعقبتها .

ونفهم من هذه التواريخ أن مدة حكم كل ملك منهم كانت قصيرة ، وأنهم تولوا الحكم متلاحقين مسرعين . وهذه الحقيقة تتفق اتفاقاً منطقياً معقولا وما عرفناه من الآثار القليلة التى تركها لنا ملوك هذا العصر . ذلك إلى أنه يمكننا التدليل على أن ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، بل وبعض ملوك أواخر الأسرة الثالثة عشرة ، كانوا يحكمون فى مصر واحد مع ملوك « الهكسوس » الغزاة ، كل على الجزء الذى كان مسيطراً عليه ، كما سنرى بعد .

ومما يؤسف له أن الجامع الشاملة لمدة حكم فراعنة كل أسرة قد فقد معظمها من بردية « تورين » ، ومن الجائز أن مؤلف الورقة قد قرر أن كل أسرة ذكرها قد أعقبت سابقتها ولم تعاصرها وكذلك فعل « مانيتون »[2] (اللهم إلا سلسلة الملوك المزدوجة من الهكسوس والمصريين الذين ظهروا فى عهد الأسرة السابعة عشرة) ، وهذا خطأ وقع فيه المؤرخون التاريخ البابلى فى عهد الأسر القديمة .

---

(١) راجع "A Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology," by W. Smith (London, 1873). Vol. II, P. 915-916. & Ed. Meyer, "Histoire de l'Antiquité" § 151

(٢) راجع Ed. Meyer, "Histoire de l'Antiquité", Tome II, § 298, P. 334

أما قائمتا الملوك اللتان عثر عليهما في « سقارة » و « البردية الملكية » فقد أغفلتا ذكر أسماء الملوك الذين حكموا البلاد بعد نهاية الأسرة الثالثة عشرة حتى الأسرة السابعة عشرة ، وهذا على العكس من قائمة الكرنك المنسوبة إلى « تحتمس الثالث » كما ذكرنا ، فإنها قد حفظت لنا أسماء خمسة وثلاثين فرعونًا اعتبروا من ملوك الأسرة الثالثة عشرة والأسرة السابعة عشرة ، وقد بقي محفوظًا منها نحو خمسة وعشرون اسمًا بعضها سليم والبعض الآخر مهشم . ولكن يلحظ أن هذه القائمة قد أغفلت ذكر ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، وكذلك تحاشت أسماء ملوك « الهكسوس » التجاهل كله . ومع ذلك فإن هذه القائمة لا تتبع في عدتها الترتيب التاريخي إلا في بعض مجاميع اقتصرت على حدة .

وسنتكلم عن ملوك الأسرة الثالثة عشرة في ضوء هذه القوائم ، وما وجد من الكشوف الحديثة بقدر ما تسمح به آخر المقالات والبحوث التي ظهرت حتى الآن .

الملك سخم رع خوتاوى « أمنمحات سبك حتب »

لم تصل إلى أيدينا معلومات وثيقة عن حال نهاية حكم الملكة « سبك نفرو رع » آخرة ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ويظن بعض المؤرخين أنه لا بد قد تزوجت الملك « سخم رع خوتاوى » (أمنمحات سبك حتب[1]) ، وأنه بزواجه منها أصبح ملكًا شرعيًا . ولكن ليس لدينا ما يدعم ذلك الزعم ، في الصحائف أن

---

(١) يرى الرأي القائل به المؤرخ ماير أن الملك « سخم رع خوتاوى » هو أول ملوك الأسرة الثالثة عشرة (Meyer, "Geschichte des Altertums" § 299.) إلى أن كشف في المقابر التي عثر عليها في « العمرد » بعض آثار باسم الملك « أمنمحات سبك حتب » وعلى ضوء هذه الكشوف بحث الأستاذ فيل (Weill) موضوع ترتيب هذه الأسرة من جديد (R. Weill, "Revue de l'Egypte Ancienne" II. (1929) P. 147).

هذا الفرعون قد اغتصب الملك منها ، وبخاصة إذا علمنا أن حكم النساء لم يكن مرغوباً فيه في كل عصور التاريخ المصري . هذا إلى أنه انتحل لنفسه اسم « أمنمحات سبك حتب » تيمناً بهذا الاسم الذي كان يحمله أولئك الملوك العظام الذين حكموا البلاد في عهد الأسرة الثانية عشرة ، وذلك ليمحو اغتصابه الملك ، وليكون خليفة الفرعون « أمنمحات الرابع » آخر ملوك الأسرة الثانية عشرة من الذكور .

وقد حكم « أمنمحات سبك حتب » البلاد المصرية ما لا يقل عن أربع سنوات ، وخلف وراءه آثاراً عدة في طول البلاد وعرضها ، مما يدل على أنه كان مسيطراً على القطر كله . وقد ذكر جرفث (Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob," P. 87) أن هذا الفرعون كان يسيطر على الامبراطورية التي أقامها « سنوسرت الثالث » ، أي من الدلتا حتى قلعة « سمنة » . وكذلك عثر له على تمثال في « سمنة » وآخر في « كرمه » . هذا إلى أنه استمر في تدوين مقاييس النيل في السنين الأربع الأولى من حكمه في « قمة » و « سمنة »[1] .

وعثر له في الدير البحري على حجر منقوش عليه اسمه ، يظن أنه من عتب باب[2] ، وذلك مما يدل على أنه أقام بعض مبان في المعبد الذي شيده ملوك الأسرة الحادية عشرة . ووجد له في « المدمود » بعض أجزاء مقاصير ، منها جزء من منظر الملك والآلهة[3] . وفي « كاهون » القرية من « الفيوم » عثر على بردية دون فيها قائمة

---

(١) راجع L. D. II, 151 a, 151 b, 151 c, 151 d. & De Rougé, "Revue Archeologique", V, P. 312

(٢) راجع Naville, "Deir el Bahari", Archaeological Report of the Egypt Exploration Fund, 1906–1907 P. 6.

(٣) راجع Bisson de la Roque, "Rapport sur les Fouilles de Medamoud" (1926) 40, 41, fig. 29 & ibid (1928), P. 67 ff & P. 131-133. fig. 85 & P. 134-136 pl. IV

باسم أسرة كبيرة، وذكر فيها السنة الأولى والثانية من حكم هذا الفرعون، وقد جاءت إشارة في هذه البردية إلى تعداد سابق عمل في السنة الأربعين من حكم الملك «أمنمحات الثالث».

وفي «تل بسطة» عثر له على جزء من (بوابة) وقطعة أخرى.(١)

وأخيرا عثر له على بعض أسطوانات محفوظ بعضها «بالمتحف البريطاني» و «متحف اللوفر».(٢)

الملك «سعنخ تاوى» «سخم كارع»



وخلفه على العرش الفرعون «سعنخ تاوى سخم كارع»، ولا نعرف من أعماله في مدة حكمه الذي دام نحو ست سنوات إلا القليل، وأهم أثر له عثر عليه لوحة في «أتريب» (بنها الحالية)، وقد رسم عليها صورة إله النيل يقدم القربان إلى الصقر المتوج (الملك)، واللوحة لأمير يدعى «حورى دج».(٣)

وكذلك وجد له في «تانيس» (صان الحجر) عتب باب من الشيست المطعم بالفضة نقش عليها اسمه الحورى، واسم الملكة زوجه، وثلاث أميرات من بناتها.

---

(١) راجع: Naville. "Bubastis" Pl. XXXIII, 1. & ibid XXXIII a.

(٢) راجع: Cylinder no. 3663. British Museum, Petrie, "Historical Scarabs" P. 10 No. 278, and "A History of Egypt", Vol. I P. 209 fig. 118. & Cylinder No. 1657, British Museum; Petrie, "Historical Scarabs" P. 10 No. 279.

(٣) راجع: Brugsch "Thesaurus", P 1455; & Budge, "A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum" (1909) P. 223, Pl. XXVIII; and "A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)" (1909) P. 80.

(راجع Mariette, "Monuments Divers Recueillis en Egypte et en Nubie", pls. 103, 104) .

ووجد اسم هذا الفرعون منقوشا على صخور « شط الرجال » بالقرب من بلدة السلسلة (Petrie, "A Season in Egypt" pl XV No 466) . وفى أوراق « كاهون » وجد تاريخ باسم هذا الفرعون فى السنة الثانية (؟) وكذلك فى السنة الثالثة (Kahun Pap. Pl. IX, 11 8 & 1 (Pap. 1 3) . ويدل اسم وزيره « خنمس » فى « عصرة » و « أسوان » على أنه كان مهتمّا كل الاهتمام بالجزء الجنوبى من بلاده . (راجع De Morgan, "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l' Egypte Antique" P. 26, 188).

وقد أهدى هذا الفرعون وزيره « خنمس » تمثالا من الجرانيت الأسود ، وقد اشتراه الأستاذ « نيوبرى » من القاهرة . (راجع "Proceedings of the Society of Biblical Archaeology", Vol. XXIII (1901) P. 222, 223)

بوادر الاضمحلال فى الحكم : ولا نزاع فى أن بوادر الاضمحلال أخذت تظهر فى نهاية حكم آخر فراعنة هذه الأسرة بصورة جلية واضحة وفى حكم الفراعنة الذين خلفوا هذا الملك ، فضلا عن انقطاع تدوين مقاييس النيل بعد السنة الرابعة من حكم هذا الفرعون وانقطاع قوائم التعداد فى حكم خلفه فى ورقة « كاهون » ، وفضلا عن كل ما بعد الفراعنة الذين خلفوه من جهود المحافظة على تقاليد الملك العظيمة التى سارت على نهجها البلاد ، فقد كان الانحطاط سريعا ، إذ نجد أن انتقال الحكم من فرعون إلى فرعون كان يجرى فى سرعة خاطفة مدهشة . ولا أدل على ذلك من أن ثلاثة من هؤلاء الملوك الذين تربعوا على عرش البلاد لا نعرف لواحد منهم اسم تتويج ، مما يدل على أنهم قد خلعوا عن العرش على إثر توليتهم قبل أن يتاح لهم التتويج رسميا . يضاف إلى ذلك أن خامس فراعنة هذه الأسرة ، وهو « إيوف » ، كان يحمل على ما يظهر اسما لا يدل على أنه درج فى حجر الملكية . ولا بد أن هذا العصر كان يمتاز بالثورات التى كانت تشب فى القصر فيغتصب العرش من كانت فى جانبه القوة .

وإنه لمن العبث أن نحاول ترتيب هؤلاء الملوك ترتيباً تاريخياً ، أو نذكر أسماءهم حسبما جاء في ورقة « تورين » وبخاصة أننا لا نعرف عن معظمهم شيئاً إلا مجرد الأسماء . هذا فضلاً عن أن الورقة ممزقة ومهشمة إلى درجة مؤسفة .

والواقع أننا لا نعرف على وجه التأكيد ترتيب ملوك الأسرة كما ذكرنا ، هذا إذا سلمنا بالمرجعين الأولين ، وعلى ذلك فإن الملوك الذين سنذكرهم هنا هم الفراعنة المرجح توليهم العرش بعد الملكين السابقين ، ونخص بالذكر منهم :

الفرعون سخم رع خوتاوى « بنتن »

وقد جاء ذكره على لوحة من الحجر الجيري لأمير يدعى « نحوت ها » وأمه تسمى « حنب نبو » (راجع Scott-Moncrieff "Hieroglyphic Texts from Egyptian Stelae in the British Museum", Vol. IV pl. 26).

الملك سخم كارع « أمنمحات سنبف »



وجد اسم هذا الفرعون على أسطوانة عثر عليها في جبانة « المعلا » بالقرب من « الجبلين » ، وقد شرحها الأستاذ « نيوبري » (راجع P. S. B. A. XXI. (1899) P. 282-283 "Scarabs", Pl. VII. No. 3) وكذلك وجد من جعران في مجموعة اللورد « بيبي » (راجع . Budge "The Book of the Kings of Egypt", Vol. I., Pl. LXXXVII.) هذا وقد ذكر اسم هذا الفرعون على بعض الآثار التي عثر عليها في حفائر « طود » مع بعض ملوك آخرين من هذا العصر (راجع Bisson. De La Roque. "Tod" (1934-1936 P. 125).

ومن ملوك هذه الفترة الذين عثر لهم على الآثار : الفرعون

مرقا كاوع « كاى امنمحات



فقد وجد منقوشا مع الملك « وجاف » الذى سيأتى ذكره على قطعة من الحجر الجيرى فى « المعمود » ولا بد أن الأخير قد حكم بعد الأول (راجع Bisson. de La Roque, "Tod" (1934-1936) op. cit & Weill, R E. A. II. (1929) P. 166 ff (Fig 4).

الملك خوتاوى رع « وجاف



حكم هذا الملك مدة مجهولة من السنين وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يوما ، وقد عثر له على قطعة من لوحة فى « خبيئة الكرنك » ونشرها « لجران » (راجع : Legrain "Notes d' Inspection," Annales du Service des Antiquities de l' Egypte. Vol VI, (1905), p. 133.

وقد جاء ذكر اسمه فى قائمة « قاعة الأجداد » المنسوبة للفرعون « تحتمس الثالث » (راجع : Sethe. "Urkunden des Agyptischen Altertums" Vol : IV p. 610,

وقد اختلف المؤرخون فى تقدير مدى حكمه ، فيقدره الأستاذ « ادورد مير » بعمر سنتين وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يوما (Gauthier, L. R. II, P. 2) فى حين أن « بورث » (راجع : Manetho und der Turiner Konigspapyrus p. 236, adopted by Unger in "Chronologie des Manetho" p. 133). يقدره بنحو اثنى عشرة سنة وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يوما . والواقع أن ما أصاب « ورقة تورين » من التمزيق فى هذه النقطة يجعل تقدير مدى حكمه

بصفة قاطعة أمراً عسيراً ، هـذا إلى أن الآثار لا تمدنا بأية معلومات في هـذا الصدد . وقد وجدت آثار في أنحاء القطر ذكر عليها اسم هذا الفرعون . منها لوحة من الحجر الجيري الأبيض عثر عليها في « إلفنتين » وهي محفوظة الآن « بالمتحف المصري » تحت رقم ٣٨٤٢٣ ، وقد كتب عنها « ليجران » [1] . ويعتقد أنها كانت لوح تذكاري لتخليده . ووجد له كذلك قطعة من تمثال بالمدخل في « الكرنك » [2] .

ويقول « لجران » عن هـذه القطعة : إن آثار التهشيم التي وجدت تحت الطغراء تدل على أن التمثال يرجع في تاريخه إلى عهـد ما قبل ثورة « أخناتون » الدينية . ويظن أن هذه القطعة من تمثال يتعبد له في « الكرنك » .

وقد عثر الأستاذ « بدج » على تمثال لهذا الفرعون في « سمنة » [3] .

وهو محفوظ الآن بمتحف « الخرطوم » .

وقد درس « لجران » هـذا التمثال ثانية [4] ، ويقول الأستاذ « بدج » عنه أنه أقدم أثر عرف حتى الآن ذكر عليه اسم الإله « ددون » [5] معبود بلاد النوبة . ويقول عنه : إنه محبوب « ددون » صاحب « ختي ستي » (النوبة) ، ويعتقد « بدج » أن الملك « ونجاف » كان من أصـل نوبي وأن لباس عيد « سد » الذي يرتديه التمثال يشعر بأن هذا الملك كان يحتفل عيداً حافلاً في « سمنة » .

---

(١) راجع : A. S. VIII P. 250-2.

(٢) راجع : A. S. VI (1905) P. 130.

(٣) راجع : Budge, "The Egyptian Sudan" I, P. 484-486.

(٤) راجع : Legrain, A. S., X (1910) P. 106-7)

(٥) هذا أول ذكر لهذا الإله في « متون الأهرام » راجع Sethe, "Die Altagyptischen Pyramidentexte", (Leipzig, 1908 1922) lines 803, 994, 1017, 1476, 1718.

الملك سنفر اب رع « سنوسرت »



يدل ما كشف من الآثار على أن هذا الفرعون قد جاء بعد الملك « وجاف » السابق الذكر ، إذ قد عثر على لوحة صغيرة في « الفنتين » عليها اسم كل من « سنفر اب رع سنوسرت » و « وجاف »(١) ، ووجد لهذا الفرعون تمثال ضخم وكذلك لوحة صغيرة وكلاهما مستخرج من « الكرنك » . وقد ذكر عليهما معاً كل ألقاب هذا الفرعون(٢) وكذلك عثر على مائدة قربان منقوش عليها اسم هذا الفرعون في « الكرنك » وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري(٣) .

الملك سعنخ اب رع « أميني انتف أمنمحات »



أهم ما وجد لهذا الفرعون عدة موائد قربان بعضها من الحجر الرملي كشف عنها في « الكرنك » وهي الآن « بمتحف القاهرة »(٤) ، وقد كتب عنها المرحوم « أحمد باشا كمال » في كتابه « موائد القربان » . وقد جاء اسم هذا الفرعون في « قائمة الكرنك »(٥) وكذلك ذكر في « ورقة تورين »(٦) وله أيضاً أسطوانة باسمه(٧) و « جعران »(٨) .

---

(١) راجع Weill, R. E. A. II. (1929) P. 156 et seq. fig. 4

(٢) راجع Weill. "La Fin du Moyen Empire Egyptien" P. 313 14

(٣) راجع Mariette "Karnak" P. 9410.

(٤) راجع Kamal, "Tables d'Offrandes", I. P. 31-7

(٥) راجع Sethe. Urk. II. P. 609

(٦) راجع Lepsius, "Auswahl", V (Col VII. frag. No. 72 P. 10

(٧) راجع P. S. B. A. (1914) P. 37

(٨) راجع Petrie, "Scarabs & Cylinders", 13. 6.

والظاهر أن هذا الفرعون قد حكم مدة طويلة إذ يقول « جرفث » إنه وجد إحصاء الماشية في « كاهون » ... وأنه قد ذُكر العام العشرون ، وأن هذا التاريخ لا يحتمل إسناده للملك « ايوف » الذي لم يمكث على العرش إلا برهة قصيرة كما يظهر بل ينبغي أن يعزى إلى الفرعون « سمنخ اب رع » الذي ترك ستا موائد قربان جميلة الصنع في « الكرنك » » .

حور إب شت ، أمنمحات



وجد لهذا الفرعون عمود في مدينة « الفيوم » عثر عليه الأستاذ « جولنشيف » ولقد نسبه « جوتييه » للملك « امنمحات الأول » خطأ (١) .

الفرعون سحتب إب رع امنمحات

وجد لهذا الفرعون ثلاث موائد قربان في مدينة « سمنود » وهي الآن بمتحف الإسكندرية (٢) . وكذلك جاء اسم هذا الملك في « ورقة كاهون » (٣) ويبرهن « جرفث » على أن طغراء هذا الملك لا بد أنه ينسب إلى عهد بعد « أمنمحات الرابع » ولقد جاء ذكره كذلك في « ورقة تورين » (٤) .

ولدينا قراءة عشرة ربما جاءوا بعد أولئك الذين ذكرناهم ، ويعتبرون من أهم ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، لما تركوه من الآثار الهامة نسبياً ، إذ نجد من بينها

(١) راجع Gauthier "Le Livre des Rois d'Egypte", I. P. 259. وراجع كذلك ما كتبه الأستاذ نجيب ميخائيل في A. S. (1937) P. 85-95.

(٢) راجع Daressy, A. S. V (1904) P. 124.

(٣) راجع Griffith, "Kahun Papyri", Pl. XXVII. 1-14 (Text) P. 69.

(٤) راجع Lepsius, "Auswahl", Taf. V. Col. VII. Frag. No. 72.1.8.

عاش بعد المسيح . ولحسن الحظ قد حفظت لنا قائمة ملوك الكرنك أهم هؤلاء الفراعنة مرتبة ترتيباً صحيحاً . ولا ريب في أن معظمهم كانوا ممن اغتصبوا عرش البلاد ، إذ نجد على جعارينهم وعلى آثارهم أن الملك منهم كان يصف نفسه ابن والده الذي كان يحبه » و « ابن الإله » وأحياناً ابن والدته التي كانت كذلك ملقبة « والدة الإله » وذلك يدل على أنهم لم يصلوا إلا باغتصابهم لعرش البلاد وأول ملوك هذه الأسرة

الملك سمنخ كارع « مرمشع »



وقد عثر له على تمثالين ضخمين في « تانيس » الواقعة في الشمال الشرقي من « الدلتا » وقد اغتصبهما لنفسه « أبوفيس » الثاني أحد ملوك « الهكسوس » فيما بعد ، ومن ثم يتضح لنا أن سلطان هذا الفرعون كان ممتداً حتى بلاد الدلتا ، وأهم ملك يأتي بعده هو :

سخم رع سوادج تاوي « سبك حتب الثالث »



لم يأت ذكر هذا الملك في قائمة « الكرنك » على الرغم مما يعزى له من الأهمية ، ولكن وجدت له آثار عدة تدل على نشاطه في طول البلاد وعرضها

(١) [illegible]

Edwards, Harpers New Monthly Magazine [illegible] 1886 [illegible]
71 & Petrie "Tanis" I, Pl. III [illegible]
P. 218 & Evers "Staat aus dem Stein" [illegible] 146-148



(١) الملك سخم رع سوادج تاوي — سبك حتب

من « تل بسطه » عثر على تمثال من الجرانيت الأحمر ، لوحظ فيه بعض تحريف في اسمه نشأ عن الاسم الحقيقي ، وربما كان سبب ذلك خطأ المثال . ويظهر في هذا التمثال أغلاط للمثال الفنية الخاصة بهذا العصر ، إذ نجد فيه الرأس والوسط صغيرين[١] ، وكذلك وجد له في « الكرنك » جزء من تمثال مصنوع من « الجرانيت » ، وقد عزي إلى « سبك حتب الثالث » وليس ذلك مؤكداً . وله « بمتحف اللوفر » لوحة[٢] (C. 8) يدل نقشها وصورها على أنها قد صنعت في هذا العهد بمهارة تضارع في دقتها فن الأسرة الثانية عشرة الرفيع ، وقد مثل عليها زوجة الملك واثنان من بناته تتعبدان للإلهة « مين »[٣] . ولدينا آثار أخرى تحدثنا عن أفراد أسرة هذا الفرعون منها لوحة في « قفط » لأمير اسمه « سنب » ووالداه هما « منتوحتب » و « أوهت آبو » وهما والدا هذا الملك نفسه[٤] . وله جعارين مبعثرة في جهات مختلفة يعلم منها اسم والد هذا الفرعون ، وهو الملقب « بوالد الإله » « منتوحتب » والأم المقدسة « أوهت آبو »[٥] .

وقد قام هذا الفرعون بإنشاء مبان في معبد الأقصر « بطيبة » يدل على ذلك وجود بقايا بعضها في هذه الجهة ، منها عتب باب ، وأعمدة ، وقطعة من الحجر ،

---

(١) راجع: Budge, "Egyptian Sculptures in the British Museum" Pl. XVI.

(٢) راجع: Pierret, "Recueil d'Inscriptions inédites du Musée Egyptien du Louvre", Vol. II, P. 107

(٣) راجع: Petrie. "History" I, Fig. 125.

(٤) راجع: Recueil de Travaux Relatifs à la Philologie et à l'Archéologie Egyptiennes, Vol. VII P. 188.

(٥) راجع: Petrie. "Hist. Scarabs", P. 10 No. 291 & L. D. text I.P. 15 & Petrie. ibid P. 10, No. 292

وكلها منقوش عليها اسمه [1]، والظاهر أنه قد أقام بعض المباني في معبد «الكرنك»، وذلك لوجود قطعة من الحجر عليها اسمه [2].

وفي «الجبلين» وجدت له عتب باب منقوش عليه اسمه [3]. أما في مدينة «الكاب» فكشف عن مقبرة في «سفح الجبل» لأمير يدعى «سبك نخت» وقد ذكر في نقوشها أن هذا الأمير عاش في عهد هذا الفرعون [4].

أما ما بقي من آثاره فتنحصر في بعض الجعارين، وخرزة من حجر الجمشت [5]، وكرة صغيرة من الذهب [6]، وكذلك قبضة (بلطة) [7]، وكلها قد نقش عليها اسمه. والظاهر أن هذه الآثار كلها من بقايا محتويات قبره الذي نهب في الأزمان القديمة وكشف منه الأطلال في أيامنا. وقد كشف حديثاً عن مقصورة أقامها في «المدامود» [8]، كما اغتصب لنفسه بعض آثار أحد الملوك، والظاهر أنها «لسنوسرت الثالث».

وقد مكث على العرش نحو ثلاث سنوات كما جاء في «ورقة تورين» [9].

---

(١) راجع Weill, "Fin du Moyen Empire" P. 418 & "Zeitschrift fur Agyptische Sprache", Vol. XXXIV P. 122. Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt", P. 70

(٢) راجع Mariette, "Karnak", 8.

(٣) راجع Rec. Trav. XX. P. 72.

(٤) راجع Champollion "Notice Descriptive des Monuments Egyptien du Musee Charles X," P. 273. & L. D. III. 13 b-c (Text).

(٥) راجع Newberry, P. S. B. A. XXVII. P. 104.

(٦) راجع Petrie, "Scarabs & Cylinders" 13, 20. 1

(٧) راجع Budge, "Guide" (1909) P. 115. 223 & Pl. XXVII.

(٨) راجع Bisson de La Roque & Clere (1929), "Medamoud", 83-94 & ibid 1930 P. 93

(٩) راجع Turin Pap. Col. VII, frag. 79-80 1-2 = Lepsius, "Auswahl" Taf. V

وعثر أخيرا على بعض أحجار لمعبد أقامه في مدينة « الكاب » (الفابـد) واستعملت في أساس معبد من الأسرة السادسة والعشرين . ونقوش هذه الأحجار تعد في الطبقة الأولى من حيث الدقة الفنية، بل تقارب في إتقانها صناعة الأسرة الثانية عشرة . ولا نزاع في أن هذه الأحجار هي بقايا معبد لأننا نشاهد على بعض أجزاء من المنظر المألوف الذي يمثل الاحتفال بوضع أساس معبد ، وقد كشف عن هذه الأحجار في عام ١٩٣٨ .

الملك خع سخم رع « نفر حتب »



خلف الفرعون « سبك حتب » الثالث على عرش البلاد ملك يدعى « نفرحتب » حسب ما جاء في ورقة « تورين » . وقد عرفنا نسب هذا الفرعون من ثلاثة نقوش دونت على الصخر . النقش الأول موجود على صخور أسوان[1] ، والثاني على صخور جزيرة « سهيل » (بالقرب من أسوان)[2] ، والثالث نقش على صخور « شط الرجال »[3] ، هذا إلى جعارين مختلفة منقوش عليها اسمه ، واسم بعض أفراد أسرته . ومن كل ذلك نعلم أن اسم والده هو « حاعنخف » واسم والدته « كمى » ، أما زوجه أم أولاده فتدعى « سنسنب » (Senseneb) ، واسم بكر أولاده « سا حتحور » وهو الذي قد اشترك معه في حكم البلاد . هذا وكان له فضلا عن ذلك ثلاثة أولاد آخرين وهم « سبك حتب » و« حاعنخف » و« ... حتب » .

---

(١) راجع Petrie "Season" P. 337

(٢) راجع Mariette, "Monuments" XXI, P. 3

(٣) راجع Petrie "Season" Pl. XV no. 479 P. 15

كما كان له كذلك أخوان وَلِيَ كل منهما فيما بعد عرش الملك، وهما «منتوحتب الرابع» و «[illegible]». والواقع أن الفرعون «منتوحتب» هذا قد ترك لنا آثارًا هامة في طول البلاد وعرضها، وقد كشف حديثًا عن آثار له تدل على أن نفوذ مصر كان يمتد إلى فلسطين في عصره.

وقد أراد هذا الفرعون أن يسير على نهج أسلافه في إحياء ذكرى الإله «أوزير» وقد ترك لنا لوحة في «العرابة المدفونة» يحدثنا فيها عما قام به من عظيم الأعمال الدينية لوالده «أوزير». وقد أحدث به غيرته أن قام بنفسه برحلة إلى «العرابة المدفونة» حيث أحضر على حسب أوامره الخاصة تمثال الإله «أوزير» من قبره ليقابله عند وصوله، ثم عاد بعد ذلك الإله والملك سويًا إلى المعبد، وهناك مثلت (دراما) موت الإله «أوزير» ثم إحيائه ثانية. وقد تكلمنا عن ذلك فيما سبق



(٢) الملك «منتوحتب» في شبابه

(راجع الجزء الثالث ص ٥٠٧) . وقد قص علينا هـذا الفرعون كل ما قام به في هذه الرحلة على لوحة نصبها في « العرابة المدفونة » فاستمع إلى ما جاء فيها [١] .

« في السنة الثانية من حكم جلالة الملك « نفرحتب » الذي أنجبته الأم الملكية « كمى » ، ليته يعطى الحياة والثبات والسعادة مثل « رع » مخلدا (عندما) أجلس جلالته على عرش حور (الملك) في القصر المسمى « المسيطر على الحقائق » (ويحتمل أن هذا القصر كان بالقرب من « عين شمس » أو « منف ») خاطب الأشراف والنبلاء من أتباعه ، ومديري الكتاب ومحافظ كل الكتب السرية قائلا : لقد تاق قلبي إلى رؤية الكتابات القديمة الخاصة بالإله « آتوم » ، ولذلك يجب عليكم أن تقوموا لي ببحوث عظيمة حتى يمكن للإله (أي الملك) أن يعلم كيف خلق ، وكيف صورت الآلهة ويعلم ما يجب أن تتألف منه القرابين الخاصة بهم حتى يمكنني أن أعرف الإله « أوزير » في صورته الحقيقية ، وبذلك يكون في مقدوري أن أصنعه مثالا كما كان في أول الزمان في الوقت الذي كان فيه الآلهة يصنعون تماثيل « لأنفسهم » في مجلسهم « السماوي » لأجل أن يثبتوا آثارهم على الأرض . فقد منحوني إرث الشمس إلى آخر ما يحيط به دائرة الشمس . وإني سأزيد ما هو موكل إلي (من القرابين) ومن ثم من جانبهم سيزيد حبهم لي لما أعمل على حسب ما يأمرون به » .

فأجاب الأشراف على ذلك بقولهم : « يأيها الملك والسيد ، إن كل ما أمر به جلالتكم سيحدث ، وعلى ذلك فلتذهب جلالتكم إلى المكتبات ، ولتنظر جلالتكم إلى كل كلمة مقدسة » .

وعندئذ ذهب جلالته إلى المكتبة ، وفتح الكتب في حضرة الأشراف فوجد جلالته سجلات معبد « أوزير » أول أهـل الغرب ، وسيد « العرابة المدفونة » ، ثم قال جلالته للأشراف : إن جلالتي يحيي « أوزير » أول أهـل الغرب ورب « العرابة المدفونة » ، وإني سأصنع تمثاله تكون أعضاؤه وجهه على حسب (الإيضاح) الذي رأيته في هذه الكتب ، وهي التي عنها يوصف ملك الوجهين القبلي والبحري منذ ما خرج من فرج بطن أمه (نوت) ومن أجل ذلك أمر باستحضار ضابط كان في معية الملك بين يديه ، وقال له : عليك أن تصعد في النيل وصحبتك جنود وبحارة ، ولا تنم ليلا ولا نهارا حتى تصل إلى « العرابة » وعليك أن تأمر بعمل تمثال أول أهل الجبانة الغربية حتى أقيم آثاره كما كانت عليه في بداية الزمن ، وحينئذ قال الأشراف : إن كل ما أمرت به سيكون يأيها الملك والسيد ، وإنك ستعمل لنفسك أول أهل الجبانة الغربية في « العربة » على حسب رغبتك » ، ثم انطلق هذا الضابط سريعا لينفذ ما أمر به جلالته . وقد وصل

(١) راجع Breasted, A. R., I § 753 & Mariette, "Description des Fouilles Executees sur l'Emplacement de cette Ville", (Paris, 1869) P. 28 ff

إلى « العرابة » (حيث أمر بإصلاح تمثال « أوزير » الخاص بالجبانة الغربية من خشب ومطعم بالذهب) وصنع حلاه هذا الإله « الملك ») ونزل في القارب المقدس « لأوزير » رب الأبدية حيث كان ساحب النهر ... للعمر ... (أي كان يطلق المحور ... حالة النهر) ؟ وأخيراً ... العرابة به ماكث في الخارجية من ... إلى « العرابة » ... ووصل في ... حيث ... إلى هذا الإله « أوزير » ... في أخذ ... جلالته إلى الدرب المقدس منه ... (حيث كان ... « أوزير » ... ثم ذهب إلى المعبد) ... هذا الإله ... أول أعوام الجبانة الغربية ... للقاصية « لأوزير » ... أهل الجبانة الغربية في كل ... (وأنهى الاحتفال ... خاص ... أولئك الذين كانوا أعداء الدرب المقدس ... وبعد ذلك ظهر جلالة هذا الإله في احتفال ... معه في ... (الإله الذي في ...) كان يسير أمامه ... الطريق وبعد ذلك أمر جلالته أن يذهب هذا الإله إلى معبده ... في المعبد ... في محراب الذهبي ... أسابيع في أثناء اشتغال الصناع في العمل) ... جلالة « أوزير » ... من كل الأحجار ... في أرض الإله ... وقد كان ... يشرف على صناعة ... من الذهب ... ولكن ... ذلك ظهر بالمظهر اللائق بالإله ... (... ذلك في ...) ... أحياء ... الكهنة ... كونوا ... في المعبد وحافظوا على هذه الآثار ... الأزمان ... يجب أن يكون ... ما يجب أن ... في هذا المكان الذي ... الإله ... في ... ولا ... « أوزير » ... الأمر ... في ... وأنه هو الذي ... من ... في ... على ... « أوزير » ... في ... ولا أحد ... الأول ...

وبعد انقضاء عامين من إقامة هذه اللوحة ، أي في السنة الرابعة من حكم هذا الفرعون ، أقام لوحتين أخريين تشابه مثيلتيها عند طرفي جزء معين من الجبانة المقدسة القائمة خلف العرابة ؛ وذلك لمنع العامة من اقتحام هذا الجزء من الجبانة وكان الكهنة قد رغبوا في حفظها لسيادة الإله « وبوات » وقد أصبحت يد الدهر على واحدة منهما . وقد نقش عليها بعد التاريخ واسم الفرعون ما يأتي

« أمر جلالتي أن هذه الجبانة الواقعة جنوب « العرابة » يجب أن تصان وتحمى لرب الأرض « وبوات » رب حماية ما لا تحصر » (أسم جبانة العرابة) كما حدث للإله « حور » الواقعة على أرض مصر ، حتى يمنع لأي شخص أن يطأ قدمه هذه الجبانة . وهذا بأن هاتين اللوحتين قد أقيمتا في جانبي الجنوب والشمال ونقش عليهما اسم جلالتـه . وأي شخص يوجد داخل المساحة المقيدة بهاتين اللوحتين يجب معاقبته ، ولو كان هذا أو كاهنا يؤدي مهامه ؛ وأي موظف يقيم لنفسه قبرا داخل هذه الجبانة فلابد من التبليغ عنه ، ويجب أن يطبق عليه القانون ، وكذلك تعد هذه الأيام حتى على حارس الجبانة من هذا اليوم . أما أي امتداد وراء هذا الجزء المقدس فمصرح لهم بالدفن فيه »

ومما سبق يتضح لنا ما كان للإله « أوزير » والإله « وبوات » من المكانة في ديانة القوم وبخاصة عند الملوك ، ولا غرابة في ذلك فقد أخذ الإله « أوزير » يحتل مكانة عظيمة في الديانة في عهد الدولة الوسطى حتى أصبح يعتبر أعظم الآلهة شأنا ، وبخاصة في إقامة شعائره الدينية ، كما أفضنا القول في ذلك في الجزء السابق (راجع ج ٣ ص ٥٠٧) .

والظاهر أن هذا الفرعون كان قد أشرك خلفه المسمى « خع نفر رع سبك حتب » معه في الحكم إذ عثر على قطعة تجسر في « الكرنك » ذكر عليها اسماهما معاً[١] ، غير أنه في قائمة « ورقة تورين » قد وضعت بين اسميهما اسم ملك آخر يدعى « سبختحور رع » . وإذا حذفنا كلمة « رع » من اسم هذا الملك الأخير فإنه يبقى له اسم « سبختور » فقط وهو ابن « نفر حتب » . ويمكن تفسير ذلك بأن

(١) راجع Mariette, "Karnak", 8

«حرحتب» قد أشرك معه ابنه هذا في الحكم ، غير أنه مات قبل والده . والواقع أن «سبحتحور» هذا لم نجد له أي أثر ولكنه أنجب ولدا اسمه «سبك حتب» ، وقد عثر له على جدران نقش عليه ما يأتي : ابن «سبك حتب» الذي أنجبه ابن الملك «سبحتحور»[1] . وهذه العبارة تدل على أن الأمير «سبك حتب» كان قد بلغ الحكم قبل أن يشترك والده «سبحتحور» مع «حرحتب» في إدارة شئون البلاد . وقد ذكر المؤرخ «ويجول» في كتابه تاريخ مصر[2] العبارة التالية . ومما هو جدير بالتنويه عنه هنا أنه منذ ذلك العهد لم نعثر على ما يدل على أن هذه الأسرة كانت تمد نفوذها في الدلتا ، ومن الجائز إذن أن الوجه البحري قد أفلت تماما من يد ملوك هذه الأسرة في خلال حكم هذا الفرعون ، ولكن يظهر أن ملوك الأسرة الرابعة عشرة الذين كانوا يحكمون في «سخا» هم الذين استولوا على الدلتا لأننا لم نعثر على اسم واحد منهم خارج منطقة نفوذهم ، غير أن ما ذكره «ويجول» لا يتفق مع ما كشف حديثا في بلدة «بيلوص» (جبيل) الواقعة على شاطئ «فينيقية» ، إذ عثر على أثر من الأهمية بمكان . وهو قطعة حجر منقوشة نقشا غائرا صور عليها شخص جالس يرتدي ثوبا محبكا نقش أمامه سطر عمودي . ولهذا الأثر أهمية تاريخية عظيمة إلى حد بعيد ، إذ نجد فيما عدا الديباجة الخاصة بهذه الشخصية سطرا آخر على حدة قد كتب أفقيا وهو يحتوي على ديباجة ملكية مصرية ناقصة ، وعلى الرغم مما أصابها من العطب والكسر فإنه كان من الممكن تمييز طغراء الفرعون «مع نحم رع حرحتب» وقد جاء في نهاية ديباجة الصلاة الآتية «رع حور اختي» ما يأتي : أمير «بيلوص» «ينتن» له الحياة عقتمة ابن الأمير «رن»[3] . ولا نزاع في أن اسم الأمير هو «ينتن» أخي «يوناتان» كما ذكر ذلك الأستاذ «ديسو»

(١) راجع Petrie, "History", I, P. 223

(٢) راجع Weigall, "A History of the Pharaohs" Vol. II. P. 159.

(Dussaud)[1] . ويلاحظ أن أمير « ساوص » الماثل في النقش أمام الساحة الملكية يمد يده اليمنى نحوها باحترام مما يدل على أنه تابع حر يقدم خضوعه للقوة العظيمة الملكية التي كانت تسيطر على عاصمة « فينيقية » منذ الأزمان السحيقة في القدم . وهذه الوثيقة لها أهمية فائقة كما ذكرنا وبخاصة فيما يخص تاريخ مصر الداخلي . إذ نعرف منها أن الفرعون « خع سخم رع » كان لا يزال يسيطر على ساحل البحر الأبيض المتوسط الذي كان يشرف عليه أجداده في القرون الخالية ، وإذا كان الفرعون « نفرحتب » يسيطر على بلاد « فينيقية » في تلك الفترة فمن المحتمل إذاً أن ملك الدلتا كان لا يزال باقياً في قبضة يده . وقد يجوز أن الوجه البحري قد أفلت من يد خلفه . وقد ترك لنا هذا الفرعون آثاراً عدة في طول البلاد وعرضها منها تمثال صغير نصفه محفوظ الآن بمتحف « بولونيا » من حجر الديوريت[2] ، وقد ذكر في نقوشه أنه محبوب الإله « سبك » صاحب « شدت » (الفيوم) ومحبوب « حور » في « عين شمس » مما يدل على أنه نحت في أحد البلدين ، وكذلك يدل على أن « منف » كانت لا تزال في يده ، وصناعة هذا التمثال آية في دقة النحت ، وهو يمثل الفرعون جالساً ، وقد اتبع المثال في تمثيله التقاليد القديمة التي كانت متبعة في نحت التماثيل ، غير أن تقاسيم الوجه تدل على الفتوة ونضرة الشباب مما لا يتفق مع ما كان عليه هذا العصر المضطرب الصاخب . وفي معبد « الكرنك » وجد له محراب نقش عليه صورتان يحتمل أنهما تمثلان الفرعون وقرينه (كا) . ويظن « لجران » أن الصورتين تمثلان الملك « نفرحتب » الأول وشريكه في الملك أخاه « سبك حتب » الثالث[3] . وتدل الآثار على أن سلطان هذا الفرعون قد امتد

(١) راجع Les Peuples de L'Orient Mediterranean II. L'Egypt" P. 278.

(٢) راجع Petrie, "History" I. P. 221 & Naville, "Rec. Trav." I, P. 09, 110.

(٣) راجع Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers", Vol. I., No. 42022.

حتوبى الشلال الثانى إذ قــد عثر على لوحة عليها اسمــه فى « بوهن » القريبة من (وادى حلفــا)[1]، وكذلك وجــد له نقوش على صخور « كومو » حيث تشــاهد الفرعون ممثلا يتعبد للإله « مين »[2]، كما يشاهد فى نقش آخر فى نفس المكان وهو ممثل بين الإله « منو » والإلهة « ساتت » فى صورة الإله « مين » عضو التذكير منتشراً[3]. ويشاهد كذلك فى نقش على صخور « سهيل » أمام الإلهة « عنقت »[4]، وكذلك يوجــد له نقشا فى « شــط الرجال » شمالى جلة سلسلة[5]. هــذا وقد وجدت لوحة فى « سهيل » ذكر عليها أسماء بعض أعضاء الأسرة المــالكة[6]. وعثر على لوحة فى « العرابة المدفونة » ذكر عليهــا اسمه[7]. كما وجد طغراؤه فى معبــد « أوزير » فى « العرابة المدفونة »[8]. وفى « متحف برلين » يوجد رأس عمود عليه اسمه[9]. وقد وجدت مئة جعارين عليها اسمه منها واحد فى مجموعة « فريزر » عثر عليــه فى « تل اليهودية »[10]، وآخر موجود فى متحف « بورين »[11]. وكذلك له جعران فى متحف « اللوفر »، وآخر فى متحف « سوتجارات »[12]. ألـــا! ، ويوجــد له صولجانا صغير فى مجموعة

(١) راجع Mactver & Woolly., "Buhen" pl. 74.
(٢) راجع L. D. II. 151 f. (Text) IV. P. 13.
(٣) راجع L. D. II. 151 h. (Text) IV. P. 130.
(٤) راجع L. D. II. 151 g. (Text) IV. P. 126.
(٥) راجع Petrie "Season" pl. XV No. 479 P 15.
(٦) راجع L. D. II. (Text) IV P 126.
(٧) راجع Lange & Schafer, "Grab und Denkstein des Mittleren Reichs", II., P 24, Pl. 47
(٨) راجع Petrie "Abydos" I. Pl. LIX
(٩) راجع Schafer "Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen "Museen zu Berlin", II. P 140
(١٠) راجع Petrie, "Hist. Scarabs", Nos. 297 298
(١١) راجع Petrie, ibid, No. 296.
(١٢) راجع Wiedemann "Kleinere agyptische Inschriften aus der XIII XIV Dynastie" No. 15

«ستروجانوف» (Stroganoff)[1]؛ وله آنيــة من المرمر محفوظة الآن بالمتحف «البريطاني»[2]. هــذا وقد جاء اسمه في قاعة الأجداد التي أقامها «تحتمس الثالث»[3]، كما جاء ذكره في «ورقة تورين»[4].

وقد حكم نحو إحدى عشرة سنة على وجه التقريب.

الملك ساحتحور رع

تدل شواهد الأحوال على أن هــذا الأمير لم يحكم منفردا بل كان مشتركا مع والده في الحكم والظاهر أنه قــد مات قبــل والده كما أسلفنا ولكن الأستاذ «دوردمير» يقول إنه لم يحــكم إلا مدة ثلاثة أيام ثم خلفه على العرش أخوه (راجع Ed. Meyer, "Hist. de l'Antiquité" (2) § 300).

الملك خع نفر رع «سبك حتب الرابع»



قلنا فيما سبق إن هذا الملك قد اشترك مع أخيه في الحكم بعد وفاة «ساحتحور»، ومن ثم نستنبط أنه كان لا بد قد تخطى سن الكهولة وقتئذ، وبخاصة إذا علمنا أنه صحبه شريكاله في الملك. وتدل الآثار التي تركها هــذا الفرعون على أن نفوذه كان يمتد من الدلتا حتى الشلال الثالث.

---

(١) راجع: Wiedemann, ibid, No. 16.

(٢) راجع: Prisse, "Revue Arch" 1845 P. 15.

(٣) راجع: Sethe Urk IV P. 609.

(٤) راجع: Lepsius, "Auswahl", Taf. V Col. VII frag. Nos. 79-80.

في « كانيس » عثر له على تمثال صغير غير أنه كان في الأصل معدا للإله « ساح » في « منف » ، ثم نقله « رعمسيس » الثاني إلى « كانيس » مغتصبا إياه لنفسه ، وكذلك وجد له تمثال آخر في نفس البلدة ، غير أنه يحتمل أنه نقل من بلدة « المطلة » إذ وجد عليه اسم إله هذه البلدة وهو « حش » [1] .

وفي « تل بسطة » عثر له على تماثيل كما يقول الأستاذ « ادورد نفيل » [2] .

وفي « أخميم » وجد له تمثال « بوالهول » من الجرانيت الأسود [3] .

ومن المحتمل أنه كان يوجد هناك معبد فرعوني ، وبخاصة أن هذا الإقليم كان مركز عبادة الإله « حتحور » يضاف إلى ذلك أن ابن الفرعون كان يسمى « ساحتحور » (أى ابن حتحور) وكذلك وجد لهذا الفرعون جعران في « اللشت » [4] .

أما في مصر العليا فكانت له آثار عدة لدرجة ظن معها المؤرخ « ويجول » أن هذا الفرعون قد اتخذ مقر ملكه في « طيبة » [5] . ففي « العرابة المدفونة » نجد أنه قد أضاف (بوابة) عظيمة من الجرانيت الأسود في معبدها [6] ، وكذلك وجد له هناك جزء من لوحة من الجرانيت يظهر فيها الفرعون يتعبد للإله « مين » [7] .

---

(١) راجع Pierret, "Rec. d'inscription" II. P. 19.

(٢) راجع : Ed. Meyer, "Hist. II. § 300 & Rosellini, Mon. Stor. Texte III. No. 78.

(٣) راجع : Cairo Mus. Salle H., Guide to Museum No. 263.

(٤) راجع Gauthier & Jequier, "Fouilles de Licht", 106.

(٥) راجع : Weigall, "History" II. P. 161.

(٦) راجع : Petrie, "Abydos" I. LIX. & II. Pl. XXVIII.

(٧) راجع Lange und Schafer. "Grab und Denkstein," I. 172. Pl. XII.

وفى «متحف روكسل» يوجد له نقش عثر عليه فى «المرابة»[1] وفى «دندرة» عثر له على آنية من اللوس الأزرق منقوش عليها اسمه (راجع A. S. IX. P. 107). ويذكر لنا المؤرخ «وبجول» أن هذا الفرعون قد أقام معبداً فى «الأقصر» عثر على بعض آثاره غير أن ذلك يحتاج إلى إثبات[2].

وفى معبد «الكرنك» وجدت له آثار عدة تشهد بنشاطه فى هذه البقعة منها عارضة باب من الجرانيت عثر عليها «بلجران» (راجع A. S. IV P. 26.) كما وجد له قاعدة تمثال من حجر «الكوارتسيت» فى «الكرنك»[3].

وكذلك بقايا تمثال فى صورة «أوزير» فى «خبيئة الكرنك»[4]. هذا وقد أصبح «سبك حتب» الرابع التمثال الذى أهداه «سنوسرت» الثانى وسنوسرت الثالث إلى جدهما «منتوحتب» الثانى أعظم ملوك الأسرة الحادية عشرة، وهو موجود الآن بالمتحف المصرى[5]. ووجد له فى «طود» الواقعة جنوب الأقصر تمثال وهو الآن بمتحف «اللوفر» وقد نقشه لإله هذه المدينة[6].

أما فى بلاد «النوبة» فقد وجد له تمثال فى جزيرة «ارجو»[7].

---

(١) راجع Speelers, "Recueil des Inscriptions Egyptiennes des Musées Royaux du Cinquantenaire à Bruxelles", P. 16, No. 7

(٢) راجع Weigall, "History, II. P. 152

(٣) راجع Mariette. "Karnak", Pl. 8. (Text) P. 45.

(٤) راجع Legrain, A. S. VII. P. 33-34.

(٥) راجع Naville, "The XI Dynasty Temple at Deir el Bahari", P. 57 58

(٦) راجع De Rougé, "Notice des Monuments exposés dans la galerie d'Antiquities Egyptiennes au Musée du Louvre", P. 15.

(٧) راجع L. D. II. 151. I., L. D. (Text), II, 120 b., Breasted, "A History of Egypt", Fig. 99; "The American Journal of Semetic Languages and Literature, XXV P. 43. Fig. 26.

ولكن يميل إلى هذا الشكل [illegible] على [illegible] في العصر المتأخر فهو مصنوع من الجرانيت [illegible] ولا شك أنه قطع من [illegible] [illegible] وخول الأستاذ [illegible] على أن [illegible] في عهد [illegible] على أن [illegible] [illegible] في عهد [illegible] حتى الشكل الثالث ثم عدلت في عهد الملوك الذين جاءوا [illegible] في عهد الأسرة الثانية عشرة ثم أعيدت ثانية [illegible] كانت عليه في عهد [illegible] « الثالث » أو في عهد مؤسس الأسرة الثالثة عشرة، [illegible] هذا الفرعون [illegible] [illegible] حسب الرأي » .

على أنه توجد لهذا الفرعون آثار [illegible] [illegible] في متاحف العالم ، أهمها :

(١) جزء من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(٢) جزء من لوحة من الحجر الأحمر [illegible] محفوظة [illegible] [illegible]

(٣) جعران [illegible] [illegible] .

(٤) قطعة حجر كتب عليها اسم هذا الفرعون [illegible] [illegible] « [illegible] » بالإسكندرية ، وذلك على حسب ما جاء في تاريخ [illegible] [illegible]

(٥) جعران في مجموعة « [illegible] » رقم ٩٤٩ [illegible] في [illegible] الأستاذ « [illegible] » ، وكذلك [illegible] في مجموعة الأستاذ [illegible] » .

---

(١) راجع Newberry, P. S. B. A. XXIII, 220.

(٢) راجع [illegible] "[illegible]" P. 224 "[illegible] to Sculpture" P. 80. No. 273

(٣) راجع Mariette "Monuments" Pl. 43a.

(٤) راجع Petrie, "History" I, 5th ed Pl. XXVII.

(٥) راجع [illegible], [illegible] Aegyptische Inschriften aus der XIII-XIV Dynastie, No.

(٦) راجع Petrie "Hist. Scarabs" No. 315-316 ibid No. 303.

وقد ذكر اسم هذا الفرعون في قائمة الأجداد برقم ٣٨ ، وبالكرنك [illegible]
في [illegible] (١) ، وقد كشف حديثاً في «الكرنك» قطعة من لوحة محفوظة
الآن في «المتحف المصري» مسجلة برقم ٥١٩١١ (٢) ، وهي منحوتة من حجر
الجرانيت المحبب . وقد أمدنا الملك «خع نفر رع سبك حتب الرابع» بتكريس
ما كان قد قام به من أعمال للهيكل الخشبي في معبد «آمون» بالكرنك وخص
بالذكر منه من بين عباراتها الطويلة الثانية . قال الملك : «ليحط أربعة أبواب»
واحد من حجر رأس الحوت ، والآخر من إدارة الوزير ، والثالث من الخزانة ،
والرابع من إدارة ما يعطيه الناس» ، وقد تكلم عن هذه الإدارات في الجزء الثالث
(راجع ص ٣٨٩) .

الملك خع عنخ رع «سبك حتب الخامس»



تولى الملك بعد «سبك حتب الرابع» الفرعون «خع عنخ رع - سبك حتب»
(الخامس) ، والظاهر أنه كان شريكاً في الملك ، يدل على ذلك جعران كتب
عليه اسماهما (٣) ، ويوجد لهذا الفرعون عدة آثار في المتاحف الأوروبية ، منها مائدة
قربان من الجرانيت محفوظة الآن بمتحف «لندن» ، وهي مهداة للإلهة «مين»

(١) راجع Sethe, "Urk." IV 109.

(٢) راجع Lepsius, "Auswahl" Taf. V. Col. VII. frag. 79-80. [illegible]

(٣) راجع Journal d' Entree 51, 911.

(٤) راجع Weill, "La Fin du Moyen Empire" II. P. 846

وقد نقش عليها ألقاب هذا الفرعون كاملة[1]، وكذلك وجد له قاعدة تمثال صغير من الجرانيت الأسود اشتريت من «طيبة» عام ١٨٩٨[2]. وقد أقام هذا الفرعون في «السرابة المدفونة» مقصورة لم يبق منها إلا بعض قطع جميلة الصنع، وهي محفوظة الآن «بمتحف اللوفر»، منها قطعة محفورة حفرًا غائرًا. ويلاحظ عليها الملك واقفًا أمام الإله «وبوات» برأس ابن آوى، وكذلك نشاهد على قطعة أخرى الفرعون واقفًا أمام «بتاح سكر»، وعلى قطعة ثالثة نشاهده ماثلًا أمام الإله «مين»[3].

وكذلك وجدت له لوحة محفوظة الآن في «متحف اللوفر»[4]. وفي «قفط» كشف عن قطعة من لوحة من الحجر الرملي نقش عليها اسم زوجة ملكية تدعى «سبك ام حات»، واسم ابنة ملكية تدعى «سبك أم حاب»، ويظن أنهما زوجته وابنته على التوالي غير أن ذلك ليس قطعيًا[5].

والظاهر أن اسم هذا الفرعون لم يذكر في قائمة «الكرنك»، وإذا كان قد ذكر فإنه قد هشم[6].

---

(١) راجع: Boeser, "Beschreibung der aegyptischen Sammlung des Niederlandischen Riechsmuseums der Altertumer in Leiden" III. Pl. 2., & Moret, "Sphinx, XI. P. 35.

(٢) راجع: P. S. B. A. XXV PP. 136-137.

(٣) راجع: Louvre B 3, 4, 5, De Rouge, "Monuments", P. 55. & Weill, "Fin du Moyen Empire", 455-465.

(٤) راجع: Steles du Louvre. C. 10. Pierret, op. cit. II, P 34. & De Rouge, "Cat. Mon" P. 46, 78.

(٥) راجع: Petrie, "Koptos" Pl. XII, 2. 1-3. P 12.

(٦) راجع: Sethe, "Urk II. P 609. VI, P 8.

الملك خع حتب رع - سبك حتب السادس



لم نجد لهذا الفرعون حتى الآن آثاراً تستحق الذكر، وتدل شواهد الأحوال على أنه قد قام ببعض أعمال في «معبد العرابة المدفونة» ذكر عليها اسمه (١). وكذلك وجد له خمسة جعارين: صور على إحداها في صورة أسد يسير هادئاً، وقد كتب عليه اسمه، واثنان كتب عليهما لقب التتويج (راجع Petrie, "Scarabs and Cylinders" PL. XIII, 24).

هذا وقد جاء ذكره في قائمة «الكرنك»، وكذلك في «ورقة تورين»، وقد جاء فيها أنه حكم أربع سنوات وثمانية أشهر وتسعة وعشرين يوماً (٢).

الفرعون مرسخم رع - نفر حتب



كل ما يعرف عنه أنه ممثل على تمثال جالس من الجرانيت الأسود في «الكرنك» (٣)، وقد جاء ذكره في قائمة «الكرنك» (٤) رقم ٤٦ أيضاً.

---

(١) راجع Rosellini, "Mon. Storici" Pl. III.

(٢) راجع Ed. Meyer, "Aegyptische Chronologie" P. 64.

(٣) راجع Legrain, "Rec. Trav." , XXVI, (1904) P. 220 & Cat. Gen. du Mus. du Caire.

(٤) راجع Sethe, "Urk. II. P. 609.



(٢) الفرعون منخم رع — حرمحب

الملك مر كاو رع - سبك حتب



عثر له على تمثال من حجر الجرانيت في « الكرنك » ، وقد وجد له تمثال آخر مماثل للسابق غير أن نقوشه مهشمة [1] ، ولكن نسبته لهذا الملك غير مؤكدة بسبب تهشيم النقوش وقد نقش اسمه في « قائمة الأجداد » [2] رقم ٥٤ ، وكذلك ذكر اسمه في « ورقة تورين » [3] .

الملك نى خع نى ماعت رع - خنزر

تدل الكشوف الحديثة على أنه كان يوجد ملك اسمه « خنزر » ؛ فلعله هو الذي نحن بصدده الآن ، وقد عثر له على لوحتين محفوظتين بمتحف « اللوفر » وهما خاصتان بإصلاحات قام بها كاهن يدعى « أمني سنب » في معبد « العرابة المدفونة » [4] .

---

(1) راجع Weill, "Le Fin du Moyen Empire" I, P. 503. & Mariette, "Karnak" Pl. 8. I.

(2) راجع Sethe. "Urk. II. P. 509, VI. P. 103

(3) راجع Turin Pap. Col. VIII. frag. 87-88

(4) راجع Chabas, "Melanges Egyptologique" II, P. 203 Breasted, "A. R." I. § 781, &, Griffith, "A. Z." XXIX P. 106.

وقد جاء في اللوحة الأولى (Louvre C. II) ما يأتي : « لقد حضر إلى رئيس الوزراء ليدعوني بأمر من رئيس الوزراء ، فذهبت معه ووجدت رئيس الوزراء « عنخو » في ديوانه ، وقد ألقى هذا الموظف أمراً قائلاً : لقد صدر الأمر بأن ستكلف بتطهير « المراة » هذا ، وستقدم لك العمال لهذا الغرض ، هذا بالإضافة إلى « كهنة الساعة » الخاصين بالمعبد ، وهم عمال مخزن القربان ، فعملت بتطهير الطابقين السفلي والعلوي للمعبد ، وحائط جدرانه كليهما ، وقد ملأ المصورون (النقوش والكتابة) بالألوان ، والترصيع والتطعيم ، وبذلك أصلحوا ما كان قد صنعه الملك « سوسرت » الأول . ثم أتى بعد ذلك حارس الشجرة المقدسة يبشر أعمالي وظيفته في المعبد وكان وكيل الخزانة بجنبه ، وقد أثنى علي كثيراً قائلاً : « أعظم حظوة من عمل هذا للإله » وقد أعطاني عمال قيمتها عشرة دبنات (من الذهب) هذا إلى تمر ومصنف خبز ، وبعد ذلك انحدر رئيس ال [illegible] في النهر من « طيبة » وفحص العمل وكان سروره به عظيماً جداً » .

أما اللوحة الثانية فذكر اسم هذا الفرعون ثم قص علينا ما يأتي : « لقد صدر الأمر بتبليغ الرسالة الملكية الثانية إلى « أميني سنبو » وهي : إن هذه الأعمال التي قمت بها قد فحصت ، وإن الفرعون يشكرك ، ويرجو لك أن تعيش عمراً سعيداً في هذا المعبد الخاص بملكك ، وقد صدر الأمر بأن يقدم لي الرسم لتحسين من نور . وكذلك صدر الأمر بأن يبلغ لي أمر جاء فيه : « يجب عليك أن تشرف على كل تفتيش يجري في هذا المعبد ، وقد تم عملي على حسب ما صدرت به كل الأوامر . وقد أمرت بإصلاح كل محراب لكل إله في هذا المعبد ، فأصلحت مرائيه قوائمها بخشب الأرز . وكذلك أصلحت المذبح العظيم الذي كان منصوباً أمام الإله . وبذلك أسعدت زعيني بما سر إلهي ، وشكرني الملك عليه » وقد ترك لنا رئيس الوزراء « عنخو » هذا المذكور في هذه الوثيقة بعض آثاره ، فقد عثر

(١) [illegible]

«الحزام» على تمثال له، كما نعرف له لوحتين، هذا بالإضافة إلى ذكر اسمه في بردية، وقد عثر له على جعران(٢)، وآخر محفوظ الآن في «المتحف البريطاني»(٣) غير أن هذين الجعرانين في الواقع للملك «خنتر» الثاني كما سيأتي بعد.

الملك وسر كارع «خنتر»



وقد خلف «خنتر» الأول ملك آخر يدعى «خنتر وسر كارع»، وكان بعض علماء الآثار يعتبرون هذين الملكين ملكا واحدا(٤)، ويرجع السبب في ذلك إلى أن «خنتر» الثاني لم يكن معروف الاسم إلا من الجعرانين السابق الذكر، وقد بقي هذا الشك إلى أن كشف الأستاذ «جيكيه» عن هرم «وسر كارع خنتر» ونشر نتائج كشفه عام ١٩٣٣(٥).

وقبل هذا الكشف بقليل اعترف كل من «سيوبرى» و«جاردنر» عند فحصهما «ورقة تورين» عند هذه النقطة بوجود لقب هذا الملك الأخير وهو «وسر كارع»(٦).

وقد كشف «جيكيه» عن هرم هذا الفرعون في «سقارة» وهو مبني باللبن، ومكسو بالحجر الجيري الأبيض، ويبلغ ارتفاعه نحوا من سبعة وثلاثين مترا،

---

(١) راجع Breasted, "A. R. I. note d., § 342

(٢) راجع Fraser, "A Catalogue of Scarabs Belonging to G. Fraser (London, 1900), No. 65 P. 9.

(٣) راجع Br. Mus. No. 42716.

(٤) راجع: Gauthier, "L. R." PP 138 - 139.

(٥) راجع: Jequier, "Deux Pyramides du Moyen Empire"

(٦) راجع: Jequier, op. cit. P 27.

وقد عثر على بعض قطع من أحجار هذا الهرم، وكذلك عثر على بعض من جدرانه عليها نقوش بالخط الهيراطيقي، وهي تكشف عن معلومات قيمة عن سير العمل في بناء هذا الهرم، مما يدل على أن البناء كله تم في أربعة أعوام. ويوجد له في المجموعة التاريخية «بنيويورك» أسطوانة كتب عليها لقبه «سخم كارع» راجع (A. Z. Vol. XI, 81)، كما وجد له قطعة من الخزف المطلي في «اللشت» كتب عليها اسمه «ختنزر»[١].

الملك واح اب رع ابيب



الظاهر أن هذا الفرعون «واح اب رع» يتخذ عصرا كله اضطرابات، ويلوح أنه قد اغتصب الملك، وقد ذكر اسمه على لوحة وجدت في «طيبة» وهي الآن بالمتحف البريطاني[٢]، وكذلك عثر له على جعران محفوظ الآن في مجموعة «بتري»[٣]، ووجد له خاتم أسطواني الشكل[٤]، وذكر اسمه على آنية من الخزف المطلي كشف عنها في «كاهون»[٥] وقد حكم على حسب «ورقة تورين» عشرة أعوام وثمانية أشهر، وثمانية وعشرين يوما.

---

(١) راجع Ibid, P. 83.

(٢) راجع Budge, "Sculpture", P. 279.

(٣) راجع Petrie, "Historical Scarabs", (London, 1889), P. 219, fig. 131

(٤) راجع: Ibid, P. 323.

(٥) راجع Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara", Pl. X, Fig. 72.

الملك مر نفر رع آى

وتدل الآثار على أن كل هؤلاء الملوك الذين ذكرناهم حتى الآن فى هذه الأسرة كانوا لا يزالون يحكمون مصر كلها ، ومن المحتمل أنهم حكموا البلاد نحو خمسين سنة (١٧٦٠ — ١٧١٠) بحسب تاريخ الأستاذ « ادوردمير » وقد خلف الفرعون « واح اب رع » « الملك « مرمر رع آى » وقد عثرله على حجر من (بوابة) فى معبد « الكرنك » من الحجر الجيرى بالقرب من « البحيرة المقدسة » كتب عليه اسمه[1] ، وذلك يدل على أن ملكه كان يمتد فى أعالى الصعيد ، بل وفى مصر كلها ، وخاصة أننا وجدنا له جعارين مبعثرة فى أنحاء القطر . إذ عثر له على واحد فى « قفط » [2] وثان فى « العرابة المدفونة » [3] وثالث فى « تل اليهودية » [4] ورابع فى نفس المكان ، وكذلك جعران فى « تل بسطة » وجعرانان فى « اللشت » [5] [6] ، وكذلك توجد جعارين باسم هذا الفرعون فى « متحف برلين » [7] وله جعارين أخرى فى متاحف مختلفة [8] ، وقد حكم هذا الفرعون على حسب ما جاء فى « ورقة تورين » ثلاث عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوماً [9] . والظاهر أن حكم هذا الفرعون يعتبر بداية جزر من حكم هذه الأسرة ، وبعد ذلك نجد فى ورقة تورين أسماء ملوك عديدين كثير منهم هشم اسمه ، وسنذكر هنا ما يستحق الذكر .

(١) راجع Legrain, A. S. IX P. 273, 276.
(٢) راجع Petrie, "Koptos", Pl. XXIV No. 3 P. 24
(٣) راجع Petrie, "Hist. Scarabs", No. 327
(٤) راجع Petrie, "Hyksos & Israelite Cities", Pl. IX No. 116
(٥) راجع Fraser "Coll". No. 56 P. 8.
(٦) راجع Gauthier et Jequier, "Fouilles de Licht", P 107 Fig. 135.
(٧) راجع Berlin Mus. No. 10190.
(٨) راجع Gauthier, L. R. II P. 44 ff.
(٩) راجع Turin Pap., Col. VII Frag. No. 81, 1.3

الملك مرحتب رع « إبى » (سبك حتب الثامن؟)

بأن هـذا الفرعون بعـد الملك السابق فى « ورقـة تورين » وقد جاء ذكره
كذلك فى قائمة « الكرنك » وورد اسمه على لوحه من « العرابة المدفونة » محفوظة



(٤) الملك مر حتب رع — إبى (سبك حتب الثامن ؟)

الآن بالمتحف المصري نقش عليها «الإله الطيب رب الأرضين «سخم رع» الواحد المحبوب مدحل السرور على قلب الشمس) معطي الحياة محبوب «و ... ات» رب ... حامي الراية) القاطن في «المرأة»[1] هذا وقد عثر له على جعران محفوظ الآن بمتحف «اللوفر»[2] وقدر حكمه في «ورقة تورين» بستين وشهرين وتسعة أيام ، ويشك بعض المؤرخين في أنه هو «سبك حتب الثامن»[3] (؟)

الملك سوازن رع «نب اري راو»



لقد كشف عن اسم هذا الفرعون حديثا على لوحة موجودة الآن «بالمتحف المصري» رقم ٥٢٤٥٣ ، وقد عثر عليها «شفريه» في قاعة العمد «بالكرنك» وهذه اللوحة لأحد كبار الموظفين ، وقد وضعت تصريح ملكي في معبد «الكرنك» وقد جاء في هذه اللوحة صورة نص تعاقد لنظير باع مهام وظيفته «حاكم الكاب» التي ورثها عن جده بمبلغ يعادل ٦٠ دبنا من الذهب . وقد ترجم هذه الوثيقة الأستاذ «لاكو» حديثا وهاك الترجمة لما لها من أهمية عظمى في كشف النقاب عن بعض نواحي هذا العهد الغامض[4] .

---

(١) راجع Lange und Schäfer, "Grab und Denkstein des Mittleren Reiches," Vol. I, P. 54, No. 20044

(٢) راجع Daressy, "Oeuvres I, P. 119 & Petrie "History I, Fig. 138

(٣) راجع Gauthier, L. R. II P. 46 Note 1 & Weigall, "History Vol. II, P. 168

(٤) راجع Lacau, B. I. F. A. O., Vol. XXX, P. 881 ff. & Weill, B. I. F. A. O. Vol. XXXII, PP. 28-33

عطف ملكى بالموافقة (على وضع هذه اللوحة)

فى معبد « آمون »

الأقاب الملكية : إنه « حور » (الملك) العائش — وهو الذى يجعل الأرضين خضرتين ، وسيد الإلهتين — وهو المقدس فى وجوده ، « حور » نفسى — الجليل فى إشراقه ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى — الذى يجعله « رع » مصرا ، معطى الحياة ، والمحبوب من « آمون » سيد عروش الأرضين ، الإله العظيم ، ابن « رع » « ست يلى » ، راو » (— سيدهم جميعا) ليته يعيش فلها ، ومن قلبه ينشرح على عرش « حور » الأحياء ، ومن النظر به جميل مثل إشراق قرص الشمس ، ومن صار ثابتا فى مظاهره مثل « كميس » (لوز أمه) ، وبن « آمون » ، من جسمه ، وهو الذى أنجبه من جلوته الصحيحة ، ومن تحبه جميع الآلهة دائما .

تاريخ الوثيقة : السنة الأولى ، الشهر الرابع ، من فصل الفيضان ، اليوم الأخير من الشهر ، من عهد جلالة هذا الإله (الملك) .

عنوان الوثيقة الأولى التى ذكرنا تاريخها : « ورد كتاب من ملكية جريعا رئيس رجال مائدة الأمير (المسمى) « كمسى » لرجل من عائلة ، وهو الأمير الملكى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، ورئيس المعبد (المسمى) « سبك نخت » :

« حيث إنه معترف بوجود وظيفتى حاكم الكاب ، وهى التى آلت إلىّ بوصفها وظيفة والتى حاكم « الكاب » المسمى « إيسى » ، وقد ورثها والدى هذه بوصفها ملكا لأخيه من أمه وهو حاكم الكاب المسمى « آى » الصغير ، وهو الذى مات

(١) [illegible]

دون أن يعقب أولادا ، وقد أصبحت هـذه الوظيفة ملك هذا الرجل الذى من عرقى ، وهو الابن الملكى ، ورئيس المعبد المسمى « سبك حتب » من ابن لابن ، ومن وارث لوارث[1] ، على أن يعطى الخبز والجعة والقمح ، والمؤن ، وكهنة الروح ، والخدم ، والبيت الخاصة لتلك الوظيفة ، فيجب ألا يقر أى شخص صحة فى سجل هذا النزول الكتابى ، وذلك لأنه دفع لى الثمن وقدره ستون دبنا من الذهب فى صورة أشياء متنوعة ، وإذا قدم شخص شكاية أمام الحاكم (سار) أو أمام من يستمع للأوامر قائلا " إن هـذه الوظيفة تئول إلى ، فيجب ألا يلتفت إليه بل يجب أن تعطى « سبك حتب » وأن تكون له من ابن لابن ومن وارث لوارث ، ومحظور الإصغاء لأى فرد يشكو فى هذا الصـدد ، وذلك لأنها وظيفة ورثتها عن والدى ، وقد مكنت هـذا الرجل منها لأنه من عرقى ، وهـو الابن الملكى ، ورئيس المعبـد المسمى « سـبك حتب » ، وإذا جاء أحد من أولادى أو من ساقى ، أو إخوتى ، أو أخواتى ، أو أى فرد من عترتى ليقول : « إن هـذه الوظيفة تئول إلى ، فيجب ألا يصغى إليه ، بل يجب أن يعطاها أخى هذا وهو الابن الملكى ، حاكم « الكاب » المسمى « سبك حتب » ، وهـذا النزول الكتابى قد عمله السيد (ساب) المسمى « رن سنب » فى حضرة عمدة المدينة والوزير ، ورئيس المحاكم الكبرى الست المسمى « سـبك حتب » والسيد « سنب سوسنو » وكاتب « حور » ، « آمه » عن » المسمى « سبك عنخ »[2] .

وإذا حدث أن عرقى تعدى هـذا النزول الكتابى فيجب ألا يلتفت إليه أى شخص أبدا .

---

(١) والواقع أن واضع هذا النزول قد عنى بإظهار أنه هو المالك الحقيقى لهذه الوظيفة إذ أنها قد آلت إليه عن طريق والده الذى ورثها بدوره عن والده ، ويصرح بقصد أنه جاء بالبراهين التى تؤكد ذلك .

(٢) كان اسم « سبك عنخ » اسما شائعا فى تلك الفترة .

وقد حرر بوساطة مكتب مراقب « القسم الشمالي » ، وقد كان كاتب السجن المسمى « امحوتب » معينا ليمثل كاتب مراقب القسم الشمالي (من البلدة*) وقد عمل له الإجراء على حسب القانون ضد موته أي أنه وضع أمامه (النزول المكتوب) لتجديده كل سنة على حسب القانون »[1].

في السنة الأولى ، الشهر الرابع من فصل الفيضان ، اليوم الأخير من الشهر من حكم جلالة هذا الإله (الملك) .

دفع الثمن : من الابن الملكي حامل خاتم ملك الوجه البحري ، ورئيس المعبد « سبك نخت » ورئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كبسى » ابن الوزير « إمرو » لأجل حكومة « الكاتب » . ما أعطاه الابن الملكي ، وحامل خاتم الوجه البحري ، ورئيس المعبد المسمى « سبك نخت » لرئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كبسى » يساوي ستين دبنا ذهبا ، ويشمل ذلك عضارا وشبها وحبوبا وملابس[2] .

وقد تحقق أن الوثيقة الأصلية قد أرسلت من مكتب مراقب « القسم الشمالي » (وصرت) إلى ديوان الوزير ، في السنة الأولى من عهد حامي مصر (أي الملك) له الحياة والصحة والعافية ، وهذه الوثيقة كانت باسم الكاهن « حور »[3] الذي « عن » المسمى « سبك نخت » وباسم رئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كبسى » وقد حفظت إلى مكتب حاجب (وحم) القسم الشمالي وكان قد أتى بها من ديوان الوزير بسبب شكاية في السنة الأولى من عهد حامي مصر (الفرعون) له الحياة والصحة والعافية[4] .

---

(١) وبعد ذلك يأتي عقد آخر وهو متمم السابق وهو عقد الدفع (أي دفع الثمن) هذه الوظيفة التي رنى عنها صاحبها

(٢) والسطران الأخيران خصص مختصر لكل الوثيقة

(٣) الكاهن « حور » صاحب « عن » كان الثالث عن « سبك نخت » وهو الذي تقدم ساكنه باسم « سبك نخت » الأمير ، ولهذا نجد اسمه مذكورا بجوار اسم « كبسى » المدافع عن هذه الوظيفة

(٤) وعلى ذلك كانت الوثيقة محفوظة في ديوان الوزير

وهــذه الشكوى جاء فيها : « لقد أتيت بوصفى ممثلا لابن الملك رئيس الجيد المسمى « سبك غت » لأقول « إنى قد أودعت أمانة قيمتها ستون دبسا من الذهب ، وتشمل صلارا وشبها وملابس وحبوبا من متاعى لدى رئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كيسى » وإنه لم يرجعها لى ، وبذلك أقمت دعوى عليه ، وهناك ما تم حاضرا بذلك فى مكتب حاجب قسم الشمال ليتسنى وضع هذه الشكوى تحت نظر رئيس رجال مائدة الأمير (المسمى) « كيسى » (أى يواجه بها) وقد اعترف بالحقيقة ، وبذلك يقول : « لقد حدث أنى قد أصبحت بيدى (أى المـال الذى أخذه ثمنا الوظيفة) » .

وهاك اعترافه : « إنى سأعوضه (المدعى) عن ذلك بوظيفتى « حاكم الكاب » التى أتت لى إرثا من والدى عمدة المدينة ، والوزير « إمرو » وقد أتت إليه بمثابة ملك من أخيه من أمه المسمى « آى » الصغير وهو الذى مات دون أن يعقب أطفالا . وهذه الوظيفة كانت قد نقلها إليه والده الوزير « آى » بمقتضى نزول مكتوب فى السنة الأولى من عهد الملك « مرحتب رع » المرحوم . وقد وضع ذلك (العرض) أمام الكاهن « سبك نخت » النائب عن حاكم « الكاب » « سبك نخت » فأعلن ارتياحه لذلك أيضا ، ثم أمرا عقد اليمين على ذلك (الاتفاق) وذلك بالقسم بالسيد (الملك) له الحياة والصحة والعافية ، وبالامتناع عن الرجوع فى ذلك (الاتفاق) أبدا » .

وقد عقد هذا اليمين أمام الحاجب المسمى « كمسو » التابع « لقسم الشمال » فى نفس اليوم ، وفى الوقت نفسه الذى عملت فيه هذه المستندات فى مكتب الوزير . وهاك الكلمة التى أخرى بمقتضاها هذا الوزير (المسمى) « آى » وولا مكنون لاسمه رئيس مائدة فرعان « أمسون » المسمى « آى » الصغير ، وذلك فى السنة الأولى من عهد الفرعون « مرحتب رع » المرحوم :

على الأصل بمكتب الوزير في اليوم نفسه وقد جيء بالتقرير الذي أتى به من مكتب الوزير ، وقد أحضره « السيد » (ساب) « رخمي » الذي كان يشغل وظيفة « كاتب الوزير » . (وقد أودع) التقرير ومحافظه مكتب الوزير ، وتحقق أن عمدة المدينة والوزير المسمى « آي » قد حرر ، ولا مكتوب خاصا بحكومة « الكاب » عمدة لابنه رئيس مائدة قربان « آمون » المسمى « آي » الصغير ، وذلك في السنة الأولى ، الشهر الرابع من فصل الحصاد في اليوم التاسع عشر من عهد الملك « من حتب رع » المرحوم . وقد قال بصدد هذا التنازل المكتوب الذي عمله [illegible] لما كان هذا الشاهد قد أصبح متعبا بالنسبة لابني رئيس مائدة قربان « آمون » لأنه لا نسل له ، من أجل ذلك ينبغي أن يعطى وظيفة حكومة « الكاب » لأخيه من الأم ، وهي التي ولدت لي روحي ، ابنة الملكية المسماة « ردجمس » . وقد أرسل لإحضار كاهن الإله « حور » آلهة بلدة « نخب » المسمى « سبك نخت » وهو الذي كان نائبا عن عمدة الإله الملكي ، وحامل ختم مقدم الوجه البحري ، رئيس معبد المسمى « سبك نخت » وقد أحضر في الوقت نفسه رئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كمس » [illegible] هذه الوثائق [illegible] هؤلاء [illegible] في مكتب الوزير ، وقد كان لزاما على مكتب الوزير أن يقوم بذلك على حسب القانون ، [illegible] (على الإلحاق) في السنة الأولى ، الشهر الأول من فصل [illegible] رئيس ([illegible]) لحكومة المسمى « ردجمس » . راجع [illegible]

ومن هذه الوثيقة [illegible] لاحظ أن كاتب [illegible] في البلاد أو على الأقل في مقاطعة الكاب التي كان في استطاعته [illegible] في بيع وظيفة حكومة [illegible] هذا البيع كان [illegible] كما يدل على ذلك النص . [illegible] في مكتب الوزير الذي كان يعمل الرئيس [illegible] كان

في الإمكان تمييز هذا البيع والنزول عنه كلما اقتضت الأحوال ذلك . والظاهر أن هذا الإجراء كان سببا بوجه خاص في مقاطعة الكاب لأن أمراءها كانوا أقوياء وعلى ولاء عظيم للبيت المالك، وقد استقروا على هذه الحال حتى أوائل الأسرة الثامنة عشرة كما سنرى بعد . وعلى أية حال فإن ظاهرة بيع وظيفة حكومية تعد من علامات القطر تدل على تفكك أواصر الروابط الحكومية في البلاد ، ولا غرابة إذن في أن نشاهد ذلك في عهد الأسرة الثالثة عشرة التي كان ملوكها على جانب عظيم من الوهن والضعف مما أدى إلى غزو البلاد على أيد الهكسوس كما سنرى بعد .

الملك «رع نفر رع» «ددومس»

يعرف هذا الفرعون ببعض آثار عثر عليها في جهات مختلفة ، أهمها لوحة كشف عنها في «الجبلين» وهي الآن بالمتحف المصري[1] ، وفي هذه اللوحة يظهر هذا الفرعون بين الإله «حتمو» والإله «أوزيس» ، وكذلك وجد له بعض أحجار[2] ، ومن صناعة هذه الجدران يظهر أنه يشبه صناعة الأسرة العاشرة ، وكذلك عثر له على جعران آخر في مجموعة «فريزر»[3] .

وقد عثر «نافيل» على قطعتين من (خرطوش) هذا الفرعون في «الدير البحري»[4] ويقول «مانيتون» إن الهكسوس غزوا البلاد المصرية في عهد هذا الملك .

---

(١) راجع Lange & Schafer "Grab und Denkstein", II. PP 136-138
& Daressy, "Rec. Trav" XIV, P. 26.

(٢) راجع Petrie, "History", I. P. 245. Fig. 140.

(٣) راجع Fraser, "Coll". P. 9.

(٤) راجع Naville, "The XI Dyn. Temple", II. Pl. X PP 1 — 21

الملك زد حتب رع ددوموس

عرف لنا اسم هــذا الملك من لوحة عثر عليها في «أدفو»[1]، وكذلك وجدت لوحه مؤرخة بحكم هذا الفرعون عند تابرق «أدفو» ولابد أنها قد استخرجت من آثار هذه الجهة، وصناعة هذه اللوحة خالية في الخشونة، وتشبه السابقة. وقد أهداها الإله للملك الأمير العظيم ابن رع «ددومس»[2]، ويحتمل أن هــذا الملك قد خلفه على العرش.

الملك سواج إن رع «سنب ميو»



آثار هذا الملك قليلة جدا إذ لم يعثر على اسمه إلا على قطعــة من «عراب» كشف عنها «نافيل» في المعابد التي قام بها في معبد الملك «منتو حتب» الثاني في «الدير البحري» وهي الآن في «المتحف المصري» وهي مصنوعة من الجرانيت الصلب[3].

---

(١) راجع Barsanti. "Stele inedite au nom du Radadouhotep Doudoumes", A. S. IX (1908) P 1 2

(٢) راجع: A S XXI (1921) P 189 190 & Weill, B. I. F. A. O. XXXII (1932) P 27 8,

(٣) راجع Naville. "The XI th. Dyn. Temple at Deir-el-Bahari", II. Pl. X. II. P 12

وكذلك نقش اسمه على عصا محفوظة في « مير جراد » وقد وجدت في التابوت رقم ٢٨٠٣ (1) كما ذكر اسمه على جزء من لوحة وجدت في « جبلين » (2) وذكر اسمه كذلك في قائمة « الكرنك » في قاعة الأجداد رقم ٥٣ (3)

الملك زد عنخ رع « منتوام ساف »



آثار هذا الملك قليلة جداً إذ لم يعثر على اسمه إلا على قطعة من الحجر في « الجبلين » وهذا الحجر محفوظ الآن « بالمتحف المصري » (4) هذا بالإضافة إلى جعران محفوظ (5) « بالمتحف البريطاني » باسمه .

الملك نحسى (العبد)



يعزى إلى الملك قطعة حجر ربما كانت من مسلة في « تانيس » تدل على أنه كان أميرا وربما كان هذا الأثر قدمه له والده قربانا للإله « ست » معبود الهكسوس الأعظم في ذلك العهد، وفي هذا دليل قاطع على أن هذا الملك قد عاش في عهد الهكسوس وأنه كان من الأمراء المعاصرين لحكمهم (6)، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري .

(1) راجع Lacau, "Sarcophages Anterieur au Nouvel Empire", II, P. 150.

(2) راجع Fraser, P. S. B. A., XV (1893) P. 498 (Fig. XVI) & Petrie, "History", I, P. 246.

(3) راجع Sethe, "Urk, IV P. 610, VII. PP I. 2

(4) راجع Daressy, Rec. Trav. XX, P. 72.

(5) راجع Budge, "The Book of the Kings of Egypt", Vol. I, P. 83.

(6) راجع Petrie, "Tanis" II, P. 18. No. 19 A

هذا وقد وجد له حتى الآن ستة جعارين بعضها باسمه وهو أمير وبعضها وهو ملك.

وقد عثر على أحدها وهو أمير في «تل دسطة»[1] كما عثر له على تمثال في «تل المقدام» كان الفرعون «مرنبتاح» بن «رعمسيس الثاني» قد اغتصبه في عهد الأسرة التاسعة عشرة.

وقد ذكر عليه أن «عسى» هذا محبوب الإله «ست» رب «أواريس»[2] ويقول الأستاذ «ادوردمير» إن هذه العبارة تعرض صحة قاطعة على أن ملوك «الهكسوس» قد حكموا مصر منذ أواخر الأسرة الثالثة عشرة، وأن الإله «ست» لم يذكر لفظه على آثار «تانيس» قبل عهد الهكسوس، وهذه فكرة خاطئة سنتناولها بالبحث عند الكلام على غزو الهكسوس لمصر.

الملك من خعورع منشب اب



لم يوجد لهذا الفرعون إلا لوحة عثر عليها في «كوم السلطان» «بالعرابة المدفونة» ويشاهد فيها الملك يتعبد للإله «مين» ويقول في أولها: الصلاة لك يا «مين حور نخت» عند ظهورك الحية، من ملك الوجهين القبلي والبحري «من خعو رع» معطي الحياة الأبدية ابن الشمس «منشب أب» العائش عاقلا يقول الخ[3].

وقد جاء ذكر هذا الملك في «ورقة تورين» مهشما مما جعل الشك يحوم حول اسمه[4].

---

(١) راجع Gauthier, L. R. Vol. II, P. 56.

(٢) راجع Mariette, "Monuments", Pl. 63.

(٣) راجع Mariette, "Catalogue General des Monuments d'Abydos decouverts pendant les fouilles de cette ville", No. 771, P. 236 et "Abydos" II. Pl. 27. b. & Lange & Schafer, "Grab und Denkstein", II. PP. 111-112 & Lacau, B. I. F. A. O., XXX (1931) P. 882

(٤) راجع Gauthier, L. R. II. P. 67

الملك حتب أب رع «سيامو حور نز حرتف»



لم نجد اسم هـــذا الفرعون إلا على قطعة من الحجر في جبانة «الأطاولة» قبالة «أسيوط» ، وقد نقش عليها . الإله الطيب رب القربان «حتب أب رع» ابن الشمس من بدنه «سيامو حور نز حرتف» (1) .

ومن المحتمل جداً أن هذا الملك والذي — قبله وهما اللذان لم يوجد لهما آثار في أنحاء البـــلاد كسابقيهم ، بل انحصرت آثار كل منهما على جهة واحدة من مصر الوسطى — كانا أميرين محليين وحسب .

(1) راجع Daressy, "Rec. Trav." XVI. (1894) P. 133 & A. Kamal, "A. S." III. (1902) P. 80.

نظرة عامة في حكم الأسرة الثالثة عشرة

تدل شواهد الأحوال على أن نظام الحكومة في عهد الأسرة الثالثة عشرة بقي على حاله كما كان في زمن الأسرة الثانية عشرة، فنشاهد أن الملك «حور حتب» الأول يجمع كبار الموظفين والمستشارين حول عرشه في السنة الثانية من حكمه، ويأمر بإخراج الكتاب المقدس لتاسوع الإله «آتوم»، وهذا الكتاب يوحي إليه بفكرة القيام بإنجاز أعمال في معبد «أوزير» «بالعرابة المدفونة». وكذلك أمر الفرعون «حور» الأول وزيره «عنخو» أن يقوم بإنجاز إصلاح في معبد «سنوسرت» الأول هذا إلى أن كثيراً من فراعنة هذه الأسرة قاموا بإصلاحات عدة في المعابد القائمة في أمهات المدن «كقفط» و«العرابة المدفونة»، وبخاصة معابد الإله «مين» والإله «أوزير» والإله «وبوات»، وهم الذين شاعت عبادتهم في هذه الفترة، وبذلك قد أظهروا ما في قلوبهم من الرغبة والاحترام لخدمة آلهتهم متى أتيحت لهم الفرص كما كان يفعل ملوك الأسرة الثانية عشرة.

وقد كانوا يقطعون الأحجار من وادي الحمامات لنحت تماثيل عظيمة لأنفسهم، وبنوا لها كذلك مقابرهم، وقد أقام «سبك أم ساف» وزوجه قبريهما في «طيبة»، ولكن يظهر أن «حور حتب» الأول كان مقر ملكه في منطقة «منف».

وكان الموظفون متواضعين، يحنون رءوسهم أمام الأوامر التي تهبط عليهم ويتقبلون الهبات الملكية التي كانت تجزل لهم. غير أن هذه الثورة الداخلية التي هزت أركان الإمبراطورية لم تكشف لنا النقوش التاريخية حوادثها شيئاً يجعلنا نصل إلى كنهها. ومع ذلك فإنا نلمس شيئاً من اضطراب الجو السائد، فما يكاد الفرعون يستقر في عرشه حتى يغتصب منه الملك ويحل محله ثم يتلوه غيره، وتتعقد معه الأمور، مما يدل على أن البلاد كانت منحدرة نحو الخراب والدمار للشعب، ولا نعجب أن تكون الملوك الذين يموتون على فراشهم ميتة

طيبــة قلائل جدا . غير أنه لا يمكننا أن نحصر الأسباب التي أدت إلى سوء النظام وتفككه، إذ كانت أحوال البلاد لا تزال غامضة لدينا، لأن السجلات الرسمية والنقوش التذكارية ، أو نقوش الإهداء التي بقيت لنا لا تكشف شيئاً يبين لنا السجل في هذه الناحية . وقد علق البعض فيما مضى أن أزمة الحكم الإقطاعي قد حدث فيها وتفكك، وأن أمراء الإقطاع بعد أن أصبحوا مستقلين قد وضعوا أيديهم على التاج . غير أن هذه كانت فكرة خاطئة ؛ لأن أزمة حكام الإقطاع كانت قد حلت في الفترة التي بين الدولة القديمة والدولة الوسطى ، وأن ملوك الأسرة الثانية عشرة قد قضوا في سياسة الأمر على استقلال أمراء المقاطعات حسبة كما ذكرنا من قبل . ولم نجد مثلاً كاملاً ، لحكم استقلال شامل في عهد الأسرة الثالثة عشرة اللهم إلا في مكان واحد وهو بلدة « الكاب »[1] ، المملكة القديمة في جنوبي الوجه القبلي حيث نجد أن أمراءها قد أقاموا مقابر مزينة بالنقوش على نمط أمراء الإقطاع الأقدمين ، وأقدم هؤلاء الأشراف من أصحاب « الكاب » هو « سبك نخت » الذي عاش في عهد الفرعون « سبك حتب » السادس والفرعون « نفر حتب » وكان يحمل لقب « أمير » وكاهن أعظم ، وكذلك كان يحمل لقب « حامل الخاتم » و « السمير الوحيد » مما يذكرنا بالأمراء الوراثيين ، ولكن نجد أن جديه « رن سنب » و « بي » كان كل منهما يحمل لقب « رئيس مائدة الحاكم » وقد كانا أقرباء ملوك وكبار موظفين ، ومع ذلك فقد كان « بي » له من الاستقلال ما يكفي أن يتكلم بلهجة أمراء المقاطعات الأقدمين عن أعمال الخير التي أسداها على بلدته ؛ إذ زعم أنه كان يوزع خمسين رغيفاً على كل عمود طير أو عن ، وكذلك تكلم عن الحقول التي أمر بزرعها الخ ، وعلى ذلك نجد أنه في عهد الأسرتين السادسة عشرة والسابعة عشرة قد تكونت من جديد إمارة

---

(١) راجع Taylor, "Wall Drawings and Monuments of El Kab", Vol. III, No. 10, Sebeknakht, No. 9. Rensaneb, No 8 bis. Bebi L. D. (Text. IV, P. 53

حقيقية، ولكن كان يشغلها في هذه الحالة موظفون وصلوا إلى مركز قوي أو مرتبة أمير، وذلك إما بالزواج أو بامتلاك أراض . على أن ما كان يحدث في "الكتاب" على حسب ما تسمح به الوثائق التي في متناولنا يكشف لنا بعض الشيء عن الحالة المقلقلة لهذه الأزمة التي ارتسمت في عهد الأسرة الثالثة عشرة، وهي أن كبار الموظفين اللامسين التاج ، وبخاصة الضباط منهم الذين كانوا رفقته يغتصبون العرش ، كانوا يتشاحنون فيما بينهم، وكان كل منهم يطمح إلى أن يكون الفائز . فكان يحل الواحد منهم مكان الآخر دون أن يصور منتصب أن يضمن لنفسه مركزا ثابتا أو يفلح في تأسيس أسرة قوية الأركان مدعمة البنيان، هذا إلى أن كبار رجال الدولة كانوا يبيعون وظائفهم كما تباع السلع، فلا غرابة في أن يكون العرش كذلك يباع ويشترى لمن في يده قوة وجاه .

الأسرة الرابعة عشرة

قلنا فيما سبق إن المؤرخ « أميرديس » قد اتخذ من نقش الملك « نحسى » على تمثاله العبارة التالية : " محبوب الإله « ست » صاحب « أواريس » " دليلا على أن الهكسوس كانوا فعلا قد استعمروا مصر في عهده، ويزعم أن الإله « ست » لم يذكر على أي أثر في « تانيس » قبل عصر الهكسوس، إذ ذكر لنا كل من الفرعون « مرنبتاح » و « سبك حتب » (السابع) على تماثيلهما . " المحبوب من الإله « بتاح » صاحب « منف » " . وكانت « أواريس » عاصمة الهكسوس، والإله « ست » هو إلههم، ومن ثم كان « نحسي » ووالده من رعايا « الهكسوس »، وأن غزوهم لمصر كان قبل نهاية الأسرة الثالثة عشرة، ومن الممكن أن نرى التغيرات السريعة في تولية العرش إلى الفترة التي تلاها دخول « الهكسوس » . على أن هذا البرهان لا يرتكز على أساس متين، وذلك لأن « ست » كان يعبد في « الدلتا » في هذه المنطقة منذ الأسرة الرابعة كما سنبين ذلك، وأن « أواريس » هي صان « تانيس »

كما برهن على ذلك الأستاذ «ونكر» في مقالة عن «نحو نفرة» ، وسنفصل القول في ذلك عند الكلام على عصر الهكسوس . وعلى أية حال فإنه لم يمض طويل زمن على نهاية حكم «نحسى» حتى انتهت الأسرة الثالثة عشرة ، على حسب ما جاء في «ورقة تورين» ، ثم ابتدأت الأسرة الرابعة عشرة كما ذكر «مانيتون» .

وملوك الأسرة الرابعة عشرة(١) ينسبون إلى بلدة «سخا» (أكسويس) في شمال الدلتا ، وقد حفظت لنا «ورقة تورين» من أسماء ملوك هذه الأسرة نحوا من واحد وعشرين ملكا (العمود الحادي عشر) ، ونجد فيها فاصلا جديدا يدل على تفرع فرع الأسرة المالكة ، على أننا لم نجد من بينهم ملكا واحدا مذكورا على الآثار أو في قائمة «الكرنك» . ويمكننا أن نقرر أنهم لم يحكموا الوجه القبلي ، بل كان سلطانهم منكمشا غرب الدلتا حيث كانوا تابعين لملوك الهكسوس الذين استوطنوا شرق الوجه البحري . وتدل الأرقام التي حفظت لنا عن حكم هؤلاء الملوك على أنهم كانوا لا يمكثون على العرش إلا زمنا قصيرا جدا مثل أسلافهم ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، ومن المحتمل أن الأسرة القديمة أو بعبارة أخرى جبهة البلاط قد احتموا في مناقع الدلتا حيث كانت المنازعات مستمرة من أجل نيل العرش . ومما لا ريب فيه أن الهكسوس كانوا في هذه الحالة يشجعون على استمرار هذه المنازعات والخلافات لزج مدع جديد للعرش يشدون أزره . وقد كان الوجه القبلي في ذلك العهد مقرا لبيت ثالث يدعى ملك الوجهين القبلي والبحري ، وهو الأسرة السابعة عشرة على حسب رأي «مانيتون» ، وهؤلاء من جهتهم لم يحكموا كل الوجه القبلي ، وذلك لأننا وجدنا بجانبهم إمارات مستقلة ، بالفعل أو بالحق الشرعي . ومن ثم نشاهد أن نهاية حكم «الهكسوس» وسلطانهم على البلاد كان عهد استقلال جديد لوحدة الدولة المصرية .

(١) راجع : Ed. Meyer, "Histoire de L'Antiquite" II. § 301

عصر الهكسوس

مقدمة

لقد كان موضوع «الهكسوس» من أبرز ما تناوله علماء الآثار من الموضوعات في السنين الأخيرة، وبخاصة بعد الكشوف الحديثة الناجمة من الحفائر التي عملت في الشرق الأدنى. وسنحاول هنا الاستفادة من كل ما كتبه هؤلاء الباحثون لنكون صورة واضحة بقدر ما تسمح به معلوماتنا عن هؤلاء الغزاة.

ولقد احتدم الجدل في الماضي في الوقت الذي اجتاح فيه الهكسوس البلاد المصرية. أما تاريخ طردهم من أرض الكنانة فيكاد يكون من المتفق عليه الآن أنه كان حوالي عام ١٥٨٠ م على يد الفرعون أحمس الأول، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، كما سنشرح ذلك فيما بعد، وكذلك نعلم حسب تفسير الأستاذ «زيته» «لوحة» «أربعمائة السنة» أن الهكسوس كانوا قد أصبحوا أصحاب السلطان في أرض الدلتا حوالي عام ١٧٣٠ ق. م. وعلى ذلك نرى أنهم كانوا قد حكموا مصر بين مد وجزر نحو قرن ونصف قرن من الزمان.

وقد كانت الفكرة الراجحة في الأذهان عند عامة المؤرخين إلى بضع سنين مضت أن هؤلاء الغزاة قد انقضوا على الديار المصرية خاصة من بلادهم الأصلية، و ستولوا عليها عنوة، وأن ذلك قد حدث في فترة كانت مصر قد بلغت فيها من الضعف والوهن حدًا بعيدًا، أي عندما كانت الحروب الداخلية تفتك بها كل الفتك، وسيرى القارئ فيما بعد أن هذا الزعم خاطئ من أساسه، بل الواقع أنه توجد أسباب عدة تدل على أن أولئك الغزاة كانوا قوة ثقافية في وادي النيل منذ عهد الملك «سنوسرت» الثاني (١٩٠٦ — ١٨٨٧) ق. م. أي في منتصف عهد «الدولة الوسطى» عندما كانت مصر في أوج عظمتها، أو بعبارة أخرى في إبان عصرها الذهبي. وستميز فيما يأتي بين المؤثرات الثقافية والمؤثرات السياسية التي أدت

إلى ذلك . وتدل شواهد الأحوال على أنه لا توجد أسباب تدعو إلى الشك في أن الهكسوس قد حكموا مصر قبل عام ١٧٣٠ ق . م . ولكن من الطبيعي أن المؤثرات الثقافية التي كانت موجودة قبل ذلك العهد في الأقطار الأسيوية المجاورة قد تركت أثرها إلى حد ما في مصر ، ومن المحتمل أن المصريين أنفسهم قد نقلوها إلى بلادهم . وهذه المسألة نجد حلها في الجواب على السؤال التالي وهو : كيف يتسنى للمرء أن يحصر ظهور ثقافة جديدة في بلد ما ؟ وسيرى القارئ فيما بعد أن عناصر ثقافية جديدة قد أدخلت في كل من سوريا وفلسطين بل وفي مصر نفسها حوالي عام ١٩٠٠ ق . م . وسيلاحظ كذلك وجود علاقة بين هذه العناصر الثقافية الجديدة وبين ثقافة الهكسوس الخاصة بهم مدة عهد سلطانهم السياسي في مصر ، على أن هذا القول يحتاج إلى تفسير وإيضاح ينسجم مع الحقيقة القائلة : إن مصر كانت وقتئذ في مصر من أزهى عصورها ، وأن « بيلوس » الواقعة على الشاطئ السوري كانت موالية لمصر حتى عام ١٧٤٠ ق . م . ويظهر أن الجواب المقنع على ذلك هو أن غزو الهكسوس لمصر لم يتم دفعة واحدة بين عشية وضحاها ، ولكنه قد تم تدريجاً ومهل ، فكان يكتسب قوته بمرور الزمن كالشجرة التي تضرب بأعراقها على مر الأيام في أرض خصبة فتزداد نمواً وثباتاً . على أننا من جهة أخرى لا نجد في سقوط الأسرة الثانية عشرة الذي أدى إلى ضعف مصر سبباً يساعد على حركة تلك الأسباب التي أوردناها هنا ، وهي التي كانت نتيجتها توطيد أول أسرة للهكسوس في أرض الدلتا حوالي عام ١٧٣٠ ق . م .

هجرة الهكسوس : وإذا أخذنا بأن هجرة الهكسوس قد بدأت من المنطقة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط حوالي بداية القرن التاسع عشر ق . م . على حسب ما سنورده من البراهين التي تستخلصها من قطع الفخار الأثرية ، فإنا لم نجد تضارباً في ذلك مع الحقائق التاريخية ، ويكون لدينا في الوقت نفسه تفسير

لظهور نتيجات مبكرة لو وجدت في متون مؤرخة يرجع عهدها إلى ما بين عهد ذلك الملك بابا من عهد « الهكسوس » بلا ريب . والحقيقة الوحيدة التي لا شك في التذكير بها بالنسبة للهكسوس هي أنهم لم يدخلوا البلاد دفعة واحدة ، بل وفدوا إليها جماعات صغيرة متفرقة . وهذه الجماعات كانت تزداد في عددها إلى أن أصبح لهم سلطان عظيم في البلاد [illegible] بهذه الكيفية، وكان مثلهم في ذلك كمثل الكاشيين الذين استولوا على بابل بهذه الطريقة ؛ حتى أن هذه العناصر الأجنبية المختلفة قد أصبحت فيما بعد عاملا سياسيا قويا في مصر أدى إلى جعل البلاد تحت سلطانهم، وعلى هذا الأساس ظهرت الأسرة الخامسة عشرة في مصر .

طرد الهكسوس : والواقع أن الهكسوس قد قضى عليهم جملة في مصر بوصفهم أمة حاكمة على يد « أحمس » الأول وليس معنى هذا أنه قد قضى على نفوذهم الثقافي في البلاد، إذ ليس من الضروري أن يسير النفوذ السياسي جنبا لجنب مع النفوذ الثقافي، أو أن كلاهما يسبب الآخر بصفة مباشرة؛ إذ لدينا من الأدلة ما يوحي على أن ثقافة الهكسوس قد استمرت تطبع الحياة المصرية بطابعها الخاص إلى مدة لا يستهان بها في عهد الأسرة الثامنة عشرة بعد طردهم من البلاد كما سنشرح ذلك في حينه . أما من جهة فلسطين فإنا نشاهد أن « تحتمس الثالث » قد ضرب الهكسوس ضربة قاصمة قضت على أطماعهم فيها ، وعلى نفوذهم في « آسيا » ؛ ولكن مع ذلك نجد أن دم « الهكسوس » وطرق حياتهم وعاداتهم قد تغلغلت في نفوس أهل « كنعان » سكان « فلسطين » كما نجد ذلك عند وفود « العبرانيين » على هذه البلاد .

ولا يجمل أن غرضنا هنا أن نقدم صورة مفصلة دقيقة من الوجهة الأثرية عن ثقافة الهكسوس المادية، فإن مثل هذه المعلومات ليست من أغراضنا هنا، ويمكن الباحث في التفاصيل أن يستقي معلومات غزيرة في هذا الصدد من تقارير

عمال الحفر المختلفة التي لها علاقة بهذا الموضوع . هذا ومن جهة أخرى قد حاولنا أن نضع أمام القارئ رأيا شاملا لبعض المسائل الخاصة بالهكسوس متجاوزين الحد في التفصيل كلما دعت الضرورة، وذلك رجاء الوصول إلى ما نرمي إليه من كشف النقاب عن هذا الموضوع المعقد الذي شغل بال العلماء زمنا طويلا، ولا تزال بعض مسائله تحتاج إلى بحوث عميقة أهمها القيام بحفائر في كل الجهات التي احتلها أولئك الغزاة .

معلوماتنا عن الهكسوس من المصادر القديمة المدونة

لقد كانت معلوماتنا عن « الهكسوس » قبل كشف النقاب عن رموز اللغة المصرية القديمة وغيرها من لغات الشرق القديمة تنحصر فيما رواه لنا « فلافيوس يوسفس » Flavious Josephus المؤرخ اليهودي الذي عاش في خلال القرن الأول من التاريخ الميلادي . والمعلومات التي نقلها لنا هذا المؤرخ قد أخذها بدوره عن المؤرخ المصري « مانيتون » المعروف . وقد كان غرض « يوسفس » الأول فيما نقله عن « مانيتون » العمل بجهد الطاقة في الرفع من شأن قومه اليهود الذين كان يحتقرهم كتاب الإغريق ، ويحطون من شأنهم ؛ لذلك أخذ المؤرخ « يوسفس » يبرهن قائلا أن اليهود والهكسوس هم عنصر واحد، وأنهم خرجوا من مصر منذ حوالي ألف سنة قبل حروب « طروادة »[1] الذائعة الصيت ، وهي تلك الحروب التي خلدها « هوميروس » الشاعر اليوناني في كتاب « الإلياذة » وكتاب « الأوديسى » ، وقد كان عهد هذه الحروب في نظر الإغريق تاريخا عريقا في القدم . ومما يؤسف له أشد الأسف أنه لم يعثر حتى الآن على أصل إغريقي من كتاب « مانيتون » الذي وضعه في تاريخ مصر ،

(1) Thackery,. "Against Apion," I, PP. 102-105

ولم يبق لنا من كتابه هذا إلا بعض فقرات نقلها بعض الكتاب مثل « يوسفس »[1] وغيره، ومع ذلك فإن هذه الفقرات أو الاقتباسات التي نقلت لنا قد كتبت بعد طرد الهكسوس من مصر بنحو ١٣٠٠ سنة تقريبا، وعلى ذلك أصبح الاعتماد عليها بوصفها مصدرا تاريخيا لا يوثق به كثيرا، وبخاصة إذا كنا نعلم أن بعض الوقائع التي ذكرها لنا « مانيتون » تكاد تكون من الوجهة التاريخية مستحيلة، على أن هذا لا يحملنا على التحول عن ذكر بعض الوقائع الصادقة المنقولة عن رواته، كما سنرى عند فحص المصادر القديمة المصرية الأصلية التي كشف عنها في خلال نصف القرن الأخير[2].

والظاهر أن كلمة « هكسوس » لم تكن معروفة قبل عهد « مانيتون »، وأنه هو أول من استعملها، وسنورد فيما يلي الاقتباسات المهمة التي ذكرها « يوسفس » نقلا عن « مانيتون ».

يقول « يوسفس » : « إن « مانيتون » كتب عنا (أي اليهود) ما يأتي : « كان لنا ملك يدعى « توتيمايوس Tutimaeus » كان في عهده وبسبب لا نعرفه أن غضب الله علينا، فأتى فجأة قوم من أصل وضيع من الشرق على غير انتظار، وقد كان غزوهم أمرا مفاجئا، وقد استولوا على البلاد بسهولة دون أن يخوضوا معركة ما، وبعد أن تغلبوا على الزعماء أحرقوا المدن بوحشية، وأزالوا معابد الآلهة من أساسها، وعاملوا سكان الأهلين بكل قسوة، فقتلوا بعض القوم، وسبوا أطفال ونساء آخرين، وفي نهاية الأمر نصبوا واحدا منهم اسمه « سالاتيس » ملكا، فأقام هو في « منف » وفرض الضرائب على الوجه القبلي والوجه البحري، وترك له حاميات في الأماكن التي كانت أصلح للدفاع، وقد حصن الجهة الشرقية بوجه خاص لأنه كان يخشى ما عساه أن يحدث من الآشوريين عند ازدياد قوتهم في المستقبل، ولما كشف في مقاطعة « ستروت » (Sethroite) عن مدينة حصينة

(١) Edward Meyer "Geschichte des Altertums", (Stuttgart und Berlin, 1926) § 151

(٢) راجع كتاب Raymond Weill "La Fin du Moyen Empire Egyptien" عن الآثار المعروفة للهكسوس قبل عام ١٩١٨ ميلادية

أقام معابده على الجهة الشرقية من فرع «بوبسطة» ، عمل على بنائها من جديد وحصن جدرانها ووضع بها حامية يبلغ عددها نحوا من ٢٤٠٠٠٠ رجل مسلحين لحماية حدوده ، وكان قد اعتاد زيارة هذا المكان كل صيف لتوزيع الغرامات وجمع أجور الجنود من جهة ، وكذلك ليلقي عليهم دروسا خاصة في ضروب الحركات الحربية ، ولأجل أن يلقي الرعب في قلوب الأجانب من جهة أخرى . ثم توفي بعد أن حكم البلاد تسع عشرة سنة " وجاء بعد ذلك ثاني ملوك الأسرة التالية «بنون» ، حكم ٤٤ سنة — «أبا خناس» حكم ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر — «أبوفيس» حكم إحدى وستين سنة — «يانس» حكم خمسين سنة وشهرا — «أسيس» حكم ٤٩ سنة وشهرين ، وقد كان هؤلاء الملوك الستة الذين يعتبرون حكامهم الأول يعملون باستمرار في محو الشعب المصري ، وكان شعب هؤلاء الأسرة يسمون «هكسوس» ومعنى الاسم «ملوك الرعاة» وذلك لأن كلمة «هك» معناها في اللغة المقدسة «ملك» أما كلمة «سوس» فمعناها في اللهجة الدارجة «راعي» أو «رعاة» ومن ثم كانت الكلمة المركبة «هكسوس» ، ويقول البعض : " إنهم «عرب» " . ثم يفسر «يوسفوس» بألفاظه قائلا : «وعلى أية حال فإنه جاء في نسخة أخرى أن كلمة «هك» لا تعني «ملوكا» بل تدل على العكس على أن الرعاة كانوا «أسرى» وهذا الرأي يظهر لي أكثر احتمالا وأكثر موافقة للتاريخ القـــديم .

ويعرف القوم الذين يطلق عليهم الرعاة ومن تناسل منهم وهم الذين عددناهم فيما سبق قد حكموا أرض مصر على حسب ما ذكره «مانيتون» نحو خمسمائة وإحدى عشرة سنة "

وفي الفقرة التالية ينقل «يوسفوس» ما جاء في «مانيتون» :

" وبعد ذلك قام ملوك إقليم «طيبة» وسائر البلاد المصرية بثورة على الرعاة وقامت لهم حرب عظيمة طالت مدتها ، ويقول إنه في عهد ملك يدعى «مسفراجموتيس (Misphragmouthosis)» هزم الرعاة وطردوا من مصر كلها وحصروا في مكان يدعى «أواريس» ومساحته عشرة آلاف «أرورا» ، وكان الرعاة كما ذكرنا «مانيتون» قد أحاطوا كل هذه المساحة بجدران عظيمة منيعة حماية لكل ممتلكاتهم وغنائمهم " ثم يستمر قائلا إن «تومثوسيس (Thoummosis)» ابن «مسفراجموتيس» حاصر الأسوار بجيش يبلغ ٤٨٠٠٠٠ رجل ، وحاول أن يخضعهم بالحصار . ولكنه لما يئس من خروجهم عقد معهم معاهدة تقضي بأن يخلوا كل أرض مصر ، وأن يذهبوا حيث شاءوا دون أن يصيبهم أذى ، وبمقتضى هذه الشروط غادر مصر ما لا يقل عن ٢٤٠٠٠٠ من الأسرى جميعا بما معهم من متاعهم ، وعبروا الصحراء إلى «سوريا» ، ولما كان الرعب قد أخذ منهم كل مأخذ خوفا من سلطان الآشوريين

التي كانوا في خلال هذه الفترة أصحاب السيادة في «آسيا» وأنهم أقاموا مدينة في الإقليم الذي يدعى «يهودا» صالحة لإيواء جمهور الهائل وقد أطلقوا عليها اسم «أورشليم»(١)

التعليق على رواية يوسفس: ويحق لنا أن نشك في أعمال في فترة «آشور» في تلك الفترة من التاريخ كما يحق لنا كذلك أن نشكك في مساحة مدينة «أواريس» عاصمة «الهكسوس» وفي عدد الرجال الذين كانوا بها وقتئذ، يضاف إلى ذلك أنه ليس من المعقول أن «الهكسوس» بعد طردهم من مصر قد استوطنوا جهة جديدة هي «أورشليم» ولكن لا يعني ما لهذه الحقيقة من قيمة في نظر «يوسفس» اليهودي.

ولكن قبل فحص الوثائق الأقدم من ذلك، بالنسبة لعلاقتها بتحديد البطالة دعنا نفحص كلمة «هكسوس» أولا.

تفسير كلمة هكسوس: ذكرنا من قبل أن كلمة «هكسوس» تنسب نشأتها للمؤرخ «مانيتون» والتفسير اللغوي الذي وضعه لها مقبول، وذلك لأن كلا من جزأي الكلمة له ما يقابله في اللغة المصرية القديمة، فكلمة «حقا» معناها «حاكم» وكلمة «شاسو» معناها «بدوي»، ومن الجائز أن الأخيرة قد كتبت بالإغريقية «سوس» وبالقبطية «شوس»(٢)، وعلى أية حال فإن الرأي المتفق عليه الآن في تفسير كلمة «هكسوس» هو أنها مركبة من كلمتي «حقاو» و«خاسوت» ومعناها معا هو «حكام الأقاليم الأجنبية»، وهذا التفسير لا يتناقض مع ما يقابله في القاموس المصري القديم (W.B. III. P.171) وقد كان أول من اقترح هذا الاشتقاق هو الأستاذ «جريفث»(٣)، ومما تجدر ملاحظته أن هذا التعبير كان معروفا في المصادر المصرية من عهد سكر يرجع

---

(١) راجع: English Translation "Against Apion", I, PP. 74-90.
by H. St. J. Thackery (London 1926).

(٢) راجع: "The Journal of Egyptian Archaeology", Vol. V, (1918)
P. 38.

(٣) راجع: P. S. B. A. XIX. (1897) P. 297

للأسرة السادسة، وبقي مستعملاً حتى عهد البطالمة[1] . وهذه فترة أطول بداهة من العصر الذي احتل فيه الهكسوس البلاد المصرية، وليس لدينا من البراهين القاطعة الآن ما يثبت أن هذه العبارة كانت تطلق على الهكسوس فحسب . وإذا كان لنا أن نفهم نشأة كلمة الهكسوس على حقيقتها فلا بد أن نتصور أن كلمتي « حقاو » و « خاسوت » قد مزجتا كلمة جنس، واستعملتا في الصورة التي نقلها لنا « مانيتون » . ولكن المدهش في ذلك أننا نجد استعمال هذا التعبير في النقوش قبل الأسرة الثامنة عشرة بعد طرد الهكسوس من مصر، غير أننا من جهة أخرى نلحظ أن بعض ملوك الهكسوس أنفسهم قد سموا على الآثار أو على الجعارين « حقاخاسوت » أي « حاكم البلاد الأجنبية » مثل الملك « خيان »[2] و « سمقن »[3] و « عنات حر »[4] فقد لقب كل منهم بهذا اللقب .

وقد كانت أول ما عثر على كلمة « حقاو خاسوت » في صيغة الجمع في قصة « سنوهيت » (راجع كتاب الأدب المصري القديم ج ص ٣٥) ، ويظن الأستاذ « ولف » خطأ أن المقصود منها في هذا النص هم بدو « فلسطين »[5] .

ومما يلفت النظر أننا لم نعثر على كلمة بعينها في اللغة المصرية القديمة وضعت علماً لأولئك الغزاة الذين سماهم « مانيتون » الهكسوس . فنجد مثلاً في « ورقة ساليه » الأولى أنهم سموا « الطاعون » ، غير أن ذلك ليس بغريب ، لأن المصريين كانوا يطلقون عليهم هذا الاسم بوصفهم أعداء . والظاهر أنهم كانوا يسمون

---

(١) راجع . J. E. A, V, P 38.

(٢) راجع Macalister, "Gezer", III, Pl. CCIV P 16.

(٣) راجع Petrie, "Scarabs & Cylinders", Pl. XXI.

(٤) راجع Newberry. "Scarabs", Pl. XXXIII. II.

(٥) راجع Wolf, "Der Stand der Hyksosfrage Zeitschrift D. M. Ges. 8. heft. I. (Leipzig. 1929). P 67.

« عمو » أى الآسيويين فى عهد الهكسوس أنفسهم[1] ، وكذلك كانوا يسمون « ستيو » فى لوحة « كارنرفون » (راجع (J. E. A., V. P. 46.) وأطلق عليهم فى نقش تاريخ « أحمس بن أبانا » اسم « منتيوستت » (راجع (Urk IV 5: 4.))

ملوك الهكسوس فى ورقة تورين : وفضلا عن المصادر اليونانية التى ذكرت لنا بعض أسماء ملوك «الهكسوس» كما كتبها الإغريق فإنه يوجد قديما قوائم ملوك مصرية يحتمة أتم من القوائم اليونانية، وإن كانت متناقضة فى بعض الحالات وأهمها « ورقة تورين » وهى المصدر الذى كان فى الأصل يشمل على ما يظهر كل أسماء ملوك « الهكسوس » ولكن، مما يؤسف له أن بعض أجزائها قد حدث فيه تمزيق بالغ[2]، غير أنه لحسن الحظ وجدنا فيها قائمة تحتوى على ما يظهر أسماء ستة من ملوك « الهكسوس » حكموا مائة وثمانى سنين .

ولدينا قائمة ملوك أخرى محفوظة بمتحف « اللوفر » نقلت من معبد « تحتمس الثالث » بالكرنك وهى المعروفة « قاعة الأجداد » وقد ذكرناها فيما سبق[3] .

وكذلك توجد قائمة ملوك فى « السراية » وأخرى « بسقارة » ولكنهما لا تحتويان أسماء ملوك « الهكسوس » احتقارا لهم ، ولعدم الاعتراف بحكمهم ، وذلك لأن أولئك الناصبين قد بقيت ذكراهم فى أذهان القوم بوصفهم أعداء مغتصبين لمدة طويلة بعد طردهم وهزيمتهم من مصر .

---

(١) راجع Carnarvon Tablet I, "J. E. A. V. P 44. Inscriptions of Speos Artemidos", Breasted, "A. R", II. § 303.

(٢) راجع Giulio Farina. Il papiro dei resi restaurato. R. museo di Torino Publicazioni egittologiche I. (Roma 1938) P 56.

(٣) راجع B Porter and Rosalinde. B. Moss, "Bibliography", II. (Oxford 1929) P 42.

وقد ذكرنا هـذه الحقائق هنا بصفة عابرة ، لأنه لو كان لدينا حتى الأسماء الصحيحة لأولئك الملوك مرتبة ترتيبا تاريخيا متسلسلا لكان مع ذلك تنقصنا الحوادث والأحوال التى تربط أسماء بعضهم ببعض . والظاهر أن الأمل الوحيد فى الحصول على مثل هذه المعلومات لن يأتى إلا عن طريق إجراء حفائر فى مصر فى المواقع الهامة التى استوطنها « الهكسوس » وقد تصلنا هذه المعلومات الأثرية فى صورة أوراق بردية .

العثور على جعارين من عهد الهكسوس : هـذا وقد عثر فى أوقات متفرقة على جعارين نقش عليها أسماء بعض ملوك لم تكن معروفة لنا من قبل، وقد تحقق بالدرس أنها لملوك من « الهكسوس » ومع ذلك فان هذا الكشف لم يحل لنا مسألة التسلسل التاريخى لأولئك الملوك ، وهى المسألة التى يجـد المؤرخون الوصول إليها ، هـذا فضلا عن أن كشفها لم يضف شيئا ماديا لفهم عصر أولئك الغزاة .

ولكن من جهة أخرى نجـد أنه قد حدث بعض التقدم فى إماطة اللثام عن أحـوال العصر المظلم الذى تلا سقوط الأسرة الثانيـة عشرة ، إذ قـد أصبح من المسلم به على وجه عام أن العصر الذى يقع بين الأسرتين الثالثة عشرة والسابعة عشرة كما لخصه « مانيتون » لا يمكن أن تكون الأحوال قد سارت فيه سيرها الطبيعى بل كان عصر تقلبات وقلاقل ، ولم تستجم فيه أمور البـلاد إلا مرارا . فقـد استرعى ملوك الأسرة الثالثة عشرة مدينة « طيبة » وسيطروا فى بداية الأمر على البلاد كما ذكرنا آنفا (حوالى عام ١٧٨٨ ق.م) من الدلتا حتى الشلال الثانى[١] . وقد ظلت الأحوال فى البلاد تسودها السكينة والنظام حتى نهاية عهد رابع ملوك هذه الأسرة . وعلى أية حال نجد أن خامس ملوك هـذه الأسرة الذى كان يحمل اسم

(١) راجع : Breasted, "A. R." I. §§ 751-752.

« بوبى » كما جاء فى « ورقة تورين » قد دُوّن بصورة تختلف عن طريقة تدوين أسماء الملوك المتبعة.[1]

الأسرة الرابعة عشرة : أما الأسرة الرابعة عشرة فكما ذكرنا كانت عاصمتها مدينة « سخا » (اكسويس) من أعمال الدلتا على حسب ما جاء فى « مانيتون » والظاهر أنها كانت وليدة تمزق شمل الدولة بعد بداية الأسرة الثالثة عشرة مباشرة، وبعبارة أخرى كانت كل من الأسرة الثالثة عشرة، والرابعة عشرة معاصرة لزميلتها، فالأولى كان مقرها مدينة « طيبة »، والثانية كان مقرها مدينة « سخا » من أعمال الدلتا.

وعلى الرغم مما يحيط بمعلوماتنا من إبهام وغموض عن هذا العصر فإنه مما لا ريب فيه أن أول أسرة أسسها « الهكسوس » أى الأسرة الخامسة عشرة قد قامت على حساب الأسرة الرابعة عشرة . أما الأسرة الثالثة عشرة التى كانت لا تزال قائمة فى « طيبة » فإن شواهد الأحوال تدل على أن أواخر ملوكها كانوا خاضعين لنفوذ « الهكسوس » . فقد ذهب الأستاذ « إدورد مير » إلى أن « عنسى » ثالث ملك من أواخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة ووالده كانا تابعين للملوك « الهكسوس ».[2]

أما عن الوقت الذى أسس فيه « الهكسوس » الأسرة الخامسة عشرة فى بلدة « أواريس » وعبادة الإله « ست » فإن للمعلومات الحديثة التى لدينا عن هذا الموضوع ترتكز على تفسير الأستاذ « زيته » للوحة « أربعمائة السنة » التى عثر عليها أولا « مرييت » فى « تانيس » فى منتصف القرن الأخير[3] وهى التى كشف عنها ثانيا الأستاذ « مونتييه » منذ بضع سنين بعد أن بقيت مطمورة فى الرمال

(١) راجع : Gauthier, "L. R." II, P. 7.

(٢) راجع : Gesch. II. §§ 305 & 316. ff.

(٣) راجع : Rev, d'Arch. N. S. XI. (1865) PP. 169-90.

منه طويلة (١)، وكذلك على ما ألقاه من الضوء الأستاذ «ينكر» في مقاله عن «بحر نفر» أحد كبار رجال الدولة في عهد الأسرة الرابعة، وقد أبان فيه حقيقة عبادة الإله «ست» في «أواريس». ولما كان موضوع عبادة «ست» مرتبطا بعيد «أربعمائة السنة» الذي كان قد أقيم احتفالا بهذا الإله، رأينا أن نبحث هنا موضوع علاقة الإله «ست» بالهكسوس، ثم علاقته بلوحة أربعمائة السنة، وكذلك نبحث مسألة عبادة هذا الإله في عهد الأسرة الثالثة عشرة في «أواريس»، وأخيرا لا بد من تحقيق أن «تانيس» هي نفس «بررعمسيس»، وبذلك يمكن فهم المعنى الحقيقي للوحة «أربعمائة السنة»، وموقف الإله «ست» وعلاقته بالهكسوس والمصريين.

علاقة الإله «ست» بالهكسوس

لقد ظل موضوع علاقة الإله «ست» بالهكسوس من الموضوعات الغامضة إلى أن أحل معضلته الأستاذ «ينكر» في مقال رائع عن نقوش مقبرة العظيم «بحر نفر» (٢) أحد كبار رجال الدولة في أوائل الدولة القديمة، وقد عثر على قبره في «سقارة». وقد برهن الأستاذ «ينكر» في مقاله هذا على أن الإله «ست» كان الإله المحلي لبلدة «سثيت» (Stht) وهي سثرويت (Sethroïte) في العهد الإغريقي الواقعة في الشمال الشرقي من الدلتا، كما يعتقد «ينكر»؛ وعلى ذلك كان لإثبات وجود عبادة هذا الإله منذ هذا العهد السحيق في القدم في هذه الجهة أثر في تغيير الآراء التي كانت معروفة عن موقف هذا الإله بالنسبة لعلاقته «بالهكسوس» تغييرا أساسيا؛ ولا غرابة في ذلك فقد كان المعتقد حتى قبل هذا الكشف الذي وفق إليه الأستاذ «ينكر» أن الهكسوس هم الذين جلبوا عبادة «ست» إلى هذه الجهة، لأنه

(١) راجع Montet, "La Stèle de l'An 400" Kemi IV (1933) PP 191-215.

(٢) راجع Junker, "Phnfr", A. Z. Vol. 75. PP. 63-84.

كان موحدا مع معبود لهم ، كما كان يزعم كل علماء الآثار . ولكنا نعلم الآن أن الهكسوس لما اجتاحوا البلاد وسلطوا عليها ، وجدوا عند استيطانهم ميب أن الإله « ست » كان هو المعبود الحلى لبقعة التى أقاموا فيها عصبتهم عاصمتهم العظيمة التى اتخذوها حاشية نقطة الاتصال بين أجزاء دولتهم الصحيحة ، وهى التى كانت تضم بين جوانبها مصر وفلسطين وسوريا . وقد كان مثل أولئك الغازين كغيرهم ممن عزوا أرض الكنانة ، اعتنقوا الديانة المصرية القديمة على ار ستولهم البلاد . فلا عجب إذا أن يختار ملوك الهكسوس الإله الحلى لبقعة التى اتخذوا منها مقرا لسادتهم ، وسموا فيها عاصمة ملكهم ، إلها لهم ، وهو الإله « ست » ؛ وقد اتخذوه حاميا لدولتهم الجديدة ، ولعل البعض احتيارهم لهذا الإله يرجع إلى توحد بين « ست » هذا وبين إلههم « بعل » أو الإله « تشب » من تشابه فى الصفات ، ولكنا لا نعلم أن القراء فكروا فى شىء من هذا لى كل ما نعلمه أنهم نقلوا الإله المحلى القديم وهو « ست » إلى عاصمتهم الجديدة وعبدوه ، وهذا الرأى أقرب للفهم من أنهم كانوا يبحثون عن إله عام يضعونه من بين جماعة الآلهة المصريين ليوضع جنبا إلى جنب مع إله قبائلهم . وسيظل مقدار مدى الأهمية التى كان يتوقف عليها اختيار الإله « ست » وما بينه وبين إله الغزاة الفاتحين من روابط وصفات خفية مشتركة ، من الموضوعات المغلقة التى لا يمكن الفصل فيها ، وذلك لأن الهكسوس على ما يظهر ، وكما سنرى بعد ، كانوا خليطا من أجناس متباينة مما جعلنا نجهل حقيقة كل شىء عن آلهتهم أو الإله المرشد لقبائلهم . حقا نعلم أن كلا من الإلهين « بعل » و « تشب » قد وحد بالإله « ست » ولكن ذلك قد حدث فى عصور متأخرة عن عصر الهكسوس ، ومع ذلك يبقى علينا أن نوضح بجلاء أن الإله « ست » كان فى عهد الهكسوس هو إله الفاتحين الأجانب . والواقع أنه بوصفه إله الحرب قد ظهر فيه بعض الصفات المشتركة بينه وبين آلهة الأسيويين مما حبب فيه الهكسوس .

عبادة الإله ست فى الدلتا : ولما كانت عبادة الإله « ست » فى الشمال الشرقى من الدلتا قائمة منذ مدة طويلة ثم اعتنقها « الهكسوس » عند غزوهم البلاد ، فإنه كان من الطبعى أن تظل عبادته بعد طرد أولئك الغزاة حتى ولو بوصفه الإله المحلى لتلك الجهة .

وبدا كأن الأمر قاصرا على موضوع توحيد الإله الأجنبى بالإله « ست » رب « امبوس » (كوم امبو) القديم وحسب لاختفت عبادته باختفائهم من البلاد ، ولكن الأمر كان أعظم شأنا وأجل خطرا من ذلك ، إذ كان الإله « ست » منذ زمن سحيق فى القدم قد اتخذ الدلتا موطنا ثانيا له ، وبذلك لم يكن فى مقدور إنسان أن يزحزحه من مكانه ، لأن عبادته كانت قد ضربت بأعراقها فى أعماق نفوس القوم القاطنين فى تلك البقعة .

على أن تقديس « الهكسوس » الإله « ست » لم يكن موضوعا ذا بال عند المصرى نفسه ، لأنه على الرغم مما كان لهذا الإله من سوء السمعة منذ القدم فإن عبادته كانت لا تزال مرعية قائمة على أقل تقدير فى المدن التى كان يعبد فيها قديما مثل « أمبوس » (كوم امبو) والاقليم الذى يشتمل على المقاطعتين الحادية عشرة والثانية عشرة من مقاطعات الوجه القبلى ، وكذلك فى الشمال الشرقى من الدلتا ، على أن كل ما فعله الفاتحون هو أنهم رفعوه بصفة بارزة إلى مرتبة الإله الأعلى بل وإله دولتهم . والواقع أن هذا الحادث كان ضربة قاسية فى صميم قلب مدن « طيبة » و « منف » و « هليوبوليس » وهى التى كانت تمجد عبادة « آمون » و « بتاح » و « رع » على التوالى بوصفهم أعظم الآلهة سلطانا ونفوذا فى الديار المصرية ، هذا فضلا عن اتصالهم الوثيق بحكومة البلاد . وقد كان مما يمكن احتماله أن يكون « ست » معبودا محليا بوصفه رفيقا لهذه الآلهة العظام ؛ ولكن الذى لم يكن فى استطاعة الكهنة والحكومة استساغته أن يصبح

« ست » صاحب السيادة الدينية في البلاد كلها ، وهو الإله المعروف بعدائه للإله « حور » بل كان قاتل الإله « أوزير » والده أيضا .

ومما هو جدير بالاهتمام الآن إذا أن نفحص المصادر التي وصلتنا مرة أخرى عن طريق « مانيتون » وغيره من النقوش والكتابة القديمة، وهي التي تحدثت عن غزو الهكسوس وتعظيمهم للإله « ست » على ضوء ما لدينا من المعلومات الحديثة حتى يتبين لنا حقيقة الأمر بقدر المستطاع .

رواية مانيتون عن الهكسوس

يدل ما رواه « مانيتون » على أنه قد ناقض نفسه في موضوع مدينه « أواريس » ، إذ ذكر لنا في بداية كلامه أن « ملك الهكسوس » قد وجد المدينة قائمة عند وصوله ، ثم عاد فقال إنه أسسها . وقد بحث المؤرخون المتن اليوناني وفحص بالذكر منهم « ادورد ميير » ثم الأستاذ « بيكر » (A. Z. Vol. LXXV P. 8.) وقد وصل الأخير إلى النتيجة الآتية وهي : « أن المتن يكون منطقيا عندما نفهم أن رواية « مانيتون » تحمل في ثنايا ألفاظها أن الهكسوس قد وجدوا مدينة مشيدة عند دخولهم البلاد تدعى « أواريس » ، واتخذوها عاصمة مختارة لملكهم ، وأنهم قد أصلحوها وأمروا بتحصينها » . وبذلك تكون الفقرة التي أختلف في ترجمتها قد حافظت على معناها الحقيقي على حسب رأى « بيكر » وهي : « ولكن المدينة كانت على حسب التعاليم الإلهية منذ أقدم العهود هي مدينة « تيفون » (أى ست) » . ولذلك يجب علينا أن نقول هنا بحق إن الهكسوس قد اتخذوا « أواريس » عاصمة لهم ، وهي المدينة التي كان يقدس فيها « ست » منذ زمن سحيق في القدم . أى منذ أن اتخذها هذا الإله موطنا له قبل الأسرة الرابعة بزمن بعيد .

وكذلك جاء في فاتحة متن « ورقة ساليه » وصف يدل على أن الهكسوس قد اتخذوا الإله « ست » معبودا لهم .

«اتخذ الملك «أبوفيس» لنفسه الإله «ستخ» (ست) معبودا، ولم يتعبد لأي آلهة في البلاد كلها سوى للإله «ستخ»، وقد أقام له معبدا بحالة جميلة خالدة بجوار قصر الملك، وكان يخرج كل يوم ليقدم القربان للإله «ستخ»، في حين كان رجال القصر يحملون الأكاليل على غرار ما كان يعمله الناس في معبد الإله «رع حوراختي»».

ومن هذا النص نرى أن هذه القصة تحدثنا أن ملك «الهكسوس» قد رفع الإله «ست» إلى مرتبة السيادة على ملكه وجعله إله الدولة الأعظم، وقام له على حسب التقاليد المصرية بأعظم آيات التجلة والاحترام. على أننا وإن كنا نجد بين السطور تجريحا لادعاء الإله «ست» فإن ذلك يرجع فقط إلى أولئك الذين لم يرق في نظرهم المقام الأسمى والمكانة النادرة التي احتلها هذا الإله. ولا مراء في ذلك فإن التقاليد قد لوثت اسمه بكثير من المساوئ كما هو معروف، على أنه ليس لدينا من جهة أخرى أقل إشارة تدل على إدخال إله أجنبي في البلاد أتى به الهكسوس، ولا نزاع في أن مؤلف «ورقة ساليه» لم يكن ليتغافل عن ذكر أية إشارة خاصة بذلك، وعندما قيل «إن ملك الهكسوس» الأجنبي تقدم قربانا للإله «ست» كما يعمل الناس في معبد الإله «رع» أعظم الآلهة المصرية مقاما فلا يعني ذلك أن القوم كانوا يقدسون على وجه عام إله «تيفون» بل على العكس يدل ذلك على أن العزلة قد رفعوه إلى درجة أعلى من درجات الآلهة الأخرى وحسب. ويجب علينا إما أن نقرر أن الملك «أبوفيس» لم يعبد إلها آخر، وأن الأجانب لم يعرفوا الإله «رع» أو أنهم أرادوا القضاء عليه، بل كان كل ما يعنونه هو إبراز الشهرة الكافية التي أرادوها لإله دولتهم الجديدة، هذا إلى التخلص من التجريح الذي كان يتميز به هذا الإله العظيم القديم. والواقع أن هؤلاء الملوك الفاتحين كانوا كذلك يقدسون آلهة أخرى من آلهة وطنهم بما نجد أسماءهم قد ركب مع اسم الملوك تركيبا مزجيا مثل اسم الملك «عنات هر»، وكذلك نجد بعض هؤلاء الملوك قد انتحلوا لأنفسهم لقب «ابن الشمس» مما يدل على عبادتهم للإله «رع»، هذا إلى أننا نجد أسماء التتويج لكثير من ملوك «الهكسوس» قد ركبت مع اسم «رع» أعظم الآلهة المصرية شهرة وقدما كما سيجيء بعد.

اللوحة التذكارية للاحتفال بعيد أربعمائة السنة التي مرت على تتويج «نبتي» (الإله ست) ملكا على دولة الهكسوس

الآن وقد أثبتنا أن الإله «ست» كان إلها أصليا يعبد في «أواريس» منذ القدم نعود إلى التكلم عن لوحة أربعمائة السنة وقيمتها التاريخية بالنسبة لعهد الهكسوس.

لقد ظن بعض المؤرخين أن «نبتي» الذي جاء في لوحة «أربعمائة السنة» ملك حكم البلاد المصرية. وظل الرأي كذلك إلى أن كتب الأستاذ «زيته» مقالا رائعا في هذا الصدد (راجع A. Z. LXV. P. 85) أدلى فيه بالحجج المقنعة بأن نقش لوحة «أربعمائة السنة» خاص بالإله «ست» لا بملك من ملوك عصر الهكسوس الذين حكموا مصر، وهاك نص ما جاء في هذه اللوحة مع اختصار الألقاب الرسمية.

«يعيش الملك «رعمسيس» الثاني الأمير الوراثي ... الأرضين بآثار تحمل اسمه، والذي يشرق بحب إله الشمس له في قلبه. لقد أمر جلالته بإقامة لوحة من الجرانيت الأحمر باسم آبائه العظام لكي يذكر اسم أبيه ووالده ثابتا واسم الملك «سيتي الأول» ثابتا وخالدا إلى الأبد مثل اسم «رع» كل يوم».

هذا هو الجزء الأول من هذا الأثر. أما الجزء الثاني ويحتوي على ستة أسطر مثل الجزء السابق فإنه يحدثنا عن حادث من الأهمية بمكان حدث في الماضي، ويدل الرسوم التي في أعلى اللوحة على ما كان عليه الملك «رعمسيس الثاني» من التقوى نحو أجداده، وما قام لهم به من عظيم المنشآت. وهاك القرار الذي أصدره ثم أرخ ووضع في صورة مرسوم كما يأتي:

«السنة الأربعمائة، الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم الرابع من حكم ملك الوجهين القبلي والبحري «ست» عظيم القوة ابن الشمس المحبوب «نبتي» المحبوب من «رع حور اختي» الذي يبقى أبدا. لقد حضر الأمير الوراثي والمشرف على العاصمة والوزير وحامل المروحة على يمين الفرعون، ورئيس الرماة، والمشرف على البلاد الأجنبية، والمشرف على حصن (ثارو)، ومدير «المدجاي» (جنود الشرطة في الصحراء)، والكاتب الملكي، والمشرف على الخيالة، ومدير عيد كبش «منديس» (أول الربع

العظيم) والكاهن الأول للإله « ست » ، والمرتل الأول للإلهة « بوتو » مالكة الأرضين ، والمشرف على كل كهنة الإله « ست » [illegible] ابن الأمير الوراثي والحاكم [illegible] ، ورئيس الرماة ، والمشرف على القلاع الأجنبية ، والمشرف على حصن « ثارو » (تل أبو صيفة الحالي) ، والكاتب الملكي ، والمشرف على خيل « رعمسيس » المرحوم الذي وضعته ربة البيت المغنية « تيا » المرحومة ، ويقول : [illegible] « ست » ابن « نوت » ، يا صاحب القوة العظيمة في سفينة الملايين (أي سفينة الشمس) ، والذي يطرح العدو المعادي (أبوفيس) [illegible] على رأس سفينة رع [illegible] في الغرب ، ليتك تمنح حياة طيبة لأعمر أن أخدمك ، وأجعل أن أبقى في (معبدك) .

وقد ظن الأستاذ « زيته » ، لأسباب ذكرها عن هذا العيد الرمزي أنه قد احتفل به في مدينة « تانيس » لمرور أربعمائة سنة على تأسيسها فيقول : « ومن البدهي أننا نعالج هنا موضوع عيد أربعمائة السنة الذي يدل على وجود مدينة « تانيس » » . ووجود هذه المدينة يفهم منه في المتن السيادة الملكية للإله العظيم « ست » ولكن ينبغي على العكس أن تكون علاقة هذا العيد بتأسيس هذه البلدة علاقة غير مباشرة ، وبخاصة عندما نعرف أنه لم يأت ذكر في النقوش عن هذه المدينة بوجه خاص . والواقع أنه لا يحتمل أن يحتفل القوم ثانية بذلك اليوم الذي أقام فيه الغزاة مدينة لتكون بمثابة حصن منيع في وجه المصريين ؛ بل الحقيقة الواقعة أن هذا العيد قد احتفل به تذكارا لاعتلاء الإله « ست » مرتبة السيادة على البلاد ، وجعله إله دولة الرعاة الهكسوس . وهذا هو نفس الرأي الذي قصته علينا « ورقة سالييه » الأولى ، إذ جاء فيها أن الهكسوس قد نصبوا الإله « ستخ » سيدا على البلاد ، ويجب علينا أن نضع الشرح التالي نتيجة لما سبق تفصيله : كان الإله « ست » منذ العهود القديمة قد اتخذ لنفسه موطنا مختارا في الشمال الشرقي من الدلتا ، وفي الإقليم الذي تقع فيه بلدة « تانيس » ، وعندما اقتحم الهكسوس البلاد وأقاموا فيها عاصمة لحكمهم كان أول ما عملوه أن اتخذوا الإله المحلي حاميا لدولتهم ، وفي هذه الفترة اعتلى الإله « ست » عرش الملك الإلهي ، وقد كان حتى الآن أو على الأقل في العصور التاريخية يعتبر أحد الآلهة التي تكون في درجة

أقل من درجة إله الدولة الأعظم . على أنه بطرد الهكسوس من البلاد زالت عنه تلك السيادة الإلهية على البلاد؛ وعلى الرغم من اضمحلال سلطان « ست » وسيادته منذ ارتباطه بالغزاة « الهكسوس » ، فإنه قد ضرب من جديد ضربة قاسية في الصميم كانت لا تقل عن الضربة التي صوبت إليه عند انهزامه وقهره على يد أسلافه الحوريين في عصر ما قبل التاريخ . ومع ذلك فقد بقيت عبادته في الشمال الشرقي من الدلتا موطنه الثاني قائمة لم تصب بسوء حيث نجد من جديد أن معبده قد بقي قائمًا على الرغم من تغير الأحوال في مصر بقيام دولة وسقوط أخرى؛ ولا بد أن عبادته في « تانيس » كانت تذكر بمجد وكبرياء دائمًا ذلك العصر الزاهر الذي مد فيه هذا الإله سلطانه على البلاد كلها ، ولذلك عندما انقضت أربعمائة سنة على اعتلائه عرش دولة الهكسوس احتفل القوم بهذا الحادث الضخم بمهرجان عظيم . وقد تولى الموظف « سيتي » الذي أصبح فيما بعد ملكًا على البلاد باسم « سيتي الأول » إدارة شئون الاحتفال بهذا العيد . وقد كان « سيتي » هذا موظفًا في شرق الدلتا إذ كان يحمل لقب المشرف على حصون « ثارو » والمشرف على البلاد الأجنبية، ومدير عبد كهنة « منديس » . ويحتمل أن وظيفته الأصلية الإقليم الذي أقيم فيه الاحتفال . هذا إلى أنه كان يحمل كذلك لقب الكاهن الأول للإله « ست »؛ ولا بد أن هذه الوظيفة الدينية كانت خاصة بخدمة الإله « ست » في الدلتا ، وعلى ذلك يكون « سيتي » هذا قد قام بوظيفة الكاهن الأول للإله « ست » في الاحتفال بالعيد في « تانيس » .

وقد فهم الأستاذ « زيته » من الجملة التي جاءت على هذا الأثر وهي : « بريته يحمل اسم آبائه والده ثانية » أنه يقصد من هذه العبارة رد اعتبار للإله « ست » الذي كان اسمه قد لوث بالعار في مصر منذ الأزمان السابقة، ولكن ينبغي ألا توجد هذه الجملة على هذا المعنى المتين بل يجب أن توجد على المعنى المحدد الذي كتبه عندما كان اسمه يلمع ويضيء منذ أربعمائة سنة مضت أي عندما رفعه الهكسوس إلى مرتبة ملك الدولة .

وسقوط الإله « ست » كان انتصارا للإله « آمون » في حين أن « آمون » نفسه كان قد هزمه عدوه « آتون » رب إخناتون ، ولكن أفول نجم « آمون » إلى الأبد لم يمض على كل عداه كان موجها لقوة إله « طيبة » وهو « آمون » ، إذ يلاحظ أن ملوك الأسرة التاسعة عشرة الذين يطلق الأستاذ « ريته » أن وطنهم الأصل الإقليم الشمال الشرقي من الوجه البحري ، لم يزجوا أسماء أعلامهم باسم الإله « آمون » كما كان يفعل كثير من ملوك الأسرة الثامنة عشرة مثل « أمنحتب » الأول والثاني الخ . بل مزجوا أسماءهم باسم الإله « رع » أو « بتاح » أو « ست » . ويرجع السبب في ذلك إلى ما كان يلوح في الأفق من الخطر الذي يهدد ملكهم بازدياد قوة « آمون » واتساع نفوذه ، ومن هنا نفهم السر في نقل « رعمسيس » الثاني (الذي أقام هذه اللوحة) عاصمة ملكه إلى « تانيس » ؛ فإنه لم يفعل ذلك تقربا من ممتلكاته في آسيا ، أو لأنه كان يرغب في جعل بلاطه في البقعة التي ولد فيها آباؤه وحسب ، بل ليقصي كذلك بلاطه من كهنة « آمون » ، ويبعد المسافة بينهم وبين عاصمته . وقد كان تنفيذ هذه الفكرة ضربة قاسية لمدينة « طيبة » ؛ ويمكننا أن نفهم الآن أكثر من ذي قبل سبب محو اسم الإله « ست » في معابده القديمة التي كانت قائمة في الدلتا بعد انتصار « آمون » وعودة عاصمة الملك إلى « طيبة » في عهد الأسرة التاسعة عشرة .

عبادة الإله « ست » في « أواريس » وفي عهد الأسرة الثالثة عشرة

أثبتنا فيما سبق قدم عبادة الإله « ست » في الشمال الشرقي من الدلتا في مقاطعة « سترويت » ، والآن نريد أن نبرهن على أن عبادة هذا الإله في بلدة « أواريس » في عهد الأسرة الثالثة عشرة لم تكن بالأمر الغريب كما يزعم بعض المؤرخين عند كتب الأستاذ « ادورد مير » الذي يعد عمدة مؤرخي العصور القديمة[1] عن الأسرة

---

(١) راجع Edward Meyer, "Gesch" § 305.

الثالثة عشرة يقول : «لدينا آثار غريبة من عصر ثالث آخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة الذى كان يدعى «نحسى» (العبـد) وهو اسم كان يسمى به كثير من أفراد عامة الشعب . ومن «تانيس» وجدنا اسم هذا الأمير على قطعـة حجر ربما كانت من أثر لد أمـدته والده للإله «ست» صاحب «را أخت» ؛ وكذلك وجد فى «تل المقدام» الراتشة فى قلب الدلتا (صركوميت نخر) تمثال ملكى لهـذا الأمير نقش عليه «محبوب ست» صاحب «أواريس» ؛ ولكنا نعرف أنه لم يذكر لنا من أى أثر اسم الإله «ست» فى «تانيس» قبل عهد «الهكسوس» ، ولقد ذكر لنـا كل من الملك «مرمشع» والملك «سبك حتب» الرابع كثيرا على تماثيله التى وجدت فى «تانيس» أنه المحبـوب من «بتاح» صاحب «منف» وأن «أواريس» كانت عاصمة الهكسـوس ، وأن «ست» صاحب «أواريس» هو إلههم . ومن ثم نسلم أن كلا من «نحسى» ووالده كان قـد أصبح من أتباع «الهكسوس» وأن غزو هؤلاء القوم الأجانب البلاد كان قد حدث قبل نهـاية الأسرة الثالثـة عشرة ؛ ومن المحتمل أن تتـابع تولى الملوك عرش البـلاد بسرعة مدهشة فى هذه الفترة يرجع بعضه إلى عظم غزوهم » .

والواقـع أن ما وصلنا من معـلومات جديدة يجعلنا نعيد النظر فى كتبه هـذا المؤرخ ، وذلك لأنه فى إقليم «تانيس» كانت عبادة الإله «ست» قائمة منـذ العهود القديمة ، وقد عرفنا الآن أن معبد هـذا الإله موجود فى «سترت» على مقربة من «تانيس» منذ أوائل الدولة القديمة على أقل تقـدير ، وعلى ذلك فإن إقامة «نحسى» أثرا لهـذا الإله القديم فى إقليم «تانيس» لايدل على أى اتصال «بالهكسوس» ، كما لا تدل عبارة وصف الإله بأنه صاحب «أواريس» على أية علاقة قط بالهكسوس ، وذلك لأن هذه المدينة[1] كانت قائمة قبل غزو الهكسـوس

(١) راجع رأى الأستاذ «جاردنر» فى هذا الموضوع : (Gardiner. "Ancient Egyptian Onomastica", Vol. II. P. 176.

كما سبقت الإشارة إلى ذلك . هذا فضلا عن أن اسم مدينة « أواريس » مصرى خالص ، ولا ينتج منه أن الغزاة قد أسسوا بنيانها ، ويجب أن يفهم الإنسان ذلك جيدا ، فقد ميز « رعمسيس » الثانى المبانى الجديدة التى أقامها فى المدينة بتجديد اسمه فأطلق عليها اسم « بررعمسيس » (بيت رعمسيس) . ولا شك فى أن توحيد « تانيس » « بأواريس » يقدم لنا سندا قويا لتفسير الرأى الذى عرضـه هنا الآن . وذلك لأن الآثار المكتشفة تحدثنا بأنه منذ القدم كانت تقوم فى هذه البقعة مدينة على جانب عظيم من الأهمية . وكذلك يدل ما كشف من آثار على أن نشاط « نحسى » من ناحية البناء فى « تانيس » كان ضئيلا بدرجة مدهشـة كما كانت الحال مع أسلافه فى عهد الدولتين القديمة والوسطى .

والواقع أن التفسير الذى أدلى به الأستاذ « ادورد مير » عن « نحسى » وآثاره لا يصـــمد أمام النقد ، إذ كيف ينبغى « لنحسى » أو والده أن يقيم معبـــدا لإله الغزاة الأجانب فى مقر عاصمتهم ؟ والأحرى بهـــذا الأمير إذا كان يريد أن يظهـــر خضـــوعه ، وتبعيته للغزاة أن يقيم أثرا لإله الدولة الجـــديد الذى كان يعتبر هو من أتباعه فى الإقليم الذى يقع خارج مدينتهم أما فى « تانيس — أواريس » التى ساعدها المكشوف ثانيـــة على حسب (تصميم) موضـــوع لم يكن ليســـمح « لنحسى » أن يقيم فيها للإله « ست » معبدا بوصـــفه إلهه ، بل كان ذلك من الأمور الخاصـــة التى يمتاز بها أسياده الفاتحون . هذا ويعلم من النقوش التى دونت على المبانى أشياء أخرى ، إذ عرف أنه قبـــل الغزو الأجنبى كانت توجد مدن لعباده « ست » غير طه « ستربت » ومدينـــة « حوت وعرت » (أواريس) مثـــل « را أحت » التى كانت تقع حتما فى إقليم « أواريس » وعلاوة على هذه المعابد نعلم أن الإله « ســـت » كان يحتل مكانة ممتازة فى مقاطعته .

تانيس = أواريس = بررعمسيس (١)

قد أشرنا في سياق عرضنا لهذا الموضوع إلى أن هذه الأسماء الثلاثة قد تدل على مدينة واحدة بعينها .

وفي الواقع أن النقوش التي لدينا قد لا تذكر لنا ذلك صراحة ، ولكن مجموعة من الحوادث والأدلة التي تقصها هذه الآثار ما يعتمد عليه في إيجاد الصبغة التي أدلى بها الأستاذ « قيل » في أمر توحيد هذه البلاد (J. E. A., Vol. XXI) ، هذا فضلا عن أن الأستاذ « مونتيه » قد أدلى بشرح طويل في كتابه عن « حفائر تانيس » مبينا الأسباب التي جعلته يوحد « تانيس » مع « أواريس » وكذلك يوحدها مع « بررعمسيس » .

وقد وصل كذلك الأستاذ « جاردنر » في بحثه موضوع « بررعمسيس » إلى نفس النتيجة التي تقول بتوحيد هذه المدن الثلاث ، ويظهر لنا أن تفسيره وما أدلى به من حجج لا يمكن الاعتراض عليه كثيرا ، هذا إلى أن تفسيره للوحة « عيد أربعمائة السنة » الخاص بالإله « ست » يعدّ تفسيرا مقنعا إذ يقول : ولكن الاستنباطات المختلفة التي اقترحها الأستاذ « زيته » يعوزها الأساس الأصلي كما يظهر لي ، اللهم إلا إذا كان الإله « ستخ » المرسوم في المنظر الذي في أعلى اللوحة هو نفس « ستخ » صاحب « أواريس » وأن « تانيس » التي وجدت فيها « مريت » اللوحة هي المدينة التي تشمل كلا من « ستخ رعمسيس » و « ستخ أواريس » بوصفه إلهها الأول ، وبعبارة أخرى كانت « أواريس » و « بررعمسيس » و « زعنت » (تانيس) هي أسماء ثلاثة جاءت متتالية لبلد واحد بعينه . ثم يقول

(١) راجع Montet, "Les Nouvelles Fouilles de Tanis", P. 15-28; ibid 29-32 & 164. ff.

غير أن البحوث الحديثة تميل إلى توحيد بررعمسيس بقنطير وهو الرأي الذي دافع عنه الأستاذ حمزة في مقالاته وعارضه فيه بعض الآخرين (راجع ("Onomastica" Vol.II.P 172 & 278) غير أن الأستاذ « جاردنر » لا يزال يرى الموضوع معلقا .

في مكان [illegible] في نص المقال (P. 126) : وإني أظن الآن أنه حتى نص التغيرات التي حدثت في الاسم يمكن أن تفسر تفسيرا مقبولا . فمن الجائز أن « أواريس » كان الاسم الذي عرفت به مدينة « تانيس » في عهد الدولتين القديمة والوسطى ، وليس لدينا من الأدلة ما يوحي بأنها أسست في عهد « الهكسوس » . على أن هذا ليس المثال الوحيد الذي نجد فيه أن مدينة مصرية قد غيرت اسمها في عهود التاريخ إذ نرى مثلا أن « إنب حز » قد أصبحت تدعى منذ الأسرة الثامنة عشرة « من نفر » (منف) . ومن المحتمل أن السبب الذي دعا إلى تغيير اسمها هو أن المدينة القديمة التي كان يطلق عليها « حوت وعرت » ، والتي أقامها الهكسوس لتكون حصنا منيعا ، قد هدمها « الطيبيون » عند إعادة تنظيم البلاد وطرد الهكسوس . ولما أسس « رعمسيس » الثاني عاصمة ملكه في هذا المكان سماها باسمه « بيت رعمسيس » ، غير أن الاسم القديم لم ينس كما يدل على ذلك اسم الإله « ست » صاحب « أواريس » الذي نجده على التماثيل القديمة التي اغتصبها « مرنبتاح » لنفسه دون أن يحاول تغيير كل ما عليها من النقوش القديمة التي تدل على أصلها[1] ، ولقد كان أول اختفاء لاسم المدينة ، واسم الإله عند حدوث الانقلاب الحكومي في عهد الأسرة الواحدة والعشرين ، فأصبحت تسمى المدينة من وقتئذ « تانيس » وهذا ليس باسم جديد . إذ الواقع أن اسم « زعنت » (تانيس) لم يمح على ألسنة القوم منذ حكم الهكسوس ، وكما نجد اسم « رع — أختي »[2] يظهر في قائمة صفة الإقليم وبلده بالتوالي « صخت رعنت » ، « قيط تانيس » ، و « حوت وعرت » بوصفها أسماء لبلدة واحدة ، نجد كذلك أسماء « لطيبة » مثل « الأقصر »

(١) راجع Weill, "The Problem of the Site of Avaris", J. E. A. Vol. XXI, (1935) P. 4 ff.

(٢) راجع Mariette, "Monuments", Pl. 31. (Texte) P. 58.

و « الكرنك » وقد تخلى القوم عن تسمية البلدة باسم « أواريس » تفاديا من
ذكر اسم هذا الإله البغيض لهم ، وكذلك قضوا على معابده جملة ، غير أننا
لا نعلم للآن إلى أى مدى كان انتقال قلب المدينة بالنسبة لـ « تانيس » الأصلية .
وقد بحث الأستاذ « فيل » مسألة موقع «أواريس» (J. E. A. Vol. 215. P. 10)
قاصدا نقض القول بتوحيد «تانيس» و «أواريس» ؛ إذ يقول فى خلاصة مقاله .
« ويمكن استنباط ما يأتى : ... إن « تانيس » و « أواريس » كانتا مختلفتين ، وأن
الإله « ستخ » قد استوطن كلتيهما مع قوم يدعون « الهكسوس » ، وليس من
الضرورى أن يكونوا ملوكا من أسرة « أبوفيس » الذين تنقل رواية « مانيتون » عن
أنهم هم الهكسوس الغزاة ، بل فى الواقع هم أولئك الغزاة أنفسهم عندما أقاموا
مستعمراتهم الأولى فى « الدلتا » قبل عهد «أبوفيس» بحسب ما أصبنا من النجاح
فى تصوير الصورة التاريخية التى شرحناها هنا . وبعبارة أخرى فإن استيطان الإله
«ست» «تانيس» (وقد فهم الأستاذ «نيوبرى» من هذه العبارة تأسيس «تانيس»)
وإقامة الهكسوس فى « أواريس » . (ويلاحظ هنا أن « مانيتون » لم يذهب
فى روايته إلى حد تأسيس « أواريس ») كانتا حادثتين تاريخيتين بما أعقبهما أعظم
بكثير ، وهما وصول الأسيويين الجدد واستعمارهم البلاد » .

والواقع أن الأستاذ « فيل » قد بنى استنباطاته على أسس خاطئة ، وهذا
فيما يخص أولا فهمه لتاريخ عصر الهكسوس ، والعهد الذى مروا به البلاد وعلاقته
بالأسرة الثالثة عشرة . وهذا الموضوع قد بحث فى عرضه الكافى (Ed. Meyer
"Gesch" I. §. 303;

أما أهم خطأ وقع فيه فهو قوله إن « ستخ » إله أجنبى قد أحضره المغيرون
معهم من « آسيا » مع أنه هو نفس الإله « ست » المصرى كما شرحنا ذلك من
قبل ، وبخاصة فى النقوش الخاصة بالموظف « عرفرع » التى قدمت لنا برهانا آخر
قاطعا بأن « ست » المصرى كان يعبد منذ الأزمان القديمة فى الشمال الشرقى للدلتا

بعد أن اتخذها موطناً له ، وهناك عدم أقوى عماد يرتكز عليه مقال الأستاذ « نيل » . والواقع أن « ست » كان الإله المحلي منذ زمن بعيد في « أواريس » وقد اتخذه الهكسوس عبادة إله حام لملكهم ، وقد رفعوه إلى مرتبة ملك الآلهة . والواقع أن لوحة أربعمائة السنة لم تذكر لنا صراحة « تانيس » بل ذكرت لنا النقوش فقط اسم المدينة التي استوطنها الإله الجديد . ولم يبق علينا هنا إلا الاعتراف بصحة ما استنبطه الأستاذ « جاردنر » وأن اعتلاء « ست » المصري (حق) عرش الملك لا يمكن إلا أن يكون في عاصمة الملك التي وضعها تحت حمايته ، وهذه كانت « أواريس » ، وفي ربوعها فقط يمكن للإنسان أن يعقد الاحتفال بعيده ، وينصب لوحة تذكارية له .

وفي الختام يجب أن نبحث على وجه التحقيق في أي زمن اتخذ « ست » صاحب « أمبوس » (كوم امبو) بلدة « سترت » موطناً له . وهذه الهجرة يمكن أن تكون قد حدثت في أي زمن ، ولكن يجب أن يعتبر الإنسان أمرين هامين : أولاً يجب أن يكون انتقال معبود من مملكة لمملكة أخرى عن طريق الفتح وذلك أن يستولي إله الفاتحين على أرض القوم المغلوبين ، وهذا ما حدث على سبيل المثال في عبادة « آمون » في السودان وفي المستعمرات الأسيوية ؛ إذ قد حملها الفاتحون إلى هذه البقاع . ثانياً : لم يكن من المعقول أن الإله « ست » يؤسس بلدة جديدة تقام فيها عبادته في الوجه البحري في وقت كانت سمعته سيئة جداً منذ القدم . غير أننا نعلم أنه كان يحتل منذ بداية الدولة القديمة في « سترت » ، فيجوز في أمر هجرته إلى الشمال ، أنها حدثت عندما أخضع « ست » مملكة الإله « أندزتي » أمير مقاطعات شرق الدلتا ، أو عندما قهر « مينا » الوجه البحري وجعله تحت سيادة الجنوب ، وقد سلم الأستاذ « زيته » في كتابه عن عصر ما قبل التاريخ (Sethe, "Urgeschichte und Älteste Religion der Ägypter", § 47 ff.) أن « ست » قد هاجر

منه ، من بعد بكثير عن « حور » معبود « دمنهور » نحو « ادفو » ، فقد هاجر أولا في العصر التاريخي إلى الشمال الشرقي من الوجه البحري ، غير أنه لم يقدم لنا أي برهان على هذا الزعم . ولكن على حسب ما جاء عن العيد الذي كان يقام لهذا الإله « ست » قبل الأسرة الرابعة يمكننا أن نبحث على ضوء الاحتمالين اللذين ناقشناهما بالتفصيل في هذا الموضوع ، ونرجح أن هذا الانتقال قد حدث في أواخر عصر ما قبل التاريخ ، وذلك لأن حكام الوجه القبلي الذين كانوا قد أخضعوا منذ الأسرة الأولى بخضوع الوجه البحري تدريجيا ، كانوا يعبدون كذلك الإله « ست » بوصفه الإله الحامي للملكة غير أن « حور » كان مع ذلك الإله الرئيسي ، ففي الحروب التي انعكست صورتها أمامنا في قصة « أوزير » كان « ست » إله الحرب في الوجه القبلي هو المنتصر ، وقد اغتصب شرق الدلتا من « عنزتي » سيد المقاطعات الشرقية . على أنه يمكننا من هذا أن نعرف استعمار جنوبي الوجه القبلي خلال سيادة « هليوبوليس » باستعمار الجزء الشرقي من الوجه البحري بملوك أمبوس (كوم امبو) ، وقد كان هذا الاستعمار بلا شك قليل الأهمية جدا لأن المعلومات عنه كانت لا ترتكز إلا على ذكر مقاطعة « سثروئيت » التي ذكرها مؤرخو اليونان .

تحديد تاريخ غزو الهكسوس لمصر

والآن نعود بعد أن أجلينا الموقف أمام القارئ من الإله « ست » وعلاقته بالهكسوس وبالمصريين ، وبعبادة « أواريس » من كل النواحي إلى تحديد الزمن الذي أقيم فيه الاحتفال بعيد أربعمائة السنة تخليدا لطرد الهكسوس من مصر . فالأستاذ « زيته » يظن أن ذلك العيد قد حدث في عهد حكم الملك « حور محب » حوالي عام ١٣٣٠ ق.م على وجه التقريب مستنبطا ذلك مما جاء في لوحة أربعمائة السنة (A. Z. LXV. P. 85-89) أي حوالي عام ١٧٣٠ ق.م؛ على أن هذا التاريخ وإن كان مقبولا شكلا ، فإنه تعتوره بعض عيوب يمكن التغلب عليها ، وعلى حسبه

تكون مدة حكم الأسرة الثالثة عشرة محصورة في الفترة التي بين نهاية الأسرة الثانية عشرة أي سنة ١٧٨٨ ق م ونهاية هذا القرن . وتكون النتيجة الفعلية لهذا التفسير أن الهكسوس قوما كانوا ذوي قوة سياسية في مصر لمدة قرن ونصف قرن من الزمان ، غير أننا لا نعرف الطريقة التي صار بها أولئك الأجانب قوة مسيطرة على البلاد خلافا لما نعلمه من أنهم اتخذوا من ضعف البلاد الداخلي قوة لأنفسهم ؛ وعلى ذلك فليس لدينا ما نستعين به على فهم هذه الحالة إلا الاستنباط ، وهو أمضى سلاح لدينا . فنجد من المعقول في هذه المناسبة أن يصدق الإنسان الحالة التي كانت ترزح تحت عبئها البلاد كما وصفها «ايبور» الكاهن والمفكر المصري في العهد الإقطاعي الأول ، وأنها كانت تنطبق على حالة البلاد في الواقع لو كان الإنسان يعيش فيها حوالي عام ١٧٠٠ ق م (راجع الجزء الأول من كتاب الأدب المصري القديم ص ٢٩٤ — ٣١٧) . وهذه الوثيقة كما فصلنا القول فيها تعطينا صورة عن العصر الإقطاعي الأول ، ولكنها في مجموعها كما يظهر تصور لنا حالة لا بد من وجودها ليتسنى للأسيويين اغتصاب السلطة في أي وقت ، ولذلك نجد «ايبور» يتحدث بإلحاح عن الفوضى التي عمت البلاد ودخول الأسيويين أرض الدلتا فيقول : «تأمل إنها (الدلتا) في أيدي من لا يعرفها مثل أولئك الذين يعرفونها ، وأن الأسيويين مهرة في مهن أرض المستنقعات» . ويلاحظ حتى في البلاد الخارجة عن حدود الدلتا أن الأجانب قد صيروا أنفسهم فيها . ولا بد أن حالة سيطرة الهكسوس السياسية قد اتخذت سبيلا مماثلة لتلك التي وصفناها . ولا غرابة في ذلك فقد مر بوادي النيل في عدة مناسبات الدورة التي كانت تمثل فيها القوة فالانحلال فالاغتصاب ثم تنتهي في آخر المطاف باسترجاع قوتها وسيرتها ثانية .

الهكسوس وآثارهم الباقية

والواقع أننا لا نعرف إلا الشيء اليسير عن نهاية عهد تسلط الهكسوس على مصر ، فنعلم أن الأسرة الخامسة عشرة قد نشأت ثم تلاشت وحلت محلها الأسرة السادسة عشرة على حسب ما رواه « مانيتون » لأن الوثائق التاريخية القيمة التي تساعد على فهم هذا العهد من تاريخ البلاد معدومة بالمرة ، وكل ما لدينا هو أسماء عدة ملوك لا يمكن ترتيبها ترتيبا تاريخيا متسلسلا ولذلك سنكتفي هنا بسردها وبما ذكر عنها .

قسم « مانيتون » ملوك مصر في عهد الهكسوس إلى ثلاث أسرات فذكر أولا ستة ملوك ، يتألف منهم عهد الأسرة الخامسة عشرة وهم : (١) سالاتيس (٢) بنون (٣) وأباخناس (٤) وأبوفيس (٥) يناس (٦) وآسث .

بعد ذلك جاء في مختصر « أفريكانوس » (Africanus) أسرة ثانية وهي الأسرة السادسة عشرة ، وعدد ملوكها إثنان وثلاثون ملكا ، ثم جاءت الأسرة السابعة عشرة ، وقد حكم فيها ثلاثة وأربعون ملكا من الهكسوس ومثلهم من الطيبيين جنبا لجنب وانتهت بطرد الهكسوس على يد الفرعون « أحمس » الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة . ولدينا في الوثائق المصرية ، والنقوش الأثرية ثلاثة ملوك من الهكسوس يحملون اسما واحدا مشتركا وهو « أبو فيس » ويمكن التفريق بينهم وهم

(١) ملك الوجهين القبلي والبحري « ابن الشمس عاو سررع » = أبو فيس

(٢) الإله الطيب رب الأرضين «ابن الشمس نب خبش رع» = أبو فيس

(٣) الإله الطيب « عاقنن رع ابن الشمس » = أبو فيس

وكذلك لدينا مجموعة من ملوك الهكسوس يحمل كل منهم لقب «حقاخاسوت» (أي الهكسوس) وهؤلاء هم :

(١) حاكم البلاد الأجنبية « عنن » (راجع G. Fraser, "A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser (London, 1900), P 24, No 80).

(٢) حاكم البلاد الأجنبية «عانت هر» (من تل بسطه) (راجع ibid, P 24 No. 180)

وهذان الملكان لم يعرف لها آثار غير الجعارين التي وجدت بإسميهما .

(٣) حاكم البلاد الأجنبية « خيان » .

وكذلك عثر على مجموعة أخرى من الملوك يحمل كل منهم لقب «الإله الطيب» ، ولم يعرف لهم آثارا عدا الجعارين وهم .

(١) الإله الطيب « ماعتب رع » (راجع H. R Hall, "Catalogue of the Egyptian Scarabs in the British Museum" Vol. 1. No. 283)

(٢) الإله الطيب « مرومسر رع » Newberry, "Scarabs", Pl. XXII. No. 27 - 30

(٣) الإله الطيب « وازد » (راجع ibid Pl. XXII. No. 7 9.) .

(٤) الإله الطيب « خع وسر رع» (راجع ibid Pl. XXI No. 26 - 29.) .

(٥) الإله الطيب « خعو ن رع » (راجع ibid Pl. XXI. No. 19 - 22.) .

(٦) الإله الطيب « ماع اب رع » (راجع ibid Pl. XXI, No. 1 8.) .

(٧) الإله الطيب «نب ثاوى رع» (راجع Hall, "Scarabs", No. 286.) .

(٨) الإله الطيب « خع مورع » (راجع Newberry, "Scarabs", Pl. XXI No. 30) .

ونجد كذلك مجموعة واحدة من الملوك يحمل كل منهم لقب «ابن الشمس» وقد عرفت أسماؤهم كلها على وجه التقريب من الجعارين فقط وهم

(١) ابن الشمس «شش» (راجع Hall, "Scarabs" No. 269.) .

(٢) ابن الشمس «سكت» (راجع ibid No. 282.) .

(٣) ابن الشمس «يعقوب هر» (راجع Newberry, "Scarabs", Pl. 23 No. 13 & Petrie, "History". I, P. 250 No. 146, Newberry, Pl. 23 No. 1 - 2; Hall "Scarabs", No. 284. 285, Fraser, "Coll.", No. 181.

(٤) ابن الشمس «إج» (راجع Fraser, "Coll." No. 182) .

(٥) ابن الشمس «عامــو» (راجع Newberry, "Scarabs" Pl. XXII. No. 14 - 18

(٦) ابن الشمس «قار» (راجــع Newberry, "Scarabs", Pl. XXI. No. 23 - 24

ولدينا من آثار عصر متأخر أسماء ثلاثة ملوك من الهكسوس، إذ في عام ١٩٣٢ ضم إلى مجموعة متحف «برلين» قطعة كبيرة من جدار برقم ٢٣٦٧٣، وهي من مقبرة كاهن من «منف» يرجع تاريخها إلى عام ٧٠٠ ق م، وقد دون عليها هذا الكاهن شجرة سلسلة نسبه، وكذلك دون عليها أسماء الملوك الذين عاش أجداده في عهد حكمهم، ومن بين هؤلاء ثلاثة من ملوك الهكسوس[1]. وهؤلاء الملوك الثلاثة هم

(١) عاقن[2] (٢) و «شارك» (٣) و «ابب» .

(١) وأحسن مصدر لأسماء هؤلاء الملوك هو مقال الدكتور «بامر» وقد اعتمدنا عليه، راجع Borchardt, "Ein Stamm baum Memphitischer Priester", Berlin 1932, Sitzungs berichte der Preussischer Akademie de Wissenschaften Phil-Hist. Klasse, (1932), XXIV S. 5 der Sonderausgabe.

(٢) ومعنى «عاقن» الحمار الشجاع مما يدل على أن الحمار كان مقدسا عند الهكسوس ولا غرابة في ذلك لأنه يشبه معبودهم الإله «ست» .

وقد وضعهم «بورخارت» بين عهد ملك يدعى «آبي» في عصر الاضطراب في المدة التي تقع بين سقوط الأسرة الثانية عشرة ، وعهد الملك «نب بحتي رع» (أحمس الأول) مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، وقال عنهم إنهم من ملوك الهكسوس ، وآخر واحد منهم وهو «ابب» (أبوفيس) قد ذكره «مانيتون» بالاسم ، على أن ذكر ملوك الهكسوس في هذه القائمة مما يلفت النظر بوجه خاص ، وذلك لأنهم لم يذكروا في قوائم الملوك الرسمية مما يدل على أنهم قد أغفل ذكرهم قصدا ، ومن بين الملوك الستة الذين نقلهم لنا «مانيتون» يمكن أن نعرف أسماء أربعة منهم من الآثار ، وهم : (١) «بنون Beon» أو «بنون» كما جاء في «أفريكانوس» ويعد هذا الاسم في «ورقة تورين» مكتوبا بلفظ «بيم» . (٢) وأباخنام Apahhnam (وقد كتب بلفظة «باخنن» في أفريكانوس) ، وينبغي أن يكون هو الملك «عاقنن رع أبوفيس» الذي نجده مدونا على الآثار ، وأخيرا «يوناس» و «أبوفيس» وهما اللذان وحدا بسهولة مع «خيان» و «ابب» . ومن المحتمل أن الملك «آسث Aseth» هو ملك الهكسوس المسمى «عاسهرع» .

ومما يؤسف له جد الأسف أننا لم نجد على الآثار أي دليل يرشدنا إلى ترتيب هؤلاء الملوك كما ذكرنا من قبل ، وقد حاول «بترى» أن يرتب هؤلاء الملوك ترتيبا تاريخيا بوساطة اختلاف صناعة الجعارين المنقوش عليها أسماء هؤلاء الملوك ، غير أن ذلك لم يجد نفعا[1] ، ومن المعلوم أن جعارين عهد الهكسوس تختلف عن جعارين كل العهود المصرية كما أشار إلى ذلك الأستاذ «نيوبرى»[2] .

---

(١) راجع Petrie, "Historical Studies" (London 1911). P 13 ff.

(٢) راجع Hall, "Scarabs", P. 33, Pieper, "Skarabaen", in Pauly Kroll, Real Encyclopädie der Klassischen Alterum Wissenschaft, 5 Halbband, P 44.

على أنه لم يبق لنا من آثار الهكسوس إلا النزر اليسير وما تبقى منها يتضاءل عندما نعلم أن عدداً عظيماً من الآثار التي تركوها قد أعطوها لأنفسهم باغتصابها من الآثار القديمة التي تركها أسلافهم من ملوك مصر، ولا أدل على ذلك من تماثيل «بوالهول» التي وجدناها منسوبة إليهم وهي في الأصل للملك «أمنمحات الثالث». والآن نلقي نظرة خاطفة على الآثار القليلة التي تركها لنا ملوك الهكسوس خلافاً للجبارين.

آثار الملك عاوسررع (أبوفيس)

وجد لهذا الفرعون بعض الآثار غير الخطيرة منها لوحة كاتب مصنوعة من الخشب وجدت في الفيوم وهي محفوظة الآن بمتحف «برلين» رقم ٧٧٩٨ [1]. وهذه اللوحة كانت هدية من هذا الفرعون لموظف يدعى «إتو» وقد جاء عليها أنها من ملك الوجهين القبلي والبحري «عاوسررع» بن الشمس «أبوفيس» معطي الحياة مثل «رع» كل يوم، وابن الملك من جسمه، والابن المحبوب من «رع»، و«إتو» هذا كان كاتباً ملكياً، ويلاحظ أن الكتابة التي على هذه اللوحة مهشمة بعض الشيء ويمكن أن نقرأ عليها مديحاً الفرعون بوصفه ملك مصر كما يأتي: «صورة رع» الحية على الأرض، والشجاع في يوم القتال، ومن اسمه أعظم من أي ملك آخر، ومن شهرته قد وصلت حتى الأراضي الأجنبية».

وكذلك عثر «الجبلين» على قطعة أخرى من الحجر محفوظة بمتحف القاهرة (راجع Daressy, "Rec. Trav." XIV, P. 26 (No. XXX)) كتب عليه: يحبه الملك الطيب «عاوسررع». وقد جاء ذكر هذا الفرعون في «ورقة رند» الرياضية المحفوظة الآن بالمتحف البريطاني، وقد ذكر فيها عام ٣٣ من حكم هذا

---

(1) Schafer "Agyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin", Vol. I, P. 264.

الملك وهو التاريخ الوحيد الذي حفظ لنا عن حكم ملك من ملوك الهكسوس[1] .
وقد دون هذا التاريخ كما يأتي :

« السنة الثالثة والثلاثون ، الشهر الرابع من فصل الزرع .. ملك الوجهين القبلي والبحري « عاوسر رع » معطي الحياة » .

وفي مقبرة الملك « أمنحتب » الأول وجدت قطعة من آنية من المرمر باسم الملك « أبو فيس » وأخته « حرتي » كتب عليها . ابن الشمس أبوفيس الملك الطيب « عاوسر رع » والأسرة الملكية « حرتي »[2] . أما عن الجعارين التي عثر عليها حتى الآن لهذا الفرعون فقد كتب عنها الأستاذ « فيل »[3] .

آثار الملك نب خبش رع (أبوفيس)



من أهم الآثار التي وجدت لهذا الفرعون خنجر من الشبه في « سقارة » في تابوت شخص يدعى « عابد » (Daressy, "Un Poignard du Temps des Rois Pasteurs," A. S. VII, PP. 115 - 120, Pl. VII) وقبضته تشمل قطعة من الشبه مستديرة السطح ، وعلى وجهها منظر صيد يشاهد فيه صياد يرمي أسدا كما يشاهد غزال يقفز فوق الأسد (؟) . (انظر الصورة ص ٨٨) .

---

(١) راجع E. Peet, "The Rhind Mathematical Pap." (Liverpool 1923).
(٢) راجع Gardiner, "The Egyptian Origin of the Semetic Alphabet", J. E. A. 1916, Pl.
(٣) راجع Weil, "La Fin du Moyen Empire, PP. 794 - 5.



(٥) مقبض خنجر (من عهد الهكسوس)

وتحت منظر الصيد هذا نقش لقب صاحب هذا الخنجر الفاخر واسمه
(تابع سيده «نحمن») وهذا الاسم لم يرد إلا في هذا النص. وعلى الجانب الآخر
نجد النقوش التالية "الإله الطيب رب الأرضين ثم الاسم «عا قنن رع» بن
الشمس «أبو فيس» معطي الحياة". وهذا الخنجر كما يقول الأستاذ «أمور لسيه»

أقدم خنجر زين بالنقوش التاريخية المصرية ، ولصناعته أهمية عظيمة جداً ، إذ يذكرنا بخنجر الملك « أحمس » وكذلك يعتقد أن هذين الخنجرين بينهما ارتباط من جهة الصناعة وإن اختلفا بعض الشيء من حيث الزينة التي على كل منهما ، فخنجر « أبوفيس » قد رسم على مقبضه منظر صيد ، أما خنجر « أحمس الأول » فقد جاء الرسم على نصله ، وليس ثمة شك في أن الرسم الذي على نصله قد تأثر من حيث الفن والشكل بالفن الذي على قبضة خنجر المكوس . ويمكننا أن نحكم الآن بأن هذا الخنجر إنما هو تقليد من كل الوجوه للخنجر الذي كان يصنع في « كريت » و « مسينا » (راجع Fimmen, "Kret. Myken. Kultur", 1921, P 204.) .

وفي « المتحف البريطاني » « ملعقة » من القرابان نقش عليها العبارة التالية . الإله الطيب رب الأرضين « عنوسر رع » بن الشمس ومحبوبه « أبوفيس » . (راجع British Mus. No. 44968 & Weill, "La Fin du Moyen Emp" P 176, No. 3.) .

الملك عاقنن رع (أبوفيس)



(١) يوجد الآن في « متحف برلين » قطعة كبيرة من إناء باسم هذا الفرعون[١] ، عثر عليها في « بيت رهينة » وقد نقش عليها ما يأتي : الإله الطيب « عاقنن رع » ابن الشمس « أبوفيس » معطي الحياة والسعادة .

(٢) وفي « متحف القاهرة » توجد له مائدة قربان من حجر الجرانيت الأسود ، ولا بد أنه قد عثر عليها في ضواحي القاهرة . وقد نقش عليها النص التالي .

---

(١) راجع Berliner Mus. 20366

« حور مهـدىء الأرضين الإله الطيب « عاقن رع » قد أقام هـذا الأثر علامة « ذكرى لوالده « ستح » رب « أواريس » الذى جعل كل الأراضى تحت قدميه » .

أما الكتابة التى على الجبهة اليمنى فتحدثنا فصلا عن ذلك عن إهداء عبد الأعلام » .

(٣) وفى « تانيس » عثر على تمثال للملك « سمنخ » أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة، وقد كتب عليه فيما بعد النقش التالى « الإله الطيب » « عاقن رع » ابن الشمس « أبو فيس » معطى الحياة [٢] » ، مما يدل على أن الأخير قد اغتصب هذه التمثال .

ولدينا بعض آثار تنسب للملوك الثلاثة الذين قد تسموا باسم « أبو فيس » ، غير أنه لا يمكننا أن نميز أى « أبو فيس » كان المقصود ، لأن اللقب الذى يدل على شخصيته لم يذكر .

فلدينا أولا قطعة من قاعدة آنية موجودة الآن « بمتحف برلين [٣] » وقد كتب على الجزء الأمامى منها « أنها مهداة للإله « ستو » سيد « طيبة » من « سنوسرت » الأول محبوبه » . أما على الخلف فقد نقش ما يأتى : ... ... « أبو فيس » معطى الحيـاة » وقد ذكر كذلك اسم الأخت الملكية « تانى (Thany) وحامل الخاتم وهذا دليل على أنه اغتصب من « سنوسرت » الأول .

(٤) وكشف فى « تل بسطة » عن قطعة من الجبسر خاصة بنقوش مبان للملك يحمل اسم « أبو فيس » وهى الآن « بالمتحف المصرى [٤] » وقد نقش عليها

---

(١) راجع Ahmad Kamal, "Cat. des Antiquites Egypt. du musée du Caire "Tables d'Offrandes", Le Caire 1909 Vol. I. P. 61

(٢) راجع : Petrie, "Tanis" Pl. III. 17c.

(٣) راجع : Berlin No 22487 , Labib, "Die Herrschaft der Hyksos in Agypten und ihr Sturz", P. 30, Pl. 6.

(٤) راجع Naville, "Bubastis", Pl. 35c.

« أن ابن الشمس » « أبو فيس » معطى الحياة قد (صنع) عددا عظيما من عمد الأعلام ومصاريع لأبواب من النحاس لهذا الإله » .

(٥) صاجات وجدت فى « دمنهور » باسم ملك يدعى « أبو فيس » (راجع A.Z. XXXIX, P. 86) .

(٦) وفى « كاهون » وجد خاتم من خشب لملك يدعى « أبو فيس »[١] .

الملك سوسر ن رع خيان

كان الملك « خيان » الذى جاء ذكره فى قائمة « مانيتون » وعلى الآثار من أعظم ملوك الهكسوس الذين حكموا مصر ، وقد ذكر اسمه فى قائمة « مانيتون » على ما يظهر باسم « يناس » Jannas وآثاره منتشرة فى جهات مختلفة ، وقد عثرنا على جعارين عدة وأختام باسمه ، ومنها علم أنه كان يحمل الألقاب التالية : (١) حاكم البلاد الأجنبية « خيان »[٢] . (٢) الإله الطيب « خيان » أو الإله الطيب « سوسرن رع »[٣] . (٣) حاكم الجندين « خيان »[٤] . (٤) ابن الشمس « سوسرن رع »[٥] أو ابن الشمس « خيان » ، وكذلك أصبح يحمل اللقب الحورى « حور » ضام الأرضين ، الإله الطيب أو ابن الشمس « خيان » محبوب قرينه

---

(١) راجع Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob" Pl. XII, P. 16.

(٢) راجع Fraser, "Coll" No. 178; Newberry, "Scarabs" Pl. XXII, 20-22 & Pl. VII. 7; Petrie, "History" I. P. 252

(٣) راجع Fraser, "Coll" No. 176; Newberry, "Scarabs" XXII, 23.

(٤) راجع Seal Cylinders, Petrie, "History". I. P. 252.

(٥) راجع Fraser, "Coll" No. 176; Newberry, "Scarabs" XXII, 22

(كا) . وقد كان المنتظر أن يقول عبوب المسه مثلا من لفظة « قرين (كا) » . وهذا اللقب وجد منقوشا على تمثال قديم من الدولة الوسطى محفوظ الآن بالمتحف المصرى . وفى « متحف ليدن » يوجد له خاتم من الذهب لا نعرف فى أى مكان عثر عليه .

على أن أهم ظاهرة فى حكم الملك « خيان » هى وجود آثار له خارج القطر المصرى فى جهات نائية بعيدة جدا لدرجة أن بعض المؤرخين ظن أن مملكته قد مدت أطرافها إلى تلك البقاع . فقد وجد له آثار فى « سوريا » و « فلسطين » من جهة، وفى « بغداد » و « كريت » من جهة أخرى . أما عن وجود جعارين باسم هذا الملك فى « سوريا » و « فلسطين » فلا غرابة فيه ، لأننا نعرى أن هذين القطرين كانا ضمن البلاد التى يسيطر عليها الهكسوس أيام عظمة مجدهم[2] .

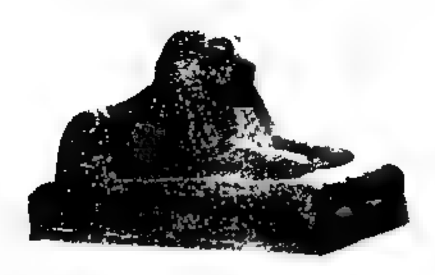
وأما عن وجود آثاره فى « بغداد » و « كريت » فيرجع إلى سبب آخر . والواقع أنه قد عثر على تمثال أسد صغير ارتفاعه نحو ٢٥,٤ سنتيمترا وطوله نحو ٤٨,٢ سنتيمترا نقش عليه اسم « خيان » : الإله الطيب « سوسرن » رع . وهذه العبارة قد نقشت على صدر هذا الأسد[3] .

---

(١) راجع : Naville, "Bubastis", Pl. XII, Borchardt, "Statuen und Statuetten von Konigen and Privatleuten", P. 62

(٢) راجع : Palestine Exploration Fund Quarterly Statement, 1904. Pl. VI P. 224. No. 16. Gezer-S. Macalister, "The Excavation of Gezer" (London 1912) I. P. 253, III P. 204. Fig. 20

(٣) راجع : Catalogue of British Museum No. 987; Budge, "Guide", P. 97, No. 340.



(٦) أسد عثر عليه في بغداد من عهد الهكسوس

وهذا التمثال قد اشترى في « بغداد » من تجار الآثار ، أما في « كريت » فقد كشف الأثرى « إيفانز » في أثناء أعمال الحفر التي قام بها في هذه الجزيرة في أساس قصر « كنوسوس » الثاني ، عن غطاء آنية من المرمر باسم «خيان» ، وقد نقش عليه النص التالي : « الإله الطيب سوسرن رع بن الشمس «خيان» ، وهذه القطعة محفوظة الآن بمتحف « كنديه » عاصمة جزيرة « كريت »[1] ، والسؤال الهام هنا هو : كيف تسربت هاتان القطعتان الأثريتان إلى «بغداد» و« كريت »؟ أما من جهة الأسد الذي وجد في « بغداد » فإن الجواب على وجوده في هذه البقعة بعيد ؛ إذ من الجائز أنه قد وصل إلى «بغداد» عن طريق التجارة وحسب ، وبذلك لا يدل قط على اتساع رقعة ملك الهكسوس حتى بلاد النهرين كما ادعى

---

(١) راجع A. Evans, "The Palace of Minos at Knossos", (1921) I, P. 419. Fig. 304. b.

ذلك الأستاذ (ادوردمير .Gesch I. §§ 306.& 307) ، إذ بهذا الادعاء يكون الهكسوس قد مدوا سلطانهم حتى « بابل » و « كريت » . والواقع أن وجود مثل هذه القطع المفردة في مثل هذه الجهات النائية لا يمكن أن يكون إلا عن طريق التجارة أو الهدايا وبخاصة في « كريت » التي كانت مصر على اتصال تجاري بها وبغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط . وإذا كان سلطان الهكسوس قد امتد فعلا إلى «بابل» و « كريت » لكان من المعقول ، بل ومن الضروري أن نجد فيهما قطعا كثيرة من الآثار تثبت هذه السيطرة وتؤكدها ، ولكان من المنتظر كذلك أن يجد الإنسان تأثيرا فنيا بابليا أو كريتيا في هذه القطع ، ولكن الواقع أنها مصرية بحتة في صورها وصناعتها .

وهذا هو كل ما نعلمه عن ملوك الهكسوس في عهد الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة . أما عن ملوك مصر فإنا لا نعلم عنهم شيئا في ذلك العهد ، إلى أن ظهر على الآثار ملوك مصريون ، وهم الذين يضعهم « مانيتون » فراعنة الأسرة السابعة عشرة وقد اتخذوا مدينة « طيبة » عاصمة لحكمهم وهي التي كان يحكم فيها ملوك الأسرة الثالثة عشرة . وعلى يد ملوك هذه الأسرة بدأ النضال لطرد الغزاة من البلاد . وقبل أن نشرح الحروب التي انتهت بهزيمة الهكسوس وإقصائهم من البلاد جملة سنتكلم ببعض الاختصار عن فراعنة هذه الفترة وما جرى في عهدهم من أحداث ، وبخاصة لأن هذه الحقبة من تاريخ البلاد غامضة . والواقع أن تاريخ أواخر الأسرة السابعة عشرة قد بقي مبهما حتى جمع الأستاذ « ونلك » شتات المعلومات الخاصة بتاريخ ملوكها[1] مما سهل علينا تفهم سير الحوادث التي أدت إلى نزع النير عن عاتق البلاد على يد أبنائها من الفراعنة الأمجاد . (انظر مصور طيبة الغربية) .

---

(١) راجع : J. E. A., X. (1924) P. 217-277

فراعنة الأسرة السابعة عشرة

سخم رع واح خو - رع حتب

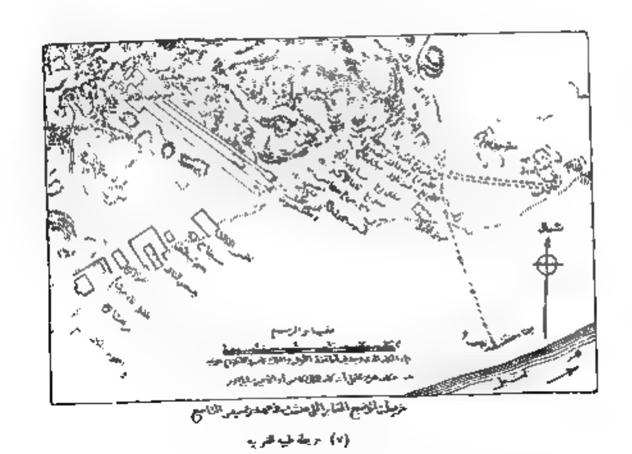


يعتقد الأستاذ «ونلك» أن مقبرة هذا الفرعون موجودة في جبانة «طيبة» الغربية غير أنه لم يعثر عليها حتى الآن، وقد عزز رأيه هذا بالقصة الخرافية التي كانت شائعة في «طيبة» في عهد الأسرة العشرين، وهي القصة التي تحدثنا عن المخاطرات الخارقة للمألوف التي قام بها الكاهن الأعظم للإله «آمون» في أثناء بحثه عن موقع قبر، وقد وقعت حوادث هذه القصة في عهد الفرعون «رع حتب» (راجع كتاب الأدب المصري القديم ص ١١٨) (J. E. A. Vol. 10. P. 265-7).
وقد عثر له على علبة جعارين[1].

وكذلك وجدت له لوحة بالمتحف البريطاني عليها طغراؤه[2].

---

(١) راجع Gauthier, "L. R." II. P. 80.
(٢) راجع : B. M. Stelae, IV Pl. XXIV.



خريطة توضح الآثار الأرضية في عهد تحتمس الثالث

(٧) خريطة طيبة الغربية

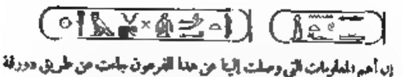
الملك سخم رع حرو حر ماعت — انتف



عثر على تابوت هـذا الفرعون في جبانة « طيبة » ، وقد كان أحد تابوتين اشتراهما « مربيت » عام ١٨٥٤ ، غير أنه لم يعرف المكان الذي دفن فيه ، ويحتمل أنه وجد بالقرب من جبانة « دراع أبو النجا » في الضفة الغربية للأقصر . ويدل صناعة التابوت الخشنة على أنه قد اشترى من متعهد بيع التوابيت جاهزة ، ويدل خشونة صناعتـه ، وعدم وجود آثار أخرى قط لهـذا الفرعون على أنه مات بعد توليته العرش مباشرة أي قبل أن يجهز لنفسه أثاثا جنازيا أو يكون له وارث يقوم له بذلك ، وتابوت هذا الفرعون محفوظ الآن بمتحف « اللوفر » وهو من الخشب . (انظر ص ٩٨) .



الملك سخم رع وب ماعت « انتف ٥ »



إن أهم المعلومات التي وصلت إلينا عن هذا الفرعون جاءت من طريق «ورقة أبوت» الخاصة بإجراء فحص مقابر الملوك في عهد الأسرة التاسعة عشرة أيام حكم الفرعون «رعمسيس التاسع» ، وقد جاء فيها عن هرم هذا الفرعون العبارة التالية :

« هرم الملك سخم رع وب ماعت » له الحياة والسعادة والصحة ابن الشمس أنتف «٥» (الأكبر) له الحياة والسعادة والصحة : فقد وجد أن اللصوص كانوا في طريقهم إلى نقبه ، عند المكان الذي كانت مقامة فيه لوحة الهرم . وقد فحص في هذا اليوم ووجد أنه لم يمس بسوء ، إذ لم يكن في مقدرة اللصوص أن يقتحموه[1] .

والنقطة الهامة في هذا النص هي ذكر موضع اللوحة ، وهو المكان الذي كان يرجح أن يكون النفق تحته مادة أو الممر الذي يؤدي إلى حجرة الدفن . وقد عثر على لوحة هرمه المصنوعة من الحجر الجيري الأبيض ، والظاهر أنها وجدت بالقرب من مقبرة هذا الملك ، وقد نقش عليها « حور وب ماعت » ملك الوجهين القبلي والبحري «سخم رع وب ماعت » بن الشمس « أنتف الأكبر أخيه ... وصنعته الأم الملكية والزوجة الملكية العظيمة التي لبست التاج الأبيض الجميل ... » . وهذا النقش من الأهمية بمكان من الوجهة التاريخية ، إذ يؤكد لنا أن « أنتف » الأكبر هذا كان وارثاً شرعياً للملك لأنه ولد من أبوين ملكيين ، ومحتمل جداً أن تابوته الذي كتب عليه « أنتف » الأكبر هو الموجود الآن « بمتحف اللوفر » . والمعروف أن هذا التابوت قد وجد مع الملك « سخم رع حر وحر ماعت انتف » السالف الذكر في جبانة تقع في أقصى جبانة « ذراع أبو النجا »[2] . ويمتاز هذا التابوت من الوجهة

(١) راجع : Abbot pap. Pl. II. line 16; Breasted, A. R. IV § 516.

(٢) راجع : Chabas. "Rev d'Arch." (1859), P. 269.



(١) الملك [illegible]

التاريخية بأنه كان قد صنع عناية خاصة من أجل الملك « أنتف » محبوب « أوزير » إلى الأبد . والظاهر أن « أنتف » الذي أهدى أخاه « أنتف عا » التابوت وأشرف على معدات جنازة هو الفرعون « سخم رع » الذي يوجد تابوته الآن بالمتحف البريطاني . وخلاصة القول أن « سخم رع وب ماعت أنتف الأكبر » (الذي يوجد تابوته وأواني أحشائه في متحف اللوفر) قد قام بدفن « سخم رع أنتف » الذي يوجد تابوته في « المتحف البريطاني » وأن « أنتف » الأكبر كان ابن ملك ، ومن سلالة ملك وملكة ، غير أنه مات صغيرا دون أن يترك وارثا على العرش . أما قبره فليس لدينا إلا إشارة واحدة مبهمة عن مكانه ، ومن أن قبري الأخوين كانا متقاربين (راجع J. E. A. Vol. X. P. 236 - 7) .

الملك نب خبر رع « أنتف »



يظهر من تقرير « ورقة أبوت » أن قبر هذا الفرعون كان يوجد عامر في واجهة « جبانة ذراع أبو النجا » في الطرف الشمالي من الجبانة ، هذا إذا سلمنا بأن تقرير المفتشين كان قد عمل على حسب ترتيب وضع القبور ، وقد أثبتت الكشوف التي قام بها « مريت » في هذه الجهة أن هذا القبر كان فعلا في « ذراع أبو النجا »[1] .

أما في « ورقة أبوت » فقد جاء تقرير المفتشين عن قبره ما يأتي : "هرم الملك « سخم رع » له الحياة والسعادة والصحة ابن الشمس « أنتف » . الذي وجد أن اللصوص كانوا جادين فعلا في ثقبه ، حفروا خلاله دراعا ... وصف ذراع ... ودراع في الحجرة الخارجية

(١) راجع Maspero, "Bibliotheque Egyptologique". 18. Pl. CXIII, and Abbot Pap. Pl. II, lines 11 - 12 ff.

القبر رغم حفظه قريبا من بيت « آمون » «حوى» الشرق لم يصب قبر الملك بسوء، وذلك لأن اللصوص لم يتمكنوا من اقتحامه»[1]. والواقع أن كل ما نستفيده من الوصف الذي جاء في هذا التقرير أن القبر كان له ممر خارجي ثقب فيه اللصوص نفقا طوله حوالي متر وثلاثة سنتيمترات دون أن يصلوا إلى حجرة الدفن، وقد وجد أمام هذا القبر مسلة قطع من مسلتين كانتا قائمتين أمامه، طول الأولى ثلاثة أمتار ونصف متر، وطول الأخرى ثلاثة أمتار وسبعون سنتيمترا. وقد نقش عليهما في أربعة أسطر عمودية ألقاب الفرعون «سب حدو رع» بن الشمس «انتف» محبوب الإله «أوزير» و«سبد» (Sopd) رب الجبال الشرقية، و«أوزيس» رب الأرض المقدسة (تاجسرت).

والظاهر أن قبر هذا الملك كان قد وجد سليما عام ١٨٢٧ كما كان في عهد «رعمسيس التاسع». وقد نهبه رجال قرية «القرنة» المدربين على سرقة المقابر. ولقد كان هذا القبر يحتوي على حجرة واحدة وجد في وسطها تابوت محفور في أصل الصخر، وفي داخله تابوت من الخشب مذهب وعليه أشكال يغلب فيها رسم الريش، ولقد كتب عليه «ملك الوجه القبلي والوجه البحري «انتف» انظر ص ١٠٠). وتدل الآثار التي تركها هذا الفرعون على أنه كان ذا جد ونشاط، وأن الدم المصري الخالص كان يجري في عروقه على الرغم مما أصاب البلاد من التفرق والكوارث التي سببها الفتح الأجنبي. وأكبر برهان على ذلك المرسوم الذي نقشه على مدخل باب جميل بناه «سنوسرت» الأول في معبد «قفط» (راجع Petrie, "Koptos", Pl. VIII) ويخرج من مضمون هذا المرسوم أن شريفا يدعى «توى» بن «منحوتب» قد اشترك في مؤامرة مع أعداء الملك، وأن هذا المرسوم الذي دونه هذا الفرعون هو إعلان عن حق هذا الشريف عقابا له على فعلته. ويحتمل أن الأعداء المشار إليهم في المرسوم هم «المكسوس» حكام البلاد، وربما كانوا قبائل الصحراء الذين كانوا يحمون إليهم. وهاك نص المرسوم كما جاء على هذا الأثر: «السنة الثالثة الشهر الثالث

(١) راجع: Breasted, A. R, IV. § 515.

المرسوم الخامس والعشرون من حكم الملك « نب خبر رع » بن الشمس « أنتف » الذي منح الحياة مثل إله الشمس مخلدة . أمر ملكي لحامل الخاتم أمير «قفط» المسمى «مين حتب» ولابن الملك وحاكم «قفط» «قا» ، ولحامل الخاتم كاهن الإله « مين » ولكاتب المعبد « نفر حتب ور » ولكل جنود «قفط» ولكل موظفي المعبد ، « تأملوا إن هذا المرسوم قد صدر إليكم ليحيطكم علماً بأن جلالتي قد أرسل كاتب الخزانة المقدسة للإله « آمون » وكذلك المسمى « ساآمون » وكبير رجال القصر ليفحصوا الطلب في معبد « آمون » وقد جاء من أجل ذلك موظفو معبد والدي « آمون » إلى جلالتي قائلين : إن مكروهاً يوشك أن يقع في هذا المعبد ، وذلك أن « ترقى » بن « منحوتب » لعن اسمه قد أشر على المسكن ، فليطرد من معبد والدي « مين » وليحرم وظيفته في المعبد (هو وولده) من ولد لولد ومن وارث لوارث ، وليصبح طريداً من الأرض ، وليحرم نصيبه من الخبز والقربان (الذي كان دخل وظيفته) ، وليجعل اسمه منسياً في هذا المعبد ، وذلك على حسب ما يستحقه فرد مثله قد تآمر ضد وجهه نحو أعداء إلهه ، ولتمح ذكريات اسمه في معبد « مين » وفي « الخزانة » وفي كل وثيقة أيضاً .

وأي ملك أو أي حاكم سيصفح عنه حرمت عليه أن يلبس التاج الأبيض ، ولا يلبس التاج الأحمر ، وألا يجلس على عرش « حور » الملك الحي ، وألا يعيره عطف ربتي الشعاب والنحل .

وأي حاكم أو موظف سيصفح عنه أمام سيده وأعلاه كان مثلاً لوظيفته والدي « مين » ورب « قفط » . وكذلك يجب ألا يعين في وظيفته أي فرد من أسرته ، ثم أقاربه والده أو والدته ، بل يعطى لحامل الخاتم والمشرف على الأملاك الفرعونية « منماث » ووظيفته على أن يعطى ما يخصه من خبز ولحم ، وأن يثبت ذلك كتابة في معبد والدي « مين » رب « قفط » ، وكذلك يكون ذلك (لنسله) من ولد لولد ومن وارث لوارث [١] .

على أن ما يلفت النظر في هــذا المرسوم أن هــذا الفرعون على ما يظهر كان يحذر ملوك المستقبل بأنهم لن يصلوا إلى عرش الملك إذا أظهروا الرحمة مع الخائن ، وذلك يوحي بأنه في هذا الوقت كان في مقدور الفرد أن يكون فرعوناً ، وأن البلاد كانت في الواقع محكومة بملوك صغار ، كل مستقل في مملكته . ولا شــك في أن عدد هؤلاء الملوك كان أقل في هذا العهد منه في العهد الإقطاعي الأول . يضاف إلى ذلك أن مرسوم الملك ينم تماماً بأنه كان في استطاعته أن يتدخل في أمور رعاياه ، وإن كان يستعمل هذا الحق لكل قــوة غير أن هذه القــوة على ما يظهر

كانت منحصرة في طرد المجرم وحرمانه أملاكه، وفي ذلك نرى منتهى الرحمة والإنسانية التي كانت يتحلى بها المصري إذا وازناها بالوحشية وحب سفك الدماء والغلظة التي كانت شائعة بين الأقوام القديمة الأخرى المعاصرة.

وقد أقام هذا الفرعون مباني كانت قد تهدمت في معبد «قفط». وقد عثر على عدة أنواع من الحجر مغطاة بالرسوم والكتابة في معبد «قفط» خاصة بعهد هذا الفرعون نرى عليها أن هذا الفرعون يقدم القربان للإله «مين» والإله «حور» وزوجه[1]. وكذلك نلاحظ أنه قد أقام مباني عظيمة في «العرابة»[2]. وقد كشف «بترى» عمد وأحجار منقوشة من هذا المعبد، ومن لوحتين من خرائبه، يشاهد على إحداهما الفرعون وابنه تحت الذي كان يلقب قائد الرماة، واقفاً أمام صورة مهشمة للإله «أوزير» وعلى الثانية يشاهد الملك «انتف» وحامل خاتمه «امع نحر» أمام الإله.

الملكة سبكمساف

أما زوج هذا الفرعون الملكة «سبكمساف» فتدل الكشوف على أن مسقط رأسها «إدفو»، وهي من أصل ملكي إذ كانت تلقب «الزوجة الملكية العظيمة التي ترتدي التاج الأبيض «سبكمساف»»، وقد دفنت في «إدفو» مع أقاربها، وأصلحت الملكة «أمع حتب» قبرها، وقد نهب ثانية في الأزمان الحديثة[3].

وعثر لهذه الملكة على ثلاثة في «إدفو» وقد كتب مع اسمها اسم الفرعون زوجها[4]، وكذلك وجدت وسادة لرأس [illegible]، وهي محفوظة الآن بالمتحف

(١) راجع: Petrie, "Koptos", Pl. VII.

(٢) راجع Petrie, "Abydos", I; Pls. VI, VII; II XXXII.

(٣) راجع Lacau, "Steles du Nouvel Empire", 34009 & Urk. IV P. 29

(٤) راجع: P. S. B. A., (1908), P. 285, & Brit. Mus. No. 23068.

البريطاني . ومن الآثار الصغيرة التي وجدت لهذا الفرعون رأس عصا من الطرف الأزرق، وعثر له على تمثال صغير يظهر فيه الفرعون منتصراً على الأسيويين والسود، وربما دل ذلك على أنه كان في حرب مع الهكسوس في بلادنا، كما يفسر ذلك مرسوم « قفط » السابق[2] . هذا وتوجد عدة جعارين له، جمع حتى الآن منها نحو ثلاثة عشر، كلها من طراز واحد[3]، هذا فضلاً عن خاتم أسطواني الشكل كتب عليه اسم هذا الفرعون ومعه آخر يدعى « واح نب رع » وربما كان الأخير أحد صغار ملوك هذا العصر (؟)

الملك سخم واز خعو « سبك امساف »



تدل شواهد الأحوال على أن قبر هذا الفرعون يوجد بالقرب من قبر الملك « سب خبر رع انتف » السالف الذكر (راجع J. E. A. Vol. 10, P. 260) في « ذراع أبو النجا » وهذا الملك قد وجد له عدة آثار أهمها :

(١) تمثال واقف من الجرانيت الأحمر في حجم ثلاثة أرباع القامة الطبيعية وجد في « العرابة المدفونة » وقد نقش عليه اسم هذا الفرعون (راجع Mariette, "Abydos", II, P. 26).

(٢) تمثال صغير بدون رأس من البازلت الأسود يحتمل أنه وجد في « طيبة »[4] وكذلك عثر له في « تانيس » على مسلة صغيرة باسمه (راجع A. S. Vol. VI. P. 284).

ومن الواضح أن هذا الفرعون قد أرسل حملة إلى وادي الحمامات لأن طغراء

(١) راجع Petrie, "History", I, P. 273.
(٢) راجع : ibid P. 273.
(٣) راجع ibid P. 273.
(٤) راجع : Petrie, "History", P. 235 fig. 136.

وجدت منقوشة هناك على الصخور، وقد مثل يتعبد للإله « مين » رب الصحراء، (راجع .L. D. II, P1. 151) وفى « شط الرجال » جنوبى « إدفو » نجد اسمه منقوشا هناك (راجع .Petrie, "Season", P. 385)، والظاهر أن قبره قد كشف عنه أهالى « طيبة » فى العهد الحديث ، ويوجد من محتوياته تابوته وصندوق أوانى الأحشاء فى متحف « ليدن » [1] ، وفى « المتحف البريطانى » يوجد له جعران القلب الذى يوضع عادة على المومية [2] . هذا إلى جعران مطلى بالذهب موجود الآن بمجموعة « لورد برس » [3] ، وبعض آثار كشف عنها فى « المدمود » [4] .

والظاهر أن هذا الفرعون كان يحكم مصر كلها ، لأن اسمه « حورنب » (أى حور المتغلب على ست) وكان يحمل لقب « ضام الأرضين » وقد يكون هذا اللقب تقليديا اتخذه لنفسه ولا يدل على معناه الفعلى .

سخم رع شد تاوى « سبك ام ساف »

إن أهم ما عرف به هذا الفرعون ما كشف عنه فى « ورقة آبوت » ثم « ورقة امهارست » ، إذ قد جاء فيهما قصة سرقة قبره وقبر الملكة زوجه ، والتحقيق الذى أجرى فى هذا الصدد ، ففى « ورقة آبوت » [5] جاء ما يأتى :

---

(١) راجع : Boeser, Leyden, Pls. III, VIII.

(٢) راجع : Hall, "Catalogue of Scarabs", 1211.

(٣) راجع : Petrie ; "History", fig 135 & Sale Cat. 980.

(٤) راجع : Bisson de La Roque, "Medamoud", III (1926) P. 40-1 fig. 29 etc. & Weill, R. E. A. II (1929), P. 163 ff. & B. I. F. A. O Pl. XXXII (1932) P. 20 - 1.

(٥) راجع . Abbot Pap., Breasted, A. R. IV, § 517.

« هرم الملك « سخم رع شد تاوى » له الحياة والسعادة والصحة ابن الشمس « سبك ام ساف »
له الحياة والسعادة والصحة ، فقد وجد أن اللصوص قد اقتحموه وذلك بثقب يؤدى إلى الممر الخلفى
للهرم من الحجرة الخارجية لقبر « سب آمون » مدير مخازن غلال الملك « منخبر رع » (تحتمس الثالث) .
وقد وجدت حجرة دفن الملك خالية من سيدها وكذلك حجرة الزوجة الملكية العظيمة « نبخعس » ، إذ قد
وضع اللصوص أيديهم عليهما ، وقد قام الوزير والأشراف والمفتشون بفحصها ، لمعرفة الطريقة التى بها
استولى اللصوص على الملك وزوجه ، وقد كانت نتيجة هذه السرقة موضوع محاكمة طويلة فى تلك الحقبة(1) ، مع
أن اللصوص كانوا قد وضعوا فى الأغلال وحقق معهم بعض من جديد ، وفى اليوم التالى سيقوا إلى القبر
ليحقق معهم ثانية فى فحص وتوضيح الطريقة ، وقد دونت الاعترافات التى انتزعت منهم فى أثناء هذا التحقيق
الأخير بعنوان « فحص هرم الملك سخم رع شد تاوى » وحفظ فى جبل الجبانة مع فحص الأهرام بين
الوثائق الخاصة باللصوص ، وهى التى كانت فى الآنية الأخرى » .

وتوجد قائمة هذا الاتهام المتمم للوثائق فى مجموعة « امبراس » . وكذلك قد
حفظ لنا جزء من الوثيقة التى دون فيها اعتراف اللصوص فى « ورقة امهرست »(2) .
وقد فقد جزء كبير جداً من هذه الوثيقة ، وليس لدينا منها إلا صحيفة باقية ضاع
منها الأسطر الأربعة الأولى ، وكانت تحتوى على وصف اقتحام اللصوص حجرة
دفن الملك حيث وجدوه راقداً . والجزء الباقى من الصحيفة يقص علينا كيف
اقتحموا حجرة الزوجة الملكية (لها الحياة والسعادة والصحة) من مكان جدارها الخارجى ، وقد كانت
مسلوقة قاعة ... بالأطلال وجدناها بكل من الحجر فتحناها جميعها ، ووجدنا هذين أيضاً جثتيهما
تابوتيهما ، وتابوتيهما اللذين كانا فيهما ووجدنا مومية الملك الفخمة ، وقد كان مسلحاً بسيف(3) ، وكان
هناك مجموعة كبيرة من التمائم والحلى من الذهب حول عنقه ، وكان تاجه وأكاليله المصنوعة من الذهب
على رأسه ، وكانت مومية الملك الفاخرة كلها مغشاة بالذهب ، وكانت توابيته الخشبية مزخرفة بالذهب والفضة
من الداخل والخارج ومرصعة بكل نوع من الأحجار الكريمة الفاخرة ، فانتزعنا الذهب الذى كان يكسو موميته
هذا الإله وكذلك تمائمه ، والحلى التى كانت حول عنقه ، والتابوت التى كانت يضطجع فيه ،

(1) راجع Pap. Abbot, Breasted A. R. IV § 528.
(2) راجع Newberry, "The Amherst Papyri", P. 25, Pl. V, Breasted, A. R. IV § 538.

كما وجدنا الزوجة الملكية ، وانتزعنا كل ما كان يوجد معها أيضا ، وأشعلنا النار فى تابوتيهما ، وسرقنا الأثاث التى وجدناه معهما ، ويشتمل على أوان من الذهب والفضة والنحاس ، وقسمنا الذهب الذى وجدناه مع هذين الإلهين ، ما كان منه على موميتيهما وعلى تمائمهما وعلى صدريهما وعلى تابوتيهما ثمانية أقسام » .

ومما سبق يمكن الإنسان أن يكون فكرة عن القبر وما به من أثاث ، ونرى من النص المصرى القديم أن اللصوص قد سبقوا إلى التحقيق عن هرم هذا الإله (الملك) الذى كان فيه حجرتا الدفن ، على أن حجرة قد قيل عنها فى مكان آخر إنها « الحجرة السفلية للهرم » ، وهى التى حفر اللصوص نفقا للوصول إليها من مقبرة قريبة كما سلف ذلك . على أننا نجد فى اعترافات اللصوص على ما يظهر أنه كان يوجد حجرتان متصلتان للدفن واحدة للملك والأخرى للملكة ، والأخيرة قد اقتحمها اللصوص من الجدار الخارجى ، وهذا ما عرفناه فقط فى هرم الملك « نب خبر رع » . والظاهر البدهى أن حجرة الدفن هذه لم تكن مشيدة فى البناء العلوى من المقابر ، بل كانت كما هى العادة محفورة فى الصخر الذى يكون أسفل منها .

ولقد وجد كل من الملك والملكة فى تابوت خارجى من الحجر وآخر داخلى من الخشب فى شكل آدمى ، وكان الأخير مغطى بورقة من الذهب على ما يظهر مثل تابوت الملك « نب خبر رع » ، وقد أحرقه اللصوص ، ووصف بأنه مطعم بالأحجار نصف الكريمة . والواقع أن الوصف بالتمويه بالذهب وبالتطعيم ينطبق تمام الانطباق على توابيت الأسرة الثانية عشرة ، وكذلك على توابيت بداية الأسرة الخامسة عشرة التى وصفناها فى العصر الذى يقع بين الدولة الوسطى والدولة الحديثة فهل ذلك يعزى إلى أن الملك « سبك ام ساف » وزوجه « نبخعس » كانا أعظم فخامة وأبهة أكثر من غيرهما من ملوك تلك الفترة ؟ أم أن ذلك قد جاء عن طريق المبالغة من الكاتب الذى دون ذلك ليعطينا فكرة عما يجب أن يكون عليه تابوت الفرعون من الأبهة والعظمة ؟

وقد كانت مومياءاهما مزينتين بتعاويذ وعقود من الذهب ، وكان على رأس الفرعون أكاليل كالتي وجدها اللصوص الطاليون على رأس الملك «انتف» ، وقد كان بجانبه في تابوته الخشبي سيفه ، وسنرى فيما يأتي مثل ذلك الأثاث مع الملك «كامس» والملكة «اعح حتب» ، وأخيراً كان معهما أوانٍ من ذهب وفضة وشبه ، وقد دل اعتراف اللصوص على أن كل هذا الأثاث قد أتلف عن آخره ، وليس هناك أي أمل في أنه قد ترك شيء حتى الآن ليجد سبيله إلى المتاحف الأوربية[1] . وقبر هذا الملك على ما يظهر موجود في «جبانة دراع أبو النجا»[2] . (انظر ص ٩٦) .

وقد جاء ذكر الملكة «نبخس» زوج هذا الفرعون على لوحة محفوظة الآن بمتحف «اللوفر» حيث وصفت بأنها بنت رئيس القضاة «سبك ددو» وتسمى الوارثة العظيمة والزوجة الملكية العظيمة وسيدة كل النساء ، وقد نقش على هذه اللوحة سلسلة نسب هذه الملكة[3] .

الملك سخم رع سمنتاوى «تحوتى»




يظن الأستاذ «ونلك» بعد درس طويل أن قبر هذا الفرعون يوجد بجوار قبر زوجته الملكة «منتوحتب» الذي يقع في الجنوب أو في الجزء الأوسط من «جبانة دراع أبو النجا» في الشمال مباشرة من مقبرتي الملكين اللذين يحملان اسم

(١) راجع J. E. A. Vol. X, p. 237-40.

(٢) راجع J. E. A. Vol. X, Pl. XIII.

(٣) راجع Pierret, "Recueil d'Inscriptions, II. P. 5.

« تاعا » و « تاعا الأكبر » . وقد عثر على اسم هذا الفرعون وأمه على قطعة حجر جيري من الحجر الجيري المجلوب في « نقادة »[1] .

وكذلك عثر على صندوق أواني الأحشاء في « جبانة طيبة » ، وجده « دبسالكوا » (Psamatecqua) بالقرب من موميته وكتب عليه اسم « الملك تحوتي » ، ولحظ أنه أضيف على غطاء هذا الصندوق سطر كتب بخط مختلف ومداد مختلف ، غير الذي كتبت به النقوش الأخرى التي على الصندوق ، وهذه الكتابة تخبرنا بأن الصندوق قد تقدم هدية من الملك الزوجة الملكية العظيمة التي لبست التاج الأبيض الجليل « منتوحتب » صادقة القول ، ومعنى ذلك أنها كانت قد توفيت قبل الفرعون ، ولقد جاء اسم هذا الفرعون في قائمة « الكرنك » (راجع .Sethe Urk. IV. P. 608) هذا ولقد ذكر اسمه مرات ملكية في كتاب الموتى بالصورة التي كتب بها على صندوق الأحشاء السابق الذكر وهو المحفوظ الآن « بمتحف برلين » (راجع ,Erman ("Historische Nachlese", A. Z. XXX. P. 46.) .

الملك سقننرع « تاعا الأول »
وزوجه تيتي شري



بعد أن خمدت جذوة التحقيق التي قامت في عهد « رعمسيس » التاسع فى الفرعون « سقنن رع شده تاوى صيك ام ساف » اتجهت نحو الجنوب إلى « حرم الملك « سقنن رع » (له الحياة والسعادة والصحة) ، ابن الشمس « تاعا » » ولقد فحصه اليوم المفتش ، ووجد أنه لم يمسه سوء ، وكذلك حرم الملك « سقنن رع » (له الحياة والسعادة والصحة) ، ابن الشمس « تاعا » الأكبر له (الحياة والسعادة والصحة) ، وبالك يكرنك مدكين اسم كل منهما « تاعا » قد فحصا في هذا اليوم وقد وجد كل منهما سليما » .

---

(1) راجع : .Petrie, "Naqada & Ballas", Pl. XLIIIa

ومما سبق نجد أن النص المصري صريح في أنه كان يوجد ملكان كل منهما يحمل لقب «سقنن رع» وأحدهما يسمى «تاعا» الأكبر. وقد حرص كاتب الوثيقة بعد ذكر اسمي هذين الفرعونين على أن يقول «فيكون المجموع ملكين باسم «تاعا». وقد اختلف العلماء في تفسير ذلك، وبخاصة عندما علم أنه قد وجد على الآثار ملك يدعى «سقنن رع» يذكر باسم «تاعا» أحياناً وأحياناً يذكر باسم «تاعا» الأكبر، وأخيراً يذكر أحياناً بلقب «قن» أي «الشجاع» فهل يوجد ثلاثة ملوك موحدة أسماؤهم، أم أنه يوجد فقط ملكان كما جاء في «ورقة أبوت»؟ وقد اختلف العلماء عند الفصل في هذه المعضلة إلى أن بحث الموضوع الأستاذ «ونلك» من كل وجوهه، واهتدى إلى القول بأنه يوجد فقط ملكان أحدهما باسم «سنخت إن رع تاعا»، والآخر يدعى «سقنن رع تاعا» وفسر ما جاء في توحيد اللقبين في «ورقة أبوت» بأن كلمتي «نخت» و«قن» يكتبان بمخصص واحد في اللغة المصرية القديمة، ومن ثم يحتمل أن الكاتب القديم قد غلط في كتابة اللقبين، وعلى أية حال فإن الموضوع لا يزال معلقاً (1).

وعلى حسب نظرية «ونلك» يكون «سنخت إن رع» هو «تاعا» الأول، وقد لقب بالأكبر، وهو والد «سقنن رع تاعا» الثاني جد «أحمس» الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة. وعلى ذلك يكون «سنخت إن رع تاعا» الأكبر زوج الملكة «تتي شري» التي كانت جدة «أحمس».

الملكة «تتي شري»: وتحدثنا الآثار عن ملكة تدعى «تتي شري» جاء ذكرها خمس مرات في وثائق باكورة الأسرة الثامنة عشرة. (1) فنشاهدها أولا تشترك مع «أحمس» الأول في إهداء معبد (Breasted. A. R. II. § 33-7.). (2) ونجد أنها قد أعطيت ضيعة في قائمة ضيعات بالوجه البحري (1)، وذلك بعد

---

(1) راجع Winlock, J. E. A. Vol. X, PP. 243. ff.

(2) راجع Erman. "Miscellen" A. Z, Vol. XXXVIII (1900) P. 150.

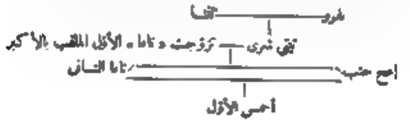


(١٠) الملكة "تتى شرى"

انتهاء حرب الهكسوس . هـذا وقد وجد اسمها مكتوبا على لفائف موميتها ، كما وجد في قبرها تمثالان ، وكذلك وجدت لها لوحة تذكارية منصوبة في « العرابة المدفونة » ، وسنتكلم عن ذلك فيما بعد .

والواقع أن « تيتي شرى » كانت أول سلسلة نسل الملكات ، والوارثات والأرامل الملكية اللائي كن أصحاب السيطرة في عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى نهايتها . وتنسب « تيتي شرى » إلى أسرة من عامة الشعب ، فقد كانت تلقب « بالأم الملكية » ، « تيتي شرى » التي وصفتها ربة البيت وأمها الشريفة « ننا » (Thenna)(١) .

ويحتمل أن هـذا هو السبب الذي من أجله لم نجد اسمها في قائمة « أرباب القرب » الذين كانوا يعبدون في الأجيال المتأخرة بوصفهم أجداد النسل الملكي . ومن أية حال فإنها كانت ملكة مشتركة في الحكم في عهدها ، وسلسلة النسب التالية تفسر الرأي الذي قلناه ، وهو أنها كانت زوج للملك « تاعا » الأكبر الأول



ومن ذلك مسلم أن « تيتي شرى » تزوجت من « تاعا » الملقب بالأكبر ، ورزقا منه بنتا تسمى « اعح حتب » وابنا اسمه « تاعا » وهو الذي أصبح ملكا بعد والده ، وقد تزوج من أخته « أعح حتب » وقد رزقا بمولودهما « أحمس » الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة وقد عاشت « تيتي شرى » حتى ماتت في عهد « أحمس » الأول ، ويحتمل أنه دفنها بالقرب من قبره .

---

(١) راجع : Daressy. A. S. (1908) P. 137

ويمكننا أن نقرر بصفة مؤكدة أنها دفنت في «طيبة» ولا أدل على ذلك من الحديث الذي دار بين الملك «أحمس الأول» وزوجه الملكة «نفرتاري» عندما كانا يتناقشان فيما كان لأجدادهما الذين رحلوا من فضل عليهم، وقد وجد ذلك مدونا على اللوحة التذكارية التي نصباها في «العرابة»، وقد وجهت الملكة سؤالا للملك جعله يبوح بما يكنه صدره، إذ أجابها قائلا: «حقا لقد مر بخاطري أم والدتي، ووالدة أبي الزوجة الملكية العظيمة، والأم الملكية «تتي شري» المرحومة. حقا إن حجرة دفنها وقبرها الوهمي موجودان الآن في مقاطعتي «طيبة» و«طينة» على التوالي وقد قلت لك ذلك لأن جلالتي يرغب في أن يقيم لها هرما ومعبدا في الأرض المقدسة «العرابة المدفونة» بالقرب من آثار جلالتي». والواقع أنه قد عثر على معبد هرم العرابة، ولا نزاع في أن هذه اللوحة كانت قد أقيمت فيه[1].

أما القبر الذي دفنت فيه في طيبة فلم يكشف عنه حتى الآن غير أنه عثر على بعض محتوياته فقد وجد لها تمثالان[2].

وهذان التمثالان متشابهان من كل الوجوه من حيث الحجم والكتابة والملبس، وعلى جانب عرش كل منهما نقش دعاء لتقديم القربان باسم «أوزير» رب «العرابة»، و«آمون» رب «الكرنك» لروح الأم الملكية «تتي شري» كما ذكر أن خادمها الصالح المشرف «سننسنب» (Senseneb) هو الذي يخلد اسمها.

---

(١) راجع - Ayrton, Currelly, Weigall, "Abydos", III, P. 35.

(٢) راجع : Statue in B. M. 22558; Budge, "A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII. B. C. 30", Fig. 64, also Cairo fragment, Gauthier in Bull. Inst de France. (1926) P. 128

وكذلك عثر على لفائف نسيج من كتان بين قطع الأكفان البالية التى وجدت فى الخبيئة الملكية التى كشف عنها فى إحدى مقابر الدير البحرى ، ولا بد أن جسمها كان موجوداً بين الجثث التى كانت فى هذه الخبيئة ، ويحتمل أن الباحثين قد ميزوا على موميتها بقرينة ملامحها ملامح أسرة الفرعون « أحمس » .

الملك سقنن رع « تاعا » الثانى



كان الفرعون « سقنن رع تاعا » الثانى من أعظم ملوك مصر وأشجعهم فى تاريخ البلاد ، إذ تدل كل الأحوال على أنه فى عهده قد بدأ النضال الفعلى لطرد الهكسوس من مصر ، وتخليص البلاد من النير الأجنبى الذى ظل يثقل عاتقها حقبة طويلة من الزمن .

وقبل أن نفصل القول فى ذلك سنتكلم عن الآثار الباقية لهذا الفرعون وأسرته .

لقد ذكرنا فيما سبق أن « ورقة أبوت » تحتوى على العبارة التالية عن قبر هذا الفرعون عند فحصه :

" قبر الملك « سقنن رع » (له الحياة والسعادة والصحة) ، ابن الشمس « تاعا » (له الحياة والسعادة والصحة) ، فحص هذا اليوم المفتشون ، ووجد أنه سليم " .

وتدل الآثار الباقية على أن قبر هذا الفرعون كان يرعاه كاهن جنازى يدعى « مس » فى مذكرة الأسرة التاسعة عشرة ، كما كان يرعى قبر الملك « كامس » أيضاً[1] ، وقد عثر « مريت » على خاتم من الحجر الجيرى المنقوش المصنوع فى « ذراع

(١) راجع Petrie, "A Season in Egypt", P. 25, Pl. XXI; Lacau "Steles du Nouvel Empire", 24030, PP. 64-5, Pl. XXII; Gauthier L. R. II. P. 158.



(١٦) غطاء تابوت (الملك سقنن رع ــ كاما الثاني)



غطاء تابوت (الملك احمس ــ)

والجد » كتب عليه « سقنن رع » ، ومثل هذا الخاتم مما تستعمله الكهنة المختاريون في ختم الأواني الخاصة بهم . ويلحظ في عهد الأسرة السالفة أن اسم « سقنن رع » كان ضمن الأسماء البارزة في قوائم « أرباب الشروب » ، ومن المحتمل أن حراسة قبره كانت موكولة لكهنة « مكان الصدق » (الجبانة) في ذلك الوقت



(١٢) مومية الملك « سقنن رع » ثانيا الثانية
الجراح في الصورة تشير إلى آثار الجروح

وصف تابوت الملك سقنن رع : وقد كانت مومية الملك « سقنن رع » هذا وتابوته الخشبي ضمن الكشف المشهور الذي حدث عام ١٨٨٠ في الخبيئة القريبة من معبد الدير البحري [١] ، ومن المحتمل أن اللصوص كان قد أخطأهم نهب هذا القبر كما قررت ذلك لجنة التحقيق ، غير أنه في وقت ما قد سطا عليه الكهنة القائمون على حراسته . وتابوت هذا الفرعون الخشبي الذي وجد جسمه به محلى برسم ريش عليه كما كان المتبع في حلية توابيت هذا العصر ، ولذلك أطلق على التوابيت التي من هذا الطراز « الريشية » (انظر ص ١١٦) وكانت تغطيه طبقة سميكة من الذهب مما جعل السميكة التي على ظاهره مغرية للحراس . والواقع أنهم انتزعوها ، غير أنهم قد اتخذوا حذرهم ألا يلمسوا الجزء الذي يغطي الصل الملكي ورءوس الصقور التي على القلائد ، والعقاب الذي على الصدر ، وكذلك اسم الإله « بتاح سكر » ، وكل هذه رموز آلهة قد اعتقد القوم أنها ترسل الموت على كل من انتهك حرمتها . ولما كان اللصوص المحترفون لم يعقهم على ما يظهر مثل هذه الشكوك والخرافات في مقبرة الفرعون « سبك ام ساف » السالف الذكر فلا نكون مخطئين إذا نسبنا مثل هذه السرقات الفنية للكهنة أنفسهم . ومع ذلك فيظهر أن وخز الضمير في ارتكاب مثل هذا العمل قد لعب دوره ، إذ نجد الكهنة قد صبغوا بعض الأجزاء التي أزالوا من فوقها الذهب باللون الأصفر إخفاءً لجريمتهم ، وبخاصة الوجه ولباس الرأس ، ثم كتبوا النقوش بالمداد الأحمر ثانية ، ثم رسموا قلادة على صدره وخطوطاً زرقاء حول العينين اللتين نزع منهما إطارهما الذهبي ، أما باقي الغطاء فقد ترك مغطى بالجص الأبيض الذي انتزع منه الطبقة الذهبية ، وقد بقي آثار النقوش الأصلية على أية حال ، ويمكننا أن نقرأ

(١) راجع : Daressy, "Cercueils des Cachettes Royales" 51001 & Petrie, "History", II, P. 8. Fig. 3; Maspero, "Guide du Visiteurs du Musee du Caire", P. 415, No. 3893 etc.

منها "ملك الوجه القبلي والوجه البحري « سقنن رع » ابن الشمس « تاعا » الشجاع" وهـذا الاسم هو الذي أطلق عليه في قائمة أرباب الحرب في مقبرة « سع محت » (Petrie, "History" II. P. 7) .

دفن هذا الفرعون بسرعة : ومن المعقول بطبيعة الحال أن الملك قد دفن دون أن يعمل له أي جهاز جنازي ، ولكن لما كانت أكفانه قد فكت من آخرها ثم لفت ثانية على عجل فمن المحتمل أن السرقة لم تقتصر على غشاء الذهب الذي كان يغطي تابوته بل قد امتدت كذلك أيدي الكهنة إلى مجوهراته وأسلحته . ومما هو جدير بالذكر هنا أنه لم يبق مع أي مومية ملكية أية قطعة من المتاع مما لها قيمة حقيقية عندما أودعت في مخبئها بالدير البحري ، وتدل مومية الفرعون « تاعا » الثاني (انظر ص ١١٧) الذي كان يلقب بالشجاع على أنه كان معتدل القامة بالنسبة للمصريين ، إذ كان يبلغ طوله نحوا من ١٧٠ سنتيمترا ، عظيم الرأس ، وهو نموذج لرأس المصري الأصيل ، ويمتاز ببنية عظيمة ، فكان مفتول العضلات نشيط الجسم . أما شعره فكان أسود كثيفا جعدا ، هذا إلى أنه كان حليق اللحية ، ولم يتجاوز الثلاثين ربيعا من عمره عند وفاته إلا بقليل .

الملك سقنن رع يموت في ساحة القتال : أما المأساة التي لاقى فيها الملك «سقنن رع» حتفه فهي من أعظم الشخصيات المصرية بطولة في التاريخ المصري فتظهر من تصوير الأستاذ « اليوت سمث » قصة موته من الجروح التي في رأسه فيقول : «إنه كان فريسة هجمة غادرة قام بها عدوان أو ثلاثة ، فقد أخذ على غرة عندما كان نائما في فراشه ، أو أنهم تسللوا من خلفه وطعنوه بخنجر تحت أذنه اليسرى فغاص الخنجر في عنقه ، ولقد كانت الضربة مفاجئة فلم يقو على رفع يده ليدرأ عن نفسه ضرباتهم التي انهالت من (البلط) والسيوف والعصي على وجهه فهشمته وهو ملقى طريحا . وتدل شواهد الأحوال على أن تجهيز الجثة للدفن كان على عجل ، وأن عملية التحنيط كانت سريعة فائقة بلغت غاية في الاختصار،

ولم تبذل أية محاولة لوضع الجسم في وضعه المستحب الطبيعي ، إذ قد ترك منكمشا كما كان طريحا وهو في حالة النزع ، فكان الرأس ملقى إلى الخلف ، ومنثنيا نحو اليسار ، ولسانه بارز من فمه يضغط عليه بأسنانه توجعا وألما ، ولم يمسح سائل مخه الذى كان يجرى على جبينه بسبب الجروح التي أصابت رأسه ، وكانت ساقاه منبسطتين بعض الشيء ، ويداه وذراعاه منكمشتين كما كانتا عند ما لفظ روحه ، وقد أزيلت أحشاؤه من فتحة عملت في جلده ، وقد حفظ الجسم بوضع نشارة معطرة عليه وحسب . والواقع أن الجسم في حالته الراهنة يشبه مومية قبطية قد يبست وقلبها الدود » .

وقد ظن « مسبرو » وتبعه في ظنه « اليوت سمث » أنه قد قتل بعيدا عن « طيبة » ، والمحتمل أنه مات في ساحة القتال ، وأن تحنيطه في مكان القتل كان إجراء مؤقتا لعدم توفر المحنطين الذين قاموا بهذه العملية في هذا المكان أما « بترى » الذى وافقه الدكتور « دركيه » في رأيه فيزعم أن الجسم كان قد تعفن في أثناء نقله إلى « طيبة » ولم يعتن به في ساحة القتال ، ثم حوول تحنيطه ثانية بعد وصوله إلى « طيبة » . وترتكز نظرية قتله في ساحة القتال على ما توحى به محتويات قصة « ورقة ساليه » التي تقرأ فيها أن « سقنن رع » كان مناهضا للملك الهكسوس « أبو فيس » وليس هناك ما يدعو إلى تجريح هذه النظرية .

« الملكة إعح حتب » : والرأى السائد أن « إعح حتب » كانت زوج الفرعون « سقنن رع »[1] (انظر ص ١١٦) غير أنه لا توجد آثار تدل على ذلك صراحة ، ولكن وجد براهين جلية تثبت ذلك ، فنعلم أن « إعح حتب » كانت والدة « أحمس » الأول ، وأنها كانت الزوجة الأولى للملك « سقنن رع تاعا » وكذلك كانت ابنة ملك[2] .

---

(١) راجع : Maspero, "Momies Royales de Deir el Bahari", P. 625; "Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient", Vol. II, P. 78.

(٢) راجع : J. E. A., Vol. X, P. 251, Note 4.

ويوجد على تمثال أميرتى « أحمس » أن والديه كانا يحملان الألقاب الآتية : الإله الطيب رب الأرضين « تاعا » والابنة الملكية العظيمة التي استوت على التاج الأبيض « أعح حتب » . ومن ذلك يتضح أن « أعح حتب » هذه كانت لا تدعى أم « أحمس الأول » وأن هذا الملك « تاعا » هو زوجها وهو « سقنن رع » الثاني الذي ينسب إلى الجيل الذي سبق « أحمس » الأول مباشرة . ومما لا نزاع فيه أن « أعح حتب » كانت على قيد الحياة بعد وفاة زوجها ، بل المظنون أنها عاشت حتى عهد « أمنحوتب الأول » بل عاصرت « تحتمس الأول »[1] . أما أنها عاشت حتى عهد « أحمس الأول » فلا جدال في ذلك ، فمثلا أن « نفرتاري » قد كانت تحتل القوة خلف الملك في بداية حكمه كما يظهر ذلك على اللوحة التي كشف عنها « بترى » فإنا نشاهد كذلك أن « أعح حتب » أخذت مكانتها هذه بعد موتها كما يظهر ذلك على لوحة « الكرنك » وفي « بوهن » بالقرب من (وادي حلفا) . ولم تحل السنة الثانية والعشرون من حكمه حتى أخذت مكانتها « مريتري » كما تدل على ذلك نقوش « طره » . ولقد كان لهذه الملكة الثالثة الحظوة عند الجميع حتى اعتلاء « تحتمس الأول » عرش الملك ، ولا نزاع في أن تلألؤ نجم « مريتري » لم يلمع ولم يسطع إلا في نهاية حكم « أحمس الأول » أي بعد موت « أعح حتب » وذلك ظاهر من الحفاوة التي خصها بها « كامس » و « أحمس » من هدايا خطيرة التي وجدت معها في تابوتها ، وأنه لم يشترك في إعطائها غير هذين الملكين ، ولكن يلوح في الوقت نفسه أن زوجها قد اشترك في إعداد أثاثها الجنازي ، فقد دل الفحص على أن تابوتها الخشبي يكاد يكون قطعة مطابقة لتابوت الملك « سقنن رع » زوجها[2] .

---

(١) راجع Maspero, "Momies Royales", P 627; Petrie, "History", II, P. 10; Breasted. "History", P 252

(٢) راجع ، J. E. A. Vol. X, P 251 Note. 3.

وعلى الرغم من أن دفن الملكة « أعح حتب » لم يحدث في عهد الأسرة السابعة عشرة كما دفنت الملكة « تيتي شري » فإن هناك من الأسباب مع ذلك ما يدعونا للإشارة إليه هنا .

الكشف عن تابوت الملكة «أعح حتب» : والواقع أن عمال «مريت» قد كشفوا عن تابوت هذه الملكة التي كان يحتوي كذلك على مجوهراتها في التراب القريب من «ذراع أبو النجا» عام ١٨٥٩م وقد كان لهذا الحادث ضجة عظيمة، حتى تضاربت الأقوال في كنه هذا الكشف ومحتوياته، غير أنه لحسن الحظ كان العالم الأثري « ديودور دفريا » في إجازة من «متحف اللوفر» وكان موجودا مع «مريت» في « متحف بولاق » في ذلك الوقت . وقد دون الحادث في خطاب خاص مؤرخ في الثاني والعشرين من مارس سنة ١٨٥٩م [١] . وسنورد هذا الخطاب هنا ليرى القارئ كيف كانت تسير الأحوال في تلك الفترة من عهد الوالي سعيد باشا وها هو ذا :

نص خطاب "دفريا" : "بينما كان السيد «مريت» ساعده فعمل حفر غير هذا الكشف أرسل إليه «مريت» شخصا من الشرطة التي على التابوت فأكتشف مما الاحتفاظ إلى أن عهده كانت مومية الملكة « أعح حتب » وعندئذ كتب «مريت» لإرسالها في الحال إلى متحف « بولاق » على ظهر باخرة خاصة ، ولكن لسوء الحظ كان مدير الجهة (قنا) قد فتح التابوت قبل أن يصل الخطاب ، ولا يعرف سبب ذلك أحبا في الاطلاع ؟ أم حقدا وحنقا . ومهما يكن من أمر فإني لم أر غضبا في أي وجه مثل غضب «مريت» على هذا الموقف عندما ... وقد حدث كالمعتاد أن ألقيت أكفان الملكة ومومياها جانبا ، واحتفظ بالأشياء التي دفنت مع المومية ، وقد حصل « مريت » على قائمة محتويات التابوت من أحد الموظفين المصريين هناك ، وقد أرسل مدير « قنا » من جانبه قائمة تلك الأشياء للوالي معلنا إياه أنه مرسل الأشياء مباشرة إلى الوالي .

والواقع أن القائمتين كانتا شبه موحدتين في المحتويات، غير أن فيهما مبالغة ظاهرة في عدد الأشياء الموجودة ، وفي وزن الذهب التي تحتويه . ولما حصلنا على أمر وزاري بأن يكون لنا الحق في الاستيلاء

---

(١) راجع = Maspero, "Bib. Egypt" 18, CII, II, and Maspero, "Guide" XIV

على أى قارب يحمل آثاراً وكلها إلى القاهرة ، سرًا فى الليل فى باكورة يوم واحد وعشرين من مارس ، وفى تلك ... بك « مصرده » ... هذه التوابيت التى كان يحمل الكنز الذى أخذ من المومية الفرعونية - وبتوبيخ ما ، ... إلا ... ساعة حتى ... التوابيت ، وبعد تبادل كلمات ساخنة مصحوبة بإشارات عنيفة هدده « مريت » ، أحدهم بأنه سيلقيه فى الماء ، وهدده الثانى بأنه سيشوى ... ، والثالث بأنه سيرسله إلى الأعمال الشاقة فى السجن ، والرابع بأنه سيجمع حول المشنقة فى عنقه ، وكانت نتيجة ذلك أن حفظة الكنز ... إلى ... من « مريت » . ولقد كانت دهشتنا عظيمة عندما رأينا أن الصندوق الذى ... كمية من المجوهرات ، ومومياء ملكية ... كلها تحمل اسم « أحمس » أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، فى حين أن الملكة « اعح حتب » لم يذكر اسمها على واحدة منها ، وقطعة من هذه المجوهرات تفوق كل الذى عرف حتى الآن وهو قليل جدا ، وعلى ما أظن لم يكن الذهب الذى تحتويه هذه القطع يزيد عن كيلو جرامين فى الوزن ، غير أن قطع المجوهرات كانت قد صيغت بمهارة عظيمة ، ورصعت بأحجار ... ملونة[1] .

ولقد أسرع « مريت » بالمجوهرات إلى الوالى سعيد باشا فى الاسكندرية ، وقص عليه القصة بطريقة خلابة حتى أن سعيدا قد تغاضى عن استيلاء « مريت » على قارب حكومى بغير إذنه ، بل على العكس استغرق فى الضحك وشمله برعايته ، وقد استعار « سعيد باشا » من هذا الكنز سلسلة من الذهب معلقا فيها جعران لأحب زوجاته إليه غير أنه أعادها بعد فترة وجيزة إلى متحف بولاق[1] .

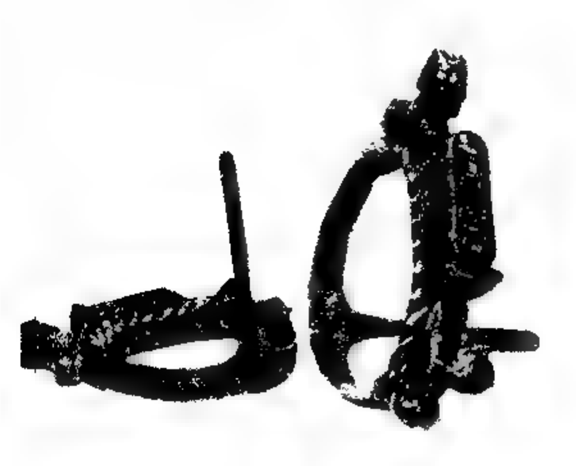
سبب وجود آثار الملكين « كامس » و« أحمس » فى تابوت الملكة « اعح حتب » : وقد تضاربت الأقوال فى وجود آثار « أحمس » و« كامس » فى تابوت الملكة « اعح حتب » ، غير أن الرأى الذى أدلى به « الأستاذ » « ونلك » عند فحص هذا الموضوع هو الرأى الذى يقرب من الحقيقة إذ يقول : "ليس لدى من الأسباب التى تجعلنى لا أصدق أن الملكة « اعح حتب » كانت قد دفنت فى أوائل حكم الفرعون « أحمس » وأنها زينت بالمجوهرات التى أعطاها لها هو والملك « كامس » الذى حكم قبل « أحمس » مباشرة[2] . وآثار الملكة « اعح حتب »

---

(١) راجع Maspero, "Bib. Egypt". op. cit. CIII.

(٢) راجع J. E. A., X, P. 254.

مشهورة جداً، وسنذكر أهمها هنا، وبخاصة ما كان له قيمة من الوجهة التاريخية « وجد على الجثة جعران وسلسلة باسم « أحمس الأول » الذى كتب على المشبك، هذا فضلاً عن ثلاثة أسورة يد، وسوار ذراع، وكلها باسم « أحمس » أيضاً؛ أما فى داخل لفائف الكفن، فقد وجدت (بلطة) من الذهب وخنجر وكلاهما



(١٣) سواران للملكة أعح حتب

نقش عليه اسم « أحمس » ، وعلى ذلك تكون الزينة الشخصية الخاصة بهذه الملكة قد قدمها لها « أحمس » أى عندما كانت بين الخمسين والخامسة والسبعين من عمـــرها .

وعلاوة على هذه الجوهرات التى نقشت باسم الملك « أحمس » كان معها أشياء أخرى باسم والدها الملك « كامس » . ففى التابوت وجد خنجران موضوعان بجانبيه ، واحد منهما مصنوع من الذهب وعليه اسم « كامس » ، والثانى من الفضة خال من النقش . أما الأشياء فهى : مذبة و (بلطة) من الشبه باسم « كامس » ، ويحتمل كذلك (بلطة) أخرى حربية باسمه محفوظة الآن فى انجلترا ، وقد أتت من نفس الكنز . ولا نزاع فى أن هذه الجوهرات عنوان واضح على التقدم الطبيعى فى ثروة البلاد والمهارة الفنية ، التى جاءت نتيجة لطرد الهكسوس من مصر . ولا أدل على ذلك مما نشاهده من الجوهرات الدقيقة الصنع التى تعزى لأول حكم « أحمس » وهى التى وجدت على جسم الفرعون « كامس » الذى كان فى حروب مستمرة مع الهكسوس .

وقد وجد تمثال باسم الابن الأكبر للملك « أحمس » المرحوم[1] .

ومن هذا التمثال نعرف علاقة « أعح حتب » بالملك « سقنن رع » ، إذ نجد بين الدعاء بطلب قرابين للإله « بتاح سكر » قد ذكر أسماء أفراد أسرة هــذا الأمير الذين جعلوا اسمه يعيش لأجل أن يقوم بكل عمل خيرى لهم فى العالم السفلى ، وهؤلاء الأقارب هم والده « تاعا » الثانى ، وأمه « أعح حتب » كما ذكرنا آنفا ، ثم أخته الابنة الملكية العظيمة « أحمس » وأخته الابنة الملكية العظيمة « أحمس » الصغرى وقد كانت على قيد الحياة .

التعرف على شخصية « أحمس نفر تارى » : ولمـا كانت « أعح حتب » الابنة الملكية العظيمة قد تزوجت من أخيها « تاعا » الثانى ، فإن هذه الابنة الملكية

---

(١) راجع : Sethe, Urkunden IV, P. 12.

«أحمس» أسن الأختين كانت بلا شك هي «أحمس مريتيمن» التي عرفها بوصفها أخت الفرعون «أحمس» وزوجه، وهي التي يمكن أن تكون قد تزوجت من الملك «كامس» أولا على ما يظهر، ولدينا نص آخر ربما يشعر أنها هي التي قد ذكرت معه، وهو لوحة عثر عليها في «ذراع أبو النجا» جاء عليها: "الأخت الملكية، والزوجة الملكية «أحمس»"(١)، وكذلك يحتمل أنه قد جاء من قبر الابن البكر «أحمس» علاوة لما ذكرنا تمثالان صغيران وجدا في «ذراع أبو النجا» نقش عليهما: "الابن الملكي «أحمس»"(٢) وكذلك نقش على جعران لا يعرف المكان الذي جاء منه: "الابن الأكبر «أحمس»"(٣)، ولا نزاع في أنه «أحمس» المشار إليه في قبر «خع بخت» بوصفه من أرباب القرب، وكان يعبد في الأجيال التالية باسم الابن الملكي «أحمس» معطي الحياة مثل «رع»، ونجد كذلك الاسم الملكي «أحمس» قد قرن باسم يدعى «بنبو» (Binpu) في طغراء واحد، كما جاء على تمثال «حريو شرا»(٥) .

ولا شك في أن المسائل التاريخية التي سنعالجها هنا من الصعوبة بمكان بالنسبة لهذا العصر كله، ولا بد من أن نتلمس حلها، وعلى أية حال فإن اشتراك «أحمس» و«بنبو» في طغراء واحد يذكرنا باسم آخر في قائمة مقبرة «خع بخت» الخاصة بأرباب القرب. كان يلقب «الابن الملكي» (بنبو) معطي الحياة مثل (رع). وليس لدينا حل آخر الآن لهذه المشكلة، إلا أن نرجع بـ«بنبو» الذي جاء في قائمة مقبرة «خع بخت» إلى عهد الملك «تاعا» الثاني، وأن نعده مؤقتا أحد أولاده

---

(١) راجع Northampton, Spiegelberg, Newberry, "Report on Some Excavations in the Theban Necropolis During the Winter of 1898-1899", Pl. XVI P. 3.

(٢) راجع: Northampton, etc op. cit. 31. No. 11.

(٣) راجع: Newberry, "Scarabs", Pl. XXVI. No. 6.

(٤) راجع: Gauthier, "L. R", II, P. 160.

(٥) راجع: Mariette, "Monuments", Pl. 48.

إلى أن نتحقق من شخصية كل من « أحمس » و « حبو » اللذين ذكرا على لوحة « حريو حراد » وسنذكر هنا ما استطعناه من الدراسة السابقة لأولاد الملك « تاعا الثانى » و « اعح حتب » بصورة مختصرة واضحة .

(١) الأمير « أحمس » الأكبر — مات صغيراً فى خلال حكم والده .

(٢) الأميرة « أحمس نفرتارى » تزوجت من الملكين اللذين خلفا « تاعا » الثانى .

(٣) الملك « كامس » تولى بعد والده عرش الملك، ومات بعد توليه بقليل،

(٤) الملك « أحمس » خلف أخاه وأسس الأسرة الثامنة عشرة .

(٥) الأميرة « أحمس » الصغيرة .

(٦) الأمير « بنو » ؟ مات صغيراً، ومن المحتمل أنه قضى نحبه فى الوقت نفسه الذى مات فيه « أحمس » الأكبر .

بداية المناوشات مع الهكسوس

على أنه توجد آثار أخرى لأفراد عاشوا فى هذا العصر، وقد ذكر عليها اسم « تاعا » غير أننا لم نعرف أيهما كان المقصود . الأول أم الثانى [1] .

وتدل شواهد الأحوال على أن الفرعون « تاعا » الثانى الملقب بالشجاع هو أول ملك بدأ النزاع بينه وبين ملك الهكسوس مما أدى إلى قيام البلاد كلها دفعة واحدة فى وجه أولئك الغزاة ، فلدينا وثيقة فى هذا الصدد جاءت فى صورة قصة وهى « ورقة سالييه » الأولى، وعلى الرغم من أنها تنسب إلى العصر الذى نكتب عنه إلا أنها قد كتبت بعد وقوع حوادثها بنحو أربعمائة سنة ، ومع ذلك فإنها على ما يظهر ترسم لنا صورة تاريخية عن الخلاف الذى وقع بين ملك الهكسوس المسمى

(١) راجع : Daressy. "Statues de Divinites", P. 55; J. E. A. Vol. X, P. 257 ff.

«عاقنن رع أبو فيس» والملك «سقنن رع» الشجاع الذي فصلنا القول فيما عرف عنه فيما سبق ، وظاهر الخلاف هو أن «أبو فيس» ملك الهكسوس ادعى وهو في «أواريس» الواقعة في شمال الدلتا أن أصوات أفراس البحر التي تعيش في «بحيرة طيبة» تزعجه وتقض مضجعه لقوتها ، على الرغم من أن المسافة بين «طيبة» و«أواريس» تبلغ نحو ٥٠٠ ميل ، وأنه لذلك يأمر ملك «طيبة» أن يبيد فرس البحر الذي يسكن في تلك البحيرة إن أراد أن يبقى على إرضاء الملك «سقنن رع» ، وهذه الورقة قد كتبت على أن تكون تمارين لتلميذ من تلاميذ العصر الذي كتبت فيه ، ونهايتها وهو الجزء الهام فيها لم يتم نقله ، ومن أجل ذلك كانت القصة التي وصلتنا ناقصة ، ولكن إذا وازناها بقصص أخرى مماثلة لها من قصص الشرق الأدنى ، كان من المحتمل جداً أن تدلنا أجوبتها على سرعة بديهة «سقنن رع» أو سرعة خاطر نصحائه الذين كانوا حوله فأحسنوا الرد على ملك الهكسوس ، فتخلصوا بذلك ملك مصر من الورطة التي أراد أن يوقعه غريمه فيها ، ومن المحتمل جداً أن الجزء الضائع من الورقة كان يحتوي على بداية المقاومة المنظمة التي قام بها المصريون ضد الهكسوس .

وإذا صح ذلك كان طلب ملك الهكسوس الغريب مجرد ذريعة اتخذها تعلة لإعلان الحرب على ملك «طيبة» الذي كان على ما يظهر يكيد له ، وتكون قصة الذئب والحمل التي تناقلها وتمثل بها في التاريخ الحديث صدى لأختها قصة فرس البحر في عصر الهكسوس . والجزء الباقي من القصة كما جاء في الورقة هو ما يأتي .

متن القصة

حدث أن أرض مصر كانت في مجاعة شديدة (؟) ولم يكن للبلاد حاكم يملك في هذا الوقت وقد حدث أن الفرعون «سقنن رع» كان حاكماً على المدينة الجنوبية (يعني طيبة) ولكن كانت الخاضعة الشنعاء في يد «العامو» (الهكسوس) ، وكان الأمير «أبو فيس» في «أواريس» ، وكانت كل البلاد خاضعة له ، وكانت كل محاصيلها أتاوة ، وكذلك كل طيبات «تميرا» (أي مصر) وقد بنى هذا المعبد في كنف السير .

وقد اتخذ الملك « أبو قيس » الإله « ستخ » ربا له ، ولم يعبد أي إله آخر في البلاد غير « ستخ » وقد بنى معبدا كبيرا جميلا حسنا متقنا بجانب قصر « أبو قيس » وقد كان يستيقظ كل يوم ليقرب القرابين اليومية للإله « ستخ » ، وكان موظفو بلاطه يحملون الأكاليل من الزهر كما كان يحصل تماما في معبد « رع حور اختي » .

وكان الملك « أبو قيس » يرغب في خلق موضوع النزاع بينه وبين الملك « سقنن رع » أمير المدينة الجنوبية .

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك أمر الملك « أبو قيس » باستحضار ... رئيس ... (عند هذه النقطة نجد المتن غير متصل لكثرة الفجوات ، وقد حاول « مسبرو » أن يملأها على وجه التقريب) .
[... وقال لهم (أي المستشارين) : إن رغبة جلالتي في أن أرسل رسولا إلى المدينة الجنوبية لأتعلل تهمة بالملك « سقنن رع »] ... لم يعرفوا كيف يجيبوه ، ومن ثم أمر باستحضار كتابه والحكماء من أجل ذلك ، فأجابوه قائلين : " أيها الملك ... " ... فرس بحر [في المدينة الجنوبية ...] البحيرة [...] وهي (فرس البحر) لا تدع النوم أن يأتي لنا نهارا ولا ليلا ؛ لأن ضجيجها في آذاننا ، وعلى ذلك أرسل جلالتك إلى أمير المدينة الجنوبية ... الملك « سقنن رع » ودع الرسول يقول له : الملك « أبو قيس » [...] يأمرك بأن تهمل فرس البحر بترك البحيرة ... وبذلك سترى جلالتك قلة أعوانه ، لأنه لا يعترف بإله في الأرض كلها إلا « آمون رع » ملك الآلهة .

وبعد مرور عدة أيام على ذلك أرسل الملك « أبو قيس » إلى أمير المدينة الجنوبية بشأن التهمة التي قالها له كتابه والحكماء ، ووصل رسول الملك « أبو قيس » إلى أمير المدينة الجنوبية فأحضروه إلى حضرة الأمير ، فقال الواحد (المرموق) لرسول الملك « أبو قيس » : ما رسالتك إلى المدينة الجنوبية ؟ وكيف قطعت هذه الرحلة ؟ فقال له الرسول : إن الذي أرسلني هو الملك « أبو قيس » يقول ... من أن يهجر فرس البحر البحيرة التي في ... المدينة الخاصة (المدينة ...) لأنه (أي فرس البحر) لا يدع النوم أن يأتيني ليلا أو نهارا ، إذ إن أصواته الزاعقة في أذني .

وعندئذ بقي أمير المدينة الجنوبية صامتا ، وبكى مدة طويلة ، ولم يكن يعرف كيف يجيب رسول الملك « أبو قيس » فقال له أمير المدينة الجنوبية : كيف سمع سيدك عن البحيرة التي في ... ؟ فقال له الرسول : ... الموضوع الذي من أجله قد أرسلك (؟) ... أمر أمير المدينة الجنوبية أن يقدم لرسول الملك « أبو قيس » كل الأشياء الطيبة من لحم وخبز ... وقال له أمير المدينة الجنوبية : ارجع إلى الملك « أبو قيس » سيدك ! ... أي شيء تقول له سأفعله عندما تأتي (؟) [...] وعاد رسول الملك « أبو قيس » مسافرا إلى المكان الذي فيه سيده .

وبعد ذلك أمر أمير المدينة الجنوبية بإحضار ضباطه العظام وكذلك كل الرجال الذين كانوا معه، وأعاد عليهم الرسالة التي بعث بها إليه الملك «أبوفيس». وقد ظلوا صامتين حينا لحظة طويلة، ولم يستطيعوا الإجابة عن أي شيء، وأرسل الملك «أبوفيس» إلى... (1)

(وهنا تنقطع القصة في الورقة التي استعملت بقيتها في خطابات نموذجية، وهي أسلوب إنشائي كان ذا شأن في ذلك الوقت أكثر فائدة، ولكنه أصبح بدون أهمية لنا الآن، لأننا كنا نود أن نعرف نهاية القصة).

وإنه لمن العسير علينا تحديد تاريخ الشجار الذي قام بين الملك «سقنن رع الشجاع» و«أبو فيس عاقنن رع» على وجه التأكيد، ولكن من المحتمل أنه قد نشب حوالي عام ١٥٩٠ ق م ويرجح قرب هذا التاريخ من الحقيقة أن «أحمس بن أبانا» الذي كان يعمل في جيش «أحمس» الأول (١٥٨٠ — ١٥٥٧ ق م)، كان والده يعمل جنديا في جيش «سقنن رع»، ولا بد أن يعطى مدة كافية لحكم الملك «كامس» الذي خلف «سقنن رع». وقد نوهنا فيما سبق أن «سقنن رع» و«كامس» و«أحمس» الأول حكموا تباعا على التوالي، وبعد موت «سقنن رع» في حومة الوغى كما تدل على ذلك الجروح التي وجدت في جسمه تولى الملك بعده الملك «كامس».

الملك كامس

يعتبر الملك «واز خبر رع كامس» آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة من أبرز الشخصيات الملكية في التاريخ المصري القديم، إذ تدل الآثار المكشوفة حتى الآن على أن الحروب الحقيقية لخلاص مصر من نير الهكسوس الذي ظل عبئا على عاتق البلاد أكثر من قرن ونصف، قد بدأت في عهده. وقبل أن نتكلم عن الدور

(1) راجع J. E. A. Vol. V P. 49.

الذي لعبه في تاريخ البلاد وما عثر عليه من آثار له تلفت النظر إلى أن الاسم الحوري لهذا الفرعون يحيط به شيء من الغموض والإبهام لم نستطع مما كشف عن الآثار حتى الآن حله حلا موفقا يعتمد عليه ، حتى أن بعض علماء الآثار قد ظنوا أنه يوجد ثلاثة ملوك بهذا الاسم ، وتفصيل ذلك أن اسم الفرعون الذي وجدناه على اللوحة التي كشفها « كارنرفون »[1] يختلف عن الاسم الذي وجدناه على « ورقة أبوت » وهو نفس الملك الذي عثر على تابوته ، ومحتوياته الموجودة « بمتحف اللوفر » وغيره من المتاحف كما سيأتي بعد . وقد عارض الأستاذ « جونييه » في توحيد هذين الملكين ، وعاد لمناقشة الموضوع مرة ثانية[2] ، وذلك عندما عثر على قاعدة تمثال عليها اسم ملك يدعى « كامس واقتابه » ، ورأى أن اسم الصل والعقاب عليه يماثل ما وجد على لوحة « كارنرفون » غير أن اسمه الحوري يختلف عن الاسم الحوري للملكين السابقين بهذا الاسم ، فهل معنى ذلك أنه يوجد ثلاثة ملوك باسم « كامس » ؟ ولكن « جونييه » يجيب على ذلك بقوله إنه لا يوجد إلا ملكان بهذا الاسم ، وأن أحدهما قد غير اسمه الحوري خلال حكمه والواقع أنه لا يمكننا أن نستنتج الآن شيئا . وسيكون الفحص المفصل للوحة « الكرنك » التي وجد معها « شتفريه » قطعة من لوحة وهي النموذج الذي كتب عنه لوح « كارنرفون » فإذا وجدت بقية هذه اللوحة التذكارية ، وعلم منها أن لقب هذا الملك عليها هو « واز خبر رع » فإن اختلاف الاسم الحوري الذي وجد مختلفا في ثلاث حالات لا يهم ، من أجل ذلك نحكم بأنه لا يوجد إلا ملك واحد يدعى « كامس » . أما إذا اختلف اللقب فإنه يوجد كما قال « جونييه » ملكان باسم « كامس » . على أن كل الدلائل تبشر بأنه لا يوجد إلا ملك واحد يسمى « كامس » ، وهو الذي بدأ الحروب مع « الهكسوس » .

---

(١) راجع : J. E. A. ibid.

(٢) راجع : "Studies Presented to Griffith", (London 1932) P. 3. ff.

صفة علية . والواقع أن الآثار والمعلومات التي وصلتنا عن هذا الفرعون محصورة فيما كشف له في « طيبة » وما ذكر عنه في « ورقة أبوت » التي حدثتنا عن الفحص الذي أجرى في قبره في عهد « رعمسيس » التاسع عندما اقتص اللصوص على قبور « طيبة »[1] . فقد جاء عن قبر هذا الفرعون ما يأتي : « انتقل المفتشون من حرى الملكين السميين وأتاه إلى هرم الملك « وازخبررع » له الحياة والسعادة والصحة ابن الشمس « كامس » له الحياة والسعادة والصحة ، وقد فحص اليوم ووجد أنه لم يصبه ضرر » .

هذا يظهر أن قبر « كامس » لم يصب بسوء في عهد « رعمسيس » التاسع ، غير أنه من المحقق أن حراس القبر خافوا عليه عبث اللصوص في تاريخ متأخر في العهود السابقة ، فنقلوا تابوته ودفنوه على وجه السرعة مثلما كما هو في بحر من تراب السيل الذي تطل عليه جبانة « دراع أبو النجا » في مكان يقرب من المكان الذي كشف فيه عن تابوت الملكة « اعح حتب » السالفة الذكر . وقد ظل الملك « كامس » مستريحا في تلك الحفرة الحقيرة حتى كشف عنه « مريت » عام ١٨٥٧ ميلادية .

قصة الكشف عن بقايا الفرعون كامس : ولما كانت قصة الكشف عن بقايا هذا الفرعون ، وما دفن معه في تابوته من الحوادث العظيمة في تاريخ علم الآثار المصرية وتأسيسه في مصر لم نر بدا من تلخيصها هنا إذ أنها في الواقع ستكشف لنا أمورا كثيرة عن أحوال مصر في تلك الفترة من تاريخها وكيف كان ينظر ولاتها لآثارها وتراثها الخالد . وذلك أنه في ربيع عام ١٨٥٧ ميلادية كان الأمير « نابليون » ابن عم الإمبراطور « نابليون » الثالث عائدا من رحلة في المحيط المتجمد . ولما كان هذا الأمير مصدر قلق ومصايقة

---

[1] راجع Abbot Pap. Pl. III, line 12, Breasted, A. R. IV, § 519.

دائمة لابن عمه الامبراطور فقد كان الأخير لا يرد له طلبا يقتضى رحلة خارج فرنسا ولذلك لم يتردد طرفة عين فى إجابة مطلبه فى القيام برحلة إلى الشرق ، ولا تزال رحلة الأرشيدوق « مكسمليان » النمساوى فى النيل ترنّ فى الآذان وموضوع حديث علية القوم . ولم يكن الأمير « نابليون » يرغب فى منافسة الأرشيدوق وحسب بل يريد أن يفوقه فى الحصول على مجاميع أثرية أهم من التى حملها إلى النمسا ، وعندما وصل إلى « سعيد باشا » والى مصر خبر هذه الزيارة المزعومة عقد العزم على أن يظهر لسمو زائره الامبراطورى كل مظاهر التجلة ، ومراسيم الاحترام التى يستطيع إبداعها ، ولذلك أرسل فى الحال إلى « مريت » باشا الذى كان ملحقا « بمتحف اللوفر » وقتئذ بالحضور إلى مصر فى أكتوبر سنة ١٨٥٧ فى إرسالية مدتها ثمانية أشهر ، وقد رغب سعيد باشا فى أن تكون كل خطوة يخطوها الأمير فى زيارته جهات القطر يجد فيها من الآثار ما يسر عين الأمير ويملأ قلبه غبطة وبهجا .

واقتصادا فى وقت الأمير أمر « سعيد » باشا « مريت » أن يصعد فى النيل ويقوم بأعمال الكشف عن الآثار ثم يدفنها ثانية فى الأماكن التى سيزورها الأمير فى رحلته ، وقد أمدّ المال اللازم لتلك الأعمال من جيب كل من « سعيد باشا » والأمير « نابليون » وكذلك خصص الرجال لمثل ذلك ، وأصدر الأوامر إلى المديرين لتقديم ما يلزم من الأيدى العاملة . وفى هذه اللحظة كان « هنريخ بركش » قد وصل إلى مصر فكلفه « مريت » بالاستعداد للقيام معه بأعمال الحفر ، وقد كانت هذه الكشوف الأثرية على قدم وساق فى « الجيزة » و « سقارة » و « العرابة المدفونة » و « طيبة » و « الفنتين » ، وقد كشف فعلا عن مجموعة عظيمة من الآثار الهامة ؛ غير أن الأمير الذى من أجله قامت هذه الاستعدادات لم يحضر لاعتبارات هامة . وفى فبراير سنة ١٨٥٨ طلب إلى « مريت » العودة إلى عمله الرسمى « بمتحف اللوفر » ، ولكنه كان وقتئذ قد رسم لنفسه خطة البقاء فى مصر

يبني متحفه المصري بها ، وقد اتخذ فعلا الخطوات الأولى المؤدية إلى ذلك ، فقد كان يعرف ميول الأمير « نابليون » إلى عمل مجموعة أثرية ليضعها في قصره ، ولذلك عرض عليه عن طريق سكرتيره أنه إذا أخر موعد سفره إلى فرنسا فإنه يكون في استطاعته أن يستولي له من « سعيد باشا » على بعض هدايا من التي كانت أعدت لرحلته التي لم تنفذ ، فأجيب « مريت » على طلبه هذا بأن الأمير يكون سعيدا جدا إذا حصل على مجموعة لا تكون قطعها من ناحية قيمتها العلمية بل يرغب في بعض مجوهرات وتماثيل صغيرة ، ونماذج من الفن المصري مع إيضاحات عن كيفية الكشف عنها .

وقد وافق الوالي على ذلك ورجا « مريت » أن ينتخب من الآثار كل ما يروق في عين الأمير ويرضيه ، ويضعها تحت تصرفه دون مقابل ، ولم يبق على « مريت » بعد ذلك إلا أن يرتب أمر الحصول على سفينة بخارية لهذا الأمير المقتصد ؛ وفي مقابل هذه الخدمات يستعمل هذا الأمير نفوذه لتعيين « مريت » مأمورا للآثار المصرية بالقطر المصري . وقد تم له ما أراد ، وبذلك أصبحت مصلحة الآثار المصرية في عالم الوجود .

نتائج الحفائر التي قام بها مريت وبركش في القرنة :

وقد كانت الحفائر التي قام بها كل من « مريت » و « بركش » في « القرنة » نتائج سريعة . وقد وقفنا على معلومات عن المكان الذي وجد فيه تابوتان لاثنين من الإناثة ، وهما التابوتان اللذان كانا قد اشتراهما « مريت » قبل ذلك بثلاثة أعوام لمتحف « اللوفر » ، وبمعرفة هذا المكان الذي كان فيه مخبأ العثور على آثار أخرى من نوعهما أخذا ينقبان على الجسر في السهل المنبسط الذي تشرف عليه « جبانة ذراع أبو النجا » وعلى مقربة من نفس هذا المكان كان قد عثر على تابوت « إعح حتب » ، وكشف « مريت » في ديسمبر سنة ١٨٥٧ عن تابوت الملك « كامس » مدفونا تحت كومة من التراب ، وقد وضع بدون عناية ولا اهتمام ؛ غير أنه كان لم

بعض عدد ولما فحص «مريت» باشا محتوياته وجد أن التابوت ذاته ليس من الأشياء التي تروق في عين الأمير «نابليون» ولذلك بقي في مصر . والواقع أن هذا التابوت ليس من نوع التوابيت الملكية الفاخرة التي كانت توشى بطبقة من الذهب النضار كما أن الفرعون لم يكن يحمل على جبهته الصل الفرعوني المعروف . هذا إلى أن التابوت كان من النوع الريشي غير أنه كان مما يعمل للأفراد لا للملوك ، وقد ذكر اسم الملك «كامس» عليه ! «الملك ابن الشمس «كامس»» ، وكذلك وجد عليه اسم الملك «كامس» دون أن يذكر لقبه ، كما وجدنا مثل هذه الحالة على تابوت الملك «أنتف» مما جعل الباحثين وقتئذ في حيرة مستمرة .

محتويات التابوت :

ولقد لوحظ أن المومية لم تجهز للدفن بعناية كما كانت الحال في كثير من الأحيان في هذا العهد المضطرب ، ولذلك فإنه عندما كشف عنها «مريت» الغطاء ذهبت هباء لتحللها تحللا كليا . وقد لاحظ «مريت» أنه كان مربوطا على أعلى ذراع «كامس» بردية مجدولة جدلا أنيقا ، يتدلى منها خنجر من الطراز النوبي . كما وجد معه جعران وبعض تعاويذ ، ووضع على صدره طغراء ملكية ساقطة من كلا الجانبين أسدين مصنوعين من خالص النضار ، هذا إلى مرآة من البرنز ، وقد كان الخنجر والطغراء والأسدان ضمن ما تسلمه الهدية التي قدمها «سعيد باشا» «للأمير «نابليون»» وقد آل مصير الخنجر إلى «متحف بركسل» ببلجيكا ، أما الطغراء والأسدان فقد كانا من نصيب «متحف اللوفر» . وكذلك كان «مريت» قد أرسل المرآة مباشرة إلى «متحف اللوفر» . أما الجعران والتعاويذ فقد اختفت ولا نعلم عنها شيئا حتى الآن .

ويعد الخنجر من الآلات الفاخرة التي عثر عليها في الآثار المصرية ، ويبلغ طوله نحو ٣١ سنتيمترا ، ويشبه في صنعه الخنجر الذي وجد مع الملكة «أعح حتب» اللهم إلا في بعض التفاصيل . أما المرآة فكانت مصنوعة من البرنز الذهبي اللون ويبلغ حجمها حجم المرآة التي وجدت مع الملكة «أعح حتب» .

ما يستنبط من دفن الملك « كامس » بصفة تقريبية :

ويمكننا أن نستخلص بعض حقائق هامة من دفن الملك « كامس » بعد تأمل ظواهر الأمور على أن الفرعون قد قضى نحبه بعد حكم قصير ، ولم يستطع أن يجهز لنفسه تابوتا ملكيا فخما يتفق مع ملكه ، والظاهر بعد أن خلفه قد دفنه بعد وفاته بوضعه فى تابوت رخيص مما كان يشترى عادة من حانوت المتعهد لأفراد القوم وقد خلفه على العرش « أحمس » وهو الذى وجد سواره على مومية « كامس » والرأى السائد الآن أن « أحمس » كان أخاه الأصغر وهذا ما توحى به كل القرائن التى جمعت من « جبانة طيبة » على أنهما كانا ابنى الفرعون « سقنن رع » والملكة « إعح حتب » ولم نعرف شيئا مباشرا عن آثار هذا الفرعون إلا اللوح الذى وجده « كارنرفون » وسنتكلم عنه فيما بعد ، ولكن من جهة أخرى نعرف اثنين من الكهنة الذين كانوا فى حراسة قبر هذا الملك فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة ، أولهما « مس » الذى كان يحمل ألقابا كهنية فى معبدى الملك « تاعا » والملك « تحتمس » الأول وكان يعمل كاهنا جنازيا للملك « كامس » والكاهن الآخر اسمه « مس » أيضا ، وقد وجد له الأثرى « لانسنج » بعض بقايا من آثاره فى « البرابى » ، وكان يقوم بوظيفة رئيس الكهنة للفرعون . وقد ذكرنا أن « كامس » كان يعد من أرباب القرب الذين يعبدون فى عهد الأسرة التاسعة عشرة .

مقبرة الملك كامس :

وعلى الرغم من أننا عرفنا المكان الذى وجدت فيه موميته فإنه ليس من السهل تحديد موقع قبره الأصلى لأنه من المستحيل علينا أن نحدد مقدار المسافة التى تبعد بين مخبئه وبين مكان دفنه الأصلى ، وموضع قبر هذا الفرعون فى القائمة التى تخص تفتيش القبور الملكية فى ورقة « أبوت » يضعه واحدا من القبور الأخيرة التى وصل إليها المفتشون قبل معبد « منتوحتب الثانى » فى الدير البحرى ، ولا نبعد عن الصواب إذا جعلنا موقع قبره عند النهاية

الجنوبية من واجهة « جبانة ذراع أبو النجا » الشرقية . وفي هذا المكان بالضبط عثر على هرم صغير أقيم من اللبن يرجع عهده إلى عهد الأسرة السابعة عشرة أو الثامنة عشرة ، وإذا حرؤنا على القول بأن هذا الهرم هو قبر الملك « كامس » فإن الأحوال تدل على أنه قبر هذا الملك أو قبر الأمير « أحمس سابا أير » وبخاصة لأنه قد رمم ثانية خوفا من النهب (J. E. A. Vol. X. P. 262.) .

أما القبر الذي وجد فيه « اللورد كارنرفون » لوح هذا الفرعون الخاص بحروب الهكسوس فإنه يبعد عن هذا الهرم بنحو ١٥٠ مترا .

وقد عثر في إحدى المقابر التي تجاور المقبرة التي عثر فيها على لوحة « كارنرفون » على جعران مركب في خاتم من ذهب ومنقوش عليه الإله الطيب « وازخبر رع » معطي الحياة (راجع Newberry. "Scarabs" P. I. XXVI. I) .

ولهذا الفرعون ثلاثة أسلحة في المتاحف الأثرية الانجليزية قد يحتمل أنها من أحد مقابر حاشيته ، وكلها تحمل اسم هذا الفرعون ، وأجمل قطعة بينها سيف من النحاس آية في دقة الصنع ، وهو في مجموعة « إيفانز » منقوش عليه . « واز خبر رع » محبوب « أعح » وعلى نصله كتب أبو الهول الإله الطيب رب القربان « واز خبر رع » ابن أمير شجاع محبوب رع بن « أعح » (القمر) والقوي الجبه « تحوت » ابن الشمس (كامس) منتصرا في الأبدية .

ولا نزاع في أن هذا النقش يشعر بما كان يحسه هذا الملك من الثقة بنفسه في المعركة المقبلة التي كانت تنتظره لطرد الهكسوس من البلاد فيقول . « ابن أمير شجاع » . وقد لقب والده من قبله « تاعا » الشجاع مما يدل على أن هذه الأسرة كانت سبيلة الشجاعة والإقدام في البلاد .

والسلاحان الآخران هما رأسا (بلطتين) متشاكلين وهما مثل (البلطة) الفاخرة التي وجدت مع الملكة « أعح حتب » ، وتوجد إحداهما في مجموعة « إيفانز » والأخرى

وهي أكثر الاثنين حفظا موجودة في المتحف البريطاني[1]، وقد نقش على جانبي أولاهما: "الإله الطيب «واز خبر رع» معطي الحياة ابن الشمس «كامس» أبدا، وعلى إحدى جانبي الأخرى: الإله الطيب «واز خبر رع» معطي الحياة ابن الشمس الحاكم الشجاع أبدا". وعلى الجانب الآخر: "الإله الطيب «واز خبر رع» معطي الحياة ابن الشمس حاكم الجنوب أبدا".

كامس يتخذ لنفسه اسما جديدا:

وربما تجدر ملاحظة هنا أنه قد ظهر اسم غريب ثالث «كامس» على لوحة من متاع أساس مبنى وهـذه اللوحة محفوظة بمتحف «بترى كولج» قد سمى فيها «واز خبر رع» والحاكم العظيم[2]؛ فعلى هذه الآثار نشاهد «كامس» يطلق عليه اسم التتويج «واز خبر رع» «الأمير الشجاع»، «وأمير الجنوب» و «الأمير العظيم»، وبعبارة أخرى نلاحظ أنه لم يتخذ لنفسه اسما شخصيا وحسب بل اتخذ كذلك بدلا من اسمه الشخصي اسما «رسميا»، وهذا ما يدل على أنه تقدم خطوة إلى الأمام أكثر من والده الذي أضاف لاسمه الشخصي صفة «الشجاع»؛ إذ أدخل تجديدا في تأليف الألقاب الفرعونية، يجعل من هذه الصفة ما يدل على اسمه الشخصي. والظاهر أن الفرعون «أحمس» الأول قد حاول محاولات ضخمة ليستمر على هذا النحو فقد وجد ثلاثة خواتم عثر عليها في مقبرة أحد رجال حاشيته المسمى «تحوتي» الكاهن الأول لآمون، ورئيس الخزانة ثلاثة خواتم نقش عليها اسم الفرعون ولقبه بالنقوش التالية: "الإله الطيب «نب بحتي رع» معطي الحياة مخلدا، وابن الشمس «حاكم الأرضين»". وكذلك عثر على جعران في مجموعة «مرفيل» منقوش عليه (نب بحتي حاكم الأرضين)[3]. ففي كل هذه الأمثلة نجد أن اسمه الأصلي «حاكم الأرضين»

---

(١) راجع: Budge, "Archeologia" (1892), P. 86.

(٢) راجع: Newberry, "Scarabs" Pl. XXVI, 2.

(٣) راجع: Petrie, "Ancient Egypt", 1916, P. 27, No. 16.

يحل محل اسمه « أحمس » وبعد كذلك أنه حتى « تحتمس » الأول قد حاول المحافظة على هذا التقليد (١) .

والظاهر أن السبب المباشر الذى دعا أولئك الفراعنة الأماجد الذين يؤلفون باكورة فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ، وهم الذين على يدهم كان القضاء على قوم الهكسوس الغاصبين البلاد إلى المحافظة على هذا التقليد، هو أنهم أرادوا أن يظهروا للعالم المصرى أولا ، وللأمم المجاورة ثانيا أنهم قد أصبحوا حكاما على البلاد ربها وصميمها، وأنهم نالوا ذلك بشجاعتهم، وقوة بأسهم . فبدلا من أن يركبوا أسماءهم بأسماء الآلهة مزجوا أسماءهم بصفات الشجاعة أو ما يدل على القبض على ناصية القطرين ، فنعت « سقنن رع » أول مناضل مع الهكسوس نفسه بالشجاع ، ثم خلفه « كامس » وسمى نفسه « بالأمير الشجاع » ، ثم جاء بعده « أحمس » فأطلق على نفسه « أمير الأرمنين » بدلا من اسم « أحمس » وأخيرا جاء « تحتمس » الأول وقد جلد فسمى نفسه كذلك « أمير الأرمنين » والظاهر أنه بعد أن استقر لتلك الأسرة ملك البلاد نهائيا ، وأخذت فتوحهم تمتد خارج حدود مصر لم يروا ضرورة التسمية بهذه المسميات .

لوح كارنرفون الخاص بحروب الملك « كامس » :

والآن نعود لشرح الجزء الذى قام به هذا الفرعون (أحمس) فى تحرير البلاد كما جاء على لوحة « كارنرفون » .

والواقع أنه هو الذى بدأ محاربة الهكسوس بصفة جدية ، وقد كان النصر حليفه ، إذ هزمهم شمال الأشمونين فى مصر الوسطى ، وقد استقينا معلوماتنا عن حروبه هذه من نقوش على لوح من عصره كتب بالخط الهيراطيقى عثر عليه « اللورد كارنرفون » فى « طيبة » كما سلف ذلك ، وقد كان المظنون فى بادئ

---

(١) راجع Newberry, "Timins Collection," Catalogue, 28, Pl. IX

الأمر أنه حديث خرافة ، ولكن العثور على جزء من لوحة أثرية عليها جزء من نقش النص دل على أنها نص تاريخي ، وقد نشر الأول الأستاذان « جاردنر » و « جن »[1] ووجد الثانية « شفرييه » ونشرها المسيو « لاكو »[2] . وهاك نص لوحة الملك « كامس » وهي بلا شك أول نص تاريخي يعتمد عليه .

« السنة الثالثة » — « حورس الظاهر على عرشه » وصاحب الإلهتين » المعيد الآثار — « حور الذهبي الذي يجعل الأرضين مسرورتين » ملك الوجه القبلي والوجه البحري (واز خبر رع ابن الشمس) " كامس " معطي الحياة مثل « رع » أبد الآبدين ، محبوب « أمون رع » سيد الكرنك .

الملك القوي في « طيبة » « كامس » معطي الحياة مخلدا ، كان ملكا محسنا وكان « رع » ملكا حقيقيا ، وسلمه القوة بالحق الحقيقي ، وقد تكلم جلالته في قصره إلى مجلس كبار الحاشية الذين كانوا في حاشيته قائلا : إلى أي مدى أدرك كنه قوتي هذه عند ما أرى ملكا في « أواريس » وآخر في بلاد « كوش » (بلاد النوبة) وأنا أجلس (في الحكم) مشتركا مع رجل من « العامو » (الهكسوس) ورجل ، وكل رجل منهما مستول على جزء من مصر هذه ؟ وذلك الذي يقاسمني الأرض لا أجعله يمر في ماء مصر حتى « منف » ، تأمل ! إنه يسيطر على « الأشمونين » ، ولا يرتاح رجل لضريبة منهما السخرة (الأسيويين) ولكني سأحاربه وأبقر بطنه ، وإن رغبتي هي تحرير مصر والقضاء على الأسيويين .

وعندئذ قال عظماء مجلسه ... تأمل إنه تقدم الأسيويون حتى وصلوا إلى « القوصية » ، وإنه أخرجوا ألسنتهم لنا حتى آخرها (احتقارا كما يقول الآن) ، إننا في راحة بالقسم الخاص بنا من مصر ، و « الفنتين » قوية ، والأرض الوسطى في جانبنا حتى « القوصية » (مدينة القاطعة الثالثة لمقاطعة الأرنب) ، والقوم يحرثون لنا (أي الهكسوس) أحسن أرضهم ، ومواشينا ترعى في مستنقعات الدلتا البردي ، والحب يرسل لخنازيرنا ، ومواشينا لم تغتصب ... ... بسبب ذلك وهو (السيد) يستولي على أرض العامو (أي أرض الهكسوس) ونحن نملك مصر ، ولكن من يأتي إلى أرضنا ، ومن يعارضنا عندئذ نعارضه

وكانوا قد أغضبوا قلب جلالته (يقرقم حدا) : أما عن عظمتكم هذا ... فإن هؤلاء العامو الذين ... ... فاسألوا فإن سأحارب العامو وإن النصر سيأتي ... يا سكان ...

---

(١) راجع : J. E. A., III P. 95 - 110 & ibid Vol. V

(٢) راجع : A. S. Vol, XXXV P. ill.

الأرض ثانية مع ضياء يوسي الحاكم القوي في طيبة «طيبة» «كامس» حامي مصر . ولقد أقلعت منحدراً في النيل بحارياً الأعزم «القادر» بأمر «آمون» صادق المشورة ، وقد كان جيشي شجاعاً يسير أمامي كأنه عاصفة من نار ، وكان جنود «المازوي» في مقدمة سفننا ليتجسسوا على مواقع الأسيويين ويدمروا مواقعهم شرقاً وغرباً ، ويحسبوا طعامهم وأمتعتهم ، وقد كان جيشي مكتظاً بالمؤن في كل مكان ... وقد أرسلت جيشاً من «المازوي» في حين أني قد أمضيت اليوم ... ...

لأحبس ؟ ... «تتي» بن «بيوبي» داخل «نفروسي» ولم أدعه حتى هزمته عند بعيدة أميال شمال الأشمونين ، (ويقع بين الأشمونين والكوم الأحمر) ، وكنت لا أريد السماح له بالهرب ، ثم جعلت «العامو» الذين اعتدوا على مصر يولون الأدبار ، وقد كان ... كل رجل ... ... فحرره الخامر . وقضيت الليلة في سفينتي وقلبي فرح ، وعندما أضاء النهار انقضضت عليه كالصقر ، وعند ما جاء وقت عطر الفم (الإفطار) كنت قد هزمته وخربت أسواره ، وذبحت قومه ، وجعلت زوجه تنزل إلى شاطئ النهر .

وكان رجال جيشي كالأسود عندما ينقضون على الفريسة ، ومعهم العبيد والقطعان والألبان والعسل ، فاقتسموا ممتلكاتهم وقلوبهم فرحة ، وكانت قلعة «نفروسي» على وشك السقوط ، ولم يكن بالأمر العظيم عندما أن نحبس روحه ؟ ... ... وكانت «برشاق» ... عندما وصلت ، وهربت خيولهم في الداخل ، والحامية (؟) ... ...

معلومات هذا النص .

وإذا فحصنا محتويات هـذا النص فإنه يتضح منـه أن «كامس» أراد أن يخلص مصر من قبضـة الأسيويين الذين لم يكونوا يملكون الدلتـا وحدها ، بل كانوا ولذلك قد زحفوا نحو الجنوب حتى مصر الوسطى وقـد حاول عـظماء الملك «كامس» أن يمنعوه إعلان الحرب قائلين له إنه يتمتع بحقوق زراعية في الأراضي التي يستولي عليهـا الأجنبي (ولا يبعد أن تكون هـذه العبارة الأخيرة حيلة أدبية كان الغرض منها تبرير نوايا «كامس» ، وجعلها أعمالا شريفة عادلة) ولكنه على الرغم من ذلك جهز جيوشه وأقلع شمالا منحدراً في النيـل وهزم الهكسوس هزيمة منكرة عند «نفروسي» (؟) وهـذا المكان غير معروف موقعه ، ولكنه على ما ظهر يقع على مسافة بضعة أميال شمـالي «الأشمونين» ومن المحتمل أنه

يقص علينا في الجزء الذي لم يتلف أن من نتائج هذه الهزيمة طرد الهكسوس ثانية إلى أرض الدلتا حيث نجدهم هناك في عهد الملك الذي خلفه ، غير أن هذا القول لا يخرج عن كونه مجرد زعم قد يصيب وقد يخطئ . هذا وكما نقش في اللوحة علم أن البلاد كانت في زمنه ثلاثة أقسام ، فكانت الدلتا ومصر الوسطى في قبضة الهكسوس ، ومصر العليا يحكمها ملوك « طيبة » في حين أن بلاد النوبة منفصلة عن مصر يحكمها ملك أسود من بلاد « كوش » . ولا يبعد أن « كامس » هذا بعد أن هزم الهكسوس وأرجعهم إلى الدلتا حول نظره نحو بلاد النوبة وهزمها ، واستولى عليها ، إذ نجد اسمه مقرونا باسم أخيه « أحمس » على صخرة بالقرب من أشكت[1] .

وخلف « أحمس الأول » على عرش الملك (١٥٨٠ — ١٥٥٧) الملك « كامس » ، وعلى الرغم من أنهما من أسرة واحدة فإن الملك الجديد كان يعد على حسب ما جاء في « مانيتون » مؤسس الأسرة الثامنة عشرة[2] .

ولا نزاع في أن فكرة « مانيتون » ووضع « أحمس » الأول على رأس أسرة مصرية جديدة كانت فكرة موفقة من الوجهة التاريخية المصرية لأنه هو الذي طرد الهكسوس المغتصبين المصريين ، والمدهش أن معلوماتنا عن هذا العصر من الوجهة الحربية لم تصلنا عن طريق النقوش التاريخية الملكية ، فلم نعثر إلى الآن على نقوش خاصة بالهكسوس جاءتنا عن طريق وثائق الملك « أحمس » اللهم إلا نصا واحدا نجده قد أشار إليهم إشارة عابرة . ونذكر حوادث نعلم من مصادر أخرى أنها قد وقعت ، فقد ذكر لنا على لوحة هامة سنتناول الكلام عنها فيما بعد[3] يقول : « لقد كان زئيره في أراضي « الفنخو » (بلاد فينقيا وسوريا) » .

(١) راجع Weiga(ll), A Report on the Antiquities of Lower Nubia LXV

(٢) راجع Weiga(ll), A Report on the Antiquities of Lower Nubia", Pl. LXV

(٣) راجع Urk IV, 13–6 & J. E. A., V P. 52

النصوص الخاصة بحروب الهكسوس :

ولذلك فلا بد أن نحول أنظارنا إلى ترجمة حياة رجلين من كبار رجال الجندية في عصر هذا الفرعون لنقف على بعض تفاصيل عن طرد الهكسوس . وأولهما هو « أحمس بن أبانا » (أبانا اسم والدته) وقد التحق بخدمة الفرعون « أحمس » في أوائل حكمه ، وقبل مماته ترك لنا قصة تاريخ حياته على جدران قبره بالكاب .

وهاك ما جاء فيها خاصاً بحروب الهكسوس :[1]

يقول الضابط البحري « أحمس » بن « أبانا » (أبانا اسم والدته) صادق القول :

« أيها الناس إني أتكلم إليكم جميعاً ، وأحدثكم بمعرفة الإنعامات التي نلتها ، فقد أنعم علي بالذهب سبع مرات أمام الأرض قاطبة ، وكذلك بالعبيد والإماء ، وكذلك أنعم علي بمساحات من المزارع واسعة جداً ، لأن اسم الرجل الشجاع يمكث في الشيء الذي عمله ولذا لن يفنى (اسمه) في هذه الأرض إلى الأبد .

وهكذا تكلم : لقد نشأت في مدينة (نخب) الكاب الحالية ، وقد كان والدي جندياً لملك الوجه القبلي والوجه البحري المرحوم « سقنن رع » واسمه « بابا » بن « رعنت » ، وقد انخرطت جندياً بدلاً منه على سفينة الثور الوحشي ، في زمن سيد كلا الأرضين ، صادق القول « نب بحتي رع » (أي الملك أحمس) حينما كنت شاباً ، ولم أكن قد اتخذت لي زوجاً ، بل قضيت ليالي في سرير شعر ، وعندما أسست منزلاً (أي تزوجت) نقلت إلى ظهر السفينة المسماة « الشمالية » لأني كنت شجاعاً ، وكنت قد اعتدت مصاحبة الملك على الأقدام ، في خلال أسفاره إلى الخارج في عربته ، وعندما جلسوا أمام مدينة « أواريس » (حاصروها) أظهرت شجاعة ، وأنا على قدمي في حضرة جلالته ، وعلى ذلك رقيت إلى السفينة المسماة « الظهور » في « منف » .

وعندما نشبت الحرب على الماء في القناة « بجدكو أواريس » أسرت أسيراً وأحضرت يداً ، وقد أعلن ذلك لحاجب الفرعون ، ومن أجل هذا أعطيت « ذهب الشجاعة » .

وقد أعيد القتال في هذا المكان ، وقد أسرت أسيراً آخر هناك ، وأحضرت يداً فأعطيت « ذهب الشجاعة » ثانية ، وعندما حاربوا في مصر في الجزء الجنوبي من هذه البلد (أي أواريس) أحضرت أسيراً حياً ، وقد ذهبت به إلى الماء لأنه كان قد أسر في الجهة التي فيها المدينة ، وحملته معي في الماء إلى

---

(1) راجع : J. E. A. Vol. V, P. 48 ff.

سفينة الأخرى ، وقد أعلن حاجب الملك ذلك ، وتأمل ! فقد كوفئت بذهب الشجاعة من جديد ثم سافروا بعد ذلك ليحاربوا « أواويتي » وقد أحضرت من هناك أسلاباً رجلاً [illegible] وقد [illegible] في كوم قرية ونحوي ، وقد أعطانيهم جلالته عبيداً . ثم سافروا ليحاربوا « تيتيان » [illegible] وعندما [illegible] أحضرت من هناك غلامين [illegible] وقد أعطيت ذهب الشجاعة ، وتأمل فإنه [illegible] قد أعطانيها عبيداً

والآن عندما نزل جلالته « تحتمس » (الأول) بعد مجيئه إلى « خنت حن نفر » (بلاد النوبة) ليقضي على [illegible] « بلاد النوبة » وبدأ جلالته مذبحة عظيمة فيهم ، وبعد ذلك أحضرت من هناك غنيمة [illegible] من أجل الملاحة ، وثلاث أيد ، وقد كوفئت بالذهب من جديد [illegible] فقد أعطيت أمتين ، وأقلع جلالته شمالاً وقلبه فرح (بما أحرز) من شجاعة ونصر ، لأنه استولى على الجنوبيين والشماليين .

وبعد ذلك جاء « آآتا » صاحب الجنوب إلا أن ساعة حتفه ، وآلهة الوجه القبلي مستولون عليه ، وقد وجده جلالته في « تنتاعا » (؟) ، وأحضره جلالته أسيراً حياً ، وكذلك أحضر كل قومه غنيمة باردة ، وبعد ذلك أحضرت محاربين أسيرين من سفينة « آآتا » ، وأعطيت خمسة رءوس ونصيباً من الأرض مساحته خمسة « أرورا » في مدينتي ، وقد كوفئ كل الأسطول مثل ذلك .

ثم أتى ذلك المارق المسمى « تتي عن » وقد جمع العصاة معه ، فذبحه جلالته وقضى على أتباعه ، وبعد ذلك أعطيت ثلاثة رءوس وخمسة « أرورا » في مدينتي

وحملت على الماء جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري المرحوم « زسر كارع » (أمنحوتب الأول) عندما كان مقلعاً جنوباً إلى « كوش » ليوسع حدود مصر ، وقد أسر جلالته ذلك النوبي البدوي في وسط جيشه ، وأحضره [illegible] الأغلال ، ولم يفلت واحد منهم [illegible] أراد الفرار [illegible] وكأنهم لم يكن لهم وجود أبداً ، والآن كنت في مقدمة جيشنا ، وقد حاربت بكل شجاعة ، ورأى جلالته شجاعتي ، وقد أحضرت يدين ، وقدمتهما لجلالته ، وعندما قصدوا ليبحثوا عن قومه وماشيته أحضرت أسيراً حياً وقد قدم لجلالته ، وحملت جلالته في يومين إلى مصر من البئر « حرارو » ، وكوفئت على ذلك بالذهب ، ثم أحضرت أمتين غنيمة خلاف اللتين قدمتهما لجلالته ، وقد رقيت إلى وظيفة محارب الملك (لقب حربي)

وقد حملت على ظهر الماء ملك الوجه القبلي والوجه البحري المرحوم « عاخبر كارع » (تحتمس الأول) عندما كان مصعداً جنوباً إلى بلاد النوبة ليقضي على العصيان في كل الأراضي ، وليطرد المغيرين من الأقاليم الصحراوية ، وقد أظهرت شجاعة في حضرته في المياه المضطربة ، [illegible] السفينة [illegible] التلاطم ، وعلى ذلك رقيت ضابطاً بحرياً .

وقد سمع جلالته أن ... وصار جلالته غاضبا عند ذلك كأنه فهد، وأرسل جلالته جيشه، وقد عمل أثرا بينهم في حقل القمح ... وحركات جلالته ... وقد أقيمت حفلة بدعة بلد ساعة، وأسير قومهم أسرى.

ثم عبر جلالته في النهر نحو الشمال، وكل أراضيه الأجنبية في قبضة يده، ورأس ذلك العاصي الخاسر الذي سقط في عهده معلقة في مقدمة سفينة جلالته (الصقر) وأنزلوا في «الكرنك».

وبعد ذلك قام (جلالته) بحملة إلى بلاد «رتنو» ليفصل فيه (أي ليحكم) من كل البلاد الأجنبية، ووصل جلالته جوبية (أي بلاد المريين) أو (سوريا).

وقد وجد جلالته ذلك العاصي عند ما كان يقيم قواده، وقد أحدثت بهم مذبحة عظيمة، وكان أحسره الأسرى الذي أحضرهم جلالته من انتصاراته ... وكسب في مقدمة جيشه، وقد رأى جلالته كيف كنت ... وقد صنعت ... التي بها أسيرا حيا، وقد ... خلاله، وكوفئت بالذهب من جديد، وإني قد أصبحت ... ووصلت إلى سن الشيخوخة، ولكن ... الذي أظهرته كان مثل ... الأول ... إني أستريح في القبر الذي أعددته لنفسي في الأرض ... (المطبعة)

أهمية نصوص تاريخ حياة أحمس بن ابانا

ولقد كان المصري يبذل همه في إلباس الحقائق المجردة ثوبا من التنميق والزخرفة فلم نجد في الوثائق المعاصرة التي في متناولنا شيئا من حقائق التاريخ المجردة الخاصة بالاستيلاء على «أواريس» وهي حادثة تاريخية من الأهمية بمكان اللهم إلا في ترجمة حياة ضابط حربي نقشها على جدران قبره في «الكاب» بصيغة مجيدة.

ولقد ترك لنا «أحمس» آثارا هامة نقشه ومن بينها لوحة كبيرة من الأهمية بمكان حدثنا فيها أثناء عهده عن أعمال هذا الفرعون وما كان لوالدته من المكانة في طرد البلاد، وقد أشار فيها إلى الأعمال الحربية التي قام بها في الكلمات التالية: إنه ملك عظيم «نب رع» يحكم وعظم من شأنه «آمون» فهما عظيمان كالأصبع والممالك كلها قطعة واحدة، وحتى كل ما يشرف عليه «رع» وسكان الصحراء يغترون منه خاضعين في موكبه، ويقفون ببابه ويحيونه بين أهل البر ...

وتأثيره فى أراضى « الشمر » والخوف من جلالته فى قلب هـذه الأرض مثل الإله « ست » فى عام حصوده . وهم يحضرون له الجزية الطيبة ، حاملين بالعطايا لهذا الملك[١] ، فما أعظم الفرق بين هذا وبين الأسلوب التاريخي الذى نعرفه فى الوثائق الباقية ، غير أنه إذا كان الأول كلاما طنانا وثرثرة خالية من المعنى ، مما يجعل نفس الإنسان تثور حنقا ، فإن الثانى يحمل بجذب بقص الحوادث الخاصة كأنه عظام نخرة لجسم جامد لا تدب فيه الحياة .

وعلى أية حال فإنا لا نجد فى قصة « أحمس » غيضة مما تتصف بها المتون المصرية فى مثل هذا الموضوع . ويحتمل أنه هو الذى قد أملاها بنفسه ، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن ننظر إليه من جانبنا على أنه كان محاربا مسنا يقص قصته بصراحة دون أن يرى المساته الصادقة فى تنميق الألفاظ والإسفاف مع الإسهاب فى التعبير ، والظاهر أن والده كان جنديا بسيطا أو بحارا وحسب ، وتاريخ الأسرة هنا يكشف لنا عن كيفية ظهور طبقة جديدة موالية مخلصة حول الفرعون فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، إذ بعد مضى عمر ثلاثة سنة تقريبا فى عهد « رعمسيس » الثانى عن المنازعات القضائية لأسرة قد كونت ثروتها مثل « أحمس » بن « أباتا » من جهة أرض قسمها « أحمس » الأول لفرد يدعى « نشى » كان صاحب أمينا للسفن[٢] . وفى بداية ترجمة حياته نجد « أحمس » يفتخر بأنه قد كون أراضى كثيرة جدا ، ومن الجائز أن نواة هذه الثروة هى الهبة الصغرى من الأرض التى كافأ بها « أحمس » الأول ، وهى التى تبلغ مساحتها فى هذه المرة خمسة (أرورا) أى نحو ثلاثة أفدنة ونصف فدان تقريبا ، وبعد ذلك بقليل أعطى مثلها ، والظاهر على الرغم مما ورد من تهشم أن أحد الملوك الذين أتوا بعد « أحمس » قد منحه فصلا عن هذه ستين أرورا أخرى (أى نحو ٤٢ فدانا تقريبا) ، وإذا أضفنا المنح الأخرى التى

(١) راجع Sethe, "Urkunden, IV", PP. 17 - 18.
(٢) راجع Gardiner, "Inscriptions of Mes", P. 25.

قد ساح عددها في الفترات التي غبدها في الذي أمكننا أن نقدر ضيعته نحو مائة أورور عند موته ، أو ما يقرب من ستة وستين فدانا انجليزيا ، وإذا قرنا هذه المائة والخمسين أرورا التي منحها تحتمس الأول أحد ضباطه أمكننا أن نستنبط أن « أحمس » حتى في نهاية خدمته الحكومية لم يكن قد وصل إلى الوظيفة الرفيعة التي تنسب إليه احيانا (أمير البحر) . والواقع أنه رجل من عامة الشعب قد جمعت له خدمته ثروة طائلة ، ولكنه على وجه التأكيد لم يكن أميرا بحريا للأسطول المصري كما يقال عنه ، ومن المحتمل أنه كان له أقران في مدينته التي ولد فيها . والقائمة الخاصة بالأراضي التي منحها إياه « أحمس » تتبعها قائمة أخرى تنص على العبيد الذين أعطاهم إياه الفرعون .

ومعظم أسماء هذه القائمة هي أسماء مصرية ، ولا بد أن نستنبط على الأقل أن بعض الأجانب الذين ضموا إلى بيت « أحمس » قد غيروا أسماءهم الاجنبية بأسماء مصرية ، والاسم الوحيد الذي يمكن أن نعده (بشيء من الصحة) اسما ساميا هو اسم الأمة « استارام » وهو الذي قد ركب على ما يظهر تركيبا مزجيا مع اسم الإلهة « عشتارت » ، ويقول « بورخارت » إنه يتركب من « عشتارامى » : أي « عشتارت أمي » ؛ وإن كان ذلك ليس محققا ، والاسم « تاموتو » قد قرن بأسماء عبرية مثل « آموص » ، غير أنه وجد أن مصرية من علية القوم تحمل هذا الاسم بعد ذلك العهد بقرن من الزمان .

أحمس بن أبانا وحياته في حروب التحرير

والآن يجب أن نعود للحملة التي اشترك فيها « أحمس » والتي كانت من جرائها منحه « ذهب الشجاعة » خمس دفعات في عهد « أحمس » الأول ومرة في عهد كل من خلفيه ، ويدل حصار « أواريس » من طريقة سرد وقائعه على أنه كان حصارا طويل الأمد . وقد رقى « أحمس » مرة ، وكوفئ مرتين قبل أن يقوم بالعمل الذى توج حياته في هذه الحلقة ؛ ومن المحتمل أن المصريين كانوا قد صفدوا ، وأحصروا على

التقهقر ثانية ما لأنهم كانوا وقتئذ محاربين في الإقليم الواقع جنوبي المدينة، وكذلك
جنوب مرج من مروج النيل كما يظهر، أو قناة وربما كانت تسمى «قناة ريدكو»
وهي تقع بين المدينة وبين المصريين. والظاهر أن «أحمس» قد ركب زورقه
وذهب على متن الماء منحدرا في النهر، وقد أسر واحدا من الهكسوس على الشاطئ
الذي يعسكر عليه الهكسوس، وخاض به في الماء إلى الشاطئ الذي عليه المصريون،
والأسير على ظهره، وقد كوفئ على هذا العمل بالذهب من جديد. والحادث التالي
الذي نسمع عنه هو تخريب «أواريس» وهو الذي منح من أجله عبدا وثلاث إماء
نصيبه من الغنائم، ويذكر أن هذا الحادث قد وصل إلى عهد الإغريق، وذلك لأن
مؤرخا يسمى «بطليموس» المنديسي قد وصف قصة تقويض «أحمس الأول»
«لأواريس» حتى الأرض[1].

وبعد ذلك جاء حصار «شاروهين» وهي بلدة في قبيلة «سيميون» جنوبي
«يوده»، وهي التي قد تقهقر إليها الهكسوس. وقد دامت مدة حصارها ثلاث
سنوات، وقد كان «أحمس» حاضرا، واشترك في الغنائم؛ وقد وجد الأستاذ
«زيته» في مقدمة تاريخ «تحتمس» الثالث المهشم ما يعتبره إشارة إلى استقرار
حامية الهكسوس في «شاروهين» ولكن هذه العبارة تظهر لنا أنها تشير إلى عسكرة
الجنود المصرية في البلدة إلى أن أصبح مركزهم مهددا بعصيان واسع النطاق
في سوريا، وذلك عند ما شعر الفرعون بأنه لابد من تدخله وحمايتهم.

(وترجمة زيته لهذه الفقرة ما يأتي[2]):

«السنة الثانية والعشرون، الشهر الرابع من فصل الشتاء، اليوم الخامس والعشرون من جلالته عند
«ثارو» في أول حملة مظفرة، ليطرد الذين هاجموا حدود مصر بشجاعة ونصر، وبقوة، و...

(١) راجع: Tahan, or ad. Gr. 159 (J. E. A. Vol. 5, P. 54 Note 1
(٢) راجع: Sethe, A. Z. XLVII (1910) P. 84.

وقد هرب منه طريدة من السنين كان فيها الأسيويون يحكمون البلاد اعتباطاً ، والكل يعبدون أمام (أمرائهم الذين كانوا في أواريس) وقد انقضى في أزمان أخرى أن الغاصب التي كانت عساكره كانت في مدينة «شاروهن» وهم الآن من «رع» حتى نهاية الأرض في استعداد للثورة على جلالته » .

غير أن هذه الترجمة قد عارضها الأستاذ «جاردنر» من وجوه عدة[1] .

على أن سقوط «شاروهن» لم ينه حملة «أحمس» الأول في فلسطين ، وذلك لأن لدينا جنديا آخر يدعى «أحمس بننخبت» من مدينة «الكاب» أيضا يخبرنا كيف أنه سار في ركاب الملك إلى «زاهي» أو «فينقيا» حيث أسر أسيرا وبدا . أما عن «أحمس بن أبانا» فإنا نسمع عنه ثانية في بلاد النوبة حيث قام بأعمال جليلة جديدة ، وكوفئ عليها بكرم .

أما الحملتان الأخريان اللتان حارب فيهما في عهد «أحمس» الأول فكانتا على ما يظهر في مصر نفسها حيث قام عصيان أولا بقيادة عدو مغمور الذكر ، قد يحتمل أنه نوبي يدعى «آتا» ، وثانيا عصيان آخر بقيادة شخص يدعى «تتي عان» وهو على مايظهر من اسمه قد يكون مصري المنبت .

ما نستخلصه من رواية أحمس بن أبانا عن حروب الهكسوس :
وعما يؤسف له أن قصة «أحمس بن أبانا» التي تكلمنا عنها الآن ينقصها كثير من التفاصيل الهامة لهذه الحروب ، ومع ذلك فإنا من المكافآت العدة التي نالها «أحمس بن أبانا» ثمنا لشجاعته — وقد كان عثورا متواضعا — نعلم بطريق المصادفة تقريبا أن الهكسوس كانوا قد حلوا على «أحمس» خمس حملات أربعا منها في «أواريس» نفسها . وإذا كانت هذه المنيات قد وقعت في خلال سنة واحدة أو أكثر فلا سبيل إلى معرفة ذلك من النص الذي قدمناه للقارئ ، ولكننا نعلم أنه عند نهاية الهجوم الخامس والأخير قضى على النفوذ الأجنبي جميعه ، إذ قد

(١) راجع J. E. A. Vol. V, P. 54 note 2.

أصبحت « أواريس » مدينة عزيزة في وسط سهول الدلتا . وعلى أثر هذا الانتصار المبين ، اقتفى « أحمس » أثر الهكسوس متجها نحو الجزء الشمالى من صحراء « سينا » إلى أن تحصنوا بمدينة « شاروهن » الواقعة في فلسطين الجنوبية ، وضرب عليهم الحصار فيها ثلاثة أعوام (وشاروهن) بلدة تقع في قبيلة « سيمون » كما سبق ، وعلى الرغم من أن موقع هذه المدينة لم يحقق بالضبط فإنه من المحتمل أنها توجد ببلدة « تل الفارة » الحالية ، وهي معروفة بأنها مؤسسة هكسوسية قوية[(٢)] . وفي النهاية استولى المصريون على المدينة ، وخلافا لهذه الحقيقة العارية عن كل تفصيل لم يقص علينا هذا الجندي إلا ما كسبه لنفسه من غنائم ووصف الشجاعة الذي كوفئ به . أما الفصل التالى في تاريخ حياة « أحمس بن أبانا » فهذا خاص بحملات بلاد النوبة ، وأقل ما نعلمه منها أن حدود البلاد الشمالية كانت في مأمن من أي اعتداء ، ولذلك وليس لدينا بعد ذلك إشارة إلى آسيا في التاريخ المصرى حتى عهد « تحتمس » الأول عندما قاد « أحمس بن أبانا » جيش الفرعون إلى « نهرينا » وهو طاعن في السن كما ذكرنا .

الدور الذي قام به أحمس « بننبت » في حروب الهكسوس :

على أن الحملة التي قام بها « أحمس » الأول على الهكسوس لم تكن نهايتها سقوط « شاروهن » ، وقد رأينا فيما سبق أن الملك نفسه قد أشار إلى الحرب الذي كان يملأ قلوب الناس منه في أراضي « فنخو » . هذا إلى ما جاء ذكره عن حروب هذا الفرعون في آسيا في تاريخ حياة « أحمس بننبت » وهو بطل من أبطال الجندية ولد في نهاية الأسرة السابعة عشرة وعمر حتى عهد الملك « تحتمس » الثالث ، وقد ترك لنا تاريخ حياته على جدران مقبرته في « الكاب »[(٣)] فيقول

---

(١) راجع : Joshua, 19. 6.

(٢) راجع : Albright, "The Archeology of Palestine & the Bible" 2nd. ed. New York 1933, P. 53 & n. n. 82 - 84.

(٣) راجع : Breasted, A. R. II, §. 20; Urkunden IV, P. 35, 17

« لقد وافقت ملك الوجه القبلي والوجه البحري « نب بحتي رع » (أحمس الأول) المرحوم وقد عينت له من « زاهي » أسيوا حيا ويدا " و « زاهي » هذه تعرف على وجه عام عند المؤرخين بأنها « بلاد فينقيا »[1] ولكنا في الواقع لا نعرف لأراضي « الفنخو » التي سبق ذكرها حدودا جغرافية معينة قد وضعها الباحثون في عصرنا ، كما أن القدماء لم يحددوها لنا ، وكل ما نعلمه أنها كانت على وجه التأكيد تقع شمالي « شاروهن » » .

الاشارة إلى حروب الهكسوس في النقوش المصرية :

وهذه المصادر السابقة التي لا تعد قلة هي كل ما وصل إلينا من وثائق مدونة عن تاريخ الهكسوس السياسي حتى وقت طردهم من مصر جملة . وقد كان الفراعنة الذين جاءوا بعد هذا الحادث الجلل في تاريخ البلاد يشيرون إليه في نقوشهم وإلى ما لاقته البلاد من بؤس وشقاء في عهد أولئك الغزاة القساة ، فنجد على ما يظهر « تحتمس » الأول يشير إلى ذلك في نقوش لوحة كشف عنها في « العرابة » قال فيها لقد جعلت حدود مصر تمتد إلى ما تحيط به الشمس ، ولقد حبات النصر لأولئك الذين في وجل ، ولقد أبعدت الشر عنها ، ولقد جعلت مصر تصبح سيدة ، وكل أرض أصبحت عبيدا لها[2] . ويلحظ في هذه العبارة أن الهكسوس لم يذكروا بالاسم ، غير أنهم من غير جدال كانوا في ذهن المؤلف وهو يكتب هذا المتن[3] . وفي عهد الملكة « حتشبسوت » أصدرت الأوامر بعمل نقش على مدخل المعبد المنحوت في الصخر في « بني حسن » وهو المكان المعروف الآن عند العامة باسم « اصطبل عنتر » ، وعند اليونان باسم « سبيوس » وسنتكلم عنه فيما بعد .

---

(١) [illegible] الأراضي التي على ساحل فينقيا (راجع [illegible]
Urk. P. 9 note 4.

(٢) راجع Urkunden IV, P. 102, 11 – 16.

(٣) راجع Urkunden IV, P. 647, 12 – 648, 7.

والجزء الخاص بالإعداء في هذا النص هو : «لقد أعززت هذه الأشياء بتدبير قلبي، ولم أغفل بوصفي إنساناً غافلة بل لقد قويت ما تداعى، ولقد رفعت ما تمزق، وذلك منذ أن كان الأسيويون في «أواريس» الشمال ومعهم قبائل جائلة بينهم، هادمين ما كان قائماً، وقد حكموا بدون «رع» وإنه لم يعمل حسب الأمر الإلهي حتى عهد جلالتي» [1].

وفي الوقت الذي كان لا يخامر فيه الشك فكر أي إنسان في أن الهكسوس لم يبق لهم أي نفوذ فعلي مادي في البلاد بعد أوائل الأسرة الثامنة عشرة، كان لا بد من قيام أعمال حفر واسعة النطاق إلى حد ما للاقتناع بأن الهكسوس ظلوا مستوطنين في فلسطين وسوريا حتى عهد «تحتمس» الثالث (١٤٧٩ — ١٤٤٧ ق م) بل ويحتمل حتى عهد «امنحوتب» الثاني (١٤٤٨ — ١٤٢٠ ق م)؛ وقد كان أول من فطن إلى هذه الحقيقة الأستاذ «برستد»، وقد بنى استنباطه هذا على ما لاحظه بدقة الحال من أحوال بداية الأسرة الثامنة عشرة في غربي آسيا [2]، فقد رأى أن آخر طائفة الهكسوس لم يقض عليها إلا في حروب «تحتمس» الثالث. وقد وصل الأستاذ «زيته» كذلك إلى نفس النتيجة التي وصل إليها «برستد» بانياً رأيه على لقب كان يحمله كل من «تحتمس» الثالث وابنه «امنحوتب» الثاني، وهذا اللقب هو: «ضارب الهكسوس الذين هاجموه (حوى حقاو خاسوت جمو سو) [3]. وكذلك نجد عبارة تشير إلى وجود هذا اللقب في عهد «امنحوتب» الثاني على لوحة عثر عليها في «أماداً» [4].

وسنرى فيما بعد إلى أي حد قد حققت الحفائر هذا الرأي.

(1) راجع [illegible] Urkunden IV. P. 390 ff. & J. E. A. XXXII P. 46 etc.

(2) راجع Breasted, "A History of Egypt" P. 290.

(3) راجع A. Z. XLVIII P. 56 f.

(4) راجع Ibid P. 8[illegible]

مدى نفوذ الهكسوس في مصر :

وقبل أن نترك موضوع الهكسوس كما عرفهم من المصادر المكتوبة يستحسن أن نفحص باختصار مدى امتداد نفوذهم الجغرافي في مصر خلال احتلالهم لها . فقد روى لنا «مانيتون» أن الهكسوس عند غزوهم البلاد قد استولوا عليها جميعاً، غير أن هـذا التعميم يحتاج إلى اثبات بطبيعة الحال . ونحن لا نشك في أن الدلتا كانت في قبضتهم، وكذلك في العهد الأخير من الأسرة السابعة عشرة امتد سلطانهم حتى مصر الوسطى كما يعلم ذلك من لوح « كارنرفون » الأول السالف الذكر ، على أنه لا يمكننا أن نجـزم حتى الآن بما إذا كان الغزاة قـد احتلوا البلاد جنوبي مصر الوسطى أم لا ، هذا على الرغم من وجـود آثار تنسب إلى ملوك الهكسوس في هذه الجهة مثل آثار الملك «خيان» كما ذكرنا سابقاً[1]، وآثار الملك «سوسرن رع» « أبوفيس »[2] وهما ملكان من أعظم ملوك هذا العصر[3].

وقد عارض الأثرى « هول » هـذا الرأى ، إذ كان يرى أن استعمال الملك « أبو فيس » ملك الهكسوس بجانيت « أسوان » لا يمكن أن يتأتى إلا إذا كان مسيطراً على البـلاد حتى الشلال الأول[4] . وهذا الرأى مقنوض لأن وجود رخام بلدة « كارارا » خارج إيطاليا لا يعني أن إيطاليا بلد محتلة. والواقع أن التبادل المشترك أو التجارة وحدها يمكن أن يكون السبب في وجود الأحجار التى تستخرج من أرض الجنوب في بلاد الشمال .

---

(١) راجع Daressy, "Rec. Trav, XVI. (1894) P. 42, No. LXXXVIII

(٢) راجع : ibid XIV, P. 26, No. XXX.

(٣) راجع Newberry P. S. B. A. XXX, P. 119 f

يعتقد الأستاذ « نيوبري » أن الهكسوس لم يحتلوا البلاد فقط حتى «القوصية» وقد بنى استنتاجه هذا على ما ظهر حديثاً من مصر الجنوبية من لوح « كارنرفون » ومن نقوش « اسطبل عنتر » التي يظهر منها أن « حتشبسوت » وجدت ضرورة لإعادة بناء معابد حتى المعبد الموجود بجوار «القوصية» .

(٤) راجع Hall, "The Ancient History of the Near East" (1920) P. 225.

على أنه توجد بعض أدلة قد تبرهن على أن ملوك الهكسوس كان لهم سلطان في الجنوب . فمثلا نلاحظ أن الملك « خيان » خلافا لتسميته نفسه « حاكم البلاد الأجنبية » كان يحمل لقب « صاحب الأرضين » أي مصر السفلى ومصر العليا[1] . حقا إن هذا اللقب له تأثيره على الآذان ، ولكن هل عندنا في نفسه برهان صادق يعتمد عليه كما هو ؟ إن بعض ملوك الأسرة السابعة عشرة لم يحكموا طيبة التي كانت وقتئذ في قبضة الهكسوس ، ومع ذلك فقد استعملوا ألقابا طنانة مثل « ملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري » وكذلك « رب الأرضين » مما يدل على أنهم كانوا يحكمون البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وهذا ما لا يبرره الواقع . ومن جهة أخرى تدل الأحوال على أنه من الجائز أن تكون البلاد كلها منذ بداية حكم الهكسوس في الدلتا ، (ويحتمل كذلك معظم مدة حكمهم) كانت تحكم نفسها بنفسها بموافقة الغزاة .

ولدينا براهين معاصرة قد توضح لنا ذلك ، ففي نهاية الأسرة السابعة عشرة نشاهد أن الملك « سقنن رع » الشجاع ، كان يحكم في « طيبة » تحت نفوذ ملك الهكسوس كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق . ولكن من جهة أخرى ليس لدينا براهين فاصلة عن هذا النوع من الحكم في بداية عهد الهكسوس والعصر الذي جاء بعده ، وليس في استطاعتنا أن نجزم بأن الهكسوس كانوا يسيطرون على الإقليم الذي فيه « طيبة » أو الإقليم الذي في جنوبها إلى أن تصل إلينا معلومات تؤكد ذلك . وكل ما يمكن زعمه في هذا الصدد هو أن بلاد الجنوب كانت تدفع جزية لعاصمة الهكسوس أصحاب السيادة في الدلتا ، وقد بقيت الحال كذلك حتى مل أهل الصعيد دفع الجزية وأخذت قوتهم تزداد تدريجا حتى انتهى بهم الأمر إلى أن هبوا في وجه الغزاة وهزموهم ، وأخرجوهم من ديارهم أذلاء مشردين .

(١) راجع : Edward Naville, "Bubastis", Pl. XII & XXV A.

الهكسوس من المصادر الأثرية

لا جدال في أن علم الآثار منفردا لا يمكنه أن يمدنا بنوع المعلومات التي تمدنا بها الوثائق المكتوبة اللهم إلا إذا وجدت الوثائق في أثناء الحفر ؛ لأن معظم القطع الأثرية تكون عارية من النقوش . والواقع أن المخطوطات تبحث في الآراء والحوادث والشخصيات ، أما الآثار فخاصة بالأشياء الأكثر مادية . غير أن هذه الأشياء المادية قد تنطق أحيانا عما لا تنطق به أية وثائق .

والواقع أنها قد نمت معلوماتنا كثيرا عن الهكسوس . هذا ونجد أن كلا من المصدرين مكمل للآخر كما أنه لا يمكن الاعتماد على واحد منهما دون الآخر .

ومع أنه قد تظهر مادة جديدة في عالم الوجود في أية لحظة زيادة عما كشف ، فإنه مما لا شك فيه الآن أن الهيكل العظمي الأثري لهذا العصر يمكن أن نعتبره قد تكون وأصبح شكلا ظاهرا . ويرجع معظم الفضل في ذلك للأستاذ « ألبرت (Albright) » أولا لما قام به من حفائر علمية دقيقة في « تل بيت مرسيم » في « يهوذا » وثانيا لتطبيقه علم الآثار المقارن ، ولا أدل على ذلك من تقاريره عن حفائر « تل بيت مرسيم » [1] .

غير أن عمل « ألبرت » كان لا يمكن أن يأتي بثماره المطلوبة دون الملاحظات السابقة التي أدلى بها كبار الباحثين مثل الأب « فنسان » و « كلارنس فشر » [2] .

وإذا حاولنا أن نضع هنا بيانا مختصرا قد لا يفي بالمقصود عن الطريقة اللازمة للوصول إلى هذا الغرض ، فإن ذلك قد يؤدي إلى وجوب تحقيق المواد

---

(١) راجع Speiser, in Annual of the American Schools of Oriental Reseach, XII, (1932) and XIII, 55-127

(٢) راجع Pere Vincent & Clarence S. Fisher

التي صنعها الهكسوس أو استعملوها في حياتهم . والواقع أنه قد عرضت
للباحث في مدى الأمر عدة عقبات ، فقبل البحث المقارن كان بعض الآثار
الخاصة بالهكسوس وعصرهم (وهي التي لم تكن معروفة بأنها من صناعة الهكسوس)
قد أرخت بعهد متأخر يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد . وهذه النقطة قد
صححت في الحال، ويرجع معظم الفضل في ذلك لوجود جعارين معروف تاريخها
مع تلك الآثار ، ومن ثم أصبحت المسألة تنحصر في درس هذه الآثار على أنها
داخلة في نطاق عهد الهكسوس .

الكشوف الأثرية في فلسطين تزيد في معلوماتنا عن الهكسوس :

وقد تقدمت معلوماتنا تقدماً محسوساً في هذا السبيل في خلال السنين القليلة
الماضية ، ومن العجيب أن هذا التقدم في الحصول على معلومات في هذا الصدد
لا يرجع كثيراً لمصر كما يرجع إلى فلسطين . وهذا الموقف يعزى إلى أن فلسطين
من الوجهة الأثرية بلد فقير ، إذ ليس فيها معابد فخمة أو مقابر عظيمة كما يوجد
في مصر، ولذلك كان لزاماً على الأثري أن يتعرف ثانية تاريخ البلاد القديم من
فحص بقايا البلاد التي دفنت منذ زمن بعيد بكل دقة وعناية ، وقد كانت نتيجة
ذلك أنه أصبح في مقدور الأثري أن يضع المواد الأثرية الخاصة بعهد الهكسوس ،
في مكانها التاريخي بدقة بسبب ارتفاع التل في طبقات ترشدنا الآن ، إذ لا نزاع
في أن فلسطين هي المكان الذي يجب أن نتطلع إليه قبل أي مكان للعثور على آثار
قد تأثرت بمدنية الهكسوس

أما في « سوريا » فإن التقدم في هذا السبيل يسير ببطء واضح ، غير أنه
يجب أن نحول أنظارنا في الوقت الحاضر نحو « فلسطين » وما يكشف فيها من
آثار عثر عليها حسب حفائر نظمت مواقعها وفق الطبقات التي خرجت منها ؛
إذ تعتبر فلسطين الرابطة الحلقة لعصر الهكسوس في سوريا ومصر .

الدور الذي لعبته قطع الفخار في التاريخ . ولسنا في حاجة لتأكيد الدور الذي لعبته قطع الفخار في تقدم التاريخ الصحيح على حسبها . والواقع أنه على أثر إمكان تحديد فخار عصر الهكسوس، قد أصبح من الممكن أن نعرف نواحي أخرى من ثقافة هؤلاء القوم . فالآلات المعدنية مثلا التي كانت في العادة توجد جنبا لجنب مع فخار عصر الهكسوس يمكن عدها من صناعة الهكسوس أيضا . والواقع أنه أصبح من الميسور درس كل نواحي بلد ما من جهة الحياة، والعادات والجبانات الهكسوسية .

ومع وجود أشكال عدة من الفخار في « فلسطين » خاصة بعهد الهكسوس ، فإنها كلها لا تعنينا في هذا البحث . وسيكفي لغرضنا هنا ذكر القليل منها الذي يعد من إنتاج الهكسوس بكل معاني الكلمة .

طراز فخار تل اليهودية :

وأحسن طراز معروف خاص بعصر الهكسوس هو ما يسمى طراز « تل اليهودية » ، وقد سمي بذلك من اسم موقع هام بحسب الهكسوس في الدلتا ، حيث قد وجد فيه هذا النوع من الفخار بكثرة [1] . وهذا الفخار كمثرى الشكل ذو رقبة طويلة ضيقة ، ومقبضه تمتد من كتف الإناء إلى حافته ، وتمتاز بأنها مزدوجة . وتنتهي قاعدته في الغالب بزر . وظاهر الإناء مصقول، ولونه في العادة أسود ضارب، أو برتقالي لامع، وعندما يكون لون الإناء أسود فإن ظاهره يكون غالبا محلى بأشكال مخططة غائرة . وهذه الخطوط الغائرة المؤلفة هذه الأشكال مملوءة بعجينة بيضاء اللون .

وكذلك يوجد طرازان آخران خاصان بعهد الهكسوس كبيرا الحجم نسبيا، ولكل واحد منهما مقبض مثبت عند كتف الإناء [2] هذا إلى إبريق صغير ظريف الشكل

(١) راجع Petrie, "Hyksos & Israelite Cities" (London 1906) Pl. VIII. P. 36 & 38.

(٢) راجع Petrie, "Ancient Gaza", II (London 1932) Pl. XXXII. P. 43c 4.

له قاعدة ملبية[1] . ومن ذلك يرى في الحال أنه عندما يحترف الإنسان على طراز من هــذا الذي ذكرنا بأنه من صناعة المكسوس ، يصبح مساعدا ذا قيمة لا تقدر لكشف المواقع التي كان يحتلها المكسوس .

ظهور فخار من طراز جديد يدل على هجرة قوم جدد

ويلاحظ أنه بعد أن وطد المكسوس أقدامهم بمدة في فلسطين قامت حركة هجرة أخرى تركت أثرها في البلاد، وليس لدينا وثائق مدونة من فلسطين تدلنا على من هم هؤلاء القوم الجدد ، ولكن الفخار ذا اللونين الذي كان يرسم عليه غالب أشكال طير أو طيره أو سمكة[2] ، هو الذي كان يستعمله هؤلاء القوم ، هذا بالإضافة إلى أختامهم الأسطوانية الشكل ذات الطابع الخاص التي تجعلنا إذا ما قرناها بمثيلاتها مما يصنع في شمال « مسوبوتاميا » نقترح بأن هؤلاء حوريون . وبعبارة أخرى نقول إن العناصر الجديدة من الفخار التي دخلت « فلسطين » يمكن قرنها بمواد استعملها قوم يسكنون شمال « مسوبوتاميا» كانوا يتكلمون اللغة الحورانية[4] ، وسنستعمل كلمة « حوراني » في هذا المعنى هنا ، وإن كنا سنبرر استعمال هــذا الاسم بأسباب أخرى فيما بعد .

وهــذه العناصر الجديدة من الفخار مع كونها « حورانيــة » يجب أن تعتبر هكسوسية لأن الأساس الثقافي الذي وضعت قواعده على يد الهكسوس الأول قد امتزجنا تماما مع الثقافة الجديدة ، وكذلك لأن هــذا التعبير الجديد قــد ظهر

---

(١) راجع : e. g. O. I. P. XXXIII. Pl. 23 6.

(٢) راجع Ibid Pl. 46 14,-16. and 47 14-17

(٣) راجع of Kirkuk Nuzi type, See ibid P. 182-84 for Comparison of Seal designs from Nuzi & Megiddo

(٤) راجع : Speiser in A. A. S. O. R. XIII. P. 13-54.

في مصر قبل طرد الهكسوس منها بمدة ما (راجع المصدر عن ظهور الفخار الحوراني في العصر الذي يقع قبل الأسرة الثامنة عشرة في مصر فيما يأتي)[1] .

أما فيما يخص فلسطين وسوريا فإنه كانت توجد ثقافتان تنسب إحداهما إلى الأخرى في خلال احتلال الهكسوس البلاد .

علاقة الهكسوس ببلاد ميزوبوتاميا :

ويلاحظ أنه لم يرد إلى مصر أي صنف من الفخار الذي ذكرناه آنفاً، ولكن هذا لا يمنع نقل بعض الأفكار الصناعية إليها ، وهذا مؤكد على ما يظهر في التقدم الزخرفي الذي يشاهد على القدور ، ولكن الأوعية نفسها كانت تصنع في مصر كما يرى من ذلك وجود المصانع المحلية الخاصة بها ووجود مقدار عظيم من الطراز الحوراني يجعلنا نعتقد أن نرجع سبب ذلك إلى هجرة مباشرة من بلاد «خوري» الواقعة شمالي «ميزوبوتاميا» إلى مصر، على أنه من جهة أخرى توجد بعض أشياء مستوردة لا يحتمل الشك شاهدناها في زمن حروب الهكسوس ، وفي معاقل هذا العصر ، وهذه الواردات معظمها من «قبرص» .

انتشار تجارة الهكسوس ومدنيتهم : وفي الوقت نفسه نجد أواني من صناعة «الهكسوس» في «قبرص» مما يوحي بتبادل تجاري بين البلدين[2] ولم تكن التجارة كاسدة في عهد الهكسوس ، بل كان من المحتمل وجود موانئ بحرية أكثر نشاطاً على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط في ذلك العصر ، وكان يرد

---

(١) راجع Petrie & Guy Brunton, "Sedement" (London 1924) I. Pl. XLV, 67-68 & 71 , George Moller, "Die archeol Ergebnisse des Vorgesch Grabfeldes von Abusir el Meleq" Alexander Scharff (W. V D O. G. XLIX. (1926). Pl. 70: 484-85; Brunton, "Qua & Badari." III. Pl. XVI, 55 P & R.

(٢) راجع Diedrich Fimmen "Die Kretisch-Mykenische Kultur" Leipzig und Berlin (1914. P. 159 Fig 158.

عددها على ما هو موجود الآن ، وقد كان الهكسوس أصحاب نشاط كذلك فى ميدان صناعة المعادن[1] ، وتدل التحاليل التى أجريت فى المعادن التى عثر عليها فى فلسطين أن النحاس كان المعدن العام المستعمل فى العهود التى قبل عصر الهكسوس ، ولكن عند وفود القوم الجدد على البلاد أمكننا أن نرى بداية حلول عصر استعمال البرنز ، ومن المعلوم أن أول ظهور البرنز فى أى مجتمع كان له دائما تأثير انقلابى ، وذلك لأن مقدار القصدير الذى يضاف إلى النحاس ، وهو المادة الهامة فى تكوين سبيكة البرنز ، يكون عونا فى الحال على إحداث تحسينات هينة ، لأن السبيكة الناتجة من هذا المزج تسهل عمل قالب تقليب ، وكذلك تنتج معدنا أشد صلابة وأكثر لمعا ، فضلا عن انصهاره بدرجة حرارة منخفضة[2] . وتوجد ميزة أخرى لهذه السبيكة ، وهى إمكان صبها فى قوالب مقفلة تكون نتيجتها إخراج أشكال جديدة .

وقد أحضر الهكسوس معهم هذا الفتح الفنى إلى البلاد فى صورة بالية ربما بارعا ، ومن المحتمل أن فوائده كانت ظاهرة فى حالات عدة فى معاملاتهم مع البلاد التى لم تكن تعرف بعد البرنز وبخاصة مصر .

وليس من الضرورى أن نعالج هنا أشكالا معدنية معينة[3] لأن بعض هذه سيشار إليه عند فحص مسائل نوعية ، ونكتفى هنا الآن أن نقرر بأنه يوجد طراز خاص

---

(١) راجع فحص تحليل المعادن التى وجدت فى « جمه » (O. I. P. XXXIII, P. 161)
وقد نسب « دنجان » قطعة من النقوش المصرية عثر عليها أفراد بعثته بجزيرة فى صورة سباك من عهد الأهيسوس يسمى « وبتى » إلى الأسرة الثامنة عشرة (راجع "Palace of Minos", II. (London 1928) P. 179-B) وقد ترجم قاموس برلين كلمة « وبتى » بصهير ولكن « ريمان » يقول أنها تعنى مفتح op. cit. P. 177 no. 3.

(٢) راجع : Lucas, "Ancient Egyptian Materials", 2nd. Ed rev. (London, 1934) P. 174.

(٣) راجع فحص ذلك فى « جمه » O. I. P. XXXIII, P. 163-77

يشمل الأسلحة والجوهرات التي كانت على ما يظهر مميزة لعهد الهكسوس ،
وذلك علاوة على أشياء أخرى مثل المسامير والأواني المصنوعة من الزجاج ،
والطمغة «الجعل» ، ومواد أخرى عثر عليها في بلاد أو مناطق تنسب إلى الهكسوس .

طراز التحصينات الخاص بالهكسوس : وطراز تحصين المدن الذي كان من أعظم مميزات الهكسوس يتألف من طوار منحدر أو استحكام يبنى حوله جدار المدينة نفسها . وزيادة في التحصين كان يحاط بحصن خندق أو حفرة في جانب الأحيان . وكان يستعمل في إقامة مثل هذا الطوار غالبا المواد الموجودة في البيئة التي أقيم فيها هذا المبنى مثل الرمل والطين واللبن والأحجار والحصى ، وكان تصميم سور مدن الهكسوس يلجأ إلى حد ما التكوين الطبيعي للأرض التي ستقام عليها المدينة ، فإذا كانت الهضبة الحديثة قد عقدت العزم على أن تقيم بلدتها مثلا على تل بيضي الشكل أو غير منتظم الأضلاع لأجل أن تكون بالقرب من عين ... أو المستنقع من الماء على قمة ، فإن أفرادها في مثل هذه الأحوال يبنون جدرانهم حسب طبيعة المكان وما فيه من شذوذ[1] .

(١) وقد عثر الأثريون في المعبد العام في تل المتسلم الذي عثر عليه شوماخر على جدار عهد الهكسوس (راجع : "Tell el Mutesellim", I (Leipzig, 1908, Pl. I ، والأماكن الأخرى التي عثر عليها في تل بيت مرسيم Albright, in A. A. S. O. R. XII, P. 19; B. A. S. O. R. No. 47 (Oct. 1932) P.P. 8 f., "Archaeology of Palestine and the Bible", [2nd Ed.] P. 86; Tell el Duweir (J. L. Starkey in P. E. F. Q. S. (1934) PP. 167 - 70), Jericho (John Garstang: P. E. F. Q. S. (1930) Pls. IV & VI, (1931) PP. 187 - 90), Tell Taa'annak Ernst Sellin, "Tell Taa'annak", K. Akademie der Wissenschaften in Wien "Denkschriften" L. 4 (1904) Plan following Pl. XIII. Tell el'Ajjul, Petrie, "Ancient Gaza", II, 1, 3 and 13. and Pls. XLIV, LIV, Tell el Fara, (Petrie, "Beth Pelet" I, 16, Pl. XIII), Ascalon (Garstang, P. E. F. Q. S., 1922 PP. 122 ff. and Joshua - Judges [London, 1931] P. 359), Tell el Hasi, (F. J. Bliss, "A Mound of Many Cities," (New York and London, 1894], P. 16.

وهـذا أمر على ما يظهر طبيعي جدا ، ومن خصائص بعض تحصينات الهكسوس أنها تميل إلى الشكل المستطيل أو المربع حيثما تسمح بذلك طبيعة الأرض التي سيقام عليها المبنى . هـذا وقد لفت نظر الباحثين أن جوانب هذه المباني أو أركانها ، كانت تمام مواجهة الجهات الأربع الأصلية ، وقد كشف عن مثل هـذه التحصينات في الوجه البحري ، وفي فلسطين وسوريا ، وفي معظم الأحيان قد عرفت أنها من مباني « الهكسوس » بخصائصها ، وقد كان أحسن معسكر مستطيل الشكل وهو الأول الذي عرف أنه من بناء الهكسوس هو المعروف الآن « بتل اليهودية » في الدلتا[1] .

وصف حصن تل اليهودية : وكانت مساحة المبنى نحو ١١٠٠ قـدم مربع من الداخل ، وأركانه مستديرة ، وله رصيف من الرمل محاط بالحصى ، وقد دعم بشبكة من الداخل بجدار ولكن كان يبلغ السمك عند القاعدة ما بين ١٣٠ و ٢٠٠ قدم ، أما في الجسر الأعلى فكان يتراوح ما بين ٥٠ إلى ٧٠ قدما ، وكان الطوار يتحدر بزاوية متوسط انحرافها نحو أربعين درجة . وتدل الشواهد على أن الاستحكام لم يكن يعلوه جدار ، لأنه كان جانبه عاليا بقدر الحاجة ، وكان لهـذا الحصن طريق طويلة منحدرة تؤدي إلى باب حصن أقيم على قمة الاستحكام . وعلى مسافة أحد عشر ميلا جنوبي « هليوبوليس » أقيم بناء مماثل للسابق ، غير أنه كان أكثر دقة منه ، مربع الشكل ، أركانه مستديرة ، ولم يكن له على ما يظهر مدخل على مستوى الطريق العامة[2] ، ويشير هنا « بترى » إلى مطارات لمرى خشبية مسورة دون وجود أي باب أصلي ، وقد خط مثل ذلك في الدلتا ، وكذلك في مصر الوسطى .

(١) راجع Petrie ... tykims & Israelite Cities", Pl. II-IV & PP. 3-10.

(٢) راجع Hazon W. M. F. Petrie & Ernest Mackay, "Heliopolis, Kafr Ammar and Shurafa" (London 1915) Pls. I-VI & P. P. 3.

وفي فلسطين كشف عن موقعين حصن كل منهما على وجه عام مستطيل الشكل ، وفي سوريا كشف عدد من هذا الطراز أهمها الحصن الذي وجد عند بلدة « مشرفة » (قطنا القديمة)[2] ، وحجم هذا الحصن عظيم جدا إذ تبلغ مساحته مساحة « تل اليهودية » ست مرات . والواقع أن كل المواقع التي أقامها الهكسوس كانت تحتوي على طوار في صورة ما .

ويظهر على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا أن الطوار والاستحكام المربع كانا فكرة خاصة بالهكسوس ، ولذلك عندما نرى هذا الشكل من البناء في « سوريا » أو في « فلسطين » أو في « مصر » نعرف أنها أقاليم خاصة لنفوذ الهكسوس ، وإذا حكمنا على الهكسوس من هذه الناحية فقط لقلنا أيضا أنهم شعب محارب ، ولدينا في الواقع من الأسباب الأخرى ما يحملنا على الاعتقاد بأن الهكسوس كانوا كذلك في بعض الأوقات ، وهذه الآراء الجديدة ، وكل الآراء الأخرى التي تصادفنا في الأوساط الهكسوسية تجعل الإنسان بطبيعة الحال يفحص مسائل أصلهم ، وسنقوم بمحاولة الإجابة على بعض هذه المسائل في فصل خاص .

الهكسوس يجلبون الخيل والعربات إلى مصر : وإذا كنا نرى أن كثيرا من نجاح الهكسوس يرجع إلى أسلحتهم المتفوقة وحصونهم الممتازة ، فلا يبعد عن الصواب إذا قلنا إن الخيل والعربات قد لعبت دورا كبيرا في انتصاراتهم ، والواقع أن الهكسوس كانوا يعتبرون منذ زمن بعيد أنهم هم الذين جلبوا هذه العناصر الحديثة الهامة من آسيا إلى مصر ، وقد كان سندنا الهام في ذلك التوراة ، وقد كانت أول

---

(١) راجع Garstang in A. A. A. XIV (1927) 35-42 & Joshua-Judges (مصدر) P 371-83, &Sechem ([illegible]) Gabriel Welter in Archeologi Scher Anzeiger etc. (1932), cols, 294-96 & Albright, in J P O S XV (1935), P 224

(٢) راجع "Du Mesnil du Buisson", La Site Archeologique, de Mishrife-Qatna (Paris 1935) P P 40-42, & Pls. I-L. etc

إشارة وردت في المتون المصرية عن الخيل واستعمالها في المتون المصرية ، جاء في لوح « كارنرفون » الأول بلفظة « حترو » أي الخيل[1] ، والآن يأتي علم الآثار متقنا نص القصة ، فقد أمدتنا الحفائر التي قام بها السير « فلندرز بترى » في « تل العجول » الواقع في جنوب فلسطين بمعلومات عظيمة عن الحصان بوصفه حيوانا خاصا بالهكسوس ، إذ لم يظهر الحصان هنالك حيوانا يسرح فقط ، بل كذلك عثر عليه في ودائع الأساس (أي يقدم قربانا) مما يدل على أنه كان مظهرا هاما من مظاهر الدفن الآدمية ، وكان يوضع بعض القرابين التي توضع مع الميت[2] ، وعلى الرغم من أنه لا توجد إلا أمثلة قليلة نسبيا تدل على امتطاء صهوة ظهور الخيل ، فإن الحصان كان عمله الرئيسي في الأصل ، ينحصر في جر العربة ، وقد بقيت الحال كذلك إلى عصور التاريخ المتأخرة ، والأسباب الداعية لذلك ليست واضحة ، غير أنه من الجائز أن الأحوال التي جلب بسببها الحصان قد تكون هي التي هيأت طريقة استعماله ، أما ما يقال بأن صغر جسم الحصان هو الذي جعله غير صالح للركوب ، فقول مردود على من قاله ، إذ علم أن الحمار كان أصغر جسما من الحصان ، ومع ذلك كان يركب في مصر منذ زمن بعيد جدا قبل عهد الهكسوس .

مظاهر مدنية الهكسوس : ولا نعلم حتى الآن من الآثار عن أحوال الهكسوس ومظاهر حياتهم إلا القليل ، فإذا ألقينا نظرة على حياتهم كما نتصورها على أساس البلاد الأثرية المكشوفة حديثا ، وما عثر عليه في مقابرهم ، اتضح لنا أنهم قوم على جانب عظيم من المدنية ، بل كانوا أكثر تقدما في بعض النواحي من جيرانهم في وادي النيل ، الذين كانوا يعتبرون القوم منهم « عصاتهم

---

(١) راجع : J. E. A. III. P. 107.

(٢) راجع : Petrie, "Ancient Gaza" I. (London 1921) P. 4f. & Pls. VII. IX. LVII, 114 & 14; IV (London 1934) 16. & Pls. XXIII & XXV. mouth-pit.

الحربية ظاهرة فى كثير من المواد التى شاهدناها حتى الآن، ولكن إذا كان ذلك يستلزم أن ننظر إليهم بأنهم قد بقوا قبيلة بالمعنى المتعارف لكلمة قبيلة مدة طويلة بعد نزولهم على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، فإن ذلك لا يرتكز على حقائق ثابتة ، بل على العكس فهنا أمارات تدل على أنهم كانوا يعيشون عيشة منظمة بالمعنى الاجتماعى الصحيح، فقد خططوا البلدان المنظمة التى راجت فيها التجارة ، وقد كان صانع الفخار عضوا هاما فى الجماعة ، فقد كانت أوانيه الجميلة الصنع يوضع فيها محاصيل الحقول الخصبة ، وكان الحداد ، وصانع المجوهرات كل ينتج فى صناعته بمهارة فائقة، ولم تشهد من قبل السواحل الجنوبية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط إتقانا فى ميدان صناعة المعادن ، والواقع أن هذا الإتقان لم يكن مقصورا قبل تقدم عمل السباك والتفنن فيها، وهو ما ظهر على يد الهكسوس فى صناعتها .

ولا نزاع فى أن التجارة بين الجماعات كانت من الأشغال اليومية العادية ، ومع هذا فإن البرهان على ذلك كان يظهر للباحث أصعب وأشق تعقيدا من البرهنة على التجارة بين الأقطار النائية بعضها عن بعض ، فنعلم أن « قبرص » ومصر و « فلسطين » و « سوريا » كانت تتجر سويا فى سوق عظيمة فى خلال عهد احتلال الهكسوس البلاد كله . فقد كان كل ساحل سوريا وفلسطين يزخر بالموانى البحرية الصالحة التجارة ، وكانت المواد الكمالية تأتى من قبرص إلى هذه الموانى ، ثم توزع منها إلى الداخل ، كما كانت محاصيل الهكسوس تتجه إلى قبرص ، فهذه الأمثلة وغيرها توضح لنا بجلاء أن حياة الهكسوس كان لها شأن ومكانة راقية لم يعترف بها كل المؤرخين ، ولا نزاع فى أن كل ما أتى به الهكسوس من جليل الأعمال التى أشرنا إليها لا يمكن أن تتم فى جو كله حروب مستديمة ، بل يجب أن تعزى تلك الأعمال إلى قوم على جانب عظيم من المهارة ، قد اعتنقوا طرائق الحياة المتمدنة التى تحيط بهم عندما حطوا رحالهم واستقر بهم المكان .

الأدلة على وجود الهكسوس في عهد الأسرة الثالثة عشرة

والآن ننتقل إلى نقطة غامضة في تاريخ الهكسوس لم تبحث حتى الآن بطريقة علمية منظمة ، وهي وجود عنصر الهكسوس في مصر في عهد الأسرة الثالثة عشرة ، قبل أن يغزوا البلاد حقاً ، وسنرى أن المواد الأثرية التي كشف عنها قد لعبت دوراً هاماً في كشف النقاب عن الجواب على هذه المسألة ، والواقع أن وضع تاريخ متصل الحلقات مهما كان سليماً في نظرنا ، لابد أن يعتمد في غطائه الأول على المواد الأثرية ، على أن الأهمية السامية لذلك لا يمكن تحقيقها إلا إذا كان هذا السؤال مؤرخاً بطريقة ما ، ثم تحقيقها على ضوء ما يحدثه بالنسبة للأخطار المبطلة ، ونحن هنا سنعالج موضوعاً خارجاً عن حدود عهد احتلال الهكسوس لمصر ، وهو العهد الذي ينحصر على ما يظهر من الشواهد المصرية بين عامي ١٧٥٠ و ١٥٨٠ ق.م . وإذا فحصنا اتجاه حركة هجرة الهكسوس ، رأينا من الواضح أنهم قد استوطنوا سوريا وفلسطين قبل أن يحتلوا البلاد المصرية ، ولكن السؤال الهام هو : ما مقدار السرعة التي احتلت بها هذه الأماكن ؟

والجواب على ذلك يتوقف على طريقة الغارة التي قام بها هؤلاء الغزاة ، هل كان هجوماً خاطفاً عسكرياً أو كانت تقدماً جاء تدريجاً وعلى مهل ، ولكن بقوة متزايدة ذات مفعول محس ؟ ولا نزاع في أن طريق فحص مثل هذا الموضوع مليئة بالأحابيل التي تستلزم اليقظة والانتباه التام . وسنفرض أولاً أن الفخار ، والحصون والأشكال الهندسية ، والمواد الأخرى التي ذكرناها فيما سبق كلها دلائل تحدثنا عن وجود الهكسوس في البلاد ، وقد زعمنا أن كل فخار « تل اليهودية » وكذلك كل الفخار والأشياء الأخرى التي توجد معه ، متصلة بالهكسوس ؛ وكذلك عنصر الثقافة الحديثة الخاصة بعصر البرنز المتوسط ، وهو ذلك العصر الذي يختلف اختلافاً يكاد يكون تاماً عن التقاليد الثقافية لعصر البرنز الأول لأنه جاء عن طريق الشعب الجديد وهم الهكسوس ، فإذا حاز هذا الرأي قبولاً حسناً فإنا نكون

في حل من أن نحاول تاريخ بقايا آثار الهكسوس كما وجدناها في سوريا وفلسطين ومصر.

عندما وجد علماء الآثار طراز أواني «تل اليهودية» لأول مرة عزوه من إنتاج الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة، ولم يكن مفهوما وقتئذ أن هذه الأواني من إنتاج عصر الهكسوس، ولكن عندما عرفت صلتها بالهكسوس فيما بعد تخلى العلماء عن اعتبارها معاصرة للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة، وذلك لأن عصر الهكسوس قد خلف سقوط الدولة الوسطى. ولقد كانت المؤثرات السياسية والثقافية تعتبر إلى حد بعيد متعاصرين، أي أنهما تقعان في عهد واحد. فعلا نجد الأستاذ «بيت» (Peet) يحدثنا بالبيان التالي عن أواني «تل اليهودية»:

أما فيما يتعلق بتاريخ هذه الأواني المرقطة فليس فيه صعوبة كبيرة، إذ لا أعرف مثالا واحدا من عهد الأسرة الثانية عشرة[١]، ولا شك في أن هذا الاستنتاج كان طبيعيا للغاية بالنسبة لمعلومات الوقت الذي قيل فيه، ولكن منذ أن كتب الأستاذ «بيت» ما كتبه، ظهر في جو الكشوف الأثرية براهين جديدة في متناول الباحث الآن، وهي التي على ضوئها أصبح من الممكن إعادة فحص المواد القديمة التي سبق الحكم عليها خطأ. وفي الصفحات التالية سنعرض البراهين الخاصة بهذا الموضوع كما وجدناها في مواقع أثرية تمتد ما بين نوبيا وسوريا.

آثار الهكسوس في «بوهن»: في «بوهن» القريبة من (وادي حلفا) من أعمال بلاد النوبة عثر على عدة أوان من طراز «تل اليهودية»، وقد ذكر كل من الأثريين «راندل ماك ايفر» و«وولى» أنه على الرغم من علمهما بأن طراز «تل اليهودية» هو من مميزات عهد الهكسوس في مصر، فإنهما مع ذلك لم يجدا مخلصا من تأريخ أقدم نوع من هذا الطراز، وهو الذي وجد في «بوهن» بالأسرة

---

(١) راجع Naville and Peet, The Cemetries of Abydus II (London 1914) P. 68

الثانية عشرة ، وذلك لأنه قد عثر على قطعتين أثريتين فى الجبانة القديمة التى وجد فيها هـذا الطراز من الأوانى الفخارية منقوش على كل منهما لقب الفرعون «أمنمحات الثالث» (١٨٤٩ — ١٨٠١ ق.م) هذا ولم يوجد فى هذا المدفن الذى عثر فيه ما يمكن تأريخه بعهد بعد الأسرة الثانية عشرة (١).

آثار الهكسوس فى الفيوم : وقد عثر كذلك فى «الحرجة» الواقعة بالقرب من «الفيوم» على أوانٍ سوداء من طراز «تل اليهودية» المحلى بأشكال مملوءة باللون الأبيض . وقد عثر عليه فى «الجبانة ب» التى تحتوى على مقابر رجعت فى هيئة آثار . وقد أرخت إحدى هذه الآثار بعهد الفرعون «سنوسرت» الثالث (١٨٨٧ — ١٨٤٩ ق.م) (٢) ، وقد وجدت أمثلة أخرى من هذا الطراز فى أكوام من قطع الفخار المنسوبة للفرعون «سنوسرت الثانى» (١٩٠٦ — ١٨٨٧ ق.م). وقد قال مستر «إنجلباخ» إن معظم الأمثلة على ما يظهر قد انحدرت إلينا مع طائفة (٣) الصناع الذين كانوا يعملون فى بناء هرم «سنوسرت الثانى» فى «اللاهون» .

آثار الهكسوس فى اللشت : وقد وجد فى «اللشت» الواقعة عند مدخل الفيوم عدة قطع من طراز «تل اليهودية» ، ومن ذلك إبريق ذو مقبض مزدوج ، وعلى جسمه حلية وحك . وقد وجد فى حفر السنة (٤) مؤرخة بالأسرة الثانية عشرة عدة أوانٍ سوداء هرمية ، ولكنها مقاطع وحسب إلى طراز أوانى «كاهون»

---

(١) راجع D. R. MacIver and Woolley, "Buhen" (Philadelphia 1911) P. P. 34 ff.

(٢) راجع Engelbach, "Harageh" (London 1923) P. 5.

(٣) راجع Ibid. P. 6. Cf. P. 15, reference is made to another pot.

(٤) Pl. ... was found in apparently late 12 Dyn. Context Cf. P. .., against ... the same type (Pl. X. 10) is attributed to 2nd Dyn. This vessel stands alone as evidence of such an early date & naturally requires confirmation.

أى طراز « تل اليهودية[١] » ، وقد وافق المستر « أميروز لاسنج » على هذا التاريخ عند ما كان يتحدث عن أعمال قامت عنده فى نفس هـذا الموقع بقوله . « وجدت قطعة من هذا الفخار (حجرة مغرفة) يرجع تاريخها للأسرة الثانية عشرة ، وقد كانت كل محتوياتها أشياء من الأسرة الثانية عشرة ، غير أنه لم يوجد من بينها قطعة مؤرخة بعهد ملك خاص ، ويجب أن نضيف إلى ما قاله أن هـذه كانت القطعة الوحيدة التى وقعت تحت نظر المستر « لاسنج » مباشرة ، والتى يمكن أن تؤرخ فى نظره بالتحديد إلى عهد يرجع إلى الأسرة الثانية عشرة » على حين أنه كانت توجد قطع أخرى قد تكون من هـذا العهد يمكن أن يرجع تاريخها كذلك إلى العهد الإقطاعى .

وقد كشف فى « كاهون » الواقعة عند مدخل « الفيوم » ، وهى التى ظهرت فى عالم الوجود عند ما أقام « سنوسرت » الثانى هرمه ، عدة أشكال من الفخار المنسوب إلى « سوريا » أو « فلسطين » . ويقول الأستاذ « بترى » إن فخار « تل اليهودية » الأسود اللون قد وجد مع آثار أخرى يرجع تاريخها للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة[٢] ، ولكنه قال فيما بعد . « إن هذا الفخار لم يكن معروفاً حتى الآن فى مصر فى أى عصر من عصور تاريخ البلاد إلا فى عهد الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة » وهـذا يوجهنا إلى أن الفخار المستخرج من « كاهون » يجب أن يفحص فحصاً دقيقاً ، لأنه علم فيما بعد أن طراز فخار « تل اليهودية » كان من خصائص الإنتاج الهكسوسى . وقـد ذكر لنا « هرمان يكر » أنه لا يوجد أساس لاعتبار فخار « كاهون » من عهد الأسرة الثانية عشرة[٣] ، وإنه لمن الجائز أن

---

(١) A. Mace in Bulletin of the Metropolitan Museum of Art. (1921) Nov. Part. II. P. P 17 f. & fig.

(٢) راجع Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara". (London 1890) P. 25; See also Pl. XXVII, 199-202

(٣) راجع ، Ibid P. 42.

يكون قد صنع بعد هذا العهد بزمن كبير غير أنه على ما يظهر لا توجد براهين تدحض نسبته للأسرة الثانية عشرة[1].

آثار الهكسوس فى كاهون : وكشف عنك حفائر فى « كاهون » فى سنة ١٨٨٩ ، وقد وجد فيها ثانية قطع فخار من هذا النوع ومزيت للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة ، غير أن هذه لم يكن فى الإمكان تحقيقها بطريقة مرضية[2].

ولكن لحسن الحظ عثر على طراز آخر من الفخار ينسب إلى شكل طراز خاص بالهكسوس[3] قد أشرنا إليه فيما مضى ، ولكنه فى هذه الحالة قد أرخ بعهد « سنوسرت » الثانى (١٩٠٦ — ١٨٨٦ ق . م)[4] .

وتفسير هذه الجبانة بوصفها ذات علاقة بظهور الهكسوس فى مصر يمكن أن يعزى إلى جلب عمال من « سوريا » و « فلسطين » للعمل فى امتداد هرم هذا الملك ، أو لإقامة مبانٍ أخرى ومشاريع الرى فى الجهة المجاورة ، وتاريخ الفخار الذى يجب أن يكون مبكرًا عن تاريخ ظهور الهكسوس حقيقة فى مصر يجد سندًا إضافيًا فى الأدلة الحديثة التى عثر عليها فى « بيلوس » الواقعة على شاطئ سوريا .

آثار الهكسوس فى بيلوس من عهد الأسرة الثانية عشرة : ففى القبرين رقم واحد ورقم اثنين فى « بيلوس » وهما فى كل مظاهرهما ترجعان إلى عهدى « أمنمحات الثالث » و « أمنمحات الرابع » (١٨٤٩ — ١٧٨٢ ق . م) عثر فى القبر

(١) راجع : Herman Junker, "Die Nubische Ursprung der Sogen danten Tell el Jah... Vasen, "Akademie der Wissenschaften in Wien, Philos.-Hist. Klasse", Sitzungsberichte, "CXCVIII, 3. Abhandlung (1921), P. 83.

(٢) راجع : ...trie, "Illahun, Kahun and Gurob", (London, 1891), Pl. I. 17. and 20-21, P. 10.

(٣) راجع : Ibid. Pl. I. II.

(٤) راجع : Petrie, ibid, P. 9.

رقم ١ على إناء من حجر الألبستر نقش عليه لقب « أخمعات الثالث » وفي القبر رقم اثنين وجد فيه مستوى من الألبستر كذلك وعليه لقب « أخمعات الرابع »[1] ووجدت أمثلة عدة لطرازين من الفخار يشبهان بوضوح تلك الأشكال الهكسوسية التي سبقت الإشارة إليها[2].

وقد كشفت الحفائر الحديثة في « بيبلوس » عن وجود طراز جديد آخر متصل بقائمة فخار الهكسوس، ويمكن قرنه بفخار « بيت مرسيم » (G-F)[3] المدون، ويدل الفن الذي صنعه على أنه أقدم من القبر رقم واحد والقبر رقم اثنين اللذين عثر عليهما في « بيبلوس » على أنه يكاد يكون من المستحيل الآن أن نحكم من أدلة « بيبلوس » على مقدار هذا القدم.

ولكن على ما يظهر كان هذا الفخار من عصر لا يخرج عن نطاق القرن التاسع عشر ق . م وذلك بسبب تاريخ القبرين رقم واحد ورقم اثنين، ومع ذلك فإن هذه الأدلة لا يجب أن تعبر عن أن الهكسوس كانوا يحتلون « بيبلوس » في ذلك الوقت، وإن كان من المحتمل وجود بعض أفراد الهكسوس وقتئذ في المدينة، والذي يظهر مؤكداً هو أن الهكسوس كانوا معاصرين لأهل « بيبلوس » في تلك الفترة.

والقول بأن فخار « مرسيم » (G-F) ينسب إلى الهكسوس يرتكز جزئياً على معاصرة فخار « مرسيم » لأقدم طراز من الفخار وجد في « تل اليهودية »[4] وتوجد أدلة تعضد وجهة النظر هذه مما أنتجته الحفائر التي عملت في « تل كيسان » في سهل

(١) راجع Montet, "Byblos et l'Egypte", PP. 156-159
(٢) راجع Ibid. Pls. CXVI, 791 and 800 & CXVIII, 791 & 800
Pere Vincent "Revue Biblique", XX (1922), P. [illegible]8
(٣) راجع A. A. S. O. R. XIII. P. 69-71
(٤) راجع Ibid. P. 79.

«عكا» حيث وجد الأثري «رو» أن هذا الطراز من الفخار الملون كان أحدث ما لوحظ في حشو طوارات الهكسوس التي كانوا يقيمون عليها حصونهم[1] . والمنطق هنا هو أن يفترض الإنسان أن أحدث مواد توجد في بناء مثل بناء الطوار الذي تتألف مواده إلى حد ما من تراب ومواد أخرى أخذت من جهة مجاورة تمكن الإنسان من أن يؤرخ بها المبنى . فمثلا الجدار الذي يوجد به قطعة نقود مطبوعة باسم الامبراطور «هدريان» لن يكون أقدم من عهد «هدريان» وبطبيعة الحال يمكن أن يكون الجدار قد بني في أي عهد آخر بعد عهد هذا الامبراطور .

ولكن هذا الموقف يختلف بعض الشيء في حالة طوار بالنسبة لطريقة بنائه ، إذ لا يمكن منع وجود قطع من الفخار في التراب الغفل الذي استعمل في حشوه .

وقد استعملت هذه البقايا الأثرية التي عرف تاريخها بصحة مطلقة أساسا لبحثنا ، وبخاصة تلك التي وجدت فيها مواد يمكن تأريخها خلافا للفخار الذي نحن بصدده .

ولا يزال كثير من المواد الأثرية التي نسبها المفكرون للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة باقيا ، غير أنه لا يمكن عقد موازنة بينها على الوجه الأكمل[2] !

على أن تفسيرنا الحجج السابقة يمكن الاعتراض عليه ، ولكن إذا ثبتت نظرية وجود الصفات المادية المبينة الخاصة بالهكسوس بأنها تحل محل وجود الهكسوس عندما نجد لأول مرة هذه الصفات المبينة ، فعندئذ يكون من الصعب أن ننظر إلى الحالات التي عرضناها الآن نظرة عاقلة .

(١) راجع Albright, A. A. S. O. R. XVII (1938) P. 24.

(٢) راجع Griffith, "The Antiquities of Tell el Yahudiyeh" Egypt Exploration Fund Seventh Memoir (London 1890) PP. 33-74, P. 56. Pl. XIX, for Khataanah material, G. A. Wainwright, "Balabish" (London, 1920) P. 66. esp. note 5

يضاف إلى ذلك حقيقة أخرى ، وهى أن هـذه البراهين قد جاءت إلينا من عدد من الأماكن تقع فى نطاق مساحة (جغرافية) شاسعة[1] .

وهكذا حتى الآن كان أساس بحثنا مرتكزا على الفخار ، ولكن قـد يكون فى الإمكان الحصول على صورة مماثلة التى عرضناها إنما كان فى مقدورنا مقابلة أشياء من مواد أخرى غير الفخار مثل الذهب والبرنز والعظم بنفس الدقة ، ولكن الواقع أن علم الآثار المقارن لم يصل إلى الحد الذى يمكن فيه مقابلة الأشياء الصغيرة التى يمكن أن تكون ذات أهميـة فى فهم ثقافة حوض البحر الأبيض المتوسـط الشرقى فى باكورة الألف الثانية قبل الميلاد . ولا نزاع فى أن فحص النفوذ الأجنبى الذى برهن على وجـوده بقطع آثار صغيرة يرجع تاريخها إلى عهـد الدولة الوسطى فى مصر سنستمر متابعته بدقة متزايدة وفائدة أعظم بعد عمل قوائم شاملة للأشكال الفلسطينية[2] .

الآثار الأخرى التى تنسب إلى الهكسوس : ويظهـر حتى الآن أن بعض أشكال الأسلحة الأسيوية قد جلبها الهكسوس إلى حوض البحر الأبيض المتوسط الجنوبى الشرقى فى خلال عهـد الدولة الوسطى . مثـال ذلك السيف « حبش » وقد سمى بذلك لأنه يشبه مقدمة ساق الحيوان[3] ، وكذلك مقبض خنجر على صورة هلال كالذى وجد فى مقبرة « إتا »[4] وفى نقش ملون فى مقابر « بنى حسن »[5]

---

(١) وقد قال [illegible] إن عهد الهكسوس قد حدث بعد انتهاء الأسرة الثانية عشرة مباشرة (راجع J. E. A. XXI. P 28.) غير أن البراهين التى ارتكز عليها واهية من أساسها .

(٢) وتجد ملخصا فى (O. I. P, XXXIII. table. V.) للأشياء التى وجدت فى [illegible] الهكسوس فى عدد مع الإشارة إلى الاتصالات الأجنبية .

(٣) راجع Montet, "Byblos et l'Egypte", Pl. XCIX–C.

(٤) راجع : J. de Morgan, "Fouilles" a Dahchour" 1894-1895 (Vienne, 1903), Pl. VI, cf. O. I. P XXXIII, Pl 149 2-3.

(٥) راجع Newberry, "Beni Hasan", I. Pl. XLVII.

يرجع تاريخه إلى أوائل الأسرة الثانية عشرة يشاهد أسيويون يستعملون (بلطا) من طراز يوجد مثله في « سوريا » . أما مسألة النقوش أو أشكال الحلية الحلزونية التي شاهدناها على الجعارين التي كانت تستعمل أختاما في عهد الأسرة الثانية عشرة، فإنها تحتاج إلى دراسة خاصة [٢] . وتوجد أدلة على أن هذه الجعارين قد صنعت في مصر، وكذلك لدينا براهين على أنها قد صنعت خارجها [٣] . وإذا سلم بأن فكرة الشكل الحلزوني قد استعارتها مصر، فقد يصبح من الضروري إذا أن نفحص الفن « الموكاني » البكر [٤] .

والدور الذي قام به الهكسوس في هذا الموضوع يخالف الحقيقة الثابتة في أن النقوش التي على الجعارين كانت من مميزات الهكسوس [٥]، وقد اختصت باختامهم، وهذه مسألة مشكوك فيها، فنجد أن كلا من « نيوبري » و « بيار سشانج » يرى في مميزات بعض مجوهرات الأسرة الثانية عشرة التي وجدت في « دهشور » أنها قد ترجع إلى تأثير أجنبي، وإن الحوادث التي كنت قد كشفت عن أهمية هذه الأشياء [٦]، غير أنه قد يكون من باب المخاطرة ادعاء أن كل العناصر الجديدة في ثقافة الأسرة الثانية عشرة، قد حملتها يد أجنبية، وإن كانت توجد دلائل على أن بعضها قد تأثر مثلا بعوامل أجنبية، والواقع أنه لا يمكن أن نعزي خطأ

---

(١) راجع Dunand in "Syria", X. (1929), Pl. XXXIX, and Schaffer in "Syria", XIII. (1932), Pl. XII-4

(٢) راجع Newberry, "Scarabs", P. 81.

(٣) راجع C. A. Reisner and N. F. Wheeler in Museum of Fine Arts, Bulletin XXVII (1930) P. 54.

(٤) راجع Evans, "The Place of Minos" I, Fig 76-77, 80-81 and 86-87 for E. M. III examples

(٥) راجع Petrie "Scarabs and Cylinders with Names" Pl. XXI.

(٦) راجع "A Short History of Ancient Egypt" (8ed., London. 1911. PP. 63. ff

مرضيا فى مثل هــذه الأمور إلا إذا نظمت قوائم مضبوطة لكل ثقافات الأقاليم المحيطة بمصر ، كما حدث فى أنواع الفخار، وقد عقت كل من هجرة الهكسوس، وهجرة الكاسيين غالبـا أنهما مشهدان من هجرة عظيمة جدا ، وفدت إلى الشرق الأدنى فى باكورة الألف الثانيـة قبل الميلاد ، ووجهة النظر هــذه لا تحتاج إلى سند كبير ، ومع ذلك فإنه لا يخلو من الفائدة أن نلفت النظر إلى تفاصيل معلومة عن غزو الكاسيين لبلاد « بابل » .

ويشاهد فى الإيضاح الذى سيأتى بعد العلاقات بين التقدم الكاسى، والتقدم الهكسوسى حسب السنين ، والأخير مهما يرتكز على وجهة النظر التى نتبعها فى هذا الفصل عن الهكسوس .

موازنة بين هجرة الهكسوس وهجرة الكاسيين : وأول ظهور معروف للكاسيين فى « بابل » كان فى خلال حكم الملك « حورابى » [1] (١٩٤٧ — ١٩٠٥ م) ، والظاهر أنهم كانوا فى هذه الفترة سكانا مسالمين فى هذه البلاد ، وعلى أثر موت « حورابى » انتقل عرش الملك لابنه « ساسيولونا » [2] ، وهو الذى صد فى السنة التاسعة من حكمه غارات الكاسيين التى انحدروا فيها من الجبال [3] ، والوثائق الخاصة بأعمالهم منذ القرن ونصف القرن التالية تذكر لنا « الكاسيين » بوصفهم زراعا وعمالا [4] ، وعلى أثر غارة « الحيثا » على « بابل » أصبحت البلاد تحت سيطرة الأسرة الكاسية (١٧٤٩) .

---

(١) راجع The Cambridge Ancient History I. 2nd ed, Cambridge (1928) P. 552-2, (Olmstead) والتواريخ من قوائم الأستاذ أولمستد) إ تشرينه .

(٢) راجع Ibid I. P. 554.

(٣) راجع A. Ungad in Beitrage zur Assyriologie VI. Heft. 5 (1909). PP. 21-26.

(٤) راجع Cambridge "Ancient" History I. P. 561-63

وتنقصنا التفاصيل عن غزو الكاسيين ، ومع ذلك يمكننا إدراك صورة مبهمة عن غزوها فقد أعقب صلحهم تدخل سلمى فى البلاد كانت نتيجته النهائية الفتح [١] . وليس ثمة مانع من أن نزعم فى بادئ الأمر أن غزو الهكسوس لمصر قد جاء على غرار نموذج مماثل لما ذكرناه عن الكاسيين ، ومن المحتمل أن « مانيتون » لم يكن بعيدا عن الحق عندما قال إن الهكسوس قد استولوا على مصر من غير معركة .

الهكسوس :		الكاسيون :
	حمورابى =	عمال فى مسوبوتاميا
	١٩٥٧ — ١٩٠٥ ق . م	
المهيرون الكاسيون يصدون =	١٩٠٠ ق . م	= عمال فى مصر
عمال فى مسوبوتاميا		عمال فى مصر
الأسرة الكاسية	١٧٥٠ — ١٧٢٠ ق . م . أول أسرة للهكسوس .	

ومن جهة أخرى يحتمل أن سيطرة أسرة الهكسوس فى «فلسطين» و «سوريا» قد حدثت فى عهد مبكر عنه فى مصر ، وذلك لأن حركة هجرة الهكسوس قد اتخذت سبيلها من الشمال إلى الجنوب على الأقل على ساحل البحر الأبيض المتوسط . أما عن حالة كل من « سوريا » و « فلسطين » خلال حكم الهكسوس فلم يبق هناك ما يحمل على الظن فى أنهما كانتا تؤلفان وحدة سياسية أكثر مما كانتا عليه فى نهاية الأسرة الثانية عشرة المصرية [٢] ، حيث نجد أن عدة ولايات مستقلة قد وضحت جلاء ، وكذلك تسرنا قصة « سنوهيت » بنفس الفكرة وهو نفس النظام الذى

(١) راجع : Cameron, "History of Early Iran" Chicago 1936, PP 92 f

(٢) راجع : Sethe, "Achtung" P.P 43 - 59, & Albright, J. P. O. S. VIII (1928) P. 223 - 56

كان موجودا فى عهدى التحامسة وفى العمارنة (راجع تاريخ تحتمس الثالث وحفائر تل العمارنة ، وهـذه الحقيقة تمكن ملاحظتها عند ما أشار « أحمس » الأول الذى طرد الهكسوس من البلاد إلى أراضى « الفنخو » فى صيغة الجمع كما ذكرنا آنفا) .

وإذا جاءت نتائج حفائر مقبلة معضدة الرأى القائل إن الهكسوس قد وصلوا حوالى عام ١٩٠٠ ق . م . درجة فى تقدمهم الثقافى بحيث كانوا يصنعون منتجات خاصة بجماعتهم كما سنرى فيما بعد ، وأنهم على ذلك كانوا قد استوطنوا بعض أجزاء سوريا وفلسطين فإنه سيكون من الضرورى وقتئذ أن تفحص أدلة اتصالات الأسرة الثانية عشرة بالبلاد الأسيوية وسيكون معنى ذلك أن أمثال هذه الاتصالات كلها بعد عام ١٩٠٠ ق . م . نحتفظ منها فى أنها تخص وجود الهكسوس [1] .
على أن المسألة ليست بالأمر الهين ، إذ لا يمكن لنا أن نقول إن كل « سوريا » و « فلسطين » لم تكونا تحت نفوذ الهكسوس ، فلا نجد أن « ببلوص » (جبيل) لم تكن خاضعة لحكم الهكسوس قبل عام ١٧٣٠ ق . م . تقريبا ، وذلك على الرغم من وجود طراز من خناجر الهكسوس فيها [2] . والواقع أن « ببلوص » كانت مختصرة أكثر من الإقليم المحيط بها ، ولذلك يمكننا أن نفرض على أية حالة أن الهكسوس كانوا مجاورين لها وأن بعض صناع الهكسوس ، ومنتجاتهم الحديثة الطراز كانت تلاقى سوقا رائجة فى « ببلوص » . ومن الجائز كما ذكرنا آنفا أن عمالا من الهكسوس كانوا يصنعون جعالا منقوشة لأعمالهم فى « كاهون » بجهة الهرم التى أقامها « سنوسرت » الثانى . وقد كان الهكسوس بطبيعة الحال فى عهد عصر الأسرة الثانية عشرة يأتون إلى مصر بوصفهم نزلاء مسالمين ، كما كان الكاسيون ، فى عهد « حمورابى » ينزلون فى بلاد « بابل » . ومن المحتمل أن بعضهم قد رحلوا إلى مصر فى الوقت الذى رحل إليها « إبشا » الذى صور على مقبرة حاكم المقاطعة

(١) راجع مصر القديمة ج ٢ ص ٤٢٤ — ٤٢٦
(٢) راجع Kemi I (1928) P. 90 - 93.

« خنوم حتب » فى « بنى حسن » وهذا المنظر قد أرخ بالسنة السادسة من حكم الملك « سنوسرت الثانى » (١٩٠٠ ق . م) ويمثل الحاكم « إبشا » ومعه ثلاثون ناسا من العامو يحملون كحلا لزينة العينين . ومن الجائز أن السوريين الفلسطينيين قد انخرطوا فى صفوف جيش الملك جنودا مرتزقة، غير أن هذه الفكرة على الرغم من رجحان صحتها لا يوجد ما يدعمها فى الوثائق المعاصرة، على أن عدم الإشارة لأعداء مصر من الأسيويين باسم الهكسوس لا يكاد يعد دليلا على أن الهكسوس لم يكونوا قد وضعوا أقدامهم فى فلسطين وسوريا فى منتصف الأسرة الثانية عشرة ، ولقد رأينا فيما سبق أن المصريين المعاصرين كانوا يسمون الهكسوس أحيانا « عامو » و « ستيو » و « منتيوستت » . وهذه الأسماء كانت تستعمل للتعبير عن الأسيويين فى خلال الأسرة الثانية عشرة .

وطريقة البحث هذه تظهر غير مجدية البتة على أى شيء المهم إلا أنها تترك بصفة جازمة السؤال مطروحا أمام الباحث عما إذا كان الهكسوس قد استوطنوا فلسطين وسوريا حوالى عام ١٩٠٠ ق . م . أم لا .

عصر الهكسوس المتأخر

ظهور طراز جديد من الفخار غير فخار تل اليهودية : يظن الاتساع الذى قام به الهكسوس فى عصرهم الثانى الظاهر فى مصر، خصائص حورانية كما سبقت الإشارة لذلك ، فقد ظهر فى هذا العصر طراز من الفخار مكون من صنع الحورانيين، وقد أظهرت أعمال الحفر التى عملت على أسس مثبتة على حسب طبقات الحفر فى فلسطين ، أن هذا الطراز من الفخار أحدث من طراز الفخار الذى استخرج من «تل اليهودية» الذى كان مقررا حاسما لإنتاج عهد الهكسوس القديم . والطراز الجديد يؤرخ عهده يرجع إلى ما قبل الأسرة الثامنة عشرة ، هذا من أن يكون تاريخ وجوده إذا فى مصر قبل عام ١٨٠٠ ق . م . وهذا هو السبب

الرئيسي الذي من أجله نعتقد بأنه ينسب إلى الهكسوس والحورانيين على السواء ، ولدينا حقيقة أخرى هامة ، وهي أن الفخار الحوراني لا بد أن يكون إحضاره إلى مصر قد وقع في حدود عهد الأسرة السادسة عشرة لا الأسرة الخامسة عشرة التي لم يوجد فيها ، وإذا فليس من خطل الرأي أن نرى في ظهور الفخار الجديد في البلاد المصرية علامة على تغيير أسري . وقد كان كل من طراز الفخار الجديد والقديم على ما يظهر يستعمل بكثرة في مصر ولكن لما كانت الأسرتان اللتان خصصهما « مانيتون » لعهد الهكسوس لم يعد أجلهما أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان، فإنه قد يكون من المعقول أن نرجع ظهور الفخار الحوراني إلى حوالي عام ١٦٥٠ ، أما في فلسطين وسوريا فلا بد أن يكون قبل ذلك بزمن قليل . وعلى الرغم من احتمال وقف صنع الفخار ذي اللون في مصر بشكله الخاص حوالي عام ١٨٥٠ ق . م عندما طرد « أحمس » الأول الهكسوس من البلاد ، فإنه كان لا يزال بقية في البلاد من المتمسكين بالقديم ، وقد استمروا في البلاد إلى منتصف القرن الخامس عشر على أقل تقدير، ومن هؤلاء نلحظ وجود فخار حوراني في شكل منقف[١]، هذا إلى ظهور طراز جديد من الوجه[٢] ومن الجعارين[٣] ، ومن ذلك نرى أنه في الوقت الذي لم يكن فيه نفوذ للهكسوس السياسي في مصر قائماً بعد عام ١٥٨٠ ق . م نجد من جهة أخرى أن ثقافة الهكسوس لم تمح من الوجود في البلاد المصرية مباشرة، أما في « سوريا وفلسطين » فكان الموقف يختلف تماماً في خلال الجزء الأول من الأسرة الثامنة عشرة، ففي نهاية الأسرتين السادسة عشرة

---

(١) راجع (Balabish Pl. XIX, 3 (late 18th Dynasty.

(٢) راجع Howard Carter in J. E. A. III. P. 151 58, Pl. XXII. 1-4 & Brunton and Engelbach, "Gurob", (London 1927) Pl. XXIV P 53 (Thutmose III ?) cf. O. I. P XXXIII, Fig 184 1 5

(٣) راجع Newberry, "Scarabs" P. 73. & Brunton and Engelbach, "Gurob", Pls. XXIV, 50 & XL, 22 (Thutmose III,, cf O. I. P XXXIII. P 184

والسابعة عشرة اللتين كانتا تحكمان البلاد في مدة واحدة تقريبا حرم الهكسوس
في «أواريس» وولوا الأدبار مخترقين الصحراء إلى أن وصلوا إلى «شاروهن» حيث
ظلوا حصار «أحمس» لهذه المدينة طوال ثلاثة أعوام، ثم دارت الحرب بعد
ذلك في الشمال، ولكن بعد أن أحس «أحمس» أن الخطر قد زال عن بلاده
عاد إلى مصر ليلتفت إلى مهام البلاد الأخرى، والظاهر أن الهكسوس في الوقت
نفسه لم يتقهقروا إلى أبعد من النقطة التي طردوا إليها، بل من الجائز أنهم قد عادوا
فتقدموا ثانية نحو مصر بعد عودة المصريين إلى بلادهم، غير أن عملهم هذا لم يتعد
مجرد حركات حربية وحسب، أو بطبيعة الحال في جزء كبير من السكان في مساكنهم،
وتحدثنا الوثائق المصرية عن غزوتين أخريين لآسيا قبل عهد «تحتمس» الثالث.
فقد قام تحتمس الأول بحملة إلى آسيا وصلت في سيرها حتى بلاد نهرين على نهر الفرات
على حسب ما جاء في حياة «أحمس بن أبانا» وكذلك «أحمس» بن «نخبت»
وهما القائدان اللذان جاء ذكرهما لأول مرة في عهد «أحمس» الأول. وقد قاد
«تحتمس الثاني» في مدة حكمه القصيرة على الأقل تقدير حملة إلى «آسيا»
كما سيجيء بعد، وقد ذكرنا فيما سبق الأسباب التي تحمل على الاعتقاد بأن الهكسوس
كانوا لا يزالون في «فلسطين» و«سوريا» عندما اعتلى «تحتمس» الثالث
العرش، وأنه هو وابنه «أمنحوتب» الثاني قد قضيا على الهكسوس القضاء الأخير
في هذه البلاد.

تحتمس الثالث يقضى على فلول الهكسوس في آسيا: على أن الصورة
التي كانت لدينا مباشرة لهذه الحروب، على الرغم من أنه تنقصها تفاصيل كثيرة هامة،
هي في الواقع تمثل عدم استقرار زمني، وضغط عظيم من جهة الآسيويين ظل
مدة تقصر على قرن بعد طرد الهكسوس من مصر. وبعد ذلك عندما اعتلى
«تحتمس» الثالث (١٤٧٩ – ١٤٤٧) عرش الملك بعد حكم «حتشبسوت»
الذي سادته السكينة بدأت سلسلة غزواته في آسيا، ومن الواضح أنه علمنا من

وولايات آسيا يقودهم ملك « قادش » قد شمروا في أعصيهم بالقوة الكافية لمقاومة ذلك الفرعون الذي كان مجهولا وقتئذ . وقد ساق « تحتمس » جيوشه في ست عشرة حملة في خلال نحو عشرين عاما إلى هذه البلاد ، وبعد فترة ساد فيها السلام ظاهريا في تلك الأصقاع ، قام « أمنحوتب » الثاني بحملتين مظفرتين على أثر ثورات شبت بعد وفاة والده . والظاهر أنه بعد هذه الحملات المتتالية لم يعد للهكسوس وجود في هذه البلاد من الوجهة السياسية أو الحربية ، وتدل المعلومات الأثرية التي يتزايد ظهورها كل يوم في فلسطين على أن نظام الحكم المصري لم يصبح له أثر فعال في البلاد الأسيوية حتى عهد « تحتمس الثالث » ، وأن الهكسوس لم يعثروا على أمرهم في هذه الأراضي الأسيوية إلا في هذا الوقت . ومن أهم العوامل التي تبرهن على ذلك أنه وجد طراز من الحماريب الخاصة بالهكسوس ، قد بقي شائع الاستعمال بكثرة حتى عهد « تحتمس » الثالث ، ولا نزاع في أن استعمال الجماريب خادع من الوجهة التاريخية ، وذلك بالنسبة لجميعها ، وفي عادة دسها في غير أماكنها الأصلية ، ولكن عندما نجد الحماريب في أماكن لم تمس بعد ، ويشفع ذلك نتائج حفائر واسعة النطاق في موقع غير مشتبه فيه ، يمكننا عند ذلك فقط أن نحكم بأننا قد كشفنا عن حقيقة جديدة . وقد أصبح من الأمور التي تزداد وضوحا كل يوم طبيعة الاكتشافات التي نشاهدها كل يوم في خلال الحفائر التي تجري في فلسطين أن الحماريب الخاصة بالعهد الذي قبل عهد التعامسة كانت من طراز حماريب الهكسوس ، وكذلك الفخار الحوراني يعد طرازا خاصا بالإنتاج الهكسوسي[1] ، والظاهر أنه كان عظيم الانتشار قبل عهد « تحتمس » الثالث ، غير أنه حدث فيه

---

(١) من « مجدو » (راجع : O. I. P. XXXIII, 185 and Gordon Loud in I. L. N June 20, (1936) P. 1108). Jericho (Garstang in A. A. A., XX, 1933 P. 21 - 38. نجد في كل هذه المصادر براهين مفصلة واستنتاجات تختم أن سطح من آثار مصري وجد فيه حماريب من عهد مشهورة وتحتمس الثالث وأمنحتب الثاني وكذلك بحماريب من عهد الهكسوس) راجع كذلك في Beisan (Garstang, ibid P. 22.

مبير عظيم بعد ذلك العهد هذا إلى أن بعض المواد المصنوعة من المرمر كذلك ، والأسلحة المصنوعة من البرنز ، والتطعيم بالعظام قد ظل استعمالها في أشكال الهكسوسية الخاصة بها في عصور عهد « تحتمس » الثالث .[1]

ثقافة الهكسوس في فلسطين : ومما سبق ظهر أنه يوجد دليل جمع مثل على أن ثقافة الهكسوس كانت سائدة في « فلسطين » على أقل تقدير حتى منتصف عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وبالعكس لا نجد أي تأثير للحكم الامبراطوري المصري في أي طبقات أرضية قبل عهد « تحتمس » الثالث مما كشف عنه حتى الآن . والعصور التي مرت بها بلدة « مجدو » تعد مقياساً ممتازاً لمعرفة ذلك ، إذ من المعلوم أن « تحتمس » الثالث قد حاصر هذه المدينة ، واستولى عليها في حملته الأولى إلى فلسطين (١٤٧٩ ق . م) . ونعلم من نتائج أعمال الحفر أن الطبقة الهوريانية الرئيسية العامة برقم ٩ تنسب إلى طراز الهكسوس المتأخر المحض ، ولكن الطبقة التي فوقها وهي الثامنة ، يظهر أنه وجد فيها برهان واضح على أنها من آثار أواخر الأسرة الثامنة عشرة[2] ، ولا شك في أن المدينة التي استولى عليها « تحتمس » كانت تمثل آثار عهده في الطبقة التاسعة ، ومنذ ذلك العهد نلحظ أن ثقافة الهكسوس ، قد تغيرت تغيراً محسوساً . والصورة الأثرية العامة لعهد « تحتمس » الثالث في « فلسطين » تمثل أمامنا القضاء على ثقافة الهكسوس .

ويمكن وضع تواريخ تقريبية لعهد الهكسوس المتأخر في فلسطين ، وهو العهد الذي ميز بوجه خاص بالفخار الهورياني ، إذ يظهر لنا من المصادر المكتوبة ومن المصادر الأثرية أن هذا العهد قد استمر نحو قرنين من الزمان أي من حوالي عام ١٦٥٠ ق . م . حتى عام ١٤٥٠ ق . م . وذلك عندما أخمد « أمنحتب الثاني » ثورة أوقد نارها القوم الذين حاربهم والده سنين عدة .

(١) راجع : O. I. P. XXXIII Chap. IV

(٢) راجع Loud, loc. cit. & S. A. O. C. No. 17.

وقد يكون من الأمور التي يظهر فيها التكلف أن يرسم الإنسان خطا فاصلا بين عهد الهكسوس والعهد الذي جاء بعده، وذلك لأن نفوذ الهكسوس لم يقض عليه في سنة معينة، ولكن يمكن القول بوجه عام أن عهود الهكسوس الفعلي قد كسر، وأن ثقافتهم قد قضى عليها بالحروب الطاحنة التي شنها «تحتمس الثالث»، ومن بعده ابنه «أمنحوتب الثاني».

ولقد حاولنا فيما سبق أن نوضح أن كلمة «حوراني» قد استعملت بسبب أن بعض المظاهر الأشد تميزا لثقافة الهكسوس المتأخرة يمكن قرنها بالصور المادية التي كان يستعملها قوم الحورانيين القاطنين شمالي «مسوبوتاميا» وهم الذين كانوا يعاصرون الهكسوس، على أنه ليس من الضروري في هذه الحالة أن يكون قوم الهكسوس المتأخرين يتكلمون اللغة «الحورانية»، وذلك لأن الثقافة يمكن نقلها بطرق ملتوية. ومن أية حال فإن انتشار المواد الحورانية في بلاد الهكسوس يدل على حركة هجرة أقوام حدثت. ولدينا دليل أكيد في أحد الأسماء، وهو كلمة «خارو»[1] وهي التي استعملت في عهد الإمبراطورية المصرية لتدل على «سوريا» وفلسطين، ولدينا حجج تدعم هذا الرأي فيما وجدناه في شكل بعض أسماء السيد الذين وجدت أختامهم على قطعة من الحجر الجيري التي عثر عليها في مصر، ويحتمل أن تاريخها يرجع إلى النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة.[2]

وإذا وجدت متون أخرى زيادة على ما ذكرنا يمكن أن توضح الموقف كثيرا، فإن الاسم الحديث الذي أطلق على «فلسطين» و«سوريا» وحده ذو أهمية

---

(١) راجع Breasted, A. R. § 420 (Thutmose III), 798 A. (Amenhotp II) & 821 - 22 (Thutmose II). & cf. Griffith, "The Demotic Pap. in the John Rylands Library", P 421 etc.

(٢) وقد نشر عدد من هذه الأختام الأسماء سيروف التي اخترعها أصحابها راجع A. Z. XXXVIII P. 15 - 18. مع أن حتى في (A. Z. LXIV P. 54 - 8) يلاحظ أنه ربما كان مصطلحا بأن معناها حوراني، وكذلك يقترح أن اسم «حقي» أحد ملوك الهكسوس في مصر يعني اسما حورانيا.

بالغة في توضيح الموقف ، ويلاحظ أن انتشار الثقافة الحورانية في شكلها الناضج سببا في أسماء أجزاء كبيرة من فلسطين وسوريا في عهد الهكسوس المتأخر ، ومن المحتمل حتى حوالي عام ١٤٤٥ ق.م) يجعل منى أوضح لوجهة النظر إلى الحوادث التالية ، إذ نجد بعد انقضاء جيلين من ذلك التاريخ (١٤١١ — ١٣٧٥ ق.م) أن « أمنحوتب الثاني » قد واجه في هذه البلاد عصيانا علنيا أو سريا ، وقد كان كثير من رؤساء الثورة يحملون أسماء حورانية كما هو معلوم من قبل (١) .

وفضلا من ذلك نجد أن مملكة « متني » وإن كانت في ذلك الوقت قد تحالفت مع مصر ، كان لها مطامع في قطر مصبوغ بالصبغة الحورانية ، على أن هذا البحث وإن كان ليس له اتصال بالمسألة التي نفحصها الآن ، فإن الغرض منه إبراز نقطة خاصة هي أن العنصر الهكسوسي الحوراني الذي كان يعيش في فلسطين وسوريا في منتصف القرن الخامس عشر يمكن أن يكون منتسبا إلى عنصر حوري في نفس البلاد في نهاية هذا القرن . والواقع أنه يحتمل أن أهل متني والحوريين الذين كانوا يقطنون سوريا وفلسطين كانوا ذوي قرابة وطيدة منذ حوالي منتصف القرن السابع عشر ، وانتشروا جنبا لجنب (٢) .

وقبل أن نترك هذا الموضوع ، ورغبة في تأكيد وجهة نظرنا ، يستحسن أن نضع هنا براهين أثرية عن العلاقة بين الهكسوس المتأخرين ، وعصور العمارنة ؛ والواقع أن الروابط عديدة ومشجعة لتقرير حقيقة وجود علاقة كبيرة من الوجهة الثقافية ، والوجهة الجنسية بين العهدين . ولابد أن يعثر هناك طبعا ، ولا يكاد يكون هناك ما يناقض الرأي العام القائل بأن ثقافة الهكسوس كانت قد ضربت في

---

(١) راجع : Gustavs, "Die Personennamen in den Tontafeln von Tell Ta'annek" (Deutscher Palästina Verein Zeitschrift L (1937) P 1 18)

(٢) راجع : A A S O R XIII P 44 & Revue Biblique XLIV (1935) P 34 41

أساسها حوالي منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وهذه العوامل الخاصة التي لا يمكن تقديرها الآن تماماً ، ولكنها في الوقت نفسه تظهر على أعظم جانب من الأهمية قد نشأت من فحص بقايا المهديين ، وهي التي وجدت في « نحو » . فقد وجد في العهد الأخير أن الرسوم التي على القطر الملون لا تخرج عن أنها رسوم « حورانية » محورة . وكذلك يظهر أن طراز الأختام الأسطوانية المستخرج من كركوك — نوزي ، كان من خصائص العصر الأخير كما كان من خصائص العصر الأول ، هذا ويدل فحص الهياكل التي وجدت هناك على أن نفس العنصر في كلا العهدين كان واحداً[1] وكان العالم « الكشاني » الذي واجه الميتانيين عندما دخلوا هذه البلاد يرتكز إلى حد بعيد على شعب أساسه من الهكسوس .

السلالات التي تألف منها شعب الهكسوس .

إن أعمال الحفر الحديثة التي قامت بوجه خاص في « سوريا » قد وضعت أمامنا فكرة حسنة عن حياة الهكسوس وعاداتهم ، وبذلك يمكننا أن نرى أولئك القوم في بيوتهم ، وفي مصانعهم ، وقد عثرنا على أشياء كثيرة من التي صنعوها ، فيمكننا أن نصورهم كذلك في معاملتهم التجارية مع البلاد الأخرى ، كما أننا نعرف بعض السلع التي كانوا يتجرون فيها ، وقد وصلتنا تفاصيل كثيرة عن حياة الهكسوس ، ومع ذلك عندما يطرح السؤال من هم الهكسوس ؟ فإنه لا يسعنا إلا الاعتراف بالجهل التام[2] ولكن من المؤكد أن ثقافتهم كانت مختلفة بدرجة ظاهرة تلفت الأنظار عن الثقافة التي سبقتها ، مما يحتم علينا الاعتراف بأن هذه الثقافة قد جاءت

---

(١) راجع (لأجل التفاصيل التي لا يمكن سردها هنا) O. I. P. XXXIII, 156 (Pottery) 182 - 84. (Cylinder Seals) & 192.

(٢) راجع الحصول على عنصر من الآراء الخاصة بأصل حلال الحوري : Walther, Wolf "Deutsche Morgenlandische Gesellschaft Zeitschrift" LXXXIII. (1929) P 67 79)

بل سنة بعيد من طريق شعب جديد . على أن الأمر لم يكن ليقتصر على مد وجود طبقة قوية من الحكام ليقوموا بهذا التغيير الكلي في الثقافة، إذ كان الأمر أعظم من ذلك، فالقليل الذي لدينا من البراهين الخاصة بفحص الهياكل العظمية، يدل على أن جنسا من أجناس البحر الأبيض المتوسط القديم ، قد حل محله جزئيا في خلال عهد الهكسوس جنس يشبه الجنس الألبي، على أن هذا البيان لا يرتكز إلا على فحص أشكال بعض جماجم قليلة العدد عثر عليها في « جدو » ، غير أنها لا يمكن أن تمثل كل جماعة الهكسوس، وعلى الرغم من القليل الذي نعرفه عن هذا الموضوع المعقد فإنه مع ذلك يحتمل أن عددا من السلالات قد اشتركت في تشكيلة الهكسوس[٢] ، ولا غرابة إذا في أن تكون الجماجم التي وجدت تدل على أن أصحابها كانوا من سلالة من السلالات التي كان لها شرف الاشتراك في هجرة الهكسوس ، وكذلك كان من بين الطوائف البشرية التي ذكرت « الساميون » و « الحوريون » و « الهنود الإيرانيون » و « الحيثيون » ، وقد أراد « يوسيفوس » أن يرى فيهم العبرانيين والواقع أن نسبة كل أولئك الأقوام إلى الهكسوس لا يخرج عن دائرة الاحتمالات ، فالأسماء السامية مثل « يعقوب هر » و « يعقوب بعل » قد عرفت بوضوح في النقوش الخاصة بالهكسوس[٣] .

وهذه الأسماء، بصرف النظر عن بعض الأسماء المصرية التي اتخذها الهكسوس لأنفسهم مثل « أبوفيس » و « ثتي »[٤] ، هي الأسماء الوحيدة التي حفظت لنا

---

(١) راجع : Hrdlicka in O I. P. XXXIII P 192 & S. A. O. C Strata XV - XII

(٢) راجع : Spieser in A A S O R XIII, P. 47 - 52.

(٣) راجع : Hall, J E A., V P 75 & Max Borchardt A. Z., L. (1912) P 6 8, غير أن تحقيقات بورخارت لم تقبل كلها لدقة البحث أن اسم خيان ليس سامي الأصل

(٤) راجع : Gauthier L R II, P 139 - 44, Newberry, "Notes on the Carnavon Tablet No. I", P. S. B. A., Vol. XXXV, (P 117 22).

الهكسوس ، وقد فشلت المحاولة التي بذلت لتوحيد العلاقات اللغوية لأسماء الهكسوس التي وردت في المصادر الإغريقية ، إلا إذا كان رسم الأسماء المصرية المعروف كتابة يخفي ما يماثله في المصادر الإغريقية . وعلى ذلك كان يوجد في الهكسوس عنصر سامي واضح قد اختلط بما يطلق عليه هجرة الهكسوس . هذا إذا استثنينا عنصراً غير سامي لم يحقق بعد . وهذا ليس بغريب بالنظر إلى التدفق الشامل للسامية (ويشمل ذلك العموريين والكنعانيين) في فلسطين وسوريا حوالي ٢٠٠٠ ق . م . كما يدل على ذلك متون « اللعنة »[١] التي تنسب إلى أواخر عهد الأسرة الحادية عشرة المصرية ، وكذلك اللوحات الكابودوكية التي تشير إلى مدن شمال سوريا .

الساميون هم العنصر الهام لقوم الهكسوس : وعلى أية حال فإن الساميين لا يكاد يتألف منهم العامل الرئيسي المسئول عن الزحف الجديد الذي شنته آسيا على مصر ، وقد تعزى غلبة الأسماء السامية المعروفة لنا الآن لتفوق الساميين في العدد ، ولكن يمكن أن يرجع سببها لعدم كفاية الأدلة التي في متناولنا أو لأن العناصر غير السامية قد هضمت بسرعة ، ويجب ألا ننسى الاشتباكات الخاصة بالتغيير الأساسي في الثقافة ، وأن أقواماً من سلالة غير سامية كانوا يزحفون على حدود عربية شمالية مثل الحورانيين في الأناضول ، أما الكاسيون الذين كان يظهر أن بعض آلهتهم من أصل هندي إيراني فكانوا يغيرون كالسيل في « مسوبوتاميا »[٢] .

---

(١) راجع Sethe, "Achtung", Albright, J. P. O. S. Vol. VIII. P 223 56.

(٢) راجع Gotze, "Kleinasian" (Handbuch der Altertums wissenschaft, 3 Abt. 1 Teil 3 Bd., "Kulturgeschichte des Alten Orients, 3 Abschnitt, I Lfg. [Munchen, 1933], P 69, N. 4, Ignace J Gelb, "Inscriptions from Alishar and Vicinity", O. I. P. XXXVII, 1935 PP 131 and 16.

وفي مكان ما خارج فلسطين وسوريا ، وقد قوم من الأجانب جلبوا معهم صناعة معادن راقيـة ، وأفكارا جديدة في صناعة الفخار، وكذلك أحضروا الحصان والعربة ، وآراء جديدة في إقامة حصـون غريبة تماما عن البـلاد التي اتخذوها موطنا جديدا لهم . ولما كنا لا نزال في فجر دراسـة الشرق الأدنى فلا يمكننا أبدا أن نعرف من أين أتت تلك العناصر ؟ أو من الذين نقلوها إلى مصر [1] ولكن منذ أن بدأنا نتعرف على الهكسوس في مصر ، يمكن الإنسان عند البحث عن أصلهم أن يرجع في ذلك إلى اقتفاء آثارهم في شمال « سوريا » وبعد ذلك نجد على أية حال أن الأثر قد أخذ يتضاءل، فإذا أردنا أن نحصل عليه ثانية كان لابد من قطع مسافات طويلة، وقد تزداد الصعوبة باحتمال أن الأثر لم يكن فرديا قبل «سوريا» إذ من المحتمل أنه كان يحتوي على وحدات قد جاءت ثم ماجت بحالة يسودها سوء النظام، والارتباك الشامل .

من أين أتى الهكسوس : وإذا اقتفينا أثر المعدن الجديد وهو البرنز ، والأشكال المعدنية الجديدة إلى منابعها الأصلية ، فقد تكون هذه طريقة مجدية للوصول إلى الحقيقة التي نبغيها ولا نزاع في أن ذلك يكون له في النهاية قيمة ثابتة ، غير أن ما كشف من المواد للآن قليل جدا لا يكفي لأن يكون أساسا متينا للبحث ، وقد ظن البعض[2] أن بلاد القوقاز قد تكون مصدر هذا المعدن وهذه الأشكال المعدنية ، غير أنه وجد بالمقارنة أن أشكال المعادن التي عثر عليها في هذه البلاد ، كانت على وجه عام أحدث من التي وجدت في « سوريا »

---

(١) ومما يلاحظ أن القلعة في الأردن كانت قد بني معظمها بعد التقدم في الأسرة الثانية (راجع Nelson Glueck in A. A. S. O. R. XIV. (1934) P. 82) ومعنى هذا الاتفاق مع الحوادث التي كانت جارية في فلسطين لا يمكن أن يكون مجرد صدفة

(٢) راجع : Henri Hubert "De Quelques objets de Bronze trouvé à Byblos", "Syria" VI. (1925) P. 16-29, Henri Frankfort, "Archaeology and the Sumerian Problem" (S. A. O. C. No. 4 [1932] PP. 52 57

وفلسطين وقد نشر العالم « شيلدا »[١] النظرية القائلة بأن بلاد « سومر » نفسها كانت مركزا مبكرا لنشر هذه الأشكال المعدنية[٢] ، ومما لاريب فيه أن أقدم نماذج من الأشكال التي تشبه أو تقرب بعض الآلات المعدنية[٣] التي تعد من الطراز المكسوري قد وجدت في « مسوبوتاميا » ويمكن أن يذكر على وجه خاص مقبض الخنجر الذي على هيئة هلال ، وكذلك رءوس (البلط) التي لها ثقوب تثبت فيها[٤] ، وقد ظهرت كذلك الدبابيس القصيرة في « مسوبوتاميا » منذ ٣٠٠٠ عام .

أما فكرة صناعة البرنز نفسها ، فإن من الحقائق الثابتة أنها كانت معروفة في « سومر » و« الأناضول » في النصف الأول من الألف الثالثة[٥] ، في حين أن مصدر القصدير وحتى النحاس ووجود معدنيهما في « سومر » يجب أن يبحث عنهما خارج هذه الأصقاع[٦] ، ولذلك يقترح « لوكاس » أن كلا من « أرمينيا » و« إيران » قد تكون مصدرا لاستخراج القصدير ، ومن الأدلة التي سيقت حتى الآن يظهر أن بلاد « مسوبوتاميا » قد سبقت في هذه المسألة ، ولكن علينا أن ننتظر نتائج حفائر منظمة في بلاد القوقاز ، والأصقاع الأخرى التي يظن وجود هذه المعادن بها قبل أن تكون فكرة ثابتة[٧] . وإذا كانت المواد المسوبوتامية من عهد الألف الثالثة ق . م . وهي المقابلة لنفس مواد المكسوري تحتم على أن لها

---

(١) راجع ، Stefan Przeworski in Archiv Orientalni, VIII (1936) P. 395.

(٢) راجع ، (A. A. A. XXXIII (1936) P. 113 - 9

(٣) راجع مثل الرقم O. I. P. XXXIII, Pl. 149 2 - 3, cf Woolley, "Ur Excavations II. The Royal Cemetery" (London, 1934) Pls. 152-154b.

(٤) راجع Woolley, op. cit. 239, 310; Speiser, "Excavations at Tepe Gawra", I, (Philadelphia, 1935), P. 109. 114 183.

(٥) راجع O. I. P. XXXIII, P. 162.

(٦) راجع ، Albright, A. A. S. O. R. XIII § 30.

(٧) راجع Lucas in J. E. A. XIV. (1928) P. 106.

علاقة مباشرة بالحالة التي بحثناها ، ولو أن ذلك قد يرجع على أنها إنتاج سامي أو سومري مهما بعدت شقة الزمن بين العهدين .

الموطن الأصلي للحصان : والفكرة العامة المتفق عليها الآن أن الحصان له علاقة أصلية بالأقوام الآرية ، والظاهر أنه يمكن اقتفاء أثر أصل الكلمة المصرية والسامية الدالة على لفظة الحصان إلى اللغة الهندية الإيرانية ، وهي « أسوا » في السانسكريت « أسفا » [1] .

ومن الواضح أن الكلمة المصرية « سسمت » مشتقة من اسم الجمع العبري (الكنعانية) « سوسيم » وكلمة « سسمت » لا تحمل إلا الحروف الساكنة للاسم وحرف التاء فيها ثابت للتأنيث . وعلى أية حال فإن وجود وسيط « سامي » في نقل الكلمة إلى المصرية يجعلنا نقلل بعض الشيء أن الجنس الهندي الآري نفسه لم يأت إلى مصر ، ولكن من جهة أخرى يحتمل أنهم قد اختلطوا بعنصر سامي من بين الهكسوس . ولدينا كلمة أخرى نجدها في اللغة المصرية وهي « مرين » ومعناها « جندي سوري » أو خيال (سائق عربة) ، والظاهر أنها تنسب إلى الكلمة الهندية « ماريــا » وهذه الكلمة الأخيرة قد قرنت بالكلمة السانسكريتية « ماريا » ومعناه « الرجل الفتى » (الشاب) [2] والكلمة المصرية « وررت » التي تدل على « العربة » اشتقاقها غامض . وتوجد كلمة أخرى تدل على العربة وهي « مركبة » وهي سامية الأصل .

وكذلك قد تكون عاملا وسيطا بين الهنود الإيرانيين والمصريين

ولا نزاع في أن الحصان والعربة وما لزمهما من عدد قد أدخلت في مصر في عهد الهكسوس ، وبصرف النظر عن الاعتقاد السائد أن موطنها الأصلي آري ،

---

(١) راجع = Childe, "The Aryans" (New York, 1926) PP 18,83,109.

(٢) راجع = Meyer "Gesch" P. 12. § 465, Childe "The Aryans", P. 19; Gunn, A. A. S. O. R., XIII, P. 49. I n. 119

وأنها لم تستعمل في جنوب شرق آسيا ومصر إلا في عهود متأخرة نسبيا[1] ، فإن الاشتقاقات التي اقتبسناها من أصل الحصان والعربة وغيرها تمد حججا على وجود المعبود الآريين في الشرق الأدنى ، ولكن مع هذه الحجج لايمكن أن تثبت أو تنفي وجود الآريين في مصر .

نسبة اختراع الحصون المستطيلة للآريين : وكذلك قد نسب إلى الآريين اختراع بناء الحصن المستطيل وطوار التلاص ، وإن كان ذلك لم يدعم إلى الآن بالبرهان اليقين[2] . حقا إن هذا الطراز من الحصون كان غريبا عن مصر وفلسطين وسوريا وكان أول ما ظهر في الآثار الخاصة بالهكسوس في هذه البلاد . ولا شك في أن النظرية التي تربط مثل هذا الطراز من الحصون بما يشابهها من المبانى في « إيران » و « ترنس كاسبيا » (ما وراء بحر خوارزم)[3] نظرية مغرية غير أنها تحتاج لإثباتات أكثر لتجعلها حقيقة مؤكدة . وعلى أية حال هل هذه الحصون مبانى آرية ؟ والواقع أن الشكل المستطيل الذي اتخذته مدن الهكسوس عند تشييدها يشعر بأن هؤلاء القوم كانوا يسكنون في بلاد ذات سهول حيث كان الشكل الذي تبنى على غراره المدن لا يقيد بتعاريج طبيعية لله التل الذي تقام عليه ، وعلى ذلك نستنتج أن حل مسألة الهكسوس يقع بوضوح تام في أراضي

---

(١) وقد كانت العجلات تستعمل في بابل في أزمان أقدم كثيرة Henri Frankfort, Thorkild Jacobsen and Conrad Preusser, "Tell Asmar and Khafaje" (Oriental Institute Communications", No. 13 [Chicago, 1932], Figs. 44 - 45.

(٢) راجع : Petrie, "Hyksos and Israelite Cities", (London, 1906) PP 2 - 10 Albright in J. P. O. S. II. 122 f, in Society of Oriental Research, Journal, X, (1926) P 245 - 254, B. A. S. O. R. No. 47 (Oct. 1932) P 8.

(٣) راجع Garstang, "The Hittite Empire", [London, 1929] pp. 81 f.

بعيدة جداً من مصر . والواقع أن التحصينات التي تنسب إلى العهد الهيكسوسي وعصر الهرز المبكر كانت عظيمة الانتشار في أوربا بما في ذلك جنوبي « روسيا » ويمكن أن يكون ذلك له علاقة بالمسألة فإذا كان هذا الفرض صحيحاً فإن بلاد القوقاز يحتمل أن تكون طريقاً ممكناً للهجرة . ومع كل يمكننا أن نقرر ما يأتي عن وجود المعسكرات الأجنبية في الجنوب الغربي من آسيا ومصر

من المحتمل جداً أن سلالة جديدة، قد أحضروا الفكرة التي تشمل عدة خصائص ثابتة وأنهم أقاموا تلك المباني بأنفسهم تحت إشرافهم ، لا أن الفكرة قد نقلت إلى مصر ونفذت بطريق غير مباشر .

على أن الصعوبة الحقيقية في قبول فكرة وجود عنصر هندي أيراني بين الهكسوس هو انعدام وجود العلاقات القوية في « فلسطين » و « سوريا » حتى عهد العمارنة[1] ، ولم يتفق وجود أسماء هندية إيرانية في الوثائق الحورانية المبكرة عما في ذلك الوثائق التي عثر عليها في « أرابخا »[2] في شمالي سوريا على أنه من باب الحيطة فقط نشير إلى الذاكرة أن من أهم النقط الخاصة بالهكسوس في مصر ، أنهم على ما يظهر قد اتخذوا اللغة المصرية لغة لهم ، وأن ملوكهم اتخذوا لأنفسهم الألقاب الملكية ، هذا إلى أنهم في بعض الحالات كانوا يحملون أسماء مصرية مما كان يغطي على سمات أصول سياتهم القومية .

---

(١) راجع : Joh. Friedrich Aner in "Syrien und Mesopotamian" Reallexikon der Assyriologie", 1, (1928), P. 144-148), Childe, "The Aryans" PP. 18 - 20, M. D. Mironov in "Acta Orientalia" XI (1933) P. 150 - 170, A. B. Keith "The Indian Historical Quarterly", XII, (Calcutta, 1936) P. 571 - 575.

(٢) راجع : Speiser in A. A. S. O. R. XIII, P. 51. and Gardiner "Onomastica", II. P. 177 & Vol. II. P. 273.

الهكسوس يصطبغون بالصبغة المصرية : وقد نعترض بأن ما ذكرنا لا يعد أدلة حقيقية على قبول الهكسوس الذين وصلوا إلى مصر الثقافة المصرية قبولا شاملا . والجواب على ذلك نجده في أن ملوك البطالمة قد أقاموا مبانيهم على الطراز المصري ، واستعملوا اللغة المصرية الفصحى في نقوش آثارهم ، واتخذوا الألقاب الفرعونية التقليدية شعارا لهم ، ومع ذلك فإنهم عاشوا عيشة الإغريق [1] . حقا قد يلفت النظر مع ذلك أن البطالمة لم يتسموا بأسماء مصرية كما فعل بعض ملوك الهكسوس . ومن الأدلة التي تبرهن على أن الهكسوس قد حاولوا أن يصبغوا أنفسهم بقبول الثقافة المصرية ما شاهدناه في استعمالهم إشارات هيروغليفية رديئة الصنع لا تفهم في نقش عدد عظيم من الجعارين، والنقطة الهامة في ذلك هي أنه على الرغم من أن اللغة المصرية كانت غريبة عنهم ، وأن استعمالهم لها كان غالبا استعمالا رديئا فإنهم مع ذلك اتخذوها لغة لهم .

والظاهر أن الحورانيين هم العنصر الوحيد الذي قد برز بوضوح نتيجة البحوث الحديثة ، دالا على أنه كان ضمن العناصر التي تكون منها الهكسوس، ومع ذلك فإنه لم يتعرف على اسم من الأسماء غير السامية التي تسمى بها الهكسوس بأنه حوراني الأصل [2] . وعلى أية حال فإن الأستاذ « البريت » يرى أن بعض الأسماء الملكية مثل « سمقن » و « شاركة » و « خيان » ترجع إلى أصل حوراني ، وقد استعملنا في مناقشتنا حتى الآن كلمة الحورانيين ، لتدل على عنصر الهكسوس المتأخر . وقد كان أساس ذلك تشابه الصفات في الجماعات التي كانت قائمة في جهة شمالي « مسوبوتاميا » وهي التي كانت فيها اللغة الحورانية اللغة السائدة في ذلك العصر . ومن هنا رجح نسبة الهكسوس عناصر الثقافة الحورانية في عهدهم المتأخر على

---

(1) راجع Edwyn Bevan, "A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty" (London, 1927) P. 118-24.

(2) راجع Speiser in A. A. S. O. R. Vol. XIII, P. 512, Leary, "From the Pyramids to Paul", (New York 19[illegible]) P. 17.

أن ذلك لم يأت عفواً بل جاء عن طريق هجرة واسعة النطاق، ويحتمل أنها بدأت في « أرمينيا » حسب الرأي الحديث . وهذا الرأي مضافاً الى صبغ مدينة فلسطين وسوريا بصبغة حورانية شديدة في عهد الهكسوس المتأخر، مما يرجح كفة اشتراك الحورانيين في هجرة الهكسوس بدرجة عظيمة ، و على أقل تقدير في مظاهرها المتأخرة[1] في حين أنه قد يكون من الصعب أن يبرهن على عدم احتمال وجود التأثير الحوراني بين الهكسوس الاول ، فإن هذا التأثير على أية حال لم يكن قوياً كما كان في عهدهم المتأخر . وعند ما نقول ذلك يحضر الى ذهننا الأسماء القليلة التي من هذا النوع في الكتب الكابودوكية التي يرجع تاريخها الى القرن العشرين قبل الميلاد ، ولكن مهما كانت معلوماتنا قليلة عن موضوع أصول هؤلاء السلالات التي يتألف منها الهكسوس، فإن وجود أي عنصر جديد في الجهات المجاورة يحتم حدوثه بعد مرور قرن أو أكثر أي في خلال القرن الثامن عشر نجد سلالة الحور يعيش في جماعات منظمة قد تصادموا مع « الخيتا » في غزواتهم على « حلب » و « بابل » ؛ ونرى أن ثلاثة أجيال من ملوك « الخيتا » (حتوشيليش ، موشيليش ، حنتيليش) قد تكلموا عن الحورانيين في تاريخهم . وإذا كان بعض الشك يحيطه الإبهام بالنسبة لموقع بلاد هؤلاء القوم، فإنا نعرف مع ذلك أن معظمهم كان يسكن على وجه التأكيد شمال « سوريا » .[3]

---

(١) راجع Gotze, "Hethiter, Churriter and Assyrer", (Oct. 1936) P. 105.

(٢) والواقع أن السلالة المعروفة الآن من القوائم الحورانية ربما جاءت الى أرض الهلال [illegible] ما بين [illegible] شرح هذه المسألة ، تشابه الحورانيين والحوريين [illegible] Speiser. A. A. S. O. R, Vol. XIII, 26 31, Albright, "The Horites in Palestine", in "From the Pyramids to Paul", P. 9 26.

(٣) راجع Emil Forrer "Die Boghazkoi-Texte in Umschrift II. (W. V. D. O. G. XLII), (1922) 12 A. i 24-25, 14 a i 12 and 16, 17 A rev ?) III. 16, 18, 23, 33, 19 4, 8, 20. II. 15 21. III. 9 15, 23. A. I. 30, 30 Edgar Sturtevant and George Bechtel, "A Hittite Chrestomathy", (Philadelphia, 1935) P. 185.

وعلاقة هؤلاء «الحوريين» بهجرة الهكسوس الأولى محض تخمين، ومع ذلك فإنه بسبب عنصر الفرس الذي وجدوا فيه، وما لدينا من تأكيدات على أنه كان يوجد دم سامي بين الهكسوس يجدر بنا إذا ألا نهمل ما قد يكون هناك من علاقة .

على أن أي دليل لقرن الحوريين بهجرة الهكسوس الأولى يكون أساسه الجوار، وإذا لم يكن لمجابهم علاقة في تدعيمه، فعندئذ يجب أن نعتبر «الخبيا» ضمن السلالات التي يحتويها شعب الهكسوس لنفس السبب وهو الجوار. على أن كل معلومات لدينا عن الحوريين الأول الذين ذكرناهم الآن، ندين بها «لخبيا» الذين تلاقوا معهم في غارات قاموا بها على «سوريا» و«مسوبوتاميا». ويظهر أن فحص هذا الموضوع من الوجهة الأثرية ليس فيه أمل يذكر بالنسبة «للأناضول»، على أنه من المحتمل أن تسفر حفائر مقبلة في كل من بلاد «الأناضول» وشمالي «سوريا» عن ملاقات ثقافية لها أهميتها[1].

والآثار الحورية التي تعد أقدم مما سبق في شمالي «سوريا» لم تحقق بعد بصفة قاطعة، وكذلك لدينا عنصر آخر يحتمل عده من الهكسوس، ويجب فحصه، مع العلم أنه يشتمل على صفة تختلف اختلافاً ظاهراً عن العناصر التي عالجناها حتى الآن، وهذا العنصر هم قوم «الخبيرو»، وقد كان أول ظهورهم في التاريخ في «مسوبوتاميا» حوالي نهاية الألف الثالثة ق م، وقد كان لهم اتصال وثيق بالحوريين في القرون التي تلت[2]، ولم يكن الخبيرو طائفة لها لغتها الخاصة أو جنسيتها الخاصة، بل كانوا على ما يظهر قوماً أرغموا لسائقهم الفاقة، يتألفون من سلالات مختلفة، ويحمل معظمهم أسماء سامية، ولكنهم أحياناً يقدمون لأنفسهم صلات لغوية أخرى[3].

---

(١) راجع T. J. Meek, "Hebrew Origins", (New York and London. 1936), P. 5. حيث يقترح أن بعض الهكسوس يمكن أن يكونوا من أصل حوري .

(٢) راجع . Speiser in A. A. S. O. R., XIII. P. 34.

(٣) راجع , Edward Chiera in A. J. S. L., XLIX. (1932) P. 117 f. Speiser in A. A. S. O. R., XIII, P. 35.

على أن تطبيق أسماء « الخبيرو » في المتون يتوقف كلية على النص عليها بأنها أسماء « خبيرو » ، فهؤلاء القوم على ذلك يؤلفون طائفة لا يجمعها إلا طابعها الخاص ، وإنه لمن الصعب أن يضع الإنسان تعريفاً يحدد به هذه الطائفة قبل رقيهم فيما بعد ووصولهم إلى مرتبة طائفة قومية هي طائفة اليهود (1) ، ولكن كلا من الأثرى « خبيرا » و « سبيزر » قد وجد من دراسته لوحات « نوزى » تعابير خاصة يظهر أنها تنطبق على كل « الخبيرو » وهي : أغراب ، عبيد مهيرون ، جوالون ، أعداء أجانب ، مخاطرون (2) .

وفي حين أن غالبية « الخبيرو » ساميون ، فإنهم كانوا في العادة على اتصال وثيق مع العنصر الحوراني المنتسب إلى « الهكسوس » . ولما لم يكن هناك وحدة جنسية أو لغوية بين « الخبيرو » القدامى ، فإنه من المحتمل عدم وجود وحدة ثقافية بينهم .

وفي الإمكان البرهنة على وجود علاقة بين الحقائق التي لاحظناها ، وبين قصص الآباء ، فمن المحتمل أن إبراهيم هو « خابيرى » أي البدوى ، قد صور يزور مصر في رحلة سلمية (3) . والواقع أنه قد قرن غالبا بين رحلته ورحلة « ابشا » الذي سار على رأس قافلة لزيارة مصر في عهد « سنوسرت » الأول ، كما أسلفنا ومن غريب الصدف أن هذا العصر هو العصر الذي لاحظنا به لأول مرة أدلة على وجود

---

(١) راجع : Meek, "Hebrew Origins", PP. 1 — 45. Wilson, "The Eperu of the Egyptian Inscriptions", A. J. S. L., Vol. XLIX, P. 275-80; Parzen. "The Problem of the Ibrim (Hebrews) in the Bible", ibid, P. 254-61, Gunn, "A Note on the Apern", A. A. S. O. R, Vol. XIII, P. 38, note, 93.

(٢) راجع : Chiera in A. J. S. L. Pl. XLIX, 118-24, Speiser A. A. S. O. R., XIII, P. 36. f.

(٣) راجع : Speiser in A. A. S. O. R. XIII, P. 43 & 52.

الهكسوس في مصر كما سبق تفصيله ، وبعد فترة من الزمن دخلت كل أسرة يعقوب مصر، واتخذوها موطنا لهم ، ومن المحتمل أن لدينا في هذا الحادث ذكرى لاحتلال الهكسوس الشامل للوجه البحري [1] ، والواقع أن تكوين الهكسوس الجنسي لا يزال موضوعا بعيدا عن الحل ، ويجوز أن بعض نواحيه لن يكشف عنها أبدا ، غير أنه واضح أن العنصر السامي كان قويا فيه ، وكذلك يظهر أن الحورانيين قد لعبوا دورا هاما في هجرة الهكسوس ، ومن المحتمل أن بعضا من طائفة « الهبيرو » المختلطة الأجناس قد صاحبوا المهاجرين ، ومن بين الذين يجوز إسهامهم في هذه الهجرة كذلك الجنود الإيرانيون فإنهم على ما يظهر قد قاموا بنصيب هام في هذه الحركة .

ويجب عند فحص مسألة التكوين القومي للهكسوس أن نعالج من وجهات النظر اللغوية والجنسية والثقافية ، على ألا نعالج ناحية من هذه النواحي بأهمية دون معالجة النواحي الأخرى بنفس الأهمية، لأنه من المعقول أن نفرض أن أسرة حورانية الأصل مثلا، لها خصصاتها الجنسية والثقافية، قد تتكلم بإحدى اللهجات السامية بعد استيطانها « سوريا » و « فلسطين » مدة جيل من الزمان ، وتشير

---

(١) لا نزاع في أن قصص الأنبياء تحفظ لنا في ثناياها ذكريات في جوانبها ما يمسها التاريخية ، وقد أماط من بعض الكشوف الأثرية الحديثة عن هذه القصص التي تحتوي على عناصر من القانون الحوراني (Gen 31 : 19-35) ، ويدل شرائحه الأحوال على أن يوسف كان وزيرا لأحد (Gen 41 : 39 - 44). الفراعنة الهكسوس في مصر ، وكذلك الآراميون يجوز أنهم كانوا ضمن هجرة الهكسوس . وقد وصف يعقوب بأنه آرامي جوال في وقت كان يميز فيه العبرانيون بينهم وبين الآراميين بوضوح على (Deut 26 : 5) ومع هذا فإنه يدل على استمرار تقاليد قامت على حقائق ، وكذلك نجد أن تقرير هنا إلى أن إسحاق ويعقوب كانا قد تزوجا من آراميات (Gen. 25 : 20 & 28 : 2-5) ، والعبارة التي اقتبست كثيرا (Num. 13 - 22). عن «حبرون» بأنها بنيت قبل زوان (تانيس — أواريس) بسبعة أعوام لم تحقق حتى الآن من الوجهة الأثرية ، وكذلك من الصعب أن نعالج الإشارات موضوع شراء إبراهيم عليه السلام للكهف في حقل «ماكبيلاه» من «عفرون الحيثي» (Gen. 23) غير أنه ليس غريبا على ما يظهر حسب شعور الدم سكنى الحيثيين في حبرون في ذلك العهد .

البراهين اللغوية الخاصة بالألف الثانية قبل الميلاد الى أن اللهجات السامية كانت سائدة فى هذه البلاد[1] ، وإذا أردنا مثلا أن نلتمس مثالا حيا ينطبق على الحالة التى نتكلم عنها حيث نجد كل أنواع الجنسيات والقوميات والعادات يختلط بعضها ببعض تحت نفوذ لغة واحدة رئيسية ، فلدينا الولايات المتحدة الحالية . ومهما يكن أصل تكوين الهكسوس فإن اللغات التى استعملوها ، كانت تميل إلى الاختفاء أمام اللغة السائدة فى البلاد ، فى حين أن العادات كانت تمكث مدة أطول من اللغة والجنس على ما نعلم ، ويمكن الكشف عن هذا الجنس إذا كان فى الإمكان جمع طائفة كافية من الجماجم لدرسها . وقد أبرزنا فيما سبق الدور الذى لعبه الساميون فى هجرة الهكسوس ، والظاهر أن عددهم كان عظيما بسبب انتشار لغتهم ، ومع ذلك فليس لنا الحق فى أن نقول إن من يحمل اسما ساميا بين قوم الهكسوس لم يكن حورانيا أو حيثيا (حثيا) أو هنديا إيرانيا ، إذ نجد من بين ملوك الهكسوس من كان يحمل أسماء مصرية محضة ، ومع ذلك فإن أولئك الملوك لم يكونوا منتسبين إلى أصل مصرى ، على أن استقرار هذه الأسماء من مسميات الطوائف التى كانت لغاتهم خاضعة لسيادة لغة أخرى يكون مفيدا للغاية ، وبهذه المناسبة يجب ألا نتغاضى عن التنبيه على أن عددا من أسماء الهكسوس قد بقى إلى الآن لم يحقق لغويا . وهكذا سيظل موضوع أصل شعب الهكسوس فى حاجة إلى أدلة جديدة بعد أن استعرضنا الوثائق الحديثة العظيمة التى وصلتنا عنه حتى الآن ، ولذلك كان الكشف عن صنوف جديدة من المتاع التى خلفتها الهكسوس مساعدا عظيما لحل هذه المسألة ، ويجب أن يكون قيام بحوث أثرية جديدة فى سوريا وما وراءها على أساس المقارنة الدقيقة فى جمع الأدلة الثقافية ونتائج فحص العظام جزءا من الطريقة التى تتبع لحل هذه المسألة .

---

(١) راجع : Albright, in J. P. O. S. Vol. VII, P 254.

الأسرة الثامنة عشرة

أحمس الأول



١٥٥٨ — ١٥٨٠

أحمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة : لقد كان « مانيتون » المؤرخ المصري القديم محقاً عندما جعل « أحمس » الأول فاتحة ملوك الأسرة الثامنة عشرة على الرغم من أنه من أسرة كانت تسيطر على جزء كبير من البلاد في عهد الأسرة السابعة عشرة . إذ الواقع أنه في حكم هذا الفرعون قد طويت صحيفة من تاريخ البلاد سطر عليها عهد استعباد الشعب المصري مدة قرن ونصف من الزمان ، ثم بدأ صحيفة جديدة كان أول ما خط فيها آيات بينات تحدثنا عن استقلال البلاد وطرد الغزاة الغاصبين من أرض الكنانة ، ثم الإصلاحات التي قامت



(٤٤) تمثال أحمس الأول

فى طول البلاد وعرضها بعد استتباب الأمن فى الداخل والخارج على أسس متينة هيأت لمن جاء بعده من الفراعنة الشجعان أن يؤسسوا دولة مترامية الأطراف تمتد من الشلال الرابع جنوبا إلى أعالى نهر دجلة والفرات شمالا ، وتدين له كل الأمم المجاورة ماديا وأدبيا حتى أصبحت فى عهد « تحتمس » الثالث الذى يلقبه مؤرخو الغرب « نابليون» الشرق الامبراطورية الأولى فى عالم التاريخ القديم ، وقد كانت المثل الذى احتذته الامبراطوريات الغربية العظيمة قديمها وحديثها فى تأسيس ملكها ومد سلطانها .

أعماله الحربية فى الخارج والداخل : والواقع أن الحادث الجلل الذى يعلم به حكم « أحمس » الأول الذى خلف أخاه « كامس » هو متابعة حروب العظيمة التى نشبت بين المصريين والهكسوس وهى المعروفة بحروب الاستقلال التى كانت أمجد صحيفة فى التاريخ المصرى . وقد فصلنا القول فى هذه الحروب الطاحنة فى موضعه ، ولم تمض أربع أو خمس سنوات على بداية هذا النضال العنيف حتى أفلح « أحمس » فى طرد الهكسوس من البلاد حتى بن سار بجيشه حتى بلاد « زاهى » (فينقيا) حيث يحدثنا « أحمس » عما أحرزه من انتصار ، وبعد أن تم له النصر فى هذه الأصقاع الأسيوية عاد ثانية موليا وجهه نحو الحدود الجنوبية حيث كان السود قد انتهزوا فرصة اشتغاله بالحروب فى آسيا ، ورحفوا شمالا نحو البلاد المصرية فلحق بهم، وأعمل السيف فيهم فى مذبحة عظيمة كما دلّ ذلك على جدران مقبرة « سمنة » الملك « تحتمس » الثانى .

على أنه لما قفل راجعا وجد أن بعض الثورات قد اندلع لهيبا فى داخل البلاد ولا يبعد أن الذين قاموا بتدبيرها أفراد من الذين تخلفوا فى البلاد من الهكسوس بعد طردهم وهذا ليس بالحادث المستغرب لأن طرد قوم بأكملهم استوطنوا البلاد مدة طويلة دهمة واحدة يعدّ من الأمور الصعبة التحقيق . ولا نزاع فى أن التورمس

(١) راجع L. D. III. Pl. 47c.

الذين قام بهما وآباؤه ثم دمتاهات وكان يجرى فى عروقهما الدم المكسوسى فقد هزم كل مهماى ثورة هزيمة منكرة، ومن ثم لم نسمع بقيام ثورات داخلية بعد ذلك.

والظاهر أنه بعد هذه الحروب لم تصادفنا حوادث خطيرة فى حكم هذا الفرعون، بل تدل الأحوال على أنه أخذ فى تنظيم حكومة البلاد وإصلاح ما خرب فيها خلال حرب الاستقلال مما استنفد الجزء الأكبر من مدة حكمه.

اللوحة التى أقامها فى معبد الكرنك تخليداً لأعماله وأعمال والدته :

والواقع أنه ليس لدينا تواريخ بعد السنة الخامسة من حكم هذا الفرعون، وهى السنة التى قضى فيها القضاء المبرم على قوة أعدائه شمالا وجنوبا، إلى أن نصل إلى السنة الثانية والعشرين من حكمه، حيث نجد «أحمس» قد أقام لوحة عظيمة بمعبد «الكرنك» تكشف لنا عن نواح هامة من نشاطه، وما قامت به والدته «أعح حتب» من أعمال عظيمة وعلاقتها بجزيرة «كريت» وملكها، وما قام به الآلهة، وبخاصة الإله «آمون» من جليل الأعمال مما يكشف لنا عن حالة البلاد المادية والصناعية وقتئذ، ولذلك لم نر بدًّا من إثبات محتويات هذه اللوحة بأكملها على الرغم مما فيها من النعوت البلاغية التى يصف بها هذا الفرعون نفسه، ثم نعلق على ما جاء فيها من حقائق جسيمة قد نوه عن بعضها الأستاذ «إدورد ميير» فى مؤلفه التاريخ القديم[1].

وهاك النص كما جاء فى الأصل المصرى القديم مع التعليق عليه.

(١) يبتدئ النص بذكر ألقاب الفرعون الخمسة الرسمية[2].

وهى (١) حور — عظيم الشكل (٢) المتاب والصل = حسن الولادة (٣) حور الذهبى = قصاص الأرضين (٤) ملك الوجه القبلى والبحرى = رب الأرضين سيخنتى رع (٥) ابن الشمس = الذى يحب أحمس عاش مخلداً (راجع تقسيم الألقاب الملكية مصر القديمة ج أول ص ٢٦٧ — ٢٦٨)

---

(١) راجع Meyer, "Gesch." II, 1. P. 54-55.

(٢) يذكر ألقاب هذا الفرعون الخمسة كلها على أثر واحد خلاف هذه اللوحة (راجع Gauthier (L. R. Vol. II. P. 177 (V).

القلب أحس ووصف عظمة ملكه : إلى آمون رع حب جسده وعضوه ووارثه ،
من أحل له عرشه ، الإله الطيب حقيقة ، قوى الساعد والذى لا يشبهه حى ، وابنه أمير شبه الإله
« رع » ، [illegible] والذى « جب » (إله الأرض) ووارثه الذى يحج بالسرور ، وصورة « رع » الذى [illegible] ،
والمتقدم له الذى [illegible] على الأرض ، والذى [illegible] ، ورب الانشراح ، وتابع النفس فى أنوف
السيدات (؟) ، والشديد البأس [illegible] الحياة ، عظيم [illegible] ، ملك الذى على كل أرض ، الملك
(له الحياة والفلاح والصحة) الذى يحكم الأرضين ، عظيم الاحترام ، القوى فى الظهور ... من ينضح
له ، والذى يعطى له الحياة والسعادة ، وهو واحد فى السماء ، والثانى على الأرض ، ومن يخلق من صورة
السرور ، محبوب « آمون » ، ومن [illegible] الإله ، حسن الوجه (أى بتاح) ، المسيطر على
[illegible] مثل جلالة « رع » (أى يحكم ستين ملة) ، ومن يجعل الإله يعرف محرابه ، وما يلزم لكل معبد
له ، ملك الوجه القبلى فى بلدة « برتو » ، والأمير على مصر ، وحاكم السماء ، وسكان الأرض ، ومن
استولى على ما تحيط به الشمس ، ومن له تحت على رأسه التاج الأبيض ، والتاج الأحمر ، ومن تصبح
كل من « حور » و « ست » تحت سلطانه (أى مصر كلها) ، والملبس الثلثة فى ثيابه ، ومن قدر لتاجه
[illegible] فى كل ساعة ، ورفيع الريشتين ، ومن يكون أمامه [illegible] على جبهته مثل
[illegible] على جبينه « حور » ، [illegible] ما يسيطر على الأرضين ، وهو ملك له الحياة والسعادة ، مسئول
على البهجات فى « نخن » ، وصاحب التاج ، حور المنتصر بالحب ، ومن يأتى له الجنوب والشمال والشرق
والغرب ، وهو [illegible] ، ومن [illegible] (مصر) ومن استولى على إرث [illegible] ، ومن تراجع أمامه
الأوطان [illegible] ، وله أعطاه [illegible] ، وله سيطر على [illegible] « المنتت »[2] [illegible] على [illegible]
[illegible][3] [illegible] « البث » [illegible] ، وكان كل فرد [illegible] ،
[illegible] ، والأراضى [illegible] أباه وأنه ملك [illegible] « رع » ،
[illegible] ، وله [illegible] والأراضى [illegible] واحدة ، وكذلك ما تحيط به
الشمس ، [illegible] الأجانب فى موكب واحد [illegible] باب قصره ، [illegible] « [illegible] » ([illegible]
[illegible] ساحل البحر الأحمر والنيل) [illegible] فى أراضى « [illegible] » ، [illegible]
الأرض (مصر) مثل الخوف من الإله « حب » فى السنة عندما يأتى (أى فى سنة القحط) ، وأنهم

---

(١) [illegible] الإنسان كما
يقول جاردنر (Onomastica Vol. I. P. 112.)

(٢) المنتت [illegible] كما يقول « [illegible] »

(٣) [illegible] سكان [illegible]

يحضرون الدرس الثاني عندما يأتون حاملي الهدايا إلى الفرعون ، وحدثة يخرج الملك وبصحبته أتباعه مثل القمر في وسط النجوم ، مبرق ورقة ، ويخطو في تؤدة ، ويتقدم تاجه ، وحول طاقم ، يرفرف عليه جلال « رع » وتحميه « آمون » والقديم القادر ، ويفسح له الطريق ، والنظارة يقولون : حقا إنا نراه ، وحبه يملأ كل إنسان ، وتميز البيان بنقوة هذا الملك ، والقلوب تخشى بحبه ، ونشيعه كأنه « رع » عند إشراقه ، وهو مثل قرص الشمس عندما يسطع ، ومثل شمس الظهيرة عندما تصب اللهيب ، ورائحته في الوجوه مثل أشعة « آتوم » وهو في مجرى السماء عندما ترقص القماة في وديان الصحراء (أي في وقت الظهيرة) ومثل « باخر » (إله الشمس) عندما يرسل أشعته وسط النهار ، وقت ما تكون البلدان منها محروقة ، وهو الإله الأوحد الذي أرضعته نجم الصباح (أوريس) ، ومن مرضعيه الإلهة « سشات » (إلهة الرياضة التي علمت الملك) ، ومن ثكنته حبيبة الإله « تحوت » (إله العلم) الذي يمنحه معرفة الأشياء ، وإنه الذي يهدي الكاتب إلى اللغة ، ويعلم في فنون السحر ، وإنه مالك القلب أكثر من كل الملوك ، وهو « حور » (الملك) الذي يحبه « رع » ، والذي يجعل القلوب تتبعه والأحداث تقدم له المديح في الأجسام .

طلب الملك إلى رعيته أن يحترموه : اصغوا يا أهل الوجه القبلي ، ويا رجال الغرب ، ويا أهل الوجه البحري ، وأيها الناس جميعا ، يا من يجمعون هذا الملك في خطواته ، اعطوا الظهر للأنتري ، وطهروا باسمه ، وطهروا حياته (جعف الجسم) . تأملوا بذلك على الأرض عندما نزلوه المصوغ مثل « رع » . أثنوا عليه مثل ما تثنون على القمر ، فهو ملك الوجه القبلي والوجه البحري « [illegible] رع » الذي يضع في الأطلال كل أرض أجنبية .

دعوة القوم إلى تبجيل الملكة « إعح حتب » ومديح تلك الأميرة لما لها من سلطان : قدموا المديح لسيدة البلاد ، وحبيبة جزر « [illegible] » ، فاسمها رفيع فخم في كل بلد أجنبي ، وهي التي تسير الخطة للجمهور ، زوج الملك ، وأخت الملك ، لها الحياة والسعادة والصحة ، وهي أخت ملك ، وأم ملك ، العاقلة ، والساهرة على مصر ، وتضطلع بشئون مصر ، والقاصة حسب سيئها ، ورعت هؤلاء ، وأعادت الهاربين ، وجمعت شتات الغير هاجروا ، وهدأت روع الوجه القبلي (أي عاكمة طيبة) ، وأخمدت عصاته ، الزوجة الملكية « إعح حتب » عاشت .

الهدايا والعطايا التي أمر الفرعون بإقامتها للإله « آمون » . ولا أمر جلالته صياغة آثار لوالده « آمون رع » تشمل أكاليل عظيمة من الذهب ، وقلادة من حجر اللازورد الحقيقي ، وخاتم [illegible] من ذهب ، [illegible] ماء عظيما من الذهب ، وآنية ماء [illegible] من الفضة ، وآنية [illegible]

قدر كاه من الذهب ، وبالتة قربان من الذهب والفضة ، وعقود « منت » من الذهب والفضة بتماثيل حيات من اللازورد والفيروز وآنية « كاب إن كا » من الفضة ، ورقاصتها من الفضة ، وآنية « كاب إن كاه » من الفضة ، وصالتها من الذهب ، ورقاصتها من الذهب والفضة ، وآنية « نو » من الفضة وآنية « ... » من الكرانيت الأحمر مملوءة بالزيت ، وآنية « وشم » كبيرة من الفضة والذهب ورقاصتها من الذهب ... من الفضة ، وصولجانا من الأبنوس والذهب والفضة ، وتماثيل المرو ... من الفضة ، وصيت من الذهب .

ثم أمر جلالته أن تنزل السفينة في النهر ، واسمها « وسرحات » (لقب آمون صاحب القارب المقدس الشهير) ، وقد صنعت من خشب الأرز الجديد من أحسن خشب المدرج (أي جبال لبنان) لتقوم برحلة السنة الجديدة ... وأنه أتت مع أعلام من خشب الأرز ، وكذلك السقف والأرضية ، وأعطيت ... »

أهمية هذا النص من الوجهة التاريخية : هذا النص على ما يحتويه من تفاصيل دقيقة ، وإشارات بعيدة إلى أمور جسام في حياة الفرعون « أحمس » الأول يرى فيه المؤرخون أنه عبارات مدح تقليدية تشغل نحو ستة وعشرين سطرا منه ، وستة الأسطر الباقية تعدد إصلاحات هذا الملك التي قام بها لإعادة أثاث معبد « آمون » وأوانيه ، وأن الملك لم يشر إلا إشارة عابرة مبهمة عن حروبه في خلال تلك الحقبة الطويلة المتتابعة ، ولكن الواقع أن هذه اللوحة تعد على جانب عظيم من الأهمية من الناحية التاريخية والثقافية والأدبية في عهد هذا الفرعون ، وبخاصة لأنها تشير من طرف خفي إلى علاقة مصر بجيرانها ، وتصور لنا حالة البلاد ، وعلاقتها بالملك ، وأمه « أعح حتب » ثم الدور الذي لعبته هذه الملكة في إدارة شئون هذه البلاد . وقد كان أول من لفت النظر إلى مكانة هذه الملكة في تسيير أمور الدولة في عهد ابنها « أحمس » هو الأستاذ « ادور دميرو » كما سنفصله هنا :

تبتدئ اللوحة بذكر ألقاب الفرعون الخمسة التي لا بد أن يحملها كل فرعون بعد تتويجه ملكا على البلاد ، ثم يذكر لنا « أحمس » أنه من نسل الآلهة ، وأنه وارث « أوزير » والإله « رع » أول من حكم على الأرض ، ونشر بها العدالة ،

ثم يذكر لنا هذا الفرعون أنه أصبح ملك الملوك بعد انتصاراته على الغزاة القاهرين حتى أن آلهتهم يقدمون له الحياة والسعادة ، ثم يذكر لنا المتن أنه واحد فى السماء ، والثانى على الأرض ، فهـل يعنى بذلك أن والدته كانت شريكته فى ملك مصر؟ وبعـد ذلك يقول إنه ملك الوجه القبـلى فى « بوتو » و « بوتو » كانت العاصمـة الدينية للوجه البحرى منـذ القدم ، فهل معنى ذلك أنه بعد أن كان حاكما على الوجه القبلى وحده ، أصبح يمتد سلطانه حتى « بوتو » العاصمة الدينية للوجه البحرى بعد طرد الهكسوس ؟

ولا نزاع فى أن هـذا المعنى هو المقصود من المتن ، إذ بعد هـذه الجملة يأتى مباشرة : إنه حاكم « تيرا » أى أرض مصر كلها ثم يستمر المتن قائلا إنه قد استولى على ما تحيط به الشمس وأن نصيبى « حور » و « ست » وهما الوجه القبلى والوجه البحرى قد أصبحا تحت سلطانه وأن سكان الجنوب والشمال والشرق والغرب يأتون إليـه طائعين ، وأن طبقات سكان مصر الثلاث « رخيت » (العـامة) وسكان الوجه القبلى « بعت » (الأشراف) و « الإنسان (حممنت) لا يعبدون الإنسان إلا باسمـه ، وأنهم يمدحونه ، ويعظمونه مثـل ما يعظمون ويمدحون الشمس والقمر ، ثم بعـد ذلك تأتى فقـرة لم تحفظ مثلها فى النقوش الملكية قط ، وأعنى بها ذلك الأمر الذى دعا به « أحمس » النـاس لتعظيم من شأن أمـه الملكة « أعح حتب » وهى التى تحمل لقب سـيدة الأرض (أى مصر) وأمـيرة شواطئ « حاو نبوت » وكلمة « حاو نبوت » كناية عن سكان جزر البحر الأبيض ، وهى فى هذه الفقرة لا شك يقصد منها جزيرة « كريت » وما جاورها من الجزر ، وبعد ذلك تأتى عقود المديح التى صبت لهذه الملكة فاستمع إليها : « اسمها رفيع الشأن فى كل بلد أجنبى ، وهى التى تقود الجماهير ، زوجة ملك ، وأخت ملك ، وبنت ملك ، وأم ملك ، العاقلة والحاذقة التى تهتم وتضطلع بكل شئون مصر ، وهى التى جمعت جيشه ، وحمت أولئك الناس ، وأعادت الفارين ، وجمعت شمل الذين هاجروا

وحلت روح الوجه النبيل (أي مملكة طيبة)، وأخضعت عصاته بوصفها الزوجة الملكية «اح حتب» العائشة؛ ففي هذه الكلمات التي فاه بها ابنها، تظهر فيها هذه الملكة بأنها هي التي أنشأت مصر الحديثة، وأنها الروح الذي أنقذ مصر من عثرتها، وكبت طغاة الصالح، يضاف إلى ذلك أنه قد يستنبط من هذه الكلمات أنها لا بد كانت قد قامت بنشاط حربي في خارج بلادها؛ إذ كان لا يمكنها أن تحمي الفار بين وتجمع شتاتهم إلا في البلاد الأجنبية، وكذلك كان في مقدورها أن تقود هناك جيشها إلى النصر. ومن أجل ذلك يجب أن نسلم أنها بعد وفاة زوجها «تاعا» الشجاع، أخذت في يدها مقاليد الأمور بعزم وحزم محتضنة ابنها «كامس» المحارب الذي كان على ما يظهر لا يزال حدث السن. على أن مظهرها هذا ليس فيه ما يتناقض مع موقف «كامس». ولما تولى «أحمس» وقد كان على ما يظهر حدث السن أيضاً، أصبحت هي الوصية الحقيقية على عرش «طيبة»، ولكن لابد أنها كانت في الوقت نفسه قد عقدت أواصر المودة والصداقة بينها وبين ملك «كريت» ومن المحتمل أنها تزوجت منه؛ وذلك لأنه لا يمكننا تفسير عبارة «أميرة شواطئ حاونبوت» على أي وجه آخر كما يقول «أدورد ميير».

ومما سبق يتضح — إذا كان التفسير الذي أوردناه مقبولاً — أن الهكسوس قد وقعوا بين مخالب مملكة «طيبة» وجزيرة «كريت» التي أصبحت حليفتها، وبهذا أصبح من السهل حصار «أواريس» والتغلب عليها. ونجد في هذه الأنشودة الملكية فضلاً عن ذلك ما يثبت هذا الزعم، فطبقات الشعب الثلاث تقول «إنه سيدنا» ويقول أهل «حاونبوت» نحن في ركابه، والأراضين تقول: نحن ملكه. وفي استطاعة الإنسان أن يميز بوضوح ثلاث طوائف مختلفة، الرعية المصرية وأهل «كريت» حلفاء مصر، وهم الذين يقومون هنا بالمساعدة الحربية، ثم سائر العالم (أي سوريا وبلاد السودان)، وهي الأراضي التي يظلها سلطان مصر.

وقد كان أثر هذه العلاقة الوثيقة التي توثقت عراها بين مصر وكريت، على جانب عظيم من الأهمية، وخاصة في الثقافة والصناعة التي تبودلت بين أهل البلدين منذ زمن بعيد، وقد زادتها هذه الروابط الجديدة قوة مما جعلها تنمو وتعظم في الأزمان المقبلة.



(١٥) سلاح بلطة أحمس الأول

والواقع أن تبادل الثقافة والصناعة بين البلدين قد ظهر أثره فى سلاحين من أسلحة الزينة فى نفس العصر الذى نحن بصدده، قد كان يحملهما الملك « أحمس » وكذلك فى قطعة أخرى من الحلى للملك « كامس » وجدت مع مجوهرات والدته « اعح حتب » فنجد أنه قد نقش على أحد وجهى خنجر « أحمس » المحلى فى حبط من الذهب اسم الملك ، وكل حرف من حروفه قد حلى بحبيبة من الذهب الجميل الصنع ، ثم نجد بعد ذلك أنه قد صيغ على نصل الوجه أسد يقتفى أثر ثور ثم أربع جرادات ، ويرى فى صنع هذا الخنجر تأثير الفن الكريتى المحض ، إذ قد وجد فى هذه الجزيرة وفى « مسينا » خناجر مطابقة لخنجر الملك « أحمس » غير أن الصناعة كانت مصرية وكذلك نجد نفس التأثير « الكريتى » فى (بلطة) « أحمس »[1] (انظر ص ٢٠٧) يضاف إلى ما سبق أن الفرعون قد أشار إلى البلاد التى تغلب عليها كما ذكرنا آنفا .

أما علاقة هذا الملك بشعبه ، وما يحملونه له من رهبة ومحبة فى قلوبهم ، وما يحيط به نفسه من الأبهة والعظمة عند خروجه على الناس فى الحفل الرسمية ، فقد جاء وصف كل ذلك فى قطعة رائعة ربما تذكرنا بعهد ملوك الدولة العباسية ، وما كانت توصف به مواكبهم ، وكذلك ينطبق على سلاطين المماليك ، وما كانوا يحيطون به أنفسهم من مظاهر الملك الرائعة ، فاستمع إلى هذه الفقرة التى لم نجد مثيلا فى النقوش المصرية التى خلفت هذا العصر، ولم نقرأ مايشابهها فى العصور التى تلت . « يطلع الملك وحاشيته كأنه القمر فى وسط النجوم ، يسير فى رفق وبطء وتؤدة ، ويتقدم ناشئة ، وظل ينطبع على الثرى أثره ، ويرفرف عليه بهاء « رع » ويحيه « آمون » وإله القاصر ، مفسحا له الطريق ، والقطران يقولان حقا إنا رأيناه ، وحبه يغمر كل إنسان ، وتعبر البلدان لرؤية هذا الملك ، والقلوب تخفق له ، وتنظر إليه كأنه « رع » عند إشراقه الخ .

(١) راجع Furtwangler "Die Antiken Gemmen III, 20; Fimmen, "Die Kretische-Mykenische Kultur", P. 204, ff.

إصلاحات أحمس : ولا عجب في أن نرى « أحمس » يصف نفسه بهذه الأوصاف ، ويصفه قومه المحبين له يرددونها بصوت عال ، فهو جدير بكل مراسيم الاحترام ، وآيات الحب والإعظام لأنه هو الذي خلص البلاد من ربق العبودية الأجنبية .

ثم نرى بعد ذلك « أحمس » يوجه عنايته نحو إصلاح ما أفسده الدهر من آثار إله العظيم « آمون » الذي كان يزعمه قد هيأ له النصر على الأعداء ، هذا فضلا من أنه كان إله الدولة ، وحامي حماها ، فأمر بصنع أواني جديدة لمعبده « بالكرنك » معظمها من خالص النضار والفضة ، والأحجار الغالية على يد مهرة الصناع ، ومن أوصاف تلك الأواني وحدها يمكننا أن نعرف ما وصل إليه الفن المصري من الدقة والإتقان ، وحسن الذوق في زمنه ولا بدع في أن الذهب كان يوجد بكثرة في مصر الآن وخاصة بعد أن أخضع بلاد النوبة التي كانت أكبر مصدر لهذا المعدن الكريم ، وكذلك نجد أن هذا الفرعون قد صنع سفينة الإله « آمون » التي كانت تجري في النيل بين « الكرنك » و « الأقصر » تحمل تمثال الإله في عيد رأس السنة من خشب الأرز الجديد ، وفي وصف هذا الخشب بالجديد فوز جديد « لأحمس » الأول ، إذ أنه قد أحضره من الجبال الواقعة على شاطئ « لبنان » مما يبرهن على أن هذه الجهات قد أصبحت في قبضة يده كما يدل على ذلك النص المصري .

مبانيه : والظاهر أن هذا الفرعون كان في الوقت الذي أمر فيه بصنع الأواني والحلي الخاصة بمعبد « آمون » كان قد بدأ يحول عنايته لإعادة بناء المعابد العامة في عاصمة الملك . على أن بناء عاصمة البلاد ، وأهم مركز ديني بدون إصلاح ما خرب منها لأكبر دليل على ما كانت تحتاج إليه البلاد من تهيئة الثروة الضرورية لنهوض البلاد من كبوتها السياسية الطويلة الأمد ، قبل أن يتم عليكما بإنشاء الكماليات ، وما تطمح إليه نفسه ، وقد كان ذلك يحتاج إلى نهوض جيل جديد يجري في عروقه دم الحرية تنتعش به البلاد مما حل بها من خراب واضطهاد .

على أن المباني التي أقيمت في هذا العهد في «طيبة» و«منف» قد اعتمها التخريب التي حدثت في مبانيهما في الأزمان التي تلت، والتخريب الذي لحق بهما على يد الأجانب، ولكن لحسن الحظ قد حفظت لنا الوثائق التي تحدثنا عنها في محاجر «طرة» أن «نفربرت» حامل خاتم الفرعون، ورفيقه، قد نقش لوحتين مؤرختين بالسنة الثانية والعشرين من حكم «أحمس»، وقد سجل عليهما فتح محاجر لقطع الأحجار اللازمة لبناء معبد «بتاح» بمنف ومعبد «آمون» بطيبة، ويجد قبل النص في أعلى اللوحة ألقاب الملك «أحمس» ثم ألقاب زوجه «أحمس نفرتاري» بصورة بارزة تفوق ألقاب زوجها، والنص هو:

السنة الثانية والعشرين من حكم الفرعون «أحمس» بن «رع» معطي الحياة، فتحت المحاجر الخاصة بقطع الأحجار لتنحت من جديد، واستخرج الحجر الجيري الأبيض الجيد من «عيان» (اسم الإقليم القديم) لبيته، معبده الذي سيبقى ملايين السنين، وهما معبد «بتاح» في «منف» ومعبد «آمون» في «الأقصر» ولكل الآثار التي يقيمها جلالته، (أي الأسرى) وقد جرت الأحجار بالثيران التي غنمها جلالته في انتصاراته على «الفنخو».

ويلي هذا النص يأتي ذكر «نفربرت» الذي قام بهذا العمل، وما يحمله من ألقاب، وقد وصف نفسه بأنه مشرف على إصلاح المباني الأثرية، ويرى تحت هذا النقش رسم ستة ثيران تجر زحافة عليها قطعة كبيرة من الحجر، ويلاحظ أن السائقين الثلاثة الذين يسوقون الثيران أجانب كل منهم له لحية قصيرة، ولا يبعد أنهم كانوا من الأسرى الذين ساقهم «أحمس» معه إلى مصر[1].

الملكة نفرتاري: ومما يلفت النظر في هذه اللوحة ورود اسم الملكة «أحمس نفرتاري» مما يدل على الأهمية العظمى التي كانت تمتاز بها الوارثة الملكية في الأسرة الفرعونية في هذا العهد. والواقع أن الأثري «ونيول» قد وجد اسمها منقوشاً وحده في محاجر مرمر في وادي أسيوط[2]. وقد كشف لنا عن عدة تماثيل صغيرة

---

(١) راجع: L. D. III, Pl. 3, Petrie, "History", II, P. 37

(٢) راجع A. S, XI, P. 176.

تمثلها ، مع أنه لم يعثر لزوجها « أحمس » على تمثال واحد حتى الآن . هـذا وقد وجد لها تمثال صغير رأسه في « معبد الكرنك »[1] .

ومن المدهش أن هذه الملكة كانت تقدس أكثر من زوجها وقد بقي تقديسها على مر السنين أكثر من أي ملك آخر ، فقد وجدت آثار تدل على ذلك حتى عهد



(١٦) الملكة أحمس نفرتاري

(١) راجع : Wiedemann, "Gesch". P. 316.

الأسرة الواحدة والعشرين . والواقع أنها كانت تعد فى نظر المصريين إلهة مثل آلهة طيبة العظام، وكان لها طائفة خاصة من الكهنة تقوم على خدمتها كما كان لها محراب مقدس يوضع على سفينة مقدسة يحمل على الأكتاف فى الاحتفال بالأعياد العظيمة، وقد كان القوم ينعتونها بصيغة القربان المعروفة[1]، وتلقب على الآثار بالإلهة الملكية، والأخت الملكية ، والزوجة الملكية العظيمة ، والأم الملكية ، والملكة العظيمة ، وسيدة الأرضين، وهى بذلك تضارع الملكة « اعح حتب » أم « أحمس » الأول فى مجدها إذ كانت وصية عليه أيام حداثته كما أسلفنا . والظاهر أنها عاشت مدة طويلة بعد وفاة زوجها الذى مات فى سن الأربعين، وقبرها مجهول مكانه حتى الآن ، ولكن وجد تابوتها فى خبيئة الدير البحرى ، وهو موجود الآن بالمتحف المصرى ، ويبلغ طوله أكثر من عشرة أقدام ، وقد حمل الغطاء على هيئة صورة الملكة ، وتلبس التاج والريشتين الطويلتين ، الميزتين للملكة أو الإلهة ، وذراعاها مثنيتان، وفى كل يد من يديها رمز الحياة، وقد وجد فى تابوتها مومياءان : إحداهما حقيرة فى منظرها ، والثانية التى كانت موضوعة فى تابوت آخر محفوظة حفظا جيدا ومحنطة تحنيطا متقنا . والظاهر أن أصحاب الشأن فى المتحف المصرى، قد ظنوا أن الجسم الذى كان فى التابوت هو جسم « أحمس نفرتارى » ، وأن الجسم الثانى كان دخيلا وضعه الكهنة عند ما كانوا ينقلون الجثث الملكية فى عهدهم الأخير، ولذلك حفظ فى مكان خاص، غير أنه تأثر بهذا المكان الرطب، فتصاعدت منه رائحة كريهة ، فدفن فى الحال فى حديقة المتحف . ولكن أحد الشك بخاصر « مسبرو » هل فى أن الجسم الذى دفن فى الحديقة هو جسم الملكة « نفرتارى » ، ولذلك أخذ الأثريون يستعيدون النهاية المحزنة التى لاقتها جثة الملكة « أحمس نفرتارى » ، غير أن « مسبرو » على ما يظهر أكد لنا أن الجسم لم يفقد قط، وأنه

---

(١) راجع = Petrie, "History", II, P. 37. ff.

(٢) راجع Maspero, "Guide" No, 1173. bis

الآن فى مكانه بالمتحف المصرى . ولكن الدكتور « إليت سمث » عندما أخذ بفحص الأجسام التى وجدت فى خبيئة الدير البحرى أكد أن واحدا من الجسمين يحتمل أنه جسم الملكة ، لأنه كان جسم امرأة قد حنطت على الطريقة التى كانت متبعة فى عهد ذكورة الأسرة الثامنة عشرة . وتدل نواجذ فكها الأعلى البارزة التى كانت من مميزات الأسرة على أنها « نفرتارى » ، فإذا كان هذا هو الواقع فإن جسمها هو الذى يحمل رقم ٦١٠٥٥ (١) فى متحف القاهرة . ويمكن الإنسان أن يقول : إنها عند مماتها كانت امرأة طاعنة فى السن متهدمة الجسم تكاد تكون صلعاء ، وقد غطت هذا الصلع بجدائل من الشعر المستعار . ولا بد أن نلفت النظر هنا إلى أنها كانت أكبر من أخيها « أحمس » بسنين عدة ، وقد قضت النفس الأخير فى عهد ابنها « أمنحوتب الأول » .

اللوحة التى أقامها فى العرابة للملكة تتى شرى : ومن الآثار القيمة الهامة التى بقيت لنا من عهد هذا الفرعون لوحة عثر عليها فى « العرابة المدفونة » (٢) ، ولا بد أنها نقشت فى أواخر حكمه ، وألفاظها تنم على أنها ليست من الطراز التقليدى فى عباراتها بل يجد الإنسان فيها التعبير عن الأحاسيس بالبر البنوى نحو الوالدة ، إذ الواقع أن « أحمس الأول » وزوجه « نفرتارى » قد أظهرا فى عرض اللوحة فضل جدتهما عليهما ، وحبهما لإحياء ذكراها بتوسيع قبرها الرمزى القائم فى « العرابة المدفونة » . وهاك النص :

« الآن اتفق أن جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب بحتى رع » ابن الشمس « أحمس » كان جالساً فى قاعة الاستقبال (فى القصر) فى حين كانت الأميرة الوراثية ، صاحبة المديح العظيمة ، والزوجة الفاتنة ، بنت الملك ، وأخت الملك ، والزوجة المقدسة ، والزوجة الملكية « أحمس نفرتارى » كانت مع جلالته ، وقال الأول يتكلم للأخرى باحثين عما هو صالح أولئك الذين هلكوا (الأرواح) وتشكيلات من ماء القربان ، وتقريب القربان على المذبح ، وتزيين اللوحة الطارية التى سيشرع له مثلها

(١) راجع Catalogue of Cairo Museum, No. 61 55.

(٢) راجع Ayrton, Currelly, Weigall, "Abydos", III, Pl. LII.

في عيد أول يوم من كل فصل، وفي العيد الشهري لأول الشهر، وفي عيد خروج الكاهن «سم»، وعيد نهاية منتصف الشهر، اليوم الخامس عشر من الشهر، وفي عيد اليوم السادس من الشهر، وفي عيد «سكر»، وفي عيد «واج» (عيد الطعام)، وفي عيد الإله «تحوت»، وفي عيد بداية كل فصل في السماء والأرض. وعندئذ قالت له أخته إيابة على ما قال: لماذا قد ذكرت هذه الأشياء؟ فقال لها الملك نفسه: إني قد كتبت الذكرى والدة والدي (ومن التي كانت كذلك) والدة والدي، الزوجة الملكية العظيمة، والدة الملك الراحلة «تتي شري»، وعلى الرغم من أن قبرها ومزارها موجودان في هذا الوقت على أرض طيبة، والعرابة على التوالي فإني مع ذلك أقول لك ذلك لأن جلالتي يرغب في إقامة هرم لها ومحراب في جبانة «العرابة المقدسة»، بمثابة أثر لها من جلالتي، وستحفر البحيرة المقدسة، وتغرس الأشجار حولها، ويؤسس قربانها، وبه الرجال الذين تحبس عليهم الأراضي المجهزة بالماشية، ويكون له كهنة ومرتلون كل واحد منهم يعرف واجباته. وعلى أثر حديث جلالته بهذه الكلمات أقيمت هذه المباني على وجه السرعة. وقد فعل ذلك جلالته لأنه كان يحبها أكثر من أي شيء، على أنه لم يحدث ملوك سبقوه مثل ذلك لأمهاتهم. ورفع ما أسس المباني جلالته ومد ذراعه، وحنى رأسه (إجلالاً)، وحمل لها جملة هذه القربات الملكية والثيران للإله «جب» (إله الأرض) ولتاسوع الآلهة العظام، ولتاسوع الآلهة الصغار، وللإله «أنوبيس» في محرابه المقدس، ويقدم آلافاً من القربات من الخبز والجعة والثيران، والأوز والماشية إلى روحها ... » (راجع الشطر المتقدم).

الكشف عن الآثار التي ذكرت على هذه اللوحة : وقد كشف كل ما تبقى من هذه المباني الأثرية «كارلى» (Abydos III) في الصحراء على بعد بضعة أميال جنوبي «العرابة المدفونة»، إذ بنى لها «أحمس» الهرم على مسافة قريبة من الحقول، وعلى مسافة ميل في الصحراء أقام معبداً مدرجاً على جانب التل، وبين هاتين النقطتين أقام محراباً، وعلى مسافة منه بنى الضريح الوهمي؛ وكان المحراب يحتوي على سلسلة من الجدران المبنية أقيمت أمامه اللوحة التي ترجمناها الآن. أما الضريح أو القبر فيشتمل على عدة حجرات وممرات محفورة في أصل الصخر الذي تحت رمال الصحراء، وقد كان الوصول إليها من بئر صغير حفر قطع في الصخر الذي تغطيه الرمال حتى أن كشفه كان حدثاً من المصادفات، ومع ذلك فإن هذه الحجرات السفلية قد نهبت في الأزمان القديمة ولم يجد الحفارون

العدتون إلا بعض قطع مخنية من ورق الذهب مما يدل على أن مجرة الدفن كانت هناك أيضا، وقد كان الرأي السائد أن القبر والمعبد اللذين في جانب التل هما للملك «أحمس» نفسه، ولكن من المحتمل جدا أن القبر والهرم هما للضريح الأصلي للملكة «تتي شري» المشار إليه في النقوش وأن الهرم والمعبد المدرج هما اللذان أشير إليهما في النقش بأن «أحمس» قد أقامهما لجدته العظيمة .

ويجد لهذا الفرعون بعض الآثار تدل على أنه أقام بعض المباني في معبد «العرابة» إذ عثر فعلا على نقش غائر يمثل رأس «أحمس» الأول[1] .

أسرة أحمس الأول : وقد كانت لأسرة الفرعون «أحمس» الأول كبيرة العدد ، ومما يسترعي النظر هنا أن زوجته وأولاده كثيرا ما كانوا يضعون أسماءهم في طغراء ملكية، ولقد كان هذا الاستعمال شائعا في هذه الأسرة ، مما لم يوجد مثيله في أي عهد آخر بهذه الصورة ، وأكبر مميز عرفناه به أفراد هذه الأسرة هو أنهم كانوا يعبدون بعد مماتهم ، ولقد وجدت أسماؤهم منقوشة في مقبرة . «أخور حورى» (L. D. III. Pl. 2d.) وفي مقبرة «خع بخت» ويشاهد كل منهما يتعبد إليهم (Ibid) .

ومعظم أولاد هذا الفرعون من زوجه «نفرتارى» ونخص بالذكر منهم «سيت آمون» وهي أكبر أولاد الملكة «نفرتارى» وقد توفيت صغيرة ، ثم الأميرة «سات آمون» وهي ثاني بناتها وتوفيت وهي طفلة ، والأمير «سابا إر» وهو أكبر أولاده الذكور وتوفي صبيا، ثم «سا آمون» ومات كذلك صغيرا ، والملكة «أعح حتب» وهي ثالثة بناتها ، ثم «أمنحتب» وهو ثالث أولاد «نفرتارى» الذكور ؛ وقد أصبح فيما بعد ملكا . وأخيرا «سات كامس» وهي رابعة بناتها وتوفيت في سن الثلاثين، وقد كانت تحمل الألقاب التالية «بنت الملك» ، وأخت

(١) راجع Petrie. "Abydos", II, XXXII.

الملك ، وزوج الملك[1] ، ولذلك يقول عنها «مريعول» إنها كانت ابنة الملك « كامس » وأنها تزوجت من « أحمس » الأول ، وبذلك لا تكون أخته كما ذكر « سترى »[2] . وقد وجدت موميتها مع المومياءات الملكية الأخرى المحفوظة بالمتحف المصرى[3] ، ويدل جسمها على أنها كانت قوية البنية تكاد تشبه الرجال فى تركيب جسمها ، ويبلغ طولها ما بين خمس وست أقدام ، وكانت ما بين الثلاثين والخامسة والثلاثين عند وفاتها لأن شعرها الأسود لم يخط « الشيب » .

مربية الملكة مرتارى : ومن مشهورات نساء هذا العهد مربية الملكة « نفرتارى » التى تدعى « رى » وقد حفظ جسمها بين المومياءات الملكية (رقم ٦١٠٥٤) ، ويدل على أنها كانت رشيقة القوام جميلة الطلعة ماتت وهى فى مقتبل العمر ، وكانت ذات شعر غزير مجموع فى ضفائر مفتلة ، وكانت صغيرة القدمين واليدين جدا ، ويدل بروز أسنان فكها الأعلى على أنها من الأسرة المالكة .

ومن بين زوجات « أحمس الأول » الثانويات «سنسنب» وهى التى وضعت لهذا الفرعون ولدا اسمه « تحتمس » وهو الذى أصبح فيما بعد « تحتمس الأول » ، ولما كان من غير زوجته الأولى أصبح لا يستحق وراثة الملك ، بل تولى العرش بعد وفاة « أحمس » ابنه « أمنحتب » الأول كما يقول « بترى » غير أن ذلك غير محقق[4] .

بعض آثار هذا الفرعون : ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنه وجد لهذا الفرعون بعض آثار أخرى منها آنية من المرمر محفوظة بالمتحف المصرى ، ومنقوش عليها اسمه[5] ، وآنية الزينة على شكل صقر من الخزف الأزرق[6] . وقد رسم

(١) راجع : Maspero, "Momies Royales", P. 541.
(٢) راجع : Petrie, "History", Vol. II, P. 43.
(٣) راجع : Cat. Cairo Mus No. 61063.
(٤) راجع : Petrie, "History", II, P. 43.
(٥) راجع : Mariette, "Catalogue de Boulaq", 6me Ed. 536.
(٦) راجع : Mariette, "Monuments", P. 52.

على أحد جوانب قاعدته صورة ثلاثة أسرى ، سودانى ، وسورى ، ولوبى ، على أن ما لفت النظر فى هـذا النقش هو وجود لوبى بين أولئك الأسرى مما يدل على أن هـذا الفرعون قد حارب اللوبيين ، اللهـم إلا إذا كان هـذا الرسم تقليديا وحسب فإنه لا يدل على قيـام أية حرب بينه وبين اللوبيين .

ووجد « شفرييه » حديثا قطعة من الحجـر يستدل منها على أنها جزء من جدار معبد له وجدها فى حشو (البوابة) الثالثة فى أثناء[1] العمل فى معبد « الكرنك » .

ووجد له كذلك عدة جعارين محفوظة الآن فى كثير من متاحف أوربا وبخاصة المتحف البريطانى ، ومتحف اللوفر ، ومتحف « ليـدن » ، ومتحف « تورين »[2] .

وله كذلك تمثال مجاور فى المتحف البريطانى من الجرانيت الصيب[3] ، وتمثال صغير من الجرانيت الأبيض فى متحف « تورين »[4] .

مومية أحمس الأول : وتدل مومية هذا الفرعون الذى تديـن له مصر بتحريرها النهائى من ربق عبودية الهكسوس ، وبتأسيس أسرة تعد من أشهر أسر العالم إن لم تكن أعظمها ، مما جعله من أعظـم ملوك التـاريخ المصرى ، على أنه مات فى ربيع العمـر بين الأربعين والخمسين ، وكذلك نستنبط من موميتـه التى وجدت بين المومياءات التى عثر عليها فى خبيئة الدير البحرى ، أنها لرجل قوى الجسم عظيم المنكبين عريضهـا ، طوله نحو خمسـة أقدام ، وست بوصات ، أسود الشعر جعده ، له ثنايا بارزة بعض الشىء ، وتلك من مميزات الأسرة ، وقد طوق جيده بإكليل من الأزهار .

---

(١) راجع A. S. Vol. XXXVI (1936) P. 137

(٢) راجع Gauthier, L. R. Vol. II. P. 179-80.

(٣) راجع Budge, "History" Vol. III. P. 185.

(٤) راجع Orcurti, "Catalogo Illustrato dei Monumenti Egizi del R. Museo di Torino". II. P. 72. & No. 39el. Reglo museo de Turine I. P. 412. No. 3032



(١٧) مرينامس الأول

الأميرة أحمس حنت تمحو والدة حتشبسوت : وبالإضافة إلى زوجته الأولى تزوج من نساء عدة ، نذكر منهن غير ما ذكرناه آنفا الأميرة « أعاباي » التي وضعت له ابنة أطلق عليها الأميرة « أحمس حنت تمحو » وهي التي يقال إنها أنجبت له من « تحتمس » الأول حتشبسوت الملكة العظيمة ، ومن ثم نرى أن « أحمس الأول » لم يكن مؤسس الأسرة الثامنة عشرة فقط ، بل كان له نصيب وافر في أنه أنجب لهذه الأسرة بعض أفرادها المشهورين .

عبادة أحمس الأول : والظاهر أن عبادة « أحمس الأول » كانت منتشرة في البلاد ، وبخاصة في العرابة المدفونة حيث أقيم له ضريح وهمي وشعائر دينية وقد ظلت عبادته حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، وبخاصة لأن تمثاله كان يقوم بالفصل في المشاحنات التي كانت تقوم بين أفراد الشعب ، ولا أدل على ذلك مما جاء عن اللوحة التي عثر عليها في « العرابة المدفونة » وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري (راجع A. S. XVI. P. 161.) .

وهذه اللوحة أقامها كاهن مطهر للإله « أوزير » ويدعى « موسى » ويشاهد في أعلاها صورة السفينة المقدسة يحملها ثمانية من الكهنة وفي وسطها محراب الإله « أحمس الأول » وأمامه صورة الملكة « نفرتاري » تلوح بكلتا يديها صاجتين ، ويرى أمام السفينة الكاهن « موسى » يتضرع للإله « أحمس » ليحكم في صالح ابنه « ياسر » .

ويتلخص ما جاء من النقوش على هذه اللوحة فيما يأتي :

كان « ياسر » بن « موسى » يملك حقلا ادعى بعض الأهالي ملكيته (على ما يظهر) وقد كان يظن أن « ياسر » لا بد أن يرفع للإله أوزير وكهنته ظلامته ، إذ أنه هو الإله الأعظم في تلك المنطقة ، غير أنه رفعها إلى الملك « أحمس الأول » الذي كان على ما يظهر على جانب عظيم من القداسة بوصفه مؤسس الأسرة الثامنة عشرة . والظاهر أن الحكم في هذه القضية قد صدر بحركة قام بها حامل المركب

المقدسة التي كانت تحتوي تمثال الإله . وهذه الحركة كانت إما بلفتة نحو صاحب الحق وإما بإشارة من التمثال نفسه ، وفي كلتا الحالتين كان هذا من عمل الكهنة أنفسهم . وهذا هو نفس ما نشاهده اليوم عندما يحمل جثمان أحد المشايخ فإننا نشاهد الحملة يحدثون مثل هذه الحركات المصطنعة فيقفون طويلا أو يقصدون نحو مكان خاص ويفسرون ذلك بأنه كان مُراد الشيخ دون الأماكن المحببة إليه . وأظن أن مثل هذه الحركات تأتي من إيحاء نفسي يصوره الخيال والشعور بالرهبة والخوف فيتمثل حقيقة في أشخاص الحملة . وقد يكون ذلك كله محض تمويه واختلاق يدفع إليه الرشوة أو المحاباة

رجال الدولة والهيئة الاجتماعية في عهد أحمس الأول

مقدمة : عندما يفحص المؤرخ تاريخ مصر في أي عصر من عصورها القديمة ، تعترضه صعوبة لا يمكن التغلب عليها إلا بعد بحوث طويلة قد لا تجدي في النهاية ، وبخاصة عندما يريد إبراز شخصية فرعون من آثاره التي تركها لنا ، حقا يمكننا أن نعرف طراز الفرعون الخاص ، أما إبراز شخصيته وبيان الناحية التي ظهر فيها منفردا ممتازا فذلك لا يتسنى لنا إلا في حالات قليلة جدا ، لأننا نرى كل فرعون يحدثنا في آثاره عن خروجه في الحروب وما قام به من مبان وأحفال فخمة في داخل مملكته ، في جمل وعبارات ومناظر تقليدية ثابتة تناقلها الملوك منذ فجر ظهور الوثائق المدونة مثل منظر ضرب الفرعون المظفر أعداءه بصولجانه ، وقد وجدناه للمرة الأولى على لوحة «نعرمر» ، وقد بقي هذا المنظر يمثله كل ملك بعده حتى العهد الروماني ، وهذه التقاليد ثابتة في المناظر الملكية . هذا ونجد مثل ذلك في النقوش التي من هذا الصنف ، فكانت منتحلة عن قصد ، لأن كل فرعون يرغب في أن يظهر أمام العالم بأنه هو الملك المؤله التقليدي ، وكان ذلك يأتيه الشيء على نهج ما تاريخ أولئك الملوك . ولما كانت العادات تحتم أن يوصف الفرعون أو يمثل وهو يقوم بعمل خاص فإن كل فرعون كان يرغب في اتباع هذا التقليد دون مراعاة

للصدق في القول أو العمل ؛ ففي عهد الأسرة الثامنة عشرة مثلاً كان من مفاخر الملوك أن يسيروا على رأس جيوشهم ويقهروا بلاد آسيا ويعودوا منها بالغنائم . وقد ذكر لنا « أمنحتب الثالث » وكذلك « توت عنخ آمون » أنهما ذهبا إلى بلاد آسيا وقهرا الأعداء . والواقع أنهما لم يذهبا قط إلى هذه الجهات للغزو والفتح كما تحدثنا الآثار صراحة عن ذلك كما سيأتي بعد . وكذلك نعلم أن « تحتمس الرابع » قد سار على رأس جيشه وهزم السوريين وخلد انتصاراته برسم إحدى المواقع على ظهر عربته التي عثر عليها في قبره . وقد أراد « توت عنخ آمون » أن يظهر هو من ناحيته بذلك المظهر فترك لنا رسم موقعة حربية على جدران أحد الصناديق التي وجدت في قبره، وهو كما نعلم لم يذهب قط إلى ساحة القتال . كل ذلك يجعلنا نشك كثيراً في القيمة التاريخية للمناظر التي تركها لنا أولئك الملوك . حقاً في استطاعتنا أن نستخلص بعض حقائق تاريخية من النقوش الملكية في كثير من الأحوال على الرغم مما فيها من مبالغات ، ولكن إذا أردنا أن نعلم شيئاً عن الحالات الاجتماعية المعاصرة لكل فرعون أو نختلس بعض نظرات سانحة من شخصيات أولئك الفراعنة

وشعوبهم، فعلينا أن نوجه عنايتنا وكل اهتمامنا إلى النقوش التي تركها لنا كبار رجال الدولة الذين كانوا يقومون بالأعمال الحكومية في عهد كل ملك ويتعاملون مع أفراد الشعب من كل الطبقات . فالواقع أن الموظف المصري منذ عهد الدولة القديمة كان شخصاً مغرماً بالتحدث عن نفسه، إذ كان دائماً حريصاً على أن يذكر لخلفه كل ما قام به من أعمال جليلة وما ناله من شرف وفخار على يد سيده الفرعون مدة خدمته له ، ولا شك في أننا مدينون لمثل أولئك الأفراد وما دونوه على جدران مقابرهم بجزء كبير من تاريخ البلاد الحقيق أي تاريخ البلاد الاجتماعي . فإن الموظف عندما كان يعدد لنا ما ناله من منح وشرف على يد مليكه يذكر لنا لمحات هامة عن أعمال سيده وعلاقته بشعبه، بل أحياناً تسعدنا المقادير فنجد بعض المناظر في قبور علية القوم يظهر فيها الفرعون وأفراد أسرته . فمثلاً يدين التاريخ لما دون على مقابر

وحتى عهد « اخناتون » فى معرفة عصر الانقلاب الدينى الذى قام فى عهده . وأكثر من ذلك النقوش التى تركها لنا كل من « أحمس بن أبانا » و « أحمس منحبت » اللذين عاصرا أوائل ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، فهى حتى الآن مصدرنا الوحيد عن الحروب التى شنها « أحمس الأول » ومن بعده « أمنحتب الأول » و « تحتمس الأول » لطرد الهكسوس من مصر . هذا فضلا عن أن المقابر التى بقيت محفوظة بعض الشىء من عهد الأسرة الثامنة عشرة قد وجد على جدرانها مناظر هامة تكشف لنا الغطاء عن حياة القوم الاجتماعية والدينية والسياسية معا

ومما يؤسف له جد الأسف أن عهد باكورة الأسرة الثامنة عشرة كان فقيرا فى المقابر الشعبية المزدحمة التى تحتوى على مناظر ونقوش مما نحتاج إليه فى كشف النقاب عن أحوال البلاد الداخلية وأحوال معيشة أهلها وعاداتهم وبخاصة أخلاقهم .

على أننا مع ذلك عند ما نفحص تاريخ موظفى هذا العصر وألقابهم الرسمية نرى بعض الضوء على كثير من النقط الغامضة فى تاريخ البلاد وبخاصة من الوجهة الإدارية والدينية .

فمنذ عهد « أحمس الأول » نجد أن الألقاب الدينية المحضة قد أخذت تفسح الطريق لغيرها من الألقاب الحربية والإدارية الجديدة . على أننا نجد مع ذلك أن الفرد الواحد كان يشغل عدة وظائف فى آن واحد . ولا بد من أن نشير هنا إلى أن الأفراد الذين كانوا يحملون هذه الألقاب معظمهم من عامة الشعب الذين كوّنوا أنفسهم بأنفسهم فى تلك الفترة التى اختفى فيها كل الأمراء الوراثيين الذين قد قضى عليهم منذ نهاية الأسرة الثامنة عشرة .

وقد كان من أول نتائج توسيع رقعة البلاد ومد حدودها فى الجنوب أن عين الفرعون نائبا له فى السودان كما فصلنا القول فى ذلك ، وكذلك كان من جراء ظهور

« طيبة » واتخذها عاصمة الملك بوصفها مقر الإله « آمون » أن عين لها حاكم خاص أطلق عليه لقب « عمدة المدينة الجنوبية » . كما أصبح للإله « آمون » أملاك خاصة وموظفون مخصوصون بإدارة شئون أملاكه التي كانت وقفا عليه في آسيا وبلاد النوبة . وقد أصبح اسمه يقرن بهذه الوظائف مثل « مدير مخازن غلال الإله آمون » كما كان يقرن اسم الفرعون باسم كل إدارة من إدارات مملكته .

ولا شك في أن ذلك يدلنا على كيفية زيادة ثروة الإله « آمون » عما كان يقدمه له الفرعون من أموال وأملاك حتى انتهى الأمر إلى أن أصبحت أملاكه ورجال إدارته يعادون حكومة في قلب حكومة الدولة ، هذا فضلا عن عظم سلطانه الديني في البلاد ، فنجد مثلا أن نائب بلاد « كوش » المسمى « سني » الذي بدأ حياته الحكومية في عهد « أحمس الأول » ورقى في خدمة الحكومة حتى عهد « تحتمس الثاني » قد بدأ يصعد إلى قمة المجد بوظيفة « مدير مخازن غلال الإله آمون » و « مدير الأعمال في الكرنك » (راجع Urk. IV. P. 40) وعلى الرغم من أن هذه الألقاب كانت موجودة في وظائف الدولة منذ عهد الدولة القديمة إلا أنها بدأت تأخذ معاني جديدة وسلطانا أعظم في عهد الدولة الحديثة . فمثلا وظيفة « مدير أعمال الفرعون في الكرنك » كانت تدل على عناية قيام مبان ضخمة جدا في هذه البقعة مما جعل « طيبة » إحدى عجائب العالم ، وأعطى حامل اللقب مكانا عظيما لم يكن يحلم بمثله أحد في عهد الدولة القديمة أو الدولة الوسطى ، ومن التجديدات الهامة التي تسترعي الأنظار في الدولة الحديثة الوظائف والألقاب التي اكتسبتها المرأة في هذه الفترة . والواقع أن المرأة المصرية لم تكن محجوبة عن الأنظار كما هي العادة في التقاليد الشرقية ، بل كانت الملكة والفلاحة على السواء تظهر كلتاهما في المجتمع منذ الدولة القديمة ، ولكن ظهور المرأة في المجتمع الراقي قد ازداد زيادة محسة في عهد الدولة الحديثة ، وبخاصة تمسك القوم بتقاليد وراثة الملك ، وما كان للمرأة من نصيب في حكم البلاد ، فكان للملكة حاشيتها الخاصة

وأملاكها وموظفوها، وقد عظم سلطان الملكات حتى كن يعين أصحاب الحظوة عندهن في أعلى مناصب الدولة، وكذلك أخذ الفراعنة يتخذون لأنفسهم وصيفات وحظيات ومربيات ومرضعات لأولادهن. وقد نتج عن ذلك أن كل من اتصل بأولئك النسوة عن طريق النسب أو المصاهرة منح أعظم الوظائف في الدولة كما سنشرح ذلك في حينه.

ولما جلبت الخيل إلى مصر في تلك الفترة وأنشئ أسطول بحرى للبلاد خلقت وظائف جديدة لم تكن معروفة من قبل بطبيعة الحال، هذا فضلا عن أن علاقات مصر بما جاورها من البلاد قد أوجد في البلاط الفرعوني جوا جديدا وحياة جديدة دعت إلى إنشاء وظائف حقة لم يسمع عنها في عهد الدولة المصرية السابقة. والآن سنتناول هنا فحص ألقاب أهم الموظفين في عهد الأسرة الثامنة عشرة وما تركه كل منهم من آثار هامة يمكن أن تكشف لنا عن بعض نواحي حياة القوم في خلال هذه الأسرة. وسنتناول فحص آثار كل موظف وتاريخ حياته الحكومية في عهد الملك أو الملوك الذين عاصرهم وبخاصة من الناحية الاجتماعية بقدر ما تسمح به الأحوال.

أحمس بن أبانا: كان «أحمس بن أبانا» في نظر المؤرخين المحدثين أهم شخصية من موظفي عهد «أحمس الأول»، وقد كان يحمل الألقاب التالية: (١) رئيس بحارة الفرعون. (٢) ورئيس بحارة ملك الوجه القبلي والوجه البحري الملك «زسر كارع» (أمنحوتب الأول)، (٣) وصاحب الملك. على أن ألقابه لا يمكن أن نستخلص منها كثيرا عن حياته ولكنه ترك لنا على جدران قبره في «الكاب» ترجمة حياته التي يحدثنا فيها عن شجاعته وما ناله من فخار وترف، ولحسن الحظ قد قص علينا فيها تاريخ الحروب التي شنها الفرعون «أحمس» على الهكسوس وكانت نتيجتها طردهم من البلاد، وهذه الوثيقة تعد مصدرنا الهام عن حروب الخلاص كما سبق شرحه. والمناظر التي تركها لنا على جدران قبره قليلة

فقد حطم معظمها، وما بقى منها يقدم لنا معلومات ضئيلة عن أسرته ، فنرى من بينهم أحد أحفاده المسمى « جرابرى » الذى كان يحمل لقب « رسام آمون » وقد مثل واقفاً أمام والده، كما نشاهد حفيداً آخر يدعى « باحرى » ويحمل وظيفة « رسام آمون » ، وقد نقش منظره واقفاً أمام جده « أحمس بن أبانا » وروجه يرتل صيغة القربان .

وقد مثل « أحمس بن أبانا » وزوجه جالسين معاً وتحت كرسيهما قرد أليف يأكل من سلة فاكهة ، وقد كان يقلد فى ذلك « أحمس » الذى كان يمد يده ليأخذ بعض الطعام من مائدة قربان أمامه . غير أن هذه المائدة لم تصور على الجدار ولكن النقوش تدل على وجودها، وهذا يعنى أن النقش لم يتم رسم المنظر .

أحمس بنخبت : وكذلك ظهر فى هذه « الكاب » جندى آخر فى هذه الآونة يسمى « أحمس بنخبت » وكان يحمل لقب « حارب الفرعون » ولقب «حامل الخاتم» و «حامل خاتم الوجه البحرى»، وهذا اللقب الأخير يرجع تاريخ استعماله إلى الدولة القديمة . هذا إلى أنه كان يحمل ألقاب الشرف القديمة الآتية : « الأمير الوراثى والحاكم والسمير الوحيد » . وقد كانت فى الأزمان القديمة ألقاباً لها معناها الحقيقى، غير أنها أصبحت فى ذلك العهد تمنح مثل ألقاب الشرف والأوسمة الحالية . وقد لعب « أحمس بنخبت » مثل « أحمس بن أبانا » دوراً هاماً فى حروب الهكسوس ، وقد ترك لنا تاريخ حياته على جدران قبره فى « الكاب » وقد جمع من العمر أرذله إذ امتد به الأجل حتى عهد « تحتمس الثالث » والملكة « حتشبسوت » ، وقد كانت آخر وظيفة شغلها هى (مربى الأميرة « نفرورع » ابنة « حتشبسوت ») كما ذكرنا ذلك .

« سنى » : أما « سنى » الذى تحدثنا عنه فيما سبق فقد بدأ حياته فى عهد « أحمس الأول » حتى عهد «تحتمس الثانى»، وقد كانت دائرة عمله فى الأصل بلدة « طيبة » حيث كان يشغل وظيفة « أمير » أو « عمدة المدينة الجنوبية »

و « المشرف على مخازن غلال آمون » و « مدير أعمال معبد الكرنك »، وقد عين فيا بعد « نائب الملك صاحب كوش » و « رئيس بيوت الملك » و « المشرف على الأراضى الجنوبية » (راجع Urk. IV. P. 40, 142.) .

تحوتى نفر برت : ومن رجال هذا العصر « نفر برت » الذى كان يلقب « مدير الخزانة الخ » كما أسلفنا .

عاباو : وكان من أعظم الأسلاب التى يستولى عليها الفرعون من البلاد الأجنبية الماشية، ولذلك كان المشرف على ماشية الفرعون يعد من الموظفين الذين لهم أهمية . ومن بين هؤلاء « عاباو » الذى كان يلقب (بالمشرف على ثيران الفرعون « أحمس الأول ») وقد عثر له على لوحة فى حجرة قبرة من التى غرست فى معبد « سيتى الأول » فى العرابة (راجع فى J. E. A. Vol. XIII & XXII, 2.) .

باكا : ويدل النقوش على وجود مشرف آخر على الماشية فى عصر هذا الفرعون أيضاً ويدعى « باكا »، وقبره فى « طيبة » الغربية بذراع أبو النجا (Gauthier, "Dra Abu'l Naga", P. 48.) .

إيوف : ذكرنا فيا سلف أن الملكات العظيمات اللاتى عشن فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة كن يصطفين موظفين يقومون على خدمتهن الخاصة ؛ ومن بين هؤلاء الموظفين الذين تركوا لنا شيئاً عن أعمالهم « إيوف » الذى يقص علينا خبر المنسح التى نالها من اثنين من هؤلاء الملكات على لوحة عثر عليها فى « إدفو » فيقول لنا : « إنه بدأ خدمته فى عهد الملكة « اعح حتب » والدة « أحمس الأول » وظل فى الخدمة حتى عهد الملكة « أحمس » زوج « تحتمس الأول » ووالدة الملكة « حتشبسوت » والمتن الذى على هذه اللوحة هو .

قربان يقدمه الفرعون « حور إدفو » و « أوزير » و « أوزيس » ليقدموا خبزاً وجعة وثيراناً وإوزاً وكل شىء طيب وطاهر لروح الزوجة الملكية العظيمة وأم الفرعون « أحمس حتب » المنتصرة والدة « أحمس الأول » المنتصر . ولقد عينى كاتباً قائماً على أملاك مائدة القربان وحارساً لباب المعبد

وكافأ معبدها « أمون » « أوزوريس » يقول : « لقد أعطيت في بيت الملكة « سبك أم ساف » بعد أن وجدته أيام الخراب » ثم يقول هذا الكاهن « أنتم يا من تمرون بهذه اللوحة سأخبركم بما جعلكم مسرورين من حظوة لدى الزوجة الملكية العظيمة « أمحتب » . لقد منحتني لأقدم لها القربان وكذلك وكلت إلى أمر تمثاله جلالتها ومنحتني مائة رغيف « حت » وعشرة رغفان « برسن » وقدحين من الجعة وقطعة لحم من كل ثور ، وكذلك أعطيت أرضا عالية وأرضا منخفضة (الزوج) وكذلك وهبتني كرمة أخرى سمة ، عندما أعطى كل ما لها في يد أخيه لجلالتها . وكذلك أعطتني الزوجة الملكية العظيمة « أحمس » التي يحبها « تحتمس الأول » المنتصر فصلا آخر ثم منحتني كاتبا لحامل الخاتم الإلهي ، وقد وكلت إلى رعاية تمثال جلالتها وأعطتني مائة رغيف ورغيفين من الجعة وقطعة لحم من كل ثور وكذلك منحت أرضا عالية وأرضا منخفضة . (راجع Breasted. A. R. Vol. II. Par. 111. ff.) .

حرى : وفي جبانة « ذراع أبو النجاء » في « طيبة الغربية » يوجد قبر موظف يدعى « حرى » كان يحمل لقب « المشرف على مخازن غلال زوج الملك وأم الملك « أمحتب » (راجع ، Gardiner and Weigall, "Catalogue", No. 12.) .

غير أننا لا نعرف عن هذا الموظف غير لقبه هذا ، ولم يبق لنا من رسوم قبره إلا منظر واحد ، وقد بقي يشغل وظيفته هذه حتى عهد « أمنحوتب الأول » .

تى كى : ومن كبار الموظفين في عهد « أحمس الأول » عمدة المدينة الجنوبية « طيبة » المسمى « تى كى » وكان يلقب كذلك « ابن الملك » غير أن هذا اللقب هنا لا يعني أنه كان نائب الفرعون في بلاد كوش كما لا يعني أنه هو ابن الفرعون حسبا لأن والده كان مجرد موظف يلقب « المشرف على متاع الفرعون » . وكانت أمه تدعى « ربة البيت » وهو لقب يطلق على كل زوجة عادية . وعلى ذلك فهذا اللقب كان مجرد لقب فخرى أعطيه « تى كى » وحسب .

أهمية مناظر قبر تى كى : وتشمل مقبرة « تى كى » هذا سلسلة مناظر قيمة على الرغم مما أصابها من تكسير وعسر ، والواقع أنها تعد مثالا من أمثلة الآثار القليلة التي عثر عليها في هذا العهد في « طيبة » وغيرها فبوساطتها أمكننا أن نأخذ فكرة عامة عن الحياة الاجتماعية في أوائل الأسرة الثامنة عشرة . فهذه المناظر

بغض الطرف عن أنها تعد مثالاً من عهد الانتقال بين الدولة الوسطى والدولة الحديثة. فنجد بعض نقط هامة ورسوم جديدة كما نجد فيها المناظر القديمة التي يرجع عهدها إلى عهد الدولة القديمة (راجع J. E. A. Vol. XI. P. 10. ff; Pl. II,) . فنجد على الجزء العلوي من الجدار الشرقي من المزار منظراً مزدوجاً مثل فيه عبده البقرة المقدسة « حتحور » العزيزة سيدة « دندرة » . وهنا نشاهد الملكة «أحمس مرتارى» تحرق البخور وتصب الماء على قربان عروف وضع أمام البقرة المقدسة التي يشبه لون جلدها لون البقرة التي على توابيت ملكات الفرعون «منتوحتب» (راجع ص ٣). والظاهر أن هذا أول منظر من هذا النوع نشاهده في مقبرة خاصة على أن طراز الرسم هنا يذكرنا بطراز الدولة الوسطى .

منظر الوليمة : أما الجزء الأول من الجدار الغربي فنشاهد عليه « تي كي » يقدم قرباناً ويحرق بخوراً للإله « أوزير » وخلفه شخص يدعى « سورس » يلعب بالمضارب يضحي بغزالة . وفي أسفل يشاهد والدا « تي كي » وهو يقدم لهما قرباناً (Ibid, Pl. III.) . وعلى الجدار الشمالي نرى منظر وليمة، وقد جلس فيها « تي كي » وزوجه « سنب » في مقصورة ترتكز على عمد على هيئة سيقان البشنين وتحت مقعدهما جلس كلبهما المسمى « عزاء » وأمامهما الضيفان ساه وعدارى . ويلحظ أن أحد الضيفان قد غالى في التمتع بالوليمة أكثر مما يجب وأفرط في معاقرة الشراب حتى غلب عليه القيء ، فنراه في هذه الحالة وإحدى السيدات تقدم له بشفقة إناء يفرغ فيه ما زاد على جوفه (Ibid. Pl. IV) ، على أن منظر القيء الذي كان يحدث لأولئك الذين يفرطون في المآكل والمشرب في الولائم يرى هنا للمرة الأولى في عهد الدولة الحديثة على ما يظن ، ولم يكن هذا يقتصر على الرجال بل تعداهم إلى السيدات ، فنراهن وقد أخذت منهن الخمر المصرية اللذيذة كل مأخذ يقئن من شدة الإفراط .

الإشراف على الحصاد : ومن المناظر الطريفة التي أخذت تظهر منذ هذا العهد المنظر الذي مثل فيه « تي كي » وزوجه وهما جالسان تحت شجرة يشرفان على آخر مرحلة للحصاد في حقلهما ، فنرى أمام « تي كي » رجالا و سيدات يذرون الحبوب التي كانت توضع بعد ذلك في حقائب وتحمل على ظهور الحمير وقد سارت نوى حمار له جحشه . وبعد ذلك تجمع الحبوب حتى تصير كومة كبيرة حيث تكال ويدون مقدارها كاتب جالس فوق كومة القمح . وهذه المناظر كانت مستعملة في الرسوم بطبيعة الحال منذ الدولة القديمة ، ولا تزال تشاهد حتى الآن في ريف مصر وصعيدها .

الاحتفال بالجنازة : أما الطابق العلوي فقد خصص لمناظر الاحتفالات الجنازية ، وقد كان معظمها يستعمل منذ عهد الدولة الوسطى ، وكذلك في عهد الدولة القديمة (Ibid. Pl. V.) ففي الجزء الأعلى نشاهد تابوت المتوفى تحت عرش ، وقد وضع على زحافة يجرها ثوران وثلاثة رجال . ونشاهد مثل هذا المنظر في مقبرة « نب كاوحر » التي كشفنا عنها في سقارة (A. S. Vol. XXXVIII, Pl. XCVII.) ، وكذلك نشاهده في مقبرة « سنفرو آن مرتف » في دهشور (De Morgan, "Fouilles à Dahchour", Pl. XXII.) ؛ غير أنه في كل من هذين المثالين يرى أن التابوت قد وضع على قارب صغير بدلا من الزحافة ، وأنه كان يجره رجال فقط ، وقد ظهرت الثيران والزحافات في عهد الدولة الوسطى في مقبرة « انتف اقر » (Davies and Gardiner, "The Tomb of Antefoker", Pl. XIX, XXI.) ونلحظ في هذا المنظر أنه يتقدم نحو الجنازة راقصون يسمون « موو » يرقصون رقصة جنازية خاصة ، ويرجع تاريخ هذه الرقصة ومثلها إلى عهد الدولة القديمة ، وقد عثر عليها أول مرة في مقبرة « نب كاوحر » في سقارة .

ومن المناظر الهامة كذلك هذا المنظر الذي تشاهد فيه مومية المتوفى موضوعة في محراب على كل من الرجال وأمامها كاهن يحرق البخور . وهذا المنظر جزء من

الاحتفال بفتح الفم الذى ذكر أ عنه فى متون الأهرام وشاهده كذلك فى مقابر الدولة القديمة . وسنتكلم عنه فى ترجمة الوزير « رخ مى رع » .

شعيرة تكنو : ومن مناظر مقبرة « تى كى » نشاهد كذلك منظر إقامة الشعيرة الغامضة المسماة بإحضار « تكنو » ، فنشاهد رجل ملفوف فى حيّاة إلا رأسه على أن صفة هذه الشعيرة الحقيقية غير معروفة ، والظاهر أنها تمثل تضحية إنسان ، ويحتمل أنها تمثل شعيرة قديمة تنحصر فى ذبح خدم ليكونوا مع سيدهم فى عالم الآخرة (راجع Gardiner, "The Tomb of Amenembet", P. 51. & 52.) .

مركز المرضعة الملكية : ومن المنظر الذى مثلت فيه « أحمس نفرتارى » تعبد البقرة « حتحور » صورة امرأة واقفة خلف الملكة مباشرة ، وقد كتب عليها مرضعتها « تى حت » ، والظاهر أن هذه المرأة هى إحدى أقارب صاحب المقبرة « تى كى » ، ولا غرابة فى أن نرى ذكرها هنا لأن مركز المرضعة الملكية على وجه عام كان له أهمية كبرى وتأثير عظيم كما سنرى بعد ؛ فقد كان زوج المرضعة الملكية وأولادها يشغلون فى كثير من الأحوال مناصب عظيمة فى الدولة .

رعى : وقد حفظت لنا الآثار اسم مرضعة أو مربية أخرى للملكة « أحمس نفرتارى » ولقب : مرضعة زوج الإله « أحمس نفرتارى » المرحومة ، وهى السيدة « رعى » ، ومومياها من أحسن المومياءات التى بقيت سليمة بين مومياءات خبيئة الدير البحرى (Elliot Smith, "The Royal Mummies", Pls. VI.) .

تحوتى : ومن الموظفين الذين عاصروا « أحمس الأول » الكاهن الأكبر للإله « آمون رع » المسمى « تحوتى » وكان يحمل كذلك لقب المشرف على حامل الأختام .

ومن المدهش أنه لم يعثر له للآن على آثار غير مخروط واحد فى جبانة شيخ عبد القرنة (راجع Legrain, "Repertoire", P. 9. No. 14.) مع عظم مكانته بين موظفى الدولة .

أمنحتب الأول



١٥٥٧ — ١٥٣٠ ق.م

ذكرنا فيما سبق أن «أحمس» الأول كان له أولاد كثيرون من زوجاته الكثيرات، وقد كانت أكثرهن حظاً على ما نعلم زوجه الأولى وأخته «نفرتاري» إذ وضعت له ستة أطفال على أقل تقدير، وكانوا الأولاد الشرعيين الذين ينتخب



(١٨) أمنحتب الأول في صورة الإله «أوزير»

من بينهم الوارث للعرش . وأكبر أولاد « أحمس » هو على ما يظهر ، الأ... « سابا إيرى »، وقد كان يحمل كل الألقاب التي تؤهله لولاية العرش، غير أ المنية عاجلته وهو في صباه فأصبح الوارث بعده للعرش أخوه « أمنحتب » .

ولما لاقى « أحمس » الأول حتفه كان ابنه « أمنحتب » الأول » لا يزال حدث السن لم يبلغ مبلغ الرجال ليتولى العرش بنفسه ، فأصبحت « نفرتارى » زمام الحكم في يدها، وأصبحت الوصية على العرش، كما فعلت والدتها « إعج حتب » مع « أحمس » الأول كما سبق ذكره . ولا غرابة في أن نجد هذا التدخل من جانب « نفرتارى » إذ قد عرفنا أنها كانت صاحبة نشاط عظيم في عهد زوجها « أحمس » الأول، وهي بلا شك تعد ثانية الملكات اللائي — بما لهن من حق مقدس شرعي — لم يجلسن في عقر دارهن خاملات ، بل أخذن على عاتقهن أعباء الملك ومهامه ، مدعين لأنفسهن المساواة بل التفوق — بما يحملن من ألقاب — على أزواجهن وأولادهن في حكم البلاد . ولا نعجب إذا رأينا الملكة « إعج حتب » التي كانت قد بلغت من الكبر عتيا الآن تلعب دورها من وراء الستار في إشراف « نفرتارى » في أخذ مقاليد الأمور في يدها لتكون هي الوصية على عرش ابنها الصغير كما فعلت هي من قبلها مع « أحمس » الأول . وقد عاشت « إعج حتب » حتى السنة العاشرة من حكم « أمنحتب » الأول . غير أنها قد أعجبت من التدخل في مهام الحكم إلى أن وافاها المنون، وقد عثر على تابوتها كما سبق الكلام عن ذلك .

حروب أمنحتب الأول : والظاهر أن أول حملة قام بها « أمنحتب » الأول كانت على بلاد « كوش » كما سبق القول عن ذلك عند الكلام على ترجمة « أحمس » بن « أبانا » ، فقد صعد الفرعون في النيل في سفينة « أحمس » بن « أبانا » حيث يقول هذا الضابط البحري : إنه هزم العدو وعاد إلى مصر مظفرا . أما في آسيا فلا نعرف أنه قام بحروب فيها ، ومع ذلك فإنه يحتمل أن هذا الفرعون قد حاول طوال مدة حكمه أن يسير على متابعة سياسة

والده الاستعمارية ، والواقع أننا نجد في نقش مؤرخ بالسنة الثانية من حكم « تحتمس » الأول ، أن دولته كانت تمتد من « تمبوس » (في النوبة العليا) حتى « نهر الفرات » ، وليس لدينا ما يحملنا على الشك في هذا التصريح ، كما أنه ليس من المعقول أن يكون المصريون قد أوغلوا كل هذه المسافة في السنة الأولى من حكم « تحتمس » الأول ، بل يجب أن يعزى ذلك التقدم إلى عهد « أمنحتب » الأول . ولما كانت الوثائق تعوزنا تماما لمعرفة مصدر هذا التقدم في الفتوح المصرية في عهد كل من هذين الملكين ، فإنه من المحتمل جدا أن تأسيس الامبراطورية يعزى إلى حكم « أمنحتب » الأول الذي كان حكمه طويلا نسبيا .

أما عن الحملة التي يقال إن الفرعون قام بها على اللوبيين (؟) فقد جاء ذكرها في ترجمة حياة « أحمس منخبت » (Urk. IV. P 36) حيث يقول : وقد رافقت ثانية ملك الوجه القبلي والبحري « زسر كارع » (أمنحتب الأول) المرحوم ، وقد أحضرت له من شمال « يامو » التابعة لحقول « كهك » ثلاث أيد ، وقد قال الأستاذ « زيته » إن حقول « كهك » هذه مكان غير معروف ، يحتمل أنه في الشمال الغربي من مصر ، كما يقول : إن « حقول يامو » يحتمل أن تكون إحدى الواحات الواقعة في الصحراء اللوبية[1] . أما « مسبيرو » فيقول : « إن الفرعون قام بحملة إلى « لوبيا » بعد حملته على « أثيوبيا » ، وتشكل قبيلة « كهاك » بين عيبة « مريوط » و « واحة آمون » ، ولا بد أنها قد هاجمت بجرأة القاطنات الغربية من الدلتا . وقد عظم الفرعون حملة عليهم عظما ذكرى انتصاره بصنع لوحة صغيرة من الخشب ، نجد ممثلا عليها الملك المظفر ملوحا بسيفه في يده على العدو الذي كان طريحا على الأرض عند قدميه »[2] .

---

(١) راجع Sethe, Urkunden IV. Bearbeitet & Übersitzt P 19

(٢) راجع Rosellini, "Monumenti Storici", Vol. III, 1. Pl. 108. & Pl. 11b.

والظاهر أن أعمال «أمنحتب» الأول الحربية قد وقفت عند هذا الحد ، إذ ليس لدينا من الآثار ما يشير إلى أي انتصارات أخرى قد أحرزها في مدة حكمه الطويل . غير أن هذا لم يمنع معاصريه من الاحتفال به بوصفه فرعونا فاتحا مظفرا ، إذ نشاهده مصورا على لوحة صغيرة من الخشب محفوظة بمتحف «اللوفر» وهو يضرب بسرور أمراء البلاد الأجنبية[1]، كما نراه في مشهد آخر واقفا في عربته على أهبة مطاردة عدوين أو الحمل عليهما ، وقد أمسك بهما وهما في حالة إعياء[2] . أما في الصيد والقنص فتدل المناظر التي وصلتنا من عصره على أنه كان صيادا ماهرا ، إذ نجده مثلا وهو يقبض على أسد من ذيله ، وقد رماه في لمح البصر في الفضاء قبل أن يقضي عليه[3] ، والواقع أن هذه المناظر كانت من الأمور التقليدية عند المصريين في حروبهم وصيدهم ، غير أنها أحيانا كانت ترتكز على حقائق تاريخية هامة .

ولا مراء في أن البلاد المصرية كانت في حاجة إلى فترة من الراحة ، والترويح من متابعة الحروب ابتغاء أن تشفى من الجروح التي أصابتها مدة الحروب الطويلة التي عانتها البلاد في عهد والده وسلفه مع الهكسوس . وسواء أرغب «أمنحتب» عن الحروب لعدم ميله إليها ، أو لأسباب سياسية ، فإن الجيل الذي عاش فيه قد استفاد من كراهيته الحروب ، كما استفاد الجيل السابق من حب والده «أحمس» لشن الغارة على العدو وقهره . ولا غرابة إذا في أن نرى البلاد في عهد «أمنحتب» قد استعادت حياتها العادية ، ودبت فيها الزراعة ، وازدهرت التجارة مما زاد في ثروة مصر وجعلها على استعداد تام للقيام بفتوحها المقبلة على يد فراعنتها الشجعان .

---

(١) راجع : Ibid. PP. 108-110 & Pl. 11, A. D.

(٢) راجع : Maspero, "The Struggle of the Nations", P. 104.

(٣) راجع : Rosellini, "Monumenti Storici", Vol. III, P. 110 & Pl. 11, E.

الماثل في عهده ؛ لم يكن حب المبانى الضخمة قد شاع في عهد هــذا الفرعون لدرجة تستنفد ماليــة الدولة ، وذلك لأن الحالة الاقتصادية لم تكن قد بلغت شأوا بعيدا من الرخاء، ومع ذلك نجد لهذا الفرعون آثارا عدة في أنحاء البلاد . ففي « أبريم » نجــد وثيقة تدل على أنه قد نحت كهفا في جبال « أبريم » ببلاد النوبة ، وأهداه للآلهة « ساتت » إحدى آلهة الشلال[1] .

وفي «الكرنك» وجد له بوابة في الجانب الجنوبي من المعبد (A. S. IV. P. 15) ونقش عليها ما يأتي . « لقــد أقام الملك « أمنحتب » تذكارا لوالده « آمون » رب « طيبة » بوابة عظيمة ، ارتفاعها اثنان وعشرون ذراعا . عند واجهة المعبــد المزدوجة، وقد صنعها من حجر «عيان» (أي من الحجر الجيري الأبيض المستخرج من محاجر « طره »)، وكذلك يشير النقش إلى ... ... بناء جلالته (آمون) رئاسيس معبــده ، وإقامة (بوابته) الجنوبيــة التي يبلغ ارتفاعها عشرين ذراعا من الحجر الأبيض الجميل[2] .

ولقــد جاء في نقش مهشم في مقبرة شريف يسمى « إنني » (وتقع مقبرته في « شيخ عبد القرنة » في الجهة الغربية من طيبة) وكان مدير الأعمال في «الكرنك» ، ما يشير إلى بعض مبان ربمــا كانت « بالكرنك » نفســه ، أقامها هــذا الفرعون ، وأحضر إليهــا المرمر من محاجر « حتنوب » الواقعــة بالقرب من « أسيوط » فيقول النقش :

وكانت أبوابهــا مصنوعة بكاملها من قطعــة واحدة ، وبعضها كان من « الـسام » (خليط من الذهب والفضة) وقد فحصت كل ما عمل هناك من الخشب والنحاس الآسيوي ، من عمرة وتزيين وغلافه (تماثيل الإله)، وكنت المشرف على كل أعماله ، وكان كل الموظفين تحت إدارتي[3]

---

(١) راجع Ibid. Vol. III, I, PP. 73-79. & Pl. XXVIII, I

(٢) راجع Sethe, Urkunden IV. PP. 42-43.

(٣) راجع Sethe, Urkunden IV. P. 53-54.

إقامة معبد بالدير البحري : وقد أقام هذا الفرعون معبداً صغيراً في مكان معبد « الدير البحري » ، ولكن « سنموت » مهندس الملكة « حتشبسوت » أزاله من مكانه لإقامة معبد الملكة وقد عثر هناك على لبنات باسم هذا الفرعون ، ووالدته « أحمس نفرتاري »[1] .

وقد استعمل مهندسو معبد « حتشبسوت » لبناته في بناء منحدرات لرفع الأحجار الضخمة ، وهذا الكشف له أهميته إذ يدل على أن هذا المكان كان موقعاً مختاراً لإقامة المعابد ، وكذلك يدل على أن ملوك هذه الأسرة كانوا لا يعبثون بمعابد أجدادهم حتى ولو كانوا من أسرتهم .

وقد أقام « أمنحتب » كذلك بمناسبة الاحتفال بعيد « سد » (العيد الثلاثيني) معبداً صغيراً في النهاية الشمالية من جبانة « طيبة الغربية »[2] ، وخصصه لكل من الإله « حور » (الصقر) والإله « ست » الذي يقدم له رمز أبدية السنين[3] .

المعبد الجنازي : وكذلك بنى لنفسه معبداً جنازياً للصلاة على روحه (كا) في الصحراء في نهاية الجزء الجنوبي من جبانة طيبة الغربية ، وهذا المعبد يؤلف الآن جزءاً من الخرائب المعروفة بمعبد مدينة هابو ، ولكنه عند بنائه كان قائماً بمفرده[4] ، والظاهر أنه كان بجوار هذا المعبد حديقة تحيط ببحيرة صناعية لا تزال بقاياها موجودة ، وقد عثر على تمثال جميل لهذا الفرعون في هذا المعبد وهو الآن بالمتحف المصري ، وقد رسمت على قاعدته صورة والدة الفرعون الملكة « أحمس نفرتاري » .

---

(١) راجع : Winlock "Excavations at Dier el Bahri", P. 113 & 208.

(٢) راجع J. E. A. Vol. III, 147.

(٣) راجع J. E. A. Vol. IV P. II, Pl. IV

(٤) راجع Weigall, "Guide", P. 243.

وفي «العرابة المدفونة» أقام هذا الملك معبداً تذكاراً لوالده «أحمس» الأول. وكذلك أقام بعض المباني في «الكاب»[1]، وفي «كوم امبو» أقام محراباً من الحجر الأبيض المستخرج من «طرة»[2]، وفي «شطب الرجال» وهو واد صحراوي بالقرب من جبل «سلسلة» بين الأقصر وأسوان، نشاهد على الصخور نقشاً لمهندس بناء يدعى «منى» يدل على أنه كان يعمل في عهد هذا الفرعون، والفراعنة الثلاثة الذين حضروا لقطع الأحجار[3]، وفي «سلسلة» نفسها نشاهد لوحة محفورة في الصخر عليها صورة هذا الفرعون، مهداة من موظف يدعى «بينامون» (Peynamon)، وهذا النشاط في تلك المحاجر التي يستخرج منها الحجر الرملي يدل على استعماله في عهد الأسرة الثامنة عشرة لأول مرة في بناء المعابد التي كان يستعمل في إقامتها الحجر الجيري المجلوب من «طرة»[4] فيما مضى.

ويوجد لهذا الفرعون آثار عدة في متحف القاهرة، وفي مختلف متاحف أوربا، غير أنه كالمعتاد لا يعرف مصدرها، لأنها وصلت إلى تلك المتاحف عن طريق تجار الآثار أو خلسة وأهمها ما يأتي: (١) رأس جميل وطغراء، وهما جزء من لوحة لفرد يدعى «بالمون آمون» (Palmamon) كان محفوظاً بمتحف الجيزه[5]. (٢) جزء من «محراب»[6]. (٣) مائدة قربان من الجرانيت الأسود بمتحف برلين (No. 2292). (٤) إناءان وجدا بمتحف «برلين» منقوش على أحدهما حجمه وهو أحد عشر «هنا» أي ٣١٧ بوصة مكعبة أو ٢٨٫٨ بوصة مكعبة لكل

---

(١) راجع: Ibid. P. 311.

(٢) راجع: A. Z. XXI. P. 78.

(٣) راجع: Peine, "Season", P. 476.

(٤) راجع: L. D. III, Pl. 200.

(٥) راجع: Virey, Catalogue Giza P. 693.

(٦) راجع: Wiedemann, "Geschichte", P. 321.

«حي» ، والإناء الثاني في متحف «اللوفر»[2] ، أما المقابر فكثيرة عددا في عهد[1] «أمنحتب الأول» منها عدد عظيم ذو طابع خاص حتى الصنع ، وكذلك توجد بعض لوحات مربعة الشكل، واسطوانتان ، واحدة منها عليها صورة الملك وأعداء[3]، وفي متحف «اللوفر» جعران يشاهد عليه الملك يضرب عدوا عربيا ، ويصحبه كلب صيد[4] .

لوحة كارس : هـذا من آثار الملك نفسه، وما قام به من أعمال، أما من جدته «أعح حتب» التي بقيت على قيد الحياة مدة طويلة في أيام حكمه ، فلدينا لوحة تذكارية لمدير أملاك هذه الملكة العظيمة ، الذي يدعى «كارس» واللوحة مؤرخة بالسنة العاشرة من حكم «أمنحتب» الأول حفيدها ، وقد عثر عليها في جبانة «ذراع أبو النجا» وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري . ولما كانت هذه الوثيقة تظهر لنا ما كانت عليه هذه الملكة المسنة من العظمة، والاعتراف بالجميل للموظف المخلص ، وما كان يجب عليه بدوره أن يتصف به من جميل السجايا أوردناها بنصها[5] ، وهاك الترجمة :

السنة العاشرة الشهر الأول من فصل الصيف، اليوم الأول من حكم جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «زسر كارع» ابن الشمس من جسده «أمنحتب الأول» محبوب «أوزير» معطي الحياة ،

مرسوم صادر من أم الملك بتأسيس مقبرة وشعائر جنازية لمدير الأملاك «كارس»

أمر الأم الملكية الأميرة الوراثية حاملة خاتم ملك الوجه البحري ، والسمير الوحيد ، ومدير بيت الذهب ، ومدير بيت الفضة ، والمدير العظيم لأملاك الأم الملكية «أعح حتب» ، والحاجب نفسي «كارس» ، لقد أمرت الأم الملكية أن يقام مربع لك في «الجبانة المقدسة» ، وأن يؤثث فيه كل

---

(١) راجع Wiedemann, "Geschichte", P. 32.

(٢) راجع Birch, "A History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman", 12

(٣) راجع : (Flinders Petrie Collection)

(٤) راجع Petrie, "History", II. P. 51.

(٥) راجع : Urkunden IV, P. 45-49.

الوظائف ، وتلك الإصابات التي لها ، وأن يبقى تماثيلك في المعبد مع أتباع الإله العظيم (أي لأجل أن تشترك في عبادة الإله) وأن يرتب لها (أي التماثيل) قربانات من القمح ، وتعظم وتثبت قربانها كالماء . وتستمر تلك القربانات لملكها كما تحب الزوجة الملكية أن يتقدم الأمير الوراثي حامل خاتم الوجه البحري والحاجب « كارس » .

مديح كارس : المحبوب الوحيد ، الذي يمكن في جسم « سخمت » (الملكة) ومن يحفظ خطوات أميره ، والمقدم لأنه حاذق قبل الناس ، وهو واحد يمكن في قلب سيدته حقيقة ، وهو الذي يختص إليه بالأسرار ، والذي يحضر على مشاريع سيدته ؛ ومن يجاوز حديثه ما في داخل القصر ، ومن يجد الكلام (أي إليه حلاوة الكلام) ، ومن يجعل الصعب سهلا ، ومن تحسن سيرته على كلامه ، ومن تقربه إليها حقيقة ، ومن يعرف سرائر القلب ، العبد المخلص في حضرة سيدته ، والمهاب كثيرا في بيت الأم الملكية ، الرزين في ملمات النار القول ، ومن يحصي في نفسه أحوال القصر ، ومن ... على ... ، الأمير الذي يحل المعضلات ، مدير البيت العظيم « كارس » المرشد الحافظ لأحوال الأم الملكية ، ومن لا يحتمل الميل على الباب الحاجب « كارس » .

نداء للمارين بالنقش : يقول : أيها الأمراء والكهنة ، والمرتلون والمطهرون ، ورجال الجيش ، إن آلهتكم المحلية ستحبكم وستمدحكم ، وإن ربة الكل سترحم أولادكم بعد عمر طويل ، إذا قدمتم قربانا للمرحوم « كارس » ذي الريشتين الرفيعتين رب الحياة ، وصاحب الحب ، ورب اللطف ، ومن جمع الدفن بعد الشيخوخة ، لأجل أن يصل قربان من خبز وجعة وأوز ، وكل شيء جميل طاهر قد يقدم على مائدة رب الكل ، أمير الخزانة الملكية ، ومدير البيت العظيم للأم الملكية ، « كارس » لأنه رجل صادق أمام الأرضين ، ومستقيم حقا ، بعيد عن الميل ، وحيد الصالحة ، ومحب للناس ، ومنجي من لا خلاص له ، ورجال الفاقة يفرحون من ... مطرحين ما يخرج من فمه ، زين بالفصاحة العظيم ، والقائل الذي يحب (الملك) الآمر ، ومن يحيي مثل الإله في ساعته (أي ساعة خدمته) ليستمع إلى الحديث ، وأنه في قلب سيدته حقيقة ، ومن وقعت منزلته أميرة الأراضين ، مدير ماله كله ، ... ، (كاتبه عن الحيوان أخواته) مدير البيت العظيم « كارس » ابن ... ، والذي وضعته ربة البيت « ... » .

مغزى هذا النقش : وكما ساه على هذه اللوحة نفهم أن الملكة التي لا بد كانت معروفة عند مدير قصرها ، وإن شئت فقل مدير خاصتها ، كما عبر عن ذلك الآن ، وأنه أمرها إقامة قبرها في « جبانة أبو ... » المقدسة الواقعة في البلد المقدس

---

(١) سخمت هي إلهة القوة والحرب في صورة لبؤة .

(العرابة) قدمت له هدية ثمينة كان يطمح إلى مثلها كل مصري يريد أن يكون
له ضريح شم بجوار إله الموتى العظيم الذي يسكن في ذلك البلد المقدس .

والواقع أنه إذا كان « كارس » هذا صادقاً في وصف ما قصه علينا عنه كان
خليقاً جديراً بأحسن قبر يمكن الملكة المسنة سيدته أن ترفع بنيانه في العرابة ، فأي
عامل من عوامل مصرنا لا يتكلم عن طيب خاطر ونفس مطمئنة « بكافىء به
خدمات رجل يحل المعضلات ويجعل الصعب سهلاً ، ويضاف إلى ذلك أنه
فضلاً عن حل المعضلات يجمع إلى نفسه تلك الصفة التي لا يقدر على إحرازها
إلا القليل من الناس ، وهي قدرته على أن يطبق على لسانه ، ويختم عليه عما يتصل
بين مسامعه ؟ ولكن من الجائز أن أمثال أولئك الموظفين الذين تخرج في مدرستهم
« كارس » كانوا وقفاً على مصر منذ ثلاثة آلاف وأربعمائة سنة مضت ، وأنهم
أصبحوا لا يتخرجون في تلك المدرسة بعد .

ولقد ضربت الملكة « أحمس نفرتاري » المثل في معاملة خدامها المخلصين ، وهي
بذلك تقدم المثل الأعلى لملكنا الحديد قبل مماتها بقليل ، في حياة سعيدة .

وفاة أحمس الأول : وقد توفي « أحمس » الأول بعد أن حكم البلاد
ما يربي على عشرين عاماً ، وقد خلد لنا « إنني » مهندس فن العمارة حادث موته
في الكلمات التالية في نقوشه التي تركها لنا عن حكم هذا الفرعون إذ يقول : "ولد
أمضى جلالته حياته في سعادة وسنين سلام وصعد إلى السماء ، واتصل بإله الشمس
وذهب معه" .

اكتشافه في الكرنك : وقد كشف عن معبده الجنازي عام ١٨٩٦ بعد الميلاد
عند حافة الصحراء الغربية في « جبانة ذراع أبو النجا » غير أنه لم يحقق حتى الآن
مكان قبره ، رغم ما قدم المستر « كارتر » من الدلائل القوية[1] على أنه هو القبر الذي

---

(١) راجع J. E. A. Vol. III. P. 147

كشفه اللورد « كارنرفون » عام ١٩١٤ ميلادية على مسافة ٨٠٠ متر من المعبد الجنازي الذي أقامه هذا الملك، إذ يعتقد المستر « ونلوك » أن قبره هو القبر الذي يحمل رقم ٣٩ في النهاية الجنوبية من وادي الملوك، وبذلك فإن حقيقة مكان دفنه لا تزال غامضة للآن . وعلى أية حال فإنه على الرغم من الزعم القائل بأن خلفه « تحتمس » الأول ، هو الذي يعتبر أول من أنشأ مقابر الدفن في « وادي الملوك » ، فلا بد من الإذعان بأن « أمنحتب الأول » كان أول من وضع تصميم فكرة فصل المعبد الجنازي عن القبر ، وبذلك كان في إمكانه أن يحصل على سرية القبر لبعده عن الخطر الذي كانت تهدد به اللصوص؛ وقد زار قبر « أمنحتب الأول » لجنة الفحص التي شكلت في عهد « رعمسيس التاسع » لفحص مقابر الملوك في الجهة الغربية من « طيبة » كما جاء في ورقة « أبوت » وهاك ما جاء فيها :

" إن الأفق الأبدي للملك « زسر كارع بن الشمس » « أمنحتب » وهو الذي يبلغ عمقه مائة وعشرين ذراعا في ثاعته المسماة [illegible] ، وكذلك في ممره الطويل ، وهو الذي يقع في شمال معبد « أمنحتب صاحب الحديقة » ، وقد وضع عنده [illegible] تقرير [illegible] الملك « صح أم واس » (رعمسيس التاسع) للضبط الملكي « بسر آمون » ، والكاتب الفرعوني [illegible] المدينة المقدسة لإله « آمون رع » ملك الآلهة (أي المملكة) ، والضابط الملكي « [illegible] » ، وحاجب الملك ، وحكام [illegible] (في هذا التقرير) « إن اللصوص لم يسرقوه » — قد فحص اليوم ، ووجده الباحثون سليما "

وأول ما تجدر ملاحظته هنا أن هذا القبر كان غريبا في شكله بالنسبة للمقابر الأخرى التي فحصت ، وبخاصة عمقه الذي كان يبلغ مائة وعشرين ذراعا ؛ إذ لم توجد مقبرة أخرى حفرت في واجهة هذه الصخور تقرب من هذا العمق ، وذلك لأن المقابر السحيقة كلها قد حفرت في الواجهة الأخرى من الصحراء في وادي الملوك . والواقع أن مقبرة هذا الفرعون تعد الأولى بين طائفة المقابر الطويلة العمق التي انتشر نموذجها في عهد الأسرات من الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين .

عبادة أمنحتب الأول والملكة نفرتاري : ولا غرابة في أن يكون قبره عظيما بهذا الوصف ، فإنه كان يعد إلها يقدسه المصريون ، ولما كانت أمه

«نفرتاري» قد أصبحت في نظر الشعب تمثل «إزيس» فإنه كان صوره
يمثل «أوزير» حامي الجبانة، وقد مثل على غراره في اعتقاد أولئك الأهالي
الجنازية، فجعله ممثلاً ممثلاً باللون الأسود عينه اسمه «سابا ايكي»[1]، وفضلاً
عن ذلك كان شكله يحشر مع الآلهة الأخرى لتزيين داخل التوابيت وحلية
موميات عباده[2]. ولهذا الفرعون تمثال في «متحف تورين» يمثله جالساً على
عرشه في جلسة ملك يتطلع إلى رعيته أو في جبة إله يتقبل خضوع عباده،[3]
ورسم التمثال نقرأ فيه مرونة يد النحات في إبداع تصويره بدرجة مدهشة
في عصر مثل هذا، فالرأس أعجوبة في اللطف والرشاقة الطبيعية، والواقع أن
الإنسان يشعر بأن النحات كان يحس لذة وسروراً في نحت تقاسيم هذا الفرعون،
وفي إخراج هذا المحيا الذي ارتسمت عليه السماحة وهدوء الحالم في نومه[4]، والواقع أن
عبادة هذا الملك قد بقيت أكثر من سبعة قرون إلى أن نقل تابوته، ووضع مع
توابيت أعضاء أسرته الآخرين في المكان الذي بقوا فيه مختبئين حتى كشف عنهم
اللصوص في عصرنا هذا. على أن جسمه كان قد نقل قبل ذلك مرات عدة بعد
أن سرق قبره طبعاً. ونعلم أن موميته قد دفنت ثانية في عهد الملك «باسبخانو
الأول» بعد مضي نحو خمس وستين سنة على ذلك ونقل ثانية في حكم الملك «بينزم
الأول» أي بعد ثلاثين سنة من دفنه الثانية، وبعد ذلك بنحو قرن نجد تابوت
الملك موضوعاً في قبر الملكة «إنحابي»، وذلك في عهد الملك «سي أمون»، ولكن بعد
ذلك لا نعرف إلى أي تاريخ بقي في هذا الضريح الأخير، وعلى أية حال فإنه كان
لا بد من نقله مرة أخرى كما ذكرنا حيث وجد أخيراً في الدير البحري، ومن ثم نقل

---

(١) راجع Rosellini, "Storici", Vol. III. 1, PP. 98–106.
(٢) راجع Pl. XXIX,
(٣) راجع Wiedemann, "Geschichte", P. 319.
(٤) راجع Champollion, "Lettres à M. le Duc de Blacas d'Aulps Relatifs au Musee Royal de Turin" Vol. I, PP. 20, 21

« متحف القاهرة » ثم من هنا إلى ضريح سعد ، ثم إلى بيت مدير مصلحة الآثار في الدور السفلي ، ثم نقل إلى الدور العلوي ، ثم نقل إلى المتحف أخيرا .

وصف تابوته وموميته : وقد صنع تابوته على صورة جسم آدمي وطلي باللون الأبيض ، ووجهه يشبه وجه تمثاله ، وقد رصعت عيناه ، وخططت بالكحل مما أسبغ على كل الجسم حيوية مدهشة . وقد لف الجسم بنسيج من الكتان رقائق اللون ، وقد ثبت في مكانه بشرائط صفراء اللون تقريبا ، ثم غطى بغطاء وجهه من الخشب والنسيج المقوى ، وقد طلى باللون الذي طلى به خارج التابوت ، وكانت المومية مزينة بأكاليل زهر من الرأس إلى القدم غير أنها قد ذبلت الآن . وعلى هذه الأكاليل وجد زنبور لابد أنه قد اجتذبته رائحة الأكاليل العطرية في وقت الدفن ، وبقي سجينا بوضع الغطاء على التابوت وقد استقر الزنبور محفوظا لم يصبه أي عطب بمواد التحنيط ، وقد حفظ جناحاه الشفافان دون أن يصيبهما أي تعفن مدة هذه القرون الطويلة[1] .

ولا تزال مومية هذا الفرعون ملفوفة في كفنها لم تفحص بعد كأن قوته الإلهية في الأزمان القديمة قد بقي سرها حتى الآن فحافظت على جسمه فلم ينله أي ضرر ، على الرغم من التقلبات التي مرت عليه طوال هذه القرون ، وكذلك بقي اسمه في الشعب المصري يتردد على شفاههم حتى يومنا هذا دون أن يفطن إليه أحد منهم إلا علماء الآثار ، إذ ظل اسمه باقيا في الشهر القبطي برمهات (Phamenoth) ومعناه عيد « أمنحتب »[1] .

والظاهر أن زوجه « امنحتب » الثانية لم تلعب دورا هاما في تاريخ حياته ، لأن أمه « أحمس نفرتاري » قد غطت عليها . حقا إننا نجد اسمها مذكورا على عدة آثار ، كما نجدها ممثلة على الآثار عدة مرات مع زوجها « أمنحتب الأول » ولا حد

---

(١) راجع Memoires de la Mission Française, Vol. I. PP. 536-7

أنها أخت الملك من أبيه وأمه، إذ كانت تحمل لقب «الأميرة الوراثة» الذي أعطيته ابنتها «أحمس»، وإلا لما فضلت على أخيها وزوجها «تحتمس» الثاني الذي كان من أم من عامة الشعب، كما سنرى بعد. وقد عثر على تابوتها في خبيئة الدير البحري، وهو الآن في المتحف المصري. أما جثتها فلم يعثر عليها (Gauthier L. R. Vol. II. P. 208.). وقد توفي «أمنحتب الأول» ولم يعقب صبيا ذكرا، مما عقد أمر وراثة العرش بعض الشيء، كما سنرى.

عبادة أمنحتب الأول في جبانة دير المدينة : (راجع B. I. F. A. O. Tome. 27 P. 159. ff).

كانت عبادة الفرعون أمنحتب الأول تعد أهم عبادة وأطولها مدة بين الفراعنة التي قدسهم الشعب المصري بعد مماتهم. وليس بعجيب أن الجزء الأعظم من الآثار الخاصة بعبادته مصدرها طيبة، لأن كلا من معبده وقبره قد أقيم في هذه الجهة؛ غير أن الأهم من ذلك هو أنه إذا فحصنا هذه الآثار نفسها بالتفصيل نجد أنها كلها تنسب إلى جبانة «دير المدينة» التي كانت تسمى قديما جبانة حدثم مأوى الصدق. وقد دلت البحوث الحديثة على أن هذا الاسم يدل على عمال الجبانة الملكية، ومن ذلك نعلم أن حدثم «مكان الصدق» هم العمال الذين كانوا يقومون بحت مقابر الفراعنة في هذه البقعة وهي المعروفة الآن «بأبواب الملوك». وهؤلاء العمال كانوا بطبيعة الحال من طبقة فقيرة من أهل البلاد، ولم يكن من المحتمل أنهم هم الذين يقومون بالشعائر الجنازية لهؤلاء الملوك، بل كانت في أيدي كهنة المعابد الجنازية الخاصين بذلك. غير أن العمال كانوا بدورهم موظفين ملكيين، فليس من المدهش إذن أنه يقوموا بعبادة الملوك رؤسائهم بعد موتهم. وقد كانت عبادة أمنحتب الأول على وجه خاص شائعة عندهم ولذلك أصبح هذا الفرعون الوحيد الذي يفصل بينهم في خصوماتهم الصغيرة (راجع J. E. A. Vol. III. P. 176.).

العيال وأمنحتب الأول . والواقع أن أمنحتب الأول كان أول من نحت قبره فى صخور تلال طيبة فكان أول من أحسن العمال وأوجد لهم عملا فى الجبانة الملكية وهم الذين أطلق عليهم خدام « مكان الصدق » . ولا يبعد أن يكون هو المؤسس الأول لطائفة العمال الذين كانوا يقومون بنحت المقابر الملكية، ولا غرابة فى ذلك فكل ما لدينا من وثائق عن هذا الموضوع يرجع تاريخه إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة . (راجع B. I. F. A. O., P. 161.) ، وقد قام بفحص هذا الموضوع الأستاذ "تشرنى" فى مقال رائع (راجع Ibid) ويتلخص فيما يلى :

(١) كانت عبادة الملك « أمنحتب الأول » منتشرة عند العمال فى جبانة طيبة الملكية ، كما يدل على ذلك آثارهم الجنازية والمدنية . والسبب فى ذلك هو العلاقة الوثيقة التى توجد بين جماعتهم وأمنحتب الأول الذى أسس طائفتهم .

(٢) كان يوجد فى « طيبة» الغربية أشكال عدة لعبادة « أمنحتب الأول » مقابلة للتماثيل الخاصة به فى محاريب مختلفة . وقد عرفنا منها اثنين على وجه خاص من آثار عمال الجبانة وهما أمنحتب سيد المدينة (أى مدينة العمال) وأمنحتب محبوب آمون » ، ويمكن تمييزها بالتاج الذى كان يلبسه كل من صورة الفرعون فى هاتين الحالتين .

(٣) كان أحد محاريب الفرعون فى قرية العمال . وكان تمثال الفرعون فى الأعياد المختلفة يحمل فى حفل جنازة « دير المدينة » ، وأحيانا كان يحمل حتى « وادى الملوك » .

(٤) كان تمثال « أمنحتب الأول » يحصل فى المخاصمات بين العمال بوساطة الوحى الذى كان ينطق به التمثال فى المحراب أو فى خلال المواكب .

(٥) كان العمال أنفسهم يقومون بعمل الكهنة لعبادة هذا الفرعون . وقد كان العمال على وجه خاص هم الذين يقومون بحمل تمثال الفرعون فى المواكب .

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد « امحتب الأول »

كارس : من أهم النقوش التي تحدثنا عنها في حكم هذا الفرعون نقوش لوحة الموظف « كارس » ويرجع تاريخها إلى السنة العاشرة من حكم « امحتب الأول » وقد تكلمنا عنها فيما سبق .

وكان يحمل الألقاب التالية : — الأمير الوراثى ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والمشرف على حتى الذهب ، والمشرف على بيتى الفضة ، ومدير البيت ، وحاجب الفرعون ، ومدير البيت العظيم للأم الملكية ، والمدير العظيم لبيت الأم الملكية « اعح حتب » (Urk. IV. PP. 44 - 49).

حورمنى : فى متحف « فلورنس » لوحة لموظف كبير ، يدعى « حورمنى » لم يعثر على قبره بعد وكان يحمل الألقاب التالية : الكاتب وحاكم نخب . وتدل نقوش اللوحة على أنه كان من الأفراد أصحاب المكانة إذ يقول . لقد أمضيت سنين عدة عمدة لبلدة « نخن » وقد جمعت خراجها قرب الأربعين ، ولقد مُدحت ولم توجد فرصة تخط الوحى ، ولقد بلغت الشيخوخة فى « وارات » وأنا محبوب سيدى ، وذهبت نحو الشمال بالجزية التى كل عام ، وقد خرجت من عنده وأنا برىء ، ولم يوجد عندى زيادة (راجع Utk. IV. P. 76 - 77.) ومن ذلك نعلم أن عمدة « نخن » التى كانت تعد الحد الفاصل بين مصر وبلاد النوبة ، كان مسئولا عن جمع خراج البلاد الجنوبية وعن حسن سير الأحوال فيها أمام الفرعون . ولسنا نعلم إذا كانت هذا الموظف نفسه رقى إلى مرتبة حاكم إقليم « واوات » فى بلاد النوبة السفلية أو أن بلاد « واوات » كانت تحت إدارة بلدة « نخن » ، إذ نعرف فيما بعد خلال الأسرة الثامنة عشرة أن إدارة نائب الفرعون فى بلاد النوبة كانت تمتد من نخن حتى كاراى (راجع ص) .

رقى بن سيك نخت : وفى متحف تورين تمثال لموظف يدعى « رقى » (راجع Utk IV. P. 74) يحمل الألقاب التالية : — الأمير الوراثى ، والمشرف

على كهنة خب . وقد دون على التمثال النقش التالى : قربان يقدمه الملك لنخبت البيضاء صاحبة « نخن » (الكوم الأحمر) لتعطى كل شىء جميل وطاهر مما يوضع على مائدتها فى كل عيد للمياه الأمير والكاتب الساحر عند الإله الطيب ، الحازم فى كل الأشياء الصغيرة المرحوم « رنى » يقول : « لقد خدمت ملك زمانى وكنت مرضيه طفلا ورجلا ، وقد كانت موجودة فى القصر ، وعرفت « حور » (أى الملك) ، ولقد جعلت من القصر أرضه فى مديحى ، وبه تأدنى على خدمة الملك ولم آت عيبا فى فؤاد (الفرعون) ولا أخل فى واجبى طبعت فى كل البلاد الأمير الوراثى ، والمشرف على كهنة خب « رنى » الأمير الذى أنجبه الأمير الوراثى « سبك احتب » المرحوم .

ومن النقش نعرف الاتصال الوثيق الذى كان بين هذا الأمير وبين الفرعون والظاهر أنه كان فى خدمة والده من قبـــل لأنه يقول إنه عرف الفرعون طفلا ورجـــلا .

رنى بن سبك حتب : ولقد أنجبت مدينة الكاب موظفا آخر فى عهد هذا الفرعون يدعى « رنى » يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى والحـاكم والمشرف على الكهنة والكاتب ، ووالده يدعى : الأمير الوراثى « سبك حتب » ، وعلى الرغم من أن ألقاب هذا الموظف ليس فيها ما يسترعى النظر إلا أن قبره الذى عثر عليه فى « الكاب » قد زين بمناظر تكشف لنا القناع عن بعض نواحى الحياة الاجتماعية اليومية فى هذا العصر ، وتشمل مناظر زراعية نجد فيها تجديدا لم يلحظ من قبل ، مشاهد عربة عجيبة تنتظر « رنى » ليركبها ، وذلك خلافا لمـا نشاهده فى مناظر الدولة القديمة إذ كان صاحب الضيعة يركب فى محفة التى كانت تحمل على أكتاف خدمه حسب ما يريد الإشراف على مزارعه (راجع "Excavations at Giza", Vol. V, Fig. 123) أو كان يركب فى هودج يحمله حمار (راجع Wrkh w. w, Ibid. P. 246.) ولكنا نشاهد الآن العربة التى تجرها الجياد تحت تصرف صاحب الضيعة منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة أى فى عهد ثانى ملوكها « أحمس الأول » مما يدل على أن صاحب المقبرة كان من أصحاب الثروة العظيمة إذ كان لا يقتنى الخيل والعربات

إلا أحياء هذا العهد . ومن المناظر الطريفة في هذه المقبرة منظر الإشراف على عد الماشية وبخاصة الخنازير، فيقص علينا النقش الخاص بذلك ما يأتي : « الإشراف على مسلم الماشية بوساطة الأمير الوراثي والحاكم والمشرف على الكهنة والكاتب « رني » المرحوم : اثنان وعشرون ومائة ثور ، ومائة رأس غنم ، وعشرون ومائة من الماعز ، وخمسمائة وألف خنزير » .

وكذلك يشاهد صاحب المقبرة في وليمة ومعه أفراد من أسرته من بينهم حفيد يسمى « سبك حتب » وقد كان هذا الطراز من المناظر شائعاً لتمثيل أفراد الأسرة بأسمائهم ورسومهم بطريقة منطقية مفهومة مبينة ، خلافاً لما كان متبعاً في الدولة الوسطى فقد كان يذكر على لوحة المتوفى الجنازية كل أسماء أفراد أسرته لعدة أجيال مضت بطريقة مرتبكة يصعب فهمها ، ومثال ذلك أسرة « تحوتي حتب » حاكم مقاطعة البرشة (راجع Newberry, "El Bersheh", Vol. I pls. XXIII XXX)

وفي مناظر هذه المقبرة نشاهد الراقصين « موو » والبساتين والأشجار والحدائق ونرى هنا الإله « أنوبيس » واقفاً داخل المحراب في حين أن « أوزير » حتى أمتى « يقف خارجه وراء « أنوبيس » (راجع L. D. III. Pl. 11e) . وهناك منظر آخر غريب في بابه نجد فيه كاهنين أولهما هو الكاهن المنظف « ووب » ورئيس الخزانة المقدسة وكلاهما يصب ماء الطهور على رأس المتوفى الجالس على إناء كبير (راجع تصوير هذا المنظر في كتاب حفائر الجيزة ("Excavations at Giza", Vol. IV P. 69. ff.)

وقد كان الملك في مثل هذا المنظر بدلاً من الكاهنين الإلهيين « حور » و « ست » ثم فيما بعد « حور » و « تحوت » (راجع Jequier, "Les Monuments Funeraires de Pepi I.", Vol. III. P 39 fig. 27) وهذه المناظر الخارقة قد أصبحت من خواص قبور الأسرة الثامنة عشرة كما سنشاهد ذلك فيما بعد (راجع Taylor, "The Tomb of Renni", Pl. II-VII.

إتى : ومن أعظم الشخصيات البارزة في عهد الأسرة الثامنة عشرة « أتى » الذي عاصر عدة ملوك مبتدئاً بحكم الفرعون « أحمس الأول » حتى « تحتمس

الثالث » وعد مكلفاً عن نقوشه فيما سبق ، وكان يحمل الألقاب العظيمة التالية كما وجدناها في صدر شيخ عبد القرنة : المشرف على مخازن غلال الإله آمون ، والأمير ، والحاكم ، والذي يملأ قلب مليكه ، والكاتب ، ومدير كل الأعمال في « الكرنك » ، والمشرف على كل الأختام في « الكرنك » ، ومدير كل الأعمال في الجبانة الملكية ، والمشرف على كل الصناع في بيت آمون ، والقاضي .

ويشمل قبر «أنى» بعض مناظر ثمينة يمكن تقسيمها ثلاثة أقسام : (١) مناظر خاصة بحياته اليومية . (٢) مناظر جنازية . (٣) مناظر تدل على حوادث معينة في حياة الموظف الحكومية . وهذه الظاهرة أصبحت شائعة في نقوش مقابر الأسرة الثامنة عشرة ، وقد بلغت نهايتها في عهد « إخناتون » حيث نجد طراز هذه المناظر قد شغل معظم جدران مزارات القبور كما سنرى بعد .

ففي القسم الأول من مناظر مقبرة « أنى » نرى الشريف يتسلم الحيوانات الأليفة والطيور مثل الحمير والماعز والخنازير والغنم والكراكي . راجع Porter and Moss, "Bibliography" I, P 109.

وكذلك نجد مناظر صيد السمك (Wreszinski "Atlas" 1) Pl. 262b.

ومنظر وليمة ، ومنظر صيد في الصحراء كذلك Porter & Moss, Ibid. P. 111. & Wreszinski 262a.

والمنظر الأخير رسم على طراز الدولة الوسطى ويذكرنا بمناظر قبور « مير » و« بني حسن » (راجع "The Rock Tombs of Meir", Vol. I, Pls. VI, VII, VIII & "Beni Hasan", Vol. I Pl. XIII.) ؛ ومما يلاحظ في المنظر الأخير صورة لسبع قد رميت بسهم وتحولت بجرحها المؤلم لتهاجم كلب الصيد الذي انقض عليها . أما المنظر الثاني (الجنازي) في هذه المقبرة فنشاهد رسم سير الجنازة والصلوات والأشجار والحركة والراقصين « مو » ، كما نشاهد بطبيعة الحال المتوفى جالساً مع زوجه على كرسي وأمامهما مائدة القربان المحملة بكل ما لذ وطاب من أنواع الطعام (راجع Porter & Moss, Ibid. P 109.) . ونشاهد في القسم الثالث المعتاد ولا بد أن

حيث كانت واسعة النطاق إذ نرى الكتبة يدونون تقاريرهم والمشرفين على الحصاد جائين ورائحين . وقد يجوز أن هذا المنظر يعبر عن حصاد محصول الإله « آمون » الذى كان « أنى » مشرفاً على مخازن غلاله (Wreszinski, Ibid I, Pl. 264) ومما هو جدير بالذكر هنا أن الفنان المصرى فى مناظر الحصاد بدأ فى محاولة رسم البقعة المجاورة لمكان الحصاد على جدران المقابر، وفى الدولة القديمة نجد رسم أدغال البردى فى مناظر حياة البطائح (راجع Capart, "Memphes. A l'Ombre des Pyramides", fig. 381, 382) فى حين أن مناظر الصحراء قد ميزت برسم تعاريج وأعشاب من نباتات الصحراء مبعثرة هنا وهناك مما يدل على أنها أرض رملية قاحلة (راجع Davies, "Mastaba of Ptahhetep and Akhethetep", Pl. XXII)؛ ثم نشاهد بعد الدولة القديمة أن مناظر الصيد قد خطت خطوة إلى الأمام وذلك بإضافة إطار لمنظر الصيد للتدليل على وجود جزء خاص من الصحراء مسور بشباك كانت تساق إليه الطرائد (راجع "The Rock Tombs of Meir" Vol. I. Pl. 8. and "Beni Hasan" Vol. I. Pl. 13.) . أما فى مقبرة « إنى » فلدينا منظر معين كامل نشاهد فيه بيتاً ذا طابقين محاطاً بجدار عال . وفى الحديقة نرى مخازن غلال مخروطية الشكل ومبانى مقبية يحتمل أن تكون مخازن من نوع خاص ، كما يلاحظ أن المبانى فى هذا المنظر مختفية بعض الشىء بجدران سور يدل على ذلك الأشجار التى قد ظهرت فروعها من فوق الجدران بصورة طبيعية . (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 60a — c) كل ذلك يوحى أن المصرى قد أخذ يصور أمامنا الطبيعة كما هى (landscape) .

وسنرى مناظر طبيعية فيما بعد أكثر إتقاناً وتجديداً فى مقابر عظماء القوم فى أواخر هذه الأسرة .

ين آتى : من النقوش الهامة التى بقيت لنا منقوشة على صخور « شط الرجال » نقوش « ين آتى » الذى عاصر ثلاثة فراعنة مبتدئاً بالفرعون « أمنحتب الأول »

والظاهر أنه كان مكلفاً قطع الأحجار من هذه الجهة وكان يحمل الألقاب التالية : المشرف على أعمال « أمنحتب الأول » المرحوم « بن آتى » ، والمشرف على أعمال « مبانى الفرعون » تحتمس الأول » بن آتى » » والمشرف على أعمال الفرعون « تحتمس الثانى » (راجع Urk IV, P. 53.) ، وكذلك نجد أنه عاش فى عهد الملكة « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث » غير أننا نجده هنا مشرفاً على مبانى معبد آمون . وقد وجد له النقش التالى فى محس الجهة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبررع » معطى الحياة والآلهة الطيبة « ماعت كارع » المحبوبة ثانية ، والمشرف على أعمال معبد « آمون » « بن آتى » المرحوم . (راجع Petrie, "Season", P 14, 357.) وليننا موظفون آخرون من هذا العهد غير أننا لا نعرف عنهم إلا القليل حتى الآن وهم :

أمنمحات : وقد عثرنا له على لوحة محفوظة الآن فى متحف « جنيفا » ، وقد ذكر عليها ألقابه : كاتب قربان معبد « أمنحتب » ورئيس الأسناد « قيدمان » أن هذا اللقب يعادل لقباً آخر يرجع إلى عهد الدولة القديمة وهو كاتب المائدة . (Rec. Trav. Vol. XVIII, P, 124.)

آمـــو : وفى معبد سرابة الخادم يشبه جزيرة سيناء كشف عن عتب باب لموظف يدعى « آمو » ، ولا بد أن الفرعون كان قد أرسله بوصفه حامل خاتم ملك الوجه البحرى فى مهمة ، والواقع أن صاحب هذه الوظيفة كان يقوم فى معظم الأحيان برحلات إلى هذه الجهات فى عهود مختلفة . أما ألقابه الأخرى فهى : الأمير الوراثى ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والدائم الحب فى بيت الملك .

أنف مر : توجد فى متحف « اللوفر » لوحة لموظف يدعى « أنف مر » وتذكر لنا لوحته أنه كان « حاكم الواحة » وقد ذكرنا أن الواحات فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كانت مقسمة قسمين : الواحات الشمالية والواحات الجنوبية .

غير أن « أنف نفر » لم يخبرنا في لوحته أي قسم كان تحت إدارته ، والظاهر أنه كان عمدة للمدينة قبل عمل هـذا التقسيم . وقد ذكرنا على هذه اللوحة أنه كان قريب الفرعون ومحبوبه وقد عاش في عهد « أمنحتب الأول » وقد جاء في آخر لوحته هذه التي لا تحتوي إلا على ألقابه وصيغة القربان المألوفة أن اسم « حورام أخت » الكاتب هو الذي أقام له هذا الأثر (Urk. IV. P. 50, 51.) .

بازو : وفي المتحف المصري لوحة أهداها خادم الإله منتو « رب » أرمنت « الفرعون » أمنحتب « الأول ويشاهد في الجزء الأعلى منها الفرعون المذكور وأمير ملكي يتعبدان للإله « منتو » وفي أسفل اللوحة نشاهد « بازو » نفسه راكعاً في هيئة تعبد ، وتدل كل الأحوال على أن هذه اللوحة كانت في معبد « أرمنت » بالوجه القبلي (راجع Lacau, "Steles du Nouvel Empire," P. 10. ff. V.) كان هـذا الموظف يشغل وظيفـة « رئيس خازني معبـد آمون » ، وقد عثر له على لوحة في خبيئة معبـد الكرنك التي كشف عنها « لجران » ، ويشاهد عليها الملكة « أحمس نفرتاري » والفرعون « أمنحتب الأول » يتعبدان لثالوث « طيبة » وهم « آمون » و « موت » و « خنسو » .

وقد أهدى لهم « بب يوتب » هذه اللوحة (راجع Legrain, "Repertoire", P. 28, No. 43.) .

حـــوي : ذكرنا أن عبادة كل من « أمنحتب الأول » والملكة « أحمس نفرتاري » كانت شائعة في عصرها وظلت بعدهما عدة قرون . وفي عهدهما نجد « حوي » الذي كان يلقب « خادم الإله آمون » قد ترك لنا لوحة يتعبد فيها وكذلك نشاهده يعبد الفرعون « أحمس الأول » (راجع Lacau, Ibid P. 47 & PL. XXIV.) .

مخمس : عثر لهذا الموظف على أداة كتابة من الخشب عليها طغراء « أمنحتب الأول » وقد لقب عليها بالكاتب والمدير الملكي ، وكاتب الحريم مما يدل على أنه كان صاحب مكانة في البيت المـالك (راجع Rec. Trav. T. XIV. P.56.) .

تحتمس الأول

أسرة تحتمس الأول : خلف « أمنحتب الأول » على عرش الملك « تحتمس الأول » ، وتدل المعلومات التي لدينا حتى الآن على أنه ليس ابنه كما يدعي البعض أحيانا ، إذ أن « تحتمس » أعلن في صراحة في المرسوم الصادر بتوليته الملك أنه وصمته والدته « سنسنب » ، ومن ذلك نعلم أن أمه لم تكن زوجة ملك شرعية ، أو بنت ملك شرعية ، ويشاهد في أعلى اللوحة التذكارية التي نقش عليها هذا المرسوم « تحتمس الأول » وخلفه زوجه « أحمس » ، والملكة « نفرتاري » والدة « أمنحتب الأول » التي شاركته في عرش الملك . ومن المحتمل كما يظن البعض أن زوجه « أحمس » هذه كانت إحدى أخوات « أمنحتب الأول » الشرعيات وأن « تحتمس » بزواجه منها أصبح ملكا على البلاد ، غير أن هذا الزعم لا يمكن الجزم به ، والواقع أن الدور الذي لعبته مثل في حادث تولية هذا الملك لا يزال مجهولا لنا كما جرت العادة في مثل هذه الأحوال الخاصة . على أن هناك رأيا آخر يدعي الآخذون به أن « أحمس » زوج الفرعون « تحتمس » هي أحمس « حنت تامحو » بنت الملك « أحمس » الأول من زوجة ثانوية تدعى « إنحابي » والحقيقة أننا نجد « تحتمس » يتكلم عن « أحمس » هذه بأنها أخته ، مما يدل على أنه هو كذلك كان ابن الملك ، ولكن من زوجة أخرى تدعى « سنسنب » كما ذكرنا ، وأحيانا يتكلم « تحتمس » عن نفسه في بعض النقوش بأنه ابن ملك ، وأن والده ابن ملك ، وذلك يدل على أن والده وجده كانا ملكين ، ولما لم يكن ابن « أمنحتب الأول » فلا بد إذا أن يكون ابن « أحمس الأول » ، وحفيد « سقننرع »[1] . ومهما يكن من أمر فإن الموضوع لا يزال يحيطه الشك والإبهام معا

---

(١) راجع Weigall, "History", Vol. II. P. 264. ff.

تاريخ تتويجه ملكا على البلاد : ولا بد أنه توج ملكا على البلاد حوالي عام ١٥٣٥ ق . م . أي بعد وفاة «أحمس» مباشرة ، وقد استقينا معلوماتنا عن إعلان تتويجه ملكا على البلاد من نسخ مرسوم توليه على عرش البلاد أرسلت إلى حاكم بلاد النوبة «توري» الذي كان قد عين حديثا لإدارة شئونها ، ولقب بلقب جديد هو ابن الملك البلاد الجنوبية (كوش) ، وكان يقوم بإدارة هذا الإقليم في عهد سلفه «أحمس» الأول على ما يظهر حاكم الكاب ، والواقع أنه كان الوالي على بلاد السودان كما سنشرح ذلك في حينه .

ولا نزاع في أن هذا المرسوم كما يبدو كان قد وزع على حكام البلاد قاطبة ، وقد وجد منه حتى الآن ثلاث نسخ ، وهاك نص المرسوم[1] .

«مرسوم ملكي إلى ابن الملك حاكم بلاد «كوش» «توري» . لقد أحضر إليك هذا المرسوم الملكي لكي يعلمك بأن جلالتي (له الحياة والسعادة والصحة) قد أشرق ملكا على الوجهين القبلي والبحري جالسا على عرش «حور» الأحياء ، الذي لن يكون له مثيل طول الأبدية . وستكون ألقابي كالآتي : حور (أي) الثور القوي «محبوب آلهة الصدق» (؟) سيد التاجين والمشرق الذي يظهر بالصل العظيم في قوته ، حوريا الذهبي — من سنيه جميلة ، ومن يحيي القلوب ... ملك الوجه القبلي والوجه البحري «عا خبر كارع» — أي القلب العظيم لـ «رع» — ابن «رع» «تحتمس» — يعيش أبدا أبدا . مر على ذلك بتقديم القرابين لآلهة الشيخ (الفانتين) في نهاية الجنوب لأجل أن يقدم الناس قربانا لحياة ورخاء وصحة ملك الوجهين القبلي والبحري «عا خبر كارع» معطي الحياة ، وكذلك مر بعقد اليمين باسم جلالتي الذي ولدته الأم الملكية «سنسنب» وإني أتمتع بصحة جيدة . وهذه رسالة خاصة بالأمر ، وهذا البيت الثالث في عهد رخائه (التاريخ) السنة الأولى ، الشهر الثالث من فصل الشتاء في يوم التتويج (أي تتويج الفرعون وعلى جبينه الصل رمز علامة على التتويج)

أوصاف تحتمس الأول : ولا غرابة في أن نجد هذا الفرعون يحمل لقب «الثور القوي» فإن هذا اللقب كان ينطبق عليه وعلى ما قام به من أعمال الشجاعة . إذ كان طويل القامة عريض المنكبين ، متين البنية قادرا على تحمل أهوال الحروب

---

(١) راجع : Urkunden IV. PP. 79 — 81

من غير ملل و إعياء ، وقد صورته تماثيله بوجه ممتلئ مستدير ، وأنف طويل ، وذقن مربعة ، وشفتين تميلان إلى الغلظ ، ومحيا ترتسم عليه الصرامة ولكنها في الوقت نفسه تمثل قوة الإرادة ، ولا نزاع في أن هذا الفرعون قد حمل معه عند تولي العرش روح الحرب الثائر التي جاءت على أعقاب تخليص البلاد من نير الهكسوس فقد نما وترعرع في عهد « أحمس الأول » ذلك العهد الذي كان يسوده السلام بوجه عام ، وكان أبناء جيله يحضرون تلك الانتصارات التي أحرزوها على أقوام الجنوب من غير كبير عناء ، مما جعل روح الطموح تدب في نفوسهم إلى الغزو ومتابعة الفتح ، وبخاصة في آسيا ، تلك البلاد التي غزاها أولئك القوم الذين



(١٩) مومية تحتمس الأول

سيطروا على بلادهم مدة تعد أكثر من قرن ونصف . والواقع أنهم لم يحكموا في غزو بلاد أفريقية تامة ، إذ كان يخيل إليهم أنه ليس فيها مجال واسع لنمو مطامعهم ، لأن كل البلاد السودانية حتى ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض كانت ملكاً لآلهتهم ، وكان الآلهة المصريون يعبدون في « نباتا » كما كانوا يعبدون في « طيبة » بنفس الحماس والتقى .

حروبه في السودان : ولكن أهالي السودان من ناحيتهم أخذوا يقومون ببعض مناوشات وقلاقل فعزم « تحتمس » على أن يقوم بنفسه بحملة عليهم لإخضاعهم قبل أن يولي وجهه شطر آسيا مطمح أنظاره ومعقد آماله ، فسار على رأس جيشه حتى وصل إلى « تومبس » الواقعة بعد الشلال الثالث مباشرة ، غير أنه وجد أن السودانيين الذين كانوا لا يزالون يذكرون هزيمتهم على يد « أحمس » الأول ، لا يريدون قتالا . وعلى أية حال فإن كل عصيان عند الحدود قد أخمد في الحال ، وصلح على أثر ذلك كل أمير مسالماً لمصر . وقد وصلنا وصف هذه الحملة من حياة « أحمس » بن « أباتا » وكذلك من حياة سميه « أحمس بنخبت » وكذلك على لوحة نقشت في السنة الثانية من حكم هذا الفرعون على صخرة في جزيرة « تومبس » (Tombos) .

النص الذي يتحدث عن حروبه في السودان والنوبة : والنص الذي جاء على هذه اللوحة لا يحتوي على حقائق كثيرة في صميم الموضوع بل معظمه تعابير منمقة في وصف الفرعون ، وماله من جاه وسلطان ، وقوة وبطش ، وسنضع ترجمتها حرفيا أمام القارئ بمثابة نموذج لتلك النصوص التي يستمد المؤرخ فكره في عباراتها ليستخلص منها حقائق تاريخية سهلة المأخذ ، مختصرة العبارة . وهاك النص

« السنة الثانية الشهر الثاني من فصل الفيضان ، اليوم الخامس عشر في حكم جلالة الملك القوي محبوب الآلهة ... « تحتمس » الأول .

(١) راجع Urkunden VI. PP 82. ff.

اسد حعر وظهر بوصفه رئيس الأرضين ليحكم ما يحيط به قرص الشمس ، والجنوب والشمال يطوفان به
[illegible] وتخاصة مصر « حور وست » (أى مصر كلها) ، وهو الذى وحد الأرضين وجلس على عرش
« حب » ولبس التاجين الشريين (محتى) وقد ظهر جلالته على عرشه ، واطمأن على عرش « حور »
فى التاج ، ابنة مصدر « عليه » على « خنت حرنس » (من صواح « طيبه ») ، ولهيب سكان
الريف والبرارية الذين يعصيم الإله ، وسكان جزر البحر الأبيض ، وقوة « رنحو » ثابت « جلاله » ،
وهو الذى جعل سكان الجنوب يطلبون حالا وسكان الشمال يصعدون بحورها ، وكل البلاد الأجنبية بأقوب
الذين تحميهم قوة الارل (فى التاريخ) الإله الطيب « تحتمس » الأول عاش مخلدا ، وابنه « حور »
الظافر ، رب الأرضين ، وهو الذى [illegible] وتتضرع المه قلبه لأنه صاحب الأرض من جديد ،
وأصحاب المقاطعة يضربون أمام جلالته ، ويحصون أمام الصل الذى على جبهته ، وهو الذى صد طرح
أرض رجال بلاد النوبه ، ولم يهلك من فيهم الفرد إلا بعنفة (*) ، وقد سلم إليه الحدود التى على كلا
الجانبين (للنيل) ولم يهلك واحد من أهالى الذين أتوا لم يبق منهم واحد ، أما جبر النوبه فقد سقطوا
على وجوههم من الفزع ، وخروا على جنوبهم فى بلادهم ، واختفت رائحة جثثهم فى وديانهم ، والتصق
أفواههم بالدماء كأنها صوب المطر ، أما الذين فروا [illegible] فطاروا إلى مكان آخر ، وقد الخفى الأسرح
من الحاوب الذى كانت يريد أن يحتمى ، أمام « حور » فوق الساعد (وهذا كله) حدث بقوة فقط وحده
وحده ، بين آمون ، وسل الإله صاحب الاسم الخفى (كلمة أخرى معناها الخفى) وسلالة ثور الخاسرع
(من سلالة آمون) ، والصورة الفاخرة لأعضاء الإله ، والذى يحصل ما تحبه أرواح « عين شمس »
(أى الملوك القدامى) ، وهو الذى رأه أرباب « حت عات » (معبد عين شمس) ، وهو حصن بكل
جيشه ، والمحارب على مساحة قبائل الأعراب المتحدة بحيث كأنه فهد شرس يرتطع من البقر المطلق ،
لقد عميم قوة جلالته ، وهو الذى وصل إلى حدود الأرض من قاعدتها ، والذى اخترق بلاده بقوة
الظافر ، والذى بحث عن المحروب ، وليس من يجسر على مواجهته ، وهو الذى فتح الوديان التى كان
يجهلها الأولون ، والتى لم يرها حاملو التاجين ، وحدود فلاحه الجنوبية وصلت إلى حافة هذه الأرض
(هذه النوبه) ، ومن الشمال إلى تلك المياه التى تسير من الشمال إلى الجنوب (يعنى نهر الفرات لأن مياهه
تسير عكس مياه النيل الذى يجرى من الجنوب إلى الشمال) ولم يحدث مثل ذلك لأى ملك خلافه ، وقد وصل
اسمه إلى دائرة السماء ، وكذلك وصل إلى الأرضين [illegible] والناس تعقد الأيمان باسمه فى كل البلاد ، لأن
شهرة جلالته عظيمة جدا ، ولم ير الإنسان مثيلا لذلك فى تاريخ الملوك القدامى منذ عهد أتباع « حور » ،
وهو الذى يعطى من [illegible] (أى نفس الحياة) ، ومن يسير على هديه قريبا ، [illegible] إلى صاحب هو
« حور » الذى استوى على عرشه الذى [illegible] ، وهو الذى عنده جزر المحيط ، والأرض جميعا تحت

خلفه ، أى الشمس من خلفه ، ومحبوبه « تحتمس » عاش مخلداً أبدياً ، المحبوب من « آمون » رب الآلهة ، والده الذى حور جلاله ، ومحبوب تاسوع الكرنك ، معطى الحياة ، والثبات والصحة ، ومرح القلب على عرش « حور » لأنه قاد كل الأحياء مثل رع أبدياً » .

ما نستخلصه من هذا النص : وهذه النقوش على ما بها من الإغراق فى أوصاف الفرعون ، وما قام به من ضروب الشجاعة لقمع أولئك السود ، قد جعل بعض المؤرخين يستنتجون من استعاراتها أشياء لا وجود لها فى المتن ، ولا أدل على ذلك من استنتاج وجود قلعة بناها الفرعون فى جزيرة « تومبس » مع أن المتن الذى استخلص منه ذلك هو فى الواقع تشبيه الفرعون بأنه حصن كل جيشه ، والذى يجسر على مهاجمة قبائل الأقواس التسعة مجتمعة ، الفهد الفتى بين قطيع من البقر الهادئة ، على أن ذلك لا يمنع أن الفرعون كان قد أقام حصناً فى هذه الجهة ، والمهم فى هذا النقش هو أن مؤلف هذه الوثيقة كان يعرف من غير شك بلاد النهرين ، (كما يقول برستد) أو ذهب إليها ، وقد نظر بدهشة واستغراب إلى اتجاه سير نهر الفرات الذى كان يخالف سير نهر النيل ، فقد كان ذلك النهر يجرى من الشمال إلى الجنوب نحو مصبه بدلا من أن يجرى شمالا مثل النيل ، ولذلك سماه المصريون « الماء المقلوب الذى يجرى إلى أسفل بدلا من الذهاب إلى أعلى » ، والواقع أن هذا وصف دقيق للغاية لمصرى كان يعتبر نهر بلاده هو النموذج الذى كان لابد أن تكون كل أنهار العالم على غراره[1] ، والأهم من كل هذا هو السؤال التالى : كيف يمكن « تحتمس » الأول أن يدعى وصول حدود إمبراطوريته إلى هذا النهر مع أنه لم يمض على اعتلائه عرش الملك إلا سنة واحدة ؟ وليس لهذا الجواب حل إلا إذا كان سلفه « أمنحتب الأول » هو الذى وصل فى فتوحه إلى هذه البلاد النائية ، وإن كانت آثاره لم تحدثنا عن ذلك كما سبقت الإشارة لذلك ،

---

(١) وقد دحض جاردنر هذا التفسير وبرهن على أن المصرى كان يعبر الفرات على [illegible]
(راجع Gardiner "Onomastica" Vol. I, P. 160. ff.) .

والظاهر أن الفرعون في غزوته هذه قد مكث حوالي عام يحارب السود، إذ وجدت نقوش في « تمبوس » التي تقع على مسافة خمسة وسبعين ميلا فوق الشلال الثاني تحدثنا عن عودته إلى مصر.[1]

نقوش أخرى عن حروبه في السودان : « السنة الثانية — الشهر الأول من الفصل الثالث — نهاية حملة الشتاء » . وكذلك وجدت لوحة في جزيرة « أرجو » التي تقع على مسافة أربعين ميلا جنوبي الشلال الثالث كتب عليها اسم هذا الفرعون غير أنها لم تنشر[2] . ومهما يكن من ضعف قوة النوبيين فإن دلائل الأحوال تدل على أن حملة « تحتمس » إلى الشلال الثالث كانت عنيفة ، وقد ازداد عنف هؤلاء القبائل النوبية في السنة التالية في مهاجمة الحدود المصرية باستمرار . وليس لدينا معلومات تنقع الغلة إلا ما جاء في تاريخ حياة « أحمس بن أبانا » وقد جاء ذكر هذه الحملة كذلك في حياة « أحمس بننخبت » حيث يقول : " لقد تبعت الفرعون « عا خبر كارع » وأسرت له في « كوش » أسيرين غير ثلاثة آخرين أسرتهم في « كوش » لم أحسب (رسميا)[3] " . وقد عسكر الفرعون في طريقه إلى عاصمة ملكه بعد انتهاء هذه الحملة بالقرب من جزيرة « سهيل » عند الشلال الأول ، وكانت القناة التي حفرها « سنوسرت » الثالث تنظف من جديد، وعنده تم كيما مرت سفن الفرعون فيها ، وقد دون نقش على صخور « سهيل » يحدثنا عن ذلك ، وهاك نصه : " السنة الثالثة الشهر الأول من فصل الفيضان اليوم الثاني والعشرين من حكم جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري « عا خبر كارع » معطي الحياة . لقد أمر جلالته بحفر هذه القناة بعد أن وجدها مسدودة بالأحجار ولم تكن تمر فيها سفينة ؛ وقد سار فيها بعد ذلك (أي بعد حفرها) بقلب فرح بعد أن قتل أعداءه (كتبه) ابن الملك « توري » " ، و « توري » هذا هو ابن الملك (نائب الملك في السودان

(١) راجع : P. S. B. A., Vol. VII,P. 121.

(٢) راجع : Wilkinson, "Topography of Thebes and General View of Egypt P. 472

(٣) راجع : Urkunden IV P. 36.

كما سبقت الإشارة إلى ذلك[1]) . وكذلك نقش على صخور «سهيل» لوحة أخرى أرخت بنفس التاريخ السابق ، وقد جاء فيها : "قد سار جلالته في الترعة منتصراً مظفراً في عودته بعد إخضاع بلاد «كوش» الخاسئة (خشه) ثورى" (راجع Urk IV P. 89.) ، وفي نفس اليوم نجد نقشاً آخر يدل على وصوله إلى «الفنتين» نقش على صخور «أسوان» نفسها جاء فيه بعد ألقاب الفرعون أن " «تحتمس» المحبوب من الإله «ساتت» سيدة «الفنتين» قد عاد جلالته من «كوش» بعد أن أخضع أعداءه " (راجع Urk IV P 89) .

حروب تحتمس الأول في آسيا : وبعد أن فرغ تحتمس من حروبه في السودان ، ووطد أركان ملكه هناك أخذ يفكر في المشروع العظيم الذي قام بتنفيذ جزء منه والده وأخوه ، وذلك هو القضاء على الهكسوس في «آسيا» بعد أن قضى عليهم والده في مصر ، ثم أخذ أخوه في مطاردتهم في آسيا على ما يظهر ، يضاف إلى ذلك أنه كان يريد تأسيس امبراطورية واسعة النطاق كان قد وضع أساسها في عهد الأسرة الثانية عشرة ، ولم يبق حبل الاتصال بين المصريين والأسيويين موصولاً ، كما نجد آثاره في عهد الأسرة الثالثة عشرة . والظاهر أن أهل سوريا أو بعبارة أخرى الهكسوس الذين كانوا يقطنون هذه البلاد ، مضافاً إليهم من تقهقر منهم أمام «أحمس» ، كانوا قد عقدوا أواصر المهادنة والإخاء بينهم وبين أهل نهرين[2] على حساب مصر ، ولا بد من أنه قد حدث بعد مناوشات أو غارات اتخذ منها الفرعون ذريعة القيام بحملة تأديبية إلى تلك الأصقاع . ولقد كان في نفس هذا الفرعون كما قلت أن يغسل عن قلبه الأذى الذي بقي عالقاً في قلب الشعب المصري من أولئك الغزاة الذين استعبدوا بلادهم حقبة طويلة من الدهر . وسنرى فيما بعد أن تلك الحملة هي التي سار على نهجها الفراعنة الذين خلفوه حتى

(١) راجع : Urkunden IV, P. 89-90.

(٢) المقصود من بلاد نهرين في خلال الأسرة الثامنة عشرة هو بلاد الميتني كما شرح ذلك الأستاذ جاردنر (راجع "Onomastica", Vol. I, P. 171. ff.) .

قضوا على الهكسوس ، وأسسوا أعظم امبراطورية ظهرت فى الشرق القديم بل فى العالم كله فى ذلك العهد.

ومما يؤسف له أن الآثار التى تحدثنا عن تاريخ حروبه لآسيا بالضبط لم يكشف عنها بعد هذا ، فضلاً عن أن كل ما وصل إلينا عن هذه الحروب قد جاء عن طريق غير مباشر ، وهو ما يسرده لنا « أحمس بن ابانا » ، و« أحمس بننخبت » فى تاريخى حياتهم . وعلى الرغم من أن هذه المعلومات مقتضبة جافة عن هذه الحروب فإنها تحدثنا عن أعظم المغامرات الحربية التى حدثت فى العالم القديم ، وقد علمنا فيما بعد من غير المصادر المعاصرة ، أن « تحتمس الأول » قد وصل فى زحفه على نهر الفرات الى المنحنى العظيم بالقرب من « قرقميش » ، وأنه أقام هناك لوحة تذكارية لانتصاره ، فقد أخبرنا « تحتمس الثالث » أنه وجد اللوحة التى أقامها جده هناك عند ما وصل الى هذه النقطة فى حملته الثامنة ، وأقام هو بدوره لوحة أخرى على الجانب الأيمن لنهر الفرات ليظهر للملأ أنه قد ذهب فى فتوحه الى أبعد من جده بقليل .

هذا هو كل ما وصلنا من حروب تحتمس الأول فى تواريخ من جاء بعده ، وهو من مصدر مصرى . أما عن المقاومة التى اعترضته أو عن قوة جيشه أو الخسارة التى حاقت به ، وكذلك الطريقة التى حاول أن يحافظ بها على فتوحه فإنا قد تُركنا فى ظلام حالك ، وإن شئت فقل بقى كل ذلك صحيفة بيضاء حتى الآن . والواقع أن الأعمال الحربية التى نهض بأعبائها « تحتمس الأول » قد غطت عليها حروب « تحتمس الثالث » الكثيرة . ومع ذلك فإن الحملة إنما كانت تفتخر بأهمية نتائجها بالنسبة لما كانت تشتمل عليه من قوة فى ساحة القتال ، فإنه لا يوجد إلا القليل

( ) تقع مدينة قرقميش (وبالبابلية جرجميش) على أعالى نهر الفرات على مسافة نحو ستين كيلو مترًا من الشمال الشرقى من مدينة حلب (انظر المصور الجغرافى لشمال سوريا) راجع
Gardiner, "Onomastica", Vol. I. P. 132. ff.

من الحملات التي دونها لنا التاريخ القديم تستحق الالتفات أكثر من تلك الخاطفة التي قام بها «تحتمس الأول» في آسيا، وإذا نظرنا إلى عمله هذا باعتباره جزءاً من تاريخ الشرق القديم فإنه كان بداية الصراع الدموي للاستعمار بين آسيا وإفريقيا، وبين ثقافة وادي النيل، وثقافة بلاد نهرين، وهو ذلك الصراع الذي كانت عواقبه وبالاً على كلتا الدولتين، وانتهى أمرهما بسقوطهما، فهوت أولاً مصر أمام الفرس وثانية أمام الإسكندر الأكبر. أما إذا اتخذناها جزءاً من تاريخ مصر فإنها كانت النقطة التي تحول فيها الشعب المصري للمرة الثانية إلى شعب حربي سيد العالم بعد أن كان سيده ومعلمه في الفنون والصناعات والعلوم قبل ذلك النهوض الحربي.

ومن الغريب أننا لا نعرف شيئاً عن الطريقة التي بها قبض تحتمس على زمام الأمور في تلك الإمبراطورية العظيمة التي فتحها بحد السيف. ومن البديهي أنه قد اتخذ بعض التدابير المحافظة على هذه الفتوح، وأن حملته لم تكن مجرد انتقام بل كانت محاولة حقيقية لتأسيس السيادة المصرية على تلك البقعة الشاسعة من آسيا التي تبتدئ من الحدود عند برزخ السويس، وتنتهي عند منحنى الفرات العظيم، وهي التي يمكن تصورها المنطقة بين آسيا وأفريقيا. ولا أدل على وجود نظام حكومي في هذه الجهات تحت سيطرة مصر من أنه لم تحدث حروب تستحق الذكر في عهد خلفه «تحتمس الثاني» والملكة «حتشبسوت»، كما أنه لم يسمع بثورات هامة في «سوريا» لنزع النير المصري عن عاتقها. وقد بقيت الحال كذلك إلى أن تولى عرش الملك «تحتمس الثالث»، وعندئذ ألف حلف أمراء الهكسوس والولايات الأخرى حلفاً لنزع النير المصري، ومن ثم شبت الثورات هناك. ولذلك قال «تحتمس الثالث» في نقوش تاريخ حروبه التي دونها على جدران معبد الكرنك تأمل! إنهم قد بدءوا بالعصيان على جلالته من «أول يرزة» (يرده) حتى مستنقعات العالم (أي إلى ما وراء نهر الفرات).

مباني تحتمس الأول

ولا نزاع في أن « تحتمس الأول » بعد أن مد فتوحه إلى تلك الجهات النائية أخذ يشعر بأن ضغط الهكسوس وجبروتهم قد زال نهائياً ، وأنه كان من حقه وقتئذ أن يفتخر بسيادته على العالم كما جاء على نقش تركه لنا في « العرابة المدفونة » فاستمع إليه : « لقد جعلت حدود مصر واسعة كدائرة الشمس ، وقويت الذين كانوا في خوف ، وطردت عنهم الشر ، وجعلت مصر سيدة كل الأراضي » .

ويدل ما وصلنا حتى الآن من الكشوف الأثرية على أن « تحتمس الأول » لم يقم بأية حروب أخرى ، بل على ما يظهر وجه كل جهوده إلى إقامة المباني العظيمة تخليداً لأولئك الآلهة الذين وهبوه النصر على أعدائه ، وبخاصة إله الدولة « آمون رع » وإله الآخرة « أوزير » .

فكان أول أثر أقامه هو قاعة عمد فسيحة الأرجاء كل عمود منها ذو ستة عشر وجهاً ; وقد جاء ذكرها في نقش دون خلف (البوابة) الخامسة في معبد « آمون » كما يأتي : يعيش الملك الطيب رب الأرضين ، وسيد القربان ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري « تحتمس » ابن الشمس من جسده . لقد أقامها (القاعة) لتكون أثراً لوالده « آمون رع » سيد الأرضين ، أقام له قاعة عمد فاخرة تمثل عجائب الأرضين ، ولذلك أعطى الحياة مخلداً (راجع Urkunden IV, P. 92) .

إقامة مسلتين : ولما اقترب أوان عيده الثلاثيني أراد أن يحتفل به على ما يظهر على نهج أصبح متبعاً فيما بعد ، وذلك أنه رغب في إقامة مسلتين عظيمتين في معبد « آمون » أمام (البوابة) التي كان قائماً ببنائها وهي (البوابة) الرابعة الآن . وقد كان يدير أعمال البناء رجل عظيم يدعى « إنني » وهو الذي كان يقوم لسلفه « أمنحتب الأول » بأعمال البناء كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وسنتركه يقص علينا ما أنجزه في عهد « تحتمس الأول » بعد أن فرغ من التحدث عن « أمنحتب الأول » مولاه في بادئ الكلام عن أعماله بتقديم بعض مدائح لسيده فيقول .

الإله الطيب الذي يؤدب الوحوش، رب القوة وسيد الأسيويين، والذي جعل حدوده حتى قرن الأرض (تعبير عن جهة الدنيا من الناحية الجنوبية) ويأتونها في حياته خضوعه والذي قدم له خشب أرز الغابة مثل ما يؤتى له بخشب مصر، والذي يأتي اليه الشرقيون بجزيتهم، مثل ما تحمل له جزية الجنوب، وسكان الشمال يحملون اليه جزيتهم مثل ما يؤتى اليه بجزية الوجه القبلي والوجه البحري، وهي التي قدمها جلالته الى والده «آمون» في «طيبة» كل عام، وكل هذه الأشياء جميعا



(٢٠) مسلتا تحتمس الأول وسنكموت

لأنه علا عليه من (رتنو) وأقلق ولب أسيرا ، ومدير ثورة ، وحصول القربان كلما عاد إليها ،
وكل المباني الفخمة كانت جميعها تحت رعايتي ، وقد أشرفت على المباني الأثرية العظيمة حتى أتمها في الكرنك
مثل إقامة قاعة العمد الفاخرة ، على هيئة سفينة الفرعون ، وكذلك أقمت أبراج (البوابات) العظيمة
بالقرب منه مصنوعة من حجر جيانه الأبيض الجميل ، وكذلك أقام عمد الأعلام الفاخرة أمام المعبد من
خشب (الأرز) أحسن خشب الأرز (من جبال سواحل لبنان) وحليتها من السام ، ورأيت كيف كان
يقام ... [illegible] من الذهب ، ورأيت كيف كان يقام الباب العظيم المسمى « امون عظيم الفخار » ، وكان
مصراعه العظيم من نحاس آسيا وصورة الإله التي عليه (أى المصراع) من ذهب ، ورأيت كيف أقيمت
المسلات العظيمتان أمام مدخل المعبد من الجرانيت الأحمر ، ورأيت كيف صنعت السفينة الفاخرة التي طولها
مائة وعشرون ذراعا ، وعرضها أربعون ذراعا لتنقل عليها هاتان المسلتان (من عجائب أسوان إلى طيبة) ، وقد
أحضرتا صحيحتين [illegible] ، في الكرنك ، ورأيت كيف حفرت البحيرة التي حفرها جلالته على
الجانب الغربي للمدينة وغرست جوانبها بكل أنواع الأشجار البهيجة ، وأشرفت على كهف مقبرة جلالته ،
وكنت وحيدا لم يره إنسان ، ولم يسمع به أحد ، وكنت أنا الذى أبحث عن الصالح لذلك ... في عمل دائم
(طمعه الله) ، وكان رأسي يقظا ليبحث عن كل مفيد ، وصنعت ملاطا من الطين على جدران مقابره لترسم
عليها ، وهذه الأعمال لم تعمل منذ الأزمان الغابرة قط ، ولقد أعترف بما كنت [illegible] كما يجب ... صور
ها ، أنت الخلف (كل معبد) ، وكانت [illegible] ما يرغب فيه قلبي ، [illegible] كانت في الظل ، [illegible]
سنين ، [illegible] بعد السنين التي ومضت [illegible] (من عمل) [illegible] لأني كنت [illegible]
الأمل [illegible] ، [illegible] ، وكان جلالته [illegible] ، وكان [illegible] بيت الفرعون
[illegible] الفرعون من الحياة وصعد إلى السماء بعد أن أتم سني عمره في حياة راضية » .

مسلات تحتمس الأول : استعرض « أنى » فى هـذا الجزء من تاريخ
حياته كل ما قام به « تحتمس الأول » من أعمال البناء والتعمير فى معبد الكرنك ،
ولا تزال مسلة من المسلتين اللتين أقامهما منصوبة فى مكانها ، أما التى فى الشمال
فقد رآها السائح « بوكوك » قائمة فى زمنه ، وهى الآن ملقاة على الأرض ، ويبلغ
ارتفاع المسلة الجنوبية ٦٤ قدما ، وقاعدتها سبعة أقـدام مربعة ، ويبلغ وزنها
١٤٣ طنا ، وعمودهـا الأوسط قد نقش عليه من الجهة الشمالية والجهة الجنوبية
ألقاب الفرعون . أما النقوش التى على جانبها الشرقى والغربى فحفظتنا عن إهداء
المسلة . وهاك الإهداء .

الجانب الغربي : «حورس الثور القوي محبوب «ماعت» ملك الوجه القبلي والوجه البحري «ما خبر كارع» صورة «آمون» أقامه (الأثر) بمثابة أثر لوالده «آمون رع» سيد الأرضين، وقد أقام له مسلتين عظيمتين في البوابة الأمامية العظيمة وصنعت قمتهما الهرمية من السام».

الجانب الشرقي : «حورس : الثور القوي الذي تحبه آلهة العدل، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، صاحب الشعائر والعمل (نب إري خت) الذي يحبه بالعمل، المنتصر في قوته، «ما خبر كارع» — الذي انتخبه رع — وحور — الحاكم الطيب، الذي يحتفل القلوب، ابن الشمس من جسده «تحتمس المعطى حياة»، لقد أقامها بمثابة أثر لوالده «آمون» رب تيجان الأرضين في «الكرنك» ومثل ذلك فإنه منح الحياة مثل رع أبدياً».

أما المسلة الثانية فنقوش عليها اسم «تحتمس الثالث» مما يجعل الإنسان في حيرة لأول وهلة، إذ أنه لم يتول الملك إلا بعد سنين عدة بعد موت «تحتمس الأول»، ولذلك أصبح من الصعب أن يفهم الإنسان كيف يمكن أن تبقى المسلة الثانية بدون نقش هذه المدة الطويلة، ولماذا لم ينحتها «تحتمس الثاني» نفسه مع أنه هو الذي خلف «تحتمس الأول»؟ ولهذا السبب نجد أن الأستاذ «زيته» يجعل «تحتمس الثالث» خلف «تحتمس الأول» لمدة قصيرة، ثم خلع من العرش وعاد إليه فيما بعد. ولكن لا يغرب عن الذهن أن «إنني» عاش حتى عهد «تحتمس الثالث»، وعلى الرغم من أنه أحضر المسلتين إلى الكرنك في عهد «تحتمس الأول» فإن من الجائز إقامة إحداهما وإبقاء الأخرى ملقاة على الأرض دون نقش كما حدث في المسلات التي جيء بها فيما بعد إلى أن أعيدت إقامتها لما تتطلبه تلك العملية من عناء كبير في عهد تحتمس الثالث. ولا يبعد أن «إنني» كان مكلفاً بهذه العملية، وأنه قد تكلم عن موضوع إقامتهما معاً على الرغم من أن واحدة منهما[1] أقيمت بعد الأخرى بعدة سنين، ويوجد جزء من مسلة في حرم «تحتمس» وهو البقية الباقية من مسلتين عظيمتين كان قد أقامهما حوالي نفس الوقت

(١) راجع : Brugsch, "Thesaurus", V. P 1290.

في معبد هذه المدينة، إذ تقول النقوش التي بقيت : «فقد صنع هذا بمثابة آثار لوالده «خنوم» (إله الفنتين) فقد قطع له مسلتان من الجرانيت عالية عند الشلال الأول».

ومن الجمل التي تلفت النظر فيما جاء على لسان «إنى» قوله عن قبر الملك :

«وأشرفت على كشف حفر قبر الملك، وكنت وحيداً، ولم يره أحد ولم يسمع إنسان به».

وهذه الجملة تشعرنا بالتكتم الهائل الذي كان يتخذ عند حفر قبر الملك، وذلك لأن العصر المرتبك الذي سبق عصر الأسرة الثامنة عشرة، والأسرة السابعة عشرة كانت تنهب فيه قبور بعض الملوك، ويسرق ما فيها من الذهب، والجوهرات. ولا بد من أن الفرعون «أمنحتب الأول» كانت في ذهنه هذه الفكرة عندما نحت قبره في الصخر إلى عمق بعيد، وفصل بينه وبين معبده الجنازي ليكون بمأمن من خطر اللصوص. وقد قلده «تحتمس الأول» في حفر مقبرته بعيداً عن أعين اللصوص وانتخب مكاناً لمدفنه في الركن الجنوبي من الوادي العظيم المشهور الآن باسم «وادي مقابر الملوك»، وقد كان في ذلك الوقت وادياً قاحلاً لم تمسه يد إنسان. وقد نحت لهذا القبر باب صغير مغالاة في إخفاء مكانه، هذا إلى أنه نحت نحتاً خشناً بحيث لا يغري العين، فكان بمثابة كسر في سفح الصخرة لا يكاد يزيد ارتفاعه عن قامة رجل متوسط العرض، بعد ذلك يجتاز الإنسان عدة درجات تؤدي إلى حجرة مربعة منحوتة في الصخر، ومن ثم عدة درجات تنحدر من هذه الحجرة مؤدية إلى حجرة الدفن التي يرتكز سقفها على عمود واحد في وسطها، وقد كانت جدرانها مغطاة بملاط من الجص الذي ذكره «إنى» في وصفه، وكان يوجد فيها تابوت من حجر الكوارتزيت أي الحجر الرملي، لتوضع فيه الجثة، ولم يبق من هذا التابوت إلا بعض قطع[1].

---

(١) راجع : Weigall, "Guide", P. 223.

على أن نشاط هذا الفرعون فى أعمال التعمير لم تقتصر على معبد الكرنك الذى وصفه لنا «إنى» مهندسه وصفا رائعا، بل نجد له آثارا عظيمة فى طول البلاد وعرضها، مما يدل على مقدار ما أصاب البلاد من التخريب فى عهد الهكسوس، وبخاصة فى المبانى الدينية. وقد كانت أول ما وجه إليه عنايته بعد الكرنك الإصلاحات التى قام بها فى معبد «العرابة المدفونة» الذى كان يهتم به كل ملك مصرى تقريبا. وقد وجد له فعلا لوحة نقش عليها أعماله العلية التى صنعها فى هذا المعبد المقدس للإله «أوزير» واللوحة موجودة الآن بمتحف القاهرة (1).

وهاك نص اللوحة:

مستشارو الملك يتحدثون للوزير فى توجيه مظاهر معبد أوزير:

ما أعظم هذه الإصلاحات السرمدية على قلوب الشعب، وما أجمل هذا الرجوع للآلهة عند ما تتم آثار الإله «أوزير» لم منه ما للصنم الإله «خنتى أمنتى» (اسم من أسماء أوزير) الإله عظيم الأزل، الذى رفع مكانته «آتوم» والذى بجله منذ أيام ... والذى عرفت الأرض حبه، والذى بجله منذ الوجه القبلى والوجه البحرى، منذ أن عرفت هذه الأرض. إنك ملك، وإنك من وضعت، وإنه أنجبك من سريره لكى تصل ما خلقه على الأرض، وتحكم محاريب الآلهة، وتحفظ معابدهم، وإنك من صلب الشمس، والبشرة ملكك، وأنت «جب» إله الأرض يفتح لك ما فيه (من كنوز) والإله «تا» (رب المعادن) يجلب لك ما يملك، وكل البلاد الجبلية تخضع لك، وكل البلاد السهلة تحت تصرفك، وكل الأحجار الثمينة محبوسة على يديك، ولا يوجد أحد من يقول لك لا ... من تجده، وما ترغب فيه نفسك يحدث لا محالة.

الملك يكلف وزير المالية أن يقوم بإنجاز العمل:

وأصدر الملك الأمر إلى وزير المالية أن يشرع فى العمل، وعلى ذلك أرسل صانع المعبد كل صانع ماهر من طائفته، وأحسن من عمل من مقدمهم العاملين بالعمليات، والمدرب الذى تحته، والذى لا يتعدى ما كلفه.

وتم صنع الآثار للإله «أوزير» وثبتت عظمة الإله الأبدية، وقد كانت صنعت متقنا وسريا جدا دون أن يراه أحد لم يكن يملكه، وحدود أن يعرف صورته أحد، وكذلك صنع له القارب الذى يحمل من الأعناق المقدسة «وسى حرو» (حامل جمال الإله) من الفضة والذهب واللازورد، والنحاس الأسود، ومن كل الأحجار الأخرى الثمينة

(1) راجع Urkunden IV, P. 94-102.

الملك يقدم للمعبد آلات ثمينة ويهتم بالقربان التي تقدم بانتظام

وقد أوقف عليه موائد قربان سنها أواني كثيرة ، وصاجات « نحم » وصاجات مقدس ، وكذلك مبيت « ومبيت » وأواني تى ، وقربان موجودة هناك لم أنسها ولم أمتنع عن تقديمها

تجديد قارب الإله المقدس الذي يسبح فيه :

وصنعت له القارب « نشمت » المكرم ، من خشب الأرز المنتقى من أحسن المدرجات (أي جبال لبنان) ، وكانت مقدمته ومؤخرته من سعد الصالح ، يقلل البهجان في عيد عند ما يقوم برحلته في عيد إقليم « تنسر » (وهو الإقليم الذي فيه قبر أوزير المقدس) .

الملك يأمر بإقامة تماثيل الآلهة الأخرى التي تعبد في هذا المعبد :

وأمر جلالته بصنع تماثيل التاسوع الأعظم الذي في العرابة ، وأن يذكر كل باسمه ، وهم « خنتي » رب « [illegible] » (الشيخ عباده الغالية) الذي يقطن حقا حقيقا ، و« خنوم » رب الشلال ، وهو صيف العرابة ، والإله « تحوت » مرشد الآلهة ، وساكن « حسرت » ، والإله « حور » ساكن « إنتروبوليس » وحور المنتقم لوالده ، والإله « ويوات » رب الوجه القبلي ، والإله « ويوات » رب الوجه البحرى ، ويجب أن تصنع تماثيلهم سرا وتكون فاخرة ، وأن يكون حامل كل إله من سعد الصالح ، وأن يكون صنعه أمتن من صناعته من قبل ، وأن تكون أفخم مما عمل في البلد ، ومحفوظة أكثر من تماثيل العالم السفلى (دوات) ومحترمة أكثر من سكان الجبانة الأبدى (رت) .

لماذا فعل الملك كل ذلك

لقد عمل جلالته كل هذا لأجل والده « أوزير » لأنه أحب أكثر من كل الآلهة الأخرى ليبقى حيا ، ولتدوم آثاري في بيت والدي « خنتي أمنتي » رب العرابة عددا أبديا .

الملك يأمر كهنة المعبد أن يحسنوا ذكراه كما يجب :

احضروا أنتم يا أيها الآباء المقدسون القائمون على هذا المعبد ، وأنتم يا أيها الكهنة المطهرون ، وأنتم يا أيها الرتلون ، وأنتم يا أيها الكهنة « ايمواست » ، وفي خدمة المعبد أجمعين ، قدموا القربان لى ، وكرروا لى مائدة قرباني ، وحافظوا على آثار جلالتي ، اذكروا اسمى وتذكروا ألقابي ، وقدسوا المديح لتماثيلي ، وعظموا صورة جلالتي ، وضعوا اسمى في فم خدمكم ، وذكراي عند أولادكم ، لأني كنت ملكا عاملا حسن ما يعمله (من القربان) وكنت جديرا بأن يذكر اسمه بحسب ما عمل على هذه الأرض ، ولكنكم تعرفون أنتم سعادة وليس لها تشهدون كذب ولا [illegible]

تلك بعض الأعمال الطيبة التي عملتها في معابد مصر والتي عملتها في البلاد جميعاً .

لقد أتقنت آثارها الإلهية ، ونظمت شعائرهم المقبلة ، وجعلت معابدهم ثابتة الأركان وأعددت ما كان قد بطل ، وجعلت أكثرها حل في الأزمان السالفة ، وجعلت الكهنة يعرفون واجباتهم ، وقد أرشدت الجاهل إلى ما لا يعرفه ، وعملت أكثر مما عمله الملوك الذين كانوا قبلي ، وكان الإله في عيشة في عهدي ، ومددت حدود أرض مصر إلى ما أحاط به الشمس ، وجعلت من كان في خوف منتصراً ، (أي إن المصري الذي كان يخشى مكسور الجناح مهضوم الحق في عهد الهكسوس أصبح الآن يختال وهو المنتصر القوي) وأسعدت ملك الفرع عسه ، وجعلت مصر السيدة ، وكل أرض أخرى عبداً لها ، كما يحس إنسان مسرور بحب « آمون » ورأى إله الشمس من حسنه ، والمحبوب إليه « تحتمس » الذي صنعه مثل « رع » ، والذي يحبه « أوزير » « خنتي أمنتي » الإله الأعظم رب العرابة ، وحاكم الأبدية ، الذي منح الحياة والثبات والسعادة والصحة ، وقد ظهر بوصفه ملكاً الوجه القبلي والوجه البحري على عرش « حور » صاحب الأحياء ، وقلبه فرح مع قرينه مثل « رع » أبدياً .

مغزى هذه اللوحة : وتدل ظواهر الأمور على أن هذه اللوحة قد أقيمت في « العرابة المدفونة » بعد انتهاء الفرعون من حروبه في السودان وآسيا . إذ نجد فيها ما يشير إلى ذلك ، ولا غرابة فقد كان ديدن الملوك من قبله ومن بعده أن يحبوا الآلهة العظام الذين وهبوهم النصر في ساحة القتال الهبات العظيمة اعترافاً منهم لهم بالجميل على مساعدتهم ، وكذلك ليظهر الفرعون ما عمله لبلاده ، وما يرجو منهم أن يعملوه له مكافأة واعترافاً بالجميل .

والواقع أن هذه اللوحة مفعمة بالمعلومات العظيمة عن حالة البلاد في ذلك الزمن مما جعلنا نترجمها هنا برمتها . فنرى أولاً أن الملك قد جمع مستشاريه وحاشيته فيما يريد القيام به في معبد الإله « أوزير » بالعرابة المدفونة ذلك البلد الذي كان الكعبة التي يحج إليها كل مصري غنياً كان أو صغيراً ، لزيارة الإله « أوزير » الذي كان أعظم الآلهة في أعين الشعب المصري وملوكه في عهد الدولة الوسطى ، وفي الدول التي تلت ، بوصفه إله الآخرة ، التي كان يرجو كل مصري أن ينال فيها مقاماً محموداً مثل « أوزير » . ولذلك فإنهم جعلوا الفرعون

بوهم . إنه بعمله هذا وهو تجديد ما خربته يد الدهر في معبد هذا الإله قد أدخل
السرور على قلب الشعب المصري ، وبخاصة ملوك مصر فإنهم منذ الأزل كانوا
ولا يزالون معتقدين لهذا الإله العظيم بوصفهم أولاده مثلما كان حور ابنه .
فالملك بإقامة هذه الآثار ، وصنع أثاثه نال مساعدة كل الآلهة بما أتيا من كنوز
ومال وشب ، وعلى ذلك أمر الفرعون باستخدام أمهر الصناع ، لإعداد المعبد
بكل ما يلزمه على أن يعهد له ذلك وزير ماليته ، وقد كان أهم ما صنع له تمثاله وقاربه
اللذان يستعملان في الاحتفال بعيده ، كما كان يعمل منذ قديم الأزل في المكان
المعروف باسم « بقر » وهو المكان الذي يزعم القوم أن فيه دفن أوزير بالعرابة
المدفونة . على أن الفرعون لم يكتف بصنع تمثال « أوزير » وحده بل أصدر
الأمر بعمل تماثيل لتاسوع الآلهة الذين كان « أوزير » على رأسهم ثم يذكر لنا
الفرعون بعد ذلك السبب الذي من أجله عمل كل هذا للإله « أوزير » فيقول لنا
إنه كان يحبه أكثر من كل الآلهة لأجل أن يخلد اسمه في العرابة ، ولأن « أوزير »
هو إله الآخرة الذي سيكون مصير تحتمس إليه في العالم السفلي ، ولذلك طلب
الفرعون من الكهنة فضلا عن ذلك أن يحيوا اسمه ، ويقدموا له القربان ، وأن
يعلموا أولادهم من بعدهم يحيون ذكر الفرعون حتى تبقى على مدى الدهور ذكراه
مثل « أوزير » ثم إنه يذكرهم بأنه كان ملكا شجاعا دافع عن بلادهم ، وأنه ليس
في حديثه كذب أو افتراء ، ولذلك يذكرهم بما قام به من جليل الأعمال في أرض
الكنانة فيقول : « إنه قد أقام المباني الأثرية العظيمة للآلهة في طول البلاد
وعرضها ، وأنه أصلح ما خربه الهكسوس في وسط البلاد ، فهو بذلك قد
عمل أكثر مما عمله أي ملك قبله ، هذا إلى أنه جعل الكهنة يعرفون حدودهم
وواجباتهم وعلم الجاهل ما يجب عليه ، ثم ينتقل إلى ما قام به من الفتوح العظيمة
المنقطعة النظير . « فيقول لقد وسعت رقعة أرض مصر ، فجعلتها تشمل كل
ما يحيط به قرص الشمس ، وبذلك أصبح من كان يخشى خائفا وجعلا منزعجا من

فالهكسوس وطغيانهم يمشى مرفوع الرأس لأنه أصبح الفائز المنتصر على ذلك العدو الذى طرد من البلاد وجعل مصر سيدة العالم، مهيبة الجانب فى كل المعمورة ، وبعد أن كانت خاضعة ذليلة أصبحت كل البلاد المتمدينة عبيدا لها ، ذلك هو « تحتمس الأول » أو بعبارة أخرى ابن القمر الذى أعاد مصر وجعل نورها يمتد من الشلال الرابع إلى أعالى دجلة والفرات .

وعلى الرغم مما صرح به « تحتمس » بأنه أقام مبانى كثيرة للآلهة فإنا حتى الآن لم نعثر له على آثار فى الوجه البحرى ، ومصر الوسطى . أما فى مصر العليا فنجد له غير ما ذكرنا عدة مبان ، ففى « حت » القريبة من « قفادة » أعاد بناء معبد الإله « ست »، وقد عثر على قائمتى باب وعتب منه وهى محفورة حفرا جميلاً ومن المحتمل أن تصميم بناء معبد الدير البحرى كان قد وضعه مهندس « تحتمس الأول » وإن كانت كل الرسوم والأشكال قد عملت فى عهد ابنته الملكة « حتشبسوت » وفى دير المدينة وجدت لبنات طبع عليها طغراؤه (L. D. III, Pl. 17 (b)) . أما فى الدير البحرى فقد أقام معبدا من أهم المعابد التى أسست فى عهد أسرته ، وقد حدث فى نقوشه تغييرات عدة مما يدل على الأحقاد العظيمة التى كانت بين أولاده وأحفاده (L. D. III, Pl. 27, 2) . غير أن « ويجول » يقول : إن الذى أقام هذا المعبد هو « أمنحوتب الأول » ، وأن « تحتمس الأول » نسبه لنفسه[2] ، وقد دلت أعمال الحفر على صدق ذلك .

ووجد له فى « ابريم » محراب صغير قطع من الصخر ، ويشاهد الملك منقوشا عليه بين الإله « تحوت » والآلهة « ساتيت » سيدة الشلال[3] ، ويشاهد فى « سمنه » و« قمة » عند الشلال الثانى أن هذا الفرعون أخذ فى إعادة بناء بعض الأجزاء المتهدمة

---

(١) راجع : Petrie, "History", Vol. II, P. 65

(٢) راجع : Weigall, "Guide", P. 244.

(٣) راجع : Champollion, "Letters", (Ed. 1868) P. 114.

فيها ، وذلك لما كان لها من الأهمية لحماية الحدود منذ عهد الأسرة الثانية عشرة ويشاهد في « سمنه » قائمة بالهدايا التي كانت تقدم للإله « آمون »[1] وفي « قمة » يلاحظ أن النقوش التي نقشها هذا الفرعون قد اغتصبها « تحتمس الثاني »[2] .

وقد ذكر اسم هذا الفرعون على بعض مقابر طيبة[3] . هذا وقد عثر له على بعض قطع من الآثار منها تمثال جالس من حجر الديوريت بالحجم الطبيعي تقريبا في متحف « تورين »[4] ؛ وكذلك يوجد له قطعتان من تمثالين مقامان حتى الآن في « الكرنك » أمام القاعة الواقعة خلف (البوابة) الخامسة كما يقول « بترى »[5] هذا إلى بقايا تمثال ضخم أمام (البوابة) السابعة عند الطرف الغربي، وقد نصبه « تحتمس الثالث » في السنة الثانية والأربعين من حكمه[6] . أما الجعارين فقد عثر له على كثير منها في صور مختلفة ، ونخص بالذكر منها جعرانا نقش عليه طغراؤه، واسم « حتشبسوت » وقد سميت فيه ملكة « رع »[7] . وهذا الجعران يحتمل أنه عمل في عهد اشتراكها في الملك مع والدها قبل وفاته بقليل كما يقول « بترى »[8] .

أسرة الفرعون تحتمس الأول : لم تكن أم « تحتمس الأول » كما ذكرنا من قبل من نسل فرعوني بل كانت على ما يظهر من عامة الشعب ، وقد جاء ذكرها في المنشور الذي أصدره « تحتمس » عن توليه الملك كما سبق ذكره[9] . ولم يعثر على اسمها ثانية إلا في نقشين : أحدهما في الدير البحري حيث نجدها ممثلة

(١) راجع : L. D. III. Pl. 47e.
(٢) راجع : Ibid. Pl. 50a.
(٣) راجع : Champollion, "Notices", P. 501 & 519
(٤) راجع : Lanzone, Catalogue of Turin, 1374.
(٥) راجع : Petrie, "History", II, P. 69.
(٦) راجع : Melanges d'Arch. Egypt. Maspero. I. P. 46.
(٧) راجع : Louvre Mus.
(٨) راجع : Gauthier, L. R. II. P. 221
(٩) راجع : A. Z. XXIX, (1891) P. 117

وقد ذكر اسمها مع صورتها[1] . وكذلك على هرم صغير لمرثل الملكة المسمى « تى » وهو محفوظ الآن بمتحف « أشموليان » بأكسفورد[2] .

وكان لتحتمس زوجتان : إحداهما شرعية وهى « أحمس » ، ويحتمل أنها بنت الملك « أحمس الأول » وأخت « أمنحتب الأول » ، وقد ولدت له الأميرة « حتشبسوت » وفى هذا خلاف ، والزوجة الثانية هى « موت نفرت » التى أنجبت له « تحتمس الثانى » كما سنرى . وكان لتحتمس الأول أولاد آخرون من زوجات أخر نخص بالذكر منهم « أمنحتب » وكان يشغل وظيفة كاهن ، وقد عثر على اسمه فى شيخ عبد القرنة (راجع Urk IV. P. 105.) .

وقد جاء فى نقوشه ما يأتى : « الكاهن المطهر بكر أولاد الملك « وا جمز كارع » أمنحتب الذى وضعته أمه « محوتى سنى » وكان أمنحتب هذا له أسرة ، إذ قد تزوج فى حياة والده » وقد بقى لنا بعض مناظر من قبره ، منها مناظر صيد الطيور ، والنزهة فى الحقول مع زوجه وأولاده (راجع Urkunden, IV. P. 107. ff.) .

وكذلك كان له ابن آخر يدعى « وازمس » وقد عين رئيس الوزارة « أمتب » للقيام على تربيته هو وأخوته ، وقد عثر على قطعة من الحجر منقوشة من معبد هذا الأمير الذى مات على ما يظهر وهو صغير السن (راجع Ibid. P 108.) ، وقد جاء عليها ... ابن الملك « وازمس » ولكن يبقى أن يكون عمدة العاصرة ورئيس الوزراء « امتب » هو المشرف على تربية أولاد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عا خبر كارع » لأن مكانته عظيمة جدا . وكذلك أشرف على تربية هذا الأمير وأخيه « أمن مس » وهو ابن ثالث حاكم « غنبت » (الكاب الحالية) المسمى « باحرى » (راجع Ibid. 110.) .

(١) راجع : "The Temple of Dier El Bahri" P. 12 14. & "Dier El Bahri", Part. I. Pl. XIII.

(٢) راجع : Newberry, P. S. B. A., Vol. XXVII, (1905) P. 102, No. 60.

وقد مثل الأتباع على جدران قبر هـذا الحاكم جالسين على حجره . وقد مثل الأول في صغره على لوحة واقفا وراء والده « تحتمس الأول » . أما الثـانى وهو « أمن مس » فقـد عثر له على قطعة من إناء في منطقة أهرام الجيزة[1] كتب عليها ما يأتي « السنة الرابعة من حكم الملك « تحتمس الأول » تحت حكم أولاد الملك الذى كان أول قائد لجيش أبيه ... » . هذا كل ما وصلنا من هـذا النقش ، وهو يذكرنا بقصة الحلم التى دونها « تحتمس الرابع » على لوحته المشهورة أمام تمثال « بو الهول » والواقع أن الأمراء فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كان لزاما عليهم أن يزوروا (بو الهول) ، ويقوموا بالصيد والقنص هناك قبل توليهم الملك ، والظاهر أن أول من اخترع هذه العادة هو هـذا الأمير أو أحد الأمراء الذين جاءوا قبله ، وسنفصل القـول عن ذلك فى حينـه . ومن تاريخ هـذه اللوحة نفهـم أن « تحتمس الأول » كان قد تولى الملك وهو فى سن الكهولة تقريبا ، أى كان فوق الخامسة والأربعين على الأقـل ، ومات وهو فى سن السـتين تقريبـا ، وقد دفن فى القبر الذى أعده له « إنى » مدير أعماله ، غير أن جسمه نقل بعد ذلك ببضع سنين إلى قبر ابنته « حتشبسوت » الذى أعدته لها ولوالدها كما سنتكلم عن ذلك فيما بعد . وبعد انقضاء قرون عدة على ذلك نقل الكهنة كل المومياءات الملكية التى بقيت إلى خبيئة الدير البحرى وقد وجد جسم هذا الفرعون من بين أولئك الملوك وهو الآن بالمتحف المصرى فى تابوته المصنوع من الخشب .

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد « تحتمس الأول »

باحرى : يعد « باحرى » من أعظم رجال عهد « تحتمس الأول » وقد كان أول ظهوره فى مقبرة « الكاب » مسقط رأسه ، وألقابه كالآتى : « حاكم نخب » ، وحاكم « دندرة » والمشرف على الأراضى الزراعية فى الجنوب من أقول « واساة » حتى « نخب » (الكاب) ، والكاتب الماهر ، وحاسب الحبوب ، والمشرف على كهنة

(١) راجع : Breasted, A. R. II § 321.

« نخب » ، والمقرب لدى سيده ، والمشرف على الكهنة ، والحارس الوحيد على ممتلكات سيده ، والمعروف لعمه بقلبه ، وكذلك كان يلقب « مربي » ابن الملك « وتوميس » .

ومن ذلك نعلم أن هذا العظيم كان من أكبر رجال الدولة إن لم يكن أعظم أميرها في هذه الفترة . ولا غرابة في ذلك فإن أمراء « الكاب » كانوا منذ الأزمان القديمة موالين للبيت المالك ، ولذلك نجدهم يحتلون المناصب الوراثية . وقبر « باحري » يعد من أكبر المصادر التي يمكن للباحث الحصول منه على معلومات طريفة ، تكشف لنا النقاب عن نواح عدة من الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية في هذه الفترة التي بدأ يسطع فيها نجم ملوك الأسرة الثامنة عشرة في داخل البلاد وخارجها ، ولذلك آثرنا أن نفصل القول عن محتوياته بعض الشيء لما يشمله من مناظر طريفة ووثائق هامة تكشف النقاب عن كثير من حياة القوم ، ونبتدئ هنا بلوحته الحجرية التي ترك لنا عليها نقشا دينيا يعد من أهم المصادر عن ديانة القوم في هذا العهد ، وبخاصة لأنه يقدم لنا نوعا جديدا من الوثائق التي كان يدونها عظماء القوم من هذه الأسرة في مقابرهم : وتبتدئ اللوحة هكذا :

الصيغة الدينية : « قربان يقدمه الملك لآمون رب عروش الأرضين ، ملك الأرباب بالملك سيد الإلهين الطيبين المعروفين من سيقه والمظهر ، وأمين الأزليين ..... والذي خلق الناس والآلهة والجبل الحي الذي يخرج من المحيط الأزلي (نون) ويجمع الناس الورد (حقل) ونخب ، البيضاء صاحبة « دفن » (الكوم الأحمر) ربة السماء ، سيدة الأرضين ، والإله « أوزير » « خنت أمنتي » سيد « الأرض المقدسة » (اسم جبانة عينة) والإلهة « حتحور » ربة الصحراء صاحبة القلب القوي بين الآلهة والإله « بتاح سكر » رب « شتيت »[1] والإله « آنوبيس » رب « روستاو » (جبانة الجيزة) والتاسوع الأكبر ، والتاسوع الأصغر ..... ألف من الخبز والجعة والثيران والأوز ، وألف من القربان والأواني وألف من المشروبات والتقدمات وكل ما ينبت على ظهر الأرض ، وألف من كل شيء جميل طاهر ، والتقدم أمام رب الأرباب ، وكذلك يقدم خبز « سنو » ما يخرج أمام الإله ، ولبنا ما يقرب على مائدة القربان ، وماء

(1) مكان عبادة الإله « سكر » إله الموتى في « منف » ثم أطلق فيما بعد على معابد آلهة أخرى (راجع Gauthier, "Dic. Geog". V. P. 150.)-

الفرصة كما يخرج من « القتص » وما خاص [illegible] في عيد الشهر، وفي عيد اليوم السادس، وفي عيد « منتصف الشهر » وفي عيد « الخروج العظيم » وفي عيد « ظهور نجم الشعرى » وفي عيد « واج » ، وفي عيد « تحوت » وفي عيد « الولادة الأولى » التي ولدت فيه « ازيس » ، وفي عيد « ظهور حين » وفي عيد « ظهور الكاهن سم » ، وفي عيد « وضع الشتاء » وفي عيد « بداية الشهر » في الظلمة في أيامها (الحقيقية) من الشهر، وفي عيد « كل يوم » .

وتوضع لك الملابس الطاهرة المصنوعة من نسيج « جفت » (نوع فاخر من نسيج الكتان) ومن الثياب الساقطة من أعضاء الإله[2] ، وتصب لك الزيوت الطيبة، وتشرب الماء من حافة البائدة، وتشاركهم (أي الآلهة) في القربان الذي عليها لأنك فريق بين أوّل المقربين لأجل أمير « الكاب » « باحرى » المرحوم الذي يلاّ قلب سيده جدا .

خطاب عن مصير المتوفى في عالم الآخرة : إنك تدخل وتخرج (من القبر) وقلبك فرح بحظوة رب الآلهة (آمون) ودفن حسن بعد عمر طويل بعد حلول الشيخوخة، وإنك تأخذ مكانك في لابوتك، وينطلق المسير المصراوى في الغرب، وتصير روحا حية تحصل (أي الروح) على الخبز والماء والهواء، وتتحول إلى هيئة (تتكمن)[3] أو حمامة أو باشق، أو طائر كما تحب، وتعبر في القارب ، دون تأخر، وتسبح في مجرى النهر . وستجد أنك تعيش مرة ثانية ، ولا تبعد روحك عن جسدك، وإن روحك مع المنعمين، وتتحدث إليك الأرواح السامية، وتجتمع بها، وستأخذ ما يخلو لك على الأرض، وتستولى على الماء، وتتنسم الهواء، وتجرض ما يحبه قلبك، وتمنح إليك عيناك (ثانية) لترى بهما وأذناك لتسمع بهما ما يقال، وفمك ليتكلم (به) ورجلاك لتمشي بهما، وتتحرك ذراعاك وكتفاك وتكون لحمك قويا، وعروقك صلبة، وليس فيك شيء خبيث، ولسانك معك صحيح، وقلبك معك كما كان من قبل، وإنك تصعد إلى السماء وأنت تخترق عالم الآخرة في كل صورة (تحبها)، وينادى بك يوميا إلى مائدة الإله الكاهن عظيم (آمون) وتستلم الخبز « سنو » الذي يقدّم أمامك، ومن رب الأرض القادرة (أوزير أو أوبى) لأجل روح حسنة « عب » وحسنة « مكرمة » الذي يصحب المتوكل من « عفنو » حتى « الكاب » والرئيس الرقة والمقال من نصيب الكاتب « باحرى » المرحوم .

---

(١) كان المعتقد على حسب رواية قديمة أن منابع النيل هي في الشلال عند « الفنتين » .

(٢) كانت الملابس التي توضع على تمثال الإله تحل من وقت لآخر كما يفعل بالكسوة الشريفة وكسوة الأرب، الآن في مصر الحديثة فكان يلبسها الكهنة والأشراف كما هو الحال الآن .

(٣) كان المصرى بعد الوفاة يستطيع بوساطة تعاويذ سحرية أن يتحول إلى أشكال مختلفة ويعود في صورتها إلى الحياة الدنيا ، وهذا الاعتقاد لا يزال بقاياه موجودة في مصر الحديثة كما كان يعتقد أن روحه كانت تخرج كما يقدم له من ماء وطعام رغما أنها اعتقاد طرف في أيامنا .

إنك تأكل خبز «شمس» بجانب الإله عند السلم العظيم[1] ملك رب الفاسوح، وإنك تعود إلى بيتك إلى مكان إقامتك بين رجال محكمة «أوزير» العليا وتذهب الفترة بينهم، وتتصادق مع أتباع «حوره» وتطلع وتنزل، ولن تتكرر على عقبك، ولن تصد عن باب الآخرة (دوات)، وتفتح لك ... الأفق، وتفتح لك مزلاجا الباب بنفسيهما، وتصل إلى قاعة العدالتين[2]، ويرحب بك الإله الذي فيها، وتنزل في أعماق المقابر المقدسة، وتسير في مدينة النيل (حرا)، ويبتهج قلبك برؤيتك حقولك في مزرعتك التي في حقول القاب[3]، وطعامك يأتيك مما حصدته أنت، ويرد إليك الحصاد بكثرة، وتربط لك حبال المعدية من سفينة السدر، وتسبح على حسب ما يحبه قلبك، وتخرج في كل صباح، وتسكن في بيتك ثانية كل مساء، ويوقد لك الشمع ليلا إلى أن تشرق الشمس على جسمك ثانية، ويقال لك مرحبا مرحبا بك في بيتك هذا الأرضي، وإنك ترى «رع» في أفق السماء، وتشاهد «آمون» عندما يشرق، وتكون حسن الخلقة في كل يوم، وتمحى عنك كل الشرور في الأرض، وتمضي حياتك إلى الأبد سعيدا في حظوة الإله الذي فيك[4]، والقلب معك وهو لا يخذلك، وطعامك يبقى في مكانه (الصحيح): لأمين الكاتب «باسري» المرحوم.

باسري يتحدث عن سلوكه في الحياة: يقول كنت شريفا تابعا لسيده وحاذقا لا يحيى وكنت أتبع على طريق جامعة (معط) بعد امتحانها، وأعرف مخارج الحياة، وكنت أخلص اعتقادي في الرئاسي، وكذلك الشاطئ[5] ما يخص كل الأشياء الخاصة بالفرعون، وكذلك كل أمور بيت الملك (له الحياة والسعادة والصحة) لأنها مثل النيل عندما يصب في البحر الأبيض المتوسط (أي تسير في مجراها الطبيعي) وكان لي ثابتا لأنه كان يسمع الحكم بالفرعون، وكنت أطالب بقصر الحساب، ولا أتصالح من الحساب، ولم آخذ رشوة من العاطلين، وكنت على حرائق يفضي إلى الطريق التي يحبها الفرعون وقد حسن ظني سيرها، ويجعلني سيدها في قاعة العمل [... ... ...] ووضع على أحلافي حتى أني أصبحت الطالعة، وجعل [..] طريق إلى الأمام، وعطى أحلافي الحسنة ارتفع، وقد وجدت [... ... ...] برص إنسانا خاليا من الإثم، وقد وضعت في كفة الميزان تجربت سهار إلى المحاسب خال من الذنب!

---

(١) مكانة غير معروف في الكرنك.

(٢) أي قاعة العدالة وكان المصري يسأل لكل شيء من تحميص وهما العدالتان.

(٣) الحقول التي كان إرادنا على الخواص أن يقوم بالعمل فيها.

(٤) كان المصري يعتقد أن الإنسان يسكن فيه الإله ويلازمه حياته.

(٥) أي ومثل النيل في طريقه السلسلة إلى البحر فإنه يحمل المعد والشاطئ، وكذلك كان الحرف يسعد أحلافه الفرعون وتنالها من قراراتها.

ووصف بصفوف، ولم أعمل ضد الأخلاق (أو المستقيم)، ولم أنطق كذبًا على أي إنسان آخر، لأني أعرف الإله الذي في جوف الناس، وأنا أعرفه، وأفرق بين هذا وذلك (الخير والشر)، وأنجز الأمور على حسب الأوامر، ولم أعير وسادة مرضعها، ولم أنطق بألفاظ الفاحشة، ولم أبلغ عن أناس لا يحب الملك عيوبهم، وكنت مثالا للطيبة، [illegible] «باسري» المرحوم [illegible] من بين أملاك الكاتب «آمنت تريت» المرحوم الذي وصفت ورقة البردي [illegible] المرحومة

باسري يطلب إلى القارئين [illegible] أن يصلوا له قربانا :

يقول : «اسمعوا أنتم يا من في الوجود، [illegible] أيها الأحياء والموجودون وأنتم أيها الرجال العظماء الذين على الأرض، وأنتم أيها الكهنة المطهرون وخدامهم، وكل كاتب في جهة [illegible] كافة، وكل مدرب على كلام الإله (أي على اللغة المصرية)، وكل فرد ممتاز بالنسبة لمرؤوسيه، وصاحب هم عال في عمله، إنكم ستكرمون [illegible] رب الأبدية، ومن [illegible] ومن كل الآلهة التي [illegible] في وظيفته، (كما لكل وظيفة إلها الخاص بها، [illegible] يطلب المتوفى أن يدعوه إله على حسب وظيفته)، وترغب في أن ترث أولاده في وظيفته، إذا قربتم قربانا باسمه المرحوم على حسب ما جاء في الكتب، وكذلك [illegible] الصوت كما كان يقول الأولون وكما كان يجب أن يخرج من فم الإله، ولأن كل إنسان [illegible] (أي منه قربانا) سيحصل على [illegible] أو يعمل كما يجب على حسب القانون ... في هذا الأمر الكتابي : ألف قطعة من الخبز، وألف إناء من الجعة، ومائة ألف من كل شيء جميل [illegible] لشرح قلب المشرف على الكلام في [illegible] الكاتب [illegible] في الحساب «باسري» [illegible]».

ما يطلبه «باسري» من القراء لا يكلفهم شيئا، وما يجب عليهم أن يكافئوا عليه في عالم الآخرة :

إن الحديث إليكم، [illegible] فليس فيها [illegible] وليست شجارا مع آخر، ولا [illegible] بل إنه [illegible] لا [illegible] القلب [illegible] فم [illegible] ولا [illegible] فليس فيه إجهاد ولا تعب، وإنه [illegible] وستطيعون [illegible] إليكم، [illegible] في أرض الأحياء [illegible] ولقد أصبحت روحا تام التعليم، وها قد [illegible] مكاني في الجبانة [illegible] من كل شيء، ولن أترككما [illegible] (أي القربان) حقا حقا إني [illegible] ذلك المرء المبجل هو الذي يقرب له القربان [illegible] وإنه [illegible] أن يستمع إليه.

ولسنا في حاجة إلى الإشارة إلى ما جاء في نقوش تاريخ حياة هذا الرجل العظيم من معلومات على جانب عظيم من الأهمية من الوجهة الشعبية والخلقية في هذا العهد، على الرغم مما تنطوي عليه عباراته من مبالغات يمكن معرفتها بدون كبير عناء، ومع ذلك فإننا نستخلص من هذه المبالغات نفسها أمورا عدة عن حياة القوم.

المناظر الاجتماعية والخاصة في مقبرة «باحري»: (أنظر اللوحة رقم ٢١)

تحتوي مقبرة «باحري» على مناظر عدة عن حياته الخاصة وحياته الحكومية، وكذلك على مناظر جنازية عامة، وهذه المناظر قد نقشت لحسن الحظ بنقوش مفسرة لها مما جعلها ذات مزايا عظيمة، وبخاصة لأنها تلقي بعض الضوء على حياة القوم اليومية وأحاديثهم وما فيها من فكاهات ومداعبات حلوة قل أن نحصل عليها في وثائق تلك الأزمان السحيقة، ففي منظر نشاهد «باحري» يتبعه خدمه حاملين ملابسه ونعاله وكرسيه والمعدات التي تلزمه، وتقول لنا النقوش عن هذا المنظر: إنه يفحص أعمال فصل الصيف وأعمال فصل الشتاء، وكل الأعمال التي أنجزت في الحقول جهة «نخب» وجهة «دندرة»، وهو الذي يشرف على الحقول في أراضي الجنوب الكاتب وحاسب الغلال «باحري» المرحوم.

ويلحظ في المنظر أن عربة «باحري» تنتظره، غير أن أحد جواديها نفد صبره، وأراد أن يرخي لساقيه العنان فوبخه السائس قائلا: قف ولا تتحرك، ولا تكن عاصيا أيها الجواد الممتاز، إنها (الأمير) الذي يحبه سيده، ومن يفتخر به الحاكم «باحري» أمام كل إنسان.

ونشاهد أمام «باحري» منظر الزرع والحرث فيرى محراثان تجرهما ثيران على حسب المعتاد، غير أننا نشاهد محراثا ثالثا يجره أربعة رجال، والحراثون والعمال الذين يجرون المحاريث التي تجرها الثيران يقولون: «إنه يوم جميل يشعر فيه الإنسان بالنسيم، والثيران تحرث، والسماء تعمل على حسب ما ترغبه قلوبنا. دعنا نعمل لهذا الشريف (Taylor, "The Tomb of Paheri at El-Kab," Pl. III - VII). وكذلك نرى حراثا ينادي رفيقا له يسير أمامه قائلا: أسرع أيها

القائد بين الأمام بالثيران تأمل ! إن الأمير واقف ينظر إلينا » كما يشعر — كما هى الحال الآن — أنهم لا يعملون إلا إذا كان صاحب العمل منتبها إليهم مراقبا إياهم .

وفى نفس المنظر نجد رجلا يحطم قطعا من الطين بفأسه ، وينادى رفيقه الذى يعمل معه قائلا « يا صديق أسرع فى العمل حتى ننتهى فى وقت مبكر » ، غير أن ذلك يغيظ رفيقه فيجيبه قائلا : « إنى سأعمل أكثر من العمل الذى يجب أن أعمله للشريف فالزم الصمت » .

أما العمال الذين كانوا يجرون المحراث فإنهم كانوا مرحين ، إذ أن « ماحرى » عندما كان متجها نحو النهر مارا بهم ، حضهم على الإسراع فى عملهم فأجابوه : إننا نعمل ذلك ، انظر إلينا لا نقف على حقول التلال ، إنها حسنة جدا » .

وقد أجاب على ذلك الحراث المسن قائلا : « حقا إن عملك مدهش جدا يا بنى ، فإن السنة طيبة خالية من الأمراض ، وكل أعشابها جيدة ، والعجول فيها ممتازة أكثر من أى شىء » .

أما القمح الذى قد نضج فكان يحصده عمال محشاتهم وخلفهم امرأة وطفل يلتقطان ما تركه خلف الحصادين ، فى حين نشاهد امرأة ثالثة تحمل سلة وبعض الخبز . ويلحظ أن أحدهم ينادى الحصادين قائلا « أعطنى حزمة ؟ انظر سأتى فى المساء فلا تعد لنتبع البارحة ، تحل منه اليوم » (أى اترك لنا بعض السنبل لنلقطه اليوم) . وفى نهاية حقل الحصاد توجد مظلة صفت فيها أوانى الشرب على قواعد من الخشب ، ويشاهد اثنان منها خارج المظلة يروح عليهما خادم بمروحة من سعف النخل لتحفظ برودتها . وبعد ذلك يحمل القمح المحصود فى سلال كبيرة معلقة فى قضبان ومحمولة على الأكتاف الدرس ، وهنا يرى « ماحرى » يفحص بيده على حصى ، ويأمر حامل السلال بالإسراع خوفا من الفيضان الذى كان يهدد المحصول قبل حصد الغلال منها . ثم يسمع عامل وهو عائد ليأخذ حملا جديدا يقول بصوت عال ، « ألم أحمل القضبان طول اليوم كرجل ؟ وهذا ما أحبه » .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن النغمة التي كانت سائدة في هذه المحادثات نغمة مرح تدل على الجد والإخلاص، وهذا المرح بعينه نجده في الدولة القديمة، وقد مر منه في أغنية حاملي المحفة (راجع كتاب الأدب جزء ٢ ص ٢٢٣).

وبعد ذلك يفرغ العمال السنبل في مكان الدرس حيث تدوسه الثيران، وهناك نرى صبيا يعمل بمكنسته باستمرار ليحفظ السنبل[1] في مكانه.

أما العامل الذي يسوق الثيران في دورتها التي لا تنقطع فكان يغني وهو ماش! « ادرسي لنفسك، ادرسي لنفسك يأيتها الثيران، ادرسي لنفسك، ادرسي لنفسك فإن التبن لطعامك، والغلة لأسيادك، ولا تجعل قلبك تعبا فإن الجو بارد ».

ثم يذرى بعد ذلك القمح ويكال ويوضع في المخازن، ويشاهد كاتب جالس على كومة عالية من الغلال مسجلا ما يكال ويخزن وهو « تحوتي نفر »، ويشاهد كذلك هنا حصد الكتان، وذلك أن شجيرات الكتان كانت تنزع بجذورها ويزال عنها ما عالق بها من طين ثم تحزم السيقان وتحمل إلى رجل مسن جالس تحت شجرة حيث ينزع منها البذور بآلة كالمشط الضخم، ويخاطب الولد الذي أحضر له الحزم قائلا: « إذا أحضرت لي تسعا وتسعين حزمة فإني أنا الرجل الذي أمشطها كلها » غير أن الولد يجيبه بوقاحة غير محترم سنه المتقدم قائلا: « أسرع لا تكن ثرثارا يأيها العامل القذر ».

وفي منظر آخر يشاهد « باحرى » يحمل بيديه فيجلس على كرسي وأمامه أدوات الكتابة يدون حساب الحيوان الذي كان يساق أمامه، والنقوش المفسرة لهذا المنظر تقول: « حساب هذه القطعان بوساطة أمير « نخب »، والمشرف على حقول بلاد الجنوب المحبوب لدى سيده، من أول بيت « حتحور » حتى « الكاب » الكاتب « باحرى » ». ومن ذلك نعلم أنه كان يدير أملاك الفرعون من « دندره » حتى مدينة « الكاب ». ونلحظ أن الماشية التي كانت تحصى هنا كانت تشمل ثيرانا وبقرات وعجولا وحميرا وماعزا وجداء وخنازير. وقد كانت بعض هذه الماشية تلقى على الأرض لتكوى،

---

(١) هذه المناظر تشاهد حتى الآن في قرى الريف المصري التي لم تغزها الآلات الحديثة للحرث والزرع والدرس.

ويشاهد أمام « باحرى » أخوه المسمى كذلك « باحرى » ويلقب بالكاتب .
ويرى « باحرى » كذلك في منظر آخر جالساً في مقر وظيفته يتقبل الذهب من
رؤساء البلاد الجبلية ، وقد كان يقدم إليه في هيئة حلقات ويوزن أمامه ويدون
أخوه « باحرى » قيمة كل وزنة . وقد فسر هذا المنظر بما يأتي :

تسلم ذهب رؤساء أهل الجبال ، تسلم الجزية من رؤساء أهل هذه الجبال بيد الكاتب الحاذق الذي لا يكل ،
والذي لا ينسى ما هو مكلف به الأمير « باحرى » المرحوم » (راجع Urk. IV. P. 126) .

ثم يرى « باحرى » يسير إلى شاطئ النهر على قدميه حيث يراقب شحن السفن
المحملة بالغلال المستحقة لمخازن غلال الحكومة ، ويقول المشرف عن ذلك :
« شحن السفن بالقمح والشعير » ويقول الملاح : هل سنمكث طوال اليوم في حمل القمح والشعير ؟
إن المخازن مملوءة والأكوام تفيض على حافاتها ، والسفن قد حملت حملا ثقيلا ، والقمح يفيض منها
ومع ذلك فإن السيد يلحنا على السرعة ، تأمل ! هل صدورنا من برونز (أي لا تكل)[1]
ويلاحظ أن البحارة الذين في السفن يحملون إلى جسب ويعلقون أوانيهم للشرب .

وكل المناظر السالفة تحدثنا عن حياة « باحرى » الرسمية ، وهناك مناظر أخرى
تحدث في حياته الخاصة ، وتصحبه زوجه ، فنجده في منظر يلاحظ سير العمل
في ضياعه الخاصة ويسلم محاسبيه ، وكذلك نجده مع تلميذه الصغير الأمير
« وازمس » الذي يجلس على حجره معطيا إياه هدايا بمناسبة يوم عيد ، والنقوش
تحدثنا . ابتهاج القلب بكل شيء ، والراحة ، وتسلم الهدايا ، والصيد « للعب كاو »
بوساطة مربي الأمير « وازمس » الحاكم « باحرى » — (Naville Ibid. Pl. IV.)
والواقع أنه يشاهد أمام « باحرى » والأمير أطفال يحضرون .. وقردان ، وكل
أنواع الأزهار في صباح السنة الجديدة (كما تحضر بعض الأطفال في أيامنا هذه
بعضهم في العيد) .

---

(١) هذه هي الشكوى التي نجدها من أصحاب زورق الملاح دائماً ويجوز أن يؤدي إلى جهود العامل لكثرة لا تتاح وقد عبر بقول العامل : هل صدورنا من نحاس أي لا نحس ، ولذلك يريد السيد أن يجعلها تعمل باستمرار .

ولا بد أن « باحرى » كان على وئام مع أقاربه وأصهاره ، إذ نشاهد والدى زوجه وأقاربه كلهم مجتمعين على مائدته فى يوم عيد رأس السنة الذى كان يعد من أعظم الأعياد ، وكذلك شاهدنا منظر الوليمة التى نشاهد فيه كل الأقارب ممثلة عظيمة فى رسوم متقنة (Ibid. Pls. VI, VII) غير أن هذه الوليمة قد جمعت بين مناظر الدنيا ومناظر الآخرة فيرى « باحرى » هو وزوجه جالسين على أريكة ربط فى أسفلها قرد أليف يأكل من سلة فاكهة ، والظاهر أنه كانت توجد أمام « باحرى » وزوجه مائدة قربان غير أنها عبث بها بعد على يد مختلسين ، ويشاهد ابنهما « أمنمس » الذى كان يرتدى جلد فهد واقفاً أمامهما يمثل دور الابن المحبوب لوالديه (كاهن) بعد موتهما » ، وذلك بتقديم القربان مما يبرهن على أننا أمام وليمة جنازية لا تشاهد إلا فى مثل هذه الأحوال ، وإن كانت تمثل ما يحدث فى عالم الدنيا حقيقة .

وأمام « باحرى » وزوجه مائدة جلس إليها رجل وزوجه ، وعلى المائدة مآكل وطائب من طعام وأكاليل وأزهار وزجاجات نبيذ ، ويمثلان هنا « أحمس بن أبانا » المشهور وزوجه « إيوتى » . وعلى مائدة أخرى يشاهد « الف ترى » وزوجه « كم » وهؤلاء هم أجداد « باحرى » ووالداه ، وخلف أولئك نرى أقارب « باحرى » وأصدقاءه جالسين على بساط يأكلون ويشربون الخمر ويشمون الأزهار .

ومن طريف ما يشاهد فى هذا المنظر أن سيدة تسمى « سات آمون » (بنت آمون) قد رفضت بعنف امتناعاً عن قبول قدح نبيذ قدم لها ، غير أن الساقية لم تأخذ هذه الإشارة علامة على الرفض وقالت : « لحضرتك ، اشربى حتى السكر واحتفلى ، وانصتى لما تقوله رفيقتك ، لا تضجرى من تناول (الخمر) » . ولكن إسة عمها المجاورة لها لم تبال بمثل هذه الترهات فتنادى الساقية : « قدمى لى ثمانية عشر قدحاً تأمل [1] إنى أحب أن أشرب حتى الثمل ، فإن جوفى جاف كالقش » . راجع Naville, Ibid (P. 25, Pl. VII) ومن الغريب أننا نشاهد الساقيات يلححن على الضيفان

في تناول الخمر فتقول إحداهن : «اشربي لا ترفضي ، إني لن أتركك» ، وتقول أخرى : «اشربي لا تعكري صفو الوليمة ودعي الكأس يأتي إلي ، تأملي ! فإنه دور الأمير أن يشرب الآن» .

والظاهر من ذلك أن صاحب الوليمة كان لا يجد نفسه سعيداً إلا إذا ثمل كل صحابه . هذا إلى أن هذه الوليمة لم تكن لتقتصر على احتساء بنت الحب بل كانت في نواحيها طائفة من المغنين والموسيقيين والراقصات .

ويمكن القول من صور أقارب «باحري» الماثلة على جدران قبره أنه قد دون أسماء ستة أجيال من أسرته ابتداء من جده والديه حتى أحفاده .

ولا نزاع في أن أمثال قبر هذا العظيم يعد تحفة لكل مؤرخ يريد أن يبحث في الحياة المصرية من أي ناحية أراد، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن أمثال هذا القبر المحفوظ قليل جداً (أنظر اللوحة رقم ٢١) .

رعي : يوجد قبر هذا العظيم في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ١٢٤)، وقد كان مزيناً بمناظر هامة ولكن لم يصلنا منه إلا بعض قطع في حالة سيئة «منها مشاهد فيها الكهنة يقومون بشعيرة دينية». وقد كان يحمل الألقاب التالية : مدير بيت الإله الطيب «تحتمس الأول» وكذلك لقب «مدير مخازن رب الأرضين» وكلا اللقبين من أهم ألقاب الدولة (راجع Gardiner and Weigall, "Catalogue", No. 124) .

سانب إحو : كان يحمل الألقاب التالية : عمدة طيبة والقريب من (الجلالة المدعوة) والأمير الوراثي والحاكم، والمشرف على كهنة «طيبة». وقد كانت زوجه كذلك من الشخصيات الهامة : إذ كانت مرضعة الملكة المستقبل «حتشبسوت»، فكانت تحمل لقب مرضعة الملكة «حتشبسوت»، وقد جاء ذكرها في مقبرة زوجها (راجع Urk. IV P. 517). ولا شك في أن المرضعات الملكيات كن ذوات نفوذ

عظم في البلاط ، والثيا عدد عظيم ممن ذكرن في نقوش الأسرة الثامنة عشرة ، ويلحظ أنهن كن أمهات لموظفين عظام في الدولة ، ولا غرابة في ذلك فمن المحتمل أن معظمهن كن ينحدرن من أسر كريمة ، فضلاً عن أنهن كن يحتللن بحكم مركزهن جواً من الحب بينهن وبين الأمراء والأميرات الذين ربوا في حجورهن . وسنرى ما كان لذلك من تأثير في وظائف الدولة وسير الأحوال فيها عند الكلام على النظام الحربي . وقد أقام « سات إحو » قبراً له هو وزوجه في « العرابة المدفونة » وجد له فيه تمثال جالس وهو الآن في مجموعة جامعة « بنسلفانيا (راجع Maciver and Mace, "El-Amrah and Abydos," Pls. XXXII-XXXIII) .

وقد عرف هذا اللقب في عهد الأسرة الخامسة والعشرين ، ومن بعده من أسماء عديدة ، غير أنه وجدت فيه لوحة لموظف يدعى « إن حرسن » يحمل لقب « المشرف » على مخازن « طيبة » من عهد « تحتمس الثالث » ، ويحتمل أنه أحد أعضاء الأسرة المالكة (Porter and Moss, "Bibliography," V, PP 67, 68.) .

سات رع : وهي مرضعة أخرى للملكة . « حتشبسوت » وكانت تسمى كذلك « إن » وتحمل لقب المرضعة التي ربت سيدة الأرضين مما يدل على أنها كانت تعمل في عهد حكم الملكة وليس لدينا عن هذه السيدة إلا نقوش على لوحة من الحجر الجيري الأبيض محفوظة الآن بمتحف « برلين » ، ولم تذكر عليها أسماء أفراد أسرتها (Urk, IV, P. 241.) .

مراعج : كانت هذه السيدة مربية أخرى من مربيات « حتشبسوت » وكانت تحمل لقب « المربية العظيمة » وكان زوجها « بويام » يشغل وظيفة الكاتب الملكي التي تعد من أكبر وظائف الدولة ، إذ كان شاغلها يعد كاتم أسرار الفرعون . وقد كان ابنها « بوئم رع » وهو أخو « حتشبسوت » من الرضاعة من أعظم رجال الدولة الذين كانت تعتمد عليهم « حتشبسوت » (كما سيأتي بعد) ، وقد رسم

في قبره (اللوحة رقم ٢٩) المرضعة الملكية وزوجها (Davies, "The Tomb of Puyemre", Pl. 28.) وليس من الغريب أن نجد أكثر من مرضعة واحدة لإرضاع طفل واحد، إذا علمنا أن الأطفال المصريين كانوا يرضعون إلى أن يبلغوا السن الثالثة من عمرهم (Maxims of the Scribe Ani. Erman," The Literature of the Ancient Egyptians," P. 239.) هذا فضلاً عن أن لقب مرضعة كان يحمله الرجال والنساء على السواء، كما شاهدنا في نقوش «أحمس جحتحت» وفي هذه الحالة كان اللقب بطبيعة الحال يعني (مربي)، ومن المحتمل أن بعض المرضعات من النساء كن يحملن ويصبحن مربيات الأطفال الملكيين بعد فطامهم، وهذا ما يوحي به لقب «منات رع».

أحمس (حومعي): عاش في عهد هذا الفرعون وكان يحمل الألقاب التالية «مدير بيت زوج الإله» ومدير مخازن غلال زوج الإله «أحمس نفرتاري» (راجع L. D. Text. III. P. 286.) ومقبر هذا العظيم في «جبانة شيخ عبد القرنة» (رقم ٢٢٤)، وليس فيه من المناظر إلا منظر وليمة عادي مثل فيه بعض أقاربه (راجع Gardiner and Weigall, "Catalogue," No. 224.).

امنحتب بن سني محوتي: كان هذا الموظف يحمل لقب «كاهن مطهر»، كما كان يحمل اللقب المبهم «بكر أولاد الفرعون تحتمس الأول». وهذا مثل آخر لعدم دلالة هذا اللقب على معناه الأصلي، وذلك لأننا نعلم من قبره في «جبانة شيخ عبد القرنة» أن والده يدعى «سني محوتي». (راجع Urk. IV, PP. 105–106.) ومن بين المناظر الهامة في قبره منظر مثل فيه هو وزوجه يتسلمان هدايا رأس السنة، ومنظر آخر وهو يقدم قربانا لوالديه؛ ونعلم من نقوش قبره أن أخاه «تحوتي حتب» كان يحمل الألقاب التالية: — الأمير الوراثي والحاكم، ورجل الملك العظيم، والرجل الممتاز في خزانة ملك الوجه البحري، ووالد الإله الرابع للإله «آمون» (لقب كاهن) (راجع Porter and Moss, "Bibliography" Vol. I. P. 184. وكذلك الكاهن الرابع للإله آمون.

تحت : كان « عنـ » أيضاً يحمل لقب كاهن مطهر ، وقد عثر له على تمثال في معبد « رعمسيس » الثاني في الكرنك ، ومن ألقابه أيضاً « مطهر الإله حنسو » ورئيس طائفة الكهنة الأولى وكذلك رئيس الطائفة الثالثة (راجع .Legrain, "Repertoire." No. 76) .

بوى : لم يعثر لهذا الموظف إلا على لوحة محفوظة الآن بمتحف مدينة « درسدن » بألمانيا (راجع .A. Z. XIX. P. 66ff) ويلقب الباني العظيم للفرعون « تحتمس الأول » ، وهذا يذكرنا بالنشاط العظيم الذي قام به ملوك هذه الأسرة في هذا المضمار ، وقد كان ابنه يحمل نفس اللقب في عهد « تحتمس الثالث » .

وسر : يعد « وسر » من مناظر قبره الذي حفر في « جبانة شيخ عبد القرنة » شخصية غريبة ، إذ تدل ملابسه المزركشة وأناقته على نوع من الغطرسة والخيلاء ، إذ نراه مرتدياً حلة ذات أهداب بألوان مختلفة ، وممسكاً بيده منديلاً أحكم لفه في يده اليمنى ، ونرى في يده اليسرى طاقة أزهار قد افتن في تنسيقها ، يشم رائحتها بنوع من الرخاوة (.J. E. A., X. Pl. IX, P. 41) ، ويجب ألا نعدم مثل هذا المنظر الذي يدل على الترف والإسراف في التأنق الذي يظهر به أولئك الأفراد المحسوبون في أوائل الأسرة الثامنة عشرة فإن هؤلاء الناشئين وأولادهم هم الذين ساعدوا على بناء مستقبل مصر العظيم الذي جعلها على رأس ممالك العالم ، إذ لم يكن الفساد بمعناه الحقيقي قد دب في نفوسهم ، وعندما بدأت الامبراطورية تسقط لم يكن اللوم واقعاً على أولئك المترفين في « طيبة » أو على الصفوة اللائي كن يعاقرن بنت الحان بل كان يرجع إلى أسباب أخرى .

وكان « وسر » هذا يلقب بالكاتب ومدير بيت الفرعون « تحتمس الأول » . وقد تمرى رقاعيه ورقته في الكيس إلى الوظيفة التي كان يشغلها . ومن المناظر الهامة في قبره منظر صيد ، وقد استعمل فيه العربة ، وهو من المناظر الأولى التي استعملت فيها العربة للصيد في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وهذا دليل آخر على

أنه من علية القوم ، إذ كانت المقبرة وقفا على الأغنياء والمياسير في هذه الفترة (Davies, "Five Theban Tombs", Pl. XXII. P. 23.) .

وسرحات : ولدينا مدير بيت آخر من عهد هذا الفرعون يدعى «وسرحات» وقد جاء ذكره على لوحة أخيه في « ورين »
(Rec. Trav. Vol. IV. P. 125.) .

باك : ولدينا مخروط نقش عليه اسم موظف يدعى « باك » ويحمل لقب مدير البيت العظيم (Mission Archeologique Française, Vol. VIII. P. 15.) .

سبك حتب : أما قبر « تحتمس الأول » فكان له حارس يسمى « سبك حتب » كما كان يحمل لقب « حارس قاعة الإدارة » (راجع Schiaparelli, "Catalogue" No. 1566.) .

بن أن رع : كان مراقب الماشية (راجع Mission Archeologique Française, Vol. VIII. P. 64.) .

عاخبركا : كما كان « عاخبركا » مدير المهمات (Ibid. P. 209, 171) .

منخ : وكان للملكة كذلك مدير بيت يدعى «منخ» ، وقد أهدى محرابا نحت في الصخر غرب السلسلة وقد مثل فيه مع زوجه ، وهو ابن « إتي » الذي تكلمنا عنه فيما سبق (راجع Weigall, "Guide to the Antiquities of Upper Egypt," P. 368.) .

تحوتي بن قارى : كان هذا الموظف يلقب مدير البساتين وله قبر في «الكوم الأحمر» (هيرا كنبوليس) (Porter & Moss, "Bibliography", V. P. 197.) وفيه لوحة سرد فيها تاريخ حياته على الصورة المألوفة من مدائح وصفات عظيمة (راجع Urk. IV. PP. 130. ff.) .

حياته فيها : « مدير الضياع الذى له سمعة الإله عند طوائفه ، وهو مرشد المرءوس ، والذى يسهر على الأعمال ، ذكى الفؤاد فى عمل كل شيء عظيم ، ثابت الجنان بين العظماء ، ومن يدعى اسمه الصانع (الماهر) ، وليس فيه ما يعيبه عند سيده ، لا يخرج الإثم من فمه ، صادق [illegible] بين الأشراف .

ترجمة حياته : « لقد فعلت ما يحبه الناس ، وما تمدحه الآلهة ، ليجعلوا على يدى مال الأبدية ، ومكثت أمشى فى نعم الناس بعد سنين تمر عدد ما يرى (القوم) الآثار التى أنتجها فقد سويت لنفسى بها الترعة وحرثت الجبانة ، ولقد عمل الناس فيه على حسب ما يحبون ، ولم يكن هناك إنسان [illegible] من العمل ، وكنت أخرج من بيوتى إلى ضيعتى ، وإلى حقولى التى كنت أدبرها بنفسى ، وكنت أحرث بثيرانى الصغيرة السن فى حقولى التى اكتسبتها بنفسى حتى قربان الجبانة ، وإنه إلهى الذى أعطانيها ، ولقد أحرزت ما يجده (روحى) ولقد أرشدنى إلى [illegible] ، وكنت فى حضرة رب الأرضين ، وهو الذى جعلنى فى قلب الناس حتى أصبحت محبوبا عند الإله ، ولقد حصل ذلك لأنى كنت ذا أخلاق ممتازة ، ولم ينسب لى عمل سوء منذ القوم ، إذ لم أغتصب من أحد ماله » .

هـذه لمحة من حياة « تحوتى بن قارى » كتبها عن نفسه ، على الرغم مما فيها من جمل نجدها مكررة فى حياة غيره من عظماء هذا العصر ، إلا أننا نلحظ فيها بعض جمل تدل على ما كانت تنطوى عليه روح هـذا العامل العظيم ، صاحب الشعور المرهف ، إذ يحدثنا أنه قـد كسب كل شيء يملكه بكده واجتهاده ، وأنه قد بنى قبره دون أن يرهق العمال فى إقامته ، بل كانوا يعملون على حسب ما يحبون ، فلم يكن هناك سبيل لقسوة ، إذ لم يتذمر أحد من العمل ، هذا فضلا عن أنه كان شفيقا على الحيوان فلم يغتصب لحرث أرضه إلا الثيران الصغيرة السن القوية البنية ، وكانت تعمل فى حقوله التى اكتسبها بنفسه حتى قبره ، كل ذلك يظهر لنا روح ما كانت عليه حالة البلاد فى ذلك الوقت . ونجـد اسمه كذلك مذكورا فى بردية جنازية محفوظة الآن فى متحف « اللوفر » ، ومنها نعرف أن والده كان يسمى « قارى » وأمه تدعى « قى » (راجع Urk. IV., P. 135.) .

الفرعون تحتمس الثاني

كيف تولى الملك : ذكرنا أن «تحتمس الأول» لم ينجب من زوجه الشرعية «أحمس حنت تمحو» ولداً لعرش الملك، وأن أولاده الذكور الذين كان يرغب في أن يتولى واحد منهم من بعده الملك قد ماتوا في حياته، ولم يبق له من خلفه الذكور إلا ابن واحد من زوجة غير شرعية تدعى «موت نفرت»، وفي الوقت نفسه كان له ابنة واحدة من أحمس زوجه الشرعية «أحمس حنت تمحو» وهي «حتشبسوت». والظاهر أن «تحتمس» الأول كان يرغب في أن يجعلها خليفته



(٢٢) مومية الملك تحتمس الثاني

على عرش الملك ، كما تدعي هي ذلك في النقوش التي خلفتها لنا مما سيأتي ذكره ، ولكن يظهر أن الأمور سارت على غير رغبته ، وتولى العرش « تحتمس » الثاني اسماً بعد أن تزوج من أخته « حتشبسوت » ، وبذلك أصبح توليه الملك في نظر الشعب شرعياً لاغبار عليه . وتدل كل الأحوال على أن هـذا الزواج كان زواجاً رسمياً ليظهر أمام الشعب المصري أن على أريكة الملك فرعوناً ، ولكن الواقع كانت « حتشبسوت » هي المسيطرة على البلاد لأنها كانت الوارثة الحقيقية للعرش ، هذا فضلاً عن أن « تحتمس » الثاني لم يخلق ليكون فرعوناً .

وصف تحتمس الثاني : حقـاً إنه كان شاباً أنيقاً طويل القـامة ، عريض المنكبين ، غير أنه مع ذلك لم يكن قوي البنية[1] . ويدل شكل رأسـه الكبير على أنه كان أكثر ذكاء من والده المحـارب العظيم . ولقد كانت ملامحه تتفق مع ملامح أفراد أسرته ، فشاهد فيها أسنان الفك الأعلى البارزة ، والأذن العالية بعض الشيء ، ويلحظ أنه وقت وفاته كان أصلع الرأس ، وأن الشعر الذي كان باقياً على رأسـه كان شعراً مستعاراً جعداً تجعيداً مصطنعاً ليظهر طبيعياً ، وقد دل تجميل أظافر قدميه على أنه كان يعنى بهـا اعتناء بالغاً . ولا نزاع في أن كل مظاهره كانت تدل على انغماسه في الترف والتأنق ، كما تنم على ذلك تقاسيم التي تنم عن شيء من الأنوثة ، وإن شئت فقـل التخنث . والحقيقـة أنه كان على النقيض من أخته وزوجه « حتشبسوت » التي كانت تدعي الرجولة في معظم مظاهرها ، وإذا كان النفور مستحكماً بينهما طوال مدة حكمه .

أول وثيقة تدل على توليه حكم البلاد : وأول وثيقة لدينا تدل على أنه تولى الحكم مباشرة بعد والده « تحتمس » الأول ما تركه لنا « إني » في تاريخ حياته عن هـذا الفرعون إذ يقول عند موت « تحتمس الأول » . (راجع Urkunden IV, P. 58.) .

---

(١) راجع : Elliot Smith, "The Royal Mummies," P. 28–31.

« وقد أوى الفرعون من الحياة ، وصعد إلى السماء بعد أن أتم سنيه في سعادة ، ثم ظهر الصقر الذي في العش على العرش ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري « عا خبر ن رع » (تحتمس الثاني) ، وبذلك أصبح ملكاً على الأرض السوداء (مصر) ومسيطراً على الأرض الحمراء (الصحراء) واستولى على الأرضين مظفراً ، وكنت أثير الحظوة عنده في كل ما كان ، وما أعظم ما عمله لي من محبة ؟ فقد عهد إليه ، ووصلت إلى سن الشيخوخة الموقرة ، وكنت في حظوة جلالته كل يوم ، فأجلس على مائدة الملك ، وآكل من خبز إفطار الفرعون ، وأشرب من جعته ، وكذلك كنت أتمتع باللحم السمين والخضر وأنواع الفاكهة المختلفة ، والشهد والفطير ، والنبيذ وزيت الزيتون ، وكان الكل يسألون عن أحوالي وأحبتي في الصحة والحياة ، لأن الملك نفسه كان فيه لي يسأل عن أحوالي وصحتي إلى النهاية ، وانضم إلى الآلهة » .

فمن هذه الفقرة من تاريخ حياة « إنني » نعلم علم اليقين أن « تحتمس الثاني » هو الذي تولى العرش مباشرة بعد وفاة والده « تحتمس » الأول ، أما ما يقال من أن « حتشبسوت » أو « تحتمس » الثالث هو الذي تولى الحكم بعد « تحتمس الأول » ، فقول لا يرتكز إلا على أسباب ظاهرية ، قد خلقها التطاحن على عرش الملك في عهد التحامسة[1] .

منزلة « إنني » عند تحتمس الثاني : ومع هذا التحقيق التاريخي الذي تركه لنا « إنني » في هذه المسألة العويصة قص علينا كذلك حياته مع هذا الفرعون ومكانته في القصر الملكي ، ووصف لنا كذلك صورة من ألوان الطعام الذي كان ينفرد به الفرعون والذي كان « لإنني » شرف مشاركة سيده في تناوله معه حتى في الإفطار ، فكان يأكل فطير شمت ، ولا بد أنه هو نفس الفطير الذي يأكله ملية القوم وقت الإفطار مع الشهد حتى الآن ، كما كان يأكل اللحم السمين والخضر ، وأنواع الفاكهة والخمور وزيت الزيتون ، وكل هذه الألوان تعد حتى الآن أحسن المأكولات وأشهاها وأغلاها قيمة ، وسنعود إلى « إنني » كرة أخرى عند ما يحدثنا عن عهد « تحتمس الثالث » .

(١) راجع : Sethe "Das Hatshepsut Problem noch Einmal" Untersucht.

محاربة تحتمس الثانى بلاد السودان : وقد كانت فاتحة أعمال هـذا الفرعون إخماد العصيان الذى قام به بعض القبائل السودانية على مقربة من الشلال الثالث ، وقد حفظت لنا نقوش هذه الحملة على الصخور الواقعة على الطريق بين أسوان والشلال الأول ، وهاك ما جاء فيها حرفيا .

فى السنة الأولى الشهر الأول من فصل الفيضان ، اليوم الثامن ، وذلك عندما ظهر جلالته «حور» الثور المظفر ، الشديد القوى ، صاحب التاجين والمصل — صاحب الملكة الإلهية «حور الذهبى» — صاحب الصور القوية ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى — «عا خبر ن رع» ، ابن الشمس — تحتمس الجميل الملكة على عرش حور الأحياء ، لأن والده «رع» حاميه ، وآمون رب عروش الأرضين يعيران أعداءه .

وصف قوة الملك : كان جلالته فى قصره ، وكان صاحب شهرة عظيمة ، وخوفه يعم الأرض وهيبته فى أقاليم «حاو» «ايميسة» (هاو نبوت) وكان قطرا الأرضين (أى مملكة حور ومملكة ست) تحت سلطانه ، وأقوام الأقواس التسعة تحت قدميه جميعا ، وإليه تأتى سكان سينا «مقيور» حاملين الجزية ، ومن بلاد النوبة (اتو بوت) مسلاطم (التى بها أقدامهم) وحدوده الجنوبية قد وصلت حتى قرن الأرض ، وحدوده الشمالية حتى آخر العالم ، وآسيا أصبحت من رعايا جلالته ، فلا يقدم رسوله أى صد القسر

إعلان قيام ثورة فى بلاد النوبة : وجاء من يخبر جلالته أن بلاد «كوش» الخاسئة فى طريقها إلى الثورة ، وأن الذين كانوا رعايا رب الأرضين يفكرون فى إعلان العداء ، وقد كان الغرض من ذلك أن يسرقوا المصريين ، ويغتصبوا الاستيلاء على قطعان الماشية التى كانت خلف الحصون التى أقامها والدك فى حملته الظافرة ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «تحتمس» الأول عاش مخلدا ، ليصد البلاد الأجنبية الثائرة ، وهم قوم النوبة أهل «خنت حن نفر» ، ومن أجل شمال بلاد كوش الخاسئة ، وقد ثارت الأسرى الخاسئة ، ومعهم اثنان من أهل بلاد النوبة من أبناء أمير «كوش» الخاسئة ، وهما القادمان فرا أمام رب الأرضين فى اليوم الذى قام فيه الإله الطيب (الملك تحتمس الأول) مدينته ، وكان من عواقبها أن قسمت هذه البلاد خمسة أجزاء ، وكان لكل أمير يحكم جزءا ، وعندما سمع جلالته هذا الخبر هاج كما يهيج الفهد وقال جلالته : إنى ما دمت حيا ، وما دام «رع» يحبنى ، وما دام والدى رب الآلهة ، وسيد تيجان الأرضين يحابينى إنى لن أدع واحدا من رجالهم يعيش ، ومن أجل الموت بكل جهم .

الثورة تخمد وتعود المياه إلى مجاريها :

وأرسل جلالته جيشاً مزمجراً إلى بلاد الثورة لقسره الأول ليشن حرباً لإخضاع كل من أعلن الثورة على جلالته ، والذين عصوا سيد الأرضين . وقد وصل جيش جلالته إلى « بلاد كوش » الخاسئة ، وقد كانت شهرة جلالته هي القائدة أمامهم ، والرعب منه جعل طريقهم حراً ، وعلى ذلك هزم جيش جلالته أولئك الأجانب ، دون أن يخلف واحد من رجالهم حياً وذلك حسب أمر جلالته ، عدا واحد من أولاد « كوش » الخاسئة سيق حياً أسيراً ، ومعه أهله إلى حيث كان جلالته ، ووضعوا تحت قدمي الإله الطيب ، ثم ظهر جلالته على العرش المدرج ، عندما جيء بالأسرى الذين جلبهم جيش جلالته ، ومن ثم أصبحت هذه الأرض تابعة لجلالته كما كانت من قبل ، وعمت البهجة المصريين ، وفرح رجال الجيش ، وابتهلوا لجلالته رب الأرضين ، وعظموا هذا الإله الفاخر بما تستحقه ألوهيته ، والسبب في ذلك هو جلالته من الشمس ، وذلك لأن جلالته آمون يحبه أكثر مما أحب أي ملك آخر منذ أن وجدت هذه الأرض — ملك الوجه القبلي والوجه البحري « تحتمس الثاني » الذي وهب الحياة والثبات والسعادة مثل رع أبدياً » .

أهمية هذه النقوش : وهذه النقوش في الواقع تكشف لنا عن حقائق هامة ؛ أولاً يظهر أن أهل بلاد « كوش » كانوا يعلمون بأنه كان يوجد خلاف على تولية العرش ، وأنهم قد انتهزوا هذه الفرصة وأعلنوا العصيان ، وقد ظن الأستاذ « زيته » أن « حتشبسوت » التي حلها هـذا الملك من العرش ، هي التي أرسلت الجنود الأسرى لمساعدة الثورة على الملك « تحتمس » الثاني[1] وذلك حسب ما يقول المثل : وأرسل الأسرى للمساعدة » . ورأى « زيته » أن هـذا يؤيد الفكرة القائلة : إن « حتشبسوت » تولت الملك أولاً ثم خلعت منه كما سيجيء تفصيل ذلك .

ثانياً : نعلم أن الفرعون والده « تحتمس الأول » كان قـد أقام حصناً عند الشلال الثالث ، وأن البلاد على ما يظهر كانت قد قسمت خمسة أقسام تحت إدارة خمسة من أولاد الأمراء ، هرب منهم اثنان وأصبح مكانهما خالياً . ولا يبعد أن هذا التقسيم قد حدث في عهد « تحتمس » الأول . وتدل شواهد الأحوال

---

(١) راجع Urkunden IV, P. 139, and translation, P. 68.

على أن الملك لم يرافق هذه الحملة ، بل يحتمل أن الفرعون قد قابل الحملة في عودتها عند الشلال الأول ، والظاهر أنها قد قطعت المسافة ذهابا وإيابا في مدة خمسة أسابيع ، وبخاصة أن الفيضان قد جعل المرور في الشلال أمرا يسيرا ، ولا يبعد أنه قد جمع حاشيته في « أسوان » ، حيث قابل هناك رجال جيشه يسوقون إليه الأسرى . ومما يذكرنا بهذه المناسبة أن الملك «منرع» أحد ملوك الأسرة السادسة قد عقد مجلسا لحاشيته في صحراء أسوان منذ ألف سنة مضت ، وربما كان ذلك الحادث سنة اتبعها الفراعنة من بعده. ومما يلاحظ في نقوش هذه اللوحة أيضا أن الفرعون أعلن في بداية كلامه أنه كان صاحب شهرة عظيمة ، وخوفه منتشر في الأرض ، وحبه في أقاليم « حور » « ايهه » الخ مما يدل على أنه كان يريد أن يسير على نهج والده الذي سلمه إرث ذلك الملك الواسع ، ولكنه على ما يظهر كان ضعيف الأخلاق سهل القياد ، مما جعل زوجه « حتشبسوت » تجعله طوع بنانها ، إذ لم يمض طويل زمن حتى جعلته يأتمر بأمرها ، وأصبحت هي صاحبة الحل والعقد في البـــلاد .

النقوش الأخرى التي تشير إلى حروبه في السودان وسوريا :

وقد عثر على اسم هذا الفرعون على قطع من الحجر في جبل بركال عند الشلال الرابع مما يشعر بأن فتوح مصر قد امتدت إلى هذه النقطة في عهده.[1] وكذلك وجد « نافيل » نقوشا مهشمة جدا من عهد هذا الفرعون في الدير البحري يظهر أنها تنسب إلى حملة قام بها « تحتمس » الثاني إلى سوريا غير أنها مهشمة جدا ، وغير مرتبط بعضها ببعض ، مما جعلنا نعرض عن إثباتها هنا.[2] ويذكر لنا « أحمس بن نخبت » حربا للشمال قام بها هذا الفرعون على البدو (شاســو) الذين يعيشون على حدود

---

(١) راجع : Wilkinson, "Thebes", P. 472.

(٢) راجع : (Naville, "Deir el-Bahari", Vol. III, P. 80).

السورية بيلــول . وتبعت للملك « تاحيوترع » (تحتمس الثانى) وأسرت فى أرض « الشاسو » عددا عظيما من الأسرى الأحياء لم أحصهم[1] .

وفى واحة الفرافرة التى تقع على بعد ٢٠٠ ميل غربى أسيوط يوجد نقش ذكر فيه اسم « تحتمس الثانى » يشعر بأن هذا الفرعون قد أخضع القبائل اللوبية التى تسكن فى هذه الواحة ، والواحات الأخرى الواقعة فى الصحراء الغربية .

والظاهر مما وصلنا حتى الآن من الآثار أن « تحتمس » الثانى لم يقم بأية حروب أخرى غير التى أشرنا اليها .

مبانى تحتمس الثانى

وقد قام بأعمال التعمير والمبانى التى تركها والده من غير أن يتمها فى معبد « الكرنك » ، بل يحتمل أنه نحت تماثيل لنفسه وأقامها هنــاك . ومن المدهش أنه لم ينحت اسمه على المسلة الثانية التى تركها والده خالية من النقش بعد أن أحضرها الى « الكرنك » وقد يعزى ذلك لثلاثة أسباب : منها أن هذه المسلة ربما لم تنصب عدة سنين ، وذلك لأن المبانى الأخرى التى كانت قائمة على قدم وساق فى هذا المعبد قد حتمت تأخير نصبها فى مكانها مؤقتا ، وبخاصة أن ذلك كان يحتاج الى مجهود جبار .

ثانيا : أن العداء الذى كان بين الملك وبين « حتشبسوت » قد يكون حائلا فى اتمامها لنفسه وبخاصة أن الملكة كانت متفانية فى حب والدها ، وآثاره كما سنرى بعد .

وثالثا يحتمل أن المسلة كانت تعد فى نظر الملوك أثرا يقام بمناسبة العيد الثلاثينى ، وأن « تحتمس الثانى » لم يحتفل لنفسه بأى عيد من هذا النوع لأنه لم يكن قد أتم مدة الثلاثين سنة اللازمة للاحتفال بهذا العيد ، لأنه لم يحكم أكثر من

---

(١) راجع : Urkunden IV P 43.

عشرين سنة ، ولم يشترك معه ولى عهده من قبل الملك قبل توليته العرش ، وكذلك وأنه لم يغتصب مسلات لنفسه ، ولم ينحت المسلة الثانية التي أحضرها والده من « أسوان » بل نحتها « تحتمس الثالث » ، وأقامها لنفسه في عيد الثلاثين . وهذا ما يظن أنه قد حدث (١) .

وقد بدأ « تحتمس » الثانى إقامة (البوابة) الخامسة ، وكتب جزءا من نقوش المدخل ، وكذلك نحت لنفسه تماثيل نصبا أمام هذه البوابة ، هذا بالإضافة إلى أن عددا من حجرات هذا المعبد قد تم نقشها في عهده (٢) .

وفى مدينة « هابو » تدل النقوش على أن هذا الفرعون قد أضاف بعض المبانى للمعبد الذى أقامه فى الأصل « تحتمس » الأول ، واغتصبه لنفسه فيما بعد « تحتمس » الأول ، وفى معبد « الأمير » « وازمس » فى طيبة عثر على قطع من تماثيل كتب عليه السنة الثامنة عشرة من حكم تحتمس الثانى (A. S., I. P. 99.) وهذا التاريخ غاية فى الأهمية لأنه يوضح لنا على أن ما قاله « مانيتون » من أن هذا الملك حكم عشرين عاما يقرب من الحقيقة .

والظاهر أنه أقام بعض المبانى فى « إلفنتين » إذ وجد عمودان هناك نقش عليهما اسمه ، واحد منهما عليه اللقب ، واسم الإله المحبوب من الآلهة « ساتت » (٣) . أما الثانى فقد اغتصبه لنفسه « رعمسيس » الثانى ، وهو جزء من مسلة ، وقد ذكر عليه الإلهين « خنت » ، و « منتو » (٤) . ومن المحتمل أن هذين العمودين قد نقلا من معبد « طود » المقابلة « لإسنا » على الضفة الثانية للنيل ، وذلك لأن اسميهما ذكر على كل منهما .

---

(١) راجع : Weigall, "History," II. P. 286.

(٢) راجع : Petrie, "History," II. P. 78.

(٣) راجع : Pierret, "Rec. d'Inscription," P. 3.

(٤) راجع : Ibid. II. P. 43.

آثار في معبد قمة : وقد ترك لنا على معبد قلعة « قمة » نقوشاً على بابه قام بتدوينها حاكم السودان (سي) الملقب بابن الملك . والظاهر أنه وضع اسمه بدلاً من اسم والده : وهاك النص :

على المصراع الأيسر - حوريا شطف الملك محبة الآلهة المتوجة ، والشريف على عازف مثل « آمون » ابن الملك ، ومدير البلاد الجنوبية « سي » والذي يسيطر على كل بلاد السادرى لأنه كان رجلاً ممتازاً في قلب جلالة ملك الأرضين له الحياة والسعادة والصحة

على المصراع الأيمن : العبد الإله « خنوم » ، وتقبيل الأرض أمام ...... ضرب حتى عنان السماء ، وحتى مرمى الأرض ، وحتى قرار البحر ، على يدي ابن الملك ، المشرف على البلاد الجنوبية « سي » يقول : المجد لك مثلما يقول لك آلهة الأفق ، ويتضرع لك حاكم النجوم ، ويرفع من شأنك تاسوع الشمس العظيم (المجموعة التي هو الحظ في صورة جزء) كل يوم أبد الآبدين ، (راجع .Urkunden IV, P. 141 ff) .

وفي « سمنه » نجد اسم « تحتمس » الثاني مع والده في نقش مدون فيه قائمة عطايا للإله « آمون » على الحائط الأمامي للمعبد (راجع .L. D. III. Pl. 47c) .

ويوجد له لوحة يحتمل أنها من معبد « عليو بوليس » نقش عليها ألقابه ((Urkunden IV, P. 144.)) . ويوجد عدة آثار أخرى مختلفة ذكر عليها اسمه ، منها لوحة لشخص يدعى « باخى » يقدم قرباناً لهذا الملك وهي محفوظة في متحف تورين[1] ، كما نجد اسمه في النقش الذي تركه « بنماي » مدير الأشغال على صخور شط الرجال (راجع .Petrie, "Season", P. 476) . وقد نحت « تحتمس » الثاني تمثالاً لوالده « تحتمس » الأول وهو محفوظ الآن بمتحف « تورين » وقد جاء عليه : « الإله الطيب رب الأرضين « عاخبر كارع » محبوب « آمون » معطي الحياة مخلداً ، صنعه (التمثال) بمثابة أثر لوالده « تحتمس » المشرق مثل الشمس المرحوم »[2] وكذلك أهدى لوالده تمثالاً كشف عنه في معبد الأمير « وازمس » أحد أولاد تحتمس الأول .

---

(١) راجع Lanzone, "Catalogo Generale dei Musei di Antichità Regio Museo di Torino", 1458.

(٢) راجع : Urkunden IV, P. 143.

وقد نقش عليه ما يأتى : « الإله الطيب رب الأرضين « منخبررع » معطى الحياة أزلا وأبدا ، الزوجة الملكية ، ووالدة الملك الزوجية « موت مورت » . هـذا وقد أقيم فى عهده معبـد فى « بوهن » (وادى حلفة) ؛ وقد ظهر هذا الملك على جدرانه هو و « حتشبسوت » فى مرتبـة واحدة من الأهمية[1] . وفى عهد هذا الفرعون بدأ يظهر فى أفق الحكومة المصرية « سب آمون » الذى كان يلقب الأمير ، والحاكم الخبط الذى لا يعرف الملل ، مدير قاعة الفرعون (أى إدارة الموظفين) المرحوم « نب آمون » . وقد كان له مكانة عظيمة فى عهد تحتمس الثالث .

تحسن الأحوال بين تحتمس الثانى وحتشبسوت فى أواخر أيامه :

والظاهر أن الجفاء الذى كان بين « حتشبسوت » ، وتحتمس الثانى أخذت تقل حدته وحل محله بعض الود والمهادنة ، وبخاصة فى أواخر أيام هذا الفرعون الذى كان يمتاز بضعف البنية ، وخور الإرادة ؛ ولا نعلم سببا لهذا الجفاء إلا ادعاء « حتشبسوت » أنها هى الوارثة الشرعية للملك ، وأن أخاها دخيل على العرش . والظاهر أن سبب هذا الود والصفاء الذى ظهرت بوادره بينهما أن « حتشبسوت » لم تكن قد أنجبت منه ولدا ليكون وارثا لعرش البلاد ، ولم تكن رزقت من « تحتمس » الثانى إلا ابنـة واحدة وهى الأميرة « نفرورع » التى وضعتها فى أول عهد هـذا الفرعون ، ولذلك أحيطت أواصر الزوجيـة بينه وبينها رجاء أن تنجب ولدا يتولى عرش مصر ، ولكن الأقـدار جاءت على عكس ما أرادت ووضعت أنثى ثانيا « مريت رع حتشبسوت » . ومن الغريب أن الآثار لم تحدثنا عنها قط فى أول الأمر ، وبذلك ضاعت آخر فرصة على « حتشبسوت » الطموحة فى إبقاء الحكم فى يد ابن لها .

تحتمس الثالث والعقبة فى تولية الملك :

وكان الملك « تحتمس » الثانى بلا شك قد أنجب أولادا آخرين من زوجات أخريات ، ولكن من بين هـؤلاء كان له ولد يدعى باسمه وكان قاصرا وهو الذى

---

(١) راجع : Maciver & Woolley, "Buhen", P. 11.

تسمى «ما عدا تحتمس الثالث» ، وهو من إحدى زوجات الفرعون الثانوية ولم يكن الدم الملكي يجري في عروقها ، وكانت تسمى «إزيس» وتدل ظواهر الأحوال ، وما وصل إلينا من النقوش التي ترجع إلى عهد «تحتمس الثالث» أن والده قد نصبه ملكا على البلاد على الرغم من صغر سنه ، على أن يتزوج من أخته «نفرو رع» ، عند ما يبلغ الحلم ، ومن ثم حانت الفرصة «لحتشبسوت» أن تضرب ضربتها السياسية الهائلة التي كانت نتيجتها أن تولت حكم البلاد بوصفها وصية على «تحتمس» الثالث ، وابنتها «نفرو رع» وبعد ذلك نفذت ما كانت تصبو إليه نفسها فأعلنت نفسها ملكة شرعية على البلاد .

الموظفون فى عهد تحتمس الثانى والحياة الاجتماعية

نب آمون : كان «نب آمون بن «تي رس» من أشهر الموظفين الذين عاشوا في النصف الأول من عهد الأسرة الثامنة عشرة : إذ قد بدأ حياته الحكومية في عهد «تحتمس الثاني» واستطاع أن يمر بالعاصفة التي هبت بين «حتشبسوت» و «تحتمس الثالث» وبقي يعمل في خدمة الأخير . وقد كان في أول الأمر يلقب الأمير الوراثي والحاكم والمدير اليقظ الذي لا يكل ، ومدير ديوان الفرعون ، وذلك في عهد «تحتمس» الثاني .

أما في عهد «تحتمس» الثالث فكان يحمل الألقاب التالية «الأمير الوراثي والحاكم ومدير بيت الزوجة الملكية «تيو» المرحومة . وكذلك نجده يلقب «المدير اليقظ الذي لا عيب فيه ، ومدير السفينة الملكية (وفي رواية أخرى السفن الملكية) ومدير المطابخ ، وأخيرا الملحوظ عند رب الأرضين ، الممدوح من الإله الطيب (أي الملك) . وقبره في جبانة «ذراع أبو النجا» ، وقد ترك لنا فيه لوحة ذكر فيها صيغة القربان الذي يطلب أن تقرأ له ، ثم تكلم عن مصيره بعد الموت وتاريخ حياته الحكومية ، وأخيرا قدم رجاء القارئ في هذه اللوحة ، وسنورد ترجمتها لأهميتها وهي :

«قربان يقدمه الملك لـ «آمون رع» الذي خلق كل كائن ، ملك الأرباب والملك الحاكم لـ «تاسوع الآلهة» ، وللإله «أنوبيس خنتي أمنتي» (أول أهل الغرب) ، وللإله «أوزيريس» «رب بوصير» ، وللآلهة الأرباب الأول الذين يرعوا السماء والأرض والأرض الثانية (المقبلة) أرباب الطيبات والمأكولات ، والمشروبات والقربان ...... لأجل أن تنشق رائحة القربان ساطعة بكل شيء طيب وطاهر مما ينزل من السماء وينبته النيل على ظهور المقبول من تراب وينابيع ...... » [1]

حديث عن مصير المتوفى بعد الموت . «إنه يتسلم مكانه في التابوت ، ويدفن في الأرض في القبر المصنوع له في الغرب ، ويكون حبيبا له على الأرض دائما عنها ، الأمير الوراثي والحاكم الممدوح من قرينه «رب آمون» المرحوم الذي أحبه «تي رس» المرحوم ، والذي رضيت سيدة البيت «إيو» المرحومة ، ولأجل أن يصبح روحا حيا ، ليت الخبز والماء والهواء تصل إليه ، ويحول إلى صورة حية أو حمامة .... إنك تسطع خيرا ما تخرج أمام «أوزير» وقربان رب الأرض العالية لأهل حضرة مدير بيت الزوجة الملكية «تي» ...... وتذهب إلى الشمس وتتصل مع أتباع «سوكر» وتطلع وتنزل ، ولا أحد يمنعك ، ولا أحد يصدك عند باب العالم السفلي ...... والمزالج تفرج لك من نفسها ، وتأتي لتصل إلى قاعة العدالتين ، والإله الذي فيها يرحب بك ويجعلك تنزل في داخل العالم السفلي ...... وقلبك يبتهج بحركة أقدامك ، ويقول الكاتب (إرو) رحابا لك ترجع ما خلقه ، وتأتي إليك المحصول بكثرة ، ويؤذن لك بالخروج نهارا والعودة ليلا إلى قبرك ، وتقدم لك حين «حسور» هناك (أي المصباح) إلى أن تضيء الشمس على جسمك ...... كما كانت حالتك على الأرض ، وترى «رع» في أفق السماء ، وتشاهد «آمون» ...... تخترق الأجنحة بسعة في حضرة الإله الذي فيك ، ولقد خلقت لك عيناك لتبصر بهما ، وأذناك لتسمع ما يقال ، وفمك لتتكلم ...... ، ورجلاك مسلب (أي لم تتعض في القبر) ، وهي وقلبك معهدة ، وأنت تجمع بكل أعضائك ، ويوضع لك الخبز والماء على المراة كل عيد ...... ومن يقدم لك قربانا بعد يوم الدفن مبجل المقبول والسالفة ، ويحتشي بالماء ويتمتع الحصيد والإرباء ، يبتر الله عندما يقدم له الماء ...... ويقول إنه ويترك حقيقة هذا القول (لأنه لم يتحول من مسجده) : إنه يروى قبحا وصبر قصير لعبة ويصبح اسمي حظا في نعم الناس ، وأطلع مع الشمس في وقت راحته ، وأمرك الموجود في المائدة ، وسأنبع إلى الذي في يقدم لك «سوكر» [2] (الطير البحري) إلى الأفق الغربي يصنع الناس إلى حالة وهي هذا الإله [3] عندما يتغير في أفقه» .

---

(١) راجع : Urk. IV. P. 145. ff.

(٢) كان لكل شخص على ما يبدو معبود يليه ويحترمه مثل المشايخ التي لها أضرحة في القرى والبلدان المصرية الآن مدى الملك .

(٣) ومن ذلك نعرف أن وضع طاقات الأزهار على القبور كانت عادة مصرية ترجع إلى آلاف السنين ، وقد وجدت الطاقات موضوعة بجانب قربان منذ عهد الدولة القديمة ، كما شاهد ذلك في مقبرة «...» كاهنا المعبود ،

و حمد حياة وسب آمون» : لقد مضى سيدى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «تحتمس الثانى»
المرحوم حضرات منسى «مدير إدارة الفرعون» وقد مضى سيدى ملك الوجه القبلى «تحتمس الثالث»
معطى الحياة مخلدا» إذ رضى أكثر مما كنت من قبل فضمنى على حب الزوجة الملكية «حتشبسوت» المرحومة
وقد مضى سيدى ملك الوجه القبلى والبحرى «تحتمس الثالث» معطى الحياة مخلدا» فقد عيننى «مدير كل
حقول الفرعون» ولم يحصل ما يشيننى ، ولا يوجد اسم مثلى ، ولم أقترف خطأ مع رجل ، ولقد وصلت
إلى (سن) التبجيل لأنى كنت عزيزا عند الفرعون» .

المتوفى يطلب إلى قارىء اللوحة أن يتلو صيغة القربان له :

«حضرا أنتم يا من فى الوجود، يا ما لله ليس له كتب، وأنتم أيها الأحياء يا من فى الوجود، وأنتم أيها العظماء ، وأيها الرجال الذين على الأرض ، وأنتم أيها الكهنة المطهرون، وأيها المرتلون، ورجال معبد الإله «الكرنك» وكل الكتاب الذين يمسكون ألواح كتابتهم ، والماهرون فى كلام الإله ، إن «رع» رب ... سيد ... «آمون» الذى كان فى الأرض منذ الأزل سيبقى أولادكم عندما تقولون : ليأت لهذه الفرعون من الخبز وألفا من الجعة ، وبآلاف من كل شيء طيب وطاهر يعيش منه الإله لروح مدير بيت روح الفرعون المسمى «نب آمون» المرحوم بالقرب من الإله العظيم حاكم الأبدية» .

مضمون هذه اللوحة :

ومن كل ما جاء على لوحة «نب آمون» نستطيع أن نكون فكرة واضحة من عقائد القوم فى هذه الفترة ، وما كان للإله «آمون» من مكانة ، واعتقاد القوم فى إمكان رجوعهم إلى عالم الدنيا بأجسامهم الأصلية ، ولذلك كان المتوفى يحمل كل ما فى قدرته ليجعل كل أجزاء جسمه سليمة حتى يمكنه أن يخرج من القبر فى خلال النهار ويعود إليه ليلا . وكان كذلك يخشى الظلمة ، ولذلك كانت تضاء له عين «حور» وهى هنا تعبر عن مصباح ، ولكنها فى الواقع تعبر عن كل شيء طيب فى الحياة الأخرى . وكذلك نشاهد فى النص أن المتوفى لا بد أن يحاسب على أعماله فى الحياة الدنيا ، ويقف أمام «أوزير» رب الآخرة ، وهناك تحصى كل أعماله ، ولذلك نجد المتوفى لم يعترف بأى خطيئة ارتكبها مع زميل له ، وليس له شيء من الآثام ، وأخيرا نجده يطلب من كل مار على قبره أن يقرأ له صيغة القربان التى كان يعتقد أنها تنقلب إلى حقيقتها المادية عند تلاوتها بالألفاظ . ويلحظ أنه يغرى المارة بأن كل من يقرؤها سيناله خير

كثير ، وبخاصة لأن الآلهة سيمدحونه ويكلون له الثناء والتي «وأن أسماءهم سيرثونه من بعده .

ومن المناظر التي تلفت النظر في قبر هذا الموظف منظر تسلم « سب آمون » ووصيفه ضريبة الوجه البحري ، من خادمات (راجع Urk. IV. P. 153. ff.) ولا بد أن تكون هذه الجزية هي ما كان يجبى من خراج من أرض الملك الخاصة لأن « نب آمون » كان مديرها .

خع أم واست : كان « خع أم واست » من أبناء الجندي العظيم « أحمس بنخبت » الذي شاهدناهم ممثلين على جدران قبره « بالكاب » حيث كان يحمل لقب « ابن الملك » الأول في « نخب » ثم ألقابا أخرى مهشمة ، وأخيرا لقب « كاهن الروح » لملك الوجه القبلي والوجه البحري « امنحتب الأول » . (راجع L. D. III, Pl. 43b) . ومما هو جدير بالملاحظة أن لقب خادم الروح (كا) كان خاصا بالأفراد في عهد الدولة القديمة ، وكان في الاستطاعة أن يكون للفرد أكثر من خادم واحد من هذا الصنف ، وفي عهد الدولة الوسطى أصبح لكل فرد خادم واحد على وجه عام . أما الملوك فكان لهم كهنة يطلق على الواحد منهم لفظة « حم نثر » (خادم الإله) وكان هذا الكاهن لا يخدم إلا الملك والإله فحسب ، وفي عهد الدولة الحديثة نرى أن خادم الروح (كا) كان يقوم بخدمة الملوك كما كان يقوم بخدمة الأفراد ولعل السبب في ذلك يعزى إلى الانقلاب الذي حدث في العهد الإقطاعي ، والمساواة الدينية المطلقة التي نشأت في هذا العهد .

تحوتي نفر : وكان يلقب « الكاتب حاسب الغلال » ونشاهده في رسوم مقبرة « ماحو » الكائنة بالكاب وهو يؤدي واجباته تحت إشراف هذا الرجل العظيم ، وهو الذي نشاهده جالسا على كومة القمح مسجلا المقادير التي كانت تخزن في المخازن . وفي مقبرة والده « سن رس » محاسبة « طيبة » (شيخ عبد القرنة رقم (٣١٧) كان يلقب « الكاتب حاسب الغلال » في مخازن قربان « آمون » المقدسة ، (راجع Porter and Moss, "Bibliography", Vol. I. P. 171) .

إيو . وهي المرضعة العظيمة التي ربت الإله (تحتمس الثالث)، وقد تزوج «تحتمس الثالث» من ابنتها «سات إعح» وكانت أخته من الرضاعة ، وبذلك أصبحت تلقب زوج الملك العظيمة «سات إعح» ، وهذا يدل دلالة واضحة على المكانة السامية التي كانت تحتلها مرضعات الفراعنة في هذا العهد (Urk. IV, P. 604.) .

حتشبسوت وتحتمس الثالث



مقدمة

تعقد الأمور بعد وفاة تحتمس الثاني بسبب وراثة العرش :

لما ارتاح الملك « تحتمس الأول » من الحياة الدنيا وصعد إلى السماء بعد أن أتم سنى حياته بقلب فرح» – كما يعبر النص المصري على لسان مديرأعماله « إنى » –





(٢٧) الملكة حتشبسوت

كان الشيب قد خضب لحيته وذهب بشعر رأسه ، ولا بد أنه قد مات محزوناً كسير القلب ، إذ قد وارى التراب ثلاثة من أنجاله الذكور في حياته ، أكبرهم «وازمس» ، وقد توفي في أوائل حكمه ، ثم لحق به أخوه «أمنس» الذي كان قائداً للجيش وولي عهده ، وأخيراً ابنة تدعى «نفروبيتي» وهي ابنة زوجه الشرعية المسماة الزوجة الملكية العظيمة «أحمس حنت تمحو» أكبر بنات سلفه «امنحتب» الأول كما يدعي بعض المؤرخين ، وبقيت أحمس الأولى على أشهر الأقوال كما سنبرهن على ذلك بعد وقد عاشت «أحمس» هذه بعد وفاة زوجها «تحتمس الأول» . وكذلك بقي لها بنت على قيد الحياة تدعى «حتشبسوت» ؛ ولكن تحتمس كان له ابن آخر من زوجة تدعى «موت نفرت» ؛ وقد كان الموقف إذاً معقداً كما سبق شرحه ، فقد كان الوارث الحقيقي في مثل هذه الأحوال أكبر ابن شرعي خلفه الفرعون ؛ ولكنه كان في هذه الظروف ابنة لا ابناً وهي «حتشبسوت» ؛ ومهام الملك كان لا بد أن يتولاها رجل . ولذا كان الحل الوحيد المخرج من هذا المأزق أن يتزوج «تحتمس» ابن الملكة «موت نفرت» من أخته «حتشبسوت» ، وبذلك يتوج ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، وقد كان هذا الزواج غير موفق . ولما توفي هذا الفرعون أصبح الموقف أشد تعقيداً ، إذ قد تكررت نفس المأساة ولم ترزق «حتشبسوت» من «تحتمس» الثاني إلا بنتين كبراهما تسمى «نفرورع» والصغرى تدعى «مريت رع حتشبسوت» ، وتوفي بعدها هذا الفرعون دون أن يعقب وارثاً شرعياً ذكراً للعرش ؛ وبذلك وجدت «حتشبسوت» نفسها بعد ذلك أنها الوارثة للعرش ، ووريثة البيت المالك التي لا ينازعها منازع ، وكانت لا تزال في مقتبل العمر وريعان الشباب ، وقد وقع على عاتقها مسألة وراثة الملك في نفس الصورة التي وجدت فيها البلاد بعد وفاة والدها «تحتمس» الأول ، والواقع أن الموقف كان حرجاً ولا بد من الخروج منه بصورة ترضيها وترضي الشعب المصري . وتدل شواهد الأحوال على أن «تحتمس» الثاني كان ميالاً إلى أن يخلفه ابنه «تحتمس» الذي أنجبه من إحدى زوجاته غير الشرعيات المسماة «إزيس» ، وقد كان «تحتمس» هذا لا يزال في طفولته لم يبلغ الثالثة عشرة وقت وفاة والده . والظاهر أن والده كان قد وكل أمره إلى كهنة معبد الإله «آمون» لتربيته تربية

دينية غير أنه لم يكن قد أصبح كاهنا بعد . وقد كان تحتمس هذا هو الذي انتخب ليكون وارثا لعرش الملك مع أخته «نفرورع» . وتحدثنا الآثار أن «تحتمس» الثاني هو الذي اختاره وارثاً له كما سيتضح علينا «تحتمس» الثالث نفسه فيما بعد على آثاره ، والظاهر أن هذا الملك الذي كان متفانيا في حب والده فكان يمقت «حتشبسوت» التي كانت تجاهر والده مدة حياته ، واتخذت من اعتلال صحته فرصة للسيطرة على شئون البلاد ، وقد كان لها هي من جهة أخرى حزب يشد أزرها من أشراف البلاد وعظمائها طوال عهد زوجها «تحتمس» الثاني ، ولم ينفض عنها هذا الحزب بعد موته بل أخذ يقوى حجتها في تولي الملك غير أنه على ما يظهر لم يكن في مقدورها هي وحزبها أن يمنعوا تتويج الملك تحتمس الثالث لأن حكم النساء كان غير مرغوب فيه .

تحتمس الثالث يتولى عرش الملك : وتولى «تحتمس» الثالث عرش الملك غير أن الوصاية بحكم التقاليد والشرع كانت لا بد أن تبقى في يد الملكة «حتشبسوت» ما دام «تحتمس» وزوجه «نفرورع» لم يبلغا الحلم ، ولم يكن في ذلك ما يدعو إلى الغرابة ، وقد حدثنا عن ذلك مهندس البناء «إنني» في تاريخ حياته إذ يقول في صراحة : "ثم صعد «تحتمس» الثاني إلى السماء واختلط بالآلهة ، ونصب في مكانه ابنه «تحتمس» الثالث" ملكا على الأرضين . وقد صار حاكما (تحتمس الثالث) على عرش من أنجبه ، ولكن أخته (أخت تحتمس الثاني) الزوجة الملكية «حتشبسوت» كانت هي التي تدير شئون الأرضين حسب آرائها هي ، وقد كانت مصر تعمل مطأطئة الرأس لها وهي صاحبة الأمر ، وهي بذرة الإله الممتازة التي خرجت منه ، وأمراس سفينة الوجه القبلي ، ومرسى أهل الجنوب ، والأمراس الممتازة لمؤخرة سفينة الوجه البحري ، وهي سيدة الأمر ، وآراؤها متفوقة وكلا الأرضين تطمئن عندما تتحدث ، وقد جعلني عظيما ، وملأ بيتي فضة وذهبا وكل الأشياء الجميلة الأخرى التي في بيت الملك دون أن أقول : إني في حاجة إلى شيء"[1] .

---

(١) راجع : Urkunden IV. P. 61 ff.

وهذا الوصف الرائع يقفنا على جلية الأمر إذ لا بد أن تسير الأمور على هذه الحالة، ولم يكن لأى إنسان ممن كانوا ينظرون إلى الموقف من جهته القانونية أن يبدى أى اعتراض، وخاصة إذا علمنا أن التاريخ كان يسمى حكم «تحتمس» الثالث، وقد اتخذ لنفسه الألقاب الملكية الآتية عند اعتلائه عرش الملك وهى التى يقول عنها فى تتويجه فيما بعد : إن الإله "آمون" هو الذى اختارها له[1] (١) فاسمه الحورى = الثور القوى المتوج فى طيبة أو الثور القوى الذى يتمم فى الصدق أو الثور القوى محبوب إله الشمس . (٢) ولقبه سيد التاج والصل = باق فى الملك مثل إله الشمس فى السماء ، ومع هذا اللقب كان كذلك يلقب ، جاعل الصدق يضىء ، محبوب الأرضين ، عظيم القوة فى كل الممالك (٣) ولقبه حور الذهبى = عظيم القوة ، متفوق فى المظاهر، عظيم الشجاعة ، ضارب شعوب الأقواس التسعة (٤) ولقبه ملك الوجه القبلى والبحرى = منحت وجود إله الشمس (٥) ولقبه ابن الشمس = «تحتمس» . وكان يضاف إليه أحيانا الواحد الطيب صاحب الوجود، والواحد الطيب صاحب المظاهر ، أمير الصدق ، وأمير طيبة ، وأمير مين شمس الخ .

ألقاب حتشبسوت قبل تولى الملك : أما "حتشبسوت" فقد كانت تلقب الزوجة الإلهية، والزوجة الملكية العظيمة، وقد ظهرت فى النقوش فى بادئ حكمه مرسومة خلفه كما كانت والدتها تظهر خلف "تحتمس الثانى" . ومما هو جدير بالملاحظة هنا حتى فى غيرها الذى اتخذته لنفسها حوالى هذا الوقت أنها لم تتعد أطماعها غير ما سمحت به التقاليد من الألقاب ، إذ نجد أنها كانت تلقب على تابوتها ، الأميرة العظيمة التى أحبت لرشاقتها وسيدة كل الأراضى، والابنة الملكية والأخت الملكية ، والزوجة الملكية العظيمة، وسيدة الأرضين "حتشبسوت" . وقد اعترف بمكانتها بعض كبار رجال الدولة الذين كانوا معاصرين لها ممن خدموا البيت المالك منذ أن أسسه "أحمس" الأول ، ولم يألوا جهدا فى إظهار شعورهم نحوها ،

---

(١) راجع = Breasted, A. R. II, § 143.

وخص بالذكر منهم "أحمس وحخيت" الذى مر ذكره إذ يقول . إن "حتشبسوت" قد أعدقت على الإنعام مرارا . وقد كنت مربيا لكبرى بناتها الأميرة "نفرورع" وهى لاتزال طفلة تحمل على اليدين . وكذلك كتب "إنى" يقول . "إن جلالتها كانت تحبنى ، ولحظت قيمتى فى البلاط ، وملأت بيتى بالفضة والذهب وكل الأشياء الجميلة من البيت الفرعونى" ، وكذلك نشاهد أن "نورى" حاكم السودان نائب الملك ، و "سياتى" كان لا يزال موكلا إليه قطع الأحجار فى جبل "سلسلة" ولدينا "تحتمس" الثالث مدة سبع السنين الأولى بعد تتويجه على ما يظهر هو الحاكم للبلاد ، ولم تحاول "حتشبسوت" أن تعلن نفسها ملكة على البلاد ، وكل ما لدينا من الآثار يؤكد لنا ذلك ، غير أنه مما لا شك فيه أن مقاليد الحكم كانت فى يدها فعلا . فمثلا نجد فى "سمنه" فى بلاد النوبة نقشا[1] مؤرخا بالسنة الثانية اليوم السابع من الشهر الثانى من الفصل الثالث ، وفى هذا النقش ذكرت كل ألقابه . وقد أمر فيه بإقامة معبد وتجديد القربان للآلهة ، وهى التى كان قد أسسها "سنوسرت" الثالث فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، وقد ذكرنا "تحتمس" أنه وجد فى "سمنه" معبدا مقاما من اللبن ، ولكنه أقام مكانه معبدا من الحجر الجيرى الأبيض ، وأهداه إلى الإله « ددون » إله بلاد النوبة ، وكذلك إلى روح الملك « سنوسرت الثالث » مؤسس هذا المعبد هذا إلى أنه قرر أن العيد المعروف "بهزيمة القبائل" الذى أسسه هذا الفرعون ، لا بد أن يقام وأن يكون تاريخ الاحتفال به فى اليوم الواحد والعشرين من الشهر الرابع من الفصل الثانى ، ثم يحدث إلينا "تحتمس" الثالث من جديد آخر يحتفل به فى الشهر الأول من الفصل الثالث ، ويحتمل أن هذا هو عيد تتويج الفرعون . وأخيرا يذكر لنا عيدا ثالثا يعرف بعيد "قتل المتوحشين" وهو العيد الذى أسسه "سنوسرت" الثالث تكريما لزوجه "مرجير" وسيأتى تفصيل ذلك فيما بعد .

---

(١) راجع . L. D. III. Pl. 47

وفي متحف "تورين" توجد بردية (رقم ١) يذكر فيها كاتب يدعى "وسرمات" أنه خدم التاج ثلاث سنوات، وقد أرخ الورقة بالسنة الخامسة من حكم تحتمس الثالث ولم يذكر اسم الملكة "حتشبسوت" مما يدل على أنه بعد توليه بخمس سنوات لم تعلن "حتشبسوت" نفسها ملكة شرعية على البلاد رسميا.

مدير بيت الإله آمون «سنموت» والدور الذي لعبه مع حتشبسوت:

والظاهر أن "حتشبسوت" كانت تفكر منذ تولية تحتمس العرش في تكوين حزب يضم بين أعضائه كل رجالات الدولة الناقمين، الذين أظهروا مهارة وحذقا من أبناء جيلها تستعين بهم على قضاء مآربها، ولتضرب ضربتها الحاسمة عند ما تحين الفرصة، على أنه لم يفتها أن تجعل رجال الدولة القدامى لا ينفضون من حولها، وقد كان أول من وقع اختيارها عليه من شباب عصرها مدير بيت الإله "آمون" المسمى "سنموت" وقد كان شابا نشطا يسترعي انتباه النظر، نادرا طموحا، وقد رأى بثاقب نظره أن الفرصة سانحة ليكون لنفسه منذ باكورة هذا العهد الجديد مجدا خالدا، ولذلك يقول لنا: لقد كنت في هذه الأرض تحت إدارة «حتشبسوت» منذ اللحظة التي لاقى فيها سلفها حتفه (أي تحتمس الثاني) فلم أضيع أي وقت لاكتساب حظوة الملكة التي كانت تقبض بيديها القادرتين الخلاقتين على أقدار البلاد وإدارتها.

ولا نزاع في أن «حتشبسوت» قد وجدت بروحها روح «سنموت» منذ أن وقع بصرها عليه، وقد كان مستقبلها مرتبطا تمام الارتباط بأمر الوصاية، ومنذ اللحظة التي وطدت فيها أركان الوصاية على العرش بدأ نجم سعد «سنموت» السياسي يظهر في الأفق ويسطع، وقد كان أول خطوة في تمكين هذه العلاقة الوثيقة التي أحكمت أواصرها بينهما حقبة تربو على عشرة أعوام، هي أن تجعل «حتشبسوت» حبيبها «سنموت» المربي الأول لابنتها الابنة الملكية «وأميرة الأرضين» والزوجة الإلهية «نفرورع» وأن يكون بجانب ذلك مدير البيت العظيم لأملاكها،

وأملاك ابنتها « نفرورع » ويحتمل كذلك أنه كان قيما على أملاك ابنتها الطفلة « مريت رع حتشبسوت » والواقع أنها بإسنادها كل هذه الوظائف إلى « سنموت » قد جعلته شريكا فعليا معها في حكم البلاد .

ولا نعرف عن ماضي هذا المغلوظ الجديد إلا النزر القليل ، وإن كنت نقول لا نعلم شيئا ألبتة . وتدل الأحوال على أن والديه لم يكونا من أصحاب المكانة في الحياة الاجتماعية . فقد كان والده يدعى « رعموس » ووالدته السيدة « حات نوفر » وحسب . وكان له ثلاثة أخوة لم يتربع منهم واحد مكانة رفيعة في الدولة إلا « سن من » ، ونعزو رفعته هذه إلى أخيه « سنموت » الذي عينه مساعدا في إدارة شئون « الأميرات » ، أما أخوه الثاني فكان كاهنا بسفينة « آمون » المقدسة ، والثالث وهو « بإحرى » كان يشغل وظيفة « مشرف على الماشية » . وقد تزوج « سنموت » من اثنين إحداهما تسمى « نفرت حور » . والظاهر أنه لم يرزق أولادا ، ولذلك فإنه في أواخر أيامه وكل لأخيه « أمنحتب » القيام له بأداء الشعائر الجنازية التي كان يقوم بها ابن المتوفى حسب التقاليد المصرية المرعية . ويلاحظ أن « سنموت » لم يهتم بذكر وظائفه الدينية ، إذ لم يكن لها علاقة في ترقيته ، وإنما ما ورد ذكرها ذكرت بغير اهتمام وبصفة عابرة . والواقع أنه كان يحمل لقب « كاهن السفينة المقدسة للإله آمون » ورئيس كهنة معبد « منتو » وكان من المعابد الصغيرة ونقله في بلدة « أرمنت » ، هذا ولم تكن ثمرية الوظائف الحربية في جيل كانت تسوده السكينة والاستقرار .

وقد كان « سنموت » دائما إداريا من الطراز الأول ، ويحتمل أنه بدأ حياته في إدارة ضياع « آمون » بمعبد الكرنك الشامخة ، فقد كان مع صعود نجمه وعلو منزلته ورفعة مكانته يعرف دائما بمدير بيت « آمون » . والواقع أن كل شيء في إدارة ممتلكات معبد هذا الإله كانت بإشرافه ، وكذلك كان المشرف على الغلال والمخازن ، والحقول والحدائق ، والماشية والعبيد ومراقب قاعة « آمون » كل

ذلك في قصته بوصفه مدير البيت العظيم ، هـذا وكان يلقب كذلك المشرف على أعمال «آمون» ، وأحياناً كان يلقب "مدير كل أشغال الملك في معبد «آمون»" أيضاً . ولما رسخت قدمه وأصبح صاحب حظوة في عين «حتشبسوت» وعكس من معانيها أصبحت تحت إدارته كل ثروة البيت المالك . وقد جاء باسم بوظيفة



(٢٤) سنموت يحضن الأميرة الصغيرة «نفرورع»

مدير الحب المعظم الملكين «حتشبسوت» وابنتها الصغيرة «نفرورع» وانتهى به الأمر بعد فترة من الزمن أن أمسى المراقب والمشرف ، والمشرف على المشرفين بكل أشغال الفرعون ، كما كان كذلك المسيطر على عبيد الفرعون . والمالية والأسلحة وقصر التاج الأحمر . يضاف إلى هذه الوظائف العامة الرفيعة وظائف أخرى خاصة كان لا يشغلها إلا المقربون جدا الذين كانت حظوتهم تسمح لهم بأن يشتركوا في الإشراف على إعداد أخص أدوات الزينة الملكية للزيارات الرسمية وغيرها . ومن ثم نجده لا يفخر بأنه حاكم القصر الملكي وحده ، بل كان يفخر بأنه ملاحظ الغرفات الخاصة والحمام ، وحجرة النوم أيضا . على أن الانسان يجد أن يأتي على نهاية كل ما سردناه هنا من قصة «سنموت» يرى من الصعب عليه أن ينسب ما يقصه من المراتب إلى المهارة والحذق في تسيير الأمور وحدها ، وكثيرا ما ينسب الإنسان إلى الأشخاص الذين يمثلون قصة من القصص أدوارا لم يقوموا بها قط في الحياة ، وهذا هو الواقع في الحالة التي نحن بصددها على وجه خاص ، إذ قد ذهب الكثيرون في العلاقة التي بين «سنموت» و«حتشبسوت» مذاهب شتى . وفي الوقت الذي كان فيه «سنموت» يجمع الوظائف التي تدر عليه الذهب والفضة تباعا في الكرنك والقصر كانت «حتشبسوت» وحدها المسيطرة الوحيدة التي لا منازع لها في مصر .

سلطان حتشبسوت والعقبات التي اعترضتها في تولي العرش :

والواقع أنها منذ موت والدها كانت سيدة الأرضين ، أولا مع أخيها «تحتمس» الثاني الذي كان لا حول له ولا قوة ، والآن مع ابن أخيها الطفل وابن أخيها «تحتمس» الثالث . وما دام شريكاها لم يبلغا الحلم فقد كانت الحاكمة المطلقة في البلاد ، ومع ذلك كانت تشعر في قرارة نفسها أنه لو فحص موضوعها بعين العدل بوصفها الوارثة الشرعية للعرش ووالدها «تحتمس» الأول لكانت هي الحاكمة المطلقة للبلاد شرعا من بادئ الأمر ، مع أن الفرق بين ما في يدها وبين ما تطمح إليه هو

فى اللقب وأساليب الملكية ، وقد منحته التقاليد لحرمه النساء ، ولم تغتصبه امرأة منذ حكم الملكة « نفرو سبك » فى أواخر عهد الأسرة الثانية عشرة . والواقع أن تولى المرأة حكم البلاد المصرية كان من الأمور النادرة جداً، فقد ذكرنا «هردوت» فى كتابه عن مصر (الفصل الثانى الفقرة المائة) أن من بين الملوك الذين حكموا مصر وعددهم ٣٣٠ ملكا ، وهم الذين قرأ له أسماءهم أحد كهنة منفيس من كتاب لم يكن بينهم إلا ملكة واحدة تسمى «نوتكريس» وهى التى تولت العرش بعد قتل أخيها ، وقد ذكرنا « مانيتون » أنها آخر ملوك الأسرة السادسة ، وكذلك ذكرنا « اراستوتينس » وجاء فى ورقة « تورين » أيضا أنها الخلف الثانى للملك « ببى » الثانى . وقد كانت مدة حكمها عاما واحدا ، ويقع تاريخ حكمها فى نهاية عهد هام من التاريخ المصرى إذ بانقضاء مدة حكمها ينتهى عهد مملكة «منف» ، وعلى الرغم من أن هذه الملكة كانت صاحبة شهرة لها بعد فى التقاليد المصرية فإنه لم يصل إلينا شىء قط عن حكمها ، غير أن قائمة الملوك التى فى متناولنا تحتوى ثلاث ملكات يحملن لقب ملكات شرعيات لبس التاج . ففى نهاية الأسرة الثانية عشرة نجد «الملكة » نفروسبك» أو « سوبك شدتى » أخت الملك «امنمحات الرابع » قد تولت الحكم بعد وفاته (راجع الجزء الثالث من مصر القديمة ص ٣٥٤) ، وقد جاء ذكرها فى ورقة «تورين» بوصفها ملكة تحمل لقب ملك مصر . أما الملكتان الأخريان اللتان ذكرهما «مانيتون» فيقع حكمهما فى الأسرة الثامنة عشرة . والظاهر من المعلومات التى وصلتنا حتى الآن أن «مانيتون» قد خلط فى ترتيبهما التاريخى إذ يقول لنا أن أولاهما قد جاءت فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة وسماها «اكرتيس» (Kerpts) وأنها ابنة الملك « حوروس » والخلف الثانى للملك « امنحتب » الثالث ، ولا بد إذا أن تكون إحدى بنات « امنحتب » الرابع غير أن كلتيهما كانت تحمل لقب الزوجة الملكية . ولكن قائمة الملوك « سقارة » ، وقائمة « العرابة » لم يذكرا لنا اسمى هاتين الملكتين ، وكذلك لم يذكر فيهما اسم الملكة

« مرو سك » ، يضاف إلى ذلك أن « مانيتون » قد ذكر لنا ملكة تولت حكم البلاد في وسط عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وأنها كانت خلف الفرعون « أمنوفيس » الأول الذي حكم البلاد عشرين سنة وسبعة أشهر . وقد حكمت إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر ، ثم جاء بعدها الملك « تحتمس » (أي تحتمس الثالث) .

ولا نزاع في أن « مانيتون » يقصد هنا على الرغم مما في قائمته من الخلط والارتباك « الملكة حتشبسوت » = (سيدة النساء الشريفات[1]) . ومن ذلك يرى القارئ أن حكم النساء كان نادرا جدا في مصر ، ولم تعترف به التقاليد الرسمية كما ذكرنا . ومع ذلك نجد أن « حتشبسوت » كانت على وشك أن تخطو الخطوة الثانية لتظفر بها إلى عرش الملك رسميا . وكان « سنموت » في هذا الموقف يغضي بصره أو يتجاهل ما تريده « حتشبسوت » ، بل من المرجح جدا أنه كان عرضا فعالا لها ، إذ لا يمكن المرء أن يتصور نجاحها في مثل هذه المؤامرة الجريئة ، دون أن يكون مدير ضاعتها و ربيتها له ضلع في ذلك السبب الأوفر ، بل كيف كان يمكن حدوث تعد على حقوق هذين الطفلين الملكيين دون اتفاق المربي الأعظم للملكة « نفرورع » ووصيه الشاي ، أو كيف كان يمكن إقامة أي مبنى في معبد « أمون » على يد غاصب بغير اتفاق ورضى من مدير المباني ، وقد كان « سنموت » يشغل كل هذه الوظائف الضخمة . وقد كان مصيره في النهاية أن يقع عليه انتقام « تحتمس الثالث » . والواقع أنه في مثل هذه الأحوال لا يمكن تبرئته من الاشتراك في هذه السياسة المعوجة التي كانت تسير في تنفيذها سيدته التي رفعته إلى تلك المكانة العلية ؛ غير أن السؤال الهام الذي يتساءله المرء عن سبب اتخاذ « سنموت » هذه الخطة . أكان ذلك لإخلاص « سنموت » ، أم كان طموحا منه إلى مرتبة أعلى مما وصل إليه حتى أنه ضرب بكل تقاليد القوم عرض الحائط ؟

---

(١) راجع : Sethe, "Das Hatshepsut Problem", P. 1 ff.

أسباب ادعاء حتشبسوت أحقية عرش البلاد :

ومن الجائز أن «حتشبسوت» من جهتها قد أقنعت الشعب أنها بنت الإله «آمون» نفسه من جهة وأن والدها قد نصبها على عرش البلاد من جهة أخرى، وجعلها وارثته الشرعية، وقد حاك حيال الكهنة قصة طريفة لذلك قد يكون في ثناياها شيء من الحقيقة، ومن المحتمل أن «حتشبسوت» قد أذاعتها قبل اغتصابها العرش مباشرة، لتكون بمثابة دعاية، وقد نقشتها على جدران معبدها «بالدير البحري» الذي يعد ستاراً فريداً في بابه، نقشت عليه «حتشبسوت» كل تاريخ حياتها، وما قامت به من جليل الأعمال في حياتها كما سنفصل القول في ذلك بعد.

وسنورد هنا ملخصاً لهذه القصة من النقوش التي دونتها «حتشبسوت» فيما بعد على معبد الدير البحري في مناظر لا تزال باقية. ففي المنظر الأول من هذه المناظر تشاهد فيه مجلساً من الآلهة برئاسة الإله «آمون» وقد قرر فيه المجمع خلق «حتشبسوت» وفي خلال هذه الجلسة يذكر الإله «تحوت» الإله «آمون» بوجود «أحمس» الجميلة زوج الأمير الذي أصبح فيما بعد «تحتمس الأول».
ويقترح عليه أن يتقمص صورته عندما يكون الأمير غائباً، وبذلك يمكنه أن يدخل حجرة الملكة، ثم تحدثنا القصة أن الإله «آمون» قد تزيا بزي «تحتمس الأول»، ووجد الملكة في خلوة في قصرها الجميل، فأيقظها شذى عطور الإله الذي استنشقته على الرغم من أنها كانت في حضرة جلالته (الملك) (ظنا منها ذلك)، وعندئذ ذهب إليها في الحال وصاحبها، وفرض عليها رغبته فيها، وجعلها تنظر إليه بوصفه إلهاً (بعد أن تمثل لها بشراً سوياً) من أجل ذلك فرحت عندما وقف أمامها وكشف لها عن حاله، وسرى حبه في أعضائها التي غمرها شذى العطر. وعندئذ قالت الملكة «أحمس» لجلالة هذا الإله «آمون» العظيم رب طيبة: ما أعظم فخرك: إن رؤية محياك شيء عجيب: لقد ألحقت جلالتي

عالك ، وإن روحك قد تمثلت فى كل أعضائى ، وبعد ذلك منح جلالة هذا الإله كل ما يرغب فيه معها ثم قال لها سيكون اسم ابنتى التى وضعتها فى جسمك " خنمت أمون » حتشبسوت » لأن هذه هى الكلمة التى خرجت من فمك أنت وستكون الملك فى هذه البلاد قاطبة ، وستكون روحى روحها ، وسيكون صولجانى صولجانها ، وكذلك «تاجى» حتى يمكنها أن تحكم الأرضين ". وبعد ذلك طلب الإله «آمون» مساعدة الإله «خنوم» صانع الفخار الإلهى ليصور الطفل فى صورة تجمع كل الجمال ، وعندما أتت الملكة المخاض اجتمع الآلهة ، ووقف بجانبها القابلات عند الوضع ، ولما وضعت الطفلة قدمتها الإلهة «حتحور» لآمون «الذى باركها ، وقدمها لكل الآلهة قائلا : " تأملوا أنتم ' ابنتى حتشبسوت كونوا محبين لها ". وبعد ذلك نمت جلالتها بسرعة ، وقد كان النظر إليها يفوق أى شىء وقد أصبحت عذراء جميلة مزهرة مثل الإلهة «بوتو» فى عصرها[1] (أى حتحور).

ولا يعزب عن الذهن أن «حتشبسوت» لم تدع هذه الأقصوصة فى عهد والدها بل كان ذلك بعد مماتها ، هذا بد أن الملكة «أحمس حنت تاوى» قد ماتت وابنتها لا تزال تحمل لقب الزوجة المقدسة والزوجة الملكية العظيمة ثم تزوجتها ملكة رسمية .

وكانت «حتشبسوت» تقصد من نشر هذه القصة التى ذكرناها هنا غرضين : الأول لتثبت أنها كانت ابنة تحتمس الدنيوية ، والثانى أنها ابنة الإله «أمون» من جسمه ، وذلك لأن دمها الملكى لم يكن خالصا بالمعنى الحقيقى من جهة والدها لأن جدتها من أبيها لم تكن من دم ملكى بل كان يعرف عنها أنها كانت من عامة الشعب ؛ وبعد مرور عدة أعوام على ذلك أمرت بنقش وثيقة تثبت فيها أن والدها «تحتمس» الأول قد نصبها على ملك مصر فى حفل عظيم من عظماء الشعب . إذ تدعى فيها أن " تحتمس " الأول أرسل إليها وهى لا تزال طفلة ، وقال لها .

---

(١) راجع Breasted, A. R. Vol II, § 217 ff.

تعالى لأضم يداك بين ذراعيّ لأجل أن ترى إدارتك في القصر (بعد أن رأيتها مع والدها في أنحاء البلاد) فترى بأعمالك الشرعية الفاخرة . وتحتلين عرشك الملكي ، وإنك ستصبحين ممتازة بسحرك ، وستصبحين عظيمة بقوتك ، وإنك ستسيطرين على الأرضين ، وإنك ستقضين على العصاة ، وإنك ستشرقين في القصر وسيتصل جبينك بالتاج المزدوج ، وستسرين بوراثتك لي ، وإنك ولدت لي ، وأنت أمت التاج الأبيض ، ولتي محبوبة « وازيت » (صاحبة التاج الأحمر) . وسيقدم إليك الشعب من يجلس على عرش الأرضين (آمون) ، وقد أمر جلالتي أن يحضر أشراف الملك ، والأعيان ، والسمار ، ورجال البلاط ، ورؤساء كل المدن لأجل أن يقسموا بأن جلالتي قد وضع بين ذراعيه جلالة ابنته هذه في قصرها مثل [illegible] الملك ، وقد جلس الملك نفسه في قاعة حاملة « واي ورت » (خاصة من الكهنة) وقد كان هؤلاء القوم ساجدين على بطونهم في البلاط فقال لهم جلالته : إن ابنتي هذه « خنمت آمون » « حتشبسوت » فلتحيا ، أنصبها خليفتي على عرشي ، إنها هي خلفي على عرشي بلا شك ، وهي التي ستجلس على عرش المحتشم ، وهي التي ستأمر وتحكم الرعايا في كل ردهات القصر ، وهي التي ستقودكم ، فاسمعوا كلامها ، وهي التي توحدكم بأوامرها ، من يعبدها فإنه سيعيش ، أما من يقول سوءاً في حقها فإنه سيموت ، وكل من يسمع اسم جلالتها معلناً تجب عليه أن يأتي ويعلن بها ملكاً مثل ما كان يفعل عندما يسمع اسمي ، وذلك لأن هذه الإلهة هي ابنة إله ، والآلهة هم الذين يحاربون لها ، وهم الذين يحرسونها كل يوم كما أمر والدها سيد الآلهة « آمون » .

الشعب يرحب بالملكة حتشبسوت ويحتفل بها ملكة .

وعلى ذلك سمع أشراف الملك وأصحاب الطلعات ، ورؤساء الشعب هذا الأمر الخاص بإعلاء شأن ابنته ملكة الوجه القبلي والوجه البحري « ماعت كارع » فلتحيا أبدية . فقبلوا الأرض تحت قدميه ، ولما كانت الكلمة في قلوبهم ، رفعوا كل الآلهة لملك الوجه القبلي والوجه البحري « عاخبر كارع » (تحتمس الأول) عاش أبدياً ، ثم خرجوا فرحين والفرح منتشر بين قلوبهم ، وقد سمعها كل الناس ، وكل من في حجرات القصر الملكي ، وقد أتوا مسرعين وفرحوا بها أكثر من كل شيء ، وقد كانت كل حجرة تختلف عن الأخرى (في إظهار فرحها) وكانت الجنود تذكر جلالة هذه الملكة باسمها ، ويقفزون بقلوبهم فرحة ، وقد أعلنوا اسم جلالتها ملكة ، ولكن جلالتها كانت لا تزال صغيرة السن ، والإله العظيم قد أمال قلوبهم نحو ابنته « ماعت كارع » عاشت عظيمة ، وقد عرفوا أنها حقيقة ابنة إله ، وقد دهشوا من شعرها العقلية أكثر من أي شيء آخر ، ولذلك كان كل إنسان يحبها من قلبه ، ويعظم لها كل يوم ، وكل من ... ... وسيكون عظيماً أكثر من كل شيء ، وكل إنسان يذكر (سوءاً) اسم جلالتها يقتل الإله موته في الحال ، لأن الآلهة هم الذين يحرسونها ويحمونها كل يوم .

وهكذا سمع جلالة والدها صوتنا ورأى أن كل الشعب قد أطل قسم ابنته هذه ملكة مع أن جلالتها كانت لا تزال طفلة ، ومن أجل ذلك فرح قلب جلالته أكثر من كل شيء آخر . وأمر جلالته بإحضار مرتلين ليعلنوا اسمها العظيم بصفتها تلبس تاج الوجه القبلي والوجه البحري ، وأن اسمها يختم به في كل الأعمال الخاصة بضم الأرضين والطواف حول الجدار ، ولأجل زينة كل الآلهة الوجه القبلي والأرض لأنه عرف أن من خير الاحتفال البدء في يوم رأس السنة بداية جالية سنين عدة ، وأن تحصل لها في ملايين السنين أعياد ثلاثينية عديدة جدا . وعلى ذلك أعلنوا اسمها ملكة الوجه القبلي والوجه البحري .

هـذا ما ادعته « حتشبسوت » لنفسها في دعايتها التي قامت بها لأجل اعتلاء العرش . ويرى القارئ من ذلك أنها كانت على عرش الملك منذ حياة والدها أي أنها كانت شريكة له في حياته . هذا فضـلا عن أنها في نقوش أخرى تدعي أن والدها قد دربها على صناعة الملك قبل أن يعلنها ملكة .

تولى حتشبسوت عرش الملك فعلا : غير أن الواقع لا يتفق مع هـذه الأقصوصة الخيالية ، إذ ظلت بعيـدة عن تولي عرش البلاد بصفة حقيقية طوال مدة حكم زوجها « تحتمس الثاني » ، وسبعة أعوام من حكم ابن زوجها « تحتمس الثـالث » وعندئذ كانت قـد أحكمت مؤامرتها ، واعتلت عرش البـلاد مدة ثلاثة عشر عاما انزوى في خلالهـا « تحتمس » الثالث فـلم يسمع عنه التاريخ إلا في مناسبات قليلة .

وقد ظل الشك يحوم حـول العام الذي أعلنت فيـه « حتشبسوت » نفسها ملكة شرعية على البـلاد ، وإن شئت فقل العام الذي اغتصبت فيه الملك من ابن زوجها وابنتها الشرعيين ، إلى أن كشف « لاسيو » و « هايس » في شتاء عام سنة ١٩٣٦ عن قبر والدي « سنموت » وقد وجد في هـذا القبر أمكنه أن يحدد التاريخ الذي اغتصبت فيه « حتشبسوت » عرش الملك ، وقد حدده بين منتصف الشهر الأول من فصل الزرع أو منتصف الشهر الثاني منه ، في السنة السابعة من حكمها ، أي حوالي ١٥ يناير أو ١٥ فبراير سنة ١٤٩٤ ق . م . وفي هذا التاريخ أعلنت نفسها ملكة الوجه القبلي ، والوجه البحري ، ومن ثم عرفت بذلك ولا ندري

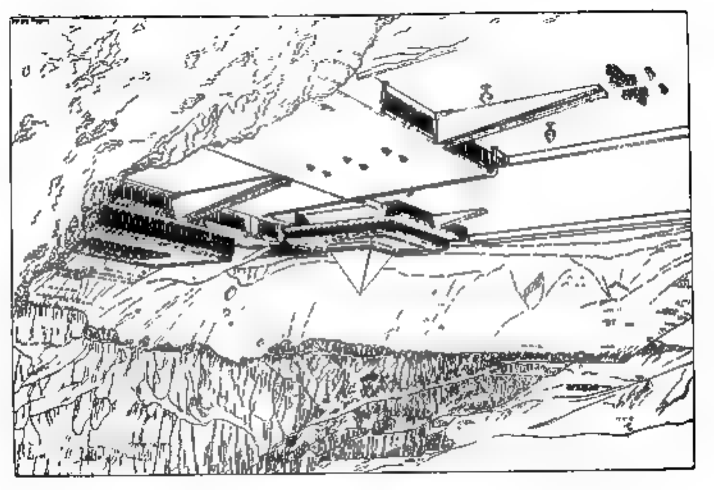
لماذا عبرت « حتشبسوت » على اتخاذ هذه الخطوة دون أن تتبعها ما يليها من خطوات كان لابد منها فى مثل هذه الأحوال ، وأعنى بذلك القضاء على ابن أخيها حالة . ولكنها وقفت عند هذا الحد ، وتركت « تحتمس » الثالث ، يعيش فى عزلة وفى أمان ولكنه موحش ، وقد كان اسمه يذكر أحيانا على الآثار بصفة ثانوية ؛ ولكن لا يذكر إلا بعد اسمها الذى كان يحتل المكانة الأولى . والواقع أن « حتشبسوت » لم تكن سفاكة ولا محاربة ، وما وصل إلينا من المعلومات عنها يدل على أنها كانت بعيدة عن العنف ، ولم يكن حب سفك الدماء من طباعها ، ويمكن أن نستخلص ذلك من شخصيات الذين كانوا ملتفين حولها ، ويسيرون فى ركابها ، ونخص بالذكر منهم « سنموت » و « حبوسنب » و « نحسى » و « توتى » وهم كهنة ورجال إدارة لا رجال حرب وسفك دماء . وسنتناول الكلام عنهم فى حينه ، على أن الحملة الوحيدة التى قامت بها كانت حملة سلمية أرسلتها إلى بلاد بنت بعد اغتصاب الملك كما سيأتى شرحه .

أعمال حتشبسوت

إقامة معبدها الممتاز المعروف باسم الدير البحرى : أما باكورة أعمال « حتشبسوت » من وجهة نظرنا عند بداية هذا العهد الجديد من تاريخ حياتها فتمتاز بالمنهاج الضخم لإقامة معبد كان الغرض منه دعاية سياسية قبل كل شيء ؛ فقد كان المعبد الذى وضع « سنموت » تصميمه ، وأتم بناءه يعد أكبر دعاية وأعظم عمل على مر الدهور كتب بالحجر وعلى الحجر لتبرير اغتصابها للعرش ، وقد كان غرضها أن تنقل جثمان والدها من قبره الذى حفره له مدير المبانى « إنى » كما أسلفنا ، إلى قبر جديد فى « وادى الملوك » على أن يوضع فيه جثمانها بعد وفاتها مع جثمان والدها الذى خلفته على عرش الملك متجاورين فى تابوتين منفصلين وأن تقام لها الشعائر الجنازية فى المعبد الذى أخذت فى إقامته فى الوادى ، يضاف إلى ذلك أنها اعتزمت تخصيص رواق ينقش على جدرانه مناظر تلك الأعجوبة المدهشة

التى كان الغرض منها إظهار « حتشبسوت » بمظهر الملكة التى أنجبها الإله الأعظم من ظهره ، وأن الإله « آمون » ووالدها « تحتمس » الأول اشتركا معا فى تتويجها ملكة شرعية على عرش مصر فى حياة الأخير . يضاف إلى ذلك أنه لما كان والدها « أمون » يشاركها هو ووالدها « تحتمس » الأول فى هذا المعبد فقد خصصت أروقة أخرى فيه لينقش عليها مناظر تظهر فيها تعبدها وإخلاصها البنوى للإله . وقد كلل ذلك التقى والتعبد فى صورة الحملة التى أرسلت إلى بلاد « بنت » فى العام التاسع من حكمها ثم فى نقل المسلات من أسوان فى السنة السادسة عشرة من سنى توليها العرش .

وقد اختارت لإقامة هذا المعبد الملون العظيم الواقع فى حضور صحراء لوبية عند الدير البحرى حيث أقام « منتوحتب » الثانى معبده منذ حوالى ستمائة سنة مضت (راجع مصر القديمة ج ٢ ص ٢٨) ولا بد من أن معبد « منتوحتب » كان قد تهدم فى ذلك الوقت بعض الشىء ، ولكنه على أية حال كان نموذجا يمكن مهندس الملكة أن يحتذى به فى إقامة معبدها ، غير أنه قد تدركه الخيبة فى تقليده إذا لم يراع الحدود التى تعرضها طبيعة المكان الذى سيقام عليه البناء عند إنشائه من حيث الطول والتأثير . ومنذ أن كشف عن معبد « منتوحتب » وتصميم بنائه صار من المعتاد أن ينكر المهندسون على واضع تصميم معبد « حتشبسوت » أى ابتكار فى إقامة هذا المعبد ، فمثلا يقول الدكتور « هول » : "إن معبد « حتشبسوت » كان تقليدا محضا لمعبد سلفها وإليه يرجع الفضل فى تصميمه لا إلى الملكة أو مهندسها « سنموت »" ، غير أن هذا الحكم مبالغ فيه ، حقا قد يكون مهندس « حتشبسوت » قد أخذ فكرة المعبد المدرج من بناء المعبد القديم الذى كان يقام معبد الملكة بجواره ، غير أن هذا كل ما أخذه « سنموت » عن تصميم المعبد القديم . ثم قد يكون « سنموت » قد عظمت فى عينه فكرة هذا البناء عند ما رآه وأخذ الفكرة عنه ، وهذا بلا شك دليل على حسن ذوقه ، ولكن القول بأنه لم يظهر أى عبقرية فى إقامة البناء



شكل رقم (٥٨)

العجيب الذى شيده الملكة كمن ينكر على شاعر أخذ فكرة من شاعر آخر، وصاغها فى قالب شعرى خلاب يفوق القالب الذى اتخذها صياغة واتقانا وتنسيقا .
والواقع أن « سنموت » بعد أن أخذ فكرة المعبد من المهندس « ارتس » سلفه (بانى معبد منتوحتب الثانى) عمل على تضخيمها وتنسيقها حتى أخرج للناس بناء يمتاز عن سابقه فى كل شىء إلا أصل الفكرة نفسها ، على الرغم من أن المعبد الذى أقامه المهندس « ارتس » على ما يقال يروق بال الناظرين إليه على حدة فإنه عند ما يقرن بمعبد « حتشبسوت » الذى يدل مدرجه المتاج، ومنحدراته الطويلة، وأعمدته الأنيقة على حسن ذوق مهندسه يظهر كأنه جذع شجرة بقى مغروسا فى الأرض إلى جانب شجرة نامية الأغصان ، وارفة الظلال ، ومعبد « منتوحتب » كما هو يشتمل على منحدر واحد وطبقتين ، ويشغل الجزء الجنوبى من جون الدير البحرى المعظم ، وقد ترك متسع عظيم فى جهة الشمالية للمعبد الذى أقامته « حتشبسوت » .

سنموت وتصميم معبد الدير البحرى : وقد كان التصميم الذى قدمه « سنموت » الملكة مطلبا على الرغم من أنه أخذ فكرة إقامته فى هذه البقعة عن سلفه، لأنه توسع فيه بطريقة ابتدع منها شيئا جديدا من الفخامة والتأثير ، فقد كان الإنسان يصل إلى طبقاته الثلاث بمنحدرات خفيفة الميل تشعر الناظر بأن المهندس قد أراد أن يصل مبناه يكاد يكون أفقيا فى هيئته الخارجية ، بما أظهره من المهارة فى جعل تدرجه لا يحس . هذا إلى أن تناسب قاعات العمد التى تواليه هذه المدرجات تكشف لنا كما يقول الأستاذ « برستد » عن حاسة التناسب والتنسيق الملتى مما يفند القول السائد بأن الإغريق هم أول شعب فهم فن تنسيق قاعات العمد الخارجية فى المبانى ، وأن المصريين لم يعرفوا إلا استعمال العمد داخل مبانيهم وحسب ، وقد دلت الحفائر التى عملت حديثا على أن « سنموت » قد أزال بعض المبانى الدينية التى كانت موجودة لإقامة معبد " حتشبسوت " منها معبد صغير

الملك " تحتمس الأول " ووالدته " أحمس " ، وكذلك معبد صغير من عهد الأسرة الحادية عشرة[1] .

وقد زين الطريق الذي يبتدئ من باب المعبد شرقا إلى مسافة نحو ٥٠ متر حتى يصل إلى باب آخر وجدت آثاره بتماثيل « بو الهول » في صورة الملكة نصبها على كلا الجانبين ، وقد كان الرواق السفلي كذلك مزينا بمثل هذه التماثيل ، والظاهر أن تحتمس الثالث أزالها من أماكنها ، عندما تربع على عرش الملك ثانية ، وقد عثر على بعض أجزاء منها ، هذا وقد عثر على تماثيل الملكة في صورة "أوزير" ، واحد منها في النهاية القصوى من الرواق السفلي ، وكذلك كان يوجد واحد منها في الرواق الأعلى ، وفي قاعة العمد وجدت عدة كوى كانت تحتوي تماثيل الملكة في صورة " أوزير " .

وكان الرواق الأعلى من المعبد مؤلفا من صف من تماثيل " أوزير " تمتد على طول المعبد ، ويمكن للأهلين أن يروها عندما يعبرون إلى الشاطئ الشرقي من عند معبد الكرنك[2] . والواقع أن الطريق التي كان لا بد أن يمر فيها موكب الإله "آمون " من الفخامة بمنظر عظيم ، وذلك عندما يقوم بزيارته من معبد الكرنك إلى معبد الدير البحري في وقت "عيد الوادي " المشهور ، فقد كانت تماثيل " بو الهول " مصفوفة على جانبي الطريق كل منها رابض على قاعدته التي يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة أمتار ، وعرضها نحو متر ، مزينة بإطارات صور عليها أسرى يرسفون في الأغلال ، فكانت هذه التماثيل تصور أمام الناظر موكبا متماسك الأطراف مؤلفا من تماثيل أسود ترى فيها قوة الفرعون تسيطر على مدن العالم المغلوبة على أمرها . ولا شك في أن هذه التماثيل حينما كان يسطع عليها شمس مصر في حالتها الصافية تمثل صورة رائعة لما كان لمصر من قوة خارقة للعادة في ذلك العهد ، ولكن لا نكاد

(١) راجع : Winlock, "Excavations at Dier el Bahri", P. 114.
(٢) راجع : Ibid. P. 214.

تأملها حتى تدرك أن ذلك وهم كاذب، فإن ذلك البطل الفاتح الذى صور فى هيئة أسد ذى لحية هو فى الواقع امرأة قد جلست على عرشها عاملة شرذمة قليلة من رجال البلاط، ومن المحتمل أنها لم تربحنا غازيا قط، ومع ذلك رأينا مرسومة وهى تطأ الأعداء بقدميها حتى أولئك الأشوريين الذين يسكنون فى الجهات النائية غير المعروفة. ولا شك فى أن هذا نوع من الزهو لم يكن يحق حتى لتحتمس الثالث أن يفاخر به. وهكذا تضيع الحقائق التاريخية أحيانا عند ما تختلط بالفخر وحب الظهور وبخاصة فى التاريخ المصرى القديم بمثل هذه المناظر الكاذبة. وقد عثر على بقايا أكثر من مائة وعشرين تمثالا من هذه التماثيل التى تمثل الملكة فى صورة "بو الهول". غير أنه لم يوجد منها واحد سليم كما لم يمكن جمع أجزاء تمثال واحد منها، فقد أمر "تحتمس الثالث" بتحطيمها جميعا، وشتت أجزاءها فى جهات مختلفة. وكانت كل هذه التماثيل تؤلف عنصرا من عناصر بناء المعبد، اللهم إلا تمثالا واحدا من المرمر كان فى مقصورة الملكة، فكان بعضها تزين الطريق المقدسة المؤدية للمعبد على كلا الجانبين، وكان البعض الآخر مقاما فى صور عمد فى الأروقة، وبخاصة الرواق الأعلى فإن أعمدته كانت تتألف من تماثيل الملكة فى صورة أوزير.

ومن التماثيل الطريفة التى وجدت: بقايا تمثال لمربية الملكة، وقد مثلت جالسة تحمل صورة مصغرة لملكة[1] وهذه المرضع تدعى "ين" وقد نقش على ظهر التمثال أنه عمل لأجل مربية الملكة "ماعت كارع" (حتشبسوت)، غير أننا لم نعثر على تمثال مربيتها الأولى "ست رع" التى كانت تعد من أكبر الشخصيات خطورة عندها وهم الذين كان على رأسهم "سنموت".

---

(١) راجع Ibid P. 212.

الحملة إلى بلاد بنت

الغرض من الرحلة : بعد أن بدأت الملكة « حتشبسوت » فى إقامة معبدها الجنازى الذى أرادت أن تدون على جدرانه كل ما قامت به من جليل الأعمال لوالدها « آمون » ثم لنفسها فكرت فى إرسال حملة سلمية إلى « بلاد بنت » لتحضر منها الأشجار ذات الروائح العطرية التى اشتهرت بها تلك البلاد النائية ، وهى التى كانت تعد فى نظر المصريين بلاد الآلهة . على أن فكرة الرحلة إلى هذه البلاد كما رأينا من قبل لم تكن بالأمر المستحدث لدى ملوك مصر ، إذ الواقع أنها قد عملت عدة مرات فى عهد الدولة القديمة ، والدولة الوسطى ، وقام بها بحارة مصريون (راجع مصر القديمة جزء ٣ ص) ؛ ولا شك فى أن هذه البلاد كانت ذات قيمة عظيمة للمصريين ، وبخاصة لأنها كانت منبع شجر المر (عنتى) الذى كان يستعمل بخورا فى الاحتفالات والشعائر الدينية هذا فضلا عن أنها كانت تمد المصريين بمنتجات أخرى مثل التبر والأبنوس والعاج والحيوان . يضاف إلى ذلك أن المصريين كانوا يعتقدون أن لهم علاقة قديمة بهذه البلاد ، وأنهم من نفس الجنس الذى تألف منه شعب « بنت » فقد كان رجال شعبها يرخون لحى تقليدية طرفها مقلوب كالتى يلبسها الآلهة المصريون . وكانت البلاد نفسها تسمى فى الأدب المصرى الأرض المقدسة أو أرض الإله ؛ غير أن الرحلات بين البلدين كانت قد انقطعت أسبابها لمدة طويلة من الزمن ، وقد يعزى هذا إلى حالة البلاد التى كانت فى اضطراب قبل عهد الهكسوس مباشرة وفى خلال حكمهم . وقد دبر شئون هذه الرحلة الكاهن الأعظم « حبوسنب » ، ومن المحتمل أنه هو الذى وضع فكرتها ، لأنه يقال إنها قد جاءت على لسان وحى « الإله آمون » وهو كاهن أكبر . وقد نقشت خطواتها ذهابا وإيابا على الجدار الذى يقسم الرواق الأعلى من المعبد ، وبداية المنظر على يمين الناظر إذ يرى الإله " آمون " جالساً [1] .

(١) راجع : Naville, "Deir el Bahari", III. pls. 69–86, Breasted, A. R. II. § 246.

ونشاهد كذلك الملكة تقص ما قاله الوحي فاستمع إليه : «كان جلالة الملك تضرع إلى رب الآلهة (آمون رع) عند درج ماكنة قربانه ، وسمعت صيحة أمراً من العرش العظيم ، إذ يقول وحي من الإله نفسه إن طرق بلاد بونت ستكتشف ، وإن الطرق المؤدية إلى المدرجات التي تنبت أشجار البخور ستخترق ، وإني سأقود الحملة براً وبحراً لتحضر الأشياء العجيبة من تلك الأرض لهذا الإله (خشمسوت) ، والأجل أنا صانع جمالها» .

قيام الحملة : ولقد وضع على رأس هذه الحملة ، رئيس الخزانة ويدعى «نحسي» (= العبد) . وكانت الحملة تتألف من خمس سفن كبيرة شراعية يمكن عند الحاجة تسييرها بالمجاديف ، ولما كانت تفاصيل رسم هذه السفن كما نشاهدها على جدران المعبد تشعر بأنها تشبه السفن الشراعية التي كانت تسير في النيل ، وأنه ليس لدينا ما يوحي بأية عملية نقل ، فلا بد إذاً أن يفرض المرء أن هذه الرحلة قد عملت في النيل ، ومن ثم سارت في قناة تخترق وادي طليات إلى البحيرات المرة ، ومن ثم إلى البحر الأحمر لأنه في الأزمان القديمة كان المعتاد أن تبدأ الرحلة من النهر على النيل ثم تخترق الصحراء عن طريق وادي الحمامات المشهور بمحاجره إلى «القصير» الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، وهناك كانت تبنى السفن ليركبها رجال الحملة إلى بلاد «بنت» ولكن هذه القناة التي سبقت قناة السويس الحالية ، وهي التي نسمع عنها بعد ذلك بقرون قليلة على وجه التأكيد ، يحتمل أنها كانت موجودة فعلاً في عهد «حتشبسوت» . وبعد ذلك تخبرنا النقوش أن الحملة وصلت إلى بلاد «بنت» وعلى الرغم من أن المياه التي رست عليها الحملة ليست معروفة ، فإن المناظر التي رسمت على معبد الملكة تظهر لنا أن الأشجار فيها كانت متصلة حتى شاطئ الماء مما يدل على أنها كانت بعيدة بعض الشيء عن مصب النهر ، الذي يحتمل أن يكون نهر الفيل الذي يقع بين رأس الفيل ورأس جردفوي . أما أكواخ السكان التي كانت تبنى تحت ظلال الأشجار فكانت من أشجار الدوم ، وعلى شكل خلية النحل ، وكان كل منها مقاماً على طوار عال يرتكز على أوتاد دقت في الأرض ، وكان الإنسان يصل إلى باب الكوخ بسلم وربما كان ذلك لوجود الماء في هذه

الأماكن) أما السكان فكانوا من صورهم يمثلون ثلاث سلالات مختلفة، اثنتان منها من الجنس الأسود الزنجي، أما السلالة الثالثة فكانت تنسب إلى الشعب المصري وهو الجنس السائد، وذلك لأن المصريين قد لونوا أجسام هذه السلالة باللون الذي اتخذه المصريون لأجسامهم، وهو اللون الأحمر، وهذه السلالة الأجنبية المنتسبة للجنس المصري كان أفرادها يلبسون لحية مستعارة صغيرة أسطوانية الشكل، وهي تشبه اللحية المستعارة التي يلبسها الآلهة المصريون ولكن كانت وجوههم حليقة تماماً، وكانت شعورهم ترجل على الطريقة المصرية، وكذلك كانوا يلبسون القميص المصري القصير وحسب. وكانوا يستعملون الحمار لحمل أثقالهم، وكانت تحرس أكواخهم كلاب بيض مرخية الآذان، وقد شوهدت كذلك السعادين والقردة يتسلقون فروع الأشجار ويقفزون من غصن إلى غصن، كما نجد كثيراً من الطيور ممثلة. وقد شوهد في هذه البلاد الفهود وأفراس البحر، والزرافة وغير ذلك من الحيوانات الإفريقية، ويحتمل أن أكواخ القوم قد أقيمت عالية تفادياً من هذه الحيوانات الضارية التي كانت تأوي إلى الأدغال التي كانوا يسكنونها أو اتقاء لضرر رطوبة المكان الذي أقيمت عليه.

الوصول إلى بلاد بنت: وعندما رست سفن الحملة عند الشاطئ نزل قائدها «نحسي» إلى الشاطئ أعزل، ولكن كان يتبعه حرس من الجنود يحملون الحراب (والبلط) والقوس والنشاب والدروع. وبعد ذلك أنزلت أصنافاً من السلع، واستعرضت بصفة مغرية على أخونة منخفضة. فنشاهد عليها معروضاً القلائد من الخرز والأساور والخناجر، (والبلط) والصناديق المصنوعة من الخشب، وفي الحال حضر رئيس البلاد إلى البقعة التي عرضت فيها هذه الأشياء، وقد كتب على صورته عظيم «بنت» «برحو» ولما كانت كلمة «برحو» قد تعني خط شكل اللحية فربما قد لا تكون الاسم الحقيقي الذي كان يدعى به، وقد كانت تتبعه زوجه، وهي امرأة قد بدأ الكبر يبدو على محياها، وترتدي ملابس صفراء

ولابد أنها كانت بدينة فوق العادة في شبابها، ثم نالت منها تلك السمنة المفرطة فأرخت جلدها، ونزلت في تجاعيد بعضها فوق بعض، وقد أكد المثال المصري من ساقيها القصيرتين، ومشيتها المضحكتين موضحا تمثيلها بشيء من المبالغة المضحكة، وقد كتب فوقها: زوجة «إتي»، وهنا كذلك نعرف أن كلمة «إتي» قد تعني رئيسة، لذلك لا يحتمل أن هذا هو اسمها العلم، ويلاحظ خلفها ولدان وابنة، وقد مثلوا بضخام الأجسام مثل والديهم؛ وبعد ذلك يأتي ثلاثة أتباع يقودون حمارا مسرجا، وقد كتب فوقه المثال المصري "الحمار الذي كان يحمل زوجته" (أي زوج الرئيس)، وقد كتب فوق المنظر الذي يمثل هذه المقابلة التي كانت تمثل رجال الحملة والأهالي ما يأتي: «وصول السفير الفرعوني إلى أرض الإله ومعه الجنود الذين يصاحبونه، ومقابلة رؤساء «بنت» ثم مجيء رؤساء بنت ليقدموا الطاعة برؤوس خاشعة ليستقبلوا أولئك الجنود التابعين لفرعون وقد قدموا المديح لرب الآلهة (آمون رع) ... وعندما كانوا يلتمسون الأمان قالوا: لماذا أتيتم إلى هذه الأرض التي لا يعرفها قوم (مصر)؟ هل نزلتم من مسالك السماء أم هل جئتم في ماء على سطح البحر الذي يسكنه إله البلاد؟ أم هل سلكتم سبيل إله الشمس؟ أما ما يخص ملك مصر الذي بجلالته طريق حتى يمكننا أن نذهب إليه ونعيش بالنفس الذي يمنحه».

وقد نشأت بين الطرفين علاقات ودية، وعلى ذلك ضرب القائد المصري خيامه وفيها أقام وليمة لضيفانه، وهنا تقول النقوش المصرية: "لقد نصبت خيمة السفير الملكي وجنوده في تماثيل «بنت» ذات الشذى العطر بالقرب من ساحل البحر لأجل أن يستقبلوا رؤساء هذه البلاد، وقد قدم لهم الخبز والجعة والخمر واللحم والفاكهة، وكل شيء يوجد في مصر حسب التعليمات التي أعطاها البلاط". أما الرؤساء فأحضروا معهم هدية — أكثر من الذهب، وعصي الصيد، وكومة عظيمة من راتنج (البخور) وهو الذي يقدره المصريون بدرجة عظيمة.

شحن السفن بمنتجات بلاد بنت: أما الحادث الثاني الذي سنصفه هنا فهو شحن السفن بمنتجات البلاد المختلفة مثل العاج والأبنوس والأخشاب الأخرى وجلود الفهد، والذهب، والبخور، والقردة الحية، والنسانيس، وبخاصة

أشجار البخور التي نقلت بجذورها محوطة في سلات وقدور من المنظر. والنقوش التي على هذا المنظر كالآتي:

> «شحن السفن حمولة ثقيلة جداً بالأشياء العجيبة من أرض بنت وهي كل الأخشاب الجميلة الغالية من أرض الإله، أكوام من راتنج (البخور)، وأشجار البخور الزهرة والعاج، والعاج الحق، وبالذهب الأخضر (الخام) من أرض «عامو»، وخشب القرفة، وخشب خسيت (نوع من الخشب لم يعرف أصله غير أنه ذكى الرائحة) والبلسم * (آموت) والراتنج، والكحل والنسانيس والقردة، والكلاب، وجلود الفهود الجنوبية، ومواطنين من سكان هذه البلاد وأولادهم ولم يؤت بمثل هذا لأي ملك وجد منذ الأزل».

عودة الحملة إلى مصر: وبعد ذلك عادت الحملة، وعندما رست نجد السفن المحملة وحقائب البخور مرصوصة على ظهر السفن. وأشجار البخور في قدورها مزهرة، والقردة والنسانيس تتسلق أمراس السفن وغير ذلك.

والنقش الذي يتبع هذا المنظر يقول: السياحة (إلى الوطن) والوصول بسلام: إن السياحة إلى طيبة قد قام بها بقلب فرح جنود رب الأرضين، ورؤساء هذه الأرض (بنت) خلفهم، ولقد أحضروا معهم أشياء لم يحضرها من قبل أي ملك.» وفي هذا مشاهدة رئيس «مدم» و«ألم» ورئيس «تميو» وهما قبيلتان غير معروفتين من بلاد بنت يتبعهما رجالها، وكلهم قد ركعوا أمام «حتشبسوت» مقدمين لها أهداءها. والآن نرى بصورة أكثر تفصيلاً الأنواع المختلفة الثمينة من منتجات هذه البلاد، والمخلوقات الحية التي أتى بها إلى مصر، فقد كانت تحتوى على نوعين من الثيران ونوعين من الفهود، واحد منها يظهر أنه كان أليفاً لأنه مثل وحول رقبته طوق به رسن، وزراف ونسانيس، وقردة، وأشجار بخور نامية، وأخشاب ثمينة مثل الأبنوس والعاج، والتربية التكحل بها، وحقائب من البخور، وذهب وفضة، وسام ولازورد، وفيروزج، وأصداف، وعصى صيد، وغيرها، ثم قدمت الملكة «حتشبسوت» كل هذه الأشياء إلى الإله «آمون». وتنص النقوش هنا على أنها أشرفت على وزن الراتنج والمعادن الكريمة

وكانت حلاتها تسيل بجانبها ، فوضعت أحسن المطمور على أصفاتها ، حتى أن ميرها كان كالأساس القدمية ، وانتشر عطرها حتى العطر يتنفى أرض « بنت » ، وكان جسمها مرصعا بالنسام يلمع كالنجوم في قبة السماء على مرأى من كل الأرض ، ثم فرح كل الشعب ، ودعوا إلى رب الآلهة ، وامتدحوا صفات « ساحت كارع » الإلهية لما حدث لها من معجزات عظيمة ، إذ لم يحدث مثل ذلك في عهد أي آلهة قبلها منذ الأزل .

وفي مقابل ذلك فرض آمن « آمون » أجابها بالخطاب التالي : « مرحبا يا بنتي الحلوة حبيبتي ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري « ساحت كارع » (حتشبسوت) التي تقيم آثاري الجميلة ، والتي تطهر مرتي لتسرع الآلهة الأعظم لتكون سكنا لي بمثابة ذكرى خالدة ، وإنك الملكة التي استولت على الأرضين « عنحت امون حتشبسوت » عظيمة القرابين ، وما تقدمين من قرابين الطعام طاهرة وإنك تسرين قلبي في كل الأوقات ، وإني قد منحتك كل الحياة ، والسلام مني معي ، وكل الثبات مني ، وكل الصحة مني معي ، وكل الصحة من قبلي ، وأعطيتك كل الأقطار ، وكل البلاد ليسر قلبك بها ، لأني كنت منذ زمن طويل قد صممت أن أمنحك إياها ، وسترى الأجانب عشرات الآلاف من الهبات الجميلة التي ذكرت في أقاليمها ، ولقد أعطيتك بلاد « بنت » حتى حدود أقاليم الآلهة التابعة لأرض الإله ، فإنه لم يطأ أرض مدارج البخور أحد ، والناس لم تعرفها ، بل كان يسمع بها متناقلة عن عن فم الإشاعة منذ زمن الأجداد ، على أن الأشياء العجيبة التي أتي بها منها في عهد آبائك ملوك الوجه القبلي والوجه البحري قد نقلت من يد إلى يد بالشراء ، وكذلك منذ عهد أجداد ملوك الوجه القبلي والوجه البحري الذين عاشوا في قديم الزمان ، ولقد حصلت على أن يجمع لنا جزيا ، ولم يحمل حملا إلى تلك البلاد إلا وسطاء ، ولكني سأجعل جنودك يطؤونها لأني أرشدتهم برا وبحرا ، وبتاجهم بعترف حيادي بأنه لا يمكن اختراقها ، ولقد تمكنهم بطريق إلى حافة البحور وأرض الإله التي قاعر ، وبحر حسنا سكانا سريري ، ولقد أرشدته بنفسي لتكون شعلة قلبي ولكي يجمع الخيرات العظيمة كما يرغبون ، وحملوا منها كما تشتهي قلوبهم من شجر البخور المزهرة ومن كل منتجات هذه البلاد الطيبة . أما أهل « بنت » الذين لم يعرفهم قوم مصر ، أولئك الأجانب أصحاب أرض الإله ، فإني استدعيتهم بالطيب ليقدموا لك الخضوع ، لأنك إلهة ، بما أنك من الشعير في كل بلادك ، وبين أمرائهم لأني سيدهم الحكيم « ... ... ملك « آمون رع » الخالق ، وأعطى الدنيا كلها إلى الأبدية ، وإلى الملك ساحت كارع » (حتشبسوت) ولقد أحييتها بنفسي . وإني أنا الوالد الذي يضع الخوف بين قبائل الأقواس التسع حينما يأتون في سلام إلى كل الآلهة ، ولقد جلبت البخور وجميع كل الأشياء البهية ، وكل شيء طيب من أرض الإله أرسلت جلالتك في طلبها . تماثيل ومع البخور ، والأشجار مصر تحمل عبيرا جميلا ، قد كشفت في عالم الأجداد تصل إلى رب الآلهة ، وليت جلالتك تحظى بحرق

(سيدتي) معبدي حتى أستطيع أن أتجول فيها وأبلغ أمامي الآلهة ، وأصلح أمامك كل الأشياء عطورة ، وعلى ذلك فإن السماء والأرض قد غمرتا بشذى البخور ، وسيكون هيبة الطرق البيت العظيم .

وأخيرا نجد نقشا ربما كان أهم نقوش الحملة إلى « بنت » ، لأنه يمدنا بتاريخ عودة الحملة في السنة التاسعة ، وفيه تحدثت الملكة لأعلامها عن نجاح الحملة فاستمع إليه . في السنة التاسعة عقدت جلسة في قاعة الاستقبال ظهرت فيها الملكة متوجة بتاج « آتف » على العرش العظيم المصنوع من السام في وسط أبهة قصرها ، وقد حضر الأشراف وعظماء رجال البلاط ليستمعوا إلى الخطبة ، التي كانت تلقى بمثابة تصريح للأشراف .

خطبة الملكة : إنه طرحت عقدة أمام جيوشكم على حسب ما رغب فيه والدي ، حقا لقد كانت رغبته في عمل ذلك ، لأعظم من أجيبي ، وأمرت تبجيل والدي الذي يمكن من حصول خزائنه خاصة وأقوم بما خرجه آبائي ، ومن الأجداد الملكيين ، كما فعلت الواحدة العظيمة (قدير) رب الأرض (أمون) ، وإلى أضيف زيادة على ما كان يفعل سابقا ، وإن ما يفعل الخلف بالوارث ، ما أحلى تلك التي حدثت هذه على يدي ! لأني سلكت مسلكا حسنا جدا ... وكنت أخاف على عظمة ما يجب .
[وإنه يهبه في السماء وعلى هذا العالم] . ... ، والله على الطرق حتى ما أتكلم عن أشياء عظيمة أعرفها بينكم ... ، وإنه صدر مرسوم من جلالتي بأمر عرش عظيم بأن تصل إلى البخور من « بنت » ، وأن يجتازوا مسالكها ، وأن يكتشفوا أشاعها ، وأن يفتحوا طرقها الخاصة على حسب أمر والدي آمون ... ... وقد جلبت أشجار من بلاد الإله ، وغرست في أرض مصر ... ... وقال جلالتي : إني ما جعلت حرب ما أمرتني ، لأني أصبحت لوالدي ، وصنعت ما رسمه ، وهو أن أؤسس له « بلاد بنت » في هذا المعبد ، وأن أغرس أشجار « بلاد الإله » بجانب معبده في حديقته كما أمر ، والآن وقد تم ذلك ... ... فقد أمكنت له « بلاد بنت » في هذه الحديقة كما أمرني في « طيبة » وهي حديقة واسعة الفناء لأجله ويتنزه فيها . (بهذه جملة النقش مطورة) .

وتدل الكشوف الحديثة على أن الأشجار العطرية التي أتي بها من « بلاد بنت » قد غرست فعلا في حفر نقرت في الصخر أمام المعبد ، وملئت بالطين الخصب ، أو وضعت في جفان على مدرجات المعبد وقد عثر على هذه الحفر الحفارون المحدثون في الردهة التي أمام المعبد ، وقد وجد أن بعضها كان لا يزال

مغروسة فيه جذوع هذه الأشجار الجافة ، غير أن هذه الأشجار تظهر أنها شجر اللبخ أو (بِرْسا) [1] .

ولا نزاع في أن مناظر هـذه الحملة تحتوى على تفاصيل كثيرة جديرة بالاهتمام من الوجهـة الفنية والعلمية والاجتماعية لمن أراد درس الجهات التي تشير إليها ، وهي تلك البلاد الواقعة على ساحل البحر الأحمـر ، وتشمل الصومال حتى خليج عدن ، وما يقابلها من الجهة الأخرى . ومما يلفت النظر ملامح أهـل « بنت » التي أحكم المثال إبرازها ، وهي تشبه كثيرا المصريين الذين نشاهدهم في رسوم الدولة القديمة وكذلك شكل اللحية ، التي تشبه لحية الآلهة المصريين . ومما يلفت النظر بنوع خاص أنواع السمك التي نشاهدها مصورة تحت السفن ، وهي في الحقيقـة ليست من نسج خيـال الفنان ، بل فحصت ووجد أن كل نوع منها قـد وجد له نظـيره في سمك البحر الأحمر ممـا يدل على قوة ملاحظة المصري القـديم في إخراج صورة طبق الأصل . وهذا السـمك إما أن يكون قد أحضر الفنان المصري بخاصة ، وإما أن يكون بعض رجال الفن قد صحبوا الحملة ، وهذا الرأي الأخير هو المعقول . وكذلك نلاحظ طائفة أخرى من التفاصيل في الملابس الحربيـة التي كان الجنود المصريون يرتدونها ، والأعلام التي كانوا يحملونها ، هذا إلى صور في قوارب مقدسة ، (ربط) وأقواس ، وعصي رماية ، وطبول يدق عليها من كلا الجانبين ؛ كل هذه الأشياء قد مثلت في أشكال واضحة . والواقع أن النقوش التي حفظت ذكرى هـذه الحمـلة العظيمة ، تعد فذة وأقدم صور نشرت لأي رحلة كشفية عرفها العـالم ، وهي جديرة بذلك البناء الفخم الذي زينته . ولكن السير « فلندرز بتري » قد نقدها بأنها جامـدة لا روح فيها ينقصها قوة التعبير . ولا نزاع في أنهـا تنقصها تلك القوة والدقة المدهشة التي يحسها الفنان في صوره عند ما يكون ملما بأصـول التشريح .

---

(1) راجع : Naville, "Un dernier mot sur la Succession des Thoutmes", A. Z. XXXVII, P. 52.

وعلى ما شاهده فى نقوش الدولة القديمة عندما يسمو الفن بالفنان إلى أعلى مراتبه فى ذلك العصر السحيق ، ولكن إذا نظرنا إلى نقوش الرحلة باعتبارها أجزاء من تصميم وزخرفة عامة عملت على نطاق واسع ، فإنها تسد الجهة نجاحا باهرا ، ومن المحتمل أنه لو وضعت فيها تفاصيل أكثر لكانت أقل تأثيرا فى النفس فى هذه الأحوال .

وصف معبد الدير البحرى : على أن السير «فلندرز بترى» عند ما تحدث عن تأثير المعبد برمته مدح هذا البناء العظيم بكلمات تستقل على وجه عام أكبر دليل على مهارة المصرى فى فن البناء والذوق السليم لما تفتح إليه : « فليس أى نوع آخر من البناء هناك فإنه لن يكون بجانبه إلا دخيلا مرذولا ، وذلك لأن خطوط المدرجات والسقف المنبسطة الطويلة ، والظلال العمودية ، التى ترسلها قاعات العمد تنسجم انسجاما تاما مع طبيعة المكان الذى يحيط بها » .

وقد وصف مستر « برت هشتر »(1) معبد الدير البحرى على ما هو عليه الآن وصفا دقيقا فقال : « إن معبد الدير البحرى يشبه حسناء رقيقة ، قد تعطرت وتزينت ، يلفها رداء جمع بين الأبيض والأزرق والبرتقالى ، وقد وقفت رافعة هامتها المتدللة بجمالها ، ومستندة إلى جبل يجمع بين اللون البرتقالى والقرنفلى والأحمر والأسمر والقاتم مما جعلها فاتنة الجبل المبتسمة » . وقد يكون هذا الوصف مطابقا لبعض الواقع ، وإن « سنموت » قد صمم بناءه ، ولكن مما لا نزاع فيه أنه كان يترجم عن إلهام امرأة بما أقام من حجر وجص .

مقبرة حتشبسوت وعلاقتها بمعبد الدير البحرى : أما نحت قبر جديد للملكة « حتشبسوت » ووالدها فقد عهد أمره إلى « حبوسنب » ، وقد حفر خلف جدار الصخرة العظيمة الواقعة وراء المعبد نفقا طويلا فى الجانب الشرقى من « وادى الملوك » حيث كان القبر ، وقد كان غرض الملكة أن تكون حجرة

(1) راجع : Baikie, "A History of Egypt", Vol. II, P. 74.

دفنها تحت محراب معبدها في الدير ، وهي تقصد من وراء ذلك أن تعقد شعائرها الدينية الخاصة بروحها (كا) في معبدها الذي أقامته لذلك ، على أن تقام هذه الشعائر في محراب المعبد الذي حفرت تحته مباشرة حجرة الدفن ، وبذلك يمكن لروحها أو ترتقيا أن تصعد من الصخرة الصماء لتستقبل الشمس المشرقة كل يوم وترحب بها على ردهات المعبد . ويبلغ طول النفق الذي يؤدي إلى حجرة الدفن هذه حوالى سبعمائة قدم وعمقه عموديا يبلغ ثلاثمائة قدم ، وهو منحرف نحو اليمين ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى عيب في الصخر ، مما جعل العمال ينحرفون عن الاتجاه المستقيم . وحجرة الدفن التي وضع فيها تابوت الملكة قد كسيت جدرانها الخشنة بقطع من الحجر الجيري الأبيض ، عليها متون دينية . أما التابوت الذي كان فيه جثمان « حتشبسوت » المصنوع من الحجر الرملي (كوارتسيت) .

نقل مومية تحتمس الأول والدها إلى قبرها : وكذلك وضعت الملكة تابوتا آخر لمومية والدها « تحتمس الأول » الذي نقلته من مدفنه الأصلي ودفنته ثانية بجوارها ، ولقد حقق هذا الزعم وجود بعض قطع من جهازه الجنازي ، في مدفنها الأصلي[1] إذ عثر على إناء كبير من المرمر باسمها ، غير أنها كانت تلقب هنا بالزوجة الملكية « حتشبسوت » وهذا اللقب كانت تنادى به في عهد زوجها « تحتمس الثاني » في الوقت الذي كان فيه « تحتمس الأول » قد دفن ، وقد نبذت هذا اللقب ونعتت بأسماء الملك عندما تمت هذا القبر لها . وكذلك وجد إناء منقوش عليه اسم « تحتمس الأول » واسم زوج والده « أحمس نفرتاري » وآخر كتب عليه اسم « تحتمس الأول » واسم ولده « تحتمس الثاني » الذي قدمه له ، وكل الأواني لا يحتمل أن تكون ضمن أثاث الملكة الجنازي .

---

(١) راجع : Davis, "Excavations at Biban el Moluk". The Tomb of Hatshepsut, P. 106.

وعدد المقالات في الصدد لوالدها قد جعلها تعد تلك الخطوة النادرة وهي نقل جثمان والدها إلى القبر الذي أعدته لنفسها، وبذلك ما أحفظ «تحتمس الثالث» بعد عمله ذلك العمل إحدى الإهانات المتكررة التي كانت تنهال عليه في خلال تلك الفترة، لأن ذلك يجعل والده «تحتمس الثاني» أمام القوم مغتصبا، وأن «حتشبسوت» قصدت أن تتجاهل ذكراه وربط حكمها بحكم والدها «تحتمس الأول» دون فاصل، وجعل إقامة شعائرها وشعائر والدها واحدة . ثم رأت الملكة فضلا عن اقتسام قبرها مع والدها أن تصيب مقصورة في معبدها الجنازي بالدير البحري قد أهدتها إلى روح والدها «تحتمس الأول» وإلى روح والدته «سنسنب» التي كانت تمت جدتها . على أنها لم تقم بعمل شيء مثل هذا «لتحتمس الثاني» بل كان اسمه لا يكاد يذكر في كل نقوش المعبد، وإن كان «تحتمس الثالث» بدوره لم يذكر اسمه إلا نادرا . وقد تغالت «حتشبسوت» في إظهار والدها على مباني المعبد لدرجة أنها رسمت صورته مؤكدة في النقوش التي على الجدران حتى يكون ظاهرا يراه كل الناس، ويشعرون بأنه مرتبط بها روحيا (١).

أما القبر الأول الذي كانت قد حفرته «حتشبسوت» في وجه صخرة تقع في واد عميق، فقد هجر وبقي فيه تابوتها الجميل إلى أن كشف عنه «كارتر» في عام ١٩١٦، ولما ازداد خطر لصوص القبور في العهد المتأخر اضطر الكهنة إلى نقل المومياءات من توابيتها ووضعها مع جماعة الملوك الذين خبئت جثثهم في مقبرة الملكة «انحابي» التي لم يكن قد تم حفرها في الدير البحري، وهناك بقيت جثة الملكة هادئة في مضجعها مدة تربى على ألفين وخمسمائة سنة على مقربة من المعبد الذي كان يوما موضوع فخارها . وعندما نقل «إميل بركش» المومياءات الملكية من خبيئتها في عام ١٨٨١ بعد الميلاد عرفت مومية «تحتمس الأول» في الحال، أما جثة «حتشبسوت» فلم يعرف لها أثر قط على أنه من المحتمل جدا أن تكون

(١) راجع Weigall, "History", II, P 321

إحدى المومياوات العدة التي لم تعرف شخصيتها بعد في هذه المجموعة الغريبة . والآن لا يمكن لمخلوق أن يقول إن هذه هي جثة « حتشبسوت » بعينها من بين هاتيك الجثث التي لم تحقق ، وربما سرها ذلك أكثر من أن تترك معروضة للمتفرجين كما كانت الحال إلى زمن غير بعيد ، عندما كانت مومياوات بعض أعاظم ملوك التاريخ المصري معروضة للنظارة تشاهد هي والآثار التي خلفوها على حد سواء .

وقد كان قبرها المنحوت لا يزال مفتوحاً في عهد « سترابون » عام ٢٤ ق . م ، وكذلك فتح جزئياً في عهد حملة « نابليون » سنة ١٧٩٩ ، وقد قام ببعض العمل فيه « لبسيوس » سنة ١٨٤٤ غير أنه لم يعرف في كلتا الحالتين بأنه قبر « حتشبسوت » وأخيراً كشف عنه « دافيز » سنة ١٩٠٣ ، وأتم العمل الذي بدأه « دافيز » المستر « كارتر » . وقد وجد القبر منهوباً نهباً تاماً ، وكان أهم ما وجد فيه التابوتان المصنوعان من حجر « الكوارتسيت » وهما اللذان كانا يضمان جسمي « تحتمس الأول » و « حتشبسوت » .

على أنه في الوقت الذي كان منكباً فيه « حبوسنب » في نحت مقبرة الملكة كما أشرنا إلى ذلك كان « سنموت » موجهاً عنايته بوجه خاص إلى إتمام المعبد كما ذكرنا عن ذلك مرحلة .

وتدل المناظر التي قام بها « ونات » على أن تصميم المعبد الأصلي قد زيد فيه ولم يتم بناؤه إلا في العام السادس عشر من حكم الملكة أي حوالي عام ١٤٨٥ ق.م[1] ، وفي الوقت نفسه كان نشاط « سنموت » رئيس الأعمال الملكية كلها قد ظهر في معظم بقاع الوجه القبلي ومصر الوسطى مما سنفصل فيه القول ، وبخاصة المسلات العظيمة التي أقامها تخليداً لذكرى هذه الملكة العظيمة في الكرنك .

حتشبسوت تقيم مسلات : وقد ذكرنا من قبل أنه في عهد « تحتمس الثاني » أحضرت مسلتان لإقامتهما احتفالاً بعيد الملكة الثلاثيني وهذا العيد كان

(١) راجع : Winlock. "Dier el Bahari", P 140

لأول خطوة حاولت بها أن تعلن نفسها ملكة على البلاد ، وقد تركت هاتان المسلتان دون أن ينقش عليهما كلمة واحدة ، ولكنها بعد هذا الحادث بثلاث عشرة سنة كان في مقدورها أن تنقشهما كما أرادت . فحفرت على جوانبهما الأربع اسمها الجديد وألقابها ، وذكرت أن المسلتين قد أقامتهما احتفالا بعيدها الأول الثلاثيني ، وتذكارا لوالدها « تحتمس الأول » والإله « آمون » .

وعلى قاعدة إحدى هاتين المسلتين نقشت متنا هاما يدل على مدح نفسها ، ثم ذكرت فيه أن هذين الأثرين قد قطعا من أحسن أنواع جرانيت الجنوب ، وأن قمتهما كانت من السام الذي يمكن مشاهدته من كلا جانبي النيل ، عندما تسطع عليهما أشعة الشمس حين شروقها ، وكذلك تحدثنا كيف أنها لم تذق طعم النوم ليلا لتفكيرها في معبد « آمون » هذا ، وذلك لأنها أبصرت أن الكرنك كان موطن الإله ، والموضع الذي يميل إليه قلبه ، وكيف أنها حين جالسة ذات يوم في قصرها قد تذكرت أن « آمون » هو الذي برأها ، وأنها قد أقامت هاتين المسلتين له ، فتقول :

أنتم يا أيها الناس ، يا من سترون آثاري هذه في السنين المقبلة ، يجب أن تحذروا مما فعلت ، واحذروا أن تقولوا : لا نعلم لماذا عمل هذا وأقيم جبلا صنع كله من الذهب كأنه شيء عادي قد حدث ، وإني أحلف بقدر ما يحبني إله الشمس ، وبقدر ما يحبني أبي « آمون » ، وبقدر ما يملأ أنفي بالحياة القوة ، وإني أحمل تاج الوجه القبلي الأبيض ، وبظهوري بتاج الوجه البحري الأحمر ، وبما ضم لي الإلهان « حور وست » من نصيبهما في مصر ، وبما أحكم من أرض مصر مثل (حور) ابن « إزيس » ، وبما صيرتني قوية مثل « أوزير » ابن الإله ، وبمثل ما يغيب إله الشمس في سفينة المساء ، ويشرق في سفينة النهار ، وبقدر ما ينضم إلى « أمه » و « شقيقه » ، وبأنه في السفينة المقدسة ، وبقدر ما يبقى السماء ، وبما صنعه إله الشمس باق ، وبخلودي في الأبدية مثل النجوم التي لا تغيب ، وبخلودي وبقائي دون [illegible] مثل « آتوم » (الشمس الغربية) ؛ بهذا أحلف أن هاتين المسلتين اللتين أقامتهما جلالتي من السام ، لوالدي « آمون » حتى يصير اسمي خالدا باقيا في هذا المعبد أبد الآبدين . وإني أحلف أن كل واحدة منهما قد صنعت من قطعة واحدة من الجرانيت الصلب دون شدخ أو وصلة ، وأن جلالتي هي التي أمرت بعملهما ، وقد بدأ ذلك من السنة الخامسة عشرة اليوم الأول من الشهر الثاني من الفصل الثاني ، وانتهى العمل في المحاجر فيما استغرق سبعة أشهر »

والآن يتساءل الإنسان ما الداعي لهذا اليمين المغلظ التي عقدته لنا حتشبسوت في أقوال شتى مما تعهد بها الأيمان العظيمة . هل عقدت هـذا اليمين لتؤكد لنا أن كلا من المسلتين كانت قطعة واحدة ، وأن قطعهما لم يستغرق من الوقت أكثر من سبعة أشهر معدودات ؟ إن هذا ليس بالأمر المستغرب لأنه قد حسب أنه في مثل هذا الوقت يمكن إنجاز مثل هـذا العمل[1] . ولكن شواهد الأحوال تنبىء بأن الملكة إنما أغلظت أيمانها لتدلل على أنها لم تغتصبهما بل أمرت « حتشبسوت » نفسها بصنعهما ، وكذلك أرادت « حتشبسوت » أن تفهم العالم بأنها كانت صاحبة الأمر والنهي في السنة التي أمرت بقطع المسلتين فيها ، ولذلك احتفلت بعيدها الثلاثيني الذي من أجله قطعت المسلتين مبرهنة بهذا العمل على أنها كانت خلف « تحتمس » الأول على العرش ، وقد أثبتنا فيما سبق أن المسلتين لم تقتلعا إلا بعد أن أصبحت هي المالكة المطلقة على البلاد ، ولكنهما كانا قد أقيما في عهد « تحتمس الثاني » ، وعلى ذلك يكون قد مضى نحو خمس عشرة سنة بين صنعهما وتنصيبهما أي أنها في كل ذلك كانت تريد أن تثبت أنهما قد أقيمتا أولا بأمر من « حتشبسوت » نفسها لا بأمر من « تحتمس الثاني » ومن ثم كان حلفها هذا اليمين المغلظ على صدق ما ادعته .

وبعد ذلك تستمر الملكة في قولها عن المسلتين : « اسمعوا أنتم يا أيها الناس ! لقد أحدثت هاتين المسلتين لأبي « آمون » ... وقد كسيتا بالذهب (من ... خمس ثرات) كأنه ... (؟) ، ... جلالتي ... من قبل أكثر ... ، ... أملاك الذين يجهلون ... على ... ، ولا ... ذلك ... الذي ... في ... يقول : ما أشبه ذلك بها (أي الملكة) إنها ... ، ... وأنه هو الذي ... على الأرض السوداء والأرض الحمراء ... ، وليس لي ... أي ... ، فكل البلاد خاضعة لي ... وقد ... في ... (...) ... لأنه ... (ثانية) . ... وهو الذي ...

---

(١) راجع : Engelbach, "The Problem of the Obelisks", P 48

من مائى ... وهو الذى أوجد ظلكى ، والأرض السوداء والأرض الحمراء قد أصبحتا تحت قدمى وحدودى الجنوبية تمتد حتى بلاد « بنت » ، وحدودى الشرقية تمتد إلى مستنقعات آسيا ، والأسيويون فى قبضتى ، وحدودى الغربية ممتدة جداً حتى جبال « مانو » (جبل تراق تغيب وراءه الشمس) وحدودى الشمالية قد وصلت ... وتعترف بى كل رمال البحر »[1] .

الملكة تقيم مسلتين بمعبد الكرنك : وتدل الآثار على أن الملكة « حتشبسوت » قد أقامت مسلتين أخريين فى معبد الكرنك ، غير أن موقعهما بالضبط لم يعلم للآن ، ولم يبق منهما إلا قطعة واحدة محفوظة الآن « بمتحف القاهرة »[2] والظاهر أن « حتشبسوت » قد أقامتهما احتفالا « بعيد سد » (العيد الثلاثينى) الثانى . هذا مع العلم أن المدة التى كانت تنقضى بين الاحتفال بهذا العيد والذى يليه لا تحدد عادة بثلاثين سنة بل كان ذلك العيد يقام حسب هوى الفرعون الحاكم وما تقتضيه الأحوال . وليس فى مقدورنا الآن أن نحدد المدة التى انقضت بين الاحتفال بعيدها الأول وعيدها الثانى . وقد ترك لنا على نقوش الرواق الأسفل من معبد الدير البحرى منظر نقل مسلتين وإهدائهما . فنشاهد فى النقوش سفن النقل ممثلة ملأى دافعة نحو الشمال كأنها منحدرة فى النيل من أسوان حيث قطعت المسلتان ، ثم نجد بعد ذلك فى الجهة الشمالية من الجدار الإهداء فى « طيبة » . ويحدثنا المتن الخاص بهاتين المسلتين بألقاب الملكة ومدائح فيها ، ثم الأمر بجمع المواد لبناء السفن اللازمة لنقلهما ، ويلى هذا أمر بإعداد الرجال والجنود للنقل ، وأخيراً نقل المسلتين ، وقد هشم جزء كبير من هذه النقوش ، فبعد ذكر ألقاب الملكة نجدها توصف بأنها هى هذا الجزء الناضر من والدها « آمون رع » رب السماء ، التى لم تنفصل بعيداً عن والد رب كل الآلهة ، والصورة البيضاء مثل إله الأفق ، والطلعة الشمس التى تمنح النور مثل

---

(١) راجع : Breasted, A. R., II. § 304 – 321.

(٢) راجع : Ibid § 304.

للشمس ، والتي تملأ قلوب الأهلين ، ومن شهرتها قد اشتقت المائدة العظمى (الأرض) ثم يلي ذلك بعض جمل غير متصلة تهشم المتن نقرأ فيها ما يشير إلى سفن كبيرة جداً لنقل المسلتين من محاجر « أسوان » إلى « معبد الكرنك » ثم ما يشير إلى جمع كل الجيش لشحن المسلتين عند « الفنتين » وتجنيد الشباب من كل الأرضين قاطبة . هذا بالإضافة إلى مناظر مصورة نشاهد فيها المسلتين موضوعتين على هذه السفن التي كانت تجر إلى أسفل النهر بسبعة وعشرين قارباً تسير بالمجاديف . وهذه القوارب كانت مرتبة في ثلاثة صفوف كل منها يقوده قارب رئيسي ، في حين أن قوارب أخرى مرافقة السابقة كان فيها كهنة يرتلون الصلوات ، ويحرقون البخور ، رجاء نجاح المشروع ، والنقوش التي على هذا المنظر تتحدث عن « السياحة شمالا مع التيار بقلب مرح » وتشير إلى عيد الملكة الثلاثيني ، ثم نقرأ من وصول السفن بنجاح عند « طيبة » المظفرة ، في حين أن السماء تبتهج والأرض في عيد » ونشاهد على الشاطئ عند الكرنك جنوداً يحملون أغصان الأشجار احتفالا بهذه المناسبة ، كما نشاهد فرقة من الرماة يتقدمهم حامل بوق ، كما نشاهد الكهنة والجزارين يعدون الضحايا والجنود والضباط مسرعين ذهاباً وإياباً ، وهنا يقول المتن عند ذلك « فرح عمارة سفن الملكة ويصيحون : استمروا إلى الصباح ! إن في السماء عيداً ، وإن في الأرض فرحاً ، لأن « آمون » قد زاد في مدة حكم ابنته التي أقامت هذه الآثار فجلس على عرش « حور » الأحياء مثل والده الشمس أبدياً . وهنالك صيحات من مجندي الجنوب والشمال ، ومن شباب طيبة ، ومن شبان « خنتنفر » (النوبة) بحياة وفلاح وصحة ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري منخبررع (تحتمس الثالث) حتى تكون قلوبهم فرحة مثل والده الشمس أبدياً » . ونلاحظ أنه قد نقش فوق ضحايا القربان ما يأتي قربان لروح والد رب الآلهة لأجل أن تمنح « ماعت كارع » الصحة في هذا العيد الثلاثيني للابن السعيد »

ومما يلفت النظر هنا أن الجماهير كانت تحيي « تحتمس الثالث » كما كانت تحيي « حتشبسوت » ومن ذلك يتضح جلياً أن « حتشبسوت » على الرغم من قبضها على كل السلطة في يدها وأنها كانت الحاكمة المطلقة اسماً وفعلاً فإنها كانت

مضطرة إلى أن تعترف ولو شكلاً بأن «تحتمس الثالث» كان شريكاً لها في الملك، على أن هذا ليس بالمثال الوحيد الذي لدينا من هذا النوع من ذكر «تحتمس الثالث» بصفة ثانوية مع «حتشبسوت»، إذ لدينا مثل آخر وهو لوحة دوّن عليها إصلاح قلعة الجبانة في «طيبة»، نجد فيها أن الملكة قد ذكرت ألقابها وأسماءها، ثم تحدثت عن العمل الذي قامت به هي في هذه القلعة هبة منها لوالدها «آمون»، وكل ما فعلته لتحتمس الثالث هو أنها سمحت بأن تمثل صورته على أعلى اللوحة، واقفاً وراء صورتها في استكانة وذلة، واسمه لم يذكر قط في إهداء هذه اللوحة[1]، وهكذا كانت «حتشبسوت» من وقت لآخر تسمح بنقش اسمه أو صورته على جدران المعبد؛ ولكن وجوده لم يكن يحس، إذ كان يرسم خلفها، ولا بد من أن هذه الأعمال كانت تحز في نفسه، وجعلته يتقد غيظاً منها، ومن أولئك النفر الذين كانوا عوناً لها على إثبات تلك الأعمال التي كانت تتنافى مع التقاليد والحق معاً، ولذلك كان أول ما قام به بعد انقضاء تلك الغمة المطموسة التنكيل بأولئك الذين ساعدوا على إقصائه عن عرش ملكه الشرعي كما سنرى بعد.

وفضلاً عن الصلات التي أقامها «سنموت» لسيدته يلحظ علينا ما قام به في معبد «الأقصر» وفي معبد الإله «آمون» حيث وجد له تمثال هناك؛ وفي «أرمنت» حيث وضع أساس معبد، وعمل مقصورة العجل المقدس للإله «منتو»[2].

«سنموت» يقيم لنفسه مقبرة في جبانة «شيخ عبد القرنة»:

على أنه لم ينس نفسه في هذا الوقت بل كان قد أصبح رجلاً موسراً، ولا أدل على ذلك من أنه أقام لنفسه قبراً فخماً يشعر بثراء صاحبه، وكثرة ماله، فقد أقامه في جبانة «شيخ عبد القرنة» التي تقع على تل عال. وفي هذه المقبرة عثر «إتامى»

(١) راجع Piehl, "Inscriptions Hieroglyphiques Recueilles en Europe et én Egypte", P. 129.

(٢) راجع Winlock, "Excavations at Dier el Bahri", P. 149.

عن تمثال له من الجرانيت تمثل فيه وهو ممسك بالطفلة « نفرورع » . والتمثال موجود الآن بمتحف « برلين » ومن المدهش أنه كشف في نفس المقبرة عن تمثالين مثل الأول ، وهما الآن بالمتحف البريطاني ، وفي هذا القبر كذلك وجد « لبسيوس » لوحة من حجر « الكوارتسيت » تشبه في رسومها وصناعتها اللوحة التي عثر عليها « وفك » وبالقرب من هذا المكان أيضا رأى « دبهر » قطعا من تابوت من « الكوارتسيت » عليها اسم « سنموت » ، وقد ذكر على كل تماثيل « سنموت » التي وجدت في قبره أنها هدية ملكية ، وكذلك التمثال الذي وجد في معبد الإلهة « موت » والمرجح أنه وجد في « الكرنك » وهو الآن بمتحف « شيكاجو » وقد أهدته الملكة هذين التمثالين أيضا ، ولكن من الطبيعي أن الرجل الذي كان في يده كل الأعمال الملكية كان من السهل عليه أن يحصل لنفسه على بعض ما أنتجته تلك المصانع الملكية .

ولعمر الحق أنه كان كل ما يريد « سنموت » أن يظهر به من مظاهر العظمة والأبهة والفخار في أعين الشعب قد عرضه على هذه التماثيل ليكون إعلانا قائما أمام أهل جيله ، وخلفا له عند الأجيال المتعاقبة ، ويمكننا أن نضع أمام القارئ صورة عن تقدير «سنموت» لنفسه من مجموعة تماثيله ومن النقوش الأخرى المختلفة كما يأتي يتحدث عن نفسه ، فيقول :

[لقد كنت أعظم العظماء في كل الأرض، وكنت أمين أسرار الملك في كل أماكنه، وراعيا مقاما على يمين الملك ، مأمون الخطا أعطيت حق الاستماع مفضلا ، محبا للصدق ، لا أظهر تحيزا ، ورجلا ينصت القضاة إليه ، ومحتمي الجلالة يمينيا ، ولقد كنت إنسانا يحبه السيد على ما يحدث له ، ومن يشرح سيده الأرضي بنصيحته ، ومن قبله أرضى قلب الزوجة المقدسة به تماما . وكنت خيرا يجري إليه لأني كنت أنفذ كلمات الملك الرئيس . وكنت إنسانا تعرف خطواته في القصر ، ورئيس الملك المخلص ، أدخل محبوبا وأخرج محظوظا ، أدخل السرور على قلب الفرعون كل يوم . وكنت تابعا الملك ، مقربا للإله ، لا عار على أمام الشعب ، وكنت إنسانا منح الحساب حتى أستطيع إدارة النيل ، وأسندت إلى شئون الأرضين ، وما يجئ من الجنوب والشمال كان تحت تصرفي ، وأعمال كل الممالك تحت إشرافي ، وعلاوة على ذلك أني كنت أطلع على كتب الكهنة ، ولم يوجد شيء منذ الأزل كنت أجهله .

مكانة سنموت فى التاريخ — ولا نزاع فى أن معظم هذه الجمل الفاخرة التى عدد المحرية ليست إلا صيغا محفوظة لإطراء النفس قد استعملها أفراد كثيرون قبل « سنموت » من عظماء القوم منذ أزمان سحيقة ، غير أنها فى حالة بطلنا هنا لم تكن كلها مبالغا فيها ، وأن « سنموت » كان حقيقة شخصية من أعظم العظماء فى البلاد قاطبة ، ولا أدل على ذلك مما وجد مدونا على قطعة من الفخار عثر عليها الأستاذ « ونلك » فقد خط عليها كاتب بالمداد الأسود حسابا يشمل تسعة الأشهر الأولى من سنة ما من هذا العهد ، فقيد سوى ما خص الفرعون منها ويبلغ عددها أربع عشرة ، وما خص ضياع الملكة خمس عشرة ، وما خص بيت المال تسع عشرة ، وما خص « سنموت » تسع عشرة فى هذا المتن ذكرت السلطات الأربع فى البلاد فلم يذكر من بينها بالاسم المفرد إلا « سنموت » أى أن هذا الكاتب كان يعتبر « تحتمس » و « حتشبسوت » والمالية مجرد مؤسسات . أما « سنموت » فكان لا يحتاج إلى لقب يحصر لنا مركزه أو من هو .

أما مقدار ما يشعر به « سنموت » من الانتفاخ والجرأة فى الرفع من شأن نفسه ما يشاهد من وضعه صورة له خلف كل باب من أبواب معبد الدير البحرى ، وذلك أن معبد الملكة « حتشبسوت » كان ذا ردهات عظيمة تؤدى إلى مقاصير عدة ، ولذلك كان له نحو عشرين حجرة صغيرة أو يزيد لحفظ أدوات العبادة ، وقد كان لكل من هذه المقاصير والخزانات باب خشبى يفتح إلى الداخل ، وعند ما يقام احتفال كان الكهنة يفتحون الأبواب ، ويقومون بأداء الشعيرة ، ثم يغلق الباب فيختم كرة أخرى . ولم يكن بهذه الكيفية أن يوجد فرد فى المقصورة والباب مغلق عليه ، وعلى ذلك لم يكن فى استطاعة إنسان أن يرى ما كان مخبأ على الجدار الواقع خلف الباب عند ما يكون مفتوحا ، وقد استفاد « سنموت » من هذا الوضع فأمر برسم صورته وهو يتعبد أمام الآلهة ، وقد كلف نقاشا أن يحفر هذه الصور ويخفيها فى الجدران خلف باب كل مقصورة أو خزانة فى المعبد ، وقد نحت كل منها

بجانب المقام على أن يحمل الصورة تجيء يمينا أو شمالا لتكون دائما مواجهة المذبح ، وقد كتب أمام كل صورة صيغة الدعاء التى يتلو ويتبعه باسم «سنموت» . والواقع أن هذا العمل كان يعد جرأة منقطعة القرين، إذ أن ذلك من حق الملوك وحدهم، فهم الذين كانوا يصورون فى محراب المعبد مخاطبة الآلهة، ولم يكن لأحد من الشعب أن يرسم فى مثل هذه الأحوال إلا إذا كان نائبا للفرعون وحسب، وفى هذه الحالة كان يرسم بصورة صغيرة جدا بالنسبة للفرعون، والواقع أن «سنموت» كان ضمن عصابة سياسية مجرمة ترمى نحو الملك، وأعنى بها عصابة الملكة «حتشبسوت». ولكن على أن «حتشبسوت» قد اختفت من مسرح الحياة قبل إتمام المعبد ، وأن كل عصابتها قد انتقم منهم «تحتمس الثالث» ولا بد من أنه فى هذه الفترة قد أفشى أحد أعداء «سنموت» سر وضع «سنموت» صوره هذه فى هذا الوضع الشاذ ، ولذلك فإننا كما نلاحظها الآن قد هشمت تهشيما مريعا لانتهاكه حرمة المعبد بفعلته هذه، وكذلك لتشيعه السياسى، ومع ذلك فإن الذين كلفوا بهذا التهشيم قد أخطأهم حسابهم فتركوا بعضها، وبخاصة فى الخزانات الصغيرة التى كان لا ينفذ النور إليها، ويمكن الإنسان أن يرى الآن منقوشا أمام صور «سنموت» ما يأتى : « تقديم المديح للإلهة «حتحور» » وأمام صورة أخرى نقرأ : تقديم المديح لآمون لأجل حياة وسعادة وصحة «حتشبسوت» من مدير البيت «سنموت» [1] . على أن «سنموت» قد ذهب فى غلوائه إلى أكثر من ذلك، إذ كشف الأستاذ «ونلك» حديثا عن قبر جديد له كان القصد منه أن يكون على غرار مقبرة «حتشبسوت» ولذلك حفر عقمه وحجرة دفنه تحت معبد الدير البحرى مباشرة . وفى سقف حجرة الدفن المزينة بالنقوش التى أثبتها «سنموت» لنفسه هنا أمر بأن ينقش بحروف جميلة منمقة ما يأتى : عاش «حور» طويلا، صاحب الأرواح القوية، محبوب الإلهين، الصقر الذهبى، صور التيجان صاحب الأكاليل المقدسة، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «ماعت كارع» محبوب «آمون» الملثم، وحامل العالم، مدير البيت «آمون» «سنموت» الذى أنجبه «رع مس»

(1) Winlock, ibid, p. 105

والذي وضعت « حات شبسوت » وهكذا نجد في هذه العبارة اسم « سنموت » قد كتب بدون فاصل أو حلية إيضاحية ، مما يجعلنا نشعر أنه قد ربط اسمه باسم « حتشبسوت » . ولا شك في أن أي فرد من شيعة « تحتمس الثالث » كان يحنق على ذلك النص ما يطيب النفس ، وربما تملكته عداوة الأحزاب وحب الانتقام كلما وجد إلى ذلك سبيلاً ، ولو في أتفه الأشياء وأحقرها . وفي هذا النقش يشعر الإنسان أن « سنموت » كان يمهد السبيل للاشتراك مع « حتشبسوت » في الملك .

مبانيها الدينية خارج طيبة

ومن المحتمل أن « سنموت » في أواخر أيامه قد كلفته الملكة إصلاح المعابد وبخاصة ما بقي عفوا منها منذ عهد الهكسوس ، وكذلك بإقامة بعض المباني خارج طيبة .

معبد الإله « بخت » : وقد كان من أهم هذه المباني الدينية المعبدان اللذان حفرا في الصخر على مقربة من « بني حسن » وقد أهدى كل منهما للإلهة « بخت » التي تمثل في صورة لبؤة .

المعبد الذي أقامته حتشبسوت في المكان المعروف ببطن البقرة : غير أن أحدهما قد أقامته بالاشتراك مع أخيها في أوائل حكمهما المشترك ، وهو الذي يسمى عند العامة « بطن البقرة » وهو معبد صغير كشف عنه « الدكتور أحمد فخري » ويقع على مسيرة خمس عشرة دقيقة من معبدها الكبير « سبيوس أرتميدوس » وقد لخص الدكتور أحمد فخري ما جاء في نقوش هذا المحراب عما يأتي : يوجد في نفس الوادي الذي أقيم فيه معبد « سبيوس أرتميدوس » (أي كهف أرتميدوس) كهف آخر يحسب نحته للملكة « حتشبسوت » والفرعون « تحتمس الثالث » ويدعى باسم « حت من » والوادي يسمى « ست » وقد كان مقدسا للإلهة « بخت » ويشاهد على جدران واجهة الصخرة حول الكهف وعلى الجدران « حتشبسوت » التي محيت صورها واسمها ، والفرعون « تحتمس الثالث » يقربان

للإلهة « بخت » والإله « خنوم » سيد حرور (الشيخ عبادة) وإلى حتحور سيدة نفروس (المصورة) وإلى الإله « حور اختى » وقد تركت صورة الأميرة « نفرو رع » التي شاهدتها تتبع والدتها دون أن يلحقها أذى ، ووجد اسمها في طغراء مسبوقاً بلقبين لها ، ثانيهما لم نعرف به من قبل على الآثار التي كشفت لها حتى الآن وهو لقب « يد الإله » وهو في الواقع يشبه لقب الزوجة المقدسة الذي كان يعد من ألقابها ، وفي عهد « سيتي » الأول أصلحت الصور والطغراءات الملكية التي كانت قد محيت من كهف « أرتيميدوس » الكبير ، أما في هـذا المعبد الصغير فيظهر أنه لم يقم فيه بأى إصلاح من هذا النوع .

وأما معبد « سبيوس أرتيميدوس » فقد أقامته في أيام حكمها المظفر ، ويطلق عليه المصريون المحدثون « اصطبل عنتر » وقد نقش على واجهة الصخر فوق المدخل ذي العمد متن طويل تمتدح فيه « حتشبسوت » ما فعلته لهذا المعبد ، وما قامت به من الأعمال الصالحات للآلهة ، وكذلك تقص علينا كيف أنها أعادت بناء المعابد التي هشمها أولئك الهكسوس الغزاة . وهاك نص ترجمة المتن حرفياً (راجع J. E. A. Vol. XXXII. (1946) P. 46.) .

« الإلهة حتحور » — صاحبة الصفات الفريدة ، وصاحبة الإلهين [illegible] السيدة ، حور الذهبي — المقدس الظاهر ، الإلهة العلية سيدة الأرضين « ماعت كارع » بنت الشمس « حتشبسوت » ... لقد أقامت هذا (؟) الأثر [illegible] اسمها على الباب ، حتى تستطيع [illegible] على الإقليم كله التي على الجبل (يحتمل أن يشير هنا إلى الإلهة « بخت » ربة هذا المعبد) ، ومن [illegible] تشرق الشمس عليه فوق الصحراء ، (؟) وعليه [illegible] على [illegible] (الصحراء الشرقية والصحراء الغربية) ، هناك [illegible] المواقد ، وهناك [illegible] كل الآلهة ، كل منهم في المعبد الذي يرغب فيه ، ووجد (كا) [illegible] على عرشه . ولقد [illegible] ... ... [illegible] صنعت الحجرة الخفية ، وهي الجزء الداخلي من البيت [illegible] حجرة إزالة أثر القدم (وإزالة أثر القدم شعيرة [illegible] إزالة كل أثر للإنسان بعد الاحتفالات الدينية المقدسة) ، وكل إله [illegible] من ذهب « [illegible] » ، وأعيادهم [illegible] في أفواه الناس ، [illegible] كلها تمت في وقتها [illegible] وذلك بالتمسك بالقواعد التي وضعتها [illegible] على حسب ما [illegible] (إله الشمس) في الزمن الأول (؟) [illegible] ،

«كان على الشمس بعث وراء (أعـل) المستقبل، وقلب جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري آخذ في التفكير في حالة من طول شريك شجرة أشد[1] (أي شجرة القبر) في الأفق أي الإله «آمون» رب ملايين السنين، وإنه عظمت الصدق الذي عمه، لأني أعرف أنه يعيش عليه وأنه غذائي، ورأى اليم أمه، وأن نفسه من لحم واحد، ولما رباني لأجعل شجرة قوية في [illegible] الأرض.

إله الوجوه «حيي» الذي يأتي كل كائن، والذي [illegible] «رع»، ويوجه عند ما [illegible] الأنظار، وكانت كلها تحت إمارتي، فالأرض السوداء والأرض الحمراء كانا في رجل مني، وقد جعلت البلاد الأجنبية تخضع لي، لأن النسل الذي هو حق يعنى لي كل البلاد.

وبلاد «رنوات» (شبه جزيرة سيناء) و«فانوه» (بلاد فينيقيا) لم تعد محتفظة بعد من حبس العصى للناس، وبلاد «بنت» تحصى لي على الحقول، فأشجارها محلة بالمر الجديد، والطرق التي كانت مغلقة على كلا الجانبين أصبحت الآن مطروقة، وجيشي الذي كان [illegible] قد أصبح يملك ثروة بعد أن أثريت ملكا.

ومنه سيدة «القوصية» الذي كان قد سار إلى التراب، قد [illegible] الأرض [illegible] العظيم، وأصبحت الأطفال ترقص على سقفه، والنساء [illegible] لا [illegible]، والرسميون [illegible] ... .. [illegible] الشراف، وأجدادها [illegible] لم [illegible]، و[illegible] واحدة [illegible]، وصنعت صورتها المقدسة من الذهب [illegible] في قارب الموكب الأبيض.

أما الإلهة «بنت» [illegible] التي كانت [illegible] في وسط [illegible] ...... الطرق التي [illegible] مياه المطر — [illegible] لم يكن هناك [illegible] جعلت [illegible] جديدا (؟) ..... لأجل لاسمه، وأبوابه من خشب [illegible] العظيم [illegible] لأجل أن [illegible] ... [illegible] وكان الكهنة قد [illegible] (([illegible])) ، والإله [illegible] الذي أنجبه «رع» [illegible] ... [illegible] من الفضة والذهب [illegible]، وكل أنواع الأثاث قد صنعت في مكانها .. والذي كان [illegible] الإله «آمون» كان جاهلا بها [illegible] لم يكن هناك [illegible] على [illegible] ، ذلك لأن [illegible] الإله كان [illegible] (؟) [illegible]

(١) هذه الجملة تشير إلى حوادث تتحول إن إله الشمس أو الإله «[illegible]» أو الآلهة [illegible] كتب بالنيابة عن [illegible] اسم الملك على أوراق شجرة إشد الكريمة التي كانت في معبد «هليوبوليس» في «عين شمس» وبهذا تضمن له ملايين السنين الأعياد الثلاثينية، ولا نزاع في أنه كان يعتقد أن [illegible] الإله «رع» [illegible] في [illegible] الأمر الذي يمكن أن يقال بأنه أقدم [illegible] هذه الشجرة. ويحتمل أن شجرة «عين شمس» الحالية هي [illegible] ذكريات هذه الشجرة.

مع (؟) والقمح ، وقد صنع حاجز الإله الذي يخرق القسم ، ولقد أقمت مبانيه العظيمة من حجر جبل الأبيض (؟ بوابته) من خشب «حشوب» وأبوابه من نحاس آسيا ، والنقوش التي عليها مبثت من الذهب ، وصورت مقدسه وسور صاحب الريشتين العاليتين بها (معبد الإله مين) ، وقد طلب هذا الأعبد في عيدي رب عيد تأليف الأرواح وعيد الإله «تحسوت» وهذا القربان قربتهما له من جديد ، وقد كان من قبل في فم الناس فقط ... ... وقد ضاعفت له القربان زيادة عما كان مقررا من قبل ، وبذلك أصبحت مرآة (؟) الآلهة التاسوع أي الإله «خنوم» في سوره القاطعة ، والإلهة «حكت» والإلهة «رننت» و «مسخنت» التي أصبحت لتشكيل جسمي ، والإلهة «حتحت طواي»[1] والإلهة «حتحت كو» والإلهة (أرت - أور - ناس - ب - ترسس)[2] (من يطرد الناس عنها في السماء والأرض حكمها) والإله «إبي» - رشو - (الذي بين الصخور) والإلهات اللائي في معبد ، وما يدل على أن ذلك كان غير معروف (من قبل) وكذلك القربانات كانت لا تزال في سير التصميم له عابا وجعلتها بهجة ، في حين كان ! كنت أقيم جبرا لأصحابها ، وكل إله كان في حصنه من ذلك راحة مستقرة ، والإله «آمون» جعله يظهر ملك الأبدية على عرش «حورس» .

اسمعوا أنتم يا أيها الأشراف ، ويا عامة الشعب مهما كان عددكم ، لقد أعدت هذه الأشياء بتدبير قلبي ، ولم أنم ناسية ، بل قد قويت ما كان متداعيا ، ولقد رفعت ما تمزق ، وذلك منذ أن كان الآسيويون في «أواريس» في الشمال ، ومعهم قبائل جائلة بينهم ، هادمين ما كان قائما ، ولقد حكموا بدون «رع» ، ولذلك لم يعمل حسب الأمر الإلهي حتى عهد جلالتي ، والآن ثابتة المكانة على عروش «رع» ، ولقد كنت منذ قديم مستقبل لأني جئت قائمة والآن ثابتة أجبت بوصفي وحيدة «حورس» ألقي النار على أعدائي ، ولقد نفيت ما تمقته الآلهة ، والأرض قد محت طابع أقدامهم ، وهذه كانت القاعدة التي سار على هديها والد آبائي ، الذي جاء في أوقاته المعينة ، وهو الإله «رع» ، ولن يحدث قط تخريب ما أمر به «آمون» ، وإن أمري سيبقى ثابتا كالجبال ، وحينما قرص الشمس ، يرسل الأشعة على ألقاب شخصي الفاخرة ويسطع صقري فوق علم الملكي مدى الأبدية .

هذا النص الذي تركته لنا الملكة «حتشبسوت» يكشف لنا بعض الشيء عن الحالة التي كانت عليها المعابد المصرية في العهد الذي تلا طرد الهكسوس من البلاد ، إذ أنه على الرغم مما قام به أسلافها من ملوك الأسرة الثامنة عشرة من أعمال

(١) إلهة ، وهي صفة الإله «تحوت» في الأشمونين (معنى الاسم) التي تعكس القلوب

(٢) اسم الإله أوريس (؟) .

التعمير والإصلاح ، لأن كثيرا من المعابد كان لا يزال مخربا تخريبا تاما ، وقد نهب ما كان بها من أدوات لإقامة الشعائر الدينية ، ولم يبق منها قليل أو كثير ، حتى أن معبد « القوصية » وهى آخر بلدة وصل إليها الهكسوس فى زحفهم على مصر الوسطى قد وجدته « حتشبسوت » خربا ، وأن الأرض قد ابتلعت معبدها المجيد وأصبح سقفه ملقى على الأرض ترقص عليه الأطفال . ولذلك كان أول هم الملكة « حتشبسوت » أن ترمم معبد الإلهة « بخت » العظيمة ، وتاسوعها ، ونحتت لها معبدا فى الصخر يقاوم الدهر وبقاياه ترسل الشمس عليه أشعتها . ولقد أعادت أو أجاد « سنموت » فى تنسيق حجره الداخلية ونقش عليها صور آلهة تاسوعها بالذهب ، وخلد أعيادهم ، وتضاعفت القرابين عما كانت عليه من قبل ، وبعد أن قامت بإنشاء هذا المعبد ، وتجديد أعياد الآلهة الذين كانوا فى هذا الإقليم كما ذكر فى هذا المتن ، نجدها تحدث العالم فى هذا النقش بأنها أعادت المواصلات بين مصر والبلدان الأخرى التى كانت قد انقطعت أسبابها بينهم ، فتقول لنا : إن شبه جزيرة « سينا » لم تعد بعد خالية من نظر جلالتى وإن بلاد « بنت » تفيض على البلاد بأشجارها العطرية ، وإن الطرق التى كانت مسدودة فى وجه المصريين شمالا وجنوبا قد فتحت ثم تحدثنا « حتشبسوت » فى نهاية المتن عن الأعمال التى قامت بها فى طول البلاد وعرضها وبخاصة ما خربه الهكسوس كما سبقت الإشارة إليه عند الكلام على طردهم .

والواقع أن هذه الملكة قد أقامت هذه المبانى ، ونفذت تلك الإصلاحات دعاية لها كما ذكر فى خاتمة هذا المتن ، إذ يقول :

لقد أقامت هذه ، الأثر الدائم لتحيى اسمها العظيم جزيرة شمل البلد حتى تستطيع أن تنقش بعبارة توابع سيادتها على ذلك الإقليم الخ .

والواقع أن « سنموت » كان لا يرى وسيلة فعلية لهذه الملكة الضعيفة دون أن يلجأ إليها ويتملقها ، بإرضاء لها وتفانيا فى حبها ، غير أن « حتشبسوت » لما

رأت سلطان «سنموت» قد طغى على سلطانها أخذت تقلب له ظهر المجن ، ولكن الوثائق الرسمية تعوزنا في هذا الصدد ، غير أنها على ما يظهر أخذت تستل منه السلطة التي كانت في يده كما سيجيء بعد .

الأميرة «نفرو رع» وسنموت : والواقع أن نجم سنموت قد أخذ يأفل عندما فارقت الحياة الأميرة والزوجة المقدسة «نفرورع» التي كان يقوم على تربيتها وبتدبير أملاكها ، وباختفائها فقد أعظم ركن من أركان مجده . وقد كانت على قيد الحياة بطبيعة الحال عندما وضع حجر أساس معبد الدير البحري في السنة السابعة من عهد «حتشبسوت» وكذلك كانت لا تزال حية ترزق في السنة الثالثة عشرة كما نعلم ذلك من نقش في محاجر «سيناء» ، وكانت تتمتع بالصحة عندما أقام «سنموت» قبره الأول ، وأقام فيه تماثيله المحفوظة بمتحف «برلين» ومتحف «لندن» و «شيكاجو» ولم تكن قد فارقت الحياة عندما كان محراب الدير البحري يزين بالنقوش[1] ، غير أنها لم تظهر في باقي مناظر المعبد التي بدئ فيها حوالي العام السادس عشر من حكم والدتها ، يضاف إلى ذلك أن «سنموت» لم يدع لنفسه أنه كان القائم على شئونها في نقوش قبره الجديد حوالي نفس التاريخ ، أو على تمثاله المحفوظ الآن بمتحف القاهرة .

مريت رع حتشبسوت زوج تحتمس الثالث : وكانت الزوجة الثانية للفرعون «تحتمس الثالث» «مريت رع حتشبسوت» فهي التي لقبت الزوجة الملكية العظيمة ، ووالدة وارث عرش الملك (أمنحتب الثاني) وفضلا عن ذلك فإنه إذا كانت «نفرو رع» قد وارها التراب فانتهت وصاية «سنموت» والقيام على تربيتها ، فإن عهد حضانة «تحتمس الثالث» وقصر سنه أصبحت كذلك في حيز كان ، إذ قد نما وترعرع حتى صار كهلا ، قصير القامة قوى البنية ، محنكا

---

(١) راجع Gauthier, L. R. II. P. 250.

(٢) راجع Gauthier, L. R. II. P. 250.

نشاطا ملحوظا منتجا ، كانت جذوته قد أخمدت حتى الآن ، غير أن لهيبه سيندلع فيحمل العلم المعروف وقتئذ يجرى بناره . فقد كان الواجب أن يكون منذ زمن بعيد الحاكم المنفرد لمصر لولا قيام «حتشبسوت» فى وجهه، وإنا لا نحتاج إلى مجهود كبير لنتصور ما كان يكنه من الحقد والبغضاء ، وحب الانتقام من هؤلاء الذين حرموه حقوقه الشرعية ، أو نرى الخطر الذى كان لابد أن يداهم «سنموت» حينما يتولى «تحتمس الثالث» الملك . وآخر تاريخ لدينا عن حياة «سنموت» الحكومية هو ما وجدناه على قطعة الخزف المؤرخة حوالى منتصف السنة السادسة عشرة من حكم «حتشبسوت» . وإذا فرضنا أنه قد مضت سنة أو سنتان أخريان قبل الانتهاء من نقوش معبد الدير البحرى وتركيب آخر الأبواب التى خبئت وراءها صوره فإن فى استطاعتنا أن نقول : إنه عاش حتى السنة الثامنة عشرة، أى حوالى ١٤٨٣ ق م وإذا كان هو الذى قام بآخر أعمال أقامتها «حتشبسوت» فى الكرنك فإنه لابد قد عاش حتى السنة التاسعة عشرة ، ولا نظن أنه عاش بعد ذلك التاريخ إذ لا يمكن أن يفلت من يد «تحتمس الثالث» الذى كاد صبره ينفد من رؤية هذا الرجل الذى أضاع عليه الملك نحو خمس عشرة سنة. والأمر الذى لا نزاع فيه هو أنه قد سقط من عليائه ، وقضى عليه قبل اختفاء سيدته من عرش الملك ، وتلك الحقيقة يمكن استنباطها من القبر الذى أقامه فى هذه السنة إذ نجد فى قبره الجديد أن صوره قد هشمت فى حين أن صور «حتشبسوت» قد بقيت لم تمس بسوء ، ولذلك أعتقد أن الملكة نفسها هى التى غدرت به لما أحست عند ما رأت أنه يسيطر على كل شىء فى البلاد كما يظهر من تصرفاتها معه بعد موت «نفرورع» .

سنموت يقيم قبرا ثانيا لنفسه : وتدل شواهد الحال على أن قبره الذى حفره تحت معبد الدير البحرى ليخفيه عن أنظار اللصوص لم يدفن فيه بعد وفاته، والقبر يعد من التحف الأثرية النادرة المثال ، إذ يصل إليه الإنسان بدرج طويل يبلغ

طوله ما يربى على خمسة وتسعين مترا وهذا القبر كان يتألف من بضع حجر بعضها فوق بعض ، ومتصلة بدرج منحدر ، على مدخل الحجرة الأولى خشب منقوش عليه الأمير والحاكم ، والسمير الوحيد ، الذي يتكلم بسكون (أو عبارة أخرى من سكونه بلاغة) ومطيع مثله القلب، والرفيق المحبوب بمزة مدير بيت «آمون» . « سنموت » المرحوم المسالم الصادق في حبه والذي يفعل ما يلقى موافقة سيد الأرضين ، وبعد ذلك يصعد الإنسان عدة درجات إلى أن يجد لوحتين مستديرتي النهاية ، قد ثبتتا في الجدار على كلا جانبي المنحدر ، وعلى إحداها يوجد رسم تخطيطي بالمداد الأحمر لرأس صاحب المقبرة، وكتب عليها مدير بيت «آمون» «سنموت» وعلى الرغم من أن هذه الصورة رسم تخطيطي على الطريقة المعتادة التقليدية إلا أن المثال كان في مقدوره أن يقنع أبناء العصر الحالي بأن « سنموت » كان ذا وجه يلفت النظر بأنفه الأقنى، ووجهه المنقبض الذي ينم عن مزاج عصبي وكانت تجاعيد محياه من الأوصاف التي عرف بها ، كما يدل على ذلك رسم تخطيطي منزلي له عثر عليه



(٣٧) صورة سنموت (بالمداد الأحمر)

اللورد « كارنرفون » و « كارتر » فى مقبرة بهذه الجهة . والواقع أنه لم يتم إلا نقش حجرة واحدة فى مقبرته ، ومع ذلك فإنه لا يزال باقيا فيها ، مما يدل على أن يد النقاش لم تكد تنتهى منها إذ وجد على الجدران ما يدل على تواريخ التفتيش فى أثناء سير العمل فيها .

وصف محتويات القبر : وجدران هذه الحجرة الأربعة قد نقشت بدقة نقوشا عمودية من الإشارات الهيروغليفية تحتوى على فصول انتخبت من كتاب ما يوجد فى العالم السفلى ، وكتاب البوابات ، وكتاب الموتى ، وهى الكتب الدينية التى ترشد روح المتوفى فى الحياة الآخرة عند ما يسبح مع الشمس فى سفينتها مخترقة محيط العالم السفلى ، ومتنقلة فى ساحتها (بواباتها) جهم الخيفة، أو حقول القربان، وقبالة باب هذه الحجرة لوحة رسمت على هيئة الباب الوهمى الذى تخرج منه روح « كا » « سنفوت » ثم تعود منه ثانية بعد أن تتنزه فى عالم الدنيا كل يوم . ونجده كذلك مرسوما مع إخوته وزوجه على هذه اللوحة ونراه كذلك جالسا يتحدث إلى والده ووالدته من الفتحة فى أعلى اللوحة، وأخيرا نراه كرة ثالثة جالسا وحده، وأمامه تمثاله فى داخل الباب الواقع أعلى اللوحة .

على أن الدرة اليتيمة فى رسوم هذه الحجرة هو سقفها . إذ نرى فيها مصورا جغرافيا للسماء وهو يعد من أقدم المصورات التى وصلت إلينا وأحسنها ، وقد رسمه مفتن من أمهر المفتنين الذين عاشوا فى منتصف عهد الأسرة الثامنة عشرة . ففى وسط النصف الشمالى نشاهد مجموعة النجوم التى لها رأس ثور ، وهى ما يعرف فى عهدنا بالدب الأكبر، ومجموعة النجوم القطبية . وفى عرض السماء رسمت الأعياد الشهرية الاثنا عشر، كل منها فى هيئته ، بدورتها التى تقطعها فى أربع وعشرين ساعة ؛ وتحت ذلك نجد الأجرام السماوية الراقصة فى شمال السماء تمرق موكب . وقبالة هذه فى جنوبى السماء نشاهد نجم الجوزاء أو الجبار يقف بعناد ووجهه بعيدا عن نجم الشعرى اليمانية التى تمشى وراء القطاعة ، وهى ترنو إليه بطرفها ستة بعد

ـسنة دون جدوى . وسقفها تشاهد قائمة نجوم (الدكان)[1] وقد أدخل بينها اسم «حتشبسوت» بوصفها من الأجرام السماوية .

والواقع أنه مصور جغرافي جليل الشأن أقدم من الذي عثر عليه في قبر «سيتي» الأول ، ولا نزاع في أن كل من أراد أن يدرس علم الفلك عند قدماء المصريين لا يستطيع الاستغناء عن هذا المصور الفذ . وقد برهن الأستاذ ونلك على أن هذا القبر حفر حوالي السنة السادسة عشرة من عهد «حتشبسوت»[2] ، على أن الأحوال التي قضى فيها على «سنموت» وعلى جثته لا بد أن نتركها لخيال القارئ؛ لأن الآثار لم تحدثنا عنها حتى الآن بكلمة واحدة ، غير أن الإنسان يمكنه أن يتصور أنه على أثر وصول الأخبار بنهاية مدبر البيت العظيم ، صدرت الأوامر لسد قبره الجديد المنقطع النظير في الضخامة ، وهو الذي أراد أن يباهي به في الأبهة والسرية قبر سيدته وخليلته «حتشبسوت» ، ولا يبعد أن تكون هي التي أمرت بذلك ، وقد نفذت هذه الأوامر على جناح السرعة ، إذ قد نزل العمال إلى حجرة دفنه المزخرفة ، وهشموا وجوه «سنموت» أينما وجدوها في المناظر التي على الجدران ولم يفتهم الرسم التخطيطي للرأس السالف الذكر ، إذ أصابوه ببعض العطب ، والظاهر أنه لم يكن لديهم وقت البحث عن اسم «سنموت» في المفروش ، بل يحتمل أنه لم يكن واحد منهم يعرف القراءة ، أما طغراءات «حتشبسوت» فلم يمسوها بسوء . وأخيراً جمع العمال بسرعة لبنات وأهالوها عند مدخل القبر ، ومن ثم أخذوا يسدونه ، غير أنهم لم يستمروا في عملهم طويلاً حتى النهاية بل تركوا بناء سد الباب ، واكتفوا بملء القوالب والأوساخ بما يكفي لسده .

مصير سنموت : والظاهر أن «سنموت» كان يعلم علم اليقين أنه إذا ماتت «حتشبسوت» قبله أو إذا قضيت عليه ، فإنه لن يلقى أي رحمة على يد خصمها

(١) معنى كلمة «دكان» عشرة أيام وكانت السنة مقسمة عند المصريين إلى ٣٦ «دكان» .

(٢) راجع : Winlock, "Excavations at Dier el Bahri", P. 141.

أو على بعضها ، وذلك لأنه أشد احتياطاً غريباً يحتال به على بقاء اسمه إذا أزيل من جدران قبره لأن في ذلك يكون القضاء على شخصيته أو روحه في عالم الأرواح ويمكن الإنسان أن يرى في قبره الذي بقى إلى الآن عارياً كيف أنه أمر بكتابة اسمه في جهات متفرقة على واجهة الصخر، تحت طبقة الملاط التي وضعت على الجدران فإذا أزيلت الرسوم التي على طبقة الجص ظهر اسمه محفوراً هناك خفياً عن أعين أعدائه ، ولكنه ظاهر للأرواح (راجع Weigall "Guide", P. 148.) .

على أن هذا المصير المؤلم لم يكن من نصيب « سنموت » وحده بل كان النهاية المشؤومة لعـدد من كبار الرجال البارزين في عهد « حتشبسوت » أو بعبارة أخرى رجال العصبة الذين آزروها وعززوا ملكها وستتخلص منهم فيما بعد .

مكانة الملكة حتشبسوت : ولا بد أن « حتشبسوت » قد قضت أيام حكمها تحفها الأبهة ، وتحيط بها العظمة ، وتتقلب في أعطاف النعيم ، والمجد المؤثل ، يلتف حول عرشها ويشد أزرها هؤلاء الرجال العظماء ، الذين ذكرناهم فيما بعد ، وذكرنا بعض ما قاموا به من عظائم المشروعات الضخمة التي جعلت اسمها في أفواه أبناء الأجيال التي تلت حتى عصرنا الحالي، وستبقى ذكراها ما دام التاريخ يتحدث عن عظماء الرجال والنساء، ولا بد أن شهرتها بطبيعة الحال كانت قد ذاعت في كل العالم المتمدين في عصرها ، ولا أدل على ذلك مما نشاهده على قطعة صغيرة من الرسوم الملونة التي بقيت لنا من قبر « سنموت » إذ نرى عليها صور مبعوثين من جزيرة « كريت » الثانية يحملون للملكة هدايا . ويظهر أن نشاطها كان منتشراً في كل الجهات .

آثار حتشبسوت في جهات القطر وخارجه : فنرى أنها قد أعادت فتح المناجم في « سرابة الخادم » في شبه جزيرة « سينا » إذ قد عثر على بعض قطع الآثار المدون في تلك الجهة اسمها ، ويمكن أن نذكر عرضاً هنا أن كاتب أحد النقوش في ذلك المكان قد كان مرتبكاً في موضوع اشتراك « حتشبسوت » مع

«تحتمس الثالث» في الحكم حتى أنه كتب «ماعت كارع - تحتمس» بوصفها اسم فرعون واحد[1]، وفي (وادي مغارة) توجد لوحة مؤرخة بالسنة السادسة عشرة من حكمهما عليها رسم كل من «حتشبسوت» و«تحتمس الثالث» الأولى ترتدي فوق ملابسها نوعاً من السجف. وفي «بوتو» من أعمال الدلتا، وجد خاتم معبد «آمون» عليه اسمها[2]، وكشف في «البراية المنحوتة» عن بعض أواني المعبد عليها اسمها[3] كذلك وفي مدينة «هابو» يوجد ما يدل على بعض أعمالها في هذه البقعة.

وفي الكرنك تركت لنا آثاراً عدة من أهمها ما عثر عليه حديثاً المهندس «شفرييه» عندما كان يشتغل بإصلاح (البوابة) الثالثة، إذ قد وجد أن «أمنحتب الثالث» صاحب هذه (البوابة) قد أخذ معظم أحجار معبد الملكة «حتشبسوت» في هذه البقعة، ووضعه في حشو هذه البوابة، وقد قطعت أحجاره من الجرانيت الأحمر الصلب، ونقوشه غاية في الدقة، وقد زينت جدرانه الخارجية بأسماء مقاطعات القطر المصري كل منها في صورة إله النيل، وفوق رأسه اسم الإشارة الدال على المقاطعة، وهذه القائمة تعد من أتم القوائم التي عثر عليها حتى الآن.

وفي مدينة الكاب عثر على نقش لها هناك[4]، وقد عثر «لبسيوس» على بوابة عليها اسمها في «كوم امبو»[5]، وفي «وادي حلفا» (بوهن) أقامت معبداً عظيماً[6].

وتوجد لها آثار عدة صغيرة كذلك منها لوحة في «متحف اللوفر» مقسمة من «حتشبسوت» الملكة و«تحتمس الأول» والدها، وقد مثل عليها جالسا

(١) راجع: Gardiner and Peet, "Sinai" Pl. LX. No. 186.
(٢) راجع: Mariette, "Abydos" No. 1468.
(٣) راجع: L. D. III. Pl. 27.
(٤) راجع: Rosellini, "Mon. Storici. III, 1. 130.
(٥) راجع: L. D. III, Pl. 28.
(٦) راجع: Maciver and Woolley, "Buhen", Pl. 10.

يتقبل القربان[1]. كما توجد لوحة أخرى في «متحف الفاتيكان» حيث نشاهد «حتشبسوت» تقدم القربان إلى الإله «آمون»، ونرى «تحتمس الثالث» واقفاً خلفها[2]، وكذلك عثر على لوحة صغيرة تشاهد فيها الملكة ترضعها البقرة «حتحور» كما تشاهد في الدير البحري[3]، إذ قد أقامت مقصورة خاصة لعبادتها تعد من تحف هذا المعبد، وترجع عبادة هذه البقرة إلى عهود قديمة، كما تكلمنا عنه فيما سلف في الجزء الثالث (راجع جزء ٣ ص ٣٩) هذا وقد عثر لنا على عدة تماثيل، بعضها موجود في المتاحف الأوربية، وبخاصة من تماثيل «بو الهول» التي عثر عليها من بقايا التماثيل التي نصبت لها على الطريق المؤدي إلى معبد الدير البحري، ورؤوسها رؤوس رجال ملتحين، وقد أصلح الأستاذ «ونلك» عدداً منها بعضه في متحف «متروبوليتان» وبعضها في المتحف المصري، وعلاوة على ذلك نجد رأسين محفوظين من هذه التماثيل في «برلين»، وكذلك رأس تمثال، وتمثال من غير رأس للملكة[4]، كما يوجد تمثالان آخران لها في «ليدن»[5]، ويوجد للملكة تمثال جاثم في «لاهاي»[6].

سبب تزيي حتشبسوت بزي الرجال: ولا يفوتنا بهذه المناسبة أن نذكر هنا أن بعض المؤرخين ينسبون تزيي «حتشبسوت» بزي الرجال إلى سبب خاص فيقول الأستاذ «ويجول» في كتابه تاريخ مصر ما يأتي:

من المعلوم أن الملك «أحمس» الأول قد تزوج من امرأة تدعى «العابي»، وقد رزق منه بنتاً تسمى «أحمس حنت تامحو» ومعنى «حنت تامحو» كما يقول

---

(١) راجع Lepsius, Auswahl. XI.
(٢) راجع Champollion, "Notices", II, 700-1.
(٣) راجع: Grant collection. Petrie, "History", II, P. 91.
(٤) راجع L. D. III, Pl. 25.
(٥) راجع. A. Z. XIII. P. 25.
(٦) راجع: Wiedemann. P. S. B. A. Vol. VII. P. 183.

« وبجل » سيدة قوم « التحنو » وهم أهل « لوبيا » ونستنتج من ذلك قوله : إنه من الجائز أن « أحمس » هـذه كانت أميرة من « التحنو » ولكنها لم كانت تلقب « بالابنة الملكية » فيحتمل أن ملوك غرب الدلتا كان لهم ملك خاص فى أوائل حكم « أحمس » الأول » إذ اقتبس المؤرخ « بوسفس » عن « مانيتون » أن الثورة التى قامت على « الهكسوس » كان قد نظمها ملوك « طيبة » أى ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وملوك آخرون من أجزاء مصر ، وأن والدة هذه الملكة « أحمس حنت تامحو » كانت بنت ملك من ملوك غرب الدلتا ، وقد ذكر الأستاذ « بيو برى » فى كتابه عن تاريخ مصر القديمة ص ١١٠ أن الأميرة « أحمس حنت تامحو » هى أم الملكة الشهيرة « حتشبسوت » التى صورت نفسها بالتزيى بزى الرجال ، ولكن لباس نساء « التحنو » كان لا يمكن تمييزه من لباس الرجال وعلى ذلك يمكن القول بأن « حتشبسوت » كانت فى ذلك تقلد والدتها ، وعلى الرغم مما يحوم ذلك من الشكوك فإنه يقال : إنه كان يوجد ملك يحكم فى غرب الدلتا فى أوائل حكم « أحمس » الأول ، وأن الأخير قد تزوج من ابنة له تدعى « القابى » لأسباب سياسية ومن الواضح على كل حال أن أحمس قد تخلص منه كما يدل على ذلك انفراده بالحكم ، وكذلك تدل شواهد الأحوال على أن « القابى » قد توفيت قبل نهاية حكمه ، إذ يقول الدكتور « اليوت سمث » أن تحنيط جسمها يرجع إلى طراز التحنيط الذى ينسب إلى أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة ويدل موميتها على أنها كانت قوية البنية مربوعة المنكبين ، ممتلئة الصدر ، عظيمة الفخذين ، بدينة ، ويحتمل أنها قد ماتت بعد وضع ابنتها « أحمس » مباشرة غير أن هذا الاستنباط فى نسب « حتشبسوت » لا يخرج عن القيل والتخمين .

فالواقع أنه كان يوجد ملكتان فى بداية الأسرة الثامنة عشرة . إحداهما تسمى أحمس سيدة تامحو (أى سيدة أرض الشمال) والثانية تسمى أحمس سيدة تحو (بلاد تحو أى لوبيا) ومن ثم يلاحظ فى اللقب بالاسمين تورية ظاهرة .

(١) راجع : Weigall, "History," Vol. II, P. 246.

وقد كان أول من فطن لوجود هاتين الملكتين الأثرى « دارسى » ثم جاء بعده الأستاذ « نيو برى » وقال ان اشتقاق هذين الاسمين من أصل واحد أى أن « تاعو » و« تحو » متوحدين لفظا ومعنى ، وهذا الزعم غير صحيح (راجع Ancient Egypt. 1915 P. 99).

وحقيقة الأمر ما يأتى : عثر على مومية فى جبانة الدير البحرى محفوظة فى تابوت عار عن النقوش ، وقد كتب على صدرها بالخط الهيراطيقى ما يأتى : البنت الملكية والأخت الملكية والزوجة الملكية سيدة « تحو » . هذا وقد وجد على اللفائف كتب عليها متن من كتاب الموتى نسب الى هذه الملكة وهو . الأميرة الملكية أحمس المسماة سيدة تحو المرحومة وهى طفلة البنت الملكية المسماة « تنت حابى » .

ومن جهة أخرى وجد تابوت من الخشب كتب على غطائه البنت الملكية والأخت الملكية أحمس سيدة « تاعو » . وقد قال الأثرى دارسى فى تفسير ذلك أنه قد حدث خطأ فى وضع الغطاء على هذه المومية ، ومن الجائز أن ذلك حدث فى عصرنا أو فى الأزمان القديمة ، وأن هذا الغطاء هو لصاحبة التابوت الأول ، على أن « سميو » يعتقد أنهما اسمان مختلفان ، وموضوع بحثنا حتى الآن هو فى أميرة تسمى أحمس سيدة « تاعو » وقد وجد اسمها على قطعة صغيرة من الآثار فى مجموعة بترى (History. of Egypt. II. P. 43.) هكذا . الأخت الملكية « أحمس سيدة تاعو » ، وكذلك وجد منقوشا فى مقبرة رجل يدعى « اخمحات » الواقعة فى « جبانة شيخ عبد القرنة » رقم ٥٣ من عهد « تحتمس الثالث » وذلك على لوحة رسم على جزء الأعلى الثانى وهو يقدم القربان إلى سيدتين جالستين ، الأولى تلقب البنت الملكية « أحمس » سيدة الأرض الشمالية (تاعو) والثانية أمها وتلقب : زوج الملك « أحمس انحابى » ، يضاف إلى ذلك أنه قد عثر على لقب الأميرة الأولى فيما بعد فى قبرين أحدهما قبر « خع بحت » فى « دير المدينة » (رقم ٢) ويرجع عهده للأسرة التاسعة عشرة أو العشرين ، ويلاحظ أن المتوفى قد ظهر يقدم

الفراعين إلى صفين من ملوك الأسرة الثامنة عشرة الجالسين أمامه ومن بينهم الزوجة الملكية العظيمة سيدة الشمال (تامحو) ، وكذلك وجد اسمها مرة أخرى بنفس الصورة في مقبرة «انحر خعو» (مقبرة رقم ٢٩٩) التي يرجع عهدها إلى عصر رعمسيس الثاني، فنجد إذا من هذين النقشين أن الاسم موحد ولا شك أن أحمس سيدة بلاد الشمال هي «أحمس» حنت أتاباي . وقد وجدت مومية «أتاباي» في تابوت امرأة تدعى «رعى» كما يستنبط ذلك من النص الهيراطيقي الذي وجد على لفائف المومية وهو «الابنة الملكية والزوجة الملكية «أتاباي» العائشة» ، وقد وجد اسم هذه الملكة كما ذكر «مسبرو» على توابيت «رعمسيس الأول» و«سيتي الأول» و«رعمسيس الثاني» . ومن كل ما سبق نعلم الحقائق التالية : أولا نعلم أنه كانت توجد ملكة تدعى أحمس حنت تمحو (أي سيدة بلاد التمحو) ووالدتها تدعى تنت حاب ، وثانيا توجد ملكة أخرى تدعى أحمس حنت تامحو (سيدة بلاد الشمال) وتسمى والدتها «أتاباي» . وعلى ذلك يظهر أنه لا يمكن توحيد اسم الملكتين ولا اسم الأمين مع وجود تورية في كل من اسمي الابنتين والأمين .

ولا نزاع في أن أحمس سيدة بلاد الشمال ابنة «أتاباي» هي والدة الملكة «حتشبسوت» وابنة الفرعون «أحمس الأول» (راجع Holscher, "Libyer und Agypter", P 51 - 52) & Chronique d'Egypte No. 31. Janvier 1941. (P 39 - 42.

وخلاصة القول إذن أنه ليس هناك أية صلة بين الملكة «أحمس حنت تامحو» وبين بلاد التمحو أي بلاد لوبيا ، وبذلك يكون ما قاله «هولشر» وغيره لا أساس له من الصحة ، بل يجوز أن «أحمس حنت تمحو» التي يشير إليها «هولشر» هي بنت الملكة «تنت حاب» التي أشرنا إليها فيما سبق ، وهي الملكة أم «أحمس الأول» .

وأما ترتيبها بزي الرجال فإنها صفة تسمى ملكا لا ملكة ، إذ أن مصر كان لا يحكمها إلا الرجال ، وقد ضربت لنا المثل في ذلك الملكة «حنت كاوس» .

فى عهد الأسرة الخامسة إذ سمت نفسها على تمثيلها ملك الوجه القبلى والبحرى . وقد حافظت « حتشبسوت » على أن تكون مذكرا لا مؤنثا فى تمثيلها كذلك ، مكان ضمير الغائب المذكر هو السائد فى كل وثائقها ، ولم يعرف لها غير تمثال واحد فى زى النساء .

آثار أخرى للملكة حتشبسوت : هذا وقد عثر على صندوق نقش عليه ألقاب الملكة فى خبيئة الدير البحرى ، ولكن لما كان اسم « آمون » قد محى منه ، فلابد أن هذا القبر كان يمكن الوصول إليه فى عهد « اخناتون » ، ولم يكن وقتئذ فى قبر الملكة ، وعلى ذلك فقد ظن البعض أن الكبد التى وجدت فى هذا الصندوق كانت لملكة تدعى « ماعت كارع » من عهد الأسرة الواحدة والعشرين ، على أنه قد تكون من الصدف السعيدة إذا كان هذا الصندوق قد استعمل ثانية بعد صنعه بعدة قرون ، وتكون التى استعملته ملكة تحمل اسم ملكتنا « حتشبسوت » [1] . ولدينا بعض آثارها الخاصة ، منها استراكون من الحجر الجيرى الأبيض ، كتب عليها اسم « سات رع » مربية « حتشبسوت » الأولى ، فنشاهدها تدعو لمليكتها بقربان ملكى بوصفها إلهة ، وهذه المربية كانت تعرف باسم « إن » أيضا [2] ، وكذلك وجد تمثال لشخص يدعى « انى » ، بالمتحف البريطانى يمدح الملكة «حتشبسوت» و « تحتمس الثالث » [3] . وقد عثر على بعض قطع من الآثار فى مدفنها ، وأهمها جزء من إناء مفروش عليه اسم الملكة ، والكلمات التى تلى الاسم تدل على أنها قد توفيت عندما نقش هذا الإناء [4] ، ولذلك يعتقد أن بعض الأشياء وجدت بالقرب من قبرها يحتمل أنها كانت جزءا

---

(١) راجع Maspero, "Momies Royales", P 564

(٢) راجع P. S. B. A. IX. P. 163.

(٣) راجع Lepsius, "Auswahl. Pl. XI.

(٤) راجع Davis "The Tomb of Hatshepsut", P. 109, 5.

من أثاثها الجنازى . والواقع أن هذه الآثار تعد ذات أهمية عظيمة[١] ، ويحدثنا الأستاذ « بترى » عن هذه الأشياء حديثاً ممتعاً ، وعن الملابسات التى أدت إلى كشفها نقلا عن « جرفيل شستر » الذى أعطاها المتحف البريطانى . فيقول لنا : إن مستر « شستر » كان قد أخبره لصوص الآثار أنه توجد مجموعة من الآثار تحتوى على عرش وقصعة (صامة) ، وأحجار (صامة) مقلدة ، وقطعة من طرطوش من الخشب ، وقد وجدت كلها مخبأة فى إحدى الحجرات الجانبية لمعبد الفرعون « رعمسيس الثانى » تحت حجر غير مثبت بسند المكان ، وقد أرشد أحد تجار آثار الأقصر المستر « شستر » إلى هذه البقعة ، أما عن المكان فلا يمكننا إثباته أكثر من أنه كان فى بداية تلك الناحية من الوادى التى تقع بالقرب من الصخرة خلف معبد « منتوحتب » وهى التى كان فيها قبرها . على أن الآثار التى خبئت بهذه الكيفية تشعر بأن قبرها كان قد سرق فى الأزمان القديمة ، وحمل اللصوص معهم كل ما خف حمله من أشياء حتى يمكنهم أن ينقلوها إلى حيث شاءوا على مهل ، بعد أن افتت نظر رجال الحراسة إلى ما حل بقبر الملكة ، ولا بد أن اللصوص قد دفنوا الأشياء التى ليس لها قيمة عظيمة فى مقبرة « رعمسيس الثانى » التى كانت بحورها قد نهبت قبلا وتركت مفتوحة ، وتقع عند فم الوادى ، إلى أن يجدوا الوقت المناسب لنقلها ، ويظهر أن القطع التى تتألف منها المجموعة كانت فى الواقع مرتبطة ، بجزء الطراز المصنوع من الخشب لم يكن من السهل قراءة ما عليه من النقوش إلا لمن عرف إشارات اسم الملكة ، من ظهر قلب ، كما أن التاجر الذى باعها لم يكن يعرف الاسم ، وعلى ذلك لم يحاول أحد فى ذلك الوقت نسبة هذه الأشياء لهذه الملكة ، غير أن قطع (الصامة) المصنوعة من الخشب التى كانت كلها فى صور رءوس أسود هى من طراز قطعة (الصامة) الجميلة المصنوعة من حجر اليشب الذى يحمل اسم الملكة على الرأس والطوق[٢] . وهذه القطعة محفوظة

(١) راجع : Rec. Trav. X. P. 126.

(٢) راجع : Macgregor Collection. 2965.

الآن في المتحف المصري ، ولا يمكن أن تكون قد استعملت نموذجاً للصانعين المحدثين للآثار . وعلى ذلك نجد أن القطعة الموجودة بالمتحف تؤرخ لنا القطع التي توجد في مجموعتنا هذه وتؤكد أثريتها ، وعلى ذلك يمكن القول بأن هذه القطع مرتبطة بقطعة الطغراء التي وجد عليها اسم الملكة ، وكذلك يحتمل كثيراً أن رقعة الضامة هي التي كانت عليها هذه القطع ، ومن ثم لدينا دليل على صدق قصة هذه الآثار ، هذا إلى أن أسلوب صناعة العرش المصنوع من خشب نادر مطعم بدقة بالعاج (يضاف إلى ذلك أن الصندل الذي عليه مصنوع من نفس خشب الطغراء)؛ وشكله الدقيق الجميل المنظر يتفق مع ذوق صناعة العهد الأول من الأسرة الثامنة عشرة ، ولا يوجد سبب يدعو إلى الشك في هذه القصة على حسب ما أمكننا أن نصل إليه في ظل نظام يسوده الإخفاء والسرية فرضه قانون مصلحة الآثار المصرية[1] » . والواقع أن ما يلفت النظر في هذه القصة الطريفة هو إلقاء اللوم على قانون الآثار المصرية ، وعدم إلقاء أية مسئولية على جامعي الآثار من الإفرنج مما يشجع اللصوص على الاستمرار في سرقة الآثار ، وإخفاء مكان وجودها ، وذلك ما يجعل قيمتها الأثرية تضيع ، والمثال السابق الذكر أكبر دليل على ما ذكرناه .

أشكال الجعارين في عهد حتشبسوت : وقد عثر لهذه الملكة على عدة جعارين ولوحات صغيرة ، بعضها يحمل ألقابها ، وبعضها يحمل اسم العقاب والصل . غير أن أهم طائفة من جعارين هذه الملكة هي التي نجد عليها اسمها مع اسم ملك ممن سبقوها فنجد من ذلك اسمها مع الملوك : « سنوسرت الثالث » و « سبك حتب » و « أمنحتب الأول » والثالث » ، وكذلك توجد جعارين تضم اسمها ، واسم تحتمس الثالث[2] .

---

(١) راجع : Petrie, "History", Vol. II, P. 93.

(٢) راجع : Ibid. P. 94.

وقد كانت « حتشبسوت » أول من اخترع البطارين التذكارية على ما نعلم، فقد وجد لها جعران يحمل العبارة التالية : «صامت كأرع » ذات الرائحة الذكية فى أنف آلهة « طيبة » . وهذه العبارة تشير إلى حفلة « بنت » العظيمة التى كان أهم غرض لها إحضار أشجار البخور والروائح العطرية لمعبد الإله « آمون » بل لأجل تأليه الملكة نفسها[1]، هذا وقد وجد لها جعران فى الواحة البحرية كما أخبرنى بذلك الدكتور أحمد فخرى مدير آثار الصحارى .

مصير حتشبسوت : ولكن مما يؤسف له أننا لا نعلم مصير مومية هذه الملكة كما ذكرنا ، على أن الشيء المحقق أن « حتشبسوت » قد دفنت فى مقبرتها التى أعدتها لنفسها ولوالدها ، ولكن الغريب فى ذلك أنها اختفت من مسرح التاريخ فجأة إذ نرى « تحتمس الثالث » يقود جيوشه إلى الحدود الشمالية لإخضاع الثورات التى قامت فى أملاك مصر فى آسيا . (راجع ما ذكرناه عند كلامنا على المكسوس) .

تحتمس الأول وآثار حتشبسوت : ويخيل لى أن « تحتمس الثالث » لم يظهر حب الانتقام مباشرة من « حتشبسوت » وآثارها فى البلاد ، بل لابد أنه كان يساير الرأى العام الذى كان على ما يظهر لا يبغض « حتشبسوت » وبخاصة إذا كانت هى التى أبعدت « سنموت » عن إدارة دفة الحكم ، وبذلك كفرت عن أغلاطها معه أمام الشعب المصرى ، ومن المحتمل جداً أن « تحتمس الثالث » لم ير أن مركزه كان بعيداً عن الخطر لدرجة تسمح له بمحو أعمال سلفه عنف منذ بداية الأمر ، بل ربما اتبع سياسة الانتظار ، ثم الانقضاض . وفى مراشى الكرنك نجد بقايا مقصورة جنازية قد أقامتها الملكة « حتشبسوت » وقد عثر عليها « لجران »[2] . وفى النقوش التى على جدرانها قد مثل الاحتفال

(١) راجع : A. S. XXXIX. P. 119.

(٢) راجع : Legrain and Naville, "Annales du Musee Guimet", XXX.

بجسازتها ، على أنه من المحتمل أن هــذا المبنى قد أقامته « حتشبسوت » نفسها
ليكون لها بعد وفاتها ، كما تشاهد مثل هذه المناظر في قبور الأشراف ، وربما أقيمت
هــذه المقصورة في وقت الاحتفال بعيدها الثلاثيني ، لأنه في الواقع عيــد يرمز به
لإحياء الفرعون ثانية بعد حكم ثلاثين سنة ، وتجــديد جسمه ليحكم مدة عيدها ،
وهذا العيد بلا نزاع عيد أوزير الصبغة ، وعلى أية حال فإنا نرى في المناظر التي
على جدران هذه المقصورة « تحتمس الثالث » يشترك في الاحتفال بدفنها ، فيرى
وهو يتقدمها في هيئة « أوزير » عابرا النيل إلى الجبانة الغربية كأنه يسير في جنازتها
ومن المحتمل أن هــذه المقصورة قد أقيمت بعــد موتها مباشرة [1] ، ولكنا مع ذلك
نرى بعد مدة لا يمكن تحديد مقدارها على وجه التأكيد أن العمل كان يسير بجــد
ونشــاط في معبــد الدير البحري كرة أخرى بعــد ممات « حتشبسوت » غير أنه
في هذه المرة كان عمل تهديم لا عمــل بناء ؛ فهشمت تماثيلها ومحى اسمها واسم من
اشــترك معها في إبعــاد « تحتمس » عن أريكة الملك . ولا غرابة في ذلك إذا
عرفنا أنه كان من الأمور التي تثير الحقــد ، وتورى نار البغضاء أن يضطر شاب
طموح في مقتبل العمر أن يعيش عيشة خمول مستمرة ، وكذلك مما لا شك فيــه
أن تقاليد البــلاط لم يتزاع في أمرها عنــد ما تشبثت الملكة بحقوقها بشــدة
في شيخوختها ، ولم تسمح لهذا الملك الفتى بأية سلطة ، ولا شك في أن « تحتمس »
عندما رأى الســنين تمر سراعا ، وأنه قد دخل على الثلاثين دون أن يرى له السلطان ،
كل ذلك كان لا بد مما يجعــله ثائرا هائجا حتى أصبح يحقــد على كل شيء خاص
بهذه المرأة المسنة ، غير أن كل شيء كان يأتي طوعا لمن ينتظر ويتأنى .

والواقع أن مصر قد نمت نموا عظيما في خلال العشرين عاما التي قضتها البلاد
في سلام ؛ وعظمت تجارتها وحسن تدبير مواردها ، واستغلال تربتها ، ولذلك
فإنه عنــد ما ذهبت الملكة إلى السماء ، وهي تربى على الخمســين ، وكان تحتمس

(١) راجع : Weigall, "History", Vol. II, P. 339.

فى السنة الأولى من العقد الرابع من سنى حياته ، عندما أخذ مقاليد الأمور فى يده جميعها ، وجد أداة عظيمة فى يديه استطاع بها بعد بضعة أسابيع من توليه العرش منفردا أن يقذف بجيش عرمرم فى ساحة القتال فى سلسلة من الحملات ارتفعت مكانة مصر فى نهايتها ، وامتد سلطانها وعظمتها ، وعلى رأسها أول بطل عالمى فى تاريخ العالم القديم ، يغزو ويفتح بقوة لا تعرف الكلل ، وجيش أصبح مدربا مثابرا مدة ترى على الثمانية والعشرين ربيعا .

عهد حتشبسوت كان عهد رخاء : وعلى ذلك فإن « تحتمس » الثالث مهما يكن رأيه فى سلفه وسياستها السلمية ، ومهما يكن رأينا فى الطرق التى استثمر فيها موارد البلاد وخيراتها التى تركتها له ، فإنه مما لا جدال فيه أن العشرين عاما التى جنحت فيها من الحروب ، وعملت على تنمية ثروة البلاد كانت أكبر هدية قدمتها « حتشبسوت » لتحتمس الثالث الذى قلب لها ظهر المجن بعد موتها ، على الرغم من تهيئتها له الفرصة للصعود إلى تلك المكانة السامية التى لم يسبقه إليها عاهل فى الشرق القديم بل فى العالم المتمدين فى عصره . وهكذا طويت صحيفة هذه الملكة بعد أن حكمت إحدى وعشرين سنة . وتسعة أشهر كما ذكرنا « مانيتون » أى فى السنة الثانية والعشرين من حكم « تحتمس الثالث » الذى أنكر وجودها ملكة على البلاد كما أغفلت مدة حكمها من القوائم الرسمية التى خلفها لنا الملازمون المصريون ولكن كل ذلك لم يجد نفعا ، وأنى لهم ذلك ، والفرد العظيم لا يمكن القضاء عليه بطرق العنف والجبروت ، فإذا حوول إخفاء أعماله من ناحية بزغت نواحيه الأخرى الخالدة منادية بصوت عال بعظمة لا يمكن محوها ولا تكسح صوتها ما أمامها من عوامل الشر وتميص بضوئها على العالم ، وهكذا نجد « حتشبسوت » يزدهر اسمها ويسطع كل يوم وعلى مر الدهور بين أولئك العظماء الذين أسسوا مجد مصر ، وهى إذا بذلك من النساء الخالدات التى لم يقو أعداؤها على القضاء على ما قامت به من جليل الأعمال .

الموظفون والحياة فى عهد « حتشبسوت »

سنموت : لا نزاع فى أن مهندس الملكة « سنموت » يعد أهم شخصية فى عهد الملكة « حتشبسوت » وقد تكلمنا عن حياته الحكومية على وجه الإجمال فيما سبق . وقد كان هـذا الرجل العظيم يحمل ألقابا عدة متنوعة ، غير أنه يشار إليه فى النقوش فى معظم الأحيان بوصفه « مدير بيت الإله « آمون » لأن هذه الوظيفة كانت على ما يظهر عمله الأصلى . وقد أقام لنفسه قبرين الأول فى « جبانة شيخ عبد القرنة » وقد خرب تخريبا مريعا على يد رجال « تحتمس الثالث » (راجع Gardiner & Weigall, "Catalogue", No. 71) ولا بد أنه كان من أجمل المقابر فى هذه الجبانة إذا حكمنا بما تبقى لنا من رسوم سقفه الملون ، إذ قد بقيت لنا قطعة من منظر استقبال الجزية الأجنبية ، تشاهد فيها ثلاثة من أهل « كريت » يحملون أوانى مزخرفة بأشكال تنم عن الطراز الملوانى الذى يضم أشكالا حلزونية ورءوس ثيران وزهريات ، ويميز الرجال بخصورهم النحيلة وأجسامهم العريضة ، وحللهم المزركشة إلى حد بعيد ، كما نشاهد فى رسوم قصر « مينوس » فى « كريت » مثل ذلك ، (Wreszinski "Atlas" Pl. 235.) وهـذا شاهد عدل على مهارة الرسام المصرى وحسن إبرازه الصورة الصادقة الصحيحة ، وقـد خلف « سنموت » عدة آثار ، وهاك ألقابه كما نجدها على هذه الآثار التالية :

(١) يوجد له نقش على صخور أسـوان : دوّن عليه : قطع مسلتين للملكة « حتشبسوت » ، وعليه الألقاب التاليـة : حامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير العظيم الحب ، ومدير البيت العظيم ، والأمير الوراثى ، وصاحب الحظـوة العظيمة عند زوج الإله ، ومدير البيت العظيم الابنة الملكية « نفرو رع » (Urk. IV. PP. 396 - 7.)

(٢) وله محراب حفر فى الصخر فى السلسلة الغربيـة . ويلحظ هنـا أن « سنموت » قد مثل فى حضرة الآلهة ، غير أنه مثـل بنفس حجمهم ، وهـذا حق

كان يتمتع به الملوك وحدهم . ونجد له غير ما ذكرنا من الألقاب ما يأتى : مشرف على مخازن غلال « آمون » والمشرف على القصر الخاص ومدير كل وظيفه مقدسة (راجع Ibid. P. 398) .

(٣) أما النقوش التي على جدران قبره في « جبانة شيخ عبد القرنة » فقد هشمت كلها تقريبا ، وما بقى من ألقابه غير ما ذكرنا هى : " مدير أعمال ... ، والمشرف على أعمال الفرعون ، ومدير بيت « آمون » والمشرف على حقول « آمون » " .

(٤) وعلى حتب من قبره نجد : المشرف على حقول « آمون » ، ومدير بيت زوج الإله « حتشبسوت » والمشرف على إدارة الحكومة (Ibid. P. 400) .

(٥) وعلى مخروط من الفخار نجد الألقاب التالية : كاهن « آمون » وسرمات (وهو اسم لقارب « آمون » المقدس) ، والمشرف على ماشية « آمون » (راجع Ibid. P. 403) .

(٦) تمثال من الجرانيت الأسود «لسنموت» يشاهد فيه وهو يحتضن الأميرة «نفرورع» وهو الآن في «برلين» (No. 2296) وعليه الألقاب التالية غير ما ذكرنا : «الأمير ... حب ، العظيم المحظوة عند رب الأرضين ، والذي يمدحه الإله الطيب المشرف على مستأجرى حقول « ... مون » ، والمشرف على عمال حقول « آمون » ، ورئيس عمال « آمون » ، والمشرف على إدارة الحكومة المزدوجة) ، عم كل بوتى (أى من أهالى بوتو) الرئيس العظيم في بيت « نيت » مدير القاعة الواسعة في بيت الأمير (أى عين شمس) (أى قاعة العدل) (راجع Urk. IV PP. 404 - 406) .

(٧) تمثال من حجر الكوارتزيت (الحجر الرملى الأحمر) وجد في معبد الإله « موت » « بالكرنك » وهو الآن بالمتحف المصرى (رقم ٥٧٩) ، ويشمل الألقاب التالية الجديدة غير ما ذكرنا (١) محبوب الملكة (الصقرة) صاحبة الأرواح القوية ، ومن في قلب « حور » الظاهر في « طيبة » ، والمشرف

على البقرات الحلوبة ملك « آمون » ، ومدير البيت العظيم للملك ، والسمير الوحيد ومدير بيت النسيج للإله « آمون » . ومن نقوش هذا التمثال نعلم أن « سنموت » كان موكلا بكل المبانى فى « طيبة » و « أرمنت » و « الدير البحرى » ومعبد « موت » .

ثم يقول لنا : إنه عظيم العظماء فى كل الأرض قاطبة ، والذى يستمع له بين الناس ، والرسول الحقيق ، ومهدى الأرضين بلسانه ، وكاهن « ماعت » (إلهة العدل) ، ومدير القصر ، والسمير ، ومدير أعياد كل الآلهة ، ومدير المديرين ، ومدير أعمال بيت الفرعون ، ومدير الصناع ، والمشرف على كل كهنة « منتو » صاحب « أرمنت » ، ومرشد الناس ، ورئيس الأرض قاطبة ، ورئيس طائفة الكهنة ، والمشرف على بيوت الإلهة « بت » ، وحاجب ملك الوجه البحرى لكل البلاد ، والمراقب للفرعون فى كل البلاد الأجنبية ، فى الجنوب والشمال والشرق والغرب .

(٨) نقوش الدير البحرى (Urk. IV. P. 416) .

(٩) قطعة من تمثال من المحرابيت الرملى عثر عليها فى « إدفو » (A. S. Vol. IX. P. 106.)

(١٠) ثلاث أوان من الحجر المصقول (Urk. IV. P. 416-7) .

(١١) قطعة من الحجر مزخرفة من طينة وعليها اسم موظف يدعى « توس » (Tws) ويحمل لقب المشرف على خضر آمون (؟) وقد كتب عليه لقب « سنموت » بوصفه مدير بيت « آمون » (راجع Urk. IV. 417) .

(١٢) تمثال من الجرانيت الرملى « لسنموت » وهو ممسك بالأميرة « نفرورع » عثر عليه فى خبيئة « الكرنك » ويحمل لقب الأمير الوراثى ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير الوحيد وكاتم السر فى بيت « آمون » (معبد آمون) ، ومرشد بلاد الشمال (الوجه البحرى) وعماد القوم ، والمشرف على مخازن غلال

« آمون » فى المدينة الجنوبية (طيبة) ، والمشرف على عمال حقول « آمون » فى والمشرف على عيد « أمون » وثانى الفرعون فى بيت « جب » ، والمشرف على ثيران « امون » فى « الكرنك » ومدير بيت « امون » .

(١٣) تمثال من الجرانيت الأحمر « لسنموت » والأميرة « نفرو رع » من خبيئة الكرنك وهو الآن بالمتحف المصرى (رقم No. 42115) .

(١٤) تمثال آخر من الجرانيت الأسود من نفس المكان له وللأميرة «نفرورع» (No. 42116) وعلى ذلك يمكن تلخيص ألقابه قبل اعتلاء حتشبسوت الملك وبعده مما ذكرنا من الآثار وغيرها فيما يلى

ألقاب سنموت قبل اعتلاء حتشبسوت العرش : (١) مدير البيت العظيم . (٢) مدير البيت العظيم للزوجة الملكية . (٣) مدير بيت ربة الأرضين . (٤) مدير البيت العظيم للزوجة الملكية«حتشبسوت» . (٥) مدير القصر الخاص . (٦) مدير البيت العظيم للابنة الملكية « نفرورع » . (٧) مربى الابنة الملكية « نفرورع » . (٨) مدير كل المبانى الملكية . (٩) المشرف على بيتى الفضة والمشرف على بيتى الذهب والمشرف على الأختام . (١٠) المشرف على مخازن غلال « آمون» . (١١) المشرف على حقول «آمون» . (١٢) المشرف على أراضى « آمون » . (١٣) المشرف على ثيران « آمون » . (١٤) رئيس عيد « آمون » . (١٥) المشرف على بيت « آمون » وسرحات (المركب المقدسة) . (١٦) المشرف على مخازن غلال « آمون » (وسرحات). (١٧) ... ... آمون وسرحات . (١٨) الأمير الوراثى المشرف على كهنة «منتو» فى « أرمنت » .

ألقابه بعد اعتلاء حتشبسوت العرش : (١) مدير بيت آمون . (٢) مدير البيت . (٣) المدير العظيم للبيت (الملك) . (٤) المدير العظيم لبيت آمون . (٥) المدير العظيم لبيت الملك . (٦) الوالد المربى الكبير لبنت

الملكية سيدة الأرضين والزوجة المقدسة «نفرورع» . (٧) المشرف على إدارة الأرضين (؟) (٨) مدير كل أعمال الفرعون . (٩) المشرف على أراضى آمون . (١٠) المشرف على حقول آمون . (١١) رئيس فلاحى آمون . (١٢) المشرف على الأرض المزروعة للإله آمون . (١٣) المشرف على بقرات آمون . (١٤) المشرف على ثيران آمون . (١٥) المشرف على مخازن غلال آمون فى المدينة الجنوبية (طيبة) . (١٦) المشرف على مزارع آمون فى « من إسنت » . (١٧) المشرف على ثيران آمون فى معبد الكرنك . (١٨) المشرف على أعمال الإله آمون . (١٩) المشرف على مخازن غلال الإله آمون . (٢٠) كاهن الإله آمون السفينة « وسرحات » . (٢١) المشرف على كهنة الإله منتو فى « أرمنت » . (٢٢) المشرف على إدارة آمون .

قطع الاستراكا المخطوطة التى وجدت فى مقبرة سنموت وأهميتها التاريخية : كان من أعظم الكشوف الأثرية التى أماط اللثام عنها الأستاذ « ونلوك » أثناء تنظيف مقبرة « سنموت » مستشار الملكة « حتشبسوت » وأكبر شخصية فى عصرها كما ذكرنا ، مجموعة قطع الفخار المكتوبة باللغة المصرية القديمة وكلها خاصة بطوائف العمال والرسامين الذين وكل إليهم أمر حفر مقبرته وتزيينها ، ولقد دل فحص نقوش هذه المجموعة على أنها تكشف لنا عن ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية وهى حياة طائفة العمال الذين عملوا فى خدمة رجل من عظماء الدولة وأشهرها فى خلال الأسرة الثامنة عشرة .

وتشمل هذه المجموعة عشر ومائتى وسبعين قطعة من المخزف يرى فيها دون عليها كل من المؤرخ والقارئ العادى على السواء كل البيانات الضرورية لسير العمل فى هذه المقبرة ، وسنورد هنا مقدمة قصيرة مفيدة تحدثنا عن ظروف هذا الكشف وكذلك تظهر لنا كيف أن أنواع الجبابيع التى كشف عنها من هذه « الاستراكا » المختلفة يمكن ربطها بأوجه نشاط الصناع المكلفين بحت المقبرة :

فقد كان الكتاب المكلفون بالعمل يمحون كل يوم أثناء حفر المقبرة قطع « الاستراكا » المستوية السطح مما تراكم من الحبر ويرسمون عليها تصميم الحجرات الجنازية التي لم تكن قد حفرت بعد ، وكذلك كانوا يرسمون رسومات تخطيطية « كروكى » تمهيدا للقيام بالعمل في نقوش القبر فينقلون المتون الدينية والجنازية التي كان لا مندوحة لتحلى بها الحجرات ، وكذلك كانوا يقدمون تقارير مختصرة عن حالة العمل كما كانوا يدونون القوائم الخاصة بأسماء العمال ، وأخرى بجرد الأدوات أو الأشياء التي تسلموها أو وردوها .

ويلفت النظر أن بعض هذه القطع من « الاستراكا » التي وجدت حول المقبرة كان قد استعملها التلاميذ الذين جاءوا ليدرسوا بإشراف الكتبة الذين عهدوا القيام بالأعمال الكتابية في القبر ، لكتابة تمارينهم التي كانت تنتخب من المتون الأدبية والدينية الشهيرة كما نجد قطعا نقشها أفراد لمجرد التسلية واللهو وقت ملاحظتهم سير العمل ، فنشاهد من بينها من وقت لآخر رسما تخطيطيا لحيوان وأشياء أخرى على حسب مزاج الرسام وهواه . هذه نظرة عامة على ما تحتوى هذه « الاستراكا » . والواقع أن هذه القطع يمكن تصنيفها عدة مجاميع وهى :

(١) الاستراكا التي رسم عليها أشكال ليست من طراز ممتاز كلها ، ويظهر أن رساميها كانوا مبتدئين أو هواة وحسب ، وتنحصر فائدة ما جاء عليها في أنها مسودات ورسم تمهيدى للوحات التي كانت تتألف منها نقوش مقصورة القبر الجنازية . فمثلا نجد على أحدها رسما تخطيطيا لرءوس رجال يمكن الإنسان أن يتعرف فيها ملامح « سمنوت » ، ومن بينها وجد رسم رأس بالحبر الأسود ويشاهد فيه أنه رسم على حسب قانون النسب المتبع عند المصريين . وكذلك نجد رسوما تخطيطية أخرى كثيرة لمناظر مركبة مثل منظر الأسرة ومناظر دينية وأكوام مكدسة من القرابين . ولا بد أنها كانت ترسم على الجدران بحجم أكبر ويكفى أن نذكر هنا تصميمين عنصريين وهما يدلان بلا شك على مشروع تنظيم جزء من دهاليز القبر وحجراته فقد وجد إشارات تدل على مقاييس الأبعاد لهذه المبانى .

وفى مجموعة ثانية نجد المتون وتشاهد طائفة لا بأس بها تشمل رسوما تحضيرية النقوش العظيمة التى كان لا بد منها لكمال زينة القبر . ومعظم هذه النقوش قد دُوّن بالهيروطيقية الاصطلاحية وقد كتب فى سطور عمودية أو أفقية على حسب ما تقتضيه طبيعة الرسوم التى معها . ويلاحظ هنا أحيانا أن الرسم الأولى لا يقدم لنا إلا بداية السطور مما يدل على أن هذه القطع لم تكن إلا توجيهات مباشرة لتزيين المزار الجنازى والغرض منها وضع الرسام فى أن يحسب حسابه مقدما عن الطريقة التى يجب أن يوزع بها المتن حتى يملأ به سطح الجدار الذى تحت تصرفه .

وبجانب هذه الاستراكا المكتوبة بالخط الهيروطيقى وجدت أخرى خطت بالهيراطيقية وتشمل متونا دينية وجنازية . ونظن أن كثيرا من هذه الاستراكا كانت تحتوى على المسودات الابتدائية للمتون التى اتخذها الكاتب لنقشها على جدران المزار ، فقد وجد فعلا متن جنازى على الجدران وما يقابله على قطع « استراكا » . ومن بين « الاستراكا » الغريبة المكتوبة بالهيروطيقية واحدة منها (رقم ٥٧) وتحتوى على المتن الذى يفسر عادة فى مناظر أخرى بلوحة الصيد فى المستنقعات أما الاستراكا الخاصة بالأعمال التى نفذت فى القبر فنجد أكثر أهمية أيضا إذ نجد الكتبة الذين كانوا يديرون العمل يوميا يدونون تقارير مختصرة عن سير العمل وهى التى نجد تكتب فى يوميات الأعمال بلاشك وعلى الرغم من أن أعمال الحفر لم تنتج لنا إلا عددا صغيرا من هذه الوثائق فقد كانت كافية لإعطائنا فكرة عن تنظيم الأعمال وتوضيح مدة سير العمليات فنجد مثلا على إحدى الاستراكا (رقم ٦٢) أن حفر المقبرة قد بدأ فى السنة السابعة من حكم تحتمس الثالث ، وعلى قطعة أخرى (رقم ٨٠) عرف من المتن أن العمال كانوا ما زالوا مشتغلين فيه فى السنة الثانية عشرة . وهاك ما جاء على الاستراكون الأولى (رقم ٦٢) : « السنة السابعة الشهر الرابع من فصل الشتاء اليوم الثانى ، بداية العمل فى المقبرة فى هذا اليوم : أحد عشر بناء حفروا عمقا كبيرا فى ستة قصب عرضا بجانب ذراع واحد فى الداخل » . وفضلا عن التقارير

اليومية يوجد كذلك قوائم بأسماء المأكولات والمشروبات وتعدادها . والغريب أن جميع الوثائق المختلفة من هذه الاستراكا تقدم لنا معلومات تظهر أنها خاصة بطوائف كثيرة كانت تقوم بأعمال معينة . فمثلا نجد بعض الاستراكا تشير إلى أن بعض العمال قد انتخبوا من الرجال التابعين لموظفين كبار في وقت معين .

وفي الاستراكون (رقم ٨٣) نجد التكوين التالى : الرئيس الأعلى الملكى (ربما يكون هذا هو «سنفرت») واحد وعشرون رجلا ، الوزير ، سبعة رجال ، مدينة سروس ، ثلاثة وعشرون رجلا ؛ وكذلك ذكر على الاستراكون (رقم ٨٥) أن الكاهن الأعظم لسفينة «وسرحات» المسمى «سنى من» الذى يمكن أن يكون أخا «سنفرت» قد قدم ثلاثة عشر شاه ؛ ويظهر أنهم كانوا من المسنين الذين يقومون بالعمل سخرة .

وعلى حسب ما جاء فى مجموعة الاستراكا (رقم ٦٣[1] — ٧٤) يفهم أن الجزء الأعظم من العمل فى هذه المقبرة كان يقوم به طائفة من العمال مؤلفة من خمسة أو ستة أشخاص منهم أربعة بنائين أو قاطعى أحجار ، وهم . « تى » (Taty) و « حابى حرسا أف » (Hapy-her Sa ef) و « سنى نفر » (Seny Nefer) و « بشار » (Beshaor) ؛ وقد كلفوا نحت المقبرة وصقل الجدران وكذلك الكاتبان « أى أم حتب » (Ii em Hetep) و « أموتون » وكانا يعملان فى تلوين الجدران وتزيينها ؛ وفضلا من ذلك كان هناك حاملون لحمل المياه ومجاريف الجص (المونة) . ويمكن الإنسان أن يذهب إلى أن هذه الطائفة من العمال كانت تحت إدارة موظف يقوم بوضع التقارير . على أن المعلومات التى يستقيها من قطع الاستراكا هذه تكون ذا فائدة عظمى لو وضع عليها تواريخها صحيحة كاملة ؛ ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن الكاتب كان يكتب التاريخ مبينا الفصل والشهر واليوم مغفلا ذكر السنة . ومن بين هذه القطع التى لها علاقة غير مباشرة بالصنف الأخير الذى ذكرناه قطعة تشير للسمك ويظهر أن كاتبها كان ميالا للتنكيت (ورقمها ٧٨) وقد

(١) الأرقام هنا تشير إلى مقال الأثرى « طبس » .

جدًا عليها: لقد حضرت إلى هذه المقبرة لأجل أن أنقش على الذين يعملون في نحت الأحجار من جهة، وفي يدي شقفة من الحجر الصلب لأكتب عليها أسماءهم، ولكن القطع التي تحت تصرفي ضيقة جدًا أكثر من أن أحفر عليها.

ونعود بعد إلى الأستراكا المكتوب عليها بالخط الهيراطيقي فنجد بعضها يحتوي على نقوش دينية (١٣٢ — ١٤١) وكانت كتلك تنقل منه المتون التي تنقش على جدران المقبرة كأنشودة الشمس التي على الأستراكا (رقم ١٤٠) وقد ذكر «سنموت» في عنوانها. أما البعض الآخر فكانت أدبية (١٤٢ — ١٥٢) ونعتبر من المسلم به أنها ليس لها غرض جنازي قط بل كانت مجرد قطع من الشقفات كتب عليها التلاميذ الذين كانوا يتلقون دروسهم على يد الكتّاب المكلفين بتسيير العمل في المقبرة، كما كانت العادة المتبعة. وربما يعزى ذلك إلى كثرة قطع الأستراكا عند حفر مثل هذه المقبرة الضخمة، إذ كان الكاتب ينتهز هذه الفرصة ويدعو تلاميذه لتلقي الدروس في هذه الجهة. على أن هذه التمارين يمكن معرفتها بما تحتويه من كلمات رديئة وما عليها من محو وإثبات ومما هو جدير بالذكر هنا أن المتون المصرية الكلاسيكية أي متون العهد الإقطاعي الأول كانت هي النماذج التي يسير القوم على هديها في عهد «تحتمس الثالث» كما كانت نماذج احتذاها كتّاب عهد الرعامسة في الأوساط العلمية وأهمها قصة سنوهيت (١٤٠) وذم الحرف (١٤٧ — ١٤٨)، وتعاليم «أمنمحات الأول» (١٤٢ — ١٤٣) وعلى الرغم من أن هذه قليلة فإنه يجب علينا ألا نهملها لأنها أقدم عهدًا وأصح حفظًا بكثير من التي عثر عليها فيما بعد في عهد الرعامسة (راجع W. C. HAYES, "Ostraka and Name Stones from the Tomb of Sen-Mût (No. 71) at Thebes (The Metropolitan Museum Egyptian Expedition (Vol. XV.) New York 1942.

سن من:

وهو شقيق «سنموت» السالف الذكر، غير أنه لم يكن واسع الشهرة مثل أخيه ومع ذلك كان يحمل ألقابًا عظيمة، فكان يلقب «الأمير الوراثي» وحامل خاتم ملك

الوجه البحرى، والمشرف للبرى العظيم لابنة الملكية (راجع Urk. IV. P. 48) .
أما فى عهد «تحوتمس الثالث»، فكان لقب «بياناة شيخ عبد القرنة» يحمل الألقاب التالية، الكاهن المطهر لمقصورة «أحمس الأول»، ومربى زوج الملك «تحوتمس الثالث»، ومربى زوج الملك «حتشبسوت»، ومدير بيت بنت الملك (Urk. IV. P. 418)، وقد عثر على تمثال له فى مقبرة، وعليه لقب مدير البيت، ومربى الزوج الإلهية، ثم الأمير الوراثى والحاكم وكاهن «آمون»، وأخيرا لقب الذى يقترب من شخص الإله (الفرعون) (راجع Davies, P. S. B. A. Vol. XXXV P. 283. ff. Pl. LII, LIII) .

حبوسنب :

يحتمل أن «حبوسنب» هذا كان أكبر شخصية فى عهد «حتشبسوت»؛ لأنه كان يحمل لقب الوزير، على أن «سنموت» قد غطى عليه بما كان له من حظوة لدى الملكة؛ «إمس نبه» بجبانة شيخ عبد القرنة، نعرف أنه كان يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثى، وحامل خاتم الوجه البحرى، والسمير العظيم الحب، والقاضى والكاهن الأول للإله «آمون»، والمرتل الثالث للإله «آمون» والمرتل الثالث للإله «آمون» فى معبد الكرنك، ومدير كل الأشغال الملكية، والمشرف على كل كهنة الوجه القبلى والوجه البحرى (Urk. IV. P. 487 - 489). وقد نحت تمثاله بالسلطة الفرعية وقد ذكر عليه ألقابه التى ذكرناها، وكذلك الألقاب التالية: القاضى الممدوح من إله القبلى، وحاكم الوجه القبلى وأذنا ملك الوجه البحرى والفم الذى يهدئ كل البلاد قاطبة (Ibid. 485.). ولكن ألقابه التى تعد أهم مما سبق توجد على تمثال له من الجرانيت محفوظ الآن «بمتحف اللوفر» وهى كما يأتى (راجع Urk. IV. P. 471. 7) .

رئيس مقاطعات الجنوب العظيم، والكاهن الأعظم (سم) لمحراب «حب سد» (أى محراب المقاطعة السابعة لمصر العليا، وعمدة المقبة، والمدير للمشرف على المعابد، والمشرف على كل وظائف بيت «آمون»، ومحاسب أبقار «آمون»

والسمير الوحيد، ورئيس ملك الوجه القبلي وأمين ملك الوجه البحري، والذي في قلب الإله الطيب والكاهن الأول للإله «آمون».

أما القبر الذي لبيه «حبو سنب» في جبانة «الدير البحري» فقد تكلمنا عنه، ويحدثنا على تمثاله الذي في متحف اللوفر عن النشاط الذي قام به هذا الوزير في عهد الملكة «حتشبسوت» ومن قبلها «تحتمس الثاني» (راجع Breasted, A. R. II, § 389)

الملك الطيب «عاخبر رع» (تحتمس الثاني) ... ... ويقول: والله عيني لأجري بالنهار في مسيرة مشرقة في القصر، وذلك لسمو محبتي، ولقد عينني سيدي الملك «تحتمس الثاني» رئيساً في «الكرنك» في بيت «آمون» في كل ... ...

والنقوش التي على هذا التمثال مهشمة، غير أنه يمكننا أن نفهم منها أن هذا الوزير قد كلف إقامة قربان جنازية للإله «آمون رع» على حساب الفرعون، فكان مكلفاً بعمل باب عظيم مغشى بالذهب والفضة والنحاس الأسود، على أن يكتب الاسم العظيم بالسام، وكذلك قام بعمل محاريب من الأبانوس مغشاة بالذهب ومراكب قربان عدة من الذهب والفضة واللازورد والأحجار والقلائد، وأقام معبداً من الحجر الجيري الأبيض يسمى «تحتمس الثاني» مقدس الآثار ... ...

وربما يجب التنويه عنه هنا أن ذكر «تحتمس الثاني» في النقوش فيه اختلاق، وذلك لأن النقش كان في الأصل للملكة «حتشبسوت» ولكنه محي في عهد «تحتمس الثالث» ووضع مكانه اسم والده كما يشاهد ذلك في كثير من الآثار، وقد كان نصيب مقبرة «حبوسنب» في «جبانة شيخ عبد القرنة» هو نفس نصيب مقبرة «سنموت»، ولا يزال فيها بعض بقايا لمناظر ملونة توضح لنا بعض الصناعات والحرف، وهي تدل على الفن الرفيع في الصناعة، كما يحدثنا «حبوسنب» نفسه في نقوشه (راجع Porter and Moss, "Bibliography", I. P. 96).

ولا نزاع في أن «حبوسنب» كان يعد أقوى شخصية في حزب «حتشبسوت»، لأنه فضلاً عن كونه الوزير الأول والقابض على زمام

المالية ، فإنه كان الكاهن الأكبر للإله « أمون » والمشرف على كهنة الوجهين القبلي والبحري ، وبذلك ركز جمع في شخصه كل الوظائف الإدارية ووظائف الكهانة في جميع البلاد . والواقع أن هذه كانت خطوة لجمع كل طائفة الكهنة تحت سلطان الكاهن الأول للإله « أمون » . وهذا دليل آخر على سيادة الإله « أمون » على كل الآلهة المصرية قاطبة .

حبو :

وكان والد « حبوسنب » يدعى « حبو » وقد أقام له ابنه لوحة جنازية نعلم منها أنه كان يحمل الألقاب التالية : المرتل الثالث للإله « أمون » في « الكرنك » والقاضي الذي يمدحه رب مدينته . وقد جاء على هذه اللوحة كذلك ذكر اسم أم « حبوسنب » ويدعى « ما » « أمون » وكان يلقب الخازن الأول المقدس لمائدة « أمون » راجع Urk. IV. P. 469-71 .

الموظف المشرف على خزانة حتشبسوت :

ولقد كان « تحوتى » أحد الذين ناصروا الملكة « حتشبسوت » بكل ما لديهم من قوة ، ولذلك فإن قبره قد حاق به من التخريب والتلف ما نال قبور كل من كان حول « حتشبسوت » ، غير أن التلف الذي أصاب قبره كان منصبا على اسم الملكة ، وما يتصل به من ألقاب . وقد خلف « تحوتى » هذا درايته في الإشراف على بيت الفضة ، وبيت الذهب وهذه الوظيفة قد أهلته للإشراف على القيام بعمل عدة آثار من المعادن الكريمة فهو الذي أنجز عمل مسلتي « حتشبسوت » المطليتين ، وكذلك هو الذي أشرف بشخصه على كيل الذهب ووزنه ، والمعادن الثمينة الأخرى التي وردت من حملة الملكة إلى بلاد « بنت » ، وهذا العمل قد خلد له في نقوش الدير البحري ومناظره (Naville. "Deir el Bahari", Vol. III. P. 79.)

ومنظر الدير البحري قد رسم مزدوجا ، ففي أحد الرسمين يشاهد « تحوتى » الموظف بسبيل الكيل للملكة ، والثاني يشاهد فيه الإله « تحوتى » يقوم بنفس العمل للإله

« امون » ومن اللوحة التي في قبره علم أنه كان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثي، وحامل خاتم الوجه البحري، والكاتب، والمشرف على الخزانة، والسمير الوحيد، والمقرب الممتاز عند سيد رب الأرضين، والممدوح من الإله الطيب، مدير المباني، والمشرف على بيتي الفضة، والمشرف على بيتي الذهب، والمشرف على ثيران «آمون» وحامل خاتم مالية الملك (راجع .Urk. IV. P. 420. ff) .

ما أنجزه من الأعمال : يقول السيد خات بوصفه رئيسا مديرا للعمليات، وأرشد الصناع في عملهم عند ما [illegible] السفينة العظيمة (الأجل عبد) بحلية الجمان (السارة) « عظيمة في حضرة آمون » وكانت موشاة بالذهب من أحسن ما وجد في الصحراء وقد أضاءت الأرض بأشعتها (وكذلك أديرت عمل) محراب لأفق الإله وكذلك عرشه العظيم من السام (وأديرت العمل في) « وسر حات » (اسم سفينة الإله البحرية) وهو معه مقاصير آلات السفن (وواجهته العظيمة مصنوعة من النحاس الأسود والكافا مرصعة بالسام) وكذلك المعبد المسمى « مضيئا على الأفق » حرم آمون العظيم الذي هو إقامته في الغربية وكل أبوابه من خشب الأرز الحقيقي المغشى بالبرونز وسمه آمون الذي هو أقامه القائم الأبدي، ورواقه موشاة بالذهب والفضة حتى أن جعلها كانت مثل أفق السماء، وكذلك أشرفت على عمل محراب عظيم من أبسوس الإله الشريف، والسلم الذي تحته عال ومصنوع من المرمر المحضر من محاجر حتنوب و (عمل) بوس الإله موشى بالذهب والفضة حتى أنه [illegible] الناظرين بلألائه، وكذلك أشرفت على عمل الأبواب العظيمة العالية الواسعة في معبد الكرنك وقد غشيت بالنحاس والبرونز والمكاله المرصعة كانت من السام، وعمل [illegible] كثيرة (الألف) من السدم، وكل الأحجار الغالية وعمل المسلتين العظيمتين اللتين يبلغ طولهما ١٠٨ أذرع (وربما يقصد أن طول كل واحدة منهما ٥٤ ذراعا) موشاتين بالسام، وقد ملأتا الأرضين بهائهما (وأشرفت على عمل) بوابة فاخرة اسمها « [illegible] آمون » وصنعت من النحاس من قطعة واحدة وعلى الهيئة الثانية أيضا، وعلى عمل موائد قربان كثيرة للإله « آمون في الكرنك » مصنوعة من السام الذي لا يحصى، ومن كل حجر ثمين، وعلى عمل عرش عظيم ومحراب مصنوع من الجرانيت الذي دعامته مثل عمد السماء وصنعه أبدي، والآن قد أحصيت كل [illegible] وأحصى ما في كل أرض من الإله « آمون » رب الكرنك، وكنت أنا الذي عملت [illegible] لأني كنت ممتازا في [illegible] وقد عرفت أن لسانه يعمل ما يقول كثرة الأسرار وقد [illegible] الملكة مرتفعا في القصر حالة بأني [illegible] وقد [illegible] ان كل السام من أحسن ما كيه الصحراء في وسط قاعة العيد الخاصة بالأعياد وقد كله بمكيال [illegible] »

لأجل الإله ، ما سوجد في البلاد كلها قد تم حسابه لأجله «حتحور» (أي نحو ١٠٣٢٣ بوشل) ... وكل هذه الأشياء حدثت وليس فيها كذب ، وكنت يقظاً وكان لي عقل ممتاز في رأي جلالتي حتى أنه أصبح في استطاعتي أن أرتاح (بعد الموت) في الصحراء الغالية الخاصة بالمنعمين الذين في الجبانة ، وحتى تبقى ذكراي على الأرض وحتى تحيا روحي مع (أوزير) رب الأبدية وحتى لا يصدها الحراس الذين يحرسون أبواب العالم السفلي ، وحتى تستطيع أن تخرج عند مناداة أولئك الذين يصعدون القرابين أمام قبري في الجبانة ، وحتى تكون وفيرة طعامها ، وحتى يكون معها الماء وحتى تنال ماء النيل» .

والنقوش التي على جدران معبد «الدير البحري» التي تصور لنا نشاط «تحوتي» توحيد ما يؤكد صحة ما جاء فيها من الوثائق التي تركها لنا على جدران قبره ، إذ يقول (راجع : Breasted, A. R. II. § 377) تأمل ! إن كل الطرائف ، وكل الجزية من الأراضي كلها وأحسن محاصيل بلاد «بنت» ، قد قدمت «لآمون» رب «الكرنك» لحياة وسعادة وصحة الملكة «ماعت كارع» (حتشبسوت) [معطاة الحياة والثبات والصحة] ، ولمه (أي آمون) أسند عملها الأرضي لأنه يعلم أنه (أي الإله) كان سيقدمها (الطرائف والجزية) له . والآن كنت أنا الذي سجلتها ، وذلك لأني كنت ممتازاً جداً في قلبه ... وقلبه يعرف أني إنسان أعلم ما يقال ، حقاً كلامي ما يرضي سيده ، وقلبه تعيش حيرا بالقصر ، حالما كنت ماهرا في العمل ، ولقد ساعدت (؟) على رفع القمة ، وكل الأحجار الكريمة في معبد «الكرنك» ، وهي (الطرائف) التي كانت معدة للجزية حتى عتقها ، ولم يحدث مثل ذلك في زمن الأجداد ولقد أمرني جلالته أن أجمع ... (مجاله ؟) من السام من أحسن ما تخرجه الأرض الغالية (أي جبال الجزية) في داخل قاعة الأعياد ؛ التي تكاليفها (أي الجزية) بالمئات ، لأجل «آمون» أمام وجه الأرض جميعا .

كاملة بهذه : كما وكالود مقصف حقت من السام (أي ٨٨ $\frac{1}{4}$ بوشل) أي ما يساوي ، الخبز وغيرها وكفاية آلاف من ... ، لأجل حياة وسلامة وصحة الملك «ماعت كارع» (حتشبسوت) معطاة الحياة مخلدة ، ولقد قبلت وقتا من قبل ... «آمون رع» رب «الكرنك» . وكل هذه الأشياء حدثت لي حقا ، وليس فيها مين ولا كذب فيه مطلقا . وقلبه كنت يقظا وكان لي عقل ... حتى يمكن أن آوي إلى الأرض الغالية الخاصة بالمنعمين في الجبانة (راجع Urk.IV.P.426) .

أهمية هذه الوثيقة : ولا نزاع في أنه من الأشياء الهامة تاريخيا أن يجد الإنسان وثائق ملكية رسمية ووثائق خاصة يؤكد بعضها بعضا . على أن هذه ليست الحالة الوحيدة ، فسنرى وثائق من هذا النوع من عهد «تحتمس الثالث» . على

أن ذلك يظهر لنا من جهة أخرى أن جزءاً كبيراً من ترجمة حياة عظماء القوم يمكن الاعتماد عليه إلى حد ما ، على الرغم مما يحتويه من أساليب منمقة وألفاظ محسنة .

امنحوتب المدير العظيم للبيت : ومن كبار الموظفين الذين كانوا يعملون على تحقيق أطماع « حتشبسوت » ومقاصدها « امنحتب » الذي نحت لنفسه قبراً في « جبانة شيخ عبد القرنة » رقم (٧٣) . وقد ظل هذا القبر لا يعرف اسم صاحبه حتى عهد قريب ، وذلك لأن رجال « تحتمس الثالث » كانوا قد محوا اسمه من كل أجزاء المقبرة على أثر وفاة « حتشبسوت» وتولى « تحتمس » العرش ، غير أنه بعد مجهود جديد في رسم المقبرة رقم ٧٣ ، وقد عرف في النهاية أن صاحبها هو « امنحتب » (راجع : Porter & Moss. "Bibliography" I, P. 100) وألقابه كما يأتي : — الأمير الوراثي ، والسمير الذي يقترب من أعضاء الإله (أي المخصص له) ورئيس كل البلاد ، والمقرب العظيم لدى رب الأرضين ومدير كل الأعمال الخاصة بالمسلتين العظيمتين لبيت « آمون » ومدير البيت العظيم وأتباع الفرعون ، والذي يهدئ بفمه كل الأرض قاطبة ، وعظيم العظماء في كل الأرض جميعاً ، ومدير البيت العظيم للفرعون ، والمشرف على ثيران « آمون » وحامل خاتم ملك الوجه البحري ، والسمير الوحيد (Urk. IV, P. 456-62) .

مناظر قبره الباقية : ولا يزال على جدران قبره عدة مناظر تشير إلى علاقة « امنحتب » بالملكة ، ومناظر أخرى من حياته اليومية ، منها منظر يشاهد فيه مقدماً للملكة قلادتين ثمينتين ، كما يرى خلف « امنحتب » قطع فنية ثمينة منها صندوق من الأبنوس مموهة بالذهب ، ومرصعة باللازورد ، وعربات عظيمة مصنوعة من خشب السنط المجلوب من بلاد « كوش » مصفحة بالذهب ، وأقواس ، وكنانات من الفضة والذهب (؟) وتمثال للملكة في صورة « بو الهول » من الحجر الأسود ، وتمثال الإله « آمون » من المرمر . وكذلك تشاهد الثيران أمام مسلتين عظيمتين ، وقد جاء في النقوش أنه هو : الأمير الوراثي الذي يدير العمل ،

وعند أمام هاتين المسلتين العظيمتين في بيت « آمون » . (Urk. IV, P. 461.)
ونرى كذلك منظراً تسلم فيه المتوفى أزهاراً ، وفي آخر يصطاد السمك والطيور .

موتحق .

تقع مقبرة هذا العظيم في « جبانة شيخ عبد القرنة » (رقم ١٢٥) . والظاهر أنه لم يلحق به غضب الفرعون وتحطيمه في عهد « تحتمس الثالث » ، كما أصاب قبور غيره من موظفي « حتشبسوت » إذ قد بقي لنا بعض مناظر طريفة . وتدل ألقابه على أنه كان من أصحاب الحظوة العظيمة إذ كان يتقلد الوظائف التالية (راجع Urk. IV, P. 451) الحاجب الأول ، والحاجب الأول لكل الأرضين ، ومدير أعمال الفرعون ، والمشرف على كل الصناعات الملكية ، والمشرف على إدارة « آمون والمشرف على مخازن غلال الآلهة الطيبة الخ » ، كما كان يحمل الألقاب الفخرية الآتية : « الأمير الوراثي ، والسمير العظيم الحب ، والسمير الوحيد » .

ومن أهم المناظر التي تشاهد في مزار قبره منظر الصناع وهم يقيمون عمود بوابة وكذلك وهم يصنعون إناء وهبيا ومصنوعاً كما تدل على ذلك النقوش ، وهذه الأشياء كانت تعمل للإله « آمون » (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 341
& Pl. 342; Urk. IV, P. 453-4) .

نب آمون كاتب الصحيفة الملكية في حضرة الفرعون :

إنهما موظفان من عهد « حتشبسوت » بهذا الاسم ، وأحدهما « نب آمون » كاتب الحاسبات الملكية في حضرة الفرعون ، والمشرف على الغلال . وقد اغتصب قبره في عهد الأسرة العشرين ، ومن أهم المناظر التي بقيت لنا فيه منظر تماثيل الفرعون « امنحتب الأول » والملكة « نفرتارى » (راجع Prisse, "l'Art Egyptien", II.) . وقبره في « جبانة شيخ عبد القرنة » (رقم ٦٥) (راجع Gardiner & Weigall, "Catalogue", No. 65.) .

ت- آمون الثاني كاتب حساب الحبوب :

وقبره في " الخوخة " على الصفحة الغربية من النيل « بطيبة » ، ولم تنشر مناظره بعد ويلقب صاحبه " بالكاتب حاسب الحبوب في مخازن القربان المقدسة للإله « آمون » (راجع Ibid No 179) .

آمون امحب ويسمى محو أيضاً : وجد ضمن التماثيل التي كشف عنها في خبيئة « الكرنك » تمثال لموظف يدعى « آمون ام حب » وهو الآن بالمتحف المصري (راجع Legrain, "Statues", No 42112) .

وبعض الألقاب التالية : خادم الكاهن الأول للإله « آمون » (حيوسلب) ومدير بيت الكاهن الأول ؛ وذلك يدل على عظم مكانة الكاهن الأكبر للإله « آمون » فقد كان له موظفون خاصون به ، كما كان للفرعون .

بو ام رع : كانت مقبرة « بو ام رع » من أهم المقابر التي كشف عنها في عهد الأسرة الثامنة عشرة . وقد عمل في عهد كل من « حتشبسوت » والفرعون « تحتمس الثالث » وأهم وظيفة كان يشغلها في كلا العهدين هي وظيفة مهندس بناء ، وإن كان لا يحمل هذا اللقب صراحة . وقد أثنى عليه الفرعون « تحتمس الثالث » لأنه كان أمثله من الرضاعة ، فقد كانت « نفرايع » والدة « بو ام رع » مرضعة الفرعون « تحتمس الثالث » . أما والده « بويا » فقد كان يحمل لقب « الكاتب الملكي » وكذلك كان يلقب بالقاضي أما ألقاب « بو ام رع » الأخرى فهي : الأمير الوراثي ، والفم الذي يهدئ كل الأرض قاطبة ، وحامل خاتم الوجه البحري ، والكاهن الثاني للإله « امون » والمقرب من الفرعون في كل الأشغال ، والمشرف على الحيوانات ، والمشرف على حقول « امون » والد الإله ، ومحبوبه ، (راجع Urk. IV. P. 521) .

وقد كشف لهذا العظيم عن تمثال في معبد الإله « امون » « بالكرنك » وقد جاء عليه نقوش عن بعض ما كانت الإشراف على إجازه الملكة « حتشبسوت »

وهناك النص حوريا الأمير الوراثي، والسيد، ومهدئ الأرضين جميعاً، والذي يملأ قلب الملك في كل مكان، والذي ينادي بكل عمل طاهر، حامل خاتم ملك الوجه البحري، والكاهن الثاني «لآمون» «بو ام رع» يقول : لقد فتشت عن محراب عظيم من الأشجار القشب بالسام من قبل ملكة الوجه القبلي والوجه البحري، «ماعت كارع» (حتشبسوت) لأبيها «آمون» سيدة «أشرو» وأشرفت على إقامة باب مصنوع من الحجر الجيري الأبيض المستخرج من «عين» بوساطة ملكة الوجه القبلي والوجه البحري «ماعت كارع» لأبيها «آمون» سيدة «أشرو» وقد أقيمت طغرة «بو ام رع» المقامة في «الكرنك» (بالمستمتع رقم ٣٩) من حيث رجال «تحتمس» ويظهر لاتصاله به كان كرئنا.

ويشمل هذا القبر عدة مناظر تمثل لنا نواحي من حياته الحكومية، ونشاطه، وقد تحدثنا عن بعضها مثل منظر للسائحين، ومن أهم المناظر منظر «بو ام رع» وهو يستقبل وفود رؤساء البلاد الأجنبية، وهم يجلبون الجزية إلى مصر، وكاتبه أمامه يحصي ما يقدمونه، ونشاهد فوق صورة «بو ام رع» نقش جزية عصوب مستنقعات آسيا وغيرها «حمر» (رأس حور) وجزية الأراضي الجنوبية، والواحات الشمالية، مقدمة للملك لمعبد «آمون» رب تيجان الأرضين، والشرف على الكرنك على يد الأمير الوراثي، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد المحب ... الرجل الأول ... «بو ام رع» صادق القول».

والمنظر قسم ثلاثة صفوف بعضها فوق بعض، ففي الصف الأول نشاهد الأسيويين يجلبون جزيتهم، وقد نقش فوقهم: جزية سادة بلاد آسيا، والصف الثاني يرى فيه أناس من الشرق الأقصى الذين على حدود آسيا وقد نقش فوقهم: «تسجيل جزية «بونت حور» ثم نشاهد أحد أولئك الرجال «رئيس البساتين الخاصة المقدس للإله آمون» ومعه نجد ماشيتين غنيتين التراثين (راجع Urk. IV. P. 323.). أما الصف الأسفل فنشاهد فيه رجالاً من الواحات وقد كتب عنهم. «تسجيل جزية إقليم الواحات رؤساء الواحات الجنوبية والشمالية». وفي إحدى المناظر نراه يراقب كل صانع الحرب التي كتبها «تحتمس الثالث» ... مراقبة كل الأكوام الخشب من البخور (صمغ صبي)، ومن الخيل والأبنوس والسام من بلاد «رتنو» وكل باقات جلوة ... والأمري الأخشاب التي حصدهم جلالته من انتصاراته».

كما نشاهده يفتش عن الآثار والأشياء الثمينة التي أهداها الفرعون لمعبد «آمون». التفتيش من الآثار الثمينة الفاخرة التي عملها ملك الوجه القبلي والوجه البحري «من خبر رع» لوالده «آمون» في «الكرنك» من الفضة والذهب، وكل الأحجار الكريمة الغالية بوساطة الأمير الوراثي، محبوب الإله «برا م رع».

وفي منظر آخر نرى توريد الذهب إلى خزائن الإله «آمون» (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 149) حيث نشاهد كاتب خزائن الإله الأول والثاني يزنان ستة وثلاثين ألفاً واثنين وتسعين وستمائة دبن (أي ما يساوي ٣٣٣٩ كيلو جراما من الذهب) ويقول اللذين أحضروه وهم واقفون في خضوع: «إن الجبال قد فتحت أبوابها (الذهب) لأجل آثار «آمون» عطاء رحمة ومحبة الفرعون».

وفي أسفل هـذا المنظر منظر آخر نشاهـد فيه كيل الذهب أمام كاتب خزانة الإله الأول والثاني وفيه ممثلو الدول التي كانت تخضع أو تصادق مصر وهم يقدمون الذهب الذي كان يكال بمكيال، وبلغ عدد كيله سبعة وثمانين ونصف مكيال، وهؤلاء يمثلون: سوريا، وخيتا، وكريت، ولوبيا. وكذلك نشاهد مناظر صنع العربات والسروج، والأسلحة، والنجارة، وصناعة الحدادة، والمجوهرات والمحاريب، وصناعة الأواني (راجع Ibid Pl. 151-4.).

نحسي: لقد ذكرنا فيما سبق أن «نحسي» هذا قد لعب دوراً هاماً في الحملة التي أرسلتها الملكة «حتشبسوت» إلى بلاد «بنت» وقد كان يحمل لقب حامل خاتم ملك الوجه البحري أو المشرف على الخاتم، مما يدل على أن حامل هذا اللقب كان يوكل إليه قيادة الرحلات كما ذكرنا ذلك في (الجزء الثالث) هذا فضلاً عن أنه كان يحمل لقب الشرف «الأمير الوراثي». وفي المنظر الذي يمثل عودة الحملة سالمة نشاهد أن «نحسي» كان أحد ثلاثة العظماء الذين ظهروا أمام «حتشبسوت» وهي على عرشها (راجع Naville, "Deir el Bahari", Vol. III. P. 85-6.)

وقد قيل عن «نحسي»: تأمل! «لقد صدر الأمر من صاحب الجلالة إلى الأمير الوراثي، وحامل خاتم ملك الوجه البحري والسمير الوحيد، والمشرف على خاتم «نحسي» أن يسير بالجيش إلى «بنت»

وهذا مما يصور لنا أهمية الدور الذي لعبه في هذه الحلقة ، وفي محراب محفوب من الصخر في « السلسلة الغربية » قد ذكر لقبه « المشرف على الختم » .

ومما يلاحظ أن اسمه قد محي من النقوش التي على معبد « الدير البحري » مثله في ذلك كمثل « سنموت » وغيره ، ولذلك يجب أن نفهم أنه كان في خدمة « تحتمس » عندما كان مشتركا مع « حتشبسوت » في الملك (راجع Urk. IV. P. 419) .

تحتمس الثالث « المنفرد بالحكم »

مقدمة : لقد كان موضوع الخلافة على عرش مصر في أسرة الثامنة مصدر نقاش عنيف ومجادلات طويلة بين علماء الآثار ، وذلك لصمت الوثائق الأثرية عن الإدلاء بتصريح واضح شاف في هذه المسألة ، فقد تناول الأستاذ « زيته » هذا الموضوع مرتين وعارضه في رأيه علماء آخرون ، وبقيت الآراء والاستنباطات حول هذا الموضوع متضاربة متناقضة إلى أن كتب أخيراً الأستاذ « إدجرتون » بحثه المشهور بعد دراسة عميقة ردا على الأستاذ « زيته » من مقاله الذي عنوانه « مسألة حتشبسوت مرة أخرى » تحت عنوان « خلافة التحامسة »(١) . وقد أدلى بحجج قوية جعلتنا نعتقد أن الموضوع قد حل على وجه تقريبي إلى أن تطالعنا الآثار بما يدحضه أو يؤيده . ولذلك أصبح الرأي السائد كما ذكرت من قبل أن « تحتمس الأول » أعقبه على عرش مصر ابنه « تحتمس الثاني » الذي تزوج من أخته من أبيه الملكة « حتشبسوت » وبعد وفاته خلفه ابنه « تحتمس الثالث » الذي رزقه من زوجة ثانوية تدعى « إزيس » وقد أصبح ملك مصر رسمياً وهو لا يزال طفلا لم يبلغ الحلم بعد ، وقد نصبت « حتشبسوت » نفسها وصية عليه وعلى ابنتها « نفرو رع » التي كانت كذلك لا تزال قاصرة ، غير

(١) راجع : W. F. Egerton, "The Thutmosid Succession".



(٢٨) تمثال والدة تحتمس الثالث

أنها لم تلبث أن أعلنت نفسها ملكة شرعية على البلاد كما فصلنا فيما سبق . وبقى « تحتمس الثالث » منزويا بعيدا عن الحكم إلى أن ماتت « حتشبسوت » ، ولا نعلم إذا كانت هذه الملكة العظيمة قد ماتت حتف أنفها أو من جراء ثورة قام بها حزب كان يناصر الفرعون الفتى ليقضى على تلك المرأة التى كانت شريكة فى جنب والده رغما عن حاشيته . وعلى أية حال فإن « تحتمس الثالث » عندما اختفت هذه المرأة من مسرح الحياة المصرية ، قبض على مقاليد الأمور وأخذ ينكل بأعدائه وهم أولئك الذين كانوا فى ركاب « حتشبسوت » أو عاملين فى بلاطها، ثم أخذ بعد ذلك فى القضاء على كل آثارها بصورة مروعة يشهد بشناعتها ومحوها ما أصابته من التدمير والتهشيم فى الدير البحرى وبخاصة فى تماثيلها وطغراءاتها ، هذا فضلا عما ألحقه بسائر آثارها فى كل أنحاء البلاد .

ولم يعترف « تحتمس الثالث » بحكم هذه الملكة بل جعل تواريخه التى تؤرخ بها آثاره تبتدئ بالسنة الأولى التى نصب فيها فرعونا لمصر عندما أعلنه الإله «رع» ووالده « تحتمس الثانى » ملكا شرعيا على عرش مصر (١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق م) .

قصة تتويج تحتمس الثالث : وقد نقش « تحتمس الثالث » منظر تتويجه على جدران معبد الكرنك فى حفل رائع مثل برصف جميل تتضاءل أمامه تلك القصص الخيالية التى عرفها أو شاهدها على الشاشة البيضاء . وقبل أن نتكلم عن أعمال هذا الملك الفذ سنضع أمام القارئ ترجمة تلك النقوش العجيبة التى برز بها « تحتمس الثالث » وراثته لعرش الملك أمام شعبه الذى كان يقدسه .

وهذه النقوش ما تزال موجودة حتى الآن على الجدار الجنوبى الخارجى من المبانى التى أقامها فى معبد الإله « آمون » بالكرنك قبالة سلسلة الحجرات الجنوبية التى كانت تقام فيها الشعائر الدينية « لتحتمس الثالث » و « أمنحتب الأول » ويحتمل أنه نقشها فى العام الثانى والأربعين من حكمه بعد أن عاد مظفرا

من آخر حملة ساقها على رأسها إلى بلاد آسيا[1] . وهاك ترجمة النص على ما فيه من تهشيم .

السنة الثانية والأربعون ، عهد جلالة الملك ... حضر البلاد ... أمر ... لأسلافه ... إنه الإله «آمون» والدي وأنا ابنه حينما كنت لا أزال فرخا في عشه ، وإنه أنجبني حقا من لبه (وصحني بالملك) وليس في ذلك مبالغة ولا مين ، وكنت وقتئذ صبيا ، إذ كنت لا أزال طفلا حديثا في عشه، ولم أكن قد أصبحت بعد كاهنا ... في جانب جلالتي ، وكنت في هيئة الكاهن الذي يقف خلف أبيه أي كنت مثل الإله «حورس» الطفل في بلدة «خميس» [ومقع «خميس» في المكان المعروف الآن «كوم الحمرة» في شمال الدلتا] وقد كنت واقفا في القاعة ذات العمد البردية الشكل الواقعة في الجهة الشمالية من المعبد (وهذه القاعة قد بناها «تحتمس الأول» بين البوابتين الرابعة والخامسة) . وعندئذ خرج الإله «آمون» من بهائه[2] مثل إله الشمس وكانت السماء والأرض في عيد بجمال طلعته وعندئذ أتى بمعجزة عظيمة عندما كانت أشعته في أعين الشعب كأنه «حور» إله الشمس عندما يشرق في الأفق ، وعندئذ أخذ الشعب يمثل إليه بالحمد والثناء ... ثم قرب له جلالته (يقصد الملك الذي كان متولي الحكم) بخورا على النار وقدم له قربانا عظيمة من الثيران الكبيرة والصغيرة ومن صيد الصحراء ... ثم طاف حول القاعة ذات العمد البردية الشكل مارا بكلا جانبيها ولم يكن يحيط به قلب الناس الذين كانوا حاضرين عمل الإله عندما أنه يبحث عن جلالتي في كل مكان في القاعة ، ولكنه عرفني عندما كنت واقفا ... وعندئذ انبطحت على بطني ساجدا أمامه ... ثم رفعني ثانية واقفا على الأرض ثم انحنيت أمامه ... فوضعني أمام جلالته ثم جعلني أقف في مكان السيد (وهو مكان خاص في المعبد لا يدخله إلا الملك) ... وتعجب مني ... ولكن ما أوحي ليس ببهتان وكان ذلك ... على مرأى من الناس ، وقد حفظ سرا في قلوب الآلهة الذين يعرفون هذه ... ولم يكن هناك ما يجهل عليها ... وفتح لي أبواب السماء وفتح لي بوابات الأفق (السماء والأفق يدلان على مسكن الإله في المعبد وهو قدس الأقداس الذي لا يدخله أحد إلا الملك) وطرت إلى السماء بوصفي صقرا إلهيا لأطلع على سره الذي في السماء وتعبدت لجلالته ... ورأيت الطرقات ... سكان الأفق على طرقهم السرية في السماء وأجلسني «رع» بنفسه وتوجت بتيجانه التي كانت على رأسه وصله الحية الذي كان على جبينه ... ثم حليت بكل صفاته وأوتيت كل حكمة الآلهة ... «حور» عندما يقدم بشخصه عبر بيت والده «آمون رع» . وكللت بحسب شرف الآلهة ... وألبسني تيجاني ونقش لي ألقابي ورتب ... على البوابة (شعار الملك)

---

(١) راجع = Urkunden IV, P. 156.

(٢) أي في احتفال كان يحمل فيه تمثال الإله «آمون» في سفينته المقدسة على الأعناق .

وصولجان مطعمًا مثل الصولجان المعتاد وحلى أخرى في علبة برونزية « صور الصولجان الظافر » الذي يعنى
في « طيبة » وحلى أخرى تاج السيدتين (العقاب والصل وهما رمزا الوجه القبلي والبحري) وتاركا
ملكين برونزيا طلاء « رع » في السماء وباسمي هذا صاحب السيدتين (أي ملكا مباركا مثل « رع »
في السماء) وله صورة صغيرة من الذهب ومحلى بفيروزة ومنقوشة وركب بها ... ودانى هذا
« صور الذهبي » (أي الحوري صاحب الرأس المتوج بالتيجان) ، وله حلى أخرى برونزية ملكا على الوجه
القبلي والوجه البحري (منخبرع) ، ودانى ابنه الذي خرج كريم الولادة مثل الإله صاحب « حمورث »
(أي « تحوت » إله الطب) ، وله تمثال كل ... ، برونزي ابن الشمس « تحتمس » [illegible] »
الحياة أبد الآبدين ، وله جعل كل الأراضي الأجنبية تأتي خاضعة لقوة جلالته لأن الفزع منه كان
في قلوب قبائل الأقواس التسعة وكل البلاد وضعت تحت قدمي نعليه ، وكذلك جعل النصر في ساعدي
جلالته أبد حدوده مصر .

وقد قيل ذلك بالحق « آمون » ، لأن من كان حليا من لدنه ، وكذلك فرح به كثيرا أعظم من فرحه
بأي ملك آخر وجد على الأرض منذ خلقت ، وقد ابنه محبوب جلالته ... تحت يداه .

ومما سبق نعلم أن « تحتمس الثالث » أراد أن يقابل الخصومة التي حلت بـ« حتشبسوت »
عرش الملك بعدها ويثبت للعالم أن الإله « آمون » والده هما اللذان وضعاه على عرش
مصر رغم ما فعلته « حتشبسوت » كان اغتصابًا .

الملك الذي كان يحكم عند تولية تحتمس الثالث عرش الملك :

على أن العقدة التي لم تحل بعد في هذا الكون هي أننا لم نكشف بعد عن شخصية الملك
الذي كان يحكم البلاد وقتئذ، هذا فضلا على أننا لم نعرف ماذا وقع من الأحداث
بعد هذا التنظير ، لأن النقوش مع الأسف وجدت مهشمة عند اسم الملك الذي
حضر هذا الحفل لأن « تحتمس الثالث » لابد كان قد ذكر اسمه وهو يقص علينا
قصة الطريقة العادية من أجل ذلك سنضطر هنا إلى الاستنباط مما بقي لنا من الآثار ،
فعلى حسب نقوش « إنني » نعلم أن « تحتمس الثالث » تولى العرش بعد وفاة
« تحتمس الثاني » ، غير أن بعض المؤرخين يعزو تولية « تحتمس الثالث » إلى
مؤامرة قام بها كهنة معبد « آمون » وعلى رأسهم الكاهن الأعظم ، على أن وقائع

الأحوال وتقاليد وراثة العرش في تلك الحقبة لا تشير بأية مؤامرة ظاهرة إذ نقرأ في النقوش سرد حوادث الاحتفال الرسمي التي انتخب فيه الفرعون الذي كان على عرش الملك في « طيبة » وقتئذ وولده من بعده ولكن بصورة تمثيلية تدعو إلى العجب لما حفها من المعجزات . وهذا الفرعون الذي انتخب هو « تحتمس الثالث » . هذا وإن تدخل الإله آمون المباشر في انتخاب الفرعون قد يكون فيه ما يشوش فكر القارئ ويجعله يظن أن ذلك كله كان حديث خرافة لأنه خارق للمألوف . ولكن لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الدهشة أو العجب عند المصرى القديم بل قد لا يكون فيه غرابة للقارئ الحديث إذا وقف على الدور الهام الذي كان يلعبه الإله أو بعبارة أخرى الكهنة في حكم البلاد في تلك الفترة ؛ أليس هو الإله الذي كان يعتبر والد الفرعون وأن هذا الاعتقاد كان يعلن ويعرف في كل العالم أجمع ولدينا قصة تولية « حتشبسوت » التي دونتها على جدران معبدها بالدير البحرى شاهد عدل . وقد تبعها في ذلك فيما بعد « تحتمس الثالث » في معبد الأقصر ثم « الاسكندر الأكبر » ثم يوليوس قيصر .

وفي كثير من الأحوال عندما كانت تحتم الظروف كان لابد قبل التتويج من عمل انتخاب للملك من بين أعضاء الأسرة المختلفين إذا لم يغتصب الفرعون وإذا يغتصبه على العرش من دم ملكي طاهر . وليس لدينا معلومات أكيدة عن كيفية الاحتفال بهذا الانتخاب إلا من عصور متأخرة .

وصف الاحتفال بتتويج تحتمس : إن نقوش تولية « تحتمس الثالث » تضع أمامنا لأول مرة المناظر التي كانت متبعة بعد التتويج في « طيبة » في خلال النصف الأول من عهد الأسرة الثامنة عشرة . ولما كانت النقوش التي سردناها هنا ليست واضحة فقد آثرنا أن نشرحها هنا بصورة جلية : ذلك أنه كان يعتقد يوم تتويج الفرعون مقدماً ، وعند حلول هذا اليوم كان الكهنة يصعدون الفرد الذي سيقع عليه اختيار الإله الأعظم « آمون » في قاعة المعبد

العظمى ثم يخرج بعد ذلك الإله من محرابه في موكب محمولا على الأعناق في سفينته الإلهية ثم يتقبل الضحية المقدسة التي كانت تعد لمثل هذا الاحتفال العظيم ، ثم يحمل بعد ذلك الإله على الأعناق ويطوف في أركان القاعة باحثا عن ابنه الذي سيوليه العرش وعندما يصل إلى المكان الذي يقف فيه هذا المحظوظ يوحى إليه فيمنحه له الملك الجالس على العرش فعلا وفي القاعة يكون ابنه، ثم يملى عليه الإله ألقاب التتويج الرسمية التي سيحملها مدة حكمه . وهذا هو ما حدث بالضبط عند تتويج « تحتمس الثالث » والواقع أن قصة هذه العروش كانت لا تشعر بأي شيء مستغرب في نظر المصري بل كان كل شيء فيها يجري عاديا .

وعلى أية حال لم تفهم منها أن هناك روح ثورة، بل كان كل ما حدث لا يخرج من حد التقاليد التي كان يرتكز عليها نظام الحكم في مصر وأعني بذلك تدخل الإله المباشر في كل ما يتصل بالحياة السياسية في البلاد، وبخاصة في كل أطوار الفرعون وكان لزاما على سلف « تحتمس الثالث » أن يشترك في توليه على العرش كما فعل « تحتمس الأول » عندما ولى « حتشبسوت » أريكة الملك إذا صدقنا ما تقصه في نقوشها المزيفة وكما فعل « رعمسيس الثاني » مع ابنه « سيتي الأول » كما سيأتي بعد .

سن تحتمس الثالث عند توليه العرش وزوجه الأولى : حيث أنه في موضوع تولية « تحتمس الثالث » يعترضنا سؤال جوهري لابد من الإجابة عليه وهو كم كان عمر « تحتمس الثالث » عندما وقع اختيار الإله « آمون » عليه وعندما انتزعه من أحضان الكهنة في المعبد لتوليه عرش الملك؟ وقد ظن بعض المؤرخين أن « تحتمس الثالث » كان قبل هذا الحادث قد تزوج من أخته « نفرو رع » بنت « حتشبسوت » وأخته من أبيه، بيد أن الوثائق الفرعونية لم تحدثنا عن هذا الزواج . والألفاظ التي استعملت في المتون المصرية في وصف « تحتمس الثالث » في هذه الآونة تقطع بأنه كان لا يزال صبيا لم يبلغ الحلم بعد أن كاتب يطلق عليه

في اللغة المصرية لفظة «أنوب» ومعناها الصبي الذي لا يزال قاصراً، هذا فضلاً عن أن والده كان قد وضعه بين أيدي رجال الدين في معبد "آمون" لتثقيفه وتربيته بين أحضان العلم والدين وليحبب إليه الكهنة الذين كان في أيديهم مقدار عظيم من السلطة والقوة، هذا فضلاً عن أن والده كان يشعر بأنه هو الذي سيخلفه على عرش الملك، وكان «تحتمس» وقت توليه العرش لم يبلغ سن الرجال بين رجال الدين، بل كان «كاهناً» كان يشغل وظيفة «الطفل حور» أو «عمود أمه». ومن ذلك نعلم أنه كان طفلاً حدثاً أوحى إليه تمثال الإله «آمون» بأنه هو الذي سيتربع على سدة الملك. وتدل كل الشواهد على أنه لم يكن يتجاوز الحادية عشرة من عمره وكان هذا الاختيار بطبيعة الحال آتياً عن طيب خاطر من الفرعون الذي كان في قبضته مقاليد الأمور في البلاد وقتئذ.

والآن يجب علينا أن نثبت على وجه التأكيد اسم الفرعون الذي كان قد أقيم حدا الطفل في حضرته وقد جاء في نقوش «إنني» أنه عندما صعد «تحتمس الثاني» إلى السماء وحل بالآلهة تولى مكانه ابنه «تحتمس الثالث» بوصفه ملكاً على الأرضين وحكم على عرش من أنجبه وأخذت أخته «حتشبسوت» (أخت تحتمس الثاني) في يدها إدارة حكومة البلاد ومن ثم نعلم أن «تحتمس الثالث» بدأ حكمه تحت وصاية «حتشبسوت» مدة ثم استأثرت هي بالملك فيما بعد كما شرحنا ذلك من قبل إلى أن ماتت وخلا له الجو فأخذ يتسلم مقاليد الأمور في يده، وكان أول عمل قام به أن طار بجيشه العظيم إلى ربوع آسيا.

تحتمس الثالث يعلن الحروب على بقايا الهكسوس في آسيا: وتدل شواهد الأحوال على أن «تحتمس الثالث» لم يتوان طويلاً في مصر بعد اعتلاء أريكة العرش. فقد كان الخلاف القائم في مصر على تولية عرش البلاد والجفاء بين «تحتمس الثالث» و«حتشبسوت» معروفاً في الأقطار الأسيوية الخاضعة لحكم النفير من الهكسوس الذين شتت شملهم أسلاف «تحتمس الثالث» وطردوهم

من مصر جملة والذين مازال حب الانتقام والأخذ بالثأر يأكل صدورهم وبخاصة أنهم أصبحوا هم المحكومين ويدينون لمصر بالطاعة . ولذلك لما تولت « حتشبسوت » اعتمدوا على ما يظهر هذا الحادث فرصة لإعلان الثورة ليتحرروا من رق الاستعباد المصري وقد أعلنت « سوريا » كلها العصيان على مصر في تلك الفترة وقامت ثورة محبوكة الأطراف حتى أصبح لزاما على هذا الفرعون الفتى المغمور أن يقابل حلفا قويا مؤلفا من قبائل آسيا والولايات التي وطدت العزم على خلع النير المصري الذي أثقل كاهلهم به « تحتمس الأول » وسلفه من قبله منذ خمسين سنة مضت . ولاشك في أن أكثرهم تحمسا كان أولئك الأقوام الذين طردوا من مصر من غير رجعة، وكان كل أولئك قد ألفوا حلفا بقيادة ملك « قادش » وهي بلدة على نهر الأرنت (نهر العاصي) على مسيرة مائة ميل تقريبا شمالي دمشق . وقد زحف الفرعون لمقابلة أولئك العصاة يحدوه غرض معين وهو منازلة ملك « قادش » والقضاء عليه فإذا تم له ذلك كان كل شيء بعده سهلا ميسورا نسبيا ، وذلك لأن سوريا لم تكن وقتئذ مملكة واحدة متحدة الكلمة بطبيعتها بل كانت مقسمة ولايات صغيرة يحكم كلا منها أمير أو ملك كما كان لها « بعل » أو إله خاص بها . وكانت أقوى هذه الممالك الصغيرة وأعظمها مملكة « قادش » وقد أفلح ملكها في أن يضم ملوك الولايات الأخرى تحت قيادته . فإذا كان في الاستطاعة هزيمته فإن الحلف لا بد أن تنحل عراه وتعود كل دويلة سيرتها الأولى من الاستقلال الذاتي ولذلك يصبح من السهل على « تحتمس » الاستيلاء على ولايات هذا الحلف الواحدة تلو الأخرى ، والظاهر أن « تحتمس » قد صمم على الزحف بسرعة متناهية إلى « قادش » مباشرة ليضربه ضربته القاصمة هناك .

موقعة مجدو : تعد موقعة « مجدو » التي قابل فيها « تحتمس الثالث » جيوش الحلف السوري بإمرة حاكم « قادش » أول معركة حربية في تاريخ العالم القديم قد بقي عنها تفصيلات تذكر ؛ ويرجع الفضل في ذلك إلى اليوميات

التي صنعها « تحتمس الثالث » على أحد جدران معبد الكرنك ، فقد جرت العادة على ما يظهر في الجيش المصرى في عهـد الامبراطورية أن تدون يوميات عن سير القتال في أثناء الحملات التي كان يقوم بها الفرعون، وقد كان المكلف بهذه المهمة العظيمة رئيس كتاب الجيش[1] . وقد كانت تحفظ نسخ من هذه اليوميات في معبد الإله « امون رع » « بطيبة » ولم تصل إلينا منها إلا اليوميات التي أمر « تحتمس الثـالث » بأن تنقش مقتطفات منهـا على جدران معبـد الكرنك[2] . ومن حسن الصدف أنه قد وصلتنا تفاصيل عن أول انتصاراته في بلاد آسيا ، وهو ذلك الفوز العظيم الذى أحرزه في موقعة « مجدو » وما وصلنا من تفصيل هذه الموقعة يعتبر أوسع تفصيل عرفناه عن غزواته في هـذه الأصقاع . وبهذه المعلومات أصبح في مقدورنا أن نتتبع بوضوح سير الحملة بصورة جلية أكثر مما كان يخطر في مثل هذا العصر القديم .

طريق جيش تحتمس إلى مجدو : وسـنكتفى هنا بتلخيص حركات جيش « تحتمس الثالث » الأولى التي قام بها لتنفيذ خطته التي وضعها لنفسـه من بادئ الأمر . فقد سار بجيشه من قلعة « سيله » (وهى القنطرة الحالية) في اليوم الخامس والعشرين من الشهر الرابع من فصل الشتاء في السنة الثانية والعشرين من حكمه ، وهذا التاريخ على حسب قول الدكتور « نتس » يوافق ١٩ أبريل سنة ١٤٧٩ ق . م . مخترقا الصحراء التي تقع على الحدود الشرقية والحدود الجنوبية لفلسطين فوصل « غزة » بعد مسيرة عشرة أيام قطع فيها نحو مائة وخمسة وعشرين ميلا ، وكان قد حط رحاله فيها في اليوم الرابع من الشهر الأول من فصل الصيف في السنة الثانية والعشرين من حكمه، مما يدل على أن الجيش كان يقطع في سيره يوميا نحو اثنى عشر ميلا ونصف ميل وهى سرعة حسنة في بقاع معظم طرقها صحراوية

(١) راجع Helk, "Der Einfluss der Militarfuhren in der 18 Agyptischen Dynastie", P. 14
(٢) راجع Urkunden IV, P. 662,5.

قاحلة لا زرع فيها ولا ضرع ، وبخاصة إذا عرفنا أن عدداً عظيماً من جيشه كانوا مشاة . ولم يمكث «تحتمس» في بلدة «غزة» إلا سواد ليلة ؛ وفي الصباح الباكر سار على رأس جيشه ميمماً شطر «يحم» (يحتمل أن تكون يما الحالية) انظر (المصور رقم ٢) وتقع على مسافة ثمانين ميلاً من «غزة» ، وعلى الرغم من أن النقوش التي في متناولنا قد أغفلت ذكر يوم وصوله إليها نستطيع أن نستنبط أنه ألقى بها عصا تسياره في اليوم الحادي عشر من نفس الشهر ؛ وذلك إذا فرضنا أنه كان يسير يومياً بنفس السرعة التي كان يزحف بها في ذهابه إلى «غزة» .

الجيش يعسكر في بلدة «يحم» ويعقد فيها تحتمس مجلساً حربياً :
والظاهر أن الجيش قد ضرب خيامه بها خمسة أيام استطاع في خلالها «تحتمس» أن يطلق عيونه ليقفوا على مواقع العدو ومكانته . وفي اليوم السادس عشر من نفس الشهر عقد الفرعون مجلسه الحربي ليتشاور مع ضباطه في أحسن الطرق التي يجب أن ينتهجها الجيش إلى «مجدو» . وسنترك المؤرخ المصري عند هذه النقطة يقص علينا سير الحوادث : (راجع Urk. IV P. 648ff.) .

«السنة الثالثة والعشرون[1] ، الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم السادس عشر في بلدة «يحم» ، أمر جلالته أن يعقد مجلس حربي ليتشاور فيه مع رجال جيشه قائلاً : إن ذلك العدو الخاسئ صاحب «قادش» قد جاء بجيشه ونصب خيامه بها ، وهو مقيم بها في تلك الآونة ، وقد ضم إليه كل أمراء الأقاليم الذين كانوا يدينون بحسب عهدهم لمصر حتى نهر الفرات ...... وحسبه السوريون و«قودة» بخيلهم وجنودهم وحشودهم ، وأنه يقول على حسب ما وصل إلى مسامعنا : سأقف هنا لأحارب جلالته في بلدة «مجدو» . فخبروني ما يدور بخلدكم في هذا الطلب . فأجابوا جلالته قائلين : كيف يمكن أن نسير في هذا الطريق ؟ وقد وصلت الأخبار بأن العدو على تمام الاستعداد هناك في خارج مدينته ، وأن

---

(١) يلاحظ أن تغير السنة من الثانية والعشرين إلى الثالثة والعشرين تم أثناء «تحتمس» وصل غزة في يوم عيد تتويجه أي في اليوم الأول على حسب سني حكمه .

عدوهم ما أمسى حائلاً ، وهل يكون العدو منتظراً إلا إننا سائر الجواد إثر الجواد والمشاة إثر المشاة أيضاً ؟ وهل ستكون مقدمة الجيش بهذه الطريقة في ساحة القتال في حين أن المؤخرة تكون لا تزال واقفة هنا في « عرونة » عاجزة عن محاربة العدو ؟ على أنه يوجد طريقان أخريان : واحدة منهما تؤدي إلى « تاعناخ » والأخرى تقع في الجهة الشمالية من بلدة « زفتي » مؤدية إلى شمال « مجدو » ، وجلالته لا يضطر إلى سلوك هذا المضيق الوعر .

وفي هذه الأثناء جيء بمعلومات عن ذلك العدو الخاسئ ، وبذلك استمر النقاش في موضوع الخطة التي كانوا يتحدثون عنها فيما قبل .

ما قيل في الخيمة الملكية . فأجاب الملك قائلاً :

إني ما دمت حياً وما دام الإله « رع » يحبني وما دام والدي « آمون » يرعاني ، وما دام أنفي يتنفس الحياة ويتمتع بالحياة والقوة ، فإن جلالتي سأسير على هذه الطريق المؤدية إلى « عرونة » وليذهب منكم من يشاء في إحدى هاتين الطريقين الأخريين اللتين تحدثتم عنهما ، وليأت منكم من يريد أن يسلك الطريق التي سيتخذها جلالتي ؛ لأن الأعداء الذين يمقتهم الإله « رع » سيقولون : هل سلك جلالته طريقاً آخر لأنه يخاف بأسنا وبطشنا ؟ وعندئذ أجابوا جلالته قائلين : ليت الإله « آمون » والدك رب تيجان الأرضين ومالك الكرنك يحمي شبابك وجسمك ! تأمل ! إنا سنكون في ركاب جلالتك أينما توجهت ؛ لأنه من واجب الخادم أن يتبع سيده دائماً . وعندئذ أمر جلالته بإصدار منشور لكل الجيش جاء فيه : إن سيدكم المظفر سيكون في طليعتكم الكاملة ذلك المسلك الوعر الضيق . تأملوا ! لقد أقسم جلالته يميناً قائلاً إنه لن أسمح لجندي المظفر أن يمشي طريقه إلا في هذا المكان ، لأن جلالته عقد العزم على أن يتقدم طليعة جيشه بنفسه . وقد وزعت التعليمات على كل جندي بالأمر بالزحف على أن يكون الجواد في أثر الجواد في حين أن جلالته كان يسير في مقدمة جيشه .

الجيش يعسكر في عرونا : وفي السنة الثالثة والعشرين من الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم التاسع عشر استيقظ الفرعون في السرادق الملكي الذي كان قد ضرب له في بلدة « عرونا » ثم سار جلالته شمالاً ومعه [illegible] في رعاية الإله « آمون » رب تيجان الأرضين ليفتح الطريق أمامه ... . وكان الإله « آمون رع » يقوي ساعد جلالتي ... ووقف جلالته على رأس جيشه المنظم جيداً (ولم يجد العدو أثراً) بل كان قد عسكر جناحه الأيمن عند بلدة « تاعناخ » في الوقت الذي كان جناحه الأيسر قد ضرب خيامه في الشق الجنوبي من وادي مجرى « قنا » ؟

وقد نادى جلالته أن سيروا في هذه الطريق الضيق بالعدد فكره وقيل ذلك العدد الخاص ، الأدبار

وأما الذين عصوا الملك وتحققوا شجاعة جلالته لأن ساعده أشد بأسا من أى ملك وأنه هو الذى سيحمى

مؤخرة جيش جلالته في « عرونا » .

وبعد كانت مؤخرة جيش جلالته الظافر لا تزال في بلدة « عرونا » في حين أن مقدمته قد برزت

في وادى مجرى « قنا » حتى ملأت فم هذا الوادى .

وعندئذ قال رجال الجيش لجلالته : حقا إن جلالته قد ظهر بجيشه المظفر وملأ جنوده الوادى

فليصغ جلالته لنا هذه المرة ويحمى لنا سيدنا مؤخرة جيشه وقومه الذين معه ، وبعد ما تكمل لنا المؤخرة

تحارب لنا الأجانب ، إذ لا نكون في شغل شاغل من جراء مؤخرة جيشنا ، وحل [illegible] ذلك أوقف جلالته

مكانه عند فم الوادى حاميا مؤخرة جيشه المظفر ، وبعد ما تم خروج الفرقة الأمامية على هذه الطريق

كان الظل قد مال (أى عند الظهيرة) .

الجيش يعسكر عند مجدو ويستعد للوقعة : ووصل جلالته جنوب « مجدو » على شاطئ مجرى نهر « قنا » في مدة سبع ساعات بعد ميل الشمس . وقد ضربت خيام معسكر جلالته هناك ثم أصدر أمرا لكل رجال الجيش وقال

لهم : استعدوا أيها الجنود واشحذوا سيوفكم لأن الفرعون سيحارب [illegible] مع ذلك العدو الخاسىء

عند الصباح الباكر لأنه ... ثم ذهب الفرعون ليستريح في السرادق الملكى وقد أعد الضباط ما يحتاجون

ووزعت الجرايات على الجنود وأخذ كل حارس مكانه بعد أن قيل للحراس بأن يكونوا ثابتين في مكانهم تماما .

الجيش يهاجم الأعداء ويهزمهم . السنة الثالثة والعشرون ، الشهر الأول من الفصل الأول . اليوم الحادى والعشرون وهو اليوم الذى أعلن فيه الضباط عيد الهلال الجديد وفيه ظهر الفرعون في الصباح وقد أعطى كل رجال الجيش الأوامر للاستعداد للمعركة (؟) ... وبعد ذلك انطلق جلالته في عربته المصنوعة

من الذهب الصافى مدججا بعدته الحربية مثل الإله « حور » القوى الساعد رب القوة ومثل الإله « منتو »

إله طيبة (وهو إله الحرب) وكذلك كان والده آمون يشد ساعده .

وكان جناح جيش جلالته الأيسر يقف على ربوة جنوبي « [illegible] » ... أما الجناح الأيمن فكان

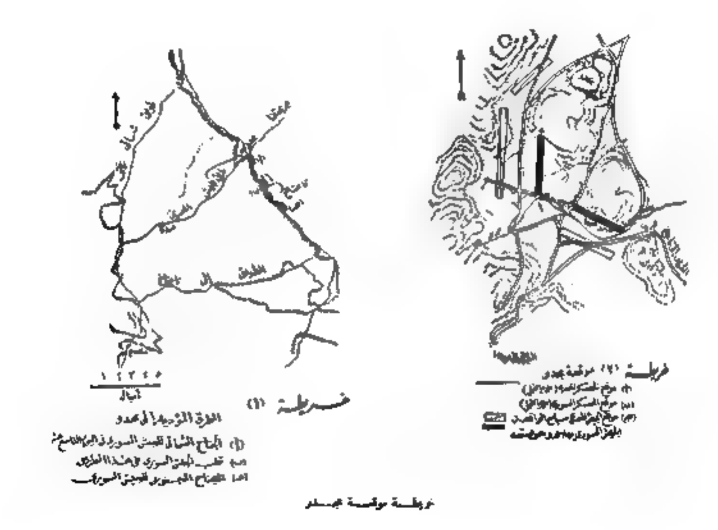
معسكرا في الشمال الغربي من « مجدو » ، وكان جلالته في وسطهما يحميه الإله « آمون » في معمعة الوغى ،

وكانت قوة بأس الإله « ست » (إله الحرب) تسرى في أعضائه ، فتغلب جلالته عليهم وهو سائر على رأس

جيشه ، وعندما رأوا (أى الأعداء) جلالته والنصر حليفه ، ولوا الأدبار نحو « مجدو » [illegible]

يضربها الذعر واطلع تاركين خيلهم وعرباتهم المصوغة من الذهب والفضة وتسلقوا أسوار هذه المدينة بملابسهم (أى مستعينين بملابسهم ليتسلقوا بها) وذلك لأن أهل المدينة قد غلقوا أبوابها دونهم ولكنهم مع ذلك دلوا ملابسهم ليجروهم بها إلى داخل المدينة، ولو أن جنود جلالتي لم ينهمكوا في نهب متاع العدو لكان في استطاعتهم الاستيلاء على «مجدو» وقتئذ عندما كان عدو «قادش» الخاسىء وعدو هذه المدينة يجرون مسرعين للأسوار ليدخلوا المدينة حيا لأن الخوف من جلالته كان قد سرى في أجسامهم وضعفت أسلحتهم لأن صله (الثعبان على جبينه) قد تغلب عليهم وهزمهم، واستولى جلالته على خيلهم وعرباتهم المصوغة من الذهب والفضة غنيمة باردة، أما صفوف جنودهم فكانوا قد طرحوا أرضا مثل السمك في حبائل شبكة وجيش جلالتي المنتصر كان يحسب متاعهم لأن سرادق هذا العدو الخاسىء الذى كان محلى بالفضة ... ... وقد أخذ كل الجيش بأسباب الفرح مقدما الثناء لآمون لما رءوه من نصر لابنه في هذا اليوم، وكذلك قدموا الشكر لجلالته مادحين انتصاراته، ثم أحضروا الغنيمة التي استولوا عليها من الأيدي والأسرى والخيل والعربات المصوغة من الذهب والفضة والكتان الجميل.

وصف حركات الجيش في هذه المعركة: هذه هي رواية الكاتب المصرى بنصها وهي أول وصف لمعركة حربية في العالم ويمكن تلخيص حركات الجيش الذى كان يقوده ذلك القائد المبتكر فيما يأتى: لما عقد «تحتمس الثالث» جلسه في «يحم» في اليوم السادس عشر من الشهر صمم هذا الفرعون على اختراق الطريق من «عرونا» إلى «مجدو» فمضى اليوم السابع عشر في الاستعداد للزحف، وفي اليوم الثامن عشر زحف الجيش نحو «عرونا» حيث قضى فيها ليلة، وفي اليوم التاسع عشر استؤنف الزحف نحو «مجدو» وكان الفرعون عند حلفه الأيمان أن يسير في مقدمة طليعة جيشه في الممر الضيق فسار على رأس الجيش مخترقا هذه الطريق الوعرة ولم يحدث في خلال اجتيازها حوادث تستحق الذكر اللهم إلا بعض مناوشات صغيرة. وسرعان ما تخطت مقدمة الجيش الظلال حتى عسكر «تحتمس الثالث» بعد مشاورة ضباطه عند فم الممر ليكون في مأمن من هجمات العدو على جناح كتائبه الممتدة في طول الممر وهم يسيرون منتشرين نحو العراء، وقد تم خروج الجيش من هذا الممر عند الساعة السابعة بعد الظهيرة ومن ثم عسكر


خريطة (١)
الطرق المؤدية إلى بدر
خريطة (٢) موقعة بدر

الجيش المصرى فى وادى قنا، وفى هـذه الأثناء كانت قوة السوريين بلا نزاع قد صرفت جناحها فى نفس الوادى بالقرب من «مجدو» وكانت لهم قوة أخرى قد عسكرت عند «تاعنخ» وكانت مهمتها منع زحف المصريين وإعاقة تقدمهم من كلا الطريقين . ومن المحتمل أنه كان للسوريين قوة أخرى ثالثة قد عسكرت وسط هذين المكانين، غير أن هـذه القوة التى كانت عند «قنا» قد أخفقت فى مهاجمة الجيش المصرى الزاحف لجهلهم بموقعهم، وكان السوريون على ما يظهر قد حشدوا كل جيوشهم فى وادى «قنا» لصد الجيش المصرى . غير أن المصريين هنا قد خدعوهم أيضا، ففى الساعة الأولى من اليوم العشرين انتشر الجيش المصرى عبر وادى نهر «قنا» إلى الشمال الغربى من «مجدو» ثم إلى الجنوب الشرقى من تل هناك مهددين بقطع مواصلات العدو بمدينة «مجدو» . ثم هاجمهم المصريون ثانية على غرة وعندما كشف السوريون حركة الجيش المصرى وقد ضرب عليهم الحصار فى وادى «قنا» حاولوا على ما يظهر أن يقوموا بهجوم مضاد، ولكن الجيش المصرى لم يعطهم الفرصة لتنفيذ خطتهم . ولم يكد المصريون يهاجمونهم حتى هزموا وولوا هاربين، ولما رأى سكان بلدة «مجدو» ما حدث لجيوشهم غلقوا أبواب مدينتهم فى الحال وأخذوا يجرون الفارين على جدران المدينة بحبال صنعت ارتجالا من الملابس التى كان يرتديها أولئك الفارون . وقد جاءت عوامل الرعب والفزع والذعر التى انتشرت بين رجال الجيش السورى فرصة سانحة للجيش المصرى للاستيلاء على المدينة بالهجوم أثناء الاضطراب الذى أحدثه فرار جيش السوريين . غير أن جنود الجيش المصرى لم يكن فى استطاعتهم أن يقاوموا حب السلب الذى دب فى نفوسهم عندما رأوا أسلاب العدو أمامهم مكدسة وبخاصة معسكر السوريين الذى كان يغص بالخيرات والمتاع الثمين، ولذلك ضاعت عليهم فرصة الاستيلاء على «مجدو» مما جعل ضرب الحصار عليها أمرا لا مفر منه، وقد امتد زمن حصارها سبعة أشهر استسلمت بعدها المدينة صاغرة،

غير أن ملك «قادش» الذى كان رئيس العصاة وحامل لواء الثورة على «تحتمس» قد فر من المدينة لا ليعجز نفسه بل ليستعد لاستئناف الحرب من جديد على مصر وليكون سببا فى مضايقة الفرعون سنين عدة .

أهمية هذه الموقعة فى تاريخ الحروب : وأهمية سرد حوادث هذه الموقعة لا ينحصر فى وصفها وحسب ، بل كذلك لأننا نعرف فى وثيقة تاريخية لأول مرة فى تاريخ العالم أن قائدا حربيا لم تقتصر مواهبه على أنه جندى شجاع وقائد مدبر ماهر فقط ، بل لأنه كانت لديه الشجاعة كذلك ليخوض ممر مخاطرة قد كان يعرف عواقبها من قبل ليصل إلى غرضه بسرعة خاطفة ، بل قد أظهر فضلا عن ذلك مهارة حربية فى وجه العدو الذى جعله يتأرجح فى يده كاللعبة فى يد الصبى .

ولا يبعد أن كان لهذا الحادث العظيم فى تاريخ الحروب فى الشرق القديم منذ أربعة آلاف وخمسمائة سنة أثره فى تدبير سير الحملة التى قام بها القائد الإنجليزى «اللنبى» عام ١٩١٨ على الترك عندما هزمهم فى نفس المكان ؛ إذ كان قد ألقى بخيالته فى ممر «عرونا» خلف الأتراك المنهزمين ، وقد يتساءل المرء الآن فى استغراب عما إذا كان الضابط «لورنس» — بما كان له من المعلومات فى التاريخ القديم — قد أوحى إلى «اللنبى» بالفكرة التى جعلته يقوم بهذه الحركة الجريئة الساحرة التى كان قد سبقه إليها «تحتمس الثالث» الذى يلقبه مؤرخو الحرب بحق «نابليون الشرق القديم» .

وصف حصار مجدو : بعد انتصار «تحتمس» على جموع العدو الذى احتمى داخل أسوار مجدو نفسها حشد «تحتمس» جيشه الذى كان منهمكا فى السلب والنهب وحاصر المدينة ، فأقام المتاريس حولها من الأخشاب الخضراء ومن كل أشجار فاكهتها ؛ ثم أخذ الفرعون مكانه فى الجانب الشرقى من المدينة بعد أن خصص جنودا ليحموا مرافق بلاطه ، ثم أصدر أوامره لجيشه قائلا :

لا تجعلوا واحداً منهم يخرج خلف المتاريس إلا إذا كان آتياً ليسلم باب هذه الحصون (أى يلق سلاحه) . والظاهر كما ذكرنا أن ملك « قادش » قد تسلل من المدينة قبل أن تسلم إذ لم يعثر له على أثر . وقد استمر الحصار سبعة أشهر أتى بعدها الأمراء خاضعين مسلمين متاعهم ومقدمين طاعتهم لاسم جلالته « طالبين النفس لأنوفهم » .

وفى مكان آخر تحدثنا النقوش أن أولئك الأسيويين الذين كانوا فى « جدور » الخاسئة قد خرجوا .. قائلين : « هيء لنا الفرصة لنسلم لجلالتك الغرامة ... » .

وقد تعطف الفرعون وأمر بأن يمنحوا نفس الحياة ، وذلك لأن المصريين كما يقول الأثرى « ويجول »[1] كانوا أعظم شعوب العالم القديم رحمة وإنسانية . ولكن كان ضمن شروط المهادنة على ما يظهر أن يرسل كل أمير وارثه إلى مصر ليتعلم طرائق الحياة المصرية . وبعد ذلك أتى هؤلاء الأمراء حاملين عطاياهم من الذهب والفضة واللازورد والفيروزج ، ومعهم كذلك غلال وخمر وماشية كبيرة وصغيرة ومؤن للجيش ... ... وبعد ذلك عين الأمراء من جديد ، أى أنه صفح عنهم وأعادهم إلى ولاياتهم التى كانوا يحكمونها بوصفهم تابعين له . أما ملك قادش الفار فإن المصريين قد أخذوا أسرته رهينة عندهم إذ يقول فى ذلك « تحتمس » « تأمل : إن جلالتى قد أمر بزوجات الخاسئ ملك قادش وأولاده وكذلك زوجات الأمراء الذين كانوا هناك »[2] .

ولما عاد « تحتمس » إلى مصر كان يفخر بقوله : « إن الإله « آمون » قد سلطه على كل الممالك المعادية فى أرض زاهى ، فحاصرها جميعاً فى جهة واحدة ... والتف حولهم فى مدينة واحدة ، وجيب عروشهم سدوا بعضها كيف وقد أطلق على هذا المقدار « تحتمس صياد الأسيويين » .

---

(١) راجع Weigall, "History", Vol. II, P. 351

(٢) راجع Urkunden IV, 662 - 663.

وصف حملة تحتمس الأولى كما جاءت على لوحة جبل بركال.

هذا وقد وصف لنا فيما بعد «تحتمس الثالث» بنفسه حملته الأولى على بلاد «رتنو» (سوريا) في نص اللوحة العظيمة التي أقامها في جبل «بركال» على مقربة من الشلال الرابع في معبد «آمون» في السنة السابعة والأربعين من حكمه. وربما كان سبب إقامتها هناك ليظهر عظمته وجبروته لأهل هذه الأقاليم النائية فتكون عظة وعبرة فلا يقومون بثورات أو يحرضون على شيء، وهاك ما جاء فيها:

«والآن انتبهوا أنتم ... أعمالا أخرى عظيمة فاسمعوا أيها القوم: لقد محى الإله كل أراضي «رتنو» الأجنبية في الحملة الأولى عندما حضروا بجموعهم لمحاربة جلالتي بالآلاف من الرجال ومئات الألوف من عظماء كل الأراضي الأجنبية، وقد استعدوا في عرباتهم وكان عددهم ثلاثمائة وثلاثين أميرا وكان كل على رأس جيشه.

وكانوا إذ ذاك في وادي «قنا» معسكرين بجانبهم كأنهم في الرابع ... وكان النصر حليفي عليهم إذ هاجمتهم جلالتي في الحال وسقط بعضهم على الأرض أكواما من القتلى ثم دخلوا «مجدو» فحاصرتهم مدة سبعة أشهر إلى أن اضطروا إلى الخروج منها متضرعين لجلالتي قائلين: أعطنا نفسك يا سيدنا لأن أجانب «رتنو» لن يعودوا قط مرة أخرى للعصيان، وبعد ذلك أرسل الخاسر (أمير قادش) ومن معه من الأمراء إلى جلالتي كل أولادهم حاملين هدايا كثيرة من الذهب والفضة وكل جيادهم مع ما يتبعها من عطايا، عطايا إلى عرباتهم الفخمة المصفحة بالذهب والفضة، وكل دروعهم وأقواسهم وسهامهم وكل آلات الحرب. وكانوا قد حضروا بكل هذه الأسلحة من أماكن قاصية لمحاربة جلالتي وها هم أولاء قد أحضروها الآن هدايا لجلالتي. وكانوا في خلال ذلك وقوفا ... على جدرانهم (أي جدران المدينة) طالبين الخروج من جلالتي راجين أن يمنحوا نفس الحياة، وقد حدث بعد ذلك أن تقربوا بها قائلين: لن نقوم قط بأي عمل عدائي كرة أخرى على «منخبررع» (تحتمس الثالث) إنه ... سيدنا ... لأنه رأى قوته ... نفس الحياة كما يحب لأن والده «آمون رع» هو الذي أعطاه النصر في الرابع لا قوة الإنسان. وقد ... جلالتي ... إلى بلادهم ... لأني كنت استوليت على خيل عرباتهم وأخذت مراكبهم من قبضة النصر وكذلك استوليت على ماشيتهم».

الغنائم التي استولى عليها الفرعون تكشف عن ثروة هذه البلاد:

والواقع أن قائمة الغنائم التي غنمها «تحتمس الثالث» في هذه الموقعة كما جاء ذكرها في نقوش الكرنك تكشف لنا عن ثروة هذه البلاد المفتوحة وما كان يتمتع

« أمراء سوريا من نفيس العتاد والأمتعة . هـذا فضلا من أنهـا تعطينا فكرة عن مقدار ما كانت عليه تلك الولايات من التقدم في الصناعات والحرف وفنون الحياة مما لم يكن في الحسبان . وسنذكرها بالتفصيل قائمة هذه الأسلاب التي استولى عليها جيش « تحتمس الثالث » من « مجدو » لتضع أمامنا فكرة عامة عن مقدار ثراء القوم واستعداداتهم الحربية التي كان لابد للفرعون أن يضعها أمامها وجها لوجه :

« فاستولى على ثلاثمائة وأربعين أسيرا وثلاثة وثمانين يدا (كانت اليد تقطع بعد موت القتيل) وألفين وواحد وأربعين فرسا ومائة وتسعين مهرا وستة جياد ...... وعربة مطعمة بالذهب وقضبانها من الذهب من متاع العدو ، وعربة جميلة مطعمة بالذهب ملك أمير مجدو وثمانمائة واثنين وتسعين من عربات جيشه المقهور فيصبح المجموع تسعمائة وأربعا وعشرين عربة (لابد أنه قد ذكر ثلاثين عربة في الأماكن المقتبسة من الطلش) ودرع جميل من البرنز ملك الأمير ، ودرع آخر من البرنز لأمير « مجدو » ...... وعلى مائتي درع من دروع الجيش الخاسر وعلى خمسمائة واثنين قوس وسبعة عصيان من خشب المرو مطعمة بالفضة وهي من قضبان سرادق العدو » .

أسلاب الحيوان : واستولى جلالته على الحيوانات الآتية من هذه المدينة :

« ...... ثلاثمائة وسبعة وثمانين ...... وألف وتسعمائة وتسعة وعشرين من الحيوانات الكبيرة وألفين من الحيوانات الصغيرة ، وعشرين ألفا وخمسمائة من حيوانات بيضاء صغيرة » .

ثم استولى فيما بعد من أمير قادش على غنائم أخرى : « قائمة بما استولى عليه الفرعون فيما بعد من متاع هـذا العدو الذي كان في مدينة « ينعم »[1] وفي « نجس »[2] وفي « حرنكرو » ، بالقرب من البـلاد الأخرى في دفتر ...) ؛ هـذا بالإضافة إلى كل المتاع الذي هو ملك تلك المدن التي خضعت وأحضرت بالأتي وهي : أربعمائة وأربعة وسبعون من عائلتهم والأمراء الذين كانوا معه وثمانية وثلاثون سيدة من سيداتهم وثمانون طفلا من أطفال هـذا العدو وهم الأمراء الذين كانوا معه ، وخمسة من أمرائهم ، وألف وسبعمائة وستة وتسعون من الذكور والإناث

(١) ذكرت هذه « ينعم » كمكان في شمال تل البلاطة ، ويقع على مسافة خمسة أميال وبعض ميل في الجنوب الغربي من (بحيرة طبرية Tiberias) .

(٢) أما « نجس » فهي « نوخشش » التي ذكرت كمكان في خطابات تل العمارنة وهي إقليم وبلدة قريبة من « حلب » (راجع Gardiner, "Onomastica" I, P 168.) .

من العبيد والإماء والأطفال مع أتباع العدو الذين استسلموا بسبب الجوع الذين كانوا معه ، وثلاثة رجال فيكون مجموعهم ألفين وخمسمائة واثنين (والعدد الحقيقي ينقص عن ألفين وخمسة وعشرين علاوة على أن تكون العدد الناقص وهو أربعمائة وأربعة وسبعون قد جاء ذكره في الأماكن المهشمة من المتن) ، هذا خلاف الأطباق من الأحجار الغالية والذهب وأوان أخرى ... ... وإناء ذو مقبضين من صنع خارو (البلاد السورية) وأوان وأطباق مختلفة وأقداح للشرب مختلفة وغلايات وسكاكين يبلغ وزنها ستمائة وأربعة وثمانين دبنا (أي أن الأدوات السالفة الذكر يبلغ وزنها ١٧١ رطلا من الذهب) . هذا من خواتم من الذهب كانت بأيدي الصناع وقطعة مستديرة من خواتم فضة يبلغ وزنها ألفا وخمسمائة وستة وسبعين دبنا (أي ما يقارب ٩٦ (أو ٣٢٣ رطلا من الذهب) وتمثال من الفضة مصنوع ... ... ورأسه من الذهب ، وعصا بأوجه بشرية ، وست كراسي للعدو من العاج والأبنوس وخشب الخروب كلها مغشاة بالذهب ، وستة مساند للأقدام من متاع العدو ، وست موائد من العاج وخشب الخروب ، وعصا من خشب الخروب مغشاة بالذهب ومرصعة بالأحجار الثمينة في هيئة صولجان من متاع هذا العدو أيضا ، وكلها مصفحة بالذهب وتمثال لهذا العدو من الأبنوس مصفح بالذهب ورأسه مرصع باللازورد ، وأوان من النحاس ، وملابس كثيرة لهذا العدو »[1] .

وهذه المدن الثلاثة التي استولى عليها الفرعون على الأسلاب الأخيرة تقع بعضها قريبة من بعض في الطرف الشمالي من لبنان ، وقد هاجمها « تحتمس الثالث » عن قصد لغرض معين وذلك لأنه فكر أولا في إيجاد وسيلة تمنع ملك « قادش » من الوصول إليها ، وقد كان لم يقهر بعد . فزحف حربيا وثانيا ليجعل الطريق الشمالي الواقع بين جبال لبنان في قبضة يده لأهميته العظمى لحركاته الحربية ، ولذلك سار بجيشه شمالا واستولى على هذه المدن ، ومما يؤيد صحة ذلك أنه بنى حصنا هناك باسم « تحتمس قاهر الأجانب » .

وبعد أن تم لتحتمس النصر على هذه الصورة وجه عنايته لتنظيم الأقاليم التي فتحها فقد أصبحت فلسطين ولبنان خاضعتين لسلطانه وكذلك الجزء الأعظم من بلاد فينقيا .

---

(١) راجع : Urkunden. IV, P. 664.

سياسة تحتمس في حكم الأقاليم المقهورة : غير أن « تحتمس الثالث » لم يكن قد كسر شوكة ملك « قادش » بعد، لأن شمالي سوريا كان لا يزال خارجاً عن سلطانه إذ كان ملك المتني (النهرين) في ذلك الوقت المسمى « ساو شنتار » قد توغل في هذه الجهة واستولى على مملكة « حلب » التي كانت إلى هذه اللحظة عاصمة لحكم الحيثا[1]. ولذلك نجد أن « تحتمس الثالث » قد اكتفى في هذه الحالة بما فتحه من أقاليم ونصب أمراء جدداً غير الذين ثاروا عليه . وقد اتبع مع هؤلاء الأمراء الجدد طريقة تدل على بعد النظر في الاستعمار السلمي ، إذ قد تركهم مدة طويلة يحكمون كما تعلموا ما داموا يدفعون الجزية السنوية بانتظام . بيد أنه ضماناً لحسن نياتهم والوثوق بخضوعهم صحب معه إلى مصر بكر ولد كل منهم وأسكنهم في ناحية خاصة عظيمة في « طيبة » في مكان يدعى « القصر في طيبة » وكان ينشئهم ويربيهم تنشئة خاصة تجعلهم يحبون كل الحب أرواحهم وأجسامهم إلى مصر والتفاني في خدمتها ، وكان كلما خلا مكان أمير أو مات أحد الأمراء في تلك الجهات الأسيوية نصب « تحتمس » ابنه الذي تربى في مصر خلفاً له . وهذه هي نفس السياسة التي سار على منوالها الإنجليز في تربية أمراء الهنود في الكليات الإنجليزية التي أسست عن قصد لتمهيد هذا النظام ونخص بالذكر منها كليتي « أجمير » و « لاهور » .

غير أن سياسة « تحتمس » ومن بعدها سياسة الإنجليز الذين اقتفوا أثره لم تأت بالغرض المطلوب منها لأن كلا منهما قد نسي أن التعليم يفتق الأذهان وأن أول ما يستفيد منه الشخص هو حب الحرية والاستقلال ، وهذا عينه ما رأيناه بعد وفاة « تحتمس » ومن اتبع هذه السياسة ، فإن أولئك الأبناء الذين عادوا من مصر إلى بلادهم قد شقوا عصا الطاعة على من استعمر وطنهم وهو نفس ما نجده اليوم مع الإنجليز وأولئك الأمراء الهنود الذين يحاربون حتى النهاية لنيل استقلالهم في بلادهم ورفع النير الإنجليزي عنهم .

(١) راجع Meyer. "Gesch"., II. 11. § 125.

وبعد أن تم « لتحتمس الثالث » النصر على هذا الوجه عاد إلى مصر بعد ستة أشهر من مغادرته لها ، وهذه مدة قصيرة جداً إذا قيست بما اعترضه من المصاعب في تلك الأزمان السحيقة بل تعد سرعته في الواقع أعجوبة ، إذ مما لاشك فيه أنه حتى في عصرنا هذا تعد سرعة غزو بلاد كهذه والعودة منها بعد تنظيمها من الأمور العظيمة ، ولا بد أن المصريين قد شعروا أن « تحتمس الثالث » عند ما عاد إلى مصر محلا بكل تلك الغنائم الهائلة قد انتقم لقومه انتقاماً أثلج صدورهم التي كانت تحترق غيظاً بسبب ما حاق بهم من الذل والخذلان في أيام سيادة الهكسوس الذين ارتدوا بين أولئك الأمم الذين سحقهم « تحتمس » وجعل بلاده الأولى بين دول العالم . ولا نزاع في أن الحملة الظافرة التي كان يتسلمها كل فرعون لما قام به من جليل الأعمال كانت جديرة بأن تقال بحق عن أعمال « تحتمس الثالث » في غزوته الأولى هذه المنقطعة النظير في تاريخ الحروب وهي : « إذ لم يحدث مثلها قط في عهد الآلهة الذين سلفوا منذ الأزل » .

تحتمس يقيم لنفسه معبداً جنازياً : وقد كان مثل « تحتمس الثالث » كمثل كل فراعنة مصر نسب كل انتصاراته العظيمة لإرشاد ومساعدة والده العظيم الإله « آمون رع » وغيره من الآلهة الذين يسكنون ربوع طيبة فأراد أن يخلد ذكرى هذه الانتصارات بإقامة بعض المباني الضخمة . غير أنه على ما يظهر قبل أن يبدأ في مثل هذا العمل قد أخذ في بناية معبده الجنازى العظيم على حافة صحراء « طيبة » في الجهة الغربية من النيل ، على مسافة قريبة من معبد « الرمسيوم » الحالي وأمام هذا المعبد أي في الجهة الشرقية تقع الحقول ، وفي الجهة الغربية على مسافة ثلاثة أرباع ميل بعيداً عنه تشرف الصخور التي كان معبد الدير البحري العظيم الذي أقامته « حتشبسوت » ملاصقاً لواجهتها . وهذا المعبد الذي بدأ إقامته « تحتمس الثالث » أطلق عليه اسم « منحة الحياة » ، وكان يتألف من ثلاث ردهات ، الأولى يصل إليها الإنسان من (بوابتين) عظيمتين أقيمتا من اللبن

وربما كانتا مكسوتين بالحجارة التي لم يبق منها شيء ، والردهة الثانية بنيت في مستوى أعلى قليلا من الردهة الأولى وكانت مكسوة بالحجر الجيري الأبيض وتوصل إلى الردهة الثالثة بطريق منحدر ، وكانت هذه كذلك مكسوة بالحجر الجيري ، أما جدران المعبد فكانت من الحجر الرملي والحجر الجيري وجدرانه محلاة بنقوش جميلة ملونة بألوان زاهية . والظاهر أن العمل في هذا المعبد لم يتخذ شكلا جديا إلا بعد وفاة الملكة « حتشبسوت » مباشرة أو قبل موتها ببضعة أشهر وذلك لأن المعبد قد تم بناؤه بعد عودة « تحتمس » من حملته الأولى بستة أشهر ، على أنه يمكن القول بأنه قد تم بناؤه بعد وفاة الملكة لأننا لم نجد اسمها مذكورا على جدرانه قط [١] . هذا فضلا على أننا لم نقرأ في قائمة الأعمال التي قام بها « توتي » ما يشير إلى ذلك . وقد جاء ذكر هذا المعبد على تمثال موظف يدعى [٢] « دودى » إذ يقول إنه كان رئيس الأعمال في معابد عدة منها هذا المعبد ومعبد الدير البحري ، ولكن لما كان هذا الموظف قد ذكر لنا مليكه وقتئذ كان « تحتمس الثالث » ولم يذكر « حتشبسوت » . وكذلك لما كان « تحتمس الثالث » قد قام ببعض أعمال الدير البحري بعد وفاة هذه الملكة صاحبته ، فإنه من المحتمل جدا أن « دودى » هذا قد نقش تمثاله هذا عندما كان « تحتمس الثالث » يحكم البلاد منفردا . ومن المحتمل إذن أن هذا المعبد قد شرع في إقامته بعد وفاة « حتشبسوت » .

إقامة معبد للإله بتاح : وقد شرع هذا الفرعون في إقامة معبد صغير شمالي معبد الإله « آمون » في الكرنك (غير معبده الجنازي) . وأهداه الإله « بتاح » إله منف وزوجه « الإلهة حتحور » إذ يقول : « لقد وجد جلالتي هذا المعبد مبنيا باللبن وأعمدته من الخشب [٣] . غير أننا نعلم أن « حتشبسوت » قد أقامت (بياتين)

( ) راجع : A. S. VII, P. 121

(٢) راجع Legrain, "Statues", Cat. Cairo Museum, No. 42122

(٣) راجع A. S. III, 107 - 110.

من الحجر لهذا البناء القديم[1] وأن الملك « تحتمس الثالث » قد أكمل البناء بإقامة محراب صغير من الحجر الرملي بدلا من الذي كان مقاما من اللبن والخشب ثم أضاف له (بوابة) ثالثة .

إقامة لوحة بها انتصارات تحتمس بالقرب من وادي حلفا :

وقد كان من أول أعماله عندما وصل مظفرا إلى عاصمة ملكه أن أرسل رسولا إلى حاكم « كوش » الملقب « بابن الملك » الذي كان ممسكا بقوة عظيمة في بلاد النوبة السفلية يخبره بانتصاراته ، ومن المحتمل كذلك أنه أمر بإذاعة ذلك بين الجنود وأهالي السودان وأن ينقش ذلك الخبر على معبد « بوهن » (وادي حلفا) وقد تم ذلك في الحال وما بقي من هذا النقش يشعر بأنه قد وضع في قالب يجعل القارئ يحس أن هذا الفرعون كان في بأس الإله وقوته ، وقد أرخ هذا النقش بالسنة الثالثة والعشرين ، وقد جاء فيه بعد عبارات تصف الفرعون بأوصاف طنانة مبالغ فيها ما يأتي :

> إنه قاد الفرعون بنفسه جيشه وقد كان ذا بأس على رأس الجيش وكان الفرعون كاللهيب من النار يصل ضربه وقد انقض على العدو ولم يكن أحد شبيهه بين المحاربين (السعداء ...) وانقض على الأسيويين ، وقد أحضر منهم أمراءهم أسرى أحياء وعرباتهم المصفحة بالذهب تجرها جيادها وكذلك خضعت له أهالي الأجانب منحنين تملق الكلاب رجاء أن يمنحوا نفس الحياة[2] .

ولا نزاع في أن موقعة الفرعون مظفرا كانت من الحوادث التي لا يمكن أن تنسى فعلا في تاريخ البلاد لأن هذه كانت المرة الأولى التي شاهد فيها فرعونا على رأس جيش مصري اشتبك في ساحة القتال في موقعة حاسمة في أرض أجنبية مع ملك مسيطر على مملكة أسيوية كبيرة يؤازره جيش أسيوي جبار . وقد شتت الفرعون شمله بعد هزيمة نكراء . على أن هذا الحادث كان في الواقع بعد سابقة حربية

---

(١) راجع : Weigall, "Guide", P. 106.

(٢) راجع Maclver and Woolley, "Buhen", P. 30.

فى مضمار كانت معرفته هى المتازة موزا حاسما ، ولا شك من أن هذا النصر قد غير نظرة الأمة المصرية إلى العالم الذى حولها وعلاقتها الخارجية به .

ويحدثنا الفرعون بقوله : « إن جلالتى قد أسس للإله « آمون » عيد نصر ، وقد احتفل به لأول مرة مستجدا من جلالتى بأرض « طيبة » من حصاده الأول للظفرة فى السنة 23 والعشرين بعد أن هزمت السوريين الذين ... عيد نصره » .

تحتمس يقيم الأعياد لانتصاراته : والواقع أن « تحتمس الثالث » أقام ثلاثة أعياد ابتهاجا بانتصاراته فى عاصمة ملكه ، وقد أصبحت هذه الأعياد سنة متبعة تقام فيما بعد كل عام . وهذه الأعياد هى : العيد الأول الإله آمون وعيد إحضار الإله ، أما العيد الثالث فلم يعرف اسمه ، وإنما عرف أنه كان يقام فى معبد « منحة الحياة » وهو كما ذكرنا اسم معبد « تحتمس الثالث » الجنازى . وكل هذه الأعياد كانت تعرف باسم أعياد النصر[1] .

تحتمس يغدق الهدايا على معبد آمون : وقد كان من نتائج هذا الثراء الذى كان يتدفق على مصر منذ غزوته الأولى هذه أن أصبحت موائد قربان الإله « آمون » مفعمة بالضحايا وتضاعفت ثروة معابد الكرنك وعمها الخير ، وفضلا عن ذلك تحدثنا الوثائق أن الفرعون أخذ فى بناء محاريب جديدة فى الكرنك وأن كل الأوانى التى أمدت بها كانت من السام والذهب وكل حجر ثمين من الأسلاب التى غنمها جلالته فى حملته الأولى المظفرة . ويقول الفرعون : « إن جلالتى قد ساق منه كل ... ملك ... أولاده وأزواج الأمراء الذين كانوا ... وهم أولادهم ، ووضع جلالتى هؤلاء الأسرة ... » (هنا يكل أسف حشو النقش ولم يذكر أين أمكنهم وذكر فقط اسم اثنين أو ثلاث منهن) « وقد أعطى كل ما ... « آمون » ... من الجزية التى ... سوريا . أما ... وقد احتفلها جلالتى ... العيد ... (المعروف الآن مفتح الخليج) . وهذا العيد كان يعقد فى الشهر الأول من الفصل الثالث .

---

(١) راجع Breasted, A. R. II. § 550-562

العيد السنوي للإله آمون : أما ثاني حادث نقرأ عنه في النقوش فهو احتفال الفرعون بالعيد السنوي الكبير للإله « آمون » بالأقصر وهو الذي كان يحتفل فيه بنقل الإله في سفينة من الكرنك إلى الأقصر والعودة به ثانية . والنقوش التي عثر عليها في « الكرنك » عن هذا العيد مؤرخة في السنة الرابعة والعشرين في اليوم الرابع عشر من الشهر الثاني من الفصل الأول وفي هذا اليوم يحدثنا الفرعون قائلاً : « إن جلالة هذا الإله الفخم سار في احتفاله ليوم رحلته في عيده الجميل (الأقصر) ، وإن جلالتي قد أسس له قرباناً عظيمة لهذا اليوم عندما احتفل الإله بعيده في الأقصر وتحتوي خبزاً وجعة وثيراناً وطيوراً وبخوراً وخمراً وكل فاكهة تؤلف جزءاً من نظام أول الانتصارات التي منحها إياها « آمون » وقد أعطيته ... لأجل أن أملأ خزانته — فلاحين ليحضروا له أنواعاً مختلفة من الكتان ، وفلاحين لحرث الأرض حتى تجبى محاصيل تملأ مخازن والدي « آمون » » ثم استمر يقول إنه أهدى لهذا الإله ثلاث مدن وهي « ينعم » و « نجس » و « حرنكر » وهي التي سلمت له في سوريا جزءاً من ضياعه المقدسة (1) .

وتدل الأحوال والنقوش التي لدينا على أن خبر انتصار مصر قد وصل إلى بلاد « آشور » التي كانت وقتئذ قد بدأت تظهر في الأفق الدولي والظاهر أن ملك هذه البلاد قد رأى ثاقب فكره أنه من الخير لبلاده أن يربط أواصر الصداقة والمهادنة بينه وبين مصر التي ظهرت على الملوك والدول المجاورة لها . لذلك أرسل هدايا للفرعون في السنة الرابعة والعشرين من حكم « تحتمس » وقد حرص الفرعون على أن يدونها في يوميات تاريخ فتوحه الحربية إذ كانت هذه الهدايا في الواقع دليلاً على قوة سلطانه وشهرته وإن كانت في الواقع لم تخضع له بلاد « آشور » ، وهاك قائمة بهذه الهدايا (راجع : Urkunden IV. P. 668) .

جزية أمراء آشور : « قطعة من اللازورد الحقيقي زنتها عشرون دبنا وتسع قدات ، وكذلك قطعتان أصغر من اللازورد (المجموع ثلاث قطع) وقطع من لازورد بابل فيكون مجموعها ثلاثين دبنا وتسع قدات (أي ما يعادل ١٢ رطلاً من اللازورد) ، وكذلك لازورد جميل من بابل وأوان من آشور من حجر حرت القرن ... » .

---

(1) راجع : Breasted, A. R. II, § 554.

جزية سوريا : وفي الوقت نفسه وصل إلى الفرعون رسل من سوريا يحملون الجزية والهدايا من بينها « بنت الأمير ومعها حليها والاتباع من بلاده ومعها كذلك ثلاثون من العبيد ، هذا إلى خمسة وستين من العبيد والإماء ومائة وثلاثة من الجياد وخمس عربات مطعمة بالذهب ومصابيح كذلك من الفضة وخمس عربات مطلية بالسام وقضبانها من « العسب » فيكون المجموع عشر عربات هذا إلى خمسة وأربعين ثورا وعجلا وسبعمائة وخمسة وأربعين ثورا ، وحمل آلاف وسبعمائة وثلاثة ودرع من البكتية والأطباق مرصعة من الذهب ... لا يمكن عدها ، وأطباق مرصعة من الفضة ووضع (رشا) مائة وأربعة دبنات وخمس كدات ، هذا إلى ورق من الذهب مرصع بالأحجار ... من البرنز مطعم بالذهب وحمل بعير « كحل » المقبل ... وثمانية وعشرين إناء من البخور وألف وسبعمائة وثمانية وعشرين وجابة من الشهد المملوءة إلى نشب « جمت » ومشب « جمت » ذي الألوان المختلفة ، وعاج وخشب خروب وخشب ... وخشب « سجر » ... من خشب أصفر وكل طرائف هذه البلاد » .

أثر هذه الجزية في الحياة المصرية : ولسنا في حاجة هنا إلى لفت نظر القارئ إلى ما كانت عليه هذه البلاد من الثراء والغنى والتفنن في الصناعة والتأنق في إخراج قطع نفيسة في مصرنا من قطع الفن الرفيع والذوق السليم كما يلاحظ أن الأمراء السوريين أخذوا يرسلون بناتهم ليكن في القصر في خدمة الفرعون بين وصيفاته وحلى مجهزات بحلى ومسوح وحشم ، ويلاحظ من الآن أن كل هذه الخيرات التي كانت تجبى من سوريا ومن كل الفتوحات الأخرى ، كان للإله نصيب وافر منها ، ولم ينس الفرعون ذكر كل ذلك في نقوشه العديدة التي دونها على المعابد التي كان يقيمها للآلهة المحليين في طول البلاد وعرضها ، فنراه مثلا يفصل علينا ما قدمه للإله « بتاح » في المعبد الذي أقامه له في الكرنك في هذه الفترة إذ يقول على اللوحة التذكارية التي أقامها في هذا المعبد ما يأتي : « لقد ملأت معبد « بتاح » بكل شيء طيب(١) من ثيران وأوز وبخور وخمر وقربان ومن كل أنواع الفاكهة عندما عدت ظافرا من سوريا بعد حملة الأولى الظافرة التي محق أثرها والتي « أمون » حكما سابقا على كل بلاد

( ) راجع : A. S. II P 107

رأس الصالحة وهم محصورون في مدينة واحدة « مجدو » ... لأن أعظمهم في هذه المدينة وأقف حولها حصارا يأتيك من خارجه حركة » .

وكذلك يحدثنا « أنه أقام لهذا الإله أبوابا من خشب الأرز الجديد من أحسن أخشاب ... (بتاح) ... أعظم ما كان عليه من قبل ... بالسام من أحسن ما تجبيه البلاد وكذلك أصبحت كل أوانى معبدى من الذهب والفضة وكل حجر ثمين ... ووقفت ... من الكتان الجميل والكتان الأبيض والعطور والمصنوعة من عناصر طيبة ، وكذلك ذكرت إقامة تماثيله سارة » .

ثم تحدثنا اللوحة بعد ذلك عن احتفالات ثلاثة كان لا بد لإقامتها من قرابين خاصة ، وأول هذه الاحتفالات هو عيد الإلهة « موت حتحور » التي كانت تعتبر زوج الإله « بتاح » ، وكان يعقد في آخر يوم من السنة . والعيد الثاني كان يعقد في اليوم السادس والعشرين من الشهر الأول من الفصل الأول ، والعيد الثالث هو كما ذكرنا من قبل وهو عيد زيارة الإله « آمون » لمعبد الأقصر . وكان الإله « آمون » في عيده هذا يزور وهو سائر في موكبه معبد الإله « بتاح » الذي كان في طريقه ، وهكذا كان اهتمام الفرعون بأولئك الآلهة الذين قدروا له النصر في ساحة القتال .

موت أحمس بنخبت ومآثره : وفي هذه الفترة من حكم « تحتمس الثالث » مات رجل من أعظم رجالات مصر الذين خدموا بلادهم ، وخلدوا ذكراهم بأعمال لا تمحى وشرف أرومتهم ، ذلكم هو « أحمس بنخبت » الذي عاصر ستة فراعين من ملوك مصر وخدم تحت ستة منهم ، وقد ذكرنا ما قام به من عظيم الأعمال فيما سبق ، فقد انخرط في سلك الجيش في عهد « أحمس » وهو في الخامسة عشرة من عمره واشترك معه في حملته على سوريا في السنة الحادية والعشرين من حكمه ثم قص علينا في نقوش تاريخ حياته أنه خدم في عهد أخلافه « أمنحتب الأول » و « تحتمس الأول والثاني » وعاش حتى عهد « تحتمس الثالث » وعندئذ يقول لنا إنه بلغ من الكبر عتيا وكنت موضع رعاية ملاكهم ، وكنت عزيزا في البلاد ثم صمت قائلا

إن الزوجة المقدسة والزوجة الملكية العظيمة « ماعت كارع » المرحومة كانت قد أعطت على الإنعامات ثابتة وكتب قد وربيت أكبر بناتها وهي الابنة الملكية « نفرورع » المرحومة عندما كانت طفلة رضيعة » .

ومما يؤسف له أن سائر نقوش تاريخ حياته قد هشمت ولم يبق منها شيء .
ومما سبق نعلم أن هذا الجندي العظيم قد عاش بعد موت « حتشبسوت » وأن « نفرورع » كانت قد توفيت على ما يظهر منذ زمن بعيد . والمعلومات التي نستنتجها من تاريخ حياته لها أهمية عظمى فنعلم أولا أنه بعد ممات « حتشبسوت » بعامين كان لا يشار لاسمها بوصفها ملكة حكمت البلاد . وعلى الرغم من أن اللقب الذي كانت تحمله وهو « ماعت كارع » بوصفها ملكة فعلية فإن « أحمس بننخبت » لم يذكرها هنا بلقب الملكة بل « بالزوجة الإلهية » « وأرملة تحتمس الثاني » . كما نعلم ثانيا أن « تحتمس الثالث » لم يستطع محو اسمها من الآثار بعد اعتلائه عرش الملك بل انتظر مدة كما ذكرنا . وثالثا : نعلم أن « أحمس بننخبت » كان مربي الأميرة « نفرورع » قبل أن يقوم على تلمذتها « سنموت » اللهم إلا إذا كان لقب مربي الأميرة لقبا فخريا يمنحه المصريون في البلاط أحيانا . ورابعا : نفهم من الحملة التي قام بها « أحمس الأول » على بلاد سوريا أنها كانت قد حدثت في أواخر أيامه لا في أوائل حكمه كما هو المفهوم لأنه لو صح ذلك لكان « أحمس بننخبت » قد بلغ سنا أربى من التي وصل إليها إذ كان قد تخطى المائة عندما لاقى حتفه على فراش الشيخوخة .

تحتمس يقيم معبدا خاصا للإله آمون في الكرنك : والظاهر أن « تحتمس الثالث » عندما عاد من حملته الأولى الظافرة التي جنى منها الخيرات الكثيرة والمال الوافر أراد أن يقيم للإله آمون معبدا يناهض في عظمته وبهائه وفخامته معبد الدير البحري الذي أقامته « حتشبسوت » للإله آمون ولنفسها . غير أنه أراد أن يقيم معبدا للإله « آمون » وحده بالقرب من معبده بالكرنك . والظاهر أنه بدأ في إقامته على إثر عودته في الحال كما تحدثنا من تلك اللوحة التي

تركها لنا في معبد الكرنك وهي لوحة عظيمة مصنوعة من حجر الجرانيت ، وقد احتفل بعيد وضع أساس هذا المعبد في السنة الرابعة والعشرين اليوم الثلاثين من الشهر الثاني من الفصل الثاني . وقد كان هذا الاحتفال يوافق أول يوم في الشهر القمري (Mariette, "Karnak" P. 12).

وهذه اللوحة مهشمة ولم يبق منها إلا الأسطر الافتتاحية غير أنا نفهم منها أن « تحتمس الثالث » قد أقام قاعتي العمد والمحراب اللتين يتكون منهما الجزء الشرقي من امتداد معبد الكرنك ، وقد كان هذا المعبد شاسع المساحة حتى أن « تحتمس الثالث » أمر بإزالة معبد قديم للإله « بتاح » ووضعه في أقصى الشرق ليفسح المكان لمعبده ، على أن السبب الجوهري على ما يظهر لإقامة « تحتمس الثالث » هذا المبنى العظيم شرق معبد الكرنك يرجع إلى أن قاعة العمد التي أقامها « تحتمس الأول » بين (بوابتيه) الرابعة والخامسة تكون المدخل لمعبد الكرنك وكانت ولابد أكبر قاعة في المعبد والوحيدة التي كان يمكن عقد احتفالات الإله فيها مثل الاحتفال الذي أقيم عند تولية « تحتمس » العرش على يد الإله « آمون » ووالده . غير أن هذه القاعة كانت قد أصبحت غير صالحة لإقامة الاحتفالات إذ كانت « حتشبسوت » قد نصبت مسلتيها فيها ، وبذلك أصبحت بدون سقف وكان فيها طائفة من العمد عددها ستة في الجهة الشمالية ، منها أربعة كان قد صنعها « تحتمس الأول » من خشب الأرز وهي التي جددها « تحتمس الثالث » ويدون عمله هذا على أحد هذه الأعمدة إذ قال . [لقد أقامها (أي تحتمس الثالث) أثراً لوالده « آمون رع »

وذلك بإقامة أربعة عمد من الحجر الرملي أقيمت في قاعة العمد تجديداً للتي أقامها لأبيه الطيب رب الكرنك (تحتمس الأول) من خشب الأرز ، وقد أضاف إليها أربعة عمد زيادة على العمد التي في الجانب الشمالي ومجموعها ستة عمد ... [illegible] ... والتي أحضر [illegible] جلالته وهي [illegible] كل البلاد [illegible] إياها والده الإله « آمون » مصنوعة من الحجر الرملي ، وارتفاع كل منها [illegible] ذراعاً على كل جانب (البوابة) الخامسة [illegible] وكانت [illegible] الكرنك ... من الحجر الرملي محلى بالألوان [illegible] « آمون » وكذلك [illegible] والده الطيب « تحتمس الأول »

ثامن : لقد أقمت ما كان متداعياً بالحجر الرملي لكي يصبح هذا المعبد مؤسساً ... حتى أنها ترتكز على عمدها الأربعة ويرسمها آثاراً ممتازة مخصصة للآلهة الأبدية من المرمر والعاج والحجر الرملي . والنص « حامل الوصية » (لقب يطلق على الإله بتاح) ... أقمت بقدر ما يحبه الإله « رع » وبقدر ما يحبه الإله « آمون » لأني أقمتها من جديد في الجهة الجنوبية بالإضافة إلى ما كان قد أقامه والدي » .

وعلى ذلك نجد أن الجزء الشمالي من القاعة وهو المكان الذي كان قد وقف فيه « تحتمس الثالث » عندما توج ملكاً على البلاد قد أصلحه هو ولكن الجزء الجنوبي كان لا يزال بدون عمد وسقف ، وكانت قاعة سلفه « حتشبسوت » التي أقيمت فيه قد شغلت مكان ثمانية أعمدة أي ما يقرب من ثلث قاعة العمد كلها ، وعلى ذلك أصبحت القاعة غير صالحة لإقامة الحفل فيها لوجود المسلة في وسطها مما عاق في الوقت نفسه وضع سقف لها ، ولهذا أقام « تحتمس الثالث » سياجاً حول كل من المسلتين ليكسو تموثل « حتشبسوت » التي كان يكره ذكراها هذا إلى أنه توقف عن عمل أي إصلاح في القاعة التي توج فيها .

قاعة الأعياد : ولما كانت مثل هذه الحجرة لا غنى عنها لإقامة الحفل العظيمة فإنه بنى في الجهة الشرقية من المعبد قاعة الأعياد التي نحن بصددها ، وقد كلف مهندس مباني « منخبررع سنب » الإشراف على هذا المبنى ، وكان هذا المهندس يحمل كذلك لقب الكاهن الأول للإله « آمون » وقد ذكر لنا في نقوش مقبرته علاقته بهذا المعبد الجديد[1] ، أما النقش الذي على اللوحة التي دونت عن بناء هذا المعبد فهو :

الوحى : « ... إنه أمر الملك نفسه بتدوينها على حسب ما ذكر الرب لتخليد آثاره أمام الحي على الأرض ... لقد رغب جلالته في إقامة مبنى الأثر والذي « آمون رع » في الكرنك وهو بجانب سكن يحسن الأفق ويربى « خامت سوجس » وهو المكان المختار والذي منذ الأزل (أحد روح طيبة) « آمون رع » رب طيبة ، ولقد أقيم هذا على هذه الكلمة من الحجر الصلب ولقد أحيطه ... عظيمة منه [illegible] بناه عراب « موت » عندما يحل في مواعيده » .

---

(١) راجع Breasted, A. R. II. § 772. ff.

إزالة المباني القديمة : « لقد أتيت به على حسب رغبته وأرضيت عاطفته ؛ لأنه أمر أولا عمارة في الجهة الشرقية من هذا المعبد … تأمل ! لقد وجد جلالتي الجدار المحيط من اللبن ، وحيث إن الجدار المبني من اللبن لأجل أن أبني هذا المعبد خلفه وأزلت الأجزاء القريبة منه وأزلت السور الذي كان بجانبه ومن اللبن الممتد حتى المعبد وقد أقمت هذا المكان حيث كان السور لأقيم عليه هذا الأثر الكرنك ، فأقمته من جديد وتحديت ما كان قد أمر به ، رغم احتمال نهب آثار غيري ، ولذلك جلالتي يحلف مؤكدا ليعلم كل واحد لأني أمقت الكذب والمين ، حقا إني أعلم أنه مسرور بذلك » .

حفلة التأسيس : « وقد أمر جلالتي أن يعد الحفل لوضع الحجر الأساسي عند حلول يوم عيد القمر الجديد ، وأن يقام حفل القياس على هذا الأثر في السنة الرابعة والعشرين في الشهر الثاني من الفصل الثالث اليوم الأخير من الشهر وهو يوم العيد العاشر للإله « آمون » في … ، وقد جلس الإله



قاعة الأعياد بالكرنك

على عرشه العظيم وبعد ذلك سرت وراء والدى « آمون » وقد بدأ الإله فى بداية الاحتفال بعيده عيد خيل وقد صحب هذا الإله ... وقد اتخذ هذا الإله مكانه عند حبل القياس لوضع الأساس ، وقد وضع جلالته أمامه هذا الأثر الذى حدده بكلماته ، وقد سر جلالة هذا الإله بهذا الأثر . ثم قدم جلالة هذا الإله واحتفل بهذا العيد الجميل لسيده » .

ويلاحظ هنا أن الجزء الأخير من هـذا النقش مهشم ولا يمكن فهم شىء منه على وجه التأكيد .

هندسة المعبد . وهـذا المعبد العظيم الذى سردنا ذكره مما بقى من اللوحة التى نقشت عنـه لا يزال قائما حتى الآن ويحتوى على قاعة رئيسية فسيحة الأرجاء يرتكز سقفها على صفين من العمد يشـتمل كل منهما على عشرة عمـد ذات تيجان غريبة تمثل فى الواقع عشرة محاور ارتكازية لسرادق ، ولذلك يجد المتأمل فى القاعة أنها تمثل خيمة عظيمة ، وتحقيقا لهـذه الفكرة التى دعلتنا ننخفض السقف حول جوانب القاعة بمـا يكمل الهدب المرفوعة على جوانب الخيمة ومـن المحتمل جدا أن هـذا الطراز الفذ من المبانى كان يقصـد به « تحتمس الثالث » أن يرمز به فى صراحة صفت الفرعون الحربية . وأن يبرر اعتقاده بأن الإله « آمون » إله حرب من جهة أخرى وأنه إنما يأوى الى معسكر فى سرادق مثل هـذا لا إلى بيت أو محراب على طراز الآلهـة الأخرين . وفى جوانب هـذه القاعة وخلفها أقيمت حجرات عدة كما أقيمت أمام المعبد فى الجهة الغربية ردهة مكشوفة تفصـل بين هذا المعبد ومعبد الإله آمون الأصلى[1] . وهـذا المعبد يعرف بقاعة الأعياد ويعـد بحـق من أجمل المبانى فى طيبة ويبلغ طول القاعة العظمى التى وصفناها نحـو ١٤٠ قدما وخلفها يقع المحراب أو قدس الأقداس .

حجرة الأجداد . أما الحجـرة التى حولها فيبلغ عددها نحـو خمسين حجـرة ومن بينها الحجرة التى تعرف « بحجرة الأجداد » وتقع فى الجهة الجنوبية وهى التى

(١) راجع Weigall, "Guide", P. 103

أمر « تحتمس الثالث » بأن تنقش فيها عجبة من أسماء أجداده ملوك مصر وأن يزيد في قربانهم وأن تصنع لهم تماثيل وهذه الأسماء الملكية من المصادر التي يعتمد عليها في تاريخ ملوك مصر كما سبقت الإشارة إلى ذلك . وقد انتزع « بريس دافن » أحجار هذه الحجرة ورتبها ونقلها إلى باريس حيث بنيت من جديد بمتحف اللوفر بالقسم المصرى . ومن غريب الصدف أن بعض التماثيل التي أمر بنحتها الفرعون لهذه الحجرة عثر عليها في خبيئة الكرنك مع غيرها من التماثيل التي كانت منصوبة في هذا المعبد .

الحملة الثانية : لم تحدثنا الآثار عن أي عمل حربي قام به هذا الفرعون في حملته الثانية إلى بلاد رتنو لأن النقوش هنا مع الأسف مهشمة حتى عند الجزية التي كان يحملها له أمراء الممالك المختلفة . وهاك ما بقي لنا من النص .

« السنة الرابعة والعشرون » قائمة بالجزية التي أحضرت إلى عظمة جلالته من بلاد رتنو :

١ — جزية بلاد آشور : قطعة عظيمة واحدة من اللازورد الحقيقي ... .

٢ — جزية بلاد رتنو : ... جلود الحيوان « خار » الجلد مركبة صنعت من أحسن الأخشاب ومائة وأربعون وتسعون عربة ... وثلاثة وثلاث وأربعون قطعة من خشب « تحب » وتسعون قطعة من خشب الكروب ومائة وتسعون قطعة من خشب « مرو » ومائتان وست قطع من خشب « ني » وخشب « كانك » وأخشاب زخرفة ... ...

ومن ذلك يرجح أن هذه الحملة قد قام بها « تحتمس الثالث » لتفقد أحوال البلاد التي فتحها من قبل وما كان عليه الأمراء من الولاء له ولإحضار مقدار عظيم من الخشب التي كانت البلاد المصرية تفتقر إليه والظاهر أن ملك آشور لم يعنه الظهار ولائه فبعث لجلالته بهدايا كثيرة أخرى .

الأشجار والحيوانات التي جلبها الفرعون من بلاد سوريا : وفي السنة الخامسة والعشرين (المتن هنا مهشم) والظاهر أن الفرعون قد حارب بعض الولايات هناك وأنه أشعل النار في بعض مدن واستولى على أسلاب من العدو ،

وفى هـذه الحملة أحضر الفرعون مجموعة من الأزهار أخذها للغرس فى مصر وقـد غرست فى « طيبـة » وأزهرت إزهاراً ياماً . ونشاهـد أنه لما تم بناء المعبد فيما بعد نقشت أنواع هـذه الأشجار على جدران إحدى حجراته ويمكننا أن نشاهد ما تبقى منها إلى يومنا هـذا ونستطيع أن نعرف الأزهار العدة التى كانت تزين حديقة معبد « آمون » . وتحدثنا النقوش فى السـنة الخامسة والعشرين أن هذه الأزهار هى التى أحضرها جلالته فى هذه السنة والظاهر أنه كان قـد أحضر مع مجـموعة الأزهار هـذه عدة طيور وحيوانات اسـتوطنت فى طيبة كما يظـهر من المجموعة التى على جدران إحدى حجرات هذا المعبد . ويطلق على مجموعة الأزهار هذه حديقة النباتات . وعلى الرغم من أن الجزء الأعلى من الجدران التى رسمت عليها هـذه الأزهار والنباتات قد زال من عالم الوجود فإن ما تبقى منها يعطيا فكرة عما كانت تشتمل عليه تلك الحديقة .

ونجـد عليها كل النباتات التى وجدها جلالته فى أرض « رتنو » (بلاد سوريا) إذ يقول المتن : « إن كل النباتات التى كانت تنمو وكل الأزهار التى فى أرض الإله التى كشـفها جلالته عندما ذهب لإخضاع كل الممالك على حسب أوامر والده آمون . وهى التى أمام تحت موطىء قدميه » .

وقـد بقى على الجدران حتى الآن رسم ١٧٥ نباتاً أو أجزاء من نباتات وقـد درسها العالم الألمـانى « شفينفورت » فوصل إلى النتائج الآتية : ظهر أن رسم بعض النباتات كان رسماً عليها صحيحاً متقنا وأن بعضها كان رسماً تقريبياً قد اعتمد فيه على ذكريات مبهمة عما رآه المفتن . كما أن بعضها كان خيالياً محضاً . والواقع أن المفتن الذى رسمها كان يقوم برسم نباتات غريبة عنه . ولما لم يكن لديه وثائق يرجع إليها فإنه كان يعتمد على الخيال .

وقد عرف « شفينفورت » بعض النباتات من بين هـذه التى وجدت على الجدران منها الرمان الذى كانت زراعته قـد أدخلت فى مصر فى تلك الفـترة

مباشرة وكذلك عرف Arum Italicum ، و Dracunculus Vulgaris و Calanchoe والأيرس (زنبق) ، غير أننا لسنا متحققين من وجود نبات Dipsacus ، و Chrysanthemum ونبات Convolvulus . ومع أننا وجدنا بعض النباتات قد رسمت بدقة فإنه مع ذلك لم يمكن معرفتها. ولقد أمر «تحتمس الثالث» بأن ترسم كل هذه النباتات ليضعها أمام والده آمون في معبده العظيم حتى يذكر اسمه إلى الأبد (راجع Capart, "Thebes" p. 176 - 7; Breasted, A. R. II, § 193.

ولم يأت ذكر السنة الخامسة والعشرين في النقوش الأخرى إلا على لوحة صخرية نقشت في الصحراء في «سرابة الخادم» في شبه جزيرة سينا[1] ذكر لنا فيها رئيس القافلة المسمى «نى» أنه جاء على رأس حملة في هذه السنة إلى تلك الجهة للحصول على الفيروز.

ولم يصلنا شيء عن حملة الرابعة ويحتمل أن نقوشها قد فقدت وربما كانت لتثبيت سلطانه في الممتلكات التي فتحها ولذلك لا نعلم شيئاً عن حروبه في السنة السادسة والعشرين.

وفي السنة السابعة والعشرين لم نعرف له أثراً يذكر اللهم إلا لوحة نقشت على صخور «سرابة الخادم»، وكذلك في السنة الثامنة والعشرين لم يصلنا عنها شيء مباشرة ولكن لدينا نقوش غير هامة ذكر فيها هذا التاريخ وهي لمدير بيت الوزير «وسر» المسمى «أمنمحات» وكان قد جمع ثروة طائلة وأقام لنفسه مقبرة فخمة في طيبة[2]، وفي نقوش مقبرة «أمنمحات» هذا معلومات هامة تلقي بعض الضوء على حياة القوم وبخاصة الطبقة العليا منهم مما جعلنا نقتطف منها ما يأتي، يقول «أمنمحات» عن نفسه

---

(١) راجع : L. D. III, Pl. 29a.

(٢) راجع : Gardiner, "The The Tomb of Amenemhet", P. 71 ff.

حالة البلاد الاجتماعية والدينية من نقوش أمنحات . لقد كنت خادما مخلصا لسيده
وبطلا غيورا عمل منذ الآن وصاعدا وسمح رئيس الوزراء كل حياته تحت إمرتي وكل حاكم إقليم مصري ،
وكان رئيس الوزراء يعمل كل ما يرضي الفرعون يوميا وصل الحق يحب ليله الذي يحبه جلالته في كل
الأرجاء وقد عمل كل ما يحبه الإله في إقامة الأهرام وتنمية الأطيان ... وكذلك جعل الحق الذي
يحبه مراعيا النفير كما يراعي الذي [illegible] الأرملة التي لا أقارب لها وحرسها من [illegible]
[illegible] الأولاد في [illegible] كل إنسان سعيدا . والآن صانع رئيس الوزراء
[illegible] عدة من الذهب والفضة واللازورد والفيروزج وكل أنواع الأحجار الكريمة [illegible] من
ذهب وفضة ورصاص [illegible] أثاثا من العاج والأبنوس وخشب الأرز ([illegible]) وكنت أنا الذي
أشرفت على هذا . وكذلك نحت [illegible] تماثيل [illegible] في محاريب الآلهة وكنت أنا الذي أشرف
على هـذا العمل أيضا [illegible] حديقة غناء كبيرة جدا في غرب المدينة الجنوبية (طيبة) بها كل
أنواع الأشجار [illegible] بكل أنواع أشجار الفاكهة وقد كنت أنا بهذا العمل . وكذلك أقام [illegible]
[illegible] جدرانه من الحجر وأبوابه من الحجر ، وقد كلفت بهذا العمل أيضا

ولا نزاع في أن هـذا المتن يلقي بعض الضوء على علاقة الملك بوزيره وعلاقة
الوزير بمدير بيته وحاشيته علاوة كما يكشف لنا عن الثراء الذي كان يتدفق على البلاد
في ذلك الوقت ، وما كان يتمتع به الأعيان وأصحاب المال في هـذه الحياة الدنيا
من قصور فاخرة تبنى بالطين وحدائق غناء تزرع فيها أشجار الفاكهة على [illegible] وطاب
ولقد كان هـذا الثراء والنعيم هـو عين ما يطلبه المتوفى في الآخرة . ولذلك نجد
المصري يتضرع للآلهـة أن يوهب روحه أو قرينه مثـل ذلك فاستمع إلى أهـل
« أمنحات » وهم يتوسلون إليه .

يا « أمنحات » ليت [illegible] تمس في [illegible] في [illegible] حتى [illegible]
في [illegible] أمنحات في [illegible] إلى الأبد ، يا أمنحات ! [illegible] إليك [illegible]
وأرض [illegible] الذي [illegible] من [illegible]
[illegible] إلى الأبد يا أمنحات ! ليتك تدخل وتخرج من [illegible] كما [illegible]
[illegible]) [illegible] الشمس عندما يطلع من [illegible] عندما يغرب في الأفق [illegible]
[illegible] على [illegible] « [illegible] » رب الأبدية ! [illegible] كما [illegible] على [illegible]
[illegible] ! [illegible] أزهار حديقتك [illegible] من [illegible] تحت ظلال أشجارك ! وليت

فلتتك يطفأ من ماء الترع التي حفرتها أيد الأحياء أولئك تخترق جبال الجبانة وتخرج لترى بيتك في أرض الأحياء، وتسمع صوت الغناء والموسيقا التي على الأرض وتكون حارسا لأولادك إلى الأبد[3] .

ويرى القارئ من هـذا النص أن المصرى كان متعلقا بعالم الدنيا ولا يرغب إلا في العودة إليه ليتمتع بنعيمه وملذاته بعـد الموت حتى أنه كان يتمنى أن يخترق جبال الجبانة ويخرج إلى عالم الحياة الدنيا ويتمتع بالغناء والموسيقا في قاعة بيته التي طالما تقلب في أعطاف النعيم فيها .

تحتمس الثـالث يستولى على موانى ساحل فينيقيـة لتكون قاعدة لجيوشه : وتدل ظواهر الأحوال وما يستنتج من النقوش على أن «تحتمس الثالث» بعد أن وطد أركان السلام في الربوع التي خضعها أخيرا رأى أنه لا يمكنه أن يسير في طريق الغزو شمالا بين جبال لبنان ليقضى على مملكة قادش دون أن يستولى على مدن فينيقيا الساحلية التي قد تصبح خطرا يهدده دائمـا من خلفه . وكذلك رأى أنه من العسير عليـه أن يهاجم بلاد النهرين ، (مملكة المتنى) دون أن يستولى على مملكة «قادش» الواقعة على نهر العاصى وكانت لا تزال خارجة عن سلطانه ، ولذلك بنى «تحتمس الثالث» أسـطولا مخلفا وجهزه بكل ما يلزم من عتاد ليتمكن بمساعدته من النزول في شمال ساحل فينيقية ، وبخطته هذه يمكنه أن يتخذ الساحل قاعدة حربيـة لمهاجمة قادش وما حولها من البلاد المجاورة حتى إذا ما استولى عليها استطاع أن يسير بجيشه من السـاحل موغلا في الداخل عبر بلاد المتنى وكل إقليم بلاد النهرين . ولا نزاع في أن هـذه الخطة المبتكرة تدل على نبوغ في الخطط الحربية لم يصل أحد إليه ولم يسبقه بها ، يضاف إلى ذلك أنه نفذها بنشاط ومثابرة تعرف الملل وعزم لا يعرف الكلل . وقد قال أحد المؤرخين المحدثين لو كانت هـذه الخطط بعينها استخدمت في الحرب العالمية الأولى في الحملة على الأتراك لانتهت الحملة في العام الأول .

الحملة الخامسـة : قام «تحتمس الثـالث» بجيشه زاحفا نحو «سوريا» في حملته الخامسة ليلقى نظرة عمليـة في مكان لم يعرف اسمـه وربما كان

« وارثت » على ساحل فينقية ، فإنه يقص علينا دون مقدمات أنه استولى على المدينة ، ولا شك أنها كانت ذات شهرة عظيمة وثراء جم ، إذ استولى منها على مغانم كثيرة ، وقد كان منها سيد للإله آمون سماه أحد أتباعه ، وبعد أن استولى على تلك المدينة المجهولة أقلع بأسطوله وسار شمالاً محاذياً الشاطئ حتى وصل الى مدينة « أرواد » العظيمة فحاصرها (انظر مصور رتنو العليا) ، ولم يمض طويل زمن حتى سلمت وبسقوطها استولى المصريون على مقدار عظيم من ثروة فينقية ، واتفق أن الاستيلاء عليها كان في فصل الخريف ، وقد كانت الحدائق والحقول محملة بالفاكهة والخمر يجري كالغيث ، وحبوباً تتحدر على جوانب التلال أكثر من رمال الشاطئ ، وقد غنم رجال الجيش مغانم عظيمة بالسلب والنهب حتى أن « تحتمس » لم يكن في مقدوره في مثل هذه الأحوال أن يحفظ النظام بين رجال جيشه . والواقع أن رجال جيشه في الأيام الأولى كانوا ثملين ومعطرين بالزيوت الزكية الرائحة كأنهم يحتفلون بعيد في مصر .

وعلى إثر هذه الهزيمة جاء أمراء الساحل حاملين جزيتهم مقدمين خضوعهم ، وبذلك حصن « تحتمس » لنفسه منفذاً بل منافذ على سواحل البحر في الشمال ليربط بينه وبين مصر من جهة وبينه وبين جيوشه المرابطة في الداخل من جهة أخرى . ومن ذلك الوقت أصبحت مدن هذا الساحل قاعدة لأعماله الحربية في داخل هذه البلاد تمهيداً لخطته التي كان قد رسمها لمهاجمة ملك « قادش » . وقبل أن ننتقل الى حروبه مع ملك قادش نورد النص المصري القديم عن هذه الحملة ليقف القارئ على مقدار الأسلاب التي استولى عليها الفرعون خلالها

السنة التاسعة والعشرون : تأمل ! كان جلالته في أرض « زاهي » ليخضع البلاد الأجنبية الثائرة عليه في حملته الخامسة . تأمل ! إن جلالته استولى على « وارثت » ... رجال هذا الجيش جلالته كما قدم تاجاً للإله آمون لما رجع من مصر لأنه ، وقد كان قلب جلالته أكثر من أي شيء . وعلى إثر ذلك الجيش جلالته نحو مخازن القربان ليقدم القربان الإلهي « آمون » و « حوراختي » من ثيران وعجول وطيور لأجل فلاح وصحة « منخبر رع » (تحتمس الثالث) المعطي الحياة .

الغنائم التي استولى عليها من هذه المدينة : كانت الأسلاب التي استولى عليها رجاله من العدو صاحب مدينة « توب » : أمير المدينة ، ثلاثة وثلاثين وعشرون عربة ، ومائة درع من الفضة ومائة درع من الذهب ، هذا إلى لازورد وبرونز ، وأوان من البرونز والنحاس .

الاستيلاء على سفينتين من الصندوق أثناء عودة الفرعون إلى وطنه . تأمل ! إنه استولى على سفينتين مجهزتين بحارتهما وتحتويان على كل شيء ، من عبيد وإماء ونحاس ورصاص وأصباغ (صنفرة) » ، وكل ما طاب .

وبعد ذلك سار جلالته إلى مصر إلى والده « آمون رع » بقلب فرح

نهب أرواد :

تأمل ! إن جلالته نهب مدينة « أرواد » بما فيها من حبوب كما قطع كل أشجارها الجميلة .

خيرات بلاد زاهي :

تأمل ! إنه وجد كل منتجات بلاد زاهي فكانت حدائقها غاصة بالفاكهة ووجد نبيذها في معاصرها يسيل كالماء كما كانت حبوبها مكدسة في أجرانها أكثر من رمال الشاطئ وقد فرح جنود الجيش بأنصبتهم .

قائمة الجزية التي جلبها جلالته من هذه الحملة :

أحضر واحدا وخمسين من العبيد والإماء وثلاثين وثلاثين جوادا وعشرة أطباق من الفضة وكذلك أحضر أربعمائة وسبعين إناء من الشهد وستة آلاف وأربعمائة وثمانية وعشرين إناء من الخمر وكذلك والنحاس والرصاص واللازورد ، والفيروز الأخضر ، ونحو ستمائة وستة عشر من الماشية الكبيرة وثلاثة آلاف وستمائة وستة وثلاثين رأسا من الماشية الصغيرة ، ومقادير عظيمة أنواعها ، وخبزا نقيا ، وحبوبا مطحونة ... وكل فاكهة جميلة من هذه البلاد . تأمل ! إن جنود جلالته كانوا ثملين ومعطرين بالزيت كل يوم كأنهم في عيد في مصر

أثر الغنائم في المصريين :

والواقع أن هذه الغنائم (إذا كانت الأرقام التي تدل عليها صحيحة) تشعر بداية إدخال الترف والنعيم على قوم مصر بصورة مزعجة مما لم يسمع به من قبل في تاريخ البلاد ، ولذلك لا نندهش إذا كنا نرى أن هذا اليسار والثروة الطائلة كان الخطوة الأولى في انحلال الأخلاق وفساد العناصر الطيبة في البلاد مما أدى بعد زمن غير طويل إلى الانحطاط الخلقي والعسكري معا . وسنرى أن القوم المصري

أخذ يتمتع بالنعيم الأجنبي ويفرح به من جراء ما كان يرد على البلاد من تحيات وإتاوات لا ينقطع معينها .

الحملة السادسة في السنة الثلاثين :

وفي السنة الثلاثين قام الفرعون بحملته السادسة وكان غرضه على ما يظهر الاستيلاء على بلدة « قادش » (تل نبي مند) ، فأقلع من مصر ونزل بجيشه عند « سميرا » شمالي « أرواد » وتقدم نحو « قادش » الواقعة على الجانب الأيمن لنهر العاصي في أقصى شمال الوادي الظليل الواقع بين جبل لبنان وكانت المدينة وقتئذ محصنة من جميع الجهات ، بنهر العاصي وفرع منه ثم بقناة حفرت لتوصل بينهما ، هذا إلى وجود تحصينات أخرى خلف هذه التحصينات الطبيعية لتحمي المدينة ، ولذلك كان الاستيلاء عليها يعد من الأعمال الحربية العسيرة المنال .

حصار قادش والاستيلاء عليها :

وقد حاصرها « تحتمس » مدة طويلة انتهزت في خلالها بعض المدن الساحلية هذه الفرصة وشق أهلها عصا الطاعة على الفرعون ، ومن بينها مدينة « أرواد » التي قامت بثورة للتخلص من الجزية التي كانت تدفعها للفرعون سنويا ، ولكن على أثر سقوط « قادش » طار « تحتمس » على جناح السرعة إلى « سميرا » وأنزل جيشه في الأسطول الذي كان في انتظاره وأقلع به إلى مدينة « أرواد » وأوقع بأهلها عقابا صارما ، وقد كان هذا العصيان من جانب « أرواد » درسا عمليا « لتحتمس الثالث » ألا يسير في حملته لغزو بلاد « النهرين » قبل أن تدين لسلطانه كل بلاد الساحل . وبذلك نجده قد أمضى نصف السنة الواحدة والثلاثين من حكمه وهي حملة السابعة في القضاء على أي ثورة وكبح جماح أي عصيان في هذه الجهات .

وهاك النص المصري الذي دونه عن الحملة السادسة في السنة الثلاثين .

السنة الثلاثون : حين كان جلالته في بلاد « رتنو » في حملة الظفر السادسة .

الاستيلاء على قادش : وصل جلالته إلى مدينة «قادش» فاستولى عليها وقطع أشجار حدائقها وحصد غلاتها ثم سار إلى إقليم «شسريت» ومن ثم وصل إلى بلدة «صميرا» ثم وصل إلى بلدة «أرواده» ووصل فيها [illegible] .

جزية رتنو : قائمة الجزية التي أحضرتها [illegible] جلالته من أمراء رتنو في هذه السنة [illegible] أبناء أولاد الأمراء وإخوتهم ليحضروا إلى المعاقل المصرية [illegible] إن كل من مات من بين هؤلاء الأمراء كان جلالته ينصب ابنه مكانه .

قائمة بأولاد الأمراء الذين أحضروا هذا العام : ستة وثلاثون رجلا [illegible] وثمانون من العبيد والإماء ، ومن الخيل مائة وثمانية وثمانون ، وأربعون عربة مطعمة بالذهب والفضة المطلية بالألوان .

ويعلم من هـذا النص فضلا عن الغنـائم التي استولى عليها الفـرعون أنه كان يستولى على أبناء الأمراء ويعلمهم في مصر تنشئة مصرية ثم يضعهم مكان آبائهم بعد موتهم كما سبق شرح ذلك .

الحملة السابعة والغرض منها : وقد كان الغرض الأول من هذه الحملة هو إخضاع بلدة ساحليـة تدعى «أولازا» (ألاوزا) وتقع على الساحل بالقـرب من «سميرا» ، وقد كانت في حلف مع بلدة «تونب» ، وقد كان في مقدور الفرعون وقتئذ أن يحشد قوة كبيرة في أسطوله ويسير بها مباشرة لإخضاع هذه البلدة ، وقد تم له ما أراد إذ زحف بجيشه وأخضعها في سرعة خاطفة ، وهاك النص المصري عن هذه الحملة :

السنة الرابعة والثلاثون : جميع الأسلاب التي استولى عليها جلالته في مدينة «أولازا» (أولازا) الواقعة على ساحل «جاهي» (الونيرس) أربعمائة وتسعون أسيرا أحياء [illegible] من المدرعين حسب «تونب» [illegible] والتي كان فيها [illegible] أربعمائة [illegible] وستة وعشرون حصانا ، وثلاث عشرة عربة وكل معداتها من آلات الحرب ، وقد استولى جلالته على هذه المدينة في مدة قصيرة وكل متاعها كان غنيمة له .

الجزية من بلاد رتنو : جزية أمراء «رتنو» الذين أتوا لتقبيل الأرض من أجل [illegible] جلالته في هذه السنة [illegible] عبيدا وإماء [illegible] من الفضة من صنع هذه البلاد ، وسبيكة واحدة [illegible] من الفضة وتسع عشرة عربة مطعمة بالذهب ومعدات [illegible] من كل

الآلاف اثم ... ومائة وأربعة ثيران وعجول ومائة واثنين وسبعين بقرة فيكون المجموع مائتين وخمسة وستين ، وكذلك أربع آلاف وستمائة واثنين وعشرين من الماشية الصغيرة ، وأربعين قالبا من نحاس البلاد ، ورصاص ... واحدى وأربعين سوارا من الذهب المحلى بالصور وكذلك كل محصولها ، وكل الأخشاب ذات الرائحة العطرة في هذه البلاد .

تموين الثغور . تأمل ! ان كل ثغر وصل إليه جلالته كان يمده بالخبز الجميل وبالرغفان المتنوعة ، وبالزيت وبالبخور والنبيذ والشهد وكل الفاكهة الطيبة من هذه البلاد .. وكانت كثيرة تخطى الحصد ، وأكثر مما عرفها جيش جلالته من قبل ، وهذا ليس بكذب حقيقة دونت في اليوميات الملكية في القصر (أي للفرعون له الحياة والفلاح والصحة) ، ولأننا لم ندون في هذه النقوش بعدا عن كثرة الكلام ولأجل أن نورد مناسبتها في هذا المكان (وكذلك ما يخص محصول بلاد رتنو) فإنه لم يدون هنا لنفس السبب السالف الذكر بل دون في إدارة بيت المال .

وكذلك لم يدون محصول بلاد رتنو وهو يحتوي على كثير من الرقيق ... في سجلاته ... وريت أخضر ، وحبة وفاكهة وكل شيء حلو من البلاد ومثل الزيادة على محصول بلاد كوش .

جزية بلاد أسيوية أخرى(1) : جزية أمير ... بلاد ... في هذا العام ... وثلاثة وثلاثون قدح للشراب وكذلك جلود وكل ... من هذه البلاد وكذلك أحجار أخرى من هذه كل الأحجار الثمينة التي في هذه البلاد .

وفي هذه السنة وصلت بعثة من بلاد ... إلى مصر تحمل رجالها إلى الفرعون جزية هذه البلاد من العطور والفاكهة(2) .

وكذلك وصل إلى الفرعون من بلاد كوش وبلاد واوات الجزية السنوية التي كانت تؤديها هذه البلاد لجلالة الفرعون وهي تلك المحاصيل التي اشتهرت بها هذه الأصقاع وحالة ...

جزية بلاد كوش الخاسئة في هذا العام : ... من الذهب وعبيدا وإماء من الزنوج ... وأسرى من الذكور من السود ... ومبلغ مجموعهم عشرا - هذا إلى مائة وثلاثة عشر من الثيران والعجول ، ومائتين وثلاثين من الثيران مجموعها ثلاثمائة وثلاثة وأربعون - هذا إلى سفن محملة بالعاج والأبنوس وجلود الفهود ، ومن كل المحصولات الطيبة من هذه البلاد ، يضاف إلى ذلك حصاد الإقليم

---

(١) راجع : Urkunden, IV, P 694.

(٢) راجع Urkunden, IV, P 695.

حربية لبلاد واوات ـ جزية واوات ـ ذهبا من الذهب، وعبيدا وإماء من سود واوات، وواحدة وثلاثين بقرة، ومواشي صغيرة وعجولا ثيرانا فتكون المجموع اثنين وستين، هذا عدا سفن محملة بكل حاصلات من هذا الإقليم، وكذلك حصاد واوات » .

ويلاحظ في محصول هذه الجهات السودانية أنها كلها كانت مواد أولية وحيوانات هذا على عكس ما نشاهده من المنتجات الفنية العظيمة التي كانت ترد من بلاد آسيا مما يضع أمامنا الفرق بين البلدين المختلفين من حيث التقدم والحضارة

الحملة الثامنة وتعد أعظم غزواته : ظل تحتمس الثالث في مصر عامين بعد حملته السابعة ثم قام بحملته الثامنة في السنة الثانية والثلاثين ، وتعد أعظم غزوة قام بها في كل حروبه بعد الغزوة الأولى . إذ تم « لتحتمس الثالث » في نهايتها كل ما كانت تصبو إليه نفسه وتتطلع إليه آماله ، وهو الوصول إلى نهر الفرات وإخضاع كل البلاد المجاورة له . وقد دون لنا انتصاراته في هذه الحملة في النقوش التي على جدران معبد الكرنك وكذلك في لوحة جبل « بركال » ، وسنفصل القول أولا في هذه الحملة ثم نورد المتنين اللذين وصلا إلينا ، وكذلك نشير إلى ما جاء عن حملته هذه في حياة « أمنمحاب » الذي كان يرافقه في كل حملاته في بلاد آسيا .

ففي السنة الثالثة والثلاثين من حكمه شرع « تحتمس الثالث » في القيام بحملته الثامنة وهي التي وصل فيها إلى قمة مجده الحربي ، إذ في خضونها عبر نهر الفرات غازيا بلاد النهرين (المتني) ، وقد كانت أول حركة قام بها هي عبور أعالي « قطنة » (وهي بلدة المشرفة الحالية على مسيرة ثمانية عشر كيلو مترا شمالي شرق حمص) . ويدل الأحوال على أنه كانت قد قامت اضطرابات في بلدة « نجب » الواقعة جنوبي فلسطين ولذلك أرسل الفرعون قوة من جنوده لإخضاعهم وإخمادها بسرعة ، وقد كان « أمنمحاب » ضمن فرقة الحرس المختارة الذين ساقوا عليهم

---

(١) راجع : Gardiner. "Ancient Egyptian Onomastica", I, P. 166.

الشجعان ، وكوفئ هو بالذهب ضمن حرس الفرعون الذين ذهبوا في حملة « نجب » ضده وقد استولى فيها على ثلاثة أسرى . ولدينا من الأسباب ما يؤكد لنا أن الفرعون « تحتمس الثالث » لم يشترك في حملة « نجب » هذه بالذات لأن نقوش التواريخ التي على جدران معبد الكرنك لم تأت بذكره ، بل ذكرت أنه هو الذي بدأ الحملة في « قطنة » بسوريا ويظهر(١) أن « أمنمحاب » قد سافر شمالاً لينضم إلى سيده في سوريا في الوقت المناسب ليشترك معه في الواقعة التي دارت رحاها بالقرب من حلب مستصحباً معه الأسرى الثلاثة الذين استولى عليهم في « نجب » ليقدمهم إلى الفرعون .

وقد زحف الجيش المصري نحو الشمال واشتبك مع العدو في موقعة عند مرتفع « وعن » الواقعة غربي « حلب » حيث يحدثنا « أمنمحاب » أنه استولى على ثلاثة عشر أسيراً وعلى سبعين حماراً ، وعلى عدد من الأسلحة المصنوعة من البرنز(٢) .

كيفية الاستيلاء على قرقميش : أما الحادث الذي تلا هذه الموقعة فهو نشوب موقعة في « قرقميش » ، وقد كان الاستيلاء على هذه المدينة معناه فتح الباب لأحسن طريق ممكن لعبور نهر الفرات ، وقد تم للفرعون عبور هذا النهر بقوارب بناها على مقربة من « ببلوص » (جبيل) بأخشاب من غابات لبنان ثم نقلت بطريق البر إلى « قرقميش » على عربات تجرها ثيران . والمفروض في هذه الحالة أن هذه القوارب كانت قد حملت أجزاء منفصلة على هذه العربات ثم ركب بعضها مع بعض في « قرقميش » ، وذلك لأنه يكاد يكون من ضروب المستحيل نقل القوارب برمتها غير مفككة الأجزاء مسافة طويلة مثل هذه براً في ممرات وعرة كانت تستخدم طرقاً وقتئذ . وهذا أول استعمال لعربات النقل المصرية التي تسير على عجلات إذ كانت قبل ذلك تنقل الأشياء على زحافات مثل الأحجار

---

(١) راجع : Ibid I, P. 156.

(٢) راجع : Urkunden VI, P. 891.

وغيرها . وهذا النوع من العربات يميز عن عربة الركوب التي كان يجرها الجياد
وهي المصرية ذات العجلتين ، وهـذا التجديد في وسائل النقل مثال آخر يضاف
إلى الأمثلة الكثيرة التي تدل على عبقرية « تحتمس » في الفنون الحربية . والواقع
أن هذه العربات كانت جديدة على المصريين لدرجة أنهم أطلقوا عليها اسما جديدا
« ورروت » ومعناها « العظيمة » . يضاف إلى ذلك أن موضوع نقـل الجنود
المقاتلة في قوارب يعبرون بها النهر يعد النقل الأول في تاريخ العالم .

أما الحـرب التي حدثت بين الفريقين بعـد اقتحام المصريين نهر الفرات فلا
نعرف عنها إلا الشيء القليل المهم إلا أن الحرب انتهت كالعادة بانتصار المصريين .
ولدينا فقرة مدهشة في تاريخ تحتمس تقدم لنا بعض التفاصيل : « وقد التقى الرجل بمسافة
نهر « إتر » (مقياس طوله غير معروفة يتراوح بين كيلو مترين وعشرة كيلو مترات ونصف) في النهر ولم
يقف واحد منهم خلفهم بل فروا مثل قطيع غنم لأن الخيل كانت تعدو(؟) ... "] . ومن ذلك
يظهر أن الجيش المصري بعد أن عبر نهر الفرات سار مع مجراه منحدرا مع التيار
مسافة قصيرة ليشتبك مع العدو الذي أبى الوقوف لمنازلة الجيش المصري .

غنائم هذه الموقعة : ومما يلفت النظر أن المصريين لم يجمع لديهم في الأسر
إلا ثمانون أسيرا ، أما باقي الأسرى الذين سلموا أنفسهم فهم ثلاثة أمراء مع
أولادهم ونسائهم وعبيدهم ويبلغ عددهم جميعا ستمائة وستة وثلاثين نسمة . وقد
ولى ملك المتني الأدبار إلى بلاد أخرى وهي بلاد بعيدة ، وقد وصفت بلاده بأنها
بلاد نهرين التي تركها سيدها خوفا في حين أن « تحتمس » استولى على سهل على
الأراضي الواقعة شرقي نهر الفرات مباشرة قبل أن يعود لنصب لوحته التذكارية
على الشاطئ الأيمن من النهر بجوار لوحة « تحتمس الأول » ، والظاهر أن
« تحتمس الثالث » لم يوغل في داخل أراضي المتني إلى مسافة بعيدة ولم يصل
إلى عاصمتها « واشو شوجاني » ولو كان وصلها لما فاته قط أن يدون مثل هذا
العمل العظيم على نقوش لوحته التذكارية . ومن الجائز أن الأرض الأخرى التي

هرب إليها ملك المتنى ليست إقليا سيدا عن دولته ، وذلك أنه كما يشير الأستاذ « جاردنر »[1] كانت أرض « المتنى » عبارة عن اتحاد من البلدان وأنه يحتمل أن «نى» لم تكن إلا إقليا من هذه الدولة .

علاقة المتنى بمصر : وعلى الرغم من أن « تحتمس الثالث » أعلن بإقامة لوحته على جزء من بلاد المتنى أن هـذه البلاد كانت تعد تحت الحماية المصرية ومن رعاياها فإنه فى الواقع بقيت محافظة على سيادتها القومية ولم تمس حدودها بأى سـوء وبقيت تعتبر إحدى الدول العظمى فى ذلك الوقت . وبعـد مضى حكم فرعونين من فراعنة مصر على هـذا الحادث نجد أن « تحتمس الرابع » قـد تزوج من بنت ملك المتنى الذى كان على عرش هذه البلاد فى عهده . والواقع أنه لم يكن فى مقدور مصر أن تسيطر على الإقليم الذى على الضفـة الأخرى من نهر الفرات . ولا شـك فى أن « تحتمس الثالث » نفسه كان يعلم ذلك فى قرارة نفسه .

نتائج الحملة : ومن نتائج هـذه الحملة المظفرة أن ملك الخيتا (خيتى العظيم) أرسل للمرة الأولى سفيرا إلى الفرعون يحمل هدايا غالية[2] ، لأنه قد رأى من الخير أن يطلب ود دولة فاتحة كانت تقاب قوسين أو أدنى من حدود بلاده . ولا يبعد أن بلاد « بابل » قد حذت حذوه . أما بلاد أشـور فقد طلبت ود مصر منذ السنة الرابعة والعشرين من حكم هذا الفرعون[3] . ويحتمل أنها عادت إلى جلب مهاداتها ثانية الآن[4] .

العودة إلى مصر : ولمـا فرغ « تحتمس الثالث » مرتب الوصـول إلى مطامعه العظيمة وهى عبور « نهرين » أخذ فى العودة إلى وطنه ، غير أن رحلته

---

(١) راجع : Gardiner, Ibid. I. P. 178.

(٢) راجع : Urkunden IV, P. 701.

(٣) راجع : Urkunden, IV. P. 701.

(٤) راجع : Ibid, 701.

إلى أرض الوطن لم تكن خالية من الحوادث فقد حاول بعض أمراء سوريا عرقلة طريقه في عودته ويقص علينا « أمنمحاب » أنه حدثت معارك في « سنجار » (يحتمل أن هذه هي قلعة « سنجار » على نهر العاصي بعد بلدة « حماه »[2] الغرب من « قادش »[3]) وفي أرض « تخسى » التي لم تبعد كثيرا عن « قادش » ، ويقص علينا « أمنمحاب » أن ثلاثين مدينة قد نهبت[4] . والظاهر أن « تحتمس » بعد أن هدأت الأحوال في « تخسى » سار شمالا ثانية إذ كان على ما يظهر يشك في إخلاص الولايات الصغيرة التي تركها خلفه . غير أنه ليست لدينا وثائق تثبت وقوع حروب في هذه الجهات .

تحتمس الثالث يخرج لصيد الفيلة : ولما فرغ الفرعون من أعماله الحربية أراد أن يرفه عن نفسه ببعض الرياضة بالصيد والقنص مقتفيا في ذلك أثر جده فضرب سرادقه عند بلدة « ني » (يحتمل أنها « قلعة المضيق » الواقعة على مسافة ٤٠ ك . م . شمالي غربي حماة) لصيد الفيلة[5] . ولقد أظهر « أمنمحاب » شجاعة في هذا الطراد عندما قطع خرطوم الفيل الذي التفت نحو سيده ليقتله ، وبعد هذا الصيد استأنف « تحتمس » سيره نحو الوطن دون وقوع أي حادث آخر اللهم إلا إذا كان الهجوم الثاني على « قادش » قد حدث في هذه الغارة ، ولكن لأسباب ذكرناها من قبل يظهر أن هذا الاحتمال ليس له مبرر[6] .

عبقرية تحتمس الثالث في تنظيم هذه الحملة وأثرها في توطيد ملكه : وهكذا أتم هذا القائد أعظم غزوة خطرا وأبعدها أثرا وأعظمها شأنا ، ولم تكن

---

(١) راجع : Ibid, IV. P. 891.
(٢) راجع : Gardiner, Ibid, I, 158.
(٣) راجع : Urkunden, IV, P. 892.
(٤) راجع : Gardiner Ibid. I, 150 & 157.
(٥) راجع : Urk. IV, P. 698, Gebel Barkal, 17 Armant, 7
(٦) راجع : Urk. IV, P. 894.

حملاته المقبلة موجهة إلا لتدعيم أحوال الإمبراطورية التي كسبها بحد السيف وتوطيد الأمن فيها ، ولقد أظهر « تحتمس » ثانيا في هذه الحملة عبقريته الحربية التي كانت لا تنحصر في الوصول بنجاح بأمن إلى هدفه البعيد المرمى فحسب بل ظهرت بصورة بارزة في صناعة السفن على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ثم نقلها بطريق البر حتى مكان الموقعة على عربات نقل . وهذا في الواقع يعد عملا جبارا وبخاصة عندما يعلم الإنسان أن جيشه كان يبلغ عدة آلاف من المحاربين ، عبر الجبال والعربات التي كان لا بد من نقلها بعد تجهيزها عبر الفرات ، مضافا إلى ذلك جيش مشاته .

القائد تحتمس الثالث والقائد مونتجمري : وعندما نقرن الأشياء المعنوية بالأمور المنظمة ، نرى أن هذا العمل المبتكر الذي قام به « تحتمس الثالث » بحد السلاح والذكاء وبما فيه من وسائل مادية يذكرنا بما قام به القائد « مونتجمري » عندما عبر نهر الرين على سفن عبور حمله بها برا من الساحل بسرعة خاطفة ، ولنجد أن الأول قد ابتكر هذا الحل منذ ثلاثة آلاف وأربعمائة سنة تقريبا وعمل به الثاني في عصر الاختراع والمخترعات الفنية ، ومع ذلك فلا بد من الاعتراف بأن للفضل المتقدم .

والآن نورد المتون الخاصة بهذه الحملة من المصادر المصرية :

الحملة الثامنة عام ثلاثة وثلاثين من حكم « تحتمس الثالث » : [illegible] تأمل ! كان جلالته في بلاد رتنو ، ثم وصل إلى إقليم « قطنة » في هذه الحملة الظافرة .

عبور نهر الفرات والتغلب على الأراضي الواقعة على تلك الضفة : سار جلالته إلى بلاد « نهرين » في مقدمة جيشه شرقي هذا النهر وأقام لوحة أخرى بجوار اللوحة التي سبقها والده « عاخبر كارع » (تحتمس الأول) ملك الوجه القبلي والوجه البحري تأمل ! إن جلالته سار شمالا فاتحا على البلاد وخرب أقاليم « نهرين » [illegible] .

الحروب المظفرة على نهر الفرات : ... ... وعند ذلك العدو شمالا خائفا أمام سادة « بار » فلم يقف واحد منهم خلفه ولكنهم أرخوا سيقانهم [illegible] كأنهم قطيع حمر الوحش . تأمل ! إن خيلهم هرب .

غنائم هذه الحملة : قائمة الأسلاب التي غنمها كل الجيش : ثلاثة أمراء ، ونساؤهم وعددهن ثلاثون كما أخذ ثماني أسيرا ومن العبيد والإماء ستمائة وستة ومنهم أولادهم أما الذين ... خامسين ومنهم روجاتهن وأولادهم ... .

تنظيم مؤسساتهم . . .. ووحدة خلالهم

عودة الفرعون إلى طيبة « ى » حيث احتفاله بها ثم وصول ملاك نب مدينة « ى » في سوريا جنوبا ، وبعدما عاد بلاده حسب لوحة تذكارية في حدود ... فذلك حدود مصر .

جزية بلاد « رتنو » . قائمة الجزية التي أحضرها أمراء رتنو خمسمائة وثلاثة عشر من العبيد والإماء ، ومائتان وستون جوادا ، وخمسة وأربعون دبنا وتسع خاتم من الذهب (أى نحو أحد عشر رطلا) ، وأطباق من الذهب من صنع بلاد « زاهى » . وعربات مصفحة بالذهب وكل معدات الحربية ، وكذلك ثمانية وعشرون ثورا وعجلا صغيرا وعجولا كبيرة وخمسمائة وأربعة وعشرون ثلاثة وخمسة آلاف وثلاثة وثلاثة وعشرون من الماشية الصغيرة ، ومائة وثمانية وعشرون ألفا من البخور ... أحضرت ... ... وآلاف من كل شيء طريف من هذه البلاد ، هذا إلى مقادير عظيمة من كل أنواع الفاكهة .

(٨) إمداد الموانى — جزية لبنان — حصاد بلاد زاهى . تأمل ! كانت هذه الموانى تمد بكل شيء ما يجيء لها على حسب ما فرض سنويا على أمراء لبنان سنويا .

(٩) جزية بلد أسيوى آخر (اسمه مهشم) : جزية أمير ... مارسة مهور من ... إليه . تأمل ! إنها في مدة كل عام (؟) .

(١٠) جزية بلاد سنجار (بابل) : جزية أمير بلاد « سنجار » من ... دشات من اللازورد الحقيقي وأربعة وعشرون دبنا من اللازورد الصناعي ، ولازورد بابل ... .

(١١) جزية بلاد أشور (؟) : جزية أمير أشور ، رأس كبش من اللازورد الحقيقي ، ولازورد زنته خمس عشرة ... وكذلك أوانى ... .

(١٢) جزية بلاد « جنبتا » العظيمة : جزية بلاد « جنبتا » هذا العام أوانى ... من الصمغ ... أو مائة وواحد دبنا (أى ٧٤ و ٩٧ رطلا) ، هذا إلى ... كثير من ... أبيض ... وخشب « كاسو » .

(١٣) العودة إلى مصر : عاد جلالته إلى مصر في سلام بعد ... من بلاد ... بعد أن وسع حدود مصر .

(١٤) أسلاب غزوة إلى بلاد بنت : أحضرت إلى جلالته هذا العام غرائب ألف وستمائة وخمس وثمانون «حقت» من البخور المجفف (عنتي) (ثياب ملكي) ... دبنا من ذهب بلاد عامو (وهي بلاد مشهورة بالذهب على ساحل البحر الأحمر) ...

(١٥) جزية بلاد كوش : جزية بلاد كوش الخاسئة هذا العام وهي ١٠٠ دبنا وثلاثة من الذهب ومائة وأربعة وثلاثون من الإماء ، ومائة وأربعة عشر ثورا وعجلا ، وثلاثمائة وخمسة وعشرون ثورا مجموعها أربعمائة وتسعة عشر من الماشية ، هذا عدا سفن محملة بالعاج والأبنوس وجلود الفهود وكل شيء طيب من هذه البلاد .

(١٦) جزية بلاد واوات : جزية بلاد «واوات» هذا العام ... دبنا من الذهب ، وثمانية من العبيد والإماء ، واثنا عشر عبدا مجموعها عشرون نسمة ، هذا إلى أربعة وأربعين ثورا وعجلا ، وستين عجلا من الأبقار مجموعها مائة وأربعة وستون من الماشية ، يضاف إلى هذه سفن محملة بكل شيء طيب من هذه البلاد ومن حصاد هذا الإقليم أيضاً[1] .

أما المصدر الثاني الذي جاء فيه ذكر هذه الحملة فهو ما دون على «لوحة بركال» وقد وصف «تحتمس الثالث» هذه الحملة بما يأتي :

والآن سار جلالتي إلى شمال حدود بلاد آسيا وقد أمرت بجلب سفن كثيرة من خشب الأرز قد صنعت على تلال أرض الإله الواقعة على مقربة من «سيدة» ، ثم حملت على عربات ذات عجل تجرها الثيران ، وقد أرسلت قبل جلالتي لتستعمل في عبور ذلك النهر العظيم الذي يجري في هذه الأرض الأجنبية وهي «نهرين» .

التعليق على هذه المتن : في هذه المتون نعلم خلافا لما ذكرناه أن الفرعون قد أرسل حملة في هذه الفترة إلى بلاد «بنت» عادت محملة بحاصلات هذه البلاد المعروفة وهي البخور والذهب . هذا فضلا عن أنه منذ ما عاد إلى مصر ، كانت بلاد «كوش» ، وبلاد «واوات» قد أرسلت جزيتها السنوية المعتادة مما يدل على أنها كانت على ولائها للفرعون . ومما يلاحظ هنا أن «تحتمس الثالث» قد عد الهدايا التي قدمها له كل من ملك «بابل» وملك «خيتا» بمثابة جزية كالجزية التي كانت تدفعها البلاد الخاضعة لحكمه . وإن عد ذلك مخالفا للواقع .

(١) راجع : Urkunden, IV, P. 696 - 703.

أما قصة صيد الفيلة عند «نى» فقد جاء ذكرها فى ترجمة الجندى «أمنحاب» كما جاءت كذلك فى لوحة «بركال» وقد قصها علينا الفرعون نفسه. وذلك أنه عندما كان الفرعون يستجم فى جهة «نى» قام بنزهة للصيد والقنص وخاصة صيد الفيلة فى هـذه الجهة مما يدل على أن هذا الحيوان كان لا يزال يوجد على شاطئ نهر الفرات فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ويقص علينا «أمنحاب» حادثة مثيرة خطرة وقعت للفرعون وهى أن قطيعا من الفيلة شوهد واقفا على شاطئ النهر وقـد كان الصائد فى استطاعته أن يكون على مقربة منه دون أن يرى إذا اختبأ خلف الصخور، غير أن أكبر هذه الفيلة لمح الفرعون وهاجمه على حين غفلة، وعلى ذلك يقول «أمنحاب»: بينما كنت واقفا فى الماء بين صخرتين ضربت يد الفيـل (خرطومه) وهو حى أمام جلالته، وقد كافأنى جلالته على ذلك بالذهب، وخلع على ثلاث حلل، والظاهر أن هذه الهدية كانت بدلا من الملابس التى كانت لا بد قد مزقت خلال هجومه على الفيل.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن جندينا «أمنحاب» هـذا كان على ما يظهر مغرما بسرد القصص المرجعة النسج، إذ قص علينا كذلك مخاطرة أخرى حدثت له مع ضبع هاجمه فى الصحراء فى وقت كانت عصاه كل ما يحمله من سلاح، وعندما دون هذه القصة على جدران قبره أوعز إلى المفتش أن يمثل الضبع فى حجم جواد ضخم ذى عينين متقدتين مكشرا عن أنياب حادة كأنه يريد أن يلتهم من أمامه التهاما.

قصة صيد الفيلة كما جاءت على لوحة بركال: أما تحتمس الثالث فقد ذكر لنا قصة صيد الفيلة على لوحة «بركال»:

«والآن أقص مناقب أخرى حبانى الإله «رع» بها النصر، فقد أظهر من أجلى فيها عملا عظيما من أعمال الشجاعة عند مورد ماء فى جهة «نى» فقد حبانى أن أقتنص قطيعا من الفيلة، وحارب جلالتى سربا عدده مائة وعشرون فيلا لم يسبق إليه ملك منذ عهد الآلهة من الذين توجوا قبل التاج الأبيض، والظاهر

أن الفرعون قد نسى أن يسر « أمنحاب » مثل هذه القصة فيذكر لنا خاطره ويجعله القصة لمليكه اللهم إلا إذا كانت قصته من نفس نسيج قصة الضبع .

الحملة التاسعة في السنة الرابعة والثلاثين والغرض منها : وفي السنة الرابعة والثلاثين قام تحتمس الثالث بحملته التاسعة المظفرة إلى بلاد زاهي ، والظاهر أنه بعد عودته من إقليم الفرات لم يكن الأمر قد استتب فيه تماما حتى إلى أن « زاهي » قد شقت عصا الطاعة على الفرعون في تلك الآونة ولذا اضطر إلى القيام بحملته هذه للاستيلاء على ثلاث مدن بها وقد غنم مغانم كثيرة . وفي نفس العام نشاهد الفرعون قد وسع سلطانه في الجنوب ، إذ أسر أولاد أمير « ارم » المجاورة لبلاد كوش وأخذهم رهينة عنده لعصيان والدهم .

المتن المصري : مقدمة . ... في السنة الرابعة والثلاثين ... تأمل ! لقد سار جلالته إلى أرض « زاهي » في حملته التاسعة المظفرة وقد استولى جلالته على بلدة « نجس » وأخذ بلاد أخرى كانت في إقليمها وقد أخضعهم جلالته جميعا .

٢ — قائمة بالبلاد التي قهرت هذا العام . بلدان ، وثلاثة بلدان خضعت في إقليم « نجس » فيكون المجموع ثلاث أماكن (؟)

٣ — أسلاب الحروب : الأسرى الذين أحضرهم جلالته من هذه البلاد ... أما الرجال الذين ... أسرى عددهم ... الذين جلبوا ومعهم متاعهم وأولادهم ... ثم أربعون حصانا ، وخمس عشرة عربة مطلاة بالفضة والذهب ، وأوان ذهب وحلقات من الذهب وزنها خمسون دبنا وسبع قدات ، وأوان من الفضة من هذه البلاد . هذا إلى حلقات من الفضة وزنها مائة وثلاثة وخمسون دبنا ، ونحاس ... وأسلحة من كل أنواع الخشب المختلفة ، وثلاثمائة وعشرون ثورا ... ماشية صغيرة بيضاء وما يربو على أربعين مائة عنزة أخرى وستين حمارا ، وخشب كثير من خشب « كابو » وكراسي عدة من الخشب الأسود وخشب الخروب ، هذا إلى ... مطعمة بالذهب ومرصعة بالأحجار الثمينة ، وكذلك كل نوع حلي من خشب هذه البلاد .

٤ — جزية بلاد رتنو : جزية أمراء رتنو هذا العام (ثلاثون حصانا) من الجياد ، وعربات مصنعة بالذهب والفضة وملونة ... هذا إلى ... من العبيد الإماء ...

دبنا ومن فضة ، من الذهب ، وأوانى فضة مختلفة من صنع البلاد ربما .. دبنا ومن فضة ، وذهب
ربضة ولازورد وحجر [illegible] وأوانى من كل نوع ، وتماثيل من عاج هذه البلاد [illegible] مستخرج
من عاج البلاد) وأحد عشر تمثالا من القصدير ومائة [illegible] من الألوان [illegible] وأحصر [illegible]
وثلاثة عشر من القيان والخيول وحسانة وثلاثين [illegible] وتماثيل [illegible] كبير مرصعة
[illegible] وأوانى كثيرة من النحاس [illegible] آنية [illegible]
آنية ، وحسانة [illegible] وعربات من خشب «آجر» وكل نوع ثمين من خشب هذه البلاد .

(٥) جزية التنور : «تأمل لقد كانت كل أوانى جلالته [illegible] أحده
جلالته من بلاد زاهى ويشمل ذلك سفنا من «كفتيو» وسفنا من «جبيل» وسفن «سكتو» المصنوعة
من خشب الأرز ، محملة قمحا وصاريات وعمدا إلى أشجار عظيمة لتجارة جلالته .

(٦) جزية بلاد قبرص : جزية أمير قبرص فى هذه السنة [illegible] من النحاس
الخام وسبيكة من النحاس [illegible] وأربعين دبنا ، وكذلك [illegible] من
القصدير وعشرة ومائة دبن من اللازورد [illegible] واحد ، وقطعتان من خشب «آجر» .

(٧) جزية بلاد كوش . جزية بلاد كوش الخاسئة وهى (٣٠٠ + س) دبنا من الذهب
وستون من الأبنوس والعاج [illegible] العبيد [illegible]
[illegible] ومائة وحسنة [illegible] ومائة [illegible]
[illegible] «كوش» .

(٨) جزية واوات : خراج بلاد واوات [illegible] وأربعة وخمسون دبنا من الذهب
وعشرة من العبيد والإماء [illegible] فضلا عن [illegible]
بكل طريف من هذه البلاد ، وغلة واوات أيضا .

تعليق على هذا المتن : مما سبق يتضح أنه فضلا عن الجزية التى كانت تأتى
إلى مصر من جهات آسيا المختلفة قد أخذت قبرص كذلك ترسل جزيتها وربما كانت
ضمن البلاد الخاضعة لمصر وقتئذ . هذا ونشاهد أن «تحتمس الثالث» قد
فرض على أمراء لبنان وغيرهم أن يمدوا الموانى الفينيقية بالمؤن اللازمة لجلالته كما
فرض عليهم بناء السفن نفسها وبذلك أصبح فى مقدوره أن يتنقل فى أى ميناء
ويسير بجيشه فى داخل البلاد ويقضى على كل ثورة فى حينها . ولا نكون مبالغين
إذا قلنا إن قوة «تحتمس» الحربية ونظامها كانت الأولى من نوعها فى العالم

المعروف وقتئذ ولا أدل على ذلك من أن ملك قبرص بعث من سفن كان يخشى بأس هذا الفرعون وأصبح خاضعا لإرادته هذا إلى أن الأسطول المصرى جعل جزر الشمال تخشى بأس الفرعون وأصبح سلطانه ممتدا على شرق البحر الأبيض المتوسط حتى بحر إيجه مما جعل قائده «تحوتى» يعد الجزر التى فى وسط البحر (بحر إيجه) من الممتلكات التى تحت سلطانه إذ كان يلقب حاكم الأقطار الشمالية.

الحملة العاشرة: والظاهر أن أمراء بلاد «نهرين» الذين غاب عنهم «تحتمس الثالث» مدة عامين بعد حملته القاسية أخذوا يتألبون عليه وكونوا حلفا قويا على رأسه أمير عنه «تحتمس الثالث» بقوله «ذلك العدو الخاسئ صاحب نهرين»؛ ومن المحتمل أنه يقصد به ملك «المتنى» أو أحد الأمراء الذين كان حلفهم مع المكسوس والذين كانوا لا يزالون يأوون إلى هذه الجهات، ولكن «تحتمس الثالث» كان دائما على أهبة الاستعداد لمنازلة عدوه فى أية لحظة كانت، ويرجع الفضل فى ذلك لاستعداد أسطوله بكل المؤن والذخائر لنقل جيشه وسيره فى محاذاته أينما حل، ولذلك لما دعا داعى الحرب سار «تحتمس» فى الحال بجيشه إلى سهول بلاد نهرين فى السنة الخامسة والثلاثين على رأس حملته العاشرة المظفرة، فقابل العدو فى مكان يدعى «إرينا» ويحتمل أنه فى أسفل بلاد نهر العاصى. وانتصر عليهم جلالته وسقط الأعداء الواحد فوق الآخر أمام جلالته وبذلك تصدع صرح اتحاد بلاد نهرين وشتت شملهم جملة، واستولى على كل ما كان لهم من عدة وعتاد حتى أصبحوا عاجزين عن أى مقاومة أخرى بل ظلوا خاضعين تمام الخضوع لهذا الفرعون الجبار مدة طويلة.

نص المتن المصرى: (١) الحملة العاشرة سنة خمس وثلاثين من حكم تحتمس الثالث
السنة الخامسة والثلاثون تأمل كان جلالته فى «رامى» فى حملته العاشرة المظفرة.

---

(١) راجع: Urkunden IV, 707

(٢) الانتصار على أمراء ... [illegible] ... وتعليمهم [illegible]

ولما وصل جلالته إلى [illegible] ... [illegible] ... صاحب [illegible] ... [illegible] ... من أطراف الأرض وكانوا أكثر عددا من [illegible] ... وكانوا على استعداد ... [illegible] ... جلالته ومن ثم ... جلالته [illegible] ... [illegible] ... على هؤلاء الأجانب [illegible] ... [illegible] ... الأدبار مجدلين على الأرض [illegible] ... [illegible] جلالته

(٣) الأسلاب الحربية التي استولى عليها الفرعون

[illegible] الأسلاب التي استولى عليها [illegible] ... من هؤلاء الأجانب [illegible] ... [illegible] من [illegible] بالخشب ... من النحاس [illegible] بالخشب .

(٤) الأسلاب التي استولى عليها الجيش

... [illegible] ... جيش جلالته من هؤلاء الأجانب [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... من النحاس [illegible] بالخشب ... [illegible] ... [illegible] بلاد [illegible] .

(٥) جزية بلاد [illegible]

... [illegible] ... في هذا العام [illegible] ... [illegible] ... جوادا وعربة واحدة مطعمة بالذهب ، [illegible] ... مطعمة بالذهب والفضة ، [illegible] ... [illegible] ... [illegible] من [illegible] ... [illegible] ... ثلاثة آلاف [illegible] ... [illegible] .

(٦) [illegible] الغور [illegible] بلاد [illegible]

... [illegible] ... كل [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... كانت [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ...

(٧) جزية بلاد أسيوية أخرى

(الماقي هنا مهشم ولكن [illegible] ... على ما سبق تشير إلى [illegible] وبلاد [illegible]) [illegible] ... [illegible] ... وكل [illegible] ... من هذه البلاد

(٨) جزية كوش وبلاد واوات

... [illegible] ... [illegible] ... (الجزء هنا مهشم [illegible] ... [illegible]) .

ومما يلحظ في أسلاب هذه الحملة والجزية التي جمعها الأهلون أن الزيت والخمر وحصاد البلاد أخذ يتدفق على مصر بكثرة، كما أن الذهب كان يأتي إلى مصر في هيئة حلقات ولا بد أنه كان يستعمل في الصياغة، كما نلحظ أن الزرد والدروع والأقواس كانت تأتي إلى مصر جزية أو أسلاب حرب، والمهم من ذلك كله أن «تحتمس الثالث» لم ينس قط في أي حملة من حملاته التي ذكرناها أن يجعل المواني دائماً على استعداد تام وذلك بغرض حربية خاصة لتقويتها وإمداده إذ كانت في الواقع قوام المحافظة على جيشه أثناء إيغاله في الجهات النائية داخل آسيا، وكذلك نلحظ أن البلاد التي كانت ترسل ما فرض عليها من جزية كان لا ينقص عددها بل ظل آخذاً في الازدياد.

الحملتان الحادية عشرة والثانية عشرة: (٣٦، ٣٧ من سني حكم هذا الفرعون) لم تمدنا الآثار المكشوفة حتى الآن عن الحملة الحادية عشرة بأية معلومات قط[1]. أما الحملة الثانية عشرة فلم يبق لنا منها إلا بعض أجزاء تحدثنا عن الجزية التي كانت تدفع لمصر سنوياً، وقد ضاع الجزء الأول وبخاصة اسم الحملة والسنة التي سارت فيها وكذلك جزية «رتنو» وتموين المواني الساحلية وخراج «لبنان» وحصاد بلاد «زاهي»، ثم يذكر لنا متن مهشم جزية بلاد لم تسم باسمها ولم يبق فيها إلا بعض كلمات وهي: ... شاكر من الفضة، وكل ... وجواهر ... وخشب الأمراء.

جزية بلاد كوش الخاسئة ... دبنا من الذهب ... [illegible] ... عبيد ... من ... الثيران والعجول ومن ثيران ... هذا بجانب السفن المحملة بالأبنوس والعاج وكل الأشياء الطيبة من هذه الأرض، هذا إلى ذلك حصاد ... من البر».

جزية واوات ... دبنا من الذهب ... ورأسه وثلاثون من العبيد والإماء ... من الثيران الكبيرة والعجول ... هذا عدا السفن المحملة بكل شيء وحصاد «واوات» أيضاً».

(١) راجع Urkunden IV, P. 714.

الحملة الثالثة عشرة — السنة الثامنة والثلاثون : والظاهر أن تحتمس الثالث سار بجيشه إلى جهة « نوجس » من أعمال سوريا ، إذ على ما يظهر قد قامت ثورة بجوارها ، وهـذه الجهة هي إحدى المـدن الثلاث الواقعـة جنوبي « لبنان » وتلي أعلى كهنة « أمون » خراجها وقد أخمدت نار الفتنة بسهولة واستولى جيش الفرعون على حصين آسيا وكذلك استولى على أسلاب كثيرة كما سنرى في المتن .

المتن المصري . « السنة الثامنة والثلاثون . تأمل : سار جلالته إلى بلاد «نوجس» في حملته الثالثة عشرة المظفرة ، ... قد أخضع جلالته جهة ... هذا إلى البلاد التي في إقليم نجس »

أسلاب الجيش من هـذا الإقليم : « قائمـة الغنائم التي أحضرها جيش جلالته من «نجس» : خمسون أسيرا ... وعجلات ... وعربات مطعمة بالذهب والفضة ومجهزة بأسلحة . هذا إلى الذين استسلموا في إقليم « نجس » مع زوجاتهم وأولادهم » .

جزية بلاد رتنو : « قائمة الجزية التي أحضرت لجلالته في هـذه السنة ٣٢٨ جوادا ، و[illegible] وثلاثة وعشرون عبدا وقينة ، وتسع عربات مصفحة بالذهب والفضة و ٦١ عربة ملونة [illegible] المجموع ٧٠ عربة ، [illegible] من اللازورد الحقيقي ... والأواني « إكا » ذات مقبضين ، وثلاثة أطباق مرصعة [illegible] ورأس أسد ، كلها من صناعة « زاهي » ... وألف [illegible] وعشرون دبنا [illegible] (؟) ، و[illegible] من النحاس ، [illegible] وعشرون [illegible] من القصدير ، و[illegible] من « الكتان » ، وألف [illegible] آنية من الزيت الحلو ، والزيت الأخضر ، وزيت « سفت » ، ومائة [illegible] وجرة تيسية ، وأربعة عشر ثورا ... وألف [illegible] من الماشية الصغيرة [illegible] (؟) ... أشجار « سنو » [illegible] ثمانية وستون [illegible] وأربعون [illegible] دروع [illegible] والأقواس ، وكل الأسلحة الحربية وخشب [illegible] من هذه البلاد » .

تموين الثغور — جزية لبنان = حصاد بلاد زاهي : «وكانت موانئ الثغور تمون بكل شيء طبقا على حسب ما تعهدت به سنويا في خلال سياحة السفن شمالا وجنوبا ، وكذلك آثاره «لبنان» حصاد بلاد « زاهي » ، من غلال وزيت أخضر ، وبخور ، ونبيذ ، وعسل » .

جزية قبرص : « الجزية التي جلبها أمير قبرص ... قالب نحاس من بلاده ... وجواد واحد » .

جزية إقليم « أرنخ »(١) (الالاخ) : « جزية أمير « أرنخ » خمسة عبيد وجاريه ، وقطعتان من نحاس بلاده وخشب وستون شجرة خروب ، هذا إلى كل أنواع الخشب الطيبة من بلاده » .

غنائم حملة بلاد بنت : « الطرائف التي أحضرتها قوة جلالتي من بلاد « بنت » مائتان وأربعون « حقت » من البخور الجيف » .

جزية بلاد كوش الخاسئة : « ١٠٠ + س دبنا وستة قدات من الذهب ، وستة وثلاثون عبداً وأمة من الزنوج ، ومائتان وإحدى عشرة من الثيران والعجول ، ومائتان وخمسه وثلاثون ... محملة ... من الأبنوس والعجول ، هذا إلى سفن محملة بالعاج والأبنوس ، وكل المحاصيل الجيدة من هذه البلاد ، وكذلك حصاد هذه البلاد » .

جزية بلاد واوات : « الذهب ثلاثمائة وثلاثة وأربعون دبنا من الذهب ، وست عشرة أمة وعبداً من الزنوج ، وسبعة وسبعون رأساً من الثيران والعجول ، هذا إلى سفن محملة بكل المحصولات الجيدة لهذه البلاد » .

ومما هو جدير بالذكر في هذه الحملة جزية بلاد جديدة لم تذكر من قبل وهي « ارنخ » (الالاخ) وهي إقليم في بلاد آشـــور ، غير أن أميرها على ما يظهر كان فقير الحـــال كما تدل ضآلة الهـــدية التي قدمها إلى الفرعون ، وكذلك نشاهـــد أن الفرعون لم يغفل عن علاقاته مع البلاد المجاورة له ، فأرسل حملة إلى « بلاد بنت » عادت إلى مصر محملة سفنها بطرائفها المعتادة وهي البخور (عنتي) .

على أن أهم شيء يلفت النظر هو ما نشاهـــده من زيادة الضرائب التي كانت تجبي الموانى التي اتخذها قاعدة حربية للمحافظة على أملاكه الأسيوية ، فكانت هذه الثغور محطا لتموين السفن الداخلة إليها والخارجة منها ، ولذلك كان ما يجبي لها يؤخذ من بلاد « لبنان » وبلاد « زاهي » مما تنتجه من حبوب وورث وكندر وشهد . وكذلك يلاحظ أن ما يجبي من بلاد النوبة وبلاد « كوش » وبلاد « واوات » من الذهب والمــاشية أصبح مقداره عظيما جدا كما تدل على ذلك الأرقام التي

(١) أو ارنخ (= الالاخ) في شمال سوريا كما يقول « جاردنر » (راجع Gardiner "Onomastica", Vol. II. P. 273) .

جاءت فى القوائم ، ويحتمل أن هــذا الذهب كان يستخرج من « وادى علاقى » الشهير منذ القدم .

الحملة الرابعة عشرة فى السنة التاسعة والثلاثين والغرض منها : يظهر أن أول غرض الفرعون من هــذه الحملة كان تأديب البدو الذين يقطنون الشمال الشرقى من الأقاليم الواقعة على الحدود المصرية ، وذلك لأنهم كانوا دائما فى حاجة إلى تذكيرهم بوجود يد قوية تكبح جماحهم ، وتحد من غربهم حينا يثور ثائرهم ، وتطيش أحلامهــم ، غير أن « تحتمس » بعظمته قــد من على حادث إخضاعهم من الكرام ولم يدون لنا كاتب يومياته أى تفصيل . وبعد أن ذكر لنا غرض أن حملاته كان فى بلاد « رتنو » ، بعد أن ذهب لإخضاع البدو الشاسيين (شاسو) أخذ يعدد لنا ما تدفق على البلاد المصرية من خراج البلاد التى كانت تدين بطاعته ، كما سنوردها هنا .

المتن المصرى : « السنة التاسعة والثلاثون : لقد كان جلالته فى بلاد رتنو فى حملته الرابعة عشرة المظفرة بعد أن ذهب لإخضاع البدو الشاسيين .

جزية بلاد رتنو : [illegible] جزية أمراء « رتنو » فى هذا العام : مائة وسبعة وتسعون من العبيد والإماء ، ومائتان وتسعة وتسعون من الجياد ، [illegible] من الذهب ، [illegible] أيضا [illegible] اثنا عشر [illegible] . [illegible] من اللازورد الحقيقى ، [illegible] من الفضة وكذلك [illegible] من الفضة [illegible] ، [illegible] ، وثلاثة [illegible] ، وكذلك [illegible] من الفضة [illegible] ([illegible] ٢٢ [illegible]) [illegible] عدة [illegible] الذهب والفضة ... [illegible] ، وكل الأحجار [illegible] المختلفة من هــذه البلاد [illegible] ، [illegible] . [illegible] ، [illegible] ، [illegible] ، وكل أنواع [illegible] من هذه البلاد ، هــذا عدا كل المحاصيل الجيدة التى تنتجها هذه البلاد » .

تموين الثغور : جزية بلاد لبنان — محصول بلاد « زاهى » . كانت كل الثغور [illegible] بكل طريقة كما كان معروفا لها من الجزية لأجل [illegible] شمالا [illegible] إلى الجنوب ، وكذلك [illegible] بلاد « لبنان » ومحصول بلاد « زاهى » ، [illegible] ، [illegible] ، [illegible] ، [illegible] »

جزية بلاد أسيوية أخرى : (الكل مهشم) .

جزية قبرص . « جزية أمير قبرص (بلبي) ــــ ساحلي ، وأربعون قالبا من النحاس وقالب من ... القصدير ... » .

جزية بلاد أجنبية أخرى : جزية أمير ... ... (الكل مهشم) .

جزية بلاد كوش . « جزية بلاد كوش الخاسئة في هذا العام : ٤٤٤ دبنا وثلاث قدات من الذهب ، ومائة وواحد من العبيد والإماء الزنوج ، وأبقار وعجول ، وثيران ... العبيد ... ، هذا عدا سفن محملة بكل شيء طيب من هذه البلاد ، ومحصول بلاد « كوش » الخاسئة أيضا » .

جزية بلاد واوات : « جزية بلاد واوات » هذا العام ... دبنا من الذهب و ... من العبيد والإماء ... وثيران وعجول عددها خمسة وثلاثون ، وأربعة وخمسون عجلا ، مجموعها الكلي خمسة وثمانون من الماشية ، هذا عدا سفن محملة بكل طيب من هذه البلاد ومحاصيلها أيضا » .

ومما يلفت النظر في قوائم هذه الجزية التي دونت في هذا العام أنه لم يذكر بينها بلاد « نهرين » وبلاد أشور وغيرها من البلاد التي تقع على مقربة من نهر الفرات ربما تكونان قد ذكرتا في المتنين المهشمين .

الحملة الخامسة عشرة ــ السنة الأربعون . الظاهر أن «تحتمس الثالث» لم يقم بحروب في هــذه الحملة ، وكل ما ذكره لنا المؤرخ المصرى عن الجــزية التي جبيت من الأراضي التي كانت تحت ســلطان الفرعون ، إذا كان ما ذكره الأستاذ « زيته » حقا . والواقع أنه لم يبق من بداية النقش ما نستنير به (١) .

ويخيل لنا أن الفرعون لم يقم بأي غزو في السنتين الأربعين والحادية والأربعين بل كانت تأتي الجزية إليه دون قيامه بأية حروب ، مما يدل دليلا على استتباب الأمن ؛ وقد أورد لنا الأستاذ « زيته » تحت حوادث السنة الأربعين ما يأتي .

« [السنة الأربعون] تأمل ! جيء بجلالته إلى ... في حد القوة » .

قائمة جزية أمير « آشور » وأمرائه « رتنو » في هذا العام : (راجع حوادث السنة الرابعة والعشرين) (Urk. IV. P. 726.)

---

(١) راجع Urkunden IV, P. 726.

وهاك قائمة الجزية التي أرسلت إلى مصر من البلاد الخاضعة في السنة الحادية والأربعين .

قائمة جزية بلاد «رتنو» : « قائمة جزية أمراء رتنو التي أحضرت ... جلالته في السنة الحادية والأربعين : أربعون قالباً من [illegible] ، وخشب الزين [illegible] ، [illegible] (بعضه) [illegible] مرصعة بالخشب ... من هذه البلاد وثماني عشرة منها من [illegible] ، و ٢٤١ [illegible] ، و ١٨٤ ثوراً ، و [illegible] ماشية صغيرة ... » .

تموين القلاع — محصول «زاهي» : تأمل ! كانت القلاع تموّن بكل شيء طيب كالمعتاد في كل سنة ، هذا إلى محصول «زاهي» كذلك من [illegible] وكذلك » .

الجزية من بلاد «خيتا» العظيمة : «جزية أمير «خيتا» في هذا العام [illegible] ، فضة ... » .

جزية بلاد كوش الخاسئة هذا العام : « ٩٤ دبنا وثلاثة دبنات من الذهب ، ومن العبيد والإماء [illegible] ، هذا إلى ثلاثة عشر عبداً [illegible] ليكونوا خدماً ، ومجموعهم واحد وعشرون ... ثيران وعجول ... مجموعها ... هذا إلى سفن محملة بالعاج والأبنوس وكل شيء طيب من هذه البلاد ، وكذلك محصول بلاد «كوش» الخاسئة » .

جزية بلاد «واوات» : « ثلاثة آلاف ومائة وأربعة وأربعون وثلاث دبنات من الذهب ... وعجولاً ... ومجموعها مائة وأربعة عشر ، هذا إلى سفن محملة ... وخشب الأبنوس وكل شيء طيب ، وكذلك حصاد بلاد «واوات» » .

وأهم ما يسترعي النظر في هذه الجزية مقدار الذهب الذي كان ينهال على مصر من هذه الأصقاع وبخاصة من بلاد «واوات» ، هذا إلى استمرار إرسال العبيد والإماء من بلاد «كوش» ، وكذلك العاج والأبنوس . والواقع أنها لا تزال المواد الرئيسية في التجارة بين مصر والسودان اللهم إلا الرقيق وقد ظل الاتجار فيه حتى زمن قريب .

الحملة السادسة عشرة والأخيرة عام ٤٢ والغرض منها : تدل كل الأحوال على أن ملك «قادش» كان لا يزال مصراً على عصيانه وتمسكه بحريته واستقلاله ، فلم يعترف يوماً ما بالسيادة المصرية على بلاده ، ولذلك كان دائماً يتحين الفرص ليثير الأمراء المجاورين له ، ويحرضهم على العصيان ، والقيام بعد ذلك بثورة للخلاص من عبء النير المصري ، وقد أفلح فعلاً في اجتذاب ملك «متني» و إقليم

«توب» إلى جانبه ، فأعلنوا العصيان على مصر . ولما علم «تحتمس» بهذا الحلف ، سار بأسطوله إلى شواطئ فينيقيا ، ونزل في ميناء «سميرا» وهاجم ميناء «عرقاتا» فاستولى عليها عنوة، ومن ثم زحف مباشرة على «توب» (بحث ؟) في منطقة بين قادش ونهر العاصي، ونذكر هنا أن أميرا من أمراء هذه البلدة كان قد دافع عن بلده «وارثت» في خلال الحملة الخامسة التي قام بها هذا الفرعون ، على أن النقوش لم تقدم لنا أية تفاصيل عن الاستيلاء على «توب» ، وعلى أية حال فإنه بعد سقوطها بدأ الفرعون حصار قادش ، وتفاصيل حصار هذه البلدة قد يكون مجهولا لنا لولا ما قصه علينا «أمنمحاب» . والظاهر أن الفرعون لم يهاجم المدينة إلا بعد فصل جني المحصاد، ولم يجد كبير عناء في الاستيلاء عليها، وذلك أن المذكور يقص علينا «أمنمحاب» تماديا لمحاصرة المدينة اشتبك في موقعة مع الفرعون خارجها، وفي هذه الموقعة لجأ ملك «قادش» إلى حيلة ساذجة ظنا منه أنه ربما يستطيع بها تشتيت شمل الجيش المصري والتغلب عليه، فذلك أنه أطلق العنان لفرس أمام جياد عربة الفرعون ظنا منه أنها تهيج الجياد وتجعلها غير صالحة للقتال ، وبذلك ينتشر الذعر والارتباك في صفوف الجيش المصري ، ولكن «أمنمحاب» لما رأى ذلك عطل الحيلة التي دبرها العدو وقفز من عربته في الحال والسيف في يده وانطلق خلف الفرس وشق بطنها وقطع ذيلها وحمله للفرعون . فلما رأى الأعداء أن حيلتهم قد افتضح أمرها لاذوا بالفرار إلى داخل المدينة واحتموا وراء جدرانها ، وقد أمر الفرعون بعمل ثغرة في سورها وهنا نجد أن «أمنمحاب» يظهر شجاعته ثانية ويفتخر بأنه هو الذي اخترق جدران هذه المدينة الحصينة وقد سقطت بعد أن أسر أمراؤه ونبلاؤه الذين اشتركوا مع ملك «قادش» في هذه الحروب ولذلك لم ير الفرعون ضرورة السير شمالا ، ولا غرابة إذا عرفنا هنا أن سقوط «قادش» قد محق آخر قوة للهكسوس الذين أحاقوا بالبلاد المصرية أكبر مصيبة . وبذلك اختفت ذكراهم جملة ، وكانت لا تزال عالقة بالأذهان في البلاد المصرية . وقد برهنت الكشوف الحديثة على أن ما رواه كتاب

اليونان في هذا الصدد صحيح (؟) وهو أن «تحتمس الثالث» هو الفرعون الذي قضى على قوة الهكسوس الذين التجأوا إلى آسيا بعد أن طردهم أسلافه من مصر وقضى عليهم قضاء مبرما (؟) . كما تحدثنا عن ذلك من قبل .

المتن المصري : «السنة الثانية والأربعون ... تأمل ! كان جلالته في بلاد «زاهي» في حملته السادسة عشرة المظفرة ليسحق الثورة التي كانت في أراضي «فنخو» . تأمل ! كان جلالته على طريق الساحل لاستعادة مدينة «عرقت» ، وكذلك البلاد الواقعة في إقليمها ... ثم وصل حتى ... (اسم بلد مهشم) فأخضع هذه المدينة وإقليمها» .

التغلب على تونب (حلب ؟) : «ثم وصل إلى تونب ، وقهر المدينة وحصد غلاتها ، واجتث أشجارها» .

الغنائم من هذه المدينة : «... تأمل ! الأسرى الذين أحضروا (من هذه المدينة) إلى جلالته وما أحضره الجيش إليه» .

العودة إلى قادش والتغلب على ثلاث مدن في إقليمها : «تأمل ! إنه عاد في سلام ووصل إلى الإقليم «قادش» واستولى على ثلاث مدن فيه» .

قائمة الغنائم التي استولى عليها منها .

ممتلكات أمراء «نهرين» التي استولى عليها الفرعون من ثلاثة المدن . «تأمل ! إنه أحضر جلالته من أتباع «نهرين» المحاربين (؟) ... ورجال ... وواحد وتسعون أسيرا ، وسبع وعشرون بقرة ، وستة وأربعون جوادا ... » .

جزية بلاد رتنو . «جزية أمراء بلاد رتنو في هذا العام ... عبدا وجارية ، و... جوادا ، وثلاثة أطباق من الذهب ، وأطباق من الفضة وأوانٍ من النحاس اللازم ، ... حلقات من الفضة ، ... ثيرانا من القصدير ، ... دبنا من القصدير ، وأوانٍ ، وخشب جوز ، وكل الأحجار الجيدة من هذه البلاد ، ودروع من النحاس مرصعة بالخشب ، وآلات حرب ... وكل ما كان ... من هذه البلاد» .

تموين التمور ومحصول زاهي : «وكانت كل التمور مزودة بكل شيء طيب ، كما هو المتبع في حساب كل سنة ، وكذلك محصول هذه البلاد أيضا» .

جزية بلاد آسيوية أخرى : (يحتمل أنها قبرص أو الخيتا) : «جزية ... التي أحضرها أميرها ... في هذه السنة ... فضة ... وكذلك أطباق ... ١٤٢ ... وثلاثة وثلاثون قدحا من اللازورد الحقيقي وعصا جميلة من خشب «كايو» ... عاجل سنويا (من حاكم هذه الجهة) ...

جزية أمير «تي» : «الجزية التي أحضرها أمير «تي» : آنية من الفضة من صنع «كفتيو» (؟ - ؟) ، وكذلك أوان من حديد ، وأربع أيد من الفضة ربما صنعت وجعلت [illegible] [illegible]» .

جزية بلاد «كوش» : «جزية بلاد كوش الخاسئة في هذه السنة : ... من الذهب ... عبيد وإماء من الزنوج وثيران وعجول ... وثيران ذكور ... هذا إلى سفن محملة بكل شيء طريف من هذه البلاد ، وكذلك محصول بلاد كوش الخاسئة» .

جزية «واوات» : «جزية واوات في هذه السنة ٣٤٤٤ دبنا من الذهب وكذلك واحد وعبيد وإماء من الزنوج ... وثيران وعجول ... وثيران ذكور ... هذا إلى سفن محملة بالعاج والأبنوس ، وكل شيء طريف من هذه البلاد ، وكذلك محصول بلاد «واوات»» .

وأهم ما يرى في جزية هذه السنة ، جزية أمير «تيناي» ، وقد ورد فيها لأول مرة ذكر الحديد ، وكذلك الفضة من صنع «كفتيو» ، وقد اختلف المؤرخون في موضع هذا الإقليم المسمى «كفتيو» وقد كتب أخيرا «وين رايت» مقالا عنه وقال إنه يقع في آسيا الصغرى على ساحل البحر الأبيض المتوسط (J. E. A. Vol. XVII, P. 26.) غير أن هذا الرأي واه من أساسه كما سنذكر ذلك بعد .

وبعد أن انتهى «تحتمس الثالث» أو كاتبه عبارة أخرى من تدوين حملاته على جدران معبد الكرنك ختمها بالعبارة التالية : تأمل ! لقد أمر جلالته بتدوين الانتصارات التي أحرزها منذ عام ٢٣ من حكمه حتى العام الثاني والأربعين منه ، وهو نفس العام الذي دونت فيه هذه النقوش على هذا المحراب لأجل أن يمنح الحياة عائدا .

حروب تحتمس الثالث ونتائجها : هذه هي الحروب التي أمر «تحتمس الثالث» بتدوينها على جدران معبد الكرنك وهي الحروب الخاصة بتوسعه في آسيا وحدها كما يرى القارئ ولا نعلم أنه توجه إلى آسيا ثانية بعد هذا العام . هذا ولا نعرف له حروبا أخرى قام بها إلا حملة واحدة إلى بلاد السودان في آخر أيام حياته كما سيأتي .

والظاهر أن الحملات التي قام بها «تحتمس الثالث» على بلاد آسيا مرة بعد أخرى والقضاء على كل مقاومة وعصيان، قد أعطت أمراء «سوريا» و بلاد «النهرين» درساً عملياً في نهاية الأمر بأنه لا طائل من العصيان وبث الثورة على هذا الفرعون الجبار، إذ قد علموا أنه مهما كانت سرعتهم في جمع شملهم وتحالفهم على «تحتمس» فإنه كان أسرع منهم، وأن أية مساعدة كانوا ينالونها من أولئك الأقوام الذين حقدوا على مصر، وأضمروا لها العداء لا تجدي، فإن تحتمس كان أعظم منهم خطراً وأشد بأساً، وأن أبعد هذه الولايات عن مقر حكمه كانت كأنها بينه ويمكنه أن ينقض عليها في سرعة خاطفة بما اتخذه من استعداد، وما أوتيه من يقظة وانتباه، فقد جعل البحر طريقاً خاصاً له يركبه وينقض على عدوه من خلفه في حين أنه كان يرقب هجومه من الأمام، وكذلك علم هؤلاء الأقوام أن «تحتمس الثالث» ذلك الجندي السريع الحركة القوي البطش لم يكن وحشاً كاسراً يحب لسفك الدماء في ساحة الوغى، بل كان إنساناً رحيماً رقيق الطبع لم يرق في عينه — حتى في أشد المواقف — ذبح آلاف أعدائه إذا كان في استطاعته الخروج من هذه المآزق بأية وسيلة.

وقد كان من نتائج كل ذلك أن أمضى «تحتمس» المدة الباقية من حياته دون أن يرى أي ثورة في الأقاليم الأسيوية التي فتحها، ولم يكن أخلافه من بعده في حاجة إلى إشعال حروب مستمرة في تلك البقاع كالتي خاض غمارها «تحتمس الثالث»، بل كانت حروبهم لا تتعدى حملة أو حملتين إذا ما دعا الأمر لتذكير أولئك الأقوام بقوة مصر الحربية وعظمتها. وقد بقي هذا الولاء، واستمر هذا الرعب من قوة مصر مدة طويلة إذ قد عرف الولاة من حروبهم مع «تحتمس» أن مصر عدوة يخشى بأسها، وأن «تحتمس» في الوقت نفسه كان صديقاً يعتمد عليه حتى أن أولئك الأقوام المغلوبين في آسيا قد وعوا أنهم سيجدون عنده الصفات وفي أخلافه ما جعلهم يطلبون يد المساعدة منه فيما بعد عندما تحرجت الأحوال

في بلادهم وأصبحت الممالك المجاورة الغنية القوية على ولاياتهم فكانوا يذكرون أيام سيادة «تحتمس» وقوة سلطانه ووفائه، وبعد انقضاء أربعة أجيال على وفاته لم يكن في مقدور أخلافه أن يحموا الأمراء التابعين لهم في بلاد سوريا من عسف الحث ولذلك ذكر أولئك الأمراء أيام عاهل مصر الأكبر «تحتمس الثالث» وما كان عليه من قوة وسلطان فكتبوا إلى ملك مصر إذ ذاك قائلين: من ذا الذي كان ينتصر على «تونب» دون أن ينتقم له «منخبريا» (لقب تحتمس الثالث باللغة الآشورية).

ولا نزاع في أن الرجل الذي استطاع أن يترك في نفوس القوم الذين فتح بلادهم منذ أربعة أجيال مثل هذا الأثر بقوته وبأمانته الساهرة في المحافظة على وعده لهم وحمايتهم لا بد أن يكون أعظم بكثير من رجل حرب وحسب كما يصفه أحيانا بعض من لم يدرس حياته درسا دقيقا، بل الواقع أن «تحتمس الثالث» كانت له كل صفات الرجولة الكاملة.

منشآت تحتمس الثالث الدينية

لم يمنع «تحتمس الثالث» أيام قيامه بالحروب الطاحنة التي شنها على أمراء آسيا من إقامة المباني الضخمة للآلهة الذين منحوه النصر على أعدائه، بل على العكس كان يعتبر إقامة المباني لهم من أعظم الواجبات وأقدسها، وقد ذكرنا بعضا منها، وبخاصة ما أقامه في معبد الكرنك للإله آمون والإله «بتاح». وقد كان أكبر عون له على إقامة المباني الدينية ما كانت تفيض به البلاد مما كان يتدفق عليها من الذهب والفضة والمواد الأولية الأخرى، وبخاصة الأخشاب النادرة التي كانت تجلب إليها من آسيا وبلاد «الكوش»، هذا فضلا عما كان يجلب إليها من أوان من صنع تلك الجهات.

مسلات تحتمس الثالث: وقد كانت إقامة المسلات الضخمة في عصر هذه الأسرة أهم ما يلفت النظر. حقا إنها لم تكن بدعة جديدة بل كانت قد أقيمت

في عهد ملوك الأسرة الثانية عشرة وحتى في عهد الدولة القديمة . غير أن نحت المسلات الصخمة كان قد بطل استعماله، وربما كان سبب ذلك ما صارت إليه حالة البلاد من فقر وما انتابها من اضطرابات داخلية ، وظلت الحال كذلك حتى جاءت الأسرة الثامنة عشرة فأحيا ملوكها تلك العادة ، فقطع « تحتمس الأول » مسلتين نصبتين أيضاً في « معبد الكرنك » ، ثم جاءت بعده الملكة « حتشبسوت » وأقامت أربع مسلات كما فصلنا القول في ذلك آنفاً . غير أن « تحتمس الثالث » قد ضرب الرقم القياسي في هذا المضمار فأقام مالا يقل عن سبع مسلات .

العيد الثلاثيني الأول : وقد كان المعتاد أن تقام هذه المسلات احتفالا بعيد « سد » وهو العيد الثلاثيني أي في العام الثلاثين من إعلان ولي العهد ملكا على البلاد وقد احتفل « تحتمس الثالث » بعيده الثلاثيني ثلاث مرات، ولا بد أن أول هذه الأعياد كان في السنة الثلاثين من تنصيبه ملكا وذلك لأن إعلانه وارثا على العرش قد وقع في نفس السنة التي تولى فيها عرش البلاد .

وعلم من نقوش مهندس البناء « بوام رع » الذي كان يعيش في عهد « حتشبسوت » أنه قد كلف بقطع مسلتين من محاجر « أسوان » لعيد « تحتمس » الثلاثيني الأول ، وقد ترك لنا « بوام رع » نقوشا في مقبرته ومنظرا نشاهده فيه وهو يسلم تمادير من ستة من المشرفين على الأعمال ، ونرى خلفهم مسلتان ، وقد كتب فوق صورته ما يأتي : « تسلم الآثار الفخمة العظيمة التي أقامها ملك الوجه القبلي والوجه البحري « منخبر رع » لوالده « آمون » في الكرنك من الذهب والفضة وكل حجر ثمين غال بوساطة الأمير الوراثي والنائب كرواته الإله « بوام رع » [1] .

أما النقوش التي على المسلتين فهي : « إن « تحتمس الثالث » قد أقامهما أثرا لوالده « آمون » بعيد الثلاثين ... » ويحتمل أن المسلتين اللتين تحدث عنهما « بوام رع » هما اللتان كانتا منصوبتين أمام (البوابة) السابعة في الجهة الجنوبية من الكرنك .

---

(١) راجع Breasted, A. R. II. § 624.

ومن القطعة الباقية من المسلة الشرقية أمكن « انجلباخ » مهندس البناء أن يستخلص أن طولها يتراوح بين ٩٥ — ١٠٠ قدم أى أن المسلتين كانتا أطول من مسلتى « حتشبسوت » اللتين كان يبلغ طول الواحدة منهما ٩٧,٥ قدما ويحتمل أنهما كانتا تماثلان مسلة « اللاتران » القائمة الآن فى روما ويبلغ ارتفاعها ١٠٥,٦ أقدام وتعد أطول مسلة موجودة الآن ، وقد كشف حديثا عن بقايا المسلة الغربية كما كشف عن أساسها . وفى عيد « تحتمس الثالث » الثلاثينى الثانى ، كلف مهندسا ثانيا أن يقطع مسلتين لإقامتهما احتفالا بهذا العيد ، ويحتمل أن « منمحرع سنب » السالف الذكر هو الذى قام بهذه المهمة ، ويوجد بجانب خرائب معبد الكرنك منظر يشاهد فيه « تحتمس الثالث » يقدم سلات للإله آمون وعدة هدايا ومن بينها مسلتان يحتمل أنهما هما اللتان كلف « منمحرع سنب » بقطعهما وإعدادهما .

ونجد على واحدة منهما النقش التالى : « لقد أقامه أثرا لوالده « آمون » رب طيبة ، فنصب له مسلتين عظيمتين شامختين من الجرانيت فيهما من الشام عند (بوابة) المعبد المزدوجة ويشير « منمحرع سنب » : إن عمله فى إقامة هاتين المسلتين يا إلهى ، كنت أمثل عند ما كان جلالته يقيم سلات وأعلاما لوالده « آمون » ، وإنه امتطى السرير على جلالته عند ما كنت أتمم أعماله »[1].

مسلة القسطنطينية : ومن المحتمل أن واحدة من هاتين المسلتين أو جزءا من واحدة منهما هو القائم الآن فى القسطنطينية ، وهى التى نقلها الامبراطور « تيودوسيس » . والواقع أن الموجود فى القسطنطينية الآن هو الجزء الأعلى من مسلة كانت فى الأصل أطول بكثير من أية مسلة موجودة الآن ، غير أنه لا يمكن الجزم بأنها إحدى هاتين المسلتين اللتين كلف بإقامتهما « منمحرع سنب » أولا ، والنقوش التى على هذه المسلة من الأهمية بمكان ، إذ يمكننا أن نحدد بها على وجه عام تاريخ إقامتها فلنستمع إليها :

« رب النصر وحاكم كل البلاد ، والذى جعل حدوده تصل إلى قرون الأرض ومياه نهرين ، عبره مظفرا على رأس جيشه »

---

(١) راجع Urkunden IV, P. 933.

ولما كان « تحتمس » قد عبر نهر الفرات بعد عيده الثلاثيني الأول ، فلا بد أن هاتين المسلتين قد أقيمتا بعد هذا التاريخ أي بعد الحملة الثامنة ، ومن ثم نعلم أن المسلتين قد أقيمتا في عيده الثلاثيني الثاني ، والنقوش التي على مسلة «القسطنطينية» هي :

على الواجهة الجنوبية : « ... تحتمس الثالث قد أقامها أثرا لوالده « آمون رع » رب [illegible] ، أقام له مسلة عظيمة من الجرانيت الأحمر قمتها من السام ليته يعطى الحياة مثل « رع » مخلداً » .

الواجهة الشمالية : « ... تحتمس الثالث الذي رآه « آمون » بمثابة طفل بين ذراعي الإلهة « موت » الأم المقدسة ليكون ملكا ، وهو الذي استولى على كل الأراضي طول الزمن ... رب الأعياد » .

الواجهة الشرقية : « ... تحتمس رب القطرين ... كل الأراضي ، والذي جعل حدوده تمتد إلى كل قرون الأرض ، والمستنقعات إلى نهرين ... » .

الواجهة الغربية : « ... تحتمس الثالث ، الذي عبر المنحنى العظيم لنهرين بالقوة والظفر على رأس جيشه موقعا مذبحة عظيمة بهم » .

هذا ونجد « تحتمس الثالث » قد أقام في آخر أيامه على ما يظهر مسلة واحدة أمام (البوابة) الثامنة في الجهة الجنوبية من معبد «الكرنك» ، وهذه المسلة يبلغ ارتفاعها ١٠٥ أقدام ، وقد أتى بها من أسوان بعد حجر نقوشها وإعدادها ، وقد كان « تحتمس الثالث » يفتخر بهذه المسلة على وجه خاص لأنها تعد المثال الوحيد لإقامة مسلة مفردة ، لا اثنين كما كانت العادة المتبعة وها هو ذا يقول :

الواجهة الجنوبية : « قد أقامها مثله أثرا لوالده « آمون رع » رب طيبة ، نصب له مسلة في الردهة الأمامية المقابلة « للكرنك » مثالا الأول[1] لإقامة مسلة فردية في طيبة لأجل أن يمنح الحياة » .

الواجهة الشمالية : « ... تحتمس الثالث بن آمون من جسده والذي حملته له الإلهة « موت » في « إشرو » (وهو اسم معبد الإلهة « موت » بالكرنك) وأصعدته مثل الصقر الذي صورها في الشمس « تحتمس » حول الأفق ، محبوب « آمون رع » رب طيبة ، معطى الحياة مثل رع » .

---

(١) راجع : Breasted, A. R. Vol. II. § 626ff.

الواجهة الشرقية : « ... تحتمس الثالث الذي يكاوه في بيت آمون الذي يجعل آثاره أعظم من آثار أجداده الذين كانوا قبله ، وهي تفوق كل ما سبق ، ولا شبيه في أي شيء ما عمل في بيت والده آمون لأجل أن يعطي ابن رع تحتمس ما كمينرع يعطي الحياة بواسطته » .

الواجهة الغربية : « ... تحتمس الثالث الذي عمل « آمون » عندما يتربع في « الكرنك » وإنه يرى آمون ليستريح في البيت الفسيح « حامل التيجان » ، في حين أن قلب آمون يكون فرحا لآثاره المحبوب اسمه « الهاوي الفلكية » فإنه يجل ويكرر الاحتفال بملايين من الأعياد الثلاثينية . ابن الشمس « تحتمس » جميل الخلق معطي الحياة » .

تحتمس الرابع يقيم مسلة جده في مكانها : غير أن تحتمس الثالث قد عاجلته المنية قبل أن يرى هذه المسلة مقامة أمامه إذ قضي وهي لم تنصب بعد ، ولذلك بقيت مهملة بعد موته نحو خمس وثلاثين سنة . لأن ابنه « أمنحتب الثاني » على ما يظهر لم يكن ميالا لإتمام الآثار التي لم تكن قد تمت إقامتها في عهد والده ، ولكن « تحتمس الرابع » كان يتصف بأخلاق تمتاز عن أخلاق سلفه إذ كان يميل كل الميل لإتمام وإصلاح الأعمال العظيمة التي حلت في الماضي ، ولا أدل على ذلك مما صنعه لتمثال « بو الهول » من إزالة الرمال عنه ، ونصب لوحة تذكارية أمامه دون عليها ما قام به من جليل الأعمال لهذا الإله العظيم الذي كافأه بتنصيبه على عرش الملك كما سنرى بعد . ومن أجل ذلك اهتم بنصب مسلة جده في مكانها الأصلي ، ودون عليها نقوشا طويلة تدل على ورعه واحترامه لجده العظيم وهي[1] :

الواجهة الشمالية من اليمين : « ... تحتمس الرابع الذي يقبض بقوته مثل « منتو » عظيم البأس مثل « منتو » والذي يحبه والده « آمون » منتصرا على كل البلاد ، والذي تأتي إليه البلاد المجهولة في خوفهم — ابن الشمس « تحتمس الرابع » الذي يشرق في التيجان محبوب « آمون » ورآه ، معطي الحياة » .

(١) راجع : Breasted, A. R. Vol. II. § 830

الواجهة الشمالية من اليسار : « ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، محبوب الآلهة ومن يفرح قلبه بناموس الآلهة ، ومن يحمل ... ليستريح في صحبة الشمس الساطعة ، والذي عمر « آتوم » في معبد النار ، رب الأرضين « منخبرورع » (تحتمس الرابع) الذي يجلس على عرشه دائماً ، والذي يقيم آثاره في الكرنك ، وناموس آلهة ... آمون من ... ابن آمون من صلبه ومحبوبه على العرش « تحتمس الرابع » الذي يضيء بالتيجان محبوب « آمون رع » .

الواجهة الجنوبية من اليسار : « ... تحتمس الرابع الذي أحبه « رع » ، ومحبوب آمون لأنه كان جلالته هو الذي عني بالمسلة الفريدة الضخمة في الشمال ، وهي التي كان قد أحضرها ملك الوجه القبلي والوجه البحري « منخبررع » (تحتمس الثالث) ، وبعد أن وجد جلالته أن هذه المسلة ظلت ملقاة على جانبها خمساً وثلاثين سنة في يد الصناع في الجهة الجنوبية من معبد الكرنك أمر والده أن ينصبها ... أنا ابنه والمنقذ له » .

الواجهة الجنوبية من اليمين : « ابن الشمس تحتمس الرابع ، المضيء بالتيجان ، المحبوب في الكرنك ، ومنح ... من الصناع حتى أن حالها أصبح ... على طبيعته ، ولقد ... باسم والده الإله ... « منخبررع » (تحتمس الثالث) ، وبعد ... ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، رب الأرضين « منخبرورع » (تحتمس الرابع) ، محبوب « رع » ... « موت » ... بواسطة ابن الشمس « تحتمس الرابع » الذي يضيء في التيجان » .

الواجهة الغربية من اليمين : « ... تحتمس الرابع الذي أقامه آمون أمام الشعب ، والذي ... الآلهة « موت » ... أكثر من أي ملك ... وهو الذي ... الجنوبي ... [illegible] ... ولد الإله ... [illegible] ... (...) ... الكرنك (أي ...) ... في الجهة الجنوبية وهو الذي ... البوابات الأربع الجنوبية ... [illegible] ... « رع » ومحبوبه « تحتمس الرابع » الذي يضيء في التيجان » .

الواجهة الغربية من اليسار : « ... منخبرورع (تحتمس الرابع) الذي الآلهة ... إلى أخيه والذي ... محبوب الآلهة ... [illegible] ... الجلية ، والذي ... الأقواس ... [illegible] ... والده ... [illegible] ... يصنع الإله ... [illegible] ... من صورة ، ابن الشمس « تحتمس الرابع » الذي يضيء في التيجان » .

الواجهة الشرقية من الجهة [illegible] الإله الطيب الملك القوي [illegible] مستقر [illegible]
[illegible]

الواجهة الشرقية من [illegible] كاتب الآثار الكرنك [illegible]
[illegible]

تاريخ هذه المسلة : وهذه المسلة تعد مثالا عظيما لما أخرجته يد الفنانين والمهندسين المصريين المهرة، ويبلغ وزنها حوالي ٤٥٥ طنا، ولها تاريخ عجيب، ففي عام ٣٣٠ بعد الميلاد نقلها «قسطنطين» الأكبر عاهل الدولة الرومانية إلى الإسكندرية رغبة منه في [illegible] بيزنطة العاصمة الجديدة، ولكن بعد ٢٧ عاما من هذا التاريخ نقلها ابنه «قسطنطيوس» إلى «روما» وأقامها في ميدان «ماكسيموس» [illegible] وفي عام ١٥٨٧ بعد الميلاد كشف عنها مقلوبة ومكسرة ثلاث قطع فأصلحت ونصبت في المكان الذي هي به الآن وهو ميدان «اللاتيران» عام ١٥٨٨ على يد «دومنيكو فونتانا» [illegible] من البابا «سكستس» الخامس الذي كان يعتقد في قرارة نفسه أن [illegible] عن [illegible] رمزا يدل على انتصار المسيحية على الوثنية، ومن [illegible] أن [illegible] قد [illegible] للمسلات الأخرى المنتشرة في أنحاء روما [illegible] كل واحدة منها حوالي [illegible] وعشرين قدما [illegible] في [illegible] من أولي الأمر في روما إذا كانوا يريدون [illegible] عن [illegible] عظمة الفرعونية لمصر وفي [illegible] أرضهم [illegible] الأولى التي كانت عليها [illegible]

في تماثيل المسيح السامية لا تحتاج إلى مثل هذه الزخرفة الوصيفة لأن البعوضة قد تقسم أعلى قمم الجبال وأشهقها وهي مع ذلك بعوضة .

تحتمس الثالث يقيم مسلتين في معبد عين شمس وتنقلان إلى الأسكندرية . وقد أقام هذا الفرعون احتفالا بمضي العيد الثالث الثلاثيني الذي أقام من أجله المسلة السابقة الذكر مسلتين أخريين بمعبد الشمس « هليو بوليس » ويربى طول الواحدة منهما على سبعين قدما وقد نقلهما من مكانهما الأصلي مهندس إغريقي يدعى « ستروس » إلى الأسكندرية حوالي العام الثاني عشر ق . م . . وفي خلال القرن الرابع عشر من الميلاد سقطت إحداهما من فوق قاعدتها وقد نجت بأعجوبة من التهشيم الذي أصاب زميلتها في « اللاتران » .

إحداهما نقلت إلى « لندن » : وقد أهداها محمد علي باشا إلى الأمة الإنجليزية عام ١٨٣١ بعد أن كانت قد أهديت لها مرات عدة من قبل وقد بقيت بعد إهدائها ملقاة على الأرض حتى عام ١٨٧٧ وهو العام الذي نقلت فيه إلى انجلترا على يد « جون وبمان ديكسون » بالنيابة عن السير « أرزمس ولسن » وقد أقيمت على شاطيء نهر التاميز . ومن العجب العجاب أن من الجهل الفاضح أن يسميه القوم هناك « مسلة كليوباترا » .

الأخرى تنقل إلى نيويورك . وقد أرادت الولايات المتحدة أن تجاري انجلترا في ذلك فنقلت المسلة الثانية إلى « نيويورك » وسماها الأمريكيون « مسلة كليوباترة » أيضا وهي الآن قائمة في « سنترال بارك » .

والنقوش التي على مسلة « لندن » ليست على أهمية أعظمى ، وأهم ما فيها نقش الإهداء :

« تحتمس الثالث » قد أقامها تذكارا لوالده « تحوتمس » الذي أقام له مسلتين في عيد « سد » الثالث (العيد الثلاثيني) لأنه أحب والده كثيرا ، ليت ابن الشمس تحتمس يعطى حياة على يديك .

أما نقوش مسلة « نيويورك » المطموسة ، ولا تقرأ بعناية تحت الإهداء ، والنقوش الأخرى هي

الجانب الشرقي : حور الثور القوي الذي يضيء في طيبة محبوب الإله الباقي في الملك مثل «رع» في السماء، وطقوس أعياد «آتوم» ... عنه تحتمس من جسده والذي سواه «تحوت» ... مصورة في اليوبيل العظيم في حفل أعياده، علاوة على أنه سيدير شئون الملك، باق إلى الأبد، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبررع» (تحتمس الثالث) محبوب آتون الإله العظيم، التاسوع المقدس ... الأحياء والثبات والسرور مثل «رع» أبداً .

الجانب الشمالي : حور الذي أخذ التاج الأبيض ... يضرب حكام الممالك التي تقترب منه كأمر والده «رع» له النصر على كل الأرض، وقوة السيف بساعده لأجل أن يمد حدود مصر «ابن الشمس تحتمس» .

تعليق المؤرخين المحدثين على نقل المسلات من أماكنها الأصلية :

وهكذا يرى القارىء أن بعض ما أقامه أعظم فرعون في مصر من الآثار قد أصبحت كالأعلام في العالم المتمدين تطل على ربوع «القسطنطينية» «وروما» «ولندن» ثم «نيويورك» في حين أن بلاد الآلهة التي أصبحت اليوم هذه الأعلام الشامخة لا تملك مسلة واحدة من بينها، حقاً إن مصر موطن المسلات الأصلية لا تملك إلا خمسة أمثلة من أعظم منشآتها الجبارية، من بينها مسلة مشوهة قطعت من الحجر الخشن أقامها «سيتي الثاني» في حين أن أعظم هذه المسلات شهرة وأكثرها جمالاً منصوبة الآن في ممالك متحضرة لا يعتني أهلها بها عناية تليق بها لدرجة أنهم لا يسمونها بأسماء الملوك العظام الذين أقاموها، والواقع أنه مما يسجل بالعار على المدنية الحديثة أن تشاهد هذه الآثار العظيمة التي كشفت من عهد أجيال غابرة قد أصبحت تغلفه من رونقها وجمالها، إلى درجة أن نقوشها قد أصبحت كذلك تتلاشى ويضيع رونقها .

ويقول «أجلاي» مهندس البناء الإنجليزي ماذا عساه يكون شعور «تحتمس الثالث» عندما أمر بقطع هذه المسلات للإله «رع» لو أدرك أن واحدة منها ستنقل إلى أرض لم يكن يعلم بوجودها في العالم، وأن الثانية ستقع في يد قوم كانوا وقتئذ شعباً همجياً يجوبون الأحراج، ومع ذلك فإن هذه المسلات بعد أن نقلت

عليها عبر الزمن وخيف عليها الغرق وأخطار القنابل لا تزال باقية منتصبة في مكانها بعد أن مضى على صنعها حقبة من الزمن تربى على ٣٤٠٠ عام» .

وكذلك يعلق على ذلك المؤرخ «ويجل» بقوله الصائب : «وإذا كان مرور جيل مضى من الإنجليز قد استحل لنفسه إقامة مسلة في بلادهم ، فحصت من أعز حجر الجرانيت الأحمر لا يمكن أن تحفظ قيمتها وما تنطوي عليه من معان إلا إذا كانت قد بقيت في التربة التي نشأت فيها ، كما أن جمالها كان في محيط تربة الرشيق الأصلي ، فإن أقل ما كان يمكن أن يقوم به أمناء «لندن» في أيامنا هذه من الاحترام والتقدير لهذا المعتدى القديم الذي لا بد أنه يحتدم غيظاً وحنقاً (يعني تحتمس الثالث) هو أن يحافظوا على نظافة أثره الذي أقامه لمعبده الثلاثي المقدس ، فيميطوا عنه ما علق به من أذى وألا يسموه بالاسم المضحك الخاطئ «مسلة كليوباترة» .

تحتمس الثالث والسودان

حملته إلى بلاد السودان في السنة الخمسين : يدل ما وصل إلينا من النقوش على أن آخر حملة حربية سار على رأسها «تحتمس الثالث» كانت نحو بلاد السودان في السنة الخمسين من حكمه ؛ أي قبل الاحتفال بعيده الثلاثيني الثالث . والظاهر أنه مكث في هذه الحملة مدة أكثر من المعتاد في تلك الجهات مما يدل على أن الأمر على ما يظهر لم يكن هيناً ، فقد بقي «تحتمس الثالث» قرابة ثمانية أشهر في السودان ، وما لدينا من الوثائق يدل على اهتمام هذا الفرعون منذ بداية حكمه بشئونه وعلاقته به ، وبخاصة من الوجهة الدينية وقد أشرنا فيما سبق إلى أعماله الدينية في هذه الجهات ولكن لما كانت علاقة مصر بالسودان لم تنقطع في كل الأزمان ، فإنا سنتناول هنا أعماله منذ حكمه الأول المنفرد حتى وفاته .

إصلاح معبد سمنه . وقد كان أول عمل صالح قام به عهد الفرعون بعد توليته العرش على أثر وفاة والده هو إصلاح محراب الفرعون «سنوسرت الثالث»

الذى كان قائمًا فى معبد «سمنة» الواقعة عند الشلال الثانى . والواقع أننا لم نعثر على شىء من بقايا المعبد الذى أقامه «سنوسرت الثالث» هناك قط اللهم إلا إذا كانت لوحة «سمنة» القائمة حربًا منه ، وقد ثبتها «تحتمس الثالث» فى جدار المعبد الجديد الذى أقامه . هذا إلى أنه دون على الجدران للمدينة القوائم القديمة التى كان قد نقشها «سنوسرت الثالث» بأسماء الأعياد والقرابين .

تأليه سنوسرت الثالث : يضاف إلى ذلك أن هذا المعبد قد خصص للإلهين «خنوم» و «ددون» ولكن يلاحظ أن «تحتمس الثالث» قد أضاف إليهما إلهًا ثالثًا وهو «سنوسرت الثالث» إذ كان مؤلهًا بوصفه بطل مصر الذى فتح بلاد النوبة ثبت حدودها عند الشلال الثانى ، وأقام هناك لوحته الشهيرة[1] وهنا يلحظ من جانب «تحتمس الثالث» لفتة سامية تشعر باحترام أكبر فاتح للأسرة الثامنة عشرة ، لأكبر فاتح فى الأسرة الثانية عشرة وتلك الفتة لم نشاهدها بكل أسف فى الأسرة التاسعة عشرة التى كان دين ملوكها تخريب معابد من سبقهم حتى آبائهم اللهم إلا «سيتى الأول» فكان مصلحًا لا مخربًا وقد أتم «تحتمس الثالث» هذا المعبد فى السنة الثانية من حكمه ، وتدل النقوش دلالة صريحة على أن «حتشبسوت» لم تشترك معه فى الملك وقتئذ ، إذ نشاهد فى النقوش التى رسمها على جدران هذا المعبد الجديد قربانه «سنوسرت الثالث» على عرشه ، وأمامه يقف «تحتمس الثالث» وهاك النص

«السنة الثانية — الشهر الثانى — الفصل الثالث — اليوم السابع فى عهد جلالة الملك «تحتمس الثالث» معطى الحياة .

مرسوم التجديد ما نطق به جلالة الرئيس له الحياة والفلاح والعافية . الملك الإله الكل والسيد العظيم رأس البلاد وما فى البلاد الجنوبية [تورى ؟] . اجعل القرابين المقدسة تنقش ومن التى أوقفها ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب القربان «خع كاورع» (سنوسرت الثالث)

---

(١) راجع Wegall, "History", Vol. II. P. 397

في معبد والده الإله « ديدون » المهيمن على بلاد النوبة ، والإله المنتقم ، لأجل أن يقوم بأعمال عمارة لوالده الذي أحبه ، وقربات القصبة حتى يذكر اسمه في بيت والده « خنوم » تمثال لأتـوام الأقواس التسعة ، وطاهر الشاطئ (البحر) حينما كان الفرعون « خع كاورع » (سنوسرت الثالث » يعيش لا حيا وحيا ... الإله وقد يحمل القرابين العظيمة تقدم الآلهة ، وكذلك تقدم قربانات جنازية لروح من بلادـه ، وانتخب قرابين جديدة أيضا ... في بيت والده « ديدون » ، ولذكر اسمه في بيت والده « خنوم » قاتل أقواس الأقواس التسعة ، وطاهر الشاطئ (البحر)

ثانية سنوسرت الثالث : « يقدم برا من الجنوب وشعيرا من (الآلهة) ... وزاوات » ... لوالده « ديدون » المهيمن على بلاد النوبة وقربانا لعيد رأس الفصول ، خمسة عشر حقا من بر الجنوب لأجل والده « آمون » المهيمن على بلاد النوبة ، وكذلك خمس وأربعون ومائة حقا وعشرون حقا من الشوفان ... لوالده « خنوم » قاتل الأقواس التسعة ، وقربانات عيد أول الفصول ، خمسون حقا من بر الجنوب ، وخمسة وعشرون وأربعمائة من بر الجنوب ومن الشوفان عشرون حقا كل سنة لوالده « خنوم » قاتل الأقواس التسعة ، ونذور من القطيع لسيد السنة الجديدة لأجل والده « ديدون » ، ونذور ... ونذور من القطيع لعيد المسمى « طرد المتوحشين » وهو الذي يقع في الشهر الرابع من الفصل الثاني في اليوم الرابع والعشرين ، قربانات عيد « أول الفصول » : خمسون حقا من بر الجنوب ، ومائتان ومائتا حقت من بر الجنوب أيضا ، وخمسة عشر حقا من الشوفان ، وفي كل سنة لعيد « طرد المتوحشين » ينقدم كان ملكيا ، ٨ ... لأجل العيد الذي يقع في أول الفصل الثالث (الشهر التاسع) : نذور من القطيع لوالده « خنوم » قاتل الأقواس التسعة وطاهر « الشاطئ » : ٦٤ حقا من بر الجنوب كل سنة لروح الملك ... حقا من بر الجنوب كل سنة لروح الملك العظيمة « مرحبو » في عيد « طرد المتوحشين » : ١٣٥ حقا من بر الجنوب و ١٠ حقات من الشوفان ، أما الفرعون « خع كاورع » (سنوسرت الثالث) فيقدم ... وقد فرض جلالته هذه الأشياء على حكام قلاع الشلال الجنوبي ، وجعلها مستحقة كل عام على الدوام دون انقطاع » .

الإهداء للإله «ددون» و«سنوسرت الثالث» : وكذلك نشاهد وداخل المعبد على الجدار الغربي قارب مقدس يحتوي على محراب فيه تمثال « سنوسرت الثالث » ويرى خلفه « سنوسرت الثالث » والإله « ددون » ، والإله يضم الملك ، وهنا يخاطب الإله « ديدون » الملك « سنوسرت الثالث » قائلا : "يا ابن الجسد « سخم رع » يا أجمل صفحا الأثر العظيم الذي أقامه لابن الجسد ملك الوجه القبلي والوجه البحري « خع كاورع » (سنوسرت الثالث) ، لقد حفظت اسمه إلى الأبد لكي تبقى أنت عندنا" .

وعلى الجدار المقابل يشاهد منظر مماثل للسابق يقول فيه الإله « ددون » :

« لقد حدثت ولادته مرة ثانية في الذكريات ، ولقد قدمت له موائد قربان كثيرة من الفضة والذهب والفيروز والنحاس والأحجار ، ومكافأتك على ذلك هي الحياة الدائمة مثل « رع » مخلدا » .

أما نقش الإهداء الكامل فيوجد على الجدار الخارجي من جهة الغرب وهو :

« الإله الطيب « منخبر رع » (تحتمس الثالث) لقد أقام مبانيه أثراً لوالده « ددون » المهيمن على بلاد النوبة ولذلك « خع كاورع » (سنوسرت الثالث) فأقام لهما معبداً من حجر بلاد النوبة الأبيض ولو أن جلالتي قد وجده من لبن بيده ، كما يعمل ابن على حسب رغبة والده الذي أنجبه ، الفطري ، والذي أحضره من « حور » رب هذه البلاد . ولقد قررت في قلبي المقدس أن أتمم هذا الأثر لأجعله قويا على حسب ما أعطى ... لأجل أن أجعل بيته أبديا لأنه أعظم من أي إله ، وقد منح كل الحياة والثبات والانشراح مثل « رع » مخلداً[1] » .

ومما سبق نرى أن « تحتمس الثالث » لم يقم بأي عمل حربي في بلاد النوبة أو في السودان في المدة الأولى من حكمه ، وقد ظلت الحال كذلك حتى السنة الخمسين من عهد هذا الفرعون كما أسلفنا ، غير أننا لا نعرف إذا كان قد قام بغزو هناك أم لا ، إذ أن ما وصل إلينا من هذه الحملة مبهم ، حيث نقرأ عنه ما كان الفرعون مارا في القناة التي عند الشلال الأول قد اضطر لتطهيرها من الأحجار التي سدتها كما جاء ذكر ذلك في نقوشه التي تدل على أنه أمر بحفرها في تلك الفترة كما سنذكر هنا ؛ وخلافا لذلك نجد الفرعون قد خلد ذكرى انتصاراته على بلاد النوبة بما وجدناه منقوشا على واجهة كل من برجي بوابة من بوابات الكرنك ، فنجد قائمة بأسماء سبع عشرة مدينة وإقليما مما استولى عليها في هذه الجهات[2] ، وكذلك نجد على إحدى القوائم منظرا مهشما الآن تهشيما شديدا يمثل الملك يضحي بأعدائه النوبيين أمام الإله « آمون » ، وقد فسر هذا المنظر بالمتن التالي : إحضار الأسرى الأحياء إلى مصر ، وقد سيقت كل هذه الأقاليم إلى مصر ، وإنه ملأ خوف والده رب الآلهة ... من الرؤساء الذين ظفر بهم ، ولم يعمل الملوك مثل هذا من قبل في هذه الأرض ، وسيبقى اسمه أبد الآبدين .

---

(١) راجع Urkunden IV, 193 - 198.

(٢) راجع Daressy, "Rec. Trav.", XI, P. 154.

هذا ويوجد قائمة أخرى أكثر عددا من السالفة نقشها الفرعون من صورتين على كل من برجي البوابة السادسة لمعبد الكرنك، وهذه القائمة تحتوي على سبع عشرة ومائة بلد وإقليم فتحها الفرعون. وقد رسم فوق إحدى هاتين القائمتين منظر يشاهد فيه الإله «ددون» إله بلاد النوبة يقود الملك «تحتمس الثالث» ويقدم له هذه البلاد، وفوق القائمتين نجد المتن التالي:

«قائمة بأسماء البلاد الجنوبية وبلاد النوبيين الذين هزمهم جلالته في مذبحة عظيمة لا يحصى عددها، وقد ساق كل رعايا النوبيين أسرى أحياء إلى طيبة ليملأ بهم مخزن والده «آمون رع» رب طيبة. تأمل! إن كل الأراضي أصبحت رعايا جلالته كما أمر والده «آمون».»

وكذلك نجد أن «تحتمس الثالث» دون قائمة أخرى على البوابة السابعة تحتوي عددا عظيما جدا من أسماء البلاد والأقاليم دون منها الأستاذ «زيته» نحو ١٤٤ اسما[1]. ويقول الأستاذ «برستد» إن هذه القائمة ربما كانت تربى عددها على أربعمائة اسم[2]، ومما يؤسف له جد الأسف أن معظم هذه الأسماء مجهول موقعه لنا حتى الآن مما جعل موضوع جغرافية بلاد السودان، ولذلك لا نستطيع أن نحدد على وجه التأكيد إلى أي حد وصل «تحتمس الثالث» في غزوه في الأقاليم السودانية، ومن المؤكد أنه قد وصل في زحفه حتى «نباتا» عند الشلال الرابع على أقل تقدير؛ إذ قد عثر الأستاذ «ريزنر» على لوحة له عند جبل «بركال» (أي الجبل المقدس) غير أنه لم يتحدث فيها عن حروبه في السودان[3]. وفضلا عما ذكرنا يوجد نقش قصير في مقبرة «انني» يشير إلى أسرى وأسلاب من بلاد النوبة، وقد قال عنه «برستد» إنه من عهد «تحتمس الثالث» غير أن الأستاذ «زيته» يقول إنه من عهد «تحتمس الأول» وقد نشأ تضارب الرأيين من اختلاف كيفية قراءة طغراء الملك، والمرجح أنه من عهد «تحتمس الأول»[4].

---

(١) راجع: Urkunden IV, P. 801 806.

(٢) راجع: Breasted, A. R. II. § 259.

(٣) راجع: A. Z. LXIX, (1933) P. 24.

(٤) راجع: Breasted, A. R. II, § 259; Urkunden IV, P. 70.

نقوش القناة : وعندما قام «تحتمس الثالث» بحملته إلى بلاد النوبة في أثناء السنة الخمسين من حكمه كان في سن الشيخوخة ، والظاهر أنه لم يعد من حملته حتى حصل انخفاض النيل في مصر ، أي في أبريل . والمفهوم أنه عندما بدأ الرحلة كان في فصل فيضان النيل وهو الفصل الذي كانت تسحب فيه الحملات عادة إلى بلاد السودان، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه كان من اليسير على السفن أن تسير عبر الشلال في هذه الفترة ولكن عند العودة كانت المياه منخفضة ولذلك كان من المستحيل على السفن المرور في هذه المنازل الصخرية الوعرة، ولقد تغلب ملوك مصر منذ الدولة القديمة لهذه الظاهرة، فاتخذوا لأنفسهم الحيطة ، وشقوا قناة ليمروا سفنهم في العودة متفادين بذلك الشلالات ، وقد تبعهم في ذلك ملوك الأسرة الثانية عشرة ، إذ قد حفر «سنوسرت الثالث» قناة هناك ، ولكنها سدت ، وقد كراها «تحتمس الأول» واستعملها ثانية في حروبه ، ولقد وجد «تحتمس الثالث» أنها سدت بالأحجار كرة أخرى فأمر بكريها لتعود منها سفن حملته ، وقد ترك لنا وثيقة تحدثنا عن عمله هذا نقشت على صخرة في هذه الجهة بعينها وهذا نصها . «في السنة الخمسين الشهر الأول من الفصل الثالث ، اليوم الثاني والعشرين من حكم جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبررع» (تحتمس الثالث) معطي الحياة أمر جلالته بحفر هذه القناة بعد أن وجدها مسدودة بالأحجار لدرجة أنه لا يمكن لسفينة أن تسبح فيها ، وقد انحدر في النيل عليها وقلبه منشرح لأنه ذبح أعداءه . واسم هذه القناة هو «فتح هذا الطريق في جمال منخبررع العائش أبدا» ، وعلى صيادي «الفنتين» كري هذه القناة سنويا» .

ومن ذلك نفهم أن «تحتمس الثالث» لا بد قد سار في حملته هذه لتأديب العصاة في السودان إذ يقول إنه عاد بعد ذبح أعدائه . يضاف إلى ذلك القوائم التي تركها على بوابات معبد الكرنك، غير أنه يحتمل أن تكون قوائم تقليدية كان الفراعنة يتوارثونها كما جرت العادة ولكنا نشك كثيرا في أن يأتي «تحتمس الثالث» بمثل هذا العمل. وقد كان «نحي» حاكم السودان في عهده هو الذي قام له بإصلاحات هامة أجريت في معبد «سمنة» كما يشير إلى ذلك نقش مهشم .

الآثار التي خلفها تحتمس الثالث

حدود امبراطورية تحتمس الثالث : دان العالم المتمدين لسطوة «تحتمس الثالث» وعم سلطانه حتى صار قبل وفاته يسيطر على امبراطورية تمتد من أعالي نهر دجلة والفرات شمالا حتى مدينة نباتا عند الشلال الرابع جنوبا ، ولم يصل على قطعة «تحتمس» أب عهد لأخلافه من بعده حدود امبراطوريته كما فعل «سوسرت الثالث» عند ما وضع لوحة الحدود الشهيرة عند «سمنة» ، إذ أنه لما عبر نهر الفرات أقام لوحة تذكارية في الجهة الغربية من هذا النهر لتكون بمثابة آخر نقطة وصلت إليها فتوحه في الشمال ، غير أنه لم يكشف عنها حتى الآن مع الأسف ، ولا نسلم بأنها دلت عليها على وجه التحقيق ، أما في الجنوب فقد حدد فتوحه كذلك بلوحة من الجرانيت أقامها عند جبل «بركال» على مقربة من مدينة «نباتا» وهذه النقطة هي على ما يظهر آخر ما وصل إليه الفتح المصري في كل عصور التاريخ القديم ، وقد حدثنا فيها هذا الفرعون عن قوة سلطانه وبما أحرزه من انتصارات على الأسيويين دون أن يشير إشارة صريحة الى انتصاراته على بلاد «كوش» ، ولا عجب إذن إذا كان «تحتمس الثالث» قد تحاشى قصدا من ذكر انتصاراته على السودانيين تفاديا من جرح شعورهم أو التنديد بهم في عقر دارهم ، فهل يا ترى قد تغافل «تحتمس الثالث» في اللوحة التي أقامها عند نهر الفرات عن ذكر انتصاراته على الأسيويين (؟) وإذا كانت الأشياء تقاس بأشباهها فقد يكون ذلك ليس ببعيد على رجل ضرب الرقم القياسي في ما ظهر في ميدان الحروب والسياسة معا ، وبين هذين الأثرين ، أي لوحة الفرات ولوحة جبل «بركال» تقع امبراطورية «تحتمس الثالث» التي دانت له بحد السيف ومضاء العزيمة وحسن السياسة ، وسنرى فيما يلي أن آثاره قد عمت كل جهات هذه الامبراطورية طولية لم يسبق لها مثيل في عهد أي فرعون قبله ، وسنتحدث عن هذه الآثار بشيء من الاختصار بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا مبتدئين من بلاد «بورن» شمالا حتى «نباتا» جنوبا .

آثاره في آسيا . أقام تحتمس لوحة تذكارية عند أقصى حدود فتوحه الشمالية على نهر الفرات بالقرب من مدينة «نى»[١] التي تقع على مسافة أربعين ميلا في الشمال الشرقي من «حلب» ، غير أننا لا نعرف ما جاء فيها حتى الآن . أما آثاره الأخرى في آسيا فتعرف منها اللوحات التي تركها لنا في شبه جزيرة سينا[٢] ، إذ قد عثر له على لوحة في «سرابة الخادم» مؤرخة بالسنة الخامسة والعشرين ، وقد رسم في أعلاها منظر يشاهد فيه الفرعون مقدما قربانا للإلهة «حتحور» ، ويلحظ أن أحد كبار موظفيه المسمى «ناى» يقبض بيده على مروحة خلف الفرعون ويحمل الألقاب التالية : «الأمير الوراثي والحاكم وحامل الخاتم والسمير الوحيد والمشرف على المناجم — ناى» ثم يأتي بعد ذلك مديح الفرعون ونص الغرض الحملة من وهو استخراج المعادن من هذه الجهات[٣] .

وكذلك وجد له لوحة في هذه الجهة مؤرخة بالسنة السابعة والعشرين يرى عليها الملك ثانية يقدم قربانا للإلهة «حتحور» ربة هذه الجهة[٤] . وكذلك وجد جزء من باب باسم هذا الفرعون بجوار هذه اللوحة . وفي «وادي مغارة» عثر له على نقوش من عهده أيضا مؤرخة بالسنة السادسة عشرة ، وفي سرابة الخادم[٥] . وكذلك وجدت قطع من أواني الفخار المطلي عليها اسم «تحتمس الثالث» أيضا[٦] .

(١) تحتمس آباد «المعروفة» المقابلة لرافعة على مسافة أربعين ميلا في الشمال الشرقي من «حلب» .

(٢) قد وجد لهذا الفرعون في «سرابة الخادم» آثار مؤرخة بالسنين الآتية : الخامسة ، والثالثة عشرة ، والخامسة عشرة ، والسابعة والعشرين ، (راجع Gardiner and Peet, "Sinai", P. 180, 190, 198,) وكذلك ذكر اسمه في نص المحصور من ١٨٨ — ٢٠٤ وله مبان في هذه الجهة (راجع Petrie, "Researches in Sinai" P. 70.) .

(٣) راجع Urkunden IV, P. 886 – 889.

(٤) راجع : Petrie, "History", II, P. 126.

(٥) راجع Murray, "Handbook for Travellers in Egypt" (Ed. London 1880) P. 3.

(٦) راجع : Birch, "Pottery" P. 56.

ننتقل بعد ذلك إلى التحدث عن آثار «تحتمس» في الدلتا، ففي بلدة كوم الحصن الحالية التي تقوم على أنقاض بلدة «آمو» القديمة التي تقع في المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه البحري يظهر أنه قد أقام فيها معبدًا، وقد غيبت بعض آثاره على الرغم من تهدم المعبد تهدمًا شاملا، فقد عثر له على آنية من أثاث معبد اشتراها «بترى» من القاهرة وقد نقش عليها: «محبوب» «حتحور» «سيدة آمو»، وهذا الإناء موحد مع أساليب الأواني التي عثر عليها في أساس معبد «قفط» الذي بناه هذا الفرعون (Petrie Collection).

وفي «عين شمس» قام هذا الفرعون بأعمال عظيمة فقد عثر «ليبسيوس» على لوحة مستديرة أعلاها رسم عليها منظر يشاهد فيه «تحتمس الثالث» يقدم قربانًا للإله «حوراختي»، ويمثل هذا المنظر متن النقش التالي.

«السنة السابعة والأربعون من عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبررع» ابن الشمس «تحتمس الثالث» معطي الحياة. أمر جلالته بإقامة هذا السور حول معبد «حوراختي» ... (بيت رع)[1] ...».

ويوجد في متحف القاهرة عمود باب نقش عليه إهداء من «تحتمس الثالث» وهذا نصه: «إنه صنعه أثرًا لوالده «أتوم» رب عين شمس، فأقام له (؟) من حجر «بنوت» ... «محبوب آلهة عين شمس»[2]. وفي «منف» أقام معبدًا للإله «بتاح» على حسب ما جاء في نقش في «سقارة»[3]، وكذلك وجد له في «منف» لوحة من البرنز (راجع A. S. III. P. 141.)، وفي بلدة «غراب» الواقعة عند مدخل الفيوم أقام هذا الفرعون معبدًا ومدينة حوله عند ... سد الفيوم[4].

---

(١) راجع L. D. III. Pl. 29b.

(٢) راجع: Breasted, A. R. Vol. II. § 643; Sharpe, "Egyptian Inscriptions", Vol. II. P. 34.

(٣) راجع Petrie, "History" II, P. 403.

(٤) راجع: Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob", Pl. XXX.

وعثر على « باب حتب » عليه اسمه موجود الآن فى مدينة « ادليد »[1] ، وكذلك عثر على أحجار أخرى[2] ، نقش عليها اسم « تحتمس الثالث » والمحو الذى على هذه الآثار يدل على أن المعبد قد ظل قائماً حتى عهد « أخناتون » أى أن اسم آمون كان يمحى كلما وجد على حجر من هذه الأحجار ، والظاهر أن المعبد قد خرب وأزيل من مكانه وبنيت على أنقاضه المنازل . ولا شك فى أن هذه المدينة قد خربت فى عهد الغزو الأجنبى الذى حدث فى عهد « منبتاح » ولم تعد تسكن بعد .

وفى « المرشه » نقشت على الصخر لوحة مؤرخة بالسنة الثالثة والثلاثين من حكم « تحتمس الثالث » وقد دون عليها دعاء بملايين أعياد ثلاثينية[3] .
وفى « أخميم » نقش منظر على مجرة نحتت فى الصخر يشاهد فيه « تحتمس الثالث » يتعبد للإله « آمون مين »[4] . وكذلك وجد له نقش فى موقع المعبد القائم هناك[5] .
وفى العرابة المدفونة عثر على تمثال ضخم جداً للإله « أوزير » نقش على ظهره اسم هذا الفرعون[6] .

كما وجد له آثار معبد هناك أيضاً (راجع Petrie, "Abydos", II. Pl. LVII.) ونقوش عليها اسمه وقربان وعمود أساس (راجع Ibid. I, Pls. LXI, LXIV, Ibid. II. Pl. XXXIII. & Ibid II, Pl. XXXIV Ibid. I. Pl. LXI.
راجع : ("Ancient Egypt", 1915, P. 24, "Rec. Trav." XXXIV, P. 52)
وفى مدينة هبو وجدت له حجارة (راجع A. S. XIII. P. 82) .

وفى « دندرة » وجدت له نقوش فى إحدى الحجرات السرية تنص على إصلاح الآثار على يد الفرعون رب الأرضين « منخبر رع » وسيد التيجان « تحتمس الثالث » .

---

(١) راجع Ibid. Pl. XXIV
(٢) راجع : Petrie, "Kahun", P. 32. Pl. 22.
(٣) راجع L. D. III, Pl. 26i.
(٤) راجع Ibid. Pl. 29d.
(٥) راجع : Murray, Ibid. P. 431.
(٦) راجع Mariette, "Abydos"

على حسب ما وجد في الكتابات القديمة التي ترجع إلى عهد « خوفو »[1] . ولا تزال توجد قطعة حجر من آثار « تحتمس الثالث » في معبد « دندرة » الحديث . وكذلك أهدى هذا الفرعون صاجات من الفيروزج طولها ١٦ أصبعاً تشاهد صورتها في مباني المعبد الذي يرجع إلى عهد البطالمة[2] .

وفي وادي الحمامات وجد نقش عليه اسم الفرعون مما يدل على أنه كان يرسل الحملات لقطع الأحجار من هناك[4] .

معبد قفط : أما في « قفط »[5] فإنه بنى معبدها كله من جديد ، وهذا المعبد كما هو معروف خاص بعبادة الإله « مين » إله هذه البلدة وإله الصحراء . وعلى الرغم من أن هذا المعبد أعيد بناؤه بعد « تحتمس » مرات عدة فإن آثار هذا الفرعون قد بقيت إلى الآن إذ عثر في أساسه على نماذج آلات وتعاويذ وأوان من الزجاج وكتلة عظيمة من الفخار منقوش على أحدها اسم « تحتمس الثالث » محبوب « مين » صاحب « قفط » . وقد قطعت أحجار هذا المعبد من الحجر الرملي المستخرج من محاجر « سلسلة » بدلا من الحجر الجيري الأبيض الذي كان يستعمل في بناء المعابد قبل هذا العهد . أما أعمدته فقد نحتت من الجرانيت الأحمر ، ومثل عليها الملك يقدم القربان للإله « مين » . ومن المحتمل أنها استعملت ثانية في معابد عدة إذ إنه بقيت في متناول القوم حتى العهد المسيحي فنقلت خرائب المعبد واستعملت لإقامة الكنيسة القبطية الموجودة في هذه الجهة ، ولم يبق منها إلا هذه الأعمدة .

---

(١) راجع Dumichen. "Baugeschichte des Denderatempels und Beschreibung der einzelnen Theile des Bau Werks nach den an seinen Mauern befindlichen Inschriften", I,

(٢) راجع : Dumichen, Ibid, Pl. III. d

(٣) راجع : Ibid. Pl. 11, e

(٤) راجع : Murray. "Guide", P, 326.

(٥) راجع : Petrie, "Koptos", Pl. XIII - XVI.

وفي «طوخ» وجد له مبانٍ[1] وفي خرائب بلدة «نبت» (بلاص) المقابلة لبلدة «قفط» على الضفة الثانية للنيل وجدت قوالب من اللبن يلم هـذا الفرعون وباسم ابنه «أمنحتب الثاني»، مما يدل على أنهما هما اللذان أقاماها؛ هـذا إلى أنه وجد حديثاً بعض قطع من الأساس وكذلك قائمة باب من الحجر الرملي نقش عليها اسم «تحتمس الثالث»[2].

أما في الكرنك فقد أقام «تحتمس الثالث» مباني فخمة أشرنا إلى معظمها فيما سلف.

معبد مدينة «هابو»: وفي مدينة «هابو» أتم هـذا الفرعون المعبد الذي كان قد بدئ في بنائه منذ عهد جده، وهو الذي بنى معظمه والده وزخرفه هو و«حتشبسوت». وهذا المعبد لم يكن في ذلك الوقت إلا مبنى صغيرا، وفي نهاية الأسرة «الثامنة عشرة» أصلح من شأنه الفرعون «حور محب» ثم «سيتي الأول» و«رعمسيس الثاني عشر» ثم أخيرا الفرعون «بينوزم» (الأسرة الواحدة والعشرون)، وذلك على حسب ما ذكره كل منهم على الجدار الأمامي للمعبد، وبعد ذلك جاء «طهراقا» (في الأسرة الخامسة والعشرين) وأضاف للمعبد ردهة أمامية و(بوابة) مقتربا بذلك من حدود معبد «رعمسيس الثالث». وفي عهد الأسرة الثلاثين أضيفت ردهة أخرى أمام السابقة ثم جاء «بطليموس العاشر» وأضاف بوابة أمام هذه الردهة الأخيرة، وأخيرا أضاف الامبراطور «أنطونيوس» ردهة أمام كل ذلك[3].

أما في معبد الدير البحري فإن «تحتمس الثالث» أتم بناء معبد «حتشبسوت» إذ يلاحظ في هذا المعبد باب يؤكد أنه قد نقش باسمه[4] مما يدل على أن المعبد لم يكن قد تم في عهدها.

---

(١) راجع: "Rec. Trav" XVI. P. 44.

(٢) راجع: Petrie, "History", II, P. 128.

(٣) راجع: L. D. III, Pls. 7, 27 - 8, 37 - 38

(٤) راجع: Dumichen, "Historische Inschriften altaegyptischer Denkmaeler", II, Pl. XXIV

وفي عهد « الأسرة الحادية عشرة » الحاكمة في مصر « حتشبسوت » أقام « تحتمس الثالث » مقصورة صغيرة للقرد تحوت التي كتب عليه صورة من صور الإلهة « تحوت » الموكلة عليه هذه الأماكن المصرية وقد وضع في هذه المقصورة



تمثال نفره ، وقد عثر المرحوم «بسه» [illegible] في طيبة ، والمقصورة(1)
والتمثال موجودان الآن بالمتحف المصري .

وفي مدينة «طود» الواقعة جنوبي «طيبة» عثر على قطع من الحجر منحوتة [illegible] من عهد الفرعون [illegible](2) [illegible]
[illegible]

معبد منتوحتب الثالث في أرمنت : أقام منتوحتب الثالث في مدينة «أرمنت» معبداً [illegible] نذكر الآثار التي خلفها لنا هذا الفرعون [illegible] كله ، وقد عثر على بعض قطع هذا المعبد في النصف الأول من القرن التاسع عشر وبخاصة ما وجده «[illegible]» من قطع منقوشة تحت [illegible] هذا الفرعون (راجع L. D. IV Text. P [illegible]) ، وكذلك نقل «الكونت سنت فربول» [illegible] في سنة ١٨٤١ — ١٨٤٣ ميلادية قطعاً من معبد «أرمنت» بعضها يرجع إلى عهد هذا الفرعون وهي الآن محفوظة بمتحف «جرنوبل»(3) .

الكشف عن المعبد : وقد كشف حديثاً عن هذا المعبد [illegible] في السنين الأخيرة ، ومن قطع الأحجار والنقوش [illegible]
الكاهن «[illegible]» في [illegible] رقم ٣١ [illegible]
أن هذا المعبد كان من معابد الفرعون الأولى التي أقامها هذا الفرعون [illegible]
في ذلك مع الإله «منتو» كان [illegible] الأعظم بين الآلهة المصرية
في كل عصور التاريخ [illegible] كان يتألف من الإله «منتو»

(1) راجع Maspero, "Guide" (1910) P. 125.

(2) راجع Wiedemann, "Geschichte", P. 362.

(3) راجع Tresson, "Catalogue Descriptif des Antiquités Égyptiennes de la Salle Saint Ferriol" (Grenoble, 1933).

(4) راجع Mond & Meyer "Temple of Armant" P. 25-27 & Pl. IX.

والإلهة « إيويت » ثم الإلهة « تنيت » أى من ذكر وأنثين ، ... ... « ثالوث أسوان » .

ولم يبق لنا قائماً من جدران هذا المعبد إلا بعض جدران البوابة السملية . وقد عثر على قطع هامة من الأحجار عليها اسم « تحتمس الثالث » أعيد بناؤها فى المعبد البطليموسى . وعلى الرغم مما أصاب المعبد من التخريب والتدمير فإنه قد بقى لنا على جزء البوابة المصوط منظر من الأهمية بمكان عظيم . وهذا المنظر يمثل موكبا على الواجهة الداخلية من الجناح الشرقى للبوابة فى الجهة الشمالية وهو يصور لنا بالصور والنقوش تجبية حفلة مظفرة قام بها هذا الفرعون فى بلاد النوبة ، ويحتمل أنها نزهة الصيد والقنص قد عاد الفرعون منها غانماً ، ومما يلفت النظر أن الرسوم قد نقشت برشاقة ودقة فائقة ، كما أنها رسمت بكل عناية مما جعلها تحاكى الطبيعة . وقد اختلف علماء الآثار فى العهد الذى تنسب إليه ، غير أن كل شواهد الأحوال تدل على أنها من عصر « تحتمس الثالث » .

الموكب : وهذا الموكب يسترعى النظر فى تفاصيله . ففى بدايته نشاهد حيواناً ضخماً تدل كل ملامحه على أنه بلا شك حرتيت (وحيد القرن) غير أن تمثيل سيقانه لا يطابق الواقع . وتدل النقوش التفسيرية الخاصة بهذا الحيوان على أن صيده كان حدثاً جللاً فى تاريخ الصيد والقنص عند المصريين القدامى ، فضلاً عن رسم هذا الحيوان على جدران المعبد وكيفية صيده نلاحظ أن « تحتمس » الثالث قد أمر بنقش مقاييس أجزاء جسمه حرفياً منها أن طول قرنه كان نحو ذراع وشبر وارتفاع ساقه الأمامية خمسة أذرع ونصف ، ومحيطه ثلاثة أذرع وخمسة أشبار ، ومحيط قدمه الأمامى ذراعان وشبر ، ومحيط بطنه ثلاثة عشر ذراعا وشبران وطول ساقه الخلفية أى المحيط بالقرب من العجز خمسة أذرع وثلاثة أشبار . ويلاحظ أن بعض هذه المقاييس لا يطابق الواقع الآن بل به مبالغة ، ولم يبق لنا من صور الرجال الذين كانوا يقبضون على هذا الحيوان إلا بعض أجزاء ، غير أن رسمهم

يدل على أنهم كانوا أقوياء . وبعد ذلك نشاهد في الموكب حاملي الجزية، وتشمل ريش نعام وبيض نعام وثيرانا ، وكثيرا من المعادن ، وقطا وقردة . هذا ونشاهد أسماء بعض البلاد التي استولى عليها الفرعون، وغير ذلك من المناظر المألوفة .

وقد كتب في نهاية الموكب النقش التالي : « الغنيمة التي استولى عليها الفرعون في مصر، أراضي بلاد « الكوش » الخاسئين في حادث حملته الأولى المظفرة مع أنه كان وحيدا معتمدا على ساعده القوي، ولم يكن معه شخص آخر . (وإذا[1] كان الإنسان يقص كل حادث قام به هذا الفرعون على حدته فإن ذلك يحرق المدون ومشرات الأكرب ... ويحرق رمال شاطئ النهر جدا » .

والواقع أن هذا النقش لا يدل دلالة واضحة على شيء معين ، اللهم إلا أن الفرعون قام بحملة مظفرة في بلاد النوبة لم يتأكد لنا تاريخها .

وقد عثر على بقايا تمثال « بو الهول » بالقرب من بوابة المعبد السالفة الذكر، نقش على صدر كل منهما اسم الفرعون « تحتمس الثالث » ومن المحتمل جدا أنهما ضمن تماثيل « بو الهول » التي كانت قد نصبت على كلا جانبي الطريق المؤدي إلى بوابة المعبد كما نشاهد ذلك في معبد الدير البحري الذي أقامته « حتشبسوت » .

على أن أهم أثر عثر عليه في هذا المعبد هو اللوحة العظيمة المصنوعة من الجرانيت الأحمر باسم هذا الفرعون، والظاهر أنها قد سقطت من مكانها الأصلي ، وهو واجهة (البوابة) ، وبما يؤسف له أنها قد وجدت مهشمة ، وقد يكون ذلك عمدا . وكان ارتفاعها الأصلي حوالي ٢٢٢ سنتيمترا وعرضها حوالي ١٢٤ سنتيمترا ، أما ارتفاع النقوش الباقية فهو نحو ٨٠ سنتيمترا .

ويشاهد في أعلى اللوحة منظر يحتوي على قرص الشمس المجنح نقش تحته مباشرة : " حور بحدت الإله الأعظم ، ليته يعطي الحياة " ، وأسفل هذا النقش سطران يفصلهما نقوش هي[2] : " إني أعطيك ملايين السنين وأجعل الممالك كلها

---

(١) وحتى علامة أن أحداثه يصعب القيد

(٢) ويحب قائمة الخراج على أن « أرمنت » و « إلفنتين » كانا تضافان حوالها أكثر من أي إقليم في الوجه القبلي

تخضع تحت نعلك، إنى أعطيك كل الحياة والسعادة والصحة، وكل القوة والنصر".
ونشاهد فى المنظر الذى على اليسار الفرعون: ابن الشمس محبوب «تحتمس» رب الصدق وهو لابس لباس الرأس «نمس» وقيما عمدا، يقف أمام الإله «منتو» القتل برأس صقر وجسم إنسان، وخلف الفرعون نشاهد الإلهة «إيوبت» إحدى إلهات الثالوث الأرمنتى، وتلبس على رأسها قرص الشمس، وقرنين وممسكة بيدها اليسرى الفرعون، وتحيه بيدها اليمنى، وخلفها نقش ما يأتى: إنى أعطيك كل الحياة والسعادة والصحة والفلاح، وملك الأرضين تحت سلطانك باقيا مخلدا".

أما المنظر الذى على اليمين فشابه للسالف، إذ نشاهد الملك ثانية أمام الإله «منتو» رب «طيبة» متمثلا فى اللابس غير أن لقبه فى هذه المرة مدون فوقه وهو: "الإله الطيب رب العالم «منخبر رع» معطى الحياة مخلدا". وخلفه نشاهد الإلهة «تننيت» رافعة يدها ولابسة تاج العقاب، والنقوش التى تحتها هى نفس النقوش التى وجدت مع الإلهة «إيوبت». وهاك ترجمة اللوحة [1]: يعيش «حور» (الملك) الثور القوى المضىء فى «طيبة» ملك الجنوب والشمال، صاحب الأرضين سيد القربان «منخبر رع» فى الحياة، «حور» صاحب التيجان المقدسة، شديد البأس، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى — رب الأرضين، وسيد الاحتفالات «منخبر رع» ابن الشمس من جسده «تحتمس» أمير الصدق، محبوب الإله «منتو» رب «طيبة» والقاطن فى «أرمنت» عاش مخلدا [2].
السنة الثالثة والعشرون، الشهر الثانى من فصل الشتاء، اليوم العاشر [3] مرسوم لاحتفال الضحية، والانتصارات التى أحرزها هذا الإله الطيب، وفى كل ساعة مواتية من الجبانة منذ أن وجد حول س

---

(١) راجع Mond & Meyer, Ibid Pl. CIII.

(٢) هذه هى نفس الألقاب الملكية التى يحملها «تحتمس الثالث» كما وجدناها فى نوحه ما كان.

(٣) لا يمكن الباحث أن يعرف من هذا المتن الحادث الذى يشير إليه هذا التاريخ، إذ الواقع أنه يرجع إلى مدة شهرين قبل أى تاريخ معروف لعهد هذا الفرعون أى قبل حضوره فى «مجدو» (السطر، حالية) على رأس جيشه الأولى فى عام ٢٢ الشهر الرابع من فصل الشتاء اليوم الخامس والعشرين، ومن المحتمل إذن أن هذا التاريخ هو بداية حكمه منفردا بعد موت «حتشبسوت».

الناس على أن ما صنعه سيد الآلهة ورب «الكرنك» هو سطر انتصاراته حتى يمكن التحدث عن عودته ملايين السنين فى المستقبل . هذا إذا أغضينا النظر عن ذكر أعمال الشجاعة العظيمة التى كان يقوم بها جلالته بنفسه (هذا فى كلا الفصلين نهاراً وليلاً) وذلك لأن الإنسان لو ذكر كل حادثة بالاسم لأخطأ عددها كلها .

حد من سياحة إلى [illegible] من [illegible] بعد أن تكررت أعماله [illegible] ، وصارت كأنها [illegible] وقد وضع جلالته هدفاً [illegible] من [illegible] آخر ، وهو هدف سمكه ثلاث أصابع وقذف عليه من سهامه ، فقد يخرج السهم منه من الهدف مقدار ثلاثة أشبار من الجانب الآخر . وإنى أتكلم على حسب ما قام به فعلاً دون مين أو كذب وقد حدث ذلك أمام كل الجيش ، وليس فى ذلك كلمة مبالغ فيها .

وإذا اتفق أنه خرج للصيد فى أية صحراء فإن عدد غنائمه يكون أعظم من غنائم كل الجيش ، فقد أردى بسهامه سبعة أسود عندما خرج للصيد فى لمح البصر ، وكذلك استولى على قطيع من الثيران البرية فى ساعة ؛ حتى أنه عندما حان وقت تناول الإفطار كانت ذيولها له بجوزت [illegible] خلفه . وقد قضى على مائة وعشرين فيلاً فى جبال إقليم «نى» عند ما كان عائداً من بلاد «نهرين» وقد عبر نهر الفرات وخرب البلاد التى على شاطئيه ، إذ محاها النيران إلى الأبد ، وأقام لوحة انتصاره على شاطئه الشرقى ، وكذلك أردى خرتيتاً عندما كان يقوم برحلة طراد فى إقليم صحراء بلاد النوبة ، عندما ذهب إلى إقليم «ميو» باحثاً عمن ثار عليه فى هذه الأرض ، وأقام لوحته هناك كما فعل على شاطئ النهر (أى نهر الفرات) ولم يتوان جلالته فى الذهاب إلى بلاد «زاهى» (سوريا) ليقضى على الثائرين الذين كانوا هناك ، ويوزع العطايا على من ظهروا على الولاء له ، ويشاهد أسماءهم [illegible] كل ملك على حسب وقته (؟ ؟) . وقد كان جلالته يعود فى أثر كل حادثة بحسه [illegible] بالقوة والنصر . وقد جعل مصر على الحالة التى كانت عليها عندما كان «رع» ملكاً عليها (أى أن الحالة كانت مزدهرة) .

[لاريخ (؟) السنة الثانية والثلاثون الشهر الرابع من الشتاء اليوم (؟)] . الخروج من «منف» لقهر الأقاليم و [illegible] الخاصة فى أثناء مرحلة مظفرة [illegible] على [illegible] [[illegible]] وقد شق جلالته طريقه وهشم كل من خطفه (أى أمام جيشه) من العربات التى كانت تسير كأنها جيش فى السير ، وكان هو على رأس جيشه كله ، فى حين أن العربات كلها كانت مصطفة مستعدة للمواقعة عند فم الوادى [illegible] وقد عبر «الأردن» فى رحاب [illegible] ، ورفعوا الأخبار إلى مدنهم وهم [illegible] تهم التى كانت فى [illegible] [illegible] بيوت [illegible] وهاجمهم على ظهورهم ، وقد عاد جلالته فرحاً ، وأصبحت كل هذه البلاد الأجنبية من رعاياه [illegible] وقد حضر الأسير [illegible] بجوار عجلة الحربية [illegible] السنة الخامسة والعشرون الشهر الرابع من فصل الشتاء [illegible] .

اللوحة تلخص أعمال تحتمس الثالث : والظاهر من مضمون هـذه اللوحة أن « تحتمس الثالث » بعد أن أتم حروبه أراد أن يضع ملخصاً لها في معبد الإله « منتو » إله الحرب ، كما أنه أراد أن يضع أمام الشعب المصرى ما قام به من ضروب الشجاعة في الصيد والقنص مما لم يسبقه إليه أحد ، وكذلك في فن الرماية وإصابة الهدف مما لم يجاره فيه أحد من قبله حتى تولى ابنه « أمنحتب » الثانى ضروب الرقم القياسي في هذا المضمار كما سيجيء بعد ، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن هذه اللوحة لم تؤرخ بسنة محددة ، ولكن تدل ظواهر الأمور على أنها دونت بعـد حملة المظفرة التي قام بها إلى بلاد النوبة في السنة الواحدة والخمسين ، ويدل على ذلك إشارته إلى لوحة « بركال » التي أقامها في السنة السابعة والأربعين إذ يقول : والقائم لوحته هناك كما فعل على شاطئ النهر ؟ » والمرجح أنه يشير هنـا إلى « نهر الفرات » .

وقد أشار « تحتمس الثالث » في لوحته هـذه إلى حسن سياسته في معاملة الولايات التي فتحها في « سوريا » إذ تخبرنا أنه كان ينصب في حـلاته إلى هذه البلاد ليقهر العصاة ويوزع الهدايا على من كان موالياً له من الأمراء هناك .

وفي «صفون» (أسنا) في نقش من عهد الإمبراطور « كلوديوس » نجد ذكر اسم لوحة عظيمة لهـذا الفرعون[1] ، وفي معبد الإله « سبك » بمدينة « الكاب » عثر على واجهة معبـد نقش عليها اسم « تحتمس الثالث »[2] ، يضاف إلى ذلك أنه يوجد في هـذه الجهة معبد صغير محاط بطاقة من العمد مثل معبـد « الفنتين » الذي تهدم[3] .

---

(١) راجع : L. D., IV, Pl. 8a.

(٢) راجع : Champollion, "Notices" P. 266

(٣) راجع : Wilkinson, "Topography of Thebes" P. 430.

ويوجد في معبد أدفو نص من عهد البطالمة يحدثنا أن تحتمس الثالث أقام معبدا للإلهة «حتحور» في هذه الجهة[1].

آثاره في كوم امبو والقنتين : وكان يوجد في «كوم امبو» (بوابة) عظيمة أمام حرم المعبد الكبير أقامتها الملكة «حتشبسوت» ، ولكن «تحتمس الثالث» هو الذي حفر نقوشها ، ويلحظ أن البطالمة كانوا قد أصلحوا جبهة هذه البوابة[2]. غير أن هذه المباني قد طغى عليها النيل ، ويوجد في هذا المكان كذلك عتب باب نقش عليه اسم «تحتمس الثالث» وكان لا يزال موجودا إلى عهد قريب[3].

وفي الفنتين أقام «تحتمس» معبدا على الجزيرة للإله «خنوم»[4] ، وكان هذا المعبد لا يزال قائما حتى عام ١٨٢٢ حيث أمر بهدمه لبناء قصر محمد على الكبير في هذه الجهة ، ولا تزال بعض قطع من أحجاره مبنية في جدار «المرسى» غير أننا لا نعلم من أي معبد أتى بها ، إذ كان يوجد في الجزيرة معبد آخر ، والظاهر أنها من معبد أقامه «تحتمس» وأصلحه البطالمة ، وقد عثر كذلك على قطعة حجر عليها اسم هذا الفرعون عند محطة أسوان ، وقد ذكر أن مسلة من معبد «الفنتين» موجودة في بيت «سيون» (راجع Birch, "History", P. 102.) وعليها اسم هذا الفرعون ، ووجدت في هذه الجهة لوحة يشاهد عليها «تحتمس الثالث» يتعبد إلى ثالوث أسوان ، وهم الإله «خنوم» والإلهة «عنقت» والإلهة «ساتت» ومن المحتمل أن هذا الفرعون قد أقام معبدا على جزيرة «بجة» إذ وجدت تماثيل هناك (راجع Lepsius, "Letters" I. pp. 101 & 218, Wilkinson, "Topography of Thebes" P. 470.).

---

(١) راجع A. Z. IX, P. 97

(٢) راجع L. D. III. Pl. 281.

(٣) راجع A. Z., XXXI, P. 78.

(٤) راجع Budge, "A History of Egypt", Vol. IV. P. 135; Urk. IV P. 822

آثاره في بلاد النوبة : أما في بلاد النوبة فنجد أن «تحتمس الثالث» مبانى أثرية كثيرة جداً تشهد بنشاطه العظيم المنقطع النظير في هذه الأقاليم ، إذ نجده في كل موقع أثرى قد خلف هناك إقامة المعابد للآلهة العدة . ففى «كلابشة»[1] عثر له على تمثال من الجرانيت في المعبد القائم هناك ، وكذلك وجدت قطعة من الحجر عليها اسمه .

وفى «كوبان»[2] يوجد نقش عليه اسمه . وفى معبد «دكة»[3] جاء ذكر «تحتمس الثالث» وفى معبد «كورتى»[4] عثر على حجر باسم «تحتمس الثالث» كما وجد اسمه فى قطع أساس المعبد الذى كان قد أعيد بناؤه فيما بعد . أما فى معبد «أماده» فقد وجدت بوابة به نقش على أحد جانبيها اسم «تحتمس الثالث» ، وعلى الجانب الآخر نقش اسم «أمنحتب الثانى» ابنه ، فى حين أن اسميهما وجدا سوياً على العتب ، وهذا النقش يدل على اشتراكهما فى الحكم سوياً[5] . وكذلك نجد فى نفس المعبد لوحة عظيمة نقشت فى السنة الثالثة من عهد «أمنحتب الثانى» ، وقد جاء فيها أن هذا البناء كان قد أتم فى نهاية حكم «تحتمس الثالث» وأن اشتراك هذين الملكين فى الحكم لم يدم طويلاً . يضاف إلى ذلك أنه يوجد فى نفس المعبد منظر نشاهد فيه الإلهة «الزيس سلكت» تضم إليها «تحتمس الثالث»[6] . وقد جاء فى إهداء هذا المعبد ما يأتى : «الإله الطيب رب الأرضين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى منخبر رع بن الشمس محبوبه تحتمس حاكم العدل ، وهو الذى أقامه بمثابة أثر لوالده «حور اعنى»

(١) راجع : Baedeker, "Egypt", P. 307.
(٢) راجع : Murray, "Guide" P. 534.
(٣) راجع : Stuart, "Nile Gleanings" P. 136.
(٤) راجع : Lepsius, "Letters" P. 124.
(٥) راجع : L. D. III, Pl. 65b.c.
(٦) راجع : L. D. III, Pl. 45.
(٧) راجع : L. D. III, Pl. 45d.

الإله العظيم رب السماء ، فأقام له سبيلا ، من الحجر الصلب ، ابتغاء أن يعطيه الحياة الأبدية »
راجع Urk IV P. 822 .

وفي « الرزيقات » توجد مناظر صور فيها « تحتمس الثالث » يتعبد للإله « رع »
والإله « ديدون » والإله « ستوسرت الثالث » . وكذلك نشاهد كلا من الإلهة
« واوريت » والإلهة « موت » تحتضن الفرعون ، كما نشاهده يقدم القربان للإلهة
« حتحور » ، والإله « حور » ، صاحب « بوهن » وما عم (عنيبة) ، والإله
« ناحلس » . وكذلك عثر له في هذا المكان على لوحة مؤرخة بالسنة الحادية
والخمسين — الشهر الثاني من فصل الصيف — اليوم الرابع عشر من حكم جلالة
الثور القوي « تحتمس » ويأتي بعد ذلك أوصاف الملك وما قام به من ذبح
الأعداء والتغلب عليهم بقوة الإله حور صاحب « ماعم » (عنيبة)، وأن جلالته
قد وصل إلى قرن الأرض ليهزم الأسيويين ، وهذا يدل على أن أعمال هذا
الفرعون كانت مضطردة حتى آخر أيام حكمه[1] .

وفي « ابريم » توجد مقصورتان في الصخر، واحدة منهما عليها اسم « تحتمس
الثالث » وفي داخلها نشاهد صور الملك يتعبد للإله « حور » صاحب « ماعم »
أما الأخرى فنشاهد على جدرانها نفس الفرعون يتعبد للإله « حور » صاحب
« ماعم » والإلهة « ساتت »[2] . وهاتان المقصورتان قد حفرهما « نحي » حاكم
السودان الملقب « بابن الملك » وأهداهما لهذا الفرعون .

وفي « وادي حلفا » أقام « تحتمس الثالث » معبدا من اللبن للإله « حور »
صاحب « بوهن » وقد نقش « تحتمس » على عمود فيه لوحة مؤرخة بالسنة
الثالثة والعشرين من حكمه ، وهذه اللوحة تشبه في كثير من عباراتها اللوحة التي

---

(١) راجع : Ibid, 46.

(٢) راجع : Urk. IV. P. 810-13.

(٣) راجع Champollion, "Notices" P. 79.

نقش في «جزيرة» الواقعة بالقرب من «ابريم»، والظاهر أن كاتب الأخير قد نقل كل الجمل المألوفة والاصطلاحات المبهمة ومثل هذه النقوش من لوحة وادي حلفا.[1]

ولا غرابة في أن يكون «نحى» حاكم السودان هو الذي نقش الملك هذين اللوحين فهو الذي كان مشرفا على أعمال التعمير في قلعتي «سمنه وقمة» وإعادة معابدها، وتجديد آثار «سنوسرت الثالث» كما ذكرنا من قبل،[2] ولقد أقام نحى هذا معبدا في جزيرة «ساى» الواقعة على خط عرض ٢٠/٤٢ شمالا ولا تزال بقاياه موجودة هناك حتى الآن.[3]

وفي «دوشة» شاهد منظرا رسم فيه «تحتمس الثالث» و«سنوسرت الثالث» معا، وكذلك «تحتمس الثالث» يقدم قربانا إلى «حور باخلس».[4]

ويعتبر «تحتمس الثالث» المؤسس لمعبد «صولب» العظيم، وهنا كانت تقوم المؤسسة العظيمة «متوخم ام ماعت» الواقعة عند الشلال الثالث، وهذا المعبد قد زاد به كثيرا الفرعون «أمنحتب الثالث».[5]

وأخيرا نجد اللوحة العظيمة التي عثر عليها «دي زربه» بالقرب من جبل «بركل» عند الشلال الرابع.

ومما سبق نرى نشاط هذا الفرعون المنقطع النظير في كل أنحاء الامبراطورية من دكرنا، وربما كان القليل مما تخفيه تربة مصر في جوفها من آثار هذا الملك، إذ تطالعنا الكشوف كل يوم بالعجب العجاب من آثاره التي ترفع من شأنه وتعلي من مكانته في ميدان الحروب والسياسة والعلم. ولا أدل على ذلك مما كشف له حديثا في معبد «أرمنت» وبخاصة اللوحة العظيمة التي تمدنا من نواح كثيرة من «نواحي» حياته كما أسلفنا ذلك.

(١) راجع: Urk. IV. P 806-10.

(٢) راجع L. D. III, Pls. 47-56, 57-59a, 64b.

(٣) راجع: Ibid, Pl. 59b-c.

(٤) راجع: Ibid, Pl. 59. d, e.

(٥) راجع: Budge, "A History of Egypt", IV. P 59.

لوحة جبل بركل(1) : ولما كانت هذه اللوحة من الأهمية بمكان آثرنا أن نأتي هنا على تاريخها وترجمتها حرفياً : عثر الأستاذ « ريزنر » على لوحة الفرعون « تحتمس الثالث » مصنوعة من الجرانيت الأحمر في الردهة الأولى من ردهات معبد الإله « آمون » العظيم في جبل « بركل » ، وقد عثر عليها في داخل هذا المعبد أمام العمود الثاني من الصف الثاني من الجهة الشرقية في الجزء الشمالي من هذه الردهة ، ولا بد أنها كانت بطبيعة الحال مرتكزة على هذا العمود في خلال عهد الاحتلال المروي الأخير لهذا المعبد ، وتدل محتويات هذه اللوحة على أنها كانت في الأصل قد أقيمت في « بركل » في غير هذا المعبد (B. 500.) ويفهم من كل المعلومات التي لدينا حتى الآن أنه لا يوجد في هذا المعبد حجر يرجع عهده إلى ما قبل الجزء الأخير من الأسرة الثامنة عشرة ، يضاف إلى ذلك أنه ليس لدينا إلا معبد واحد يمكن نسبته إلى عهد « تحتمس الثالث » وهو (B. 300. first)؛ وقد خلف الفرعون « طهرقا » خرائبه وبنى على أساسه معبداً آخر (B. 300. Second)؛ وإذا كانت هذه اللوحة قد أقيمت في هذا المعبد كما يعتقد الأستاذ « ريزنر » فلا بد أن « طهرقا » قد نصبها في معبده الجديد أو نقلها إلى الردهة الأولى في المعبد (B. 800. Second) حيث توجد الآن لوحتان وتمثال الفرعون « بعنخي » على أن هذا مجرد زعم ولكن يجوز أن « طهرقا » قد أسند هذه اللوحة على العمود الذي وجدت بجواره ، وبقيت في مكانها طوال القرون التي تلت وهاك ترجمتها

التاريخ : « السنة السابعة والأربعون الشهر الثالث من فصل الفيضان اليوم العاشر من حكم جلالة « حور » (يأتي بعد ذلك الألقاب « تحتمس الثالث ») .

الإهداء : لقد عمل (هذا) بمثابة أثر لوالده « آمون رع » رب « الكرنك » في قلعة « دوع الأجانب » (جبل برقل) وأقام له مأوى للأبدية لأنه (أي آمون رع) جعل انتصارات جلالته أعظم من انتصارات أي ملك كان ، وقد استوليت على قوم الجنوب بأمر حضرته ، وعلى الشمالي بإرشاداته ، وهو الذي جعل ابن رع « تحتمس الثالث » حاكم « طيبة » يعطى الحياة مثل « رع » مخلداً » .

---

(1) راجع : Reisner, A. Z. LXIX, 31.

قوة تحتمس الثالث — الإله الطيب الذي يبطش بيمينه ، والذي يضرب الجنوبيين ، ويحطم رءوس الشماليين ، والذي يهشم رءوس القوم الأشرار ، ومن يوقع مذبحة بين « الآسيويين » ويجعل عصاة بدو بلاد النوبة ، ويصل إلى نهاية الأراضي التي هاجمته ، والذي يتقدم عندما يطرد منه أي إنسان في ميدان القتال ، وقد وقفت أمامه كل البلاد الأجنبية متحدة واحدة مستعدين للقتال ، ولم يكن هناك ما يعوق الفرار قط ، وذلك لأنهم كانوا يعتمدون على جموع عظيمة من المحاربين ، [illegible] من الرجال [illegible] . ولقد جاءوا بقلوب قوية ، ولم يستولوا على أي رجل ، ولكن هذا الإله القوي القلب طبق عليهم [illegible] الساعد التي بها أعداءه . وإنه ملك محارب منفردا دون وجود جموع خلفه ، وإنه أحسن من ملايين الجنود ، لا يوجد من يضارعه إنه هو محارب منقطع النظير في ساحة القتال ، لا يثبت أحد أمامه ، والذي يهزم دفعة واحدة كل الأراضي الأجنبية ويحسر على رأس جيشه [illegible] القصاص [illegible] ، وكالشهاب المنقض بين قوس السماء عند ما يخترق القبة الزرقاء ، وهو الذي [illegible] ... فإذا عليه [illegible] كأنه نار ، وهو الذي يجعلهم لا حول لهم مستحيلين في الدماء ، [illegible] ورأسه [illegible] تتغلب على أعدائه ، وهو الذي هزم [illegible] في ساعة ، واختفوا كلهم كأنهم لم يوجدوا قسطا [illegible] (٣) ، وذلك على غرار ما أتاه الإله الطيب العظيم القوة في القتال بساعده ، وهو الذي يوقع المذبحة بين كل الناس ، [illegible] الوجه القبلي والوجه البحري « [illegible] » [illegible] كل أرض ، [illegible] (مصر) في ساحة القتال ، [illegible] الذي لا يخشى [illegible] ، الثور القوي القلب من حدوده الجنوبية عند الأرض [illegible] آخر أقاصي هذه الأرض ، ومن حدوده الشمالية عند [illegible] « آسيا » الشمالية [illegible] وإنهم يأتون إليه حاملين الجزية [illegible] الحياة .

حملة سورية : تخريب البلاد الواقعة غربي نهر الفرات .

[illegible] في [illegible] « [illegible] » (إله الحرب) [illegible] ولكن لا يستولى [illegible] كل البلاد الأجنبية الخارجة دون أن [illegible] في بلاد « [illegible] » [illegible] ، [illegible] وأسكت [illegible] جعلها كأن لم تكن بالأمس ، وحطم كل [illegible] ، [illegible] أسرى أحياء ، [illegible] وكذلك مواشيهم ، واستولى [illegible] على [illegible] (٣) [illegible] عليهم واقتلع كل أشجارها كلهم ، [illegible] كانت [illegible] ... [illegible] جلالته حتى أصبحت [illegible] ... الأشجار فيها .

[illegible] على نهر الفرات : والآن سار جلالته نحو الحدود الشمالية من « آسيا » ، [illegible] هناك عدد كبير من [illegible] من خشب الأرز على شاطئ أرض الإله بالقرب من « [illegible] » ،

(سورس) وقد حلف على عربات (ذات عجل) تجرها ثيران ، وقد سافرت قبل جلالتي لأجل أن أعبر بها ذلك النهر العظيم الذي يجري بين هذه البلاد الأجنبية و « نهرين » .

عبور الفرات وعبوره نهرين : « ولقد عبرت ... (جنود) ساعده في الرائعة ، وعابر « الفرات » منتصرا أثر مهاجمه على أمر جيشه ، وبإسناد من خالق السماء والشمس في أرض التي الأجنبيه (أعمال) تأمل ! لقد هرب أمام جلالته متجها إلى أرض أخرى وهي مكان بعيد ، وعمل ذلك أقام جلالتي لوحة على جبال « نهرين » وقد نحتت في الصخرة على الضفة الغربية من نهر الفرات .

انتصار تام بأمر الإله رع . لم يبق لي عدو في الأراضي الجنوبية ، وأقوام الشمال يأتون منحنين لتقبيل الأرض أمام الإله « رع » الذي أمر بذلك . ولقد ملكت كل ما يحيط به « رع » وقد منحني الأرض طولا وعرضا ، وحدث لي في حرب واحدة قبائل الأقواس التسع والجزر التي في وسط البحر ، وجزر اليونان ، وهي الأراضي الثائرة عدوة مصر ، وقد حلت بقوا هو مصر بعد أن أعملت السيف في « نهرين » التي كانت ... مرعبها في مع البحر ، فقلبت أوراقهم بسبب ذلك ... قلوبهم من الذعر (الملك) هو ملك يقاتل بنفسه ... أو من جزء لعسر (!) بأجمعهم كل الأرض بسيفه دون أن يجوبها ملايين الناس ، يصيب الهدف كل مرة يرمي فيها سهامه لا تخطئ الهدف ، وإنه بطل منقطع القرين ، والإله « منتو » الشجاع في ساحة القتال .

صيد القيلة : والآن أتحدث لي فرصة النصر أمر بها لي الإله « رع » إذ حيا لي عملا عظيما من أعمال الشجاعة عند مورد مياه بلدة « ني » عندما جعلني أتصادم مع قطيع من الفيلة ، فحارب جلالتي عددها مئة وعشرين فيلا ، ولم يحدث مثل هذا قط على يد ملك منذ عهد الإله من أولئك الملوك السابقين الذين تسلموا التاج الأبيض . وقد أقص هذه الأشياء دون غلو ومن غير كذب . وقد اعترته على حسب ما أمرني به والدي « آمون رع » رب الكرنك الذي يرشد جلالتي إلى الطريق السوي بنصائحه الممتازة . فهو الذي وحد لي الأرض السوداء والأرض الحمراء ، وكل ما يحيط به الأرض أصبح في قبضتي .

الحملة الأولى على بلاد رتنو : والآن أقص عليكم أعمالا (أخرى) فاستمعوا أنتم أيها الناس . لقد أمر لي (آمون) كل أراضي « رتنو » في الحملة الأولى عندما أتوا لمحاربة جلالتي ملايين الرجال ومئات الآلاف الناس من رؤساء كل البلاد الأجنبية ، ووقفوا على عرباتهم وكان عددهم ٣٣٠ أميرا كل أمير منهم على رأس جيشه .

موقعة مجدو : والآن كانوا في وادي « قنا » والواقع أنهم كانوا قد ضربوا معسكرهم في صحبه (!) ولقد أحرزت فوزا عليهم ، إذ هاجمهم جلالتي فهربوا في الحال وتساقطوا أكواما من القتلى .

حصار مجدو : وبعد ذلك ضربوا عليها حصاراً حاصرها جلالته سبعة أشهر دون أن يخرجوا إلى أن خرجوا متضرعين لجلالته قائلين : امنحنا نفسك يا سيدنا لأن أهل « رتنو » لن يعودوا إلى ثورة ثانيـة .

استسلام مجدو : وبعد ذلك أرسل عظيم قادش اللعين كما بعث الرؤساء الذين كانوا بصحبته إلى جلالته كل من معهم حاملين الهدايا الكثيرة من الذهب والفضة ، وكذلك جيادهم ومعها عرباتهم المصنوعة المصفحة من الذهب والفضة ، وكذلك العربة ... هذا إلى دروع حربهم الحربية وقسيهم ونشابهم وأسلحتهم الحربية وهي التي كانوا قد أتوا بها من بعيد لمحاربة جلالته ، وقد جلبوها الآن هدايا لجلالته ، وقد كانوا يقفون راكعين على جدرانهم متضرعين لـ (الكسرع) جلالته طالبين أن يمنحوا نفس الحياة .

سفر الرؤساء : وبعد ذلك سمح لهم جلالته أن يعودوا بجميعهم إلى مدنهم ، ولقد رحلوا كلهم ممتطين ظهور حميرهم ، لأني كنت قد استوليت على خيل عرباتهم ، وأخذت أهل مدنهم غنيمة كما استوليت على ماشيتهم .

الإله آمون رع أخضع كل العالم لك : ولقد رأى الإله (آمون رع رب الكرنك) الذي منحها إذ أنه لم يكن مظفر صاحب المشاريع التي لا تخيب ، وهو الذي بعث جلالتي لأستولي على كل أراضي أقوام الأجانب جميعاً ، ولقد هزمتهم على حسب ما أمرني بالسبل التي اعتاد العمل بها ، ولقد جعلني أضرب كل الأقوام الأجنبية دون أن يصر أحد على جانبي ، وسيطاف هو الذي تغلب على العدو ، وسهامي هي التي ضربت قبائل الأقواس التسع ، وجلالتي أخضع كل البلاد ، وأرض « رتنو » أصبحت تحت نعلي ، وأهالي بلاد الجزيرة صاروا عبيد جلالتي .

جزية البلاد الأجنبية : وإنهم يقدمون جزيتهم ، فقدمت جزية من ملايين المحاصيل للعدد من آخر العالم ويشمل ذلك ذهب بلاد « واوات » على مقدار هذا .

ما يدفع زيادة من السفن والخشب من بلاد كوش : ويقوم هناك العلاوة (أي الله له الحياة والسعادة والعافية والصحة) كل سنة ثماني سفن (تنو) وسفن نقل ، عدا عمدا من البحارة مضافة إلى ذلك الجزية التي يأتي بها الذين يعيدون من العاج والأبنوس ، وكذلك يحضر من « كوش » ويشمل الأواني من خشب العود وخشب « بت » (أو أثاثاً من الخشب) (؟) لا حصر لها من هناك من خشب ... من أرض العنيوت ، وكان يجني يحفظها من « كوش » وكانت توجد هناك بوفرة (!) ، وكذلك عدد عظيم من سفن النقل من خشب « ما » ولقد أحضره جلالتي مظفـــراً .

خشب الأرز من زاهي : وقد قطع لي من «زاهي» خشب أرز حقيقي من «[illegible]» أحضر من البلاط (أي الذي له الحياة والسعادة والصحة)، وقد كان يؤتى لي بخشب منه لمصر أحمر [illegible] ..

خشب الأرز من بلاد نـاباو : وقطعت قطع من خشب الأرز الحقيقي من «[illegible]» من أحسن ما يحبه [illegible] الإله [illegible] الزمن [illegible] لأجل أن تصل إلى البلاط دون أن تمضي الفصول [illegible] كل سنة (أي في قطعها وإحضارها).

خشب واواتا : ثم [illegible] في [illegible] «واواتا» ... الذي من [illegible] جلالتي [illegible] والذي «آمون رع» الذي أمر لي بالسيطرة على كل الأقوام الأجنبية [illegible] (أي من خشب الأرز) للأسيويين لأنه الخشب الذي يحبه «آمون» ، وأنه هو الذي [illegible] ... وأقوامهم [illegible] (؟).

خطاب الفرعون لقوم الجبل المقدس : ويقول جلالتي : استمعوا إلى أهل الجنوب الذين في الجبل المقدس الذي كان يسمى «[illegible]» [illegible] (أي المصريين) (؟) [illegible] لم تكن معروفة بعد، لأجل أن تعرفوا قوة «آمون رع» [illegible] أمام وجه كل الأرضين.

أعجوبة النجم : .. وكان الحراس ؟ [illegible] ليلا ليخفروا [illegible] وكان يوجد حارسان [illegible] وجها لوجه، ولما [illegible] نجم من جنوبيهما [illegible] ولم يكن قد حدث مثل ذلك ، ثم [illegible] في الجهة الثانية [illegible] مباشرة (أي في الجهة الشمالية) ولم يبق إنسان واقفا هناك (أو حيا).

هزيمة عدو : (يحتمل أن ما جاء في [illegible] السطر السادس) ... [illegible] أكوام من القتلى والأشلاء [illegible] على [illegible] ولم يجد واحد منهم [illegible] ولم يمكنه أن [illegible] خلفه ولم يجدوا [illegible] التي كانت له [illegible] ...

العودة إلى مصر : .. لأجل أن أجعل كل الأراضي الأجنبية تحت سلطة جلالتي [illegible] حضرت [illegible] (آمون رع رب الكرنك) .. وهو الذي [illegible] الانتصارات ، والذي يجعل [illegible] في كل الأقوام الأجنبية [illegible] وكل ما يعمله الإله «شو» أصبح [illegible] تحت [illegible].

خطاب الفرعون لرجال الحاشية : وقال جلالتي [illegible] ... لأني [illegible] بسبب القوة والنصر اللذين أعطانيهما والدي القادر «آمون رع رب الكرنك» وهو الذي جعلني سيد أقسام الأرض

التماثيل . يوجد لهذا الفرعون تماثيل عدة ، غير أن الكبير الحجم منها على وجه عام قليل . ففي الكرنك عثر له على قاعدة تمثال ضخم جالس من الحجر الجيري الأبيض الصلب ، في النهاية الغربية من واجهة البوابة الثامنة[1] ، وفي المتحف البريطاني يوجد له رأس تمثال ضخم من الجرانيت الأحمر ولا يعرف أين جسمه حتى الآن[2] . وفي متحف القاهرة له تمثال أكبر من الحجم الطبيعي بقليل من الحجر الجرانيتي الأحمر عثر عليه في «الكرنك» ، وقد كان موضعه في الحجرة التي تقع على محور محراب مباني «تحتمس الثالث» في النهاية الشرقية للمعبد[3]، وكذلك كشف له في الكرنك عن تمثال جالس من الجرانيت مهشم قطعا وركبت أجزاؤه بعضها مع بعض[4] ، والواقع أنه كان يوجد له عشرات التماثيل في معبد الكرنك ، كما ذكر ذلك «بريستد»[5] .

وفي متحف «تورين» يوجد تمثال جميل من حجر الديوريت الأسود والأبيض[6] ، ويوجد له تمثال آخر جالس من الجرانيت الرمادي القاتم بدون رأس عثر عليه في بلاد النوبة ، ويحتمل أنه عثر عليه في «الفنتين» وذلك لأنه وجد عليه أسماء آلهة هذه البلدة ، وهو الآن بمتحف «فلورنس» بإيطاليا[7] .

أما في المتحف المصري فيوجد له التمثال العظيم المصنوع من الشيست الأخضر اللون ويعد من القطع الفنية النادرة المثال وعمامة الرأس الذي يمثل صورة صادقة (راجع .A Brief Description of the Principal Monuments (1946) P 31)

---

(١) راجع Mariette "Karnak", Pl. 386.
(٢) راجع Petrie, "History", II, P. 137
(٣) راجع Mariette, "Karnak" P. 34
(٤) راجع Virey, Guide Mus. Giza P. 214
(٥) راجع Mariette, "Karnak", P. 36.
(٦) راجع Lanzone, "Cat. Turin" P. 1376.
(٧) راجع Schiaparelli, "Catalogue", P. 1503.

كما يوجد له تمثال آخر حطك منحوت من المرمر الأبيض يمثله راكعا وفي يديه إناءان يحتويان خمرا أو ماء وقد عثر عليه في دير المدينة (راجع Ibid. P. 32).

هذا إلى تمثالين له في صورة « بو الهول » نحتا من الجرانيت الأحمر القاتم عثر عليهما في قاعة الأعياد بالكرنك - وعلى الرغم من أنهما يمثلان توأمين فإنه توجد بعض اختلافات في صنعهما (راجع Ibid. P. 134.).

وفي العرابة المدفونة توجد بقايا جذع تمثال ومرشه نقش عليه اسم « تحتمس الثالث »[1] وفي الأسكندرية يوجد لهذا الفرعون تمثال نقش عليه « تحتمس الثالث» محبوب « أنحت » سيدة « دنترة »[2]، وله كذلك جزء من تمثال خلف معبد الكرنك، وقطعتان من تمثالين وجدتا أمام البوابة الأولى لقاعة العمد في الأقصر[3] كما وجد له تمثال صغير من الجرانيت الأحمر في الكرنك[4]. وفي مرسيليا وجد له تمثال من البرنز غير أنه لم يذكر في الدليل الذي كتبه «مسبرو» هذا المتحف[5] وقد جاء ذكر تمثالين له في نقوش « تحتمس الرابع »[6]، وفي حجرة خلف قاعة العمد في معبد « تحتمس الثالث » بالكرنك وجد تمثالان من الجرانيت الأحمر في صورة « بو الهول » ومعهما مائدتا قربان[7]، هذا وفي المتحف البريطاني لوحة رسمت عليها صورة هذا الفرعون، وقد قسمت هذه اللوحة إلى مربعات يقصد بها تسهيل نسب رسم أجزاء التمثال (راجع Arundale & Bonomi, "Gallery". P. 33).

---

(١) راجع : Mariette, "Abydos" 348-9.

(٢) راجع : Brugsch, "Recueil" IX, 3. P. 18.

(٣) راجع Wiedemann, "Geschichte". P. 358.

(٤) راجع : Virey, Cat. Guizeh P. 192

(٥) راجع : Petrie, "History", II, P. 137

(٦) راجع : Mariette, "Karnak", 33.

(٧) راجع : Virey Cat. Guizeh 221-2. & Mariette, "Karnak", Pl. 32, b. PP. 34, 55.

أما لوحات «تحتمس الثالث» فيرالى في متحف القاهرة من اللوحات المطلية مثل لوحة النصر ولوحة «أرمنت». وتوجد له لوحة في «تورين» مثل طيب تمجد للإله «مين»[1]، وله لوحة أخرى في محراب الأمير «وازمس»، يظهر فيه «تحتمس الثالث» يتعبد لجلالة «تحتمس الأول» والأمير «وازمس»، وكذلك وجدت له قطعة حجر يعتقد أنها مقعد القارب المقدس الذى يوضع فيه بعد الطواف محمولا على أكتاف الكهنة في أرجاء المعبد الكرنك نظير هذه القطعة. (راجع & Arundale & Bonomi, "Gallery", P. 34.
Wiedemann, "Geschichte", P. 366.).

وفي متحف الفاتيكان مائدة قربان حجرية نقش عليها اسم هذا الفرعون،
(راجع Massi, "Description", P. 34.).

وفي سالوبيك توجد مائدة قربان أخرى عليها اسمه (راجع A. Z. VI. P. 79.)

ويعرف لهذا الفرعون عدة أوان من المرمر[2]، وأهمها التي ذكر عليها سعتها، ففي «لورين» إناء يسع تسعة «هنا» غير أنه وجد مملوءا بالقار (؟) وآخر في متحف القاهرة يسع واحدا وعشرين «هنا»؛ ولما كان حجمه يعادل ٥٨١ بوصة مكعبة في ذلك نستنتج أن الهن يعادل ٢٧٧ بوصة مكعبة في هذه الحالة.

ويوجد لهذا الفرعون إناءان من الزجاج نقش على كل منهما لقب هذا الملك وهو «منخبر رع»، وهما أقدم قطعتين من الزجاج عرف تاريخهما، وقد ظهر فيهما السهولة في عمل الزجاج وصرعة مادته[3]، ويوجد له لوحتان صغيرتان في متحف «مرسيليا» نقش على كل منهما اسمه[4].

---

(١) راجع Lanzone, Cat. Turin. 1460,

(٢) راجع Petrie, "History", II. P. 99.

(٣) راجع Revue Critique LXII, 6. & Maspero, "l'Archeologie" Egyptienne P. 250.

(٤) راجع Wiedemann, "Geschichte", P. 368.

هذا وقد وجدت له زينة مما يزين به لباس الرأس للإله « آمون » عليها اسم الفرعون « تحتمس الثالث » كما وجد له طبق على شكل سمكة مصنوع من الصخار الأحمر المطلي ، هذا إلى محبرة كتابة باسم « تحتمس الثالث » محبوب آمون وسنتاح .

ولم نعثر على بردى من عهد « تحتمس الثالث » إلا القليل ، منها ورقة في تورين رقم ١ ، وتقص علينا كيف أن كاتبا يدعى « وسر آمون » قد خدم المليكة مدة حسين عاما ، ولما كانت هذه الورقة مؤرخة في السنة الخامسة من عهد ذاك الفرعون ، فلا بد أنه بدأ خدمته في منتصف حكم « تحتمس الأول » .

الجعـارين : أما الخواتم التي تنسب إلى « تحتمس الثالث » فقد صنعت من كل المواد إلا الصخار المطلي الذي لم يظهر استعماله إلا في عهد « تحتمس الرابع » أما الجعارين التي صنعت في عهد هذا الفرعون فهي أكثر من أي جعارين صنعت في عهد أي ملك آخر ، ولدينا عدد عظيم من الجعارين تحمل طغراء « تحتمس الثالث » وكل واحد منها يشير إشارة صريحة إلى حادث معين أو مرحلة معينة خاصة من مراحل حياة هذا الفرعون ، وهذه الجعارين تشبه في حجمها جعارين المليكة « حتشبسوت » التذكارية مثال ذلك[1] : جعران من الذهب نعلم منه أن « تحتمس الثالث » ولد في طيبة ، وكذلك جعران رسم عليه « تحتمس الثالث » وهو يقتل الإعداء بحوق سهمه الرماية[2] ، وإذا كان هذا الرسم لا يدل على حادث معين فإنه يذكرنا على أية حال بالجعارين التاريخية التي نقشها « أمنحتب الثالث » عن الصيد والقنص .

كما وجد له جعران كتب عليه « تحتمس الثالث » متغلب على جميع أعدائه وهنا نجد أن كلمة أعداء مخصصة بصورة حصان . وهذا المخصص من الأهمية

---

(١) راجع : Petrie, "History", II. P. 140.

(٢) راجع : A. S. Vol XXXIX. P. 11.

(٣) راجع : Petrie, "Scarabs & Cylinders", Pl. XXVI.

مكان لأنه عرف أن الحصان كان قد أحضر إلى مصر في نهاية الأسرة الخامسة عشرة (راجع Petrie. "Scarabs" XXVI.) .

وكذلك نقش على ظهر جعران صورة فتاة سورية جالسة القرفصاء وعلى وجه الجعران نقش : "تحتمس الثالث يحارب قادش" وعلى جعران آخر نقش : "الإله الطيب تحتمس يهزم قادش" ولا نزاع في أن نقوش الجعارين الثلاثة الأخيرة تشير إلى حروب تحتمس .

ومما هو جدير بالملاحظة أننا نشاهد على جعران آخر رسم الفرعون وهو ساجد يتعبد أمام مسلة وعليه نقشت العبارة التالية : "تحتمس الثالث الذي أقيمت من أجله المسلتان في معبد آمون" وعلى آخر نقش : "تحتمس يقدم آثارا في معبد آمون أو تحتمس الثالث غني بالآثار" .

وفي متحف "اللوفر" يوجد له جعران (Louvre. 3408.) نقش عليه : "تحتمس الثالث في السماء مثل القمر والنيل في خدمته وأنه يجمع عبيده لأجل أن يمنح مصر الحياة" .

وأخيرا نجد له بعض الجعارين التاريخية ترفع من شأنه مثال ذلك : نقش على جعران : "تحتمس سيد الحكام" (راجع : A. S. Vol. XXXIX. P. 113ff.) .

في نقوش هذه الجعارين نعرف شيئا من نواحي حياة «تحتمس الثالث» ونشاطه في كل الميادين الحربية والاجتماعية والدينية وميادين العبادة وغيرها .

وقد بقي اسم «منخبرع» ينقش على الطغراء والجعارين في العهود التي تلت حكمه بدرجة تفوق حد الوصف حتى أن نسبة وجود اسمه على الجعارين كانت نسبة جعرانين لكل ثلاثة جعارين موجودة في العالم . ولا نزاع في أن شهرته التي استقرت عن هذه الصورة تناقلتها الأجيال تظهر كيف أن فخامة عصره وعمق مكانته ، قد تركا أثرهما العميق في نفوس المصريين الذين كانوا يحبونه عصره

تزهى مصر فى تاريخهم ولا يدهشنا إذًا أنا نجد بعض الملوك الذين أتوا بعده بقرون عدة كانوا يتشبهون به حتى أنهم لقبوا أنفسهم بلقبه « منخبر رع » ولا أدل على ذلك من أن أحد ملوك الأسرة الثانية والعشرين سمى نفسه « منخبر رع » وكذلك نجد « بعنخى » الأثيوبى أعظم ملوك الأسرة الخامسة والعشرين تلقب بلقب هذا الفاتح العظيم تبركا وتيمنا .

ولقد بلغ من تعلق الشعب المصرى بذكرى « تحتمس الثالث » وحب الافتخار به درجة حدت بأفراد عامة الشعب أن يتسموا بلقبه « منخبر رع » فكانت هذه أول بدعة فى تاريخ مصر ، إذ لا نعرف قط بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا أن لقب فرعون من السابقين أو اللاحقين قد استعمله أفراد الشعب اسمًا علمًا ينادى به كسائر الأسماء ، ولا غرابة فقد كان لفظ « منخبريا » سيفا يضرب به المثل فى الأقطار الأسيوية للقوة والسلطان والعظمة والرخاء ، بل أكثر من ذلك نجد أنه كان يشبه له فى هذه الجهات ، فقد طلب أمير « نوب » تمثال « تحتمس الثالث » وبنى له معبدا فى بلدته ، وأقام له الشعائر . كما وجدت لوحة لأحد كبار رجال الدولة المسمى « ابن إنى » وهو أسيوى الجنس من عهد الملك « مرنبتاح » يشاهد فيها هذا الموظف وهو يتعبد للفرعونين « تحتمس الثالث ومرنبتاح » معًا[1] (A. S. XL. P. 458) .

أسرة تحتمس الثالث

لا نزاع فى أن الجزء الأول من تاريخ حياة تحتمس الثالث الزوجية لا يزال غامضا إذ نعلم أنه تولى العرش ولم يكن قد بلغ الحلم بعد ، والمفروض أنه قد تزوج من أخته « نفرو رع » كبرى أخواته بنت « حتشبسوت » ، وقد كانت الوارثة الشرعية للملك ، غير أن هذا الزواج لم يتم ، وإن كان بعض المؤرخين يعتقد أنه تم بعد

---

(١) وكذلك نشاهد بعض أفراد الشعب يتعبدون لهذا الفرعون فى عصور أخرى فى خلال الأسرة الثانية والعشرين (راجع J. E. A. Vol. V. P. 177, Pl. XXXI) .

مضى سنين عدة ، ولكنا لم نجد لها حتى الآن لقب الزوجة الملكية على الآثار كما هو المتبع ، وكل ما نعرفه أنها كانت تلقب «الزوجة المقدسة» أو «زوجة الإله» وهو لقب فخرى كانت تحمله الوارثة الشرعية للعرش ، ولذلك كانت تحمله هي ووالدتها في آن واحد . وعلى أية حال لا نعرف على وجه التأكيد التاريخ الذي توفيت فيه هذه الأميرة ، والمرجح أنها ماتت في حياة «سنموت» أي قبل موت والدتها «حتشبسوت» . وقد كان موتها من الأسباب التي عجلت بسقوط «سنموت» نفسه ، والظاهر أنه بعد وفاتها تزوج «تحتمس الثالث» من أميرة تدعى «ساح ست» وربما كانت أخته لأبيه، إذ كان اسمها يوضع في طغراء ملكية. والظاهر أنه بعد وفاة «نفرو رع» التي كان يجب أن تعتبر الزوجة الشرعية، حلت محلها «ساح ست» ، إذ نجد في معبد الإله «بتاح» لوحة محى منها اسم «نفرو رع» ووضع مكانه اسم «ساح ست» ، هذا[1] . وكذلك عثر المؤرخ «ويجل» على قطعة من لوحة نقش عليها اسم هذه الملكة ، واسم «تحتمس الثالث» زوجها في معبده بجبانة[2] مما يظهر أنها كانت ملكة على البلاد معه مدة قصيرة بعد انفراده بالحكم . وقد وجدت لها (بلطة) محفورة بالعرابة المدفونة[3] . وكذلك وجد لها تمثال أهداه لها «تحتمس الثالث» بعد وفاتها في «طود» جنوبي «طيبة»[4] ، والظاهر أنها كانت قد توفيت عند ما نحت «تحتمس الثالث» صورة البقرة المقدسة في معبد الأسرة الحادية عشرة بالدير البحري إذ لم يأت ذكرها على النقوش هناك[5] . والظاهر أن «مريت رع حتشبسوت» بنت الملكة «حتشبسوت» وأخت «تحتمس الثالث»

---

(١) راجع Legrain, "Repertoire", No. 119.

(٢) راجع : (A. S. VII P 118).

(٣) راجع Mariette, "Abydos" II. P. 40.

(٤) راجع Legrain, Ibid. No. 188.

(٥) راجع Naville, "11th. Dyn. Temple", P 63.

من أبيه كانت قد بلغت وقتئذ سن الزواج فتزوجها (؟)[1] ، وتشاهد « امنحتب الثاني » وسط والدته « مريت رع » حتشبسوت » في مناظر قبره[2]. وكذلك تشاهد معها على جعران[3]، ويوجد تمثال « بو الهول » في صورة ملكة يمثلها وقد كتب اسم زوجها على صدرها عثر عليه في معبد « لوزيس » بروما ، وهذا التمثال موجود الآن في مجموعة « باروكو » ، ويوجد منه نسخ في تورين وبرلين[4]. يضاف إلى ذلك أننا نشاهد هذه الملكة واقفة خلف زوجها « تحتمس الثالث » في معبد مدينة « هابو »[5].

وعلى الرغم من أن « مريت رع حتشبسوت » كانت تلقب « الزوجة الملكية العظيمة » أي الزوجة الشرعية ، فإن «تحتمس الثالث» كانت له زوجات أخريات ثانويات، ونعرف من بينهن اثنتين، أولاهما تدعى «مريت امون» وكانت تلقب «الابنة الملكية» و«الزوجة الملكية» وهذا يعني أنها كانت بنت «تحتمس الثاني» من زوجة ثانوية ، أي أنها كانت أخت «تحتمس الثالث» وزوجه في آن واحد.

أما زوجه الأخرى فتدعى «نبتو» وهي التي كان يدير أملاكها «سن امون»، ولدينا بطاقة من الخشب ضمن البطاقات التي سبق ذكرها مؤرخة بالسنة السابعة والعشرين ذكر عليها اسمها بوصفها الأميرة « نبتو » بنت ابن الملك المسمى « سيتوم ».

ويحتمل أن الأمير « سيتوم » هذا كان ابن عم الفرعون « تحتمس الأول »، وعلى ذلك تكون « نبتو » هذه بنت عم « تحتمس الثالث ». والظاهر من تاريخ

---

(١) راجع : L. D. III, Pl. 62, 64.

(٢) راجع : Mariette, "Abydos" II, P. 40.

(٣) راجع : A. Z., XX, P. 118.

(٤) راجع : A. Z. XXI, P. 118.

(٥) راجع : L. D. III, Pl. 38b, & Champollion, "Notices", P. 195, 3.

الطاقة أنها لم تكن قد تزوجت هذا الفرعون بعد[1] ، وقد جاء ذكر اسمها في قبر « تحتمس الثالث » وقد كانت وقتئذ على قيد الحياة .

أما أولاد هذا الفرعون ، فلم يذكر في قبره إلا اسم الأميرة « نفرارى » المرحومة ، ولما لم يكن اسمها قد أحيط بطغراء فيظهر إذن أنها لم تكن من دم ملكي خالص بل يحتمل أنها كانت إحدى بنات زوجاته الثانويات ، هذا وقد ذكرت أسماء ثلاث أميرات على ثلاث جاذات من الطاقات الخشبية السالفة الذكر بوصفهن بنات « تحتمس الثالث » .

وسيأتي الكلام عن « امنحتب الثاني » الذي أنجبه من زوجه « مريت رع حتشبسوت » في حينه .

وفاة تحتمس الثالث

صعد « تحتمس » العظيم إلى السماء بعد أن جلس على عرش الملك أربعة وخمسين حولا كاملا ، وقد أكد لنا ذلك قائده الأمين « امنمحب » في تاريخ حياته الذي ذكره لنا على جدران قبره إذ يقول : " لقد أتم الفرعون حياته الحافلة بالسنين بشجاعة وسلطان ونصر من السنة الأولى إلى السنة الرابعة والخمسين في اليوم الثلاثين من الشهر الثالث من الفصل الثاني ، وهو حكم الملك « منخبررع » ، ثم صعد إلى السماء واتحد مع الشمس ، واندمجت الأعضاء المقدسة مع خالقها ، وعندما انفلق الصباح وأشرقت الشمس وأضاءت السماء ، تربع على عرش والده الفرعون « عاخبررع » امنحتب الثاني ولقب بالألقاب الملكية[2] " .

وقد دفن تحتمس العظيم في مقبرة أعدها لنفسه في « وادي الملوك » ، وقد كشف عن هذه المقبرة في ربيع سنة ١٨٩٨ ، وتقع على مسافة قصيرة من مقبرة

(1) راجع : A. Z. XXI. P. 123

« رعمسيس الثالث » وبجدرانها علاة بصور آلهة ونقوش من بينها قائمة طويلة بأسماء الآلهة كما نقش عليها نسخة تامة من كتاب « ما يوجد في عالم الآخرة » .

ويشاهد على عمود من عمد الحجرة الثانية « رعمسيس الثالث » تتبعه والدته « إزيس » وأزواجه وابنته « مريت آمون » . وعند ما كشف عن قبره وجد التابوت خاويا ، وذلك لأن موميته قد نقلت من قبره إلى خبيئة « الدير البحري » ، والظاهر أنها كانت قد عبث بها اللصوص في عهدها الأخير بعد أن هشموا التابوت الخشبي الذي كان يحتويها ونهبوا ما عليها من حلى . ولقد حدث من جراء ذلك أن أصيبت المومية بأضرار جسيمة وتدل شواهد الأحوال على أن الذين وضعوها ثانية في مخبأ « الدير البحري » قد أصلحوا الكفن وهو مصنوع من الكتان الجميل وقد نقش عليه تعاويذ من « كتاب الموتى » كما وجد معه كذلك بعض الأثاث الجنازي أهمه أورة من الخشب وعمود كذلك من الخشب وتماثيل صغيرة وخواتم من الخزف المطلي وتعاويذ عدة ورعوا المومية قبل دفنها ، فوضعوا الأجزاء التي كانت قد تفككت من الجسم في مكانها ، ولأجل أن تصبح المومية



(٣٢) مومية رعمسيس الثالث

متماسكة الأجزاء ، وتأخذ شكلها الأصلي وضعت بين أربع قطع من الخشب كل منها شكل جملون ولونت باللون الأبيض ، ثلاث منها في داخل الكفن ، وواحدة خارجه تحت الأشرطة التي ربط بها الكفن . ولحسن الحظ لم يصب وجهه بسوء إذ كان قد غطي بملاط من القار وقت التحنيط، وقد بقي سليماً لم تصبه يد اللصوص .

ولا يدل مظهر وجه « تحتمس الثالث » على نموذج المثل الأعلى لفاتح عظيم مثله ، ومع أن تماثيله لا تظهره في صورة رجل جميل الطلعة إلا أنها مع ذلك تدل على أنه كان رجلاً مهذباً ذا تقاسيم تنطق عن ذكاء . وإذا قرناها بصورته الأصلية وجدنا أن المثال الذي نحتها كان كريماً معه إلى حد بعيد . إذ نجد في الواقع أن « تحتمس الثالث » لا ينم عن أي جمال، إذ كان منحدر الجبين إلى درجة تفوق المعتاد ذا عينين غائرتين في محجريهما وأنف معقوف وشفتين غليظتين ، وفك بارز عظيم جداً ، ولكل ملامحه إذن تذكرنا بملامح وجه « تحتمس الثاني » ، غير أن جبهته كانت تدل على مقدار عظيم من النشاط ، وفي الحق أن « تحتمس الثالث » كان فلاحاً من السلالات المصرية القديمة الأصلية ، قصير القامة ، ممتلئ الجسم ، سوقياً في صورته وملامحه ، غير أنه مع ذلك لم تنقصه قوة العزيمة ، وشدة البأس .

أخلاق تحتمس الثالث ومكانته في العالم القديم

تحتمس الثالث رجل حرب بطبعه : لقد كانت أبرز صفة لحظناها في استعراضنا لتاريخ حياة « تحتمس الثالث » منذ نعومة أظفاره هي حبه الكفاح والشغف بالنرد والنبل إلى ركوب متن المخاطرات بصورة لا تعرف الكلل . ولا غرابة في ذلك فإنه قد نشأ في عصر كله حروب وغزوات وأجداده ملوك الأسرة الثامنة عشرة قد قضوا معظم حياتهم في ساحات القتال شمالاً وجنوباً يغزون آسيا مرة ويخمدون الثورات في السودان مرة أخرى .

هـذا إلى أن البلاد من أقصاها إلى أقصاها كانت لا حديث لها غير الغزاة الذين استعبدوهم مدة قرن ونصف من الزمان، وأن بقايا هؤلاء الغزاة كانوا لا يزالون يقطنون آسيا، وأن الخوف منهم كان لا يزال عالقا بأذهان المسنين منهم على الرغم من امتداد فتوح الفراعنة العظام حتى نهر الفرات.

في هـذا الجو الذي كان يملؤه رنين السيوف وأهوال الحـرب نشأ «تحتمس الثالث»، وقد أراد والده أن ينشئه تنشئة دينية فوضعه في معبد «آمون» بالكرنك، غير أنه على ما يظهر كان الكهنة أنفسهم متشبعين بروح الحكم الذي كان يسـوده



(٢٢) تمثال تحتمس الثالث بالمتحف المصري

الحرب وناصر الفراعنة في ساحة القتال ، فبثوا في نفسه ذلك الروح الحربي الذي ساد البلاد في هذا العهد ولقنوه دروسا في البطولة والشجاعة ، وضربوا له الأمثال بأجداده ملوك الأسرة الثامنة عشرة ومن قبلهم ملوك الأسرة الثانية عشرة وبخاصة « سنوسرت الثالث » الذي كان يعتبر في نظر الشعب المصري وفي نظر ملوك الأسرة الثامنة عشرة بطل الفتوح المصرية ، وموقظ روح الوطنية والبطولة في نفوس ملوكها . ولذلك نجد أن « تحتمس الثالث » عندما اعتلى العرش ولم يكن قد بلغ الحلم بعد كان أول عمل قام به هو إعادة مباني « سنوسرت الثالث » في « سمنة وقمة » التي أقام عندها هذا البطل العظيم لوحته المشهورة محذرا أخلافه من الملوك ورجال وطنه ألا يتراخوا في المحافظة على الحدود المصرية التي مدها حتى هذه النقطة بحد السيف .

فأعاد هذا الملك الصبي بناء هذه المباني الدينية وفضلا عن ذلك رفع « سنوسرت الثالث » إلى مرتبة الآلهة بوصفه إله حرب . فهل جاء ذلك عفوا من فرعون صغير كان لا يزال في الثانية عشرة من عمره أم هل فعل ذلك عن قصد ونتيجة تعاليم لقنها في طفولته ، وبخاصة إذا علمنا أن الوصية على العرش وقتئذ كانت امرأة لا تريد الحرب بل قضت طوال مدة حكمها بعيدة عن الحروب وأهوالها .

وفي الحق أن حياة « تحتمس الثالث » تحدثنا صراحة أنه قد قام بهذا العمل عن قصد ومن مبادئ قد تشبع بروحها . ولقد حاولت الوصية على العرش « حتشبسوت » والملكة « ماعت كارع » بما بيدها أن تخمد أنفاس الروح الحربي الذي يتأجج في نفس « تحتمس الثالث » طوال ثلاثين حولا حتى إذا ما وجد متنفسا بعد موت هذه الملكة انطلق من عقاله ومرق كالسهم، فلم نلبث أن وجدنا تحتمس على رأس جيش عظيم على حدود مصر يزحف إلى سهول « مجدو » . والعجب العجاب في ذلك أننا نرى الخطط الحربية المنظمة المحبوكة التي تمتزج بالبسالة والإقدام وابتكار الطرق مما لم يسمع به في تاريخ حروب العالم قبل ذلك .

ومن يطلع على هذا النظام وتلك الخطط البارعة التي وضعها ذلك القائد البارع لا يشك في أن « تحتمس الثالث » كان يفكر طوال مدة انفصاله عن الحكم فيها ويدرسها من كل نواحيها حتى يفاجئ العالم بها دفعة واحدة ، ولا نزاع في أن معركة « مجدو » أولى انتصاراته ، وما جاء فيها من خطط سديدة وحركات فنية كانت أول درس ألقى على قواد العالم القديم بل والحديث في فنون الحروب وقيادتها .

أليس هو « تحتمس الثالث » الذي كان أول من قسم الجيش إلى جناحين وقلب ، وأنه هو الذي بمهارته وحبه المخاطرة في سبيل نيل مأربه قد اتخذ أقصر الطرق مع ما فيها من مخاطرة لمهاجمة العدو ، وأنه هو الذي أراد أن يضرب المثل الأعلى لمجلسه الحربي الذي عقده — ولا تعلم مجلسا حربيا أقدم عقد قبل ذلك في العالم — فعول على أن يكون أول مضحٍ بحياته إذا ما دعا داعي الوطنية والشرف ؟

أليس هو « تحتمس » الذي كان يضرب له السرادق في أرض الأعداء يدبر به خططه التي كان ينفذها عند ما يبلج الصباح ؟

أليس هو « تحتمس » الذي لم ينس مناظر الحروب وما أوتيه من نصر بمساعدة إلهه « آمون » — إله الحروب — عاد إلى مصر وهي مرتسمة في مخيلته ، ولم يرد أن تذهب منه أو يتناساها فأقام للإله « آمون » معبدا هو صورة مطابقة لخيمته التي كان يشغلها في أثناء حروبه ليمثل في روع شعبه أن « آمون » هو الذي آزره ونصره وكتب له الفوز في هذه الحروب فهو إله كفاح وجهاد ، لا يسكن في محراب بل في سرادق حرب على استعداد دائم للأخذ بناصر ابنه « تحتمس » في ساحة الوغى إذا ما جل الخطب وعظم الكرب مع أولئك الأقوام الثائرين .

ثم نرى « تحتمس » يكشف لنا عن صفحة أخرى من مجده الحربي ومهارته وشدة ذكائه في إحكام خططها . فشاهده يسير بأسطوله ويجمع الموانى التي على شاطئ فينقيا ليتخذها قاعدة حربية لتموين جيوشه التي كانت تغزو قلب « آسيا »

حتى لا يطعن من الخلف، وحتى يمكنه أن يضرب ضربته وهو مطمئن، ويكون أسطوله الرابطة بينه وبين مصر من جهة وبينه وبين جيوشه التي كانت تسير في أرض معادية من جهة أخرى. وقد أمدّ هذه المواني بالمواد الأولية والصناع، وكل ما يلزم لجيشه من عتاد ومؤن . بل لتأمين ذلك جعل لهذه الثغور جزية تدفع لها سنويا وخراجا يجبى لها من محاصيل البلاد المجاورة، هذا إلى استخدام أساطيل البلاد الموالية له على الساحل في نقله شحناته وخاصة سفن «جبيل» . وبلاد الكفتيو .

كل ذلك سهل عليه إخضاع الولايات التي كانت تشق عصا الطاعة على مصر، كما كانت تسهل عليه فتح البلاد النائية في داخل بلاد آسيا . ولا أدل على الخدمات التي قدمتها له هذه الثغور من تلك التي سهلت عليه إغارة فتح بلاد «نهرين» ومدّ حدوده إلى أبعد مما وصل إليه أجداده . وهنا تظهر عبقرية «تحتمس» مرة أخرى في ابتكار الخطط وإعداد العدة لنيل مأربه مما جعله على رأس الفاتحين من حيث العبقرية والذكاء، فقد فكر في بناء سفن حربية لنقل جيشه عبر نهر الفرات حتى يسهل عليه اقتحام الفتح . ولكنه خشي من صنعها في أراضي العدو الذي ربما أفسد عليه خطته ، ولذلك بنى سفنه قطعا مجزأة في «بيلوس» التي كان لأهلها شهرة في صناعة السفن ثم أعد لها عربات من نوع خاص تجرها ثيران حتى شاطئ الفرات ، حيث ركبت أجزاؤها، وبذلك نفذت خطته التي كانت تختلج وجدانه.

وها نحن أولاء نسمع في تاريخ الحروب الحديثة أن القواد العظام يأخذون دروسا عن قائد مصر كما يقول مؤرخو الفرنج؛ فيقول الدكتور «ولسن» إن المورد الذي سار على هديه خطط «تحتمس الثالث» في إحراز النصر على الأتراك في اختراق ممر «عارونا» الذي سلكه فاتح مصر العظيم . ويحدثنا المؤرخ «فولكنر» أن القائد الأكبر «مونتجمري» قد نقل السفن الصغيرة من شاطئ البحر محمولة حتى نهر الراين ليعبر بها هذا النهر ونجحت بها الخطة ، ثم هو ينتصر عليه كما انتصر «تحتمس الثالث» عندما نقل أسطوله إلى نهر الفرات وانتصر على أمير «نهرين».

وكان روحه الحربى حتى فى أوقات فراغه لا يهدأ ولا يهد أنشاطه ، إذ نراه بعد مبارزة الأبطال فى ساحة الوغى يخرج إلى الوديان لمنازلة أخطر الحيوان وأشده بطشاً بالإنسان .

وتلك شنشنة عرفناها فى أبطال هذه الأسرة فقد كان ملوكها مغرمين بالصيد والقنص كما سنرى بعد ، والظاهر أنهم كانوا يتعلمونها بالوراثة ، فقد ذكر لنا « تحتمس الثالث » ما أحرزه من ضروب الشجاعة الفذة فى الصيد والقنص ، إذ ذكر لنا أنه قضى على قطيع من الفيلة عند بلدة « نى » عند نهر الفرات ، بل يذكر أكثر من هذا مما يمتاز به على فراعنة مصر عندما شرح لنا على جدران معبد « أرمنت » كيف اصطاد وحيد القرن ، وكأنه كان يشعر باستحالة ذلك ، فدون لنا أوصاف هذا الحيوان ومقاييسه ، وهو يعد أخطر أنواع الوحوش وأشدها افتراساً ، وقد ترك لنا لوحة فى معبد الإله « منتو » إله الحرب ، ويذكر لنا ضروب شجاعته فى الصيد والرماية ، وما أحرزه من انتصارات .

على أن « تحتمس الثالث » كانت له نواح أخرى غير الحرب والصيد والقنص ، فقد وجدناه عندما عاد من إحدى حملاته يقوم برحلة تفتيشية فى كل أنحاء مصر يسأل بكل دقة وعناية الموظفين المحليين وكان غرضه فى ذلك الضرب على يد المرتشين فى الإدارة المحلية فى أثناء جمع الضرائب ، وقد كان كذلك من أغراضه فى مثل هذه الرحلات ملاحظة سير العمل فى بناء المعابد العظيمة التى كان قد أمر بإقامتها أو إصلاحها وترميمها فى أكثر من ثلاثين مكاناً على ما نعلم وعبرها عما عفت عليه الأيام . أليس هو « تحتمس الثالث » الذى قد أحيا معالم البلاد التى بقيت مهملة منذ عهد الهكسوس البغيض ومن ربوعها حتى « نباتا » عند الشلال الرابع كانت مبانيه تسير على خط واحد على المدن والبلدان كأنها عقد من اللآلئ قد نظمت جواهره على طول شاطئ النهر . ثم أليس هو الذى كان عند عودته بعد عمله المضنى إلى طيبة نُرى أعماله هناك عظيمة وسلطانه عما فى كل ناحية من

نواحي الإدارة ، فقد كانت ثروة الإله « آمون » المتزايدة تحتاج إلى عناية وحسن تدبيره الشخصي فكان يملي على الكهنة التعليمات الدقيقة لإدارة معابد الحكومة وثروتها النامية، وقد كان ساعده الأيمن في تنفيذ كل ذلك وزيره وأخوه من الرضاعة « رخ مي رع » كما سنفصل القول في ذلك (Cambridge Ancient History Vol. II. P. 81.) وفي أوقات فراغه وجدناه منتنا يرسم الأواني الأنيقة من ابتكاره، ويضع التصميم ثم يسلمه ليد مهرة الصناع لتصنيفه، وكذلك نراه في مظهر آخر يجمع أجمل الأزهار وأندرها من بلاد « سوريا » ، وكذلك الأشجار التي لا تنبت في بلاده، ويأمر بنقلها إلى مصر ويغرسها في حدائق غناء في معبد الإله « آمون » . وكذلك يختار من الحيوان والطيور أحلها وأندرها ويحملها إلى حظيرة الإله ، ويتعهد نموها وتكاثرها ، كل ذلك يدل على روح تحب الفن والطبيعة ومباهجها .

على أن ما يلفت النظر في أخلاق هذا الجندي الباسل الذي كان لا يعلك علما واحدا عن منازلة الأعداء ، والضرب على يد المشتغبين عليه أنه كان رجلا قد امتاز بشفقته وإنسانيته بل ورحمته بالمغلوبين، فقد رأيناه يعفو عن جيشات أمراء الحلف الذين تآمروا عليه بعد أن وقعوا في قبضته في موقعة « مجدو » ، ولم يسلبهم عروشهم ، أو يحرمهم متاعهم ، وحتى ملك القدس « أمير قادش » وكذلك « أمير توب » نراهما قد مثلا في قبر « مدير أملاك منحبررع سنب » وقد أتيا إلى الفرعون أحرارا لم توضع في أيديهم السلاسل ولا في رقابهم الأغلال مما يدل على أنهما كانا بدورهما قد صفح عنهما، وكذلك نلحظ أن رجال العدو قد لاقوا معاملة حسنة ، وأعيدوا في نهاية الأمر إلى أوطانهم ؛ ولم نسمع مرة أن « تحتمس الثالث » قد مثل بأجسام قتلى العدو التي هزم جحافلهم في مقدمة مقتفيه كما فعل جده « تحتمس الأول » وابنه « أمنحتب الثاني » .

وشاهد حتى مقابر وزيره « رخ مي رع » أسرى حروب أسيويين يعملون في صنع قوالب اللبن كما تحدثنا عن ذلك النقوش - لأجل بناء مخزن للإله « آمون »

وكذلك تحدثنا النقوش أنهم كانوا يمونون بالخبز والجعة وكل نوع طيب من الطعام ، وأن قلوبهم كانت تحب مليكهم الرحيم .

على أن ذلك وإن كان لا يعطينا صورة صادقة عن الواقع ، فإنه مع ذلك يمثل لنا صورة نموذجية مما يجب أن يعامل به الأسرى الذين كتب عليهم الوقوع في أيدي عدوهم .

ولا شك في أننا نرى في كرم معاملته لأعدائه الأسيرين حكمة وحسن سياسة ببعد النظر ، وفي الحق إن حسن سياسته قد ظهرت في فرص عدة في خلال مدة اشتراكه مع الملكة « حتشبسوت » عندما كانت هي وعصابتها يضيقون عليه الخناق ويسدون في وجهه كل منفذ بصورة مريبة ، وإلا لرأيناه لولا صبره واحتماله يقضي على حياته بيده . والواقع أن ما أوتيه من قوة إرادة وضبط نفس لأكبر شاهد على اجتيازه محنة تلك السنوات التي قضاها في منفاه الذهبي طوال مدة حكم « حتشبسوت » .

ونخال قوة إرادته وحسن تدبيره كذلك أو إن شئت فضل حسن تدبير من كان حوله في اعتلاء عرش الملك في أول أمره ، على الرغم من أن أمه لم تكن إلا زوجة ثانوية « لتحتمس الثاني » والده ، وأنه في صباه لم يكن إلا كاهنا بسيطا في معبد « آمون » .

ولقد كان لسياسته ومضاء عزيمته وخططه الموضوعة الأثر الأكبر الذي كتب للامبراطورية التي وطد أركانها البقاء مدة أجيال ؛ إذ كان أكبر ما تصبو إليه نفسه وأهم ما جاهد لتحقيقه أن يوطد أواصر الود والمصافاة بينه وبين أجزاء امبراطوريته فكان يربي أمراء الولايات التابعة له مع أمراء البيت المالك ، ويعلمهم حب مصر ، ويطلعهم على عظمة بلاده في عقر دارها ، كما أنه كان أشد مناصر كل أمير غلب على أمره مما جعل اسمه مضرب الأمثال في القوة والشجاعة والمجد ، حتى إن أمراء بعض الولايات كانوا يطلبون تمثال هذا الفرعون إلى بلادهم ويقيمون له المعابد ،

ويتضرعون إليه في السراء والضراء وحين البأس . وكان أولئك الأمراء الوالون يفدون إلى مصر مقدمين له فروض الطاعة والخضوع كما نشاهد ذلك في مقبرة وزيره العظيم « رخمي رع » الذي كان يفخر بعباراته المشهورة عن سيده « تحتمس » " إن جلالته يعرف كل شيء يحدث ، ولا يوجد شيء لا يعرفه ، وإنه مثل الإله « تحوت » (إله العلم والحكمة) في كل شيء ، وإنه لم يتم أي عمل إلا بعده " .

ومع كل تلك الصفات وهذه الأخلاق العظيمة كان « تحتمس الثالث » رجلا صادقا متدينا ، إذ يقول عن نفسه : " إني لم أنطق بكذب مبالغ فيما أنجزته المعتز بما عمله ، فأقول إني عملت شيئا دون أن يعمله جلالتي ، ومن أجل عمل فيه خلقه ، وقد عملت ذلك لوالدي الإله آمون ، لأنه يعرف ما في السماء ويعلم ما في الأرض ، ويرى كل العالم في طرفة عين "

هذا هو « تحتمس الثالث » كما نستخلصه من الآثار الصامتة ، بعد استقراء وفحص ، وقد نكون قد شططنا في إعطائه حقه ، أو أعطينا بعض صفاته ، ولكن تفاديا لذلك سنترك الشاعر المصري يصف لنا أعماله ومكانته في العالم الذي كان يعيش فيه بتدوين تلك القصيدة الخالدة التي تتغنى بانتصارات « تحتمس الثالث » وما أتاه من أعمال خارقة لحد المألوف . ولا بد أن « تحتمس الثالث » قد أمر بإقامة اللوحة التي كتبت عليها تلك القصيدة في معبد الكرنك بعد انتهائه من حروبه في آسيا وبعد أن أغدق على الإله « آمون » الخيرات ، وأوقف عليه البلاد والضياع ، ولذلك نجد أن الشاعر المصري قد جعل هذه القصيدة التي كانت فيما بعد نموذجا لعظماء الفراعنة أمثال « سيتي الأول » و « رعمسيس الثاني » اللذين قلدوها ونسبوها لأنفسهم ، تتكلم على لسان الإله « آمون » الذي حباه « تحتمس الثالث » بكل هذه الخيرات مقابل تلك الانتصارات التي منحه إياها في ساحة الوغى . فاسمع للإله « آمون » يخاطب ابنه « تحتمس الثالث » الذي كان في اسمه سحر كعصا موسى يهزم جيوش الأعداء في كل المواقع .

يقول « آمون رع » رب الكرنك : أنت تأتي إلي وتنشرح حيا تشاهد جمالي يا ابني

يا حامي، يا « منخبررع » الحي المخلد - إني أظهر متجليا بحياتك

إن قلبي منشرح بمجيئك الميمون إلى معبدي، ويداي تمنحان أعضاءك الحماية والحياة،

ما أحب الحماية التي تظهرها نحو جسمي، ولقد ثبتك في معابدي، وأقمت لك أعجوبة

إني أمنحك القوة والنصر على كل البلاد الأجنبية، وإني أسكن هيبتك والخوف منك في كل البلاد الأجنبية

كافة، والرعب منك يمتد إلى عمد السماء الأربعة . إني أجعل احترامك عظيما في كل الأجسام، وأجعل

صيحة جلالتك الحربية تتردد بين « أمم الأقواس التسع » .

وعظماء جميع البلاد الأجنبية جميعهم في قبضتك، وإني نفسي أمد يدي وأربطهم لك .

وأربط الأسرى من « الرتنو » بعشرات الألوف، وبالألوف، وأهل الشمال بمئات الألوف .

إني أجعل أعداءك يسقطون تحت نعليك حتى [illegible] الثائرين، كما أني أعطيك الأرض طولا وعرضا،

فأهل الغرب وأهل الشرق تحت سلطانك .

إنك تخترق كل البلاد الأجنبية بقلب منشرح ولا يقف أحد أمام جلالتك فليس هناك من مهاجم، وإني

مرشدك ولذلك تصل إليهم . وإنك تعبر الماء العظيم لبلاد « نهرين » بالنصر والقوة اللذين منحتهما

إياك [illegible] وعندما يسمعون صيحة الحرب يهربون إلى الأجحار، [illegible] أنوفهم نفس الحياة،

وأرسلت رعب جلالتك ساريا في قلوبهم

والصل الذي على جبهتك يحرقهم ويستولي على الأسماء [illegible] بأرواحهم ويحرق [illegible] بلهيبه

ويقطع رؤوس الآسيويين، ولا يفلت منه أحد بل يسقطون، ويسكب [illegible] بسبب قوته

إني أجعل انتصاراتك تنتشر وتخترق كل البلاد، [illegible] على جميع خاضع لك

ولا أحد يثور عليك في كل ما تحيط به السماء، بل يأتون بالهدايا على ظهورهم، ويخضعون للطاعة لجلالتك

كما آمر

لقد أتيت [illegible] من يقوم [illegible] تحت [illegible]

لقد حضرت [illegible] من أن تدوس [illegible]

[illegible]

وأجعلهم يشاهدون جلالتك [illegible]

عندما [illegible] في [illegible]

لقد حضرت :

لأمكنك من أن [illegible] في [illegible] .

وضربت رؤساء عامو (آسيا) .

لجعلهم يشاهدون جلالتك مدججا بعدتك حينما تقبض على آلات الحرب في عربتك .

لقد حضرت :

لأمكنك من أن تطأ بقدمك الأرض الشرقية

وتطأ من في الأقاليم أرض الإله ، ولأجعلهم يشاهدون جلالتك مثل النجم « سشد » الذي ينثر لهيبه كالنار حينما يرسل سناه .

لقد حضرت

لأجعلك تتمكن من أن تطأ الأرض الغربية .

« كفتيو » و « آسي » تحت سلطانك .

ولأجعلهم يشاهدون جلالتك مثل الثور الصغير .

ثابت القلب ، حاد القرن ، لا تمكن مهاجمته .

لقد حضرت

لأمكنك من أن تطأ هؤلاء الذين في مستنقعاتهم ؟!

في حين أن أرض « متن » ترتعد خوفا منك .

ولأجعلهم يشاهدون جلالتك كالتمساح .

رب الرعب في الماء لا يمكن الاقتراب منه .

لقد حضرت :

لأمكنك من أن تطأ هؤلاء الذين في الجزائر .

والذين في وسط المحيط هم الذين تحت زئيرك ولأجعلهم يشاهدون جلالتك منتقما

قد ظهر منتصرا على ظهر فريسته .

لقد حضرت :

لأمكنك من أن تطأ « التحنو »

« والأوتنتيو » خاضعة لسلطانك

ولأجعلهم ينظرون إلى جلالتك كالأسد المفترس ،

حتى تجعلهم أكواما من الجثث في وديانهم .

لقد حضرت

لأمكنك من أن تطأ أقصى حدود الأراضي ، في حين أن ما يحيط به الأوقيانوس يكون في قبضتك .

ولا يعطيهم مصر إلا جلالتك كرب الحياة

الذي يقبض على أيدي بني كاشي

لقد حضرت

لأمكنك من أن تطأ هؤلاء الذين في البلاد الغربية

وترى سكان القبور أسرى

لأجعلهم ينظرون إلى جلالتك كأنك الوجه الفتى ، في صورة المسدد بقوسه [illegible] وهو رب البرية سيافا عنزة الأرمي .

لأمكنك من أن تطأ [illegible] ويكون في قبضتك من بلاد [illegible] .

ولأجعلهم ينظرون إليك كأخويك الرأسين .

اللذين ضممت أيديهما لك في النصر

وقد وضعت أختيك ساعدتك حامية لك على حين أني تركت جلالتك كانا مرفوعين للسعد في كل سنة

إني أملك بالمنة يا من المحبوب « حوريس » .

يا أيها الثور القوى الذي يسطع في « طيبة »

والذي أنجبته من أعضائي الإلهية

« تحتمس » الحي أبدا الذي عمل لي [illegible] حب قلبي « كما »

فقد أقمت لي مسكنا ، وهو عمل يبقى إلى الأبد

وسعته أطول وأعرض مما كان عليه من قبل .

والباب العظيم ... الذي يسمى حاله « بيت آمون » (*) لمن بهى .

إن آثارك أعظم من آثار كل ملك سلف .

إني أعطيتك الأمر لتقيمها ، وإني لمنشرح بها .

وإني لأجلك على عرشك « حوريس » [illegible] آلاف آلاف السنين من زمن الأحياء [illegible] الأبد

ولا شك في أن القارئ قد وجد في هذه القصيدة مبالغات خارجة عن حد المألوف كما هي العادة في المدائح التي عرفناها في أشعار المدائح في الشرق عامة ، وهي تعتبر من الشعر الرسمي الذي ينقصه التنوع في التعبير والخيال السامي ، ولذلك فهي لا تعد في نظرنا من الأدب الراقي ، غير أنها كانت في نظر المصري من الشعر النموذجي والا لما نسبها بعض الملوك لأنفسهم كما ذكرنا . (راجع كتاب الأدب المصري القديم جزء ٢ ص ١٨٦) .

الموظفون وحياتهم الاجتماعية في عهد تحتمس الثالث

الوزير «وسر آمون» أو «وسر» : يعد الوزير «وسر» من أوائل عظماء الدولة الذين عينهم «تحتمس الثالث» على إثر انفراده بالحكم، وذلك قبل نهاية السنة الواحدة والعشرين، وهو العام الذي اختفت فيه «حتشبسوت». وهو بلا نزاع من رجالات العصر الذين تركوا أثرا خالدا في نظم الحكم، ولا غرابة إذا كان هو واضع بعض المبادئ القويمة التي سار على نهجها ابن أخيه «رخمي رع» الذي يعد أبرز شخصية في نظر المؤرخ الحديث بما تركه من آثار خالدة في نقوش قبره كما سنرى بعد. والواقع أن ما بقي لنا من آثار «وسر» يحدثنا عن عظمته، وما كان للوزير من مقام عظيم ومكانة منفردة في نفوس الشعب، ومن آثاره نعرف أولا أنه كان يحمل الألقاب التالية (راجع .Urk. IV P. 1030 - 1306).

(١) الأمير الوراثي، (٢) «م» «حتي» (٣) كاهن «ماعت» (العدالة) (٤) رئيس العدالة (٥) مدير أسرار بيت الفرعون (٦) المشرف على بيتي الذهب وبيتي الفضة (أي رئيس الخزانة) (٧) المشرف على مخازن غلال «آمون» (٨) ومخازن كل الأشياء الجميلة في «الكرنك» (٩) وعمدة المدينة والوزير (١٠) والمشرف على القصور الستة (١١) والمشرف على قاعات العدل الست العظيمة (١٢) حامل خاتم ملك الوجه البحري (١٣) السمير الوحيد، الأمير أمام العامة (أهل الوجه البحري)، كاتب كل الأعمال الجميلة التالية، والمطهر ومساعد كاهن الإله «مين» والقاضي، والمشرف على الكتاب.

وتدل الآثار الباقية على أن الوزير كان له قبران في «جبانة شيخ عبد القرنة» وهما رقم ٦١، ورقم ١٣١، والقبر الأول رقم ٦١ لم يتم حفره، ويعرف فقط «وسر» فقط، أما القبر الثاني فكان قد نحت في صخر على ارتفاع حوالي خمسين قدما فوق الأول. وكان يسمى فيه المتوفى «آمون وسر»، ولكن لدينا نقوش

في مقبرته «أخمنت» مديريته، تدل على أنه هو نفس «وسر» صاحب المقبرة الأولى. وهذا القبر الأخير كان آية في الزخرف والإتقان، يدل على ذلك ما أبقته يد التخريب والعبث التي أودت بمعظمه فضلا عن متن تنصيب الوزير، ومتن واجباته اللذين كانا منقوشين على جدرانه؛ فإنه لا يزال لدينا بعض مناظره جميلة باقية منها الوفود الذين جاءوا من الشمال حاملين الجزية، والنقوش المفسرة له تقول: «تسلم الجزية التي أحضرتها قوة جلالته من البلاد الشمالية الواقعة عند حدود «آسيا» ومن «الجزر» التي تقع في وسط البحر بوساطة الحاكم الوراثي، والحاكم الذي يأتي بالسلام لكل أرض، والمشرف على حاكم المدينة «وسر آمون»». ويرى في هذا المنظر ممثلون من الجزر التي تقع في قلب الأخضر العظيم (البحر الأبيض المتوسط) وهي «كريت» ويحتمل الجزر الأخرى التي كانت تحت سيطرتها، والجزية أو الهدايا التي كان يحضرها أولئك تضيف معلومات جديدة إلى معلوماتنا السابقة، وكذلك نشاهد في صف آخر «أهل حدود آسيا»، وفي الصف الأخير نشاهد أهالي «رتنو» وكل هذه الأجناس تراها ممثلة في مقبرة «رخ مي رع»، مما يدل على أن الفنان لم يرسمها من خياله بل كان أمامه ممثلون حقيقيون أخذ عنهم صوره (راجع M. M. A. 1924-5. Part II. March P. 46-7.).

الوزير «وسر» يحل محل والده «عامتو». على أن أهم منظر في المقبرة هو منظر الاحتفال بتنصيب الوزير، ويجب أن نقرر هنا أن قبور الوزراء على وجه عام، وقبر «وسر» على وجه خاص كانت تزين معظم جدرانها بمناظر تبرز أعمال الوزير ووظائفه، وما كان يجب عليه في اتباع المثل العليا للحق والعدالة التي كانت أهم تكاليف يسير على نهجه كل وزير، هذا إلى مناظر تصور لنا قوة مصر وسيادتها مثل مناظر الأجانب وهم وافدون إلى مصر حاملين ما فرض عليهم من جزية يقدمونها تحت أقدام الفرعون وهم صاغرون. ومن أهم المناظر التي حفظها لنا «وسر» على جدران مقبرته هذه تلك الصورة الرائعة التي تمثل الوزير المسن «عامتو» والده، وهو ينوء تحت عبء السنين، ويتقي تحت ظل الشجرة

فتقوس قناته ، وارتخت أعصابه ، مما جعله يطلب إلى الفرعون[1] أن يرقى عليه تعيين شاب من شباب مصر يساعده على القيام بواجباته على الوجه الذي يقتضيه الإخلاص في العمل والمحافظة على كيان الدولة ، ولقد أجاد المفتن في إبراز صورة صادقة لهم عن رجل قد انحنى ظهره وقربت السنون بينه وبين الأرض (راجع : Davies, "M. M. A.", Part II, (December, 1926), pp. 3ff.) .

وصف تنصيبه وزيرا : وقد أجيب الوزير المسن إلى ملتمسه . والمنظر الذي تتحدث عنه هو في الواقع يمثل الاحتفال بتنصيب الوزير « وسر » فنشاهد « تحتمس الثالث » جالسا تحت عرش منمق الحواشي وقد وقف أمامه رئيس التشريفات ، واثنان من سمار الفرعون و « وسر » نفسه ، وقد كان حتى هذه اللحظة لا يحمل إلا لقب « كاتب خزانة » الإله في معبد « آمون » . وقد قرر المجلس الاستشاري تعيينه وزيرا للدولة . ونشاهد على الجدار نقش طويل يقص علينا الإجراءات التي كانت تتبع في مثل هذا الاحتفال ، ولكن لسوء الحظ قد هشم هذا المتن أحد أهالي قرية « شيخ عبد القرنة » الذي اتخذ مقبرة الوزير مسكنا له ، ومع ذلك فإن ما أبقت من بقيه نستطيع به أن نكون فكرة لا بأس بها عن سير الاحتفال وخطواته ، فنشاهد الشبان يخاطبون الملك راجين إياه أن يلحظ أن قوى الوزير المسن (عاشر) قد انحطت ، وأن جسمه قد ذبل ، إذ قد تقوس ظهر قناته ، وأن واجباته العادية قد أثقلت كاهله ، حتى أن المدينة لقد أصبحت حالة مختلة « أنه من الخير لبلادك أن تهتم بتعيين وكيل (عصا الشيخوخة) » ، وعلى ذلك طلب إليهم الفرعون أن يبحثوا عن رجل له شخصية بارزة ، وكان رجال البلاط بطبيعة الحال قد وقع اختيارهم على ابنه من قبل

(١) هذه الرغبة الخاصة عن العمل من جانب الوزير يعد من التقاليد القديمة جدا ويرجع إلى ما قبل عهد « بتاح حتب » الوزير الذي عاش في عهد الأسرة الخامسة وكان وزير الفرعون « أسسي » ، (راجع كتاب الأدب المصري القديم جزء أول ص ١٢٦)

على من يخلف « عامتو » هناك، غير أن واجب الأدب كان يحتم عليهم أن يلقوا أمام الفرعون خطابا كله ملق ، وأنه هو الذي وضع القوانين منذ (ملايين) السنين " قبل أن يصلوا إلى الترس الأصلي ، وفي النهاية يقولون : تأمل ! إن ... الذي يسمى « ... » وهو كاتب الخزانة الثانية في معبد « آمون » [كما كان] في عهد والده ... عيسى الثاني ... من الخير أن يرقى إلى وظيفة « كاتب وزير » وبعد ذلك يخاطب الفرعون « عامتو » في رفق وحنان قائلا : "إن كل الشكرة تتوقف عليك" ، ويقول له شخصيا " إن من مال الله فعلى نفسه ؛ وإنك لم تصبح منذ حكم أعداءه فإن أعمالك ليست صريحة ، ولم يوجه إليك بعد من الملاحظ ، وإنك تعمل بعدها في نحو الفرعون ، ستطاول أنت « وسر » ماهر دون أجانب ، مثل ، واحد من تماثيل ... تدع كما ... يك ، ولكن أرجو أن يتصل ... ويكون كالذي بعد إرادة من هم لوقه " ويتهي الخطاب الملكي بالإطراء على الوالد وابنه ، (راجع ,.Davies, M. M. A (1924 — 25), P. 50.) أما بقية المنظر فيمثل لنا المهرجان الذي أقيم للوزير الجديد عند ذهابه إلى المعبد لينتث تعيينه أمام الإله « آمون » ، ومن هنا نجد بداية تأثير تمثال العبادة الذي كان يقام في المعبد للإله « آمون » ، وهو ذلك التأثير الذي بولغ فيه لدرجة عظيمة منذ نهاية الأسرة العشرين حتى أن الفرعون قد أصبح لا يستطيع أن يفصل في أمر من أمور الدولة دون موافقة ورضاء الكهنة الذين كانوا يسيطرون على آثار هذا الإله .

وقد كان يرأس الاحتفال المشار إليه جنود تصحبهم طائفة من جنود الموسيقا وبعد ذلك يأتي أربعة رجال يجلدون بعصوت أحجار دليلا على الفرح ، وخلف هؤلاء مباشرة يأتي « وسر » لابسا حلة الوزير التقليدية ، وحاملا عصاه الطويلة على كتفه ليظهر بذلك أنه ليس في حاجة إلى التوكؤ عليها كما يفعل الرجل المسن ؛ ويشاهد على رأسه أيضا مخروط عطر لنشر في شعره رائحة ذكية ومما يلفت النظر أن الفنان قد أفلح في إبراز صورته على نقيض صورة والده فظهر « وسر » مستقيم العود يم عن حية قوية تدل على الشباب الغض في حين نرى والده « عامتو » هزيل الجسم منحني العود في المنظر الأخير (راجع ,".Davies, M. M. A (1925 — 6) P. 9. Fig. 5.) ثم يظهر بعد « وسر » الفرعون « تحتمس الثالث »

محمولا في محفة على أعناق ثمانية من رجال البلاط . ويشاهد أمامه رجلان يحرقان البخور ويرشان الماء كما نرى ذلك عند نقل تمثال، أو أمام مومية في طريقها إلى الجبانة، وكذلك نرى حامل مروحة يلتفت خلفه ليروح على الفرعون، كما يوجد حامل مروحة آخر يمشي بجانب الفرعون ومروحته القصيرة يحملها على كتفه دون أن يستعملها، والظاهر أن هذا هو الموظف الذي يدعى في النقوش حامل المروحة على يمين الفرعون، بوصفه لقب شرف وحسب . وكذلك يحمل آخر مروحة خلف الفرعون في صورة علامة الحياة ثم يأتي بعد ذلك تابعان أحدهما يحمل نعال الفرعون والآخر يحمل جعبة قوسه وكنانته، وحقيبة، وعلى جدران هذه المقبرة وثيقة أخرى نقش فيها التعاليم التي قدمها الوزير «حاتنو» لابنه «ويسر» الذي عين مساعدا له ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن أكثرها قد هشم، ولكن مما تبقى منها نعلم أنها تحتوى عدة نصائح دونت بمغزى خلق عظيم منها : «ثم يحكم دون أن يسمع رجلا يبرئه من رجل لا يعرفه، تأمل! إنك بدار بمصر الناس، «ثم ينبغي الاقتراب ... في المسألة جهلك لأن ذلك كما يجب أن يفرح حاق الله، سلك باطل، فإن ذلك ميزته في رزقك .»

أهمية نقوش مقابر الوزراء في التاريخ . والواقع أن مقابر الوزراء كما ذكرنا من قبل تمدنا بصور على جانب عظيم من الأهمية في نواحي الحياة العامة، كما أننا نصل إلى معرفة بعض الشيء من الحياة في مصر القديمة من قبور العظماء التي بقيت لنا حتى الآن بألوانها وبهائها، غير أن هذه المقابر لا تصح لنا المثال في هذا الصدد إلا في حدود نطاق ضيق، ومثلها في ذلك كمثل إنسان ينظر إلى صورة كبيرة في حجرة مظلمة تضاء فقط بنور خاطف، بحيث يقع شعاع النور على كل شيء حلا واضحا مميزا أما في الدائرة الخارجة عن هذا الشعاع فلا تشاهد إلا أشباحا مبهمة تتضاءل صورها حتى تختفي في ظلام حالك، وهذا هو نفس ما ينطبق على مناظر المقابر، فنرى الشريف وهو جالس إلى وليمة يخدمه العبيد والإماء، ولكن لا نعلم شيئا البتة عن حالة هؤلاء العبيد الاجتماعية حتى نرى الرجال مع نسائهم

في استعمال مواد الطب ، وليس لدينا أية فكرة عن عادات الزواج أو قوانينه بصورة واضحة . ومن جهة أخرى نرى أن الاحتفالات الجنازية تكرر أمامنا مسرحية كهنتها الشمس وتأملها العين ، ولا غرابة في ذلك فإنها الأساس الذي بني من أجله القبر . وعلى أية حال فإننا على الرغم من أننا مدينون للمقابر قبور « طيبة » بكل ما نعرفه عن الحياة الخاصة ، والنظام المدني في مصر فإن المؤرخ يتألم من صمتها أو إشارتها إشارات عابرة إلى نواح خاصة من الحياة القومية ، مثل حالة المرأة وأعمالها والصور التي كان يلعبها العبيد ، والمحاكم ، والأسواق ، والخدمة ، والملاهي في حياة أبناء الشعب ومقدار الحرية التي كان يتمتع بها الفلاح والصانع والتاجر ، ومقدار التأثير الذي أحدثه دخول العبيد الأجانب في السكان ، ووضع القوانين وغير ذلك ، كل هذه المرافق لا نعرف عنها شيئا إلا استنباطا واستقراء لما لدينا من نصوص ومناظر . وكان المصري عندما يعود إلى الأرض في صورة ملاك كما يزعم كان يرغب في رؤية جسمه ومعبد مدينته ، ويسمع حولي أبقاره ، ويرى نمو نباتاته ، فلم يكن يهمه كثيرا موضوع جمع الضرائب ، وما يترتب عليها أو الحروب الناشبة ، أو السياسة وشئونها وذلك لأنه لم يكن له عليها سلطان بل يعلم أن كل هذه الأشياء كانت أعداء الفلاح له مثل الطاعون والجوع ، وحتى الموظف لم يكن يهتم إلا بشئون إدارته من حيث أنها كانت مورد رزقه وإسعاده في الحياة ، وإذا قسنا الملوك بما لهم من آثار فإنهم لم يكونوا أحسن حالا ، إذ كان كل ما يشغل أفكارهم في الحياة الدنيا هو المقابر والاحتفالات الدينية ، ثم التأليه بعد الموت . وقد كان الكاهن الأكبر في الواقع ملكا دون أن يكون له أمل أن يؤله بعد الموت مثل الفرعون ، وعلى الرغم من أنه لم يكن يشغل نفسه أكثر من أي فرد غيره بالأمور الدينية ، فإنه كان من كبار المقتصدين ، مثله في ذلك كمثل الأب الدقيق الحاذق ، إذ قد ترك لنا صورا حية مفيدة جدا عن الضياع العظيمة ، والمصانع التي كانت في حيازته .

الإخلاص في خدمة مصر كان الهدف الأول للوزير :

أما الوزير المصري فكان يضع كل مصر وأرزاقها في قبضة يده ، وإذا حكمنا مما لدينا من الأمثلة الباقية ظهر أمامنا أنه كان يفخر بين جنبيه لخير مصر كل ما كانت تطمح إليه الأخلاق الإنسانية من مشاريع مثالية، وأعني بذلك تكوين حكومة وطنية سعيدة ، فقد كان هو الفرد الوحيد الذي سما بنفسه عن الأثرة والعواطف ، وأظهر لنا إحساسا يوحي بأن الأمة يجب أن ترتكز على الأخلاق والقانون والخدمات المتبادلة. ولذلك كان يتصور عودته في صورة ملاك إلى عالم الأرض ليتسم ثانية عبء التفكير لمساعدة قومه بكل ما يسعدهم ، ويصلح حالتهم ، كما كان يعمل في حياته الدنيا . وإنا لنقف على سر ذلك من وصف « رخ مى رع » ابن أخيه الذي تولى بعده الوزارة مباشرة عندما يقول: "تأمل ! إن منصب الوزير ليس بالحلو أبدا ، إنه مر كما يدل على ذلك اسمه ، (كلمة وزير معناها الرجل أو من يقوم بدور الرجل) وإنه لجدار من نحاس يحافظ على ذهب بيت سيده ، وليس يوجد رجل آخر يرغب في أن يعمل هذا دبره ، وإن الريح والماء يبلغان كل شيء عمله ، وإن الذي يجب عليه أن ينفذ العدالة في وجه كل إنسان هو الوزير ، فعليك أيها الوزير تتبع القانون الذي سلم إليك ، تأمل ! إن هذا هو طريق السعادة" .

حسب هو قبر الوزير « وسر آمون » الذي قد بدأ كما قلنا وزارته بالاشتراك مع والده « عامتو » وتدل المعلومات التي جمعت عنه أنه مكث في الوزارة نحو عشرة أعوام، وترك خلفه ستة ذكور وسبع إناث، وقد توفي وهو يأمل أن يروح ويغدو في الجبانة بمثابة إنسان عمل بولاء وإخلاص مع بيت إله الشمس، ويقبل طعاما منه في كل الأعياد . وقد خلفه على كرسي الوزارة على حسب رأي بعض المؤرخين « رخ مى رع » أعظم الوزراء المصريين كما سنرى بعد .

أمنمحات بن تحتمس مدير بيت الوزير «وسر» : ذكرنا فيما سبق أن الوزير كان أعظم رجل في الدولة ، وأن نفوذه في إدارة البلاد لا يجارى ، وتدل كل ما لدينا من نقوش على صدق ذلك ، وبخاصة إذا علمنا أن مدير بيته الخاص «أمنمحات بن تحتمس» كان يعد من أغنياء القوم ، وهو الذي كان يعد من عده الأبهى على ما يظهر ، وكانت وظيفته الرسمية تنحصر بوجه عام في الإشراف على أملاك سيده ودخله وحساب العبيد والحقول والغلال والمعادن الثمينة ، وقد كان كذلك مكلفاً بالإشراف على بعض الحياة الخاصة بالوزير والفرعون كما سلف ذكر ذلك ، وقد ترك لنا في قبره «بجبانة شيخ عبد القرنة» لوحة مؤرخة بالسنة الثامنة والعشرين من حكم «تحتمس الثالث» .

وألقابه كما وجدناها على مقبرته كالآتي : «الكاتب ، وكاتب الوزير ، والكاتب حاسب الحبوب ، ومدير بيت الوزير ، ومدير بيت الوزير المدينة الجنوبية (طيبة) ، والذي يراقب كل أملاكه ، ومدير البيت الذي يحسب كل ما يوجد ، ومدير البيت الذي يحصي الناس ، ومدير البيت محصي الحبوب ، ومدير البيت الذي يحصي حبوب الإله «آمون» ، ومدير البيت الذي يحصي الحقول المقدسة ، والكاتب محصي الغلال في مخازن قربان «آمون» المقدسة ، والكاتب الذي يحسب حبوب «آمون» ، ورئيس عبيد «آمون» ، ورئيس العبيد ، والمشرف على الأراضي المروية ، والمشرف على احتفالات بيت «آمون» «أمنمحات» .

وليس لدينا أي دليل في مقبرة «أمنمحات» يرشدنا إلى الترتيب الذي نال به «أمنمحات» هذه الألقاب ، ولا نزاع في أن أول لقب لُقّب به هو وظيفة «كاتب» ، واللقبان الأخيران من ألقابه كان يحملهما والده وجده . واللقب الأخير هو في الواقع لقب قديم جداً وترجم حرفياً «مسن الردهة» ومعناه رئيس التشريفات ، وقد وضح لنا معناه تماماً من نقش في مقبرة «رخ مي رع» . وذلك أنه عندما قدم هنا الوزير إلى البلاط كان الموظف الذي استقبله هو «مسن الردهة» وقد قدمه

إلى الحضرة الملكية (راجع Newberry, "The Life of Rekhmara", Pl. VII. P. 6.
وقد كان هناك كذلك رؤساء تشريفات متصلون بالمعبد .

ومناظر هذا القبر على الرغم من أنها ليست من الطراز الممتاز من حيث الفن والدقة إلا أنها تحتوي على صور شائقة وهامة من الوجهة الدينية ، مما ورث من الدولة الوسطى مثل منظر الحج إلى « العرابة المدفونة » ، التي كانت تعد كعبة الصالحين (راجع ج ٣ ص ٥٠٠)، وكذلك الشعائر المتعلقة الخاصة باحتفال فتح الفم . على أن أهم منظر يشاهد في القبر هو منظر الوليمة التي أقامها أمنمحات احتفاء بالمهندس والمغنين الذين شيدوا له مقبرته . والنقوش الخاصة بهذا المنظر تحدثنا قائلة :

" شكرا الصانع ، وإقامة الوليمة لهم بالقربان المقدسة ، ومكافأتهم بكل أنواع الأشياء الطيبة . . . . . وضعت الأكاليل على رءوسهم ، وقد صنعها مدير البيت ، نخت رحالة « آمود ... أمنمحات » المرحوم " الخ .

ومن بين المدعوين إلى هذه الوليمة نشاهد « ... » مدير المباني في هذا القبر « الكاتب « أمنمحات » ورئيس المصممين « أحمس » والنحات الذي نحت التماثيل ، ومما يؤسف له أن اسم هذا الرجل قد محي ، ولا بد أنه كان القائم بنحت تماثيل المتوفى ، ويشتمل على نقش يحدثنا عن تاريخ حياته ذكرناه فيما سبق . (راجع Davies and Gardiner, "The Tomb of Amenemhet", Pl. XII, XVII, P. 36, 37 etc.) .

أمنمحات كاتب الملك : وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» وكان من المقربين لدى الفرعون «تحتمس الثالث» فقد كان يصحب الفرعون في رحلاته (Gardiner & Weigall, "Catalogue", No. 123.) وكان يحمل الألقاب التالية : « كاتب الملك ، والممدوح من الإله الطيب ، والذي يتبع خطوات الملك في صحراء الجنوب وفي الشمال ، والكاتب العظيم في بيت الفرعون له الحياة والعافية والصحة ، والمقرب عند سيده ، والمشرف على مخازن الخبز ، والكاتب الملكي الذي يحصي الخبز .

والكاتب الذي يحسب حبوب الوجه القبلي والوجه البحري، والكاتب». والقبر يحتوي على منظر صيد يشاهد فيه «أمنمحات» في عربته يطارد غزلاناً في الصحراء، (راجع Urk. IV. Pls. 25–26) وهذا المنظر من الأمثلة القليلة التي نجد فيها العظماء يخرجون للصيد والقنص في الصحراء في عرباتهم مثل الملوك في أوائل الأسرة الثامنة عشرة، إذ كانت العربات موقوفة على أثرياء القوم الذين كان في استطاعتهم اقتناؤها والإنفاق عليها. وهذا دليل على أن «أمنمحات» كان من أثرياء القوم كما تدل وظائفه.

أمنمو مدير بيت الفرعون في طيبة: كان «أمنمسو» من الموظفين القلائل الذين عمروا طويلاً في خدمة الحكومة في عهد أربعة ملوك على التوالي. فقد بدأ حياته الحكومية في عهد «تحتمس الثالث» وأحيل على ما يظهر في عهد «أمنحتب الثالث» وكان يحمل الألقاب التالية (راجع Urk. IV. P. 1026-5) الأمير الوراثي، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد، والذي يتبع خطوات الملك في صحراء الجنوب وفي الشمال (يقصد في النوبة وآسيا)، ومدير البيت في المدينة الجنوبية، ومدير البيت، وحامل العلم.

وقبر «أمنمسو» يقع في جبانة شيخ عبد القرنة (Gardiner & Weigall, "Catalogue", No. 89.) وتدل كل الظواهر على أنه كان في الأصل غاية في دقة الصنع، ويحتوي على عدة مناظر هامة، غير أن الزمن والأحفاد لعبا دورهما في تخريبه، إذ نشاهد أن كل صورة لصاحبه أو أقاربه قد عبث بها عن قصد ثم أشعلت فيه النيران أحياناً. والظاهر أن تخريب هذه المقبرة قد حدث بعد الانتهاء منها مباشرة، لأننا نعلم أن «أمنمو» كان لا يزال في الخدمة في عهد «أمنحتب الثالث»، وتدل كل الأمور على أن القبر كان قد خرب قبل عهد «إخناتون» عمداً، وذلك لأن عماله الذين وكل إليهم محو اسم «آمون» لم يدخلوا هذا القبر قط، لأن اسم «آمون» قد وجد محفوظاً فيه، والظاهر أن «أمنمسو» كان حطم

بعظمة وانتصار رب عهده «تحتمس الثالث» الذي بدأ خدمته في عهده، كما كان
ينظر إليه كل من عاشره حتى في البلاد الأجنبية، كما كان يحتل «أمنحتب الثالث»
مكان الشرف في مصره لأنه كان الملك الحاكم وقت نحته، ولكن «أمنحتب» قد ظهر
في منظر فيه وهو يتعبد «لتحتمس الثالث»، كما أنه قد أعطى عناية فائقة إلى تمثيل
صورة عبده المرغوب فيه، في حين أن المناظر الأخرى كانت خالية في تمثيلها،
هذا إلى أنه يشاهد في منظر صور فيه «أمنحتب» يقدم قربانا محروقة للإله
«آمون رع» وللإله «حور اختي» وكتب صلوات لها وللإلهة «حتحور» ليهبوا
جميعا النصر العظيم لزوج «منخبر رع» (تحتمس الثالث) (راجع Davies, J. E.
A. Vol XXVI. P. 132.)، ويلحظ هنا أن هذه الصلاة قد غطيت بلون،
فهل معنى ذلك أن «أمنحتب الثالث» حقد على صاحب المقبرة لتأليهه
«تحتمس الثالث» ولعبادته شخصيا، في حين أنه كان يعد نفسه إلها، وذلك
أمر يغمض معالم هذا القبر وصاحبه؟

ومما يلحظ في مناظر هذا القبر مطبخ ضخم يظن الإنسان أنه مطبخ ملك
لا مطبخ عظيم من عظماء القوم، فقد كانت تجهز فيه الأصباغ العطرية والبخور
والزيوت العطرية وفي تجهيز الطعام، كما نجد أن بعض هذه المواد كانت تشكل
في صور خيالية مثل الثيران والأوز المشوي والمسلات (Ibid. Pl. XXII) وقد
وجدت مثل هذه الصور من هذه المواد منذ عهد الدولة (راجع مصر القديمة
ج ٣ ص ٣٩٢) ويقول «ديفز» إن هذه الأشكال المصنوعة من البخور ربما
كانت تحل محل القربات المحروقة الحقيقية.

تبادل التجارة بين مصر «وبنت»: وفي هذا القبر نجد كذلك منظرا
لاستقبال جزية البلاد الأجنبية، ونلحظ فيه أن بعض الأسيويين قد أحضروا
جزيات، راجع (Ibid. Pl. XXIII, XXIV)، ومن بين المناظر التي تسترعي النظر صورة
تمثل التجارة التي كانت تتبادل بين مصر وبلاد «بنت»، وليس لدينا أية إشارة

إلى المكان الذى تقابل فيه المصريون لتبادل سلعهم مع أهل « بنت » ، غير أنه فى منظر فى القبر رقم ١٤٠ فى « ذراع أبو النجا » نفهم من وجود سفن ملاحة أهل « بنت » فى البحر الأحمر أنه كانت توجد ميناء على ساحل هذا البحر لهذا الغرض (راجع Davies, M. M. A. (Nov. 1935. Section II. P. 46.) ويحتمل أن تكون « القصير » الحالية (كما يقول ديفز) وهى الواقعة فى نهاية طريق « قفط » الصحراوية ، ويشاهد فى هذا المنظر بقايا صورة « امنحوتب » يعرشه وحيدا ، وأمامه أهل « بنت » يحضرون سلعهم التى كانت تحتوى على صموغ عطرية بعضها موضوع فى حقائب وأكياس من الجلد وبعضها مكوم أكواما عظيمة على صوان ، أو مضغوط فى هيئة مخاريط ، وكذلك أحضروا معهم جلود قردة وحيوانين حيين ، واحد منهما مربوط فى حبل ، والثانى حمل على ذراع رجل (راجع J. E. A. XXVI. Pl. XXV) ، وهنا نرى الكتاب المصريين منهمكين يدونون سلع المبادلة ، ولم يظهر لنا من الصور نوع السلع التى كان يتسلمها أهل « بنت » مقابل بضائعهم ، وقد انتهت العملية برجوع المصريين إلى بلادهم ، وكذلك عاد « امنحوتب » فى عربته بعد انتهاء المأمورية ، وقـد كان أتباعه يسيرون خلفه على الأقدام ، وكان بعضهم يسوق حيوانا محملا بالماء اللازم لرجال الحملة ، وكان آخرون يحملون بعض قطع من الخشب يجوز أنها من الأخشاب التى استحوذوا عليه من أهالى « بنت » على أن عدم حمل هؤلاء القـوم أية أسلحة لما كانت هذه مهمة قصيرة لدليل على أن الطريق إلى الساحل كانت مؤمنة بالشرطة أو أن هذه البقعة من الصحراء لم يكن يسكنها قبائل من اللذين اعتادوا السلب والنهب .

أمنحتب رئيس الرماة : يوجد قبر هذا الموظف فى جبانة شيخ عبد القرنة أيضا (رقم ٤٢) وقد حل به من التخريب ما حل بقبر سميه السالف الذكر تماما . وألقـابه هى : الأمـير الوراثى المقرب من الإله الطيب ، والمشرف على الأراضى الأجنبية الشمالية ، ورئيس الرماة (المشاة) وعيون رب الأرضين ورئيس الاصطبل

(Ibid. Pl. XXXIX.) وحيا الفرعون في بلاد «رتنو» . (راجع Davies, "The Tombs of Menkheperrasonb, Amenmose and Another", PP. 27 ff.)

الفرعون يرسله لتفقد أحوال ولايات آسيا : والظاهر أن هذا الموظف كان مشرفاً على بلاد «آسيا» من قبل الفرعون ليتفقد أحوال الأهالي ، ويكون على اتصال بالفرعون حول ما يجري في مختلف الولايات ، ولذلك نجد في قبره منظراً هاماً نقش فوقه : «وصول رئيس الرماة في «تحو» خلال حملة قام بها إلى تلك الجهات مع الفرعون» ، (يعني الإقليم في بلاد لبنان) كما نلحظ ذلك من وجود رئيس بلاد لبنان . والمنظر من الوجهة الفنية يدل على أن الفنان المصري قد بدأ يصور المناظر الطبيعية على حقيقتها بعض الشيء ، إذ نشاهد في هذا المنظر بجيه قلعة سورية بجدرانها وشرفاتها وأبراجها ، وقد أقيمت في وسط غابة كثيفة من شجر الصنوبر ، غير أن الأشجار لم ترسم بصور طبيعية بل في صورة حلية (Ibid. Pl. XXXVI.) ونشاهد الرئيس اللبناني يحبو على الأرض أمام «أمنمس» وخلفه آخر يقدم آنية عظيمة ، وآخر يحمل طبقاً فيه أحجار كريمة (Ibid P. 40.) وخلفه تأتي هدايا أخرى منها ثيران ، وهذه العطايا ليست عظيمة القيمة ، ولكن قد اختيرت لتمثل محاصيل البلاد المختلفة ، وأسفل ذلك نشاهد جنوداً مصريين يمشون مشية مسرعة ، وكانوا مسلحين (بالبلط) والحراب ، كما كانوا يحملون دروعاً ثم يأتي خلفهم الكتبة ، ولا بد أن هؤلاء الجنود من رجال الحامية الذين كانوا قد استولوا على هذا الحصن .

ولا نزاع في أن هذا القبر يرجع تاريخه إلى عهد «تحتمس الثالث» ، إذ عثر على طغرائه فيه ، ولكن يظهر من طغراء آخر أنه عاش كذلك في عهد الفرعون «أمنحتب الثاني» ، وبذلك يكون «أمنمس» قد خدم في عهد الفرعونين (Davies, ibid' XXXIX,).

منخبررع سنب الكاهن الأكبر للإله آمون : تدل المعلومات التي لدينا على أن والد « منخبررع سنب » لم يكن صاحب مكانة ممتازة بين رجال عصره ، إذ لا نعرف له أي لقب بل قد ذكر باسم « أمنمحات » وحسب . أما والدته فكانت مرضعة الفرعون ، ويحتمل جداً أنه الملك « تحتمس الثالث » وتسمى « تابوت » وكانت في الواقع بنت امرأة تدعى « تيا » وهي أحد الفرعون من الرضاعة ، ومن ذلك نعلم أن والدتها كانت كذلك مرضعة ملكية .

ألقابه . وكان « منخبررع سنب » يحمل الألقاب والوظائف التالية : الأمير الوراثي ، والذي ينال رضاء قلب الملك بإتقان آثاره ، ومدير أصحاب الحرف ، والمشرف على أعمال « آمون » في « وتثرت آمون » (اسم مكان) ، والكاهن الأكبر للإله « آمون » ، والسمير العظيم الحب ، والمشرف على بيتي الذهب ، والمشرف على بيتي الفضة ، ورئيس أسرار الإلهتين « وازيت » و « نحبت » ووالد الإله ، والمشرف على مخازن الغلال للإله « آمون » والمشرف على الغزالين في الوجهين القبلي والبحري ، والممدوح من الإله الطيب ، والمشرف على الوظائف ، وحامل خاتم ملك الوجه البحري ، والمشرف على كهنة الوجهين القبلي والبحري (الوزير الديني) ، وكل هذه الألقاب نقشت في قبره رقم ٨٦ أما في قبره رقم ١١٢ ، فقد وجدنا فضلاً عما ذكر الألقاب والنعوت الآتية : الفم الذي يهدئ كل الأرض قاطبة ، والرئيس الأول في بيت الملك ، وكذلك وجدنا على تمثال له في المتحف البريطاني الآن لقبين آخرين زيادة على ما سبق ، وهما الكاهن الثاني للإله « آمون » والكاهن « سم » (Hall, J. E. A. Vol. XIV P. 1, Pl. III). والواقع أن « منخبر رع سنب » قد أقام لنفسه قبرين وكلاهما في « جبانة شيخ عبد القرنة » (رقم ٨٦ ، ١١٢) . والأخير هو القبر المسلم والظاهر أنه القبر الذي ووري فيه (راجع Davies "The Tomb of Menkheperrasonb etc" PP. 18ff.) .

ومما يجدر ذكره في هذا القبر أنه لا يحتوى في معظمه إلا على مناظر تقليدية خاصة بالروح (كا) وما يمت لها بصلة. أما القبر الثانى وهو رقم ٨٦ فيحتوى على مناظر لها علاقة بنشاط «منخبر رع سنب» في نواحى الحياة الحكومية والاجتماعية والسياسية، ولذلك فإنه لا يشمل إلا مناظر قليلة جنازية، وهذا من الأمور التى تسترعى النظر في قبر رجل يشرف على الأمور الدينية في كلا القطرين، فضلاً عن أنه كان بمثابة القائد الروحى في أكبر معبد لأكبر إله وهو «آمون» ملك الآلهة وسيد «الكرنك».

الوظائف العليا والكهنة: ويجب ألا يعزب عن ذهننا أن الوظائف العليا التى كان يشغلها الكهنة كانت خاصة بالعمل على رفع نفوذ وزيادة ثروة الإله «آمون» وقوته في عالم الدنيا، ولذلك فقد كان من أول واجباتهم الوصول إلى مثل هذه المكانة الرفيعة أن يكونوا رجال إدارة ومحاسبين مهرة إلى حد بعيد، والواقع أن الفرعون كان في معظم الأحيان يرجع إلى مشورتهم في مثل هذه الأمور، (Ibid. P. 2.) ولهذا نجد أن مثل هذه المناظر التى كانت تصور لنا أعمالهم في الحياة الدنيا ونشاطهم للرفع من شأن الإله والفرعون معاً هى التى نشاهدها تزين جدران قبورهم، وتحتل المكانة الأولى فيها. على أن هؤلاء الكهنة كانوا دائماً يضعون نصب أعينهم أن يرجعوا كل أعمالهم وأعمالهم للإله الذى يمثلونه في شخص الفرعون حتى يبقى سلطانهم عظيماً ومكانتهم محترمة، فمن المناظر التى تسترعى النظر على جدران مقبرة الكاهن الأكبر «منخبر رع سنب» منظر إحضار الهدايا أو الجزية للفرعون من البلاد الأجنبية الآسيوية ممثلة في رئيس بلاد «كفتيو» وأمير بلاد «الخيتا» وأمير «تونب» وأمير «قادش» فنشاهد في هذا المنظر الفرعون بعد أن قبض طاقة أزهار الإله «آمون» من يد الكاهن الأكبر يستقبل وفود هؤلاء البلاد يقدمهم له. وقد نقش أمامهم المتن التالى: تقديم المدح للرب الأرضى، والسجود للإله الطيب من رؤساء كل البلاد وتمجيدهم انتصارات جلالته وجزيتهم على ظهورهم من كل محصول

من أرض الإله : فضة ، ولازورد ، وفيروزج ، وكل حجر ثمين ، متوسلين أن يمنحوا نفس الحياة » (Ibid P. 5.)

ولكن مما يلاحظ هنا أن كل هذه البلاد لم تكن خاضعة للحكم المصرى فى هذه الآونة ، والواقع أن الفرعون وكاهنه الأكبر كانا يريدان أن يظهرا مقدار امتداد نفوذ مصر وسلطانها فى هذا العهد ، ولذلك نجد منقوشا فوق الأسيويين الذين كان يسيطر عليهم ملا المتن التالى : « ما أعظم سلطانك ! . . . رؤساء الأراضى تراصدت ما حتى « حاوينبوت » (أهالى الشمال وجزر البحر الأبيض) ورائن الخوف منك يحيط بالدائرة العظمى ، والفزع فى كل الأراضى ، وإنك قد حرست أرض "آلتى" وقد نحوت منهم ، ونستلام آمون إلى الكهوف » .

وبما يلفت النظر أنواع الجزية التى قد أحضروها فقد كان معظمها يشمل أوانى وآلات مصنوعة مما تنتجه هذه البلاد ، وكذلك الخيل التى كانت تحتاج إليها مصر فى هذه الآونة بسبب الحروب التى كانت تشنها .

منخبررع سنب يتسلم جزية بلاد النوبة : وفى منظر آخر نشاهد « منخبررع سنب » يتسلم ذهب صحراء « قفط » وذهب بلاد النوبة الخاصة جزية سنوية . والمنظر يمثل لنا الذهب فى صور مختلفة بعضه حلقات ، وبعضه تبر ويرى منه سبائك وضعت كلها فى حقائب مختومة استعرضت على حصير ، وبجانب هذا كاتب يدوّن الوزن . وهنا نشاهد رئيس المازوى (شرطة الحدود والصحراء) ورئيس مناجم الذهب يقبلان الأرض بين يديه ، وخلفهما رؤساء الصيادين وقد أحضروا معهم فى حلتهم هذه ملحا وريش نعام ، وبيض نعام ، ووعولا وأرانب مما اقتنصوه فى الصحراء فى أثناء اجتيازهم لها .

منخبررع سنب يفتش مصانع آمون : وفى هذا القبر منظر آخر نشاهد فيه « منخبررع سنب » يفتش مصانع معابد « آمون » ويشرف على العمال الذين كانوا يقومون ببعض الأعمال التى قد طلبها الفرعون شخصيا . ومما يلاحظ هنا أن نظام العمل فى هذه المصانع كان ممتازا ، إذ نشاهد عمال الصيد يتسلمون المواد

الغلال ويوزعونها كل على حسب حاجته في حين أنه كان يوجد كتبة يدونون ما كانت تسلمه كل حاجة من الغلال . ونرى في هذه اللوحة صناعة العربات ، وصناعة القسى والسهام ، كما يشاهد المقلدون يصبون بابا من نحاس وآخرون يصنعون أواني دقيقة وقاعدة مصباح من الذهب .

منظر الحصاد وتوزيعه : وليس في قبرنا هذا العظيم منظر للحصاد نابغة في الأهمية لما يحتوي من تفاصيل وإيضاحات تفسر لنا واجبات « منخبررع سنب » بوصفه المشرف على مخازن غلال « آمون » فنشاهد القمح وقد حان الحصاد ، ولكن قبل أن يحصد المحصول كانت تحدد الحقول ليقدر عليها ضريبة « آمون » . وبعد ذلك كانت تمسح الأرض المزروعة بوساطة خيط القياس ثم يعين ما عليها . وقد كان يوجد أحد رجال الشرطة وقت إجراء هذه العملية ليحفظ النظام ، ولذلك كان يرى أصحاب الحقول يسيرون في خضوع ومسكنة خلف هؤلاء المساحين ، وقد كان للإله « آمون » بطبيعة الحال نصيب الأسد في هذه الحقول ، وبعد ذلك كان الفلاحون في حل من حصد محصولهم وما أشبه البارحة باليوم ، إذ لا يزال الفلاح يعاني من ذوي الأموال الظالمين معاملة القسوة والظلم ، إذ نفهم من المناظر القديمة أنه كان يترك الفلاح شيء على أية حال ، أما في أيامنا فقد لا يترك له شيء بل تطلب منه غرامة يدفعها بماشيته بل وبجلده الذي يكتسي به (راجع . Ibid XVII-XVIII) إذا خاب المحصول بسبب آفة طبيعية !

والظاهر أن « منخبررع سنب » لم يعقب خلفا ؛ إذ لم يذكر لنا اسم أي فرد من أسرته ، وربما يعزى ذلك إلى أنه لم يتزوج . فلم يذكر لنا اسم زوجة له على مناظر جدران قبره ؛ بل كانت والدته هي التي ترسم معه . حقا نشاهد امرأة أخرى صورت تحت كرسيه بحجم صغير كحجم قرد الأليف؛ غير أنه لم يذكر اسمها قط ؛ وكذلك من الأمور التي تلفت النظر في نقوشه أنه لم يذكر لنا لقبه بوصفه كاهنا ثانيا للإله « آمون » قبل أن يكون كاهنا أول . وهذا اللقب « الكاهن الثاني »

لم نجده إلا على تمثاله الذى عثر عليه فى معبد « الكرنك » كما ذكرنا ، ويحتمل أن الذى قد خلفه فى هذه الوظيفة هو « بو لم رع » كما يحتمل أنه هو نفسه قد خلف « حبو سنب » الذى كان يشغل وظيفة « كاهن أول » فى عهد « حتشبسوت » . أما الذى جاء بعده فهو الكاهن الأول « مرى » (راجع . Ibid P. 16) .

أمنحاب المسمى محو : لقد مر بنا ذكر « أمنحاب » فى مناسبات عدة فى حروب « تحتمس الثالث » ، وسيأتى ذكره كذلك عند الكلام على « أمنحتب الثانى » .

غير أننا سنورد تاريخ حياته بنوع من التفصيل ، وبخاصة فى ملازمته « تحتمس الثالث » فى حروبه الكثيرة ، لأنها من التراجم القليلة التى تحدثنا عن حروب هذا الفرعون ، وقبل أن نوردها هنا سنضع أمام القارئ النعوت والوظائف التى منحه إياها الفرعونان « تحتمس الثالث » وابنه « أمنحتب الثانى » : — الأمير الوراثى ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير العظيم الحب والمقرب جدًا من رب الأرضين ، والممدوح من الإله الطيب ، والذى يتبع سيده فى سياحاته ، والذى على رأس جنوده وعلى رأس أتباعه ، والضابط ونائب الجيش ، والسمير الوحيد ، وفم ملك الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى والذى فى قلب « حور » (الملك) فى بيته ، والذى يتبع الملك فى حملاته على الماء والأرض فى كل البلاد الأجنبية ، وفى كل مكان يسير فيه جلالته ، ورفيق الرماية ، وأول من يتبع خطوات رب الأرضين ، وحارس خطواته على الماء وعلى الأرض فى كل البلاد الأجنبية ، وعينا الملك « حور » وتابع الملك ، والعظيم فى وظيفته ، والدليل المفضل على كل عظماء الملك ، رئيس الرماة ، والنائب ، وغير ذلك من النعوت والألقاب ، غير أن أعظم لقب ناله فى أخريات حياته هو لقب « نائب جيش الفرعون » .

وترجمة حياة « أمنمحاب » قد تركها لنا منقوشة على جدران قبره في « جبانة شيخ عبد القرنة » (رقم ٨٥) وهو يحتوي على مناظر عدة تلقي بعض الضوء على حياته أيضاً وسنذكرها بعد .

وهاك ترجمته لنفسه كما جاءت على جدران قبره :

ترجمته لنفسه : الضابط « أمنمحاب » المرحوم قال : لقد كنت تابعاً جد المخلص لمولاه ، وأنا به واثق ، وصاحب عقل راجح لدى ملك الوجه القبلي ، ومبرز ومحبوب عظيم لدى ملك الوجه البحري ، عندما كنت أتبع سيدي في رحلاته إلى البلاد الأجنبية الشمالية والجنوبية ، ولقد كان يرغب في أن أتبع خطواته عندما يكون في ساحة القتال في انتصاراته ، وكانت شجاعته تأسر القلب ، ولقد حاربت بيدي ليبيا في أرض « نجب »(١) وأحضرت ثلاثة رجال أسرى أحياء ، وعندما اقترب جلالته من « نهرين » أحضرت ثلاثة رجال من هناك ، ووضعتهم أمام جلالتك أسرى أحياء ، ولقد حاربت القتال بيدي ثانية في هذه الحملة في بلاد مرتفع « ون » الواقعة غربي « حلب » (انظر مصور سوريا الشمالية رقم ٣٤) ولقد أحضرت ثلاثة عشر أسيوياً رجالاً أسرى أحياء ، وكانت عشرة حربة من البرنز ، والبلطة المرصعة بالذهب ... أيضاً ثم رأيت القتال ثانية في تلك الحملة الخاصة ببلاد « قرقميش » ولقد أحضرت ... أسرى أحياء ، وعبرت ماء « نهرين » وهم في يدي إلخ ... ... ووضعتهم أمام سيدي ، وقد كافأني مكافأة عظيمة ، قائمة بذلك : ... ... » ولقد رأيت انتصارات ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، معطي الحياة في بلاد « سنجار » (انظر مصور ٣) عندما وضعت مذبحة عظيمة بينهم وقد حاربت بيدي أمام جلالة الملك ، وقد أحضرت يداً من هناك ، وكافأني بذهب المديح ، قائمة بذلك : ... ... من الفضة ، وقد رأيت ثانية شجاعته عندما كنت من أتباعه ، فقد استولى على مدينة « قادش » ولم أكن غائباً عن المكان الذي كان فيه ، وقد أحضرت اثنين من الأشراف (مريا) أسرى أحياء ، ووضعتهما أمام ملك الوجه القبلي رب الأرضين « تحتمس الثالث » معطي الحياة ، وقد منحني ذهباً بسبب شجاعتي أمام كل الناس ، قائمة بذلك : ... من أحسن الذهب ، وكذلك دبابات ، وأربعة أساور معصم ، ولقد شاهدت سيدي في ... في كل صورة في بلاد أخرى ، عند حافات الأرض . ومعه ملك ... (؟) ... ولقد شاهدت ثانية انتصاراته في بلاد « تخسي » العاصية ، في وسط « مريو » ... وقد حاربت بيدي أمام جلالة ملك الوجه القبلي ، وقد أحضرت ثلاثة من الأسيويين أسرى أحياء ، وقد منحني على ذلك سيدي ذهب الثناء .

---

(١) نجب : الإقليم في جنوبي جبال يهوذا (راجع Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica", PP 154 ff.).



(٢٠) مصور حربي لشمال سوريا (رتنو العليا) وما بعدها

قائمة رشاقته ، فلادات من الذهب ودبابيس ، وأسد (من الذهب أيضاً) وأمة وعبيد ، وكذلك شاهدت ثانية عملاً ممتازاً قام به رب الأرضين في « نى » (قلعة المضيق انظر مصور ٣٢ Kal'at el Müdik) فقد صاد عشرين ومائة فيل لأجل أسنانها وقد نازلت أكبر الفيلة من بينها لأنه هجم على جلالته ، وقد قطعت يده (أي خرطومه) وهو حي أمام جلالته ، وكذلك عندما كنت واقفاً في الماء الذي كان بين صخرتين ، وقد كافأني سيدي على ذلك بالذهب ، وأعطاني ثلاث حلل (حسب أدرج كل سبب) وقد أطلق أمير « قادش » فرساً واحدة تجري على أرجلها ، وقد دخلت في وسط الجيش ، وقد تبعتها على قدمي وأنا أحمل سيفي ، فبقرت بطنها وقطعت ذيلها ووضعته أمام الملك ، من أجل ذلك حمد الله وقد منحني السرور الذي ملأ به جسمي ، وكسا أعضائي .

وقد أرسل جلالته كل شجاع في جيشه لنقب الجدار لأول مرة ، وهو الذي أقامه « قادش » ، وكنت أنا الذي نقبه لأول مرة ، وبعد ذلك كنت أول كل الشجعان ، ولم يعمل ذلك آخر قبلي ، ولقد برزت وأحضرت اثنين من « المرينا » (أي الأشراف) أسرى أحياء ، وقد كافأني سيدي ثانية على ذلك بكل شيء جميل يسر القلب ، ولما كنت بهذا الاستيلاء لا أزال ضابطاً في السفينة « مرحات » ، وكنت أنا الذي أدير أمراس سفينة « آمون السفينة رسرحات » ، وكنت على رأس رجالها عند سياحة « آمون » في عيد « آمون » الجميل المسمى « إبت » (الأقصر) عندما تكون كل الأرضين في ابتهاج ، تأمل ! لقد أتم الملك عمره في سنين عديدة عليه ، وكان قوياً ومنتصراً من أول سنة حتى العام الرابع والخمسين الشهر الثالث من فصل الزرع آخر يوم من الشهر من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري « منخبر رع » المرحوم ، وعندئذ رفع إلى السماء واتصل إلى « آتون » واختلط أعضاؤه مع خالقه ، وعندما أضاء الصباح وطلعت الشمس وأشرقت السماء مكن ملك الوجه القبلي والوجه البحري ابن الشمس « أمنحتب » على عرش والده ، وتسلم ألقابه الملكية ، واستولت كلها وقهر ... وقطع رءوس أمراء الأرض الحرة ، وأتى برؤسهم « حوري » ... والمتوكل على ... وكل الأرض تحني أنفسها ، وجزيتهم على ظهورهم لأجل أن يمنحهم نفس الحياة .

وقد لاحظ جلالته أني أجدف تجديفاً مدهشاً معه في سفينته الملكية « أمنحتب يشرق بالفعل » ، وكنت أجدف بكل قوى في العيد الجميل (الأقصر) مثل جلالته حتى وصل إلى الشاطئ ، وقد أمرني أن أمسك داخل القصر ، وأمرت أن أقف أمام ابنه « آمون » ، « أمنحتب » المظفر العظيم ، وقد عينت في الحال أمام جلالته ، فقال لي : إني أعرف أخلاقك منذ أن كنت في المهد ، وعندما كنت مع والدي ، وإني أمنحك وظيفة نائب الجيش كما قلت فأشرف على صفة جنود الحرس وقد عمل نائب الجيش « محو » كل ما قاله سيده .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن بعض المؤرخين يزعمون أن « أمنحاب » قد خلط في ترتيب وقائع تاريخ حياته ، مقدماً بعضها ومؤخراً البعض الآخر ، ولكن البحث الذي قام به « جاردنر » يثبت إلى حد ما أن بعض هذه الحوادث الحربية لم يكن فيها خلط قط (راجع J. E. A. Vol. 32. P. 40) .

وقبر « أمنحاب » يحتوي على عدة مناظر هامة منها : منظر إحصاء الجزية الأجنبية على يد ممثلين من الولايات الأسيوية ، ومن تاريخ حياة « أمنحاب » الذي أوردناه هنا قد نقش فوق صورة هذا الضابط الشجاع في منظر يمثله وهو واقف أمام « تحتمس الثالث » يقدم له جزية شمال « سوريا » وقد كتب المتن التالي تفسيراً له : « يقدم رؤساء كل البلاد الأجنبية المديح لرب الأرضين ، والثناء « لتحتمس الثالث » ويرتمون على بطونهم ويتوسلون [لجلالته] ... (؟) ... (؟) وهدايا ... (؟) ... على ظهورهم ... وأنهم يرجون لأجل ... ... وأملا من جلالته أملا في أن يمنحوا نفس الحياة في أنوفهم ، وكل رؤساء « رتنو » العليا ، وكل رؤساء « رتنو » السفلى ، وأرض « الكفتيو » وأرض « منتوس » (؟) وكل أرض أجنبية ... ... (؟) ... عظم شهرتك أيها الملك المظفر والملك المحبوب من « رع » ! لقد بعثت شهرتك في كل البلاد الأجنبية ، وهيبتك في كل البلاد الأجنبية (؟) فأصبحت كلها تحت سلطانك » .

الفرق بين المستعمرات المصرية والبلاد الموالية : على أن أهم ما يلفت النظر في هذا المتن هو اسم بلاد « منتوس » . (منوس Menus) وقد جاء ذكر « كفتيو » و « منتوس » و « رتنو » في مكان آخر . (راجع Davies, "The Tomb of Kenamon", Pl. XII.) . غير أن ذلك لا يعني أن « كفتيو » و « منتوس » ، كانتا ضمن أملاك مصر . وحقيقة الأمر أن المصريين كانوا في هذه الفترة من تاريخهم ينظرون إلى كل البلاد نظرة القوي للضعيف ، وأنه لا مثيل لهم ، فالبلاد التي كانت تحت سلطانهم مباشرة ، وهي التي أخضعوها بحد السيف كانت تقدم الجزية ، أما البلاد الأخرى التي كانوا لا يصلون إلى إخضاعها بحد السيف فإنهم كانوا لا يتكلمون عما أرسلته من الهدايا

أو الاحتقار ، ومع ذلك نجد أن « الكفتيو » و « منتوس » قد ذكرتا بين الأقوام الخاضعة ، وبخاصة « منتوس » التي كانت بعيدة عن مصر ، ويقول « ديفز » إنها ربما كانت مدينة (مالوس Mallus) القريبة جدا من ساحل « كليكيا » (آسيا الصغرى) ، ولكنا نجد ذلك نوعا من السيطرة الأدبية والزهو الفرعوني .

ومن المناظر الغريبة التي صادفناها في مقبرة هذا القائد العظيم منظر الضبع التي قابلها ، وقد تكلمنا عنه فيما سبق ، غير أن « ديفز » يفسره بأنه منظر الفيل الذي قطع خرطومه ، وأن الرسم هنا غير دقيق لأنه قد رسم من المخيلة إذ لم يكن هذا الحيوان مألوفا عند المصريين .

منظر صرف المؤن للجيش : ومن المناظر الهامة في هذه المقبرة كذلك المنظر الذي مثل فيه « أمنحاب » واقفا أمام باب القصر الملكي بوصفه قائدا وهو يراقب الكتاب يسجلون ما يصرف للجيش من الجرايات (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 94,) ، وقد كتب النقش التالي على المنظر : « دخول الجنود إلى القصر ليتناولوا طعامهم من خبز ولحم بقر ، ونبيذ وفطير وكل شيء جميل يقرب للقرب أمام الإله الطيب بوساطة ... كاتب الجيش ، مدير الرماة « أمنحاب » . وهذا يدلنا إن صح ما ذكر على أن الجيش كان يقدم له أحسن الأطعمة وأفخرها بالنسبة لعصره وغير عصره .

زوج أمنحاب تلعب دورا في حياته الحكومية : والظاهر أن زوج « أمنحاب » قد لعبت دورا هاما في تاريخ حياته ، إذ كانت « باكت » زوجه مربية الفرعون « أمنحتب الثاني » ولذلك نراه قد رقاه إلى رتبة « نائب الجيش » ، وكانت تحمل الألقاب التالية : مغنية « آمون » والمرضعة العظيمة لسيد الأرضين التي تعطي « حور » (أي الملك) إلى ثديها ، والوصيفة الملكية ، ونشاهد على جدران المقبرة منظرا « لأمنحاب » وزوجه يفتشان الصدقات التي أعداها إكرامًا

الفرعون، وكذلك التمثال الذي وضعه لها في المعبد (راجع Urk IV P 914)، وهما يدل على عطف الملك على مرضعته وزوجها نائب جيشه، وكذلك نشاهد «أمنحاب» تصحبه زوجه وهما يحملان أزهارا وقرابين أخرى الفرعون «أمنحتب الثاني» عند ما كان يتسلم امتزامه الإله «أوزير». كما نشاهد ابن «أمنحاب» يقدم لوالديه طاقة أزهار.

أمنحاب يخرج للصيد وزيارة حديقته: وكذلك نرى خادما يقدم لصاحب المقبرة وزوجه ماء الشرب. هذا ونرى «أمنحاب» يخرج لصيد السمك وصيد الطيور البرية، ثم نراه يزور حديقته وقد زينت بالأزهار والأشجار. ويقول المتن:

المسرور بالإلهة «ورت» حامية، والمتمتع بالعرش الذي يحبه قومها (أى الشمس) ورقيقة القلب في بلاط الحرب، والقلب والأرواح في ميدانها، وزوج القلب تحت ظلال جيزتها، ووردها بأزهارها وشرب الماء العذب من بركتها، وتم العرس، وقطف الأزهار بوساطة الأمير الوراثي، المقرب من رب الأرضين، والممدوح من الإله الطيب، نائب الجيش، «أمنحاب». وهكذا كان ينعم المقربون من الفرعون بملاذ الحياة الدنيا، كما كانت تتوفر لهم أسباب الرفاهية للتمتع بألوان النعيم المقيم في آخرتهم، وقد خلدوه على جدران مقابرهم. أما الشعب فكان نصيب أفراده على ما يظهر واحدا في كلتا الحالتين إذا صدقنا ما يقومون به من أعمال شاقة، وما يحتلونه من وظائف وضيعة في ظل هؤلاء المظلومين على الرغم مما قاموا به من حروب طاحنة لمساواتهم بأولئك العظماء والملوك في عالم الآخرة.

أنتف الحاجب. لقد ذكرنا فيما سبق ما كان يقوم به من عمل جليل للفرعون «تحتمس الثالث» في أثناء تنقلاته في حروبه في بلاد «آسيا» من الوجهة الحربية كما ذكرنا على لوحته المحفوظة «باللوفر» الآن. ولقد بقيت معلوماتنا قاصرة على ما جاء عليها إلى أن كشف عن قبره في جبانة ذراع أبو النجا رقم ١٥٥ (راجع Porter & Moss, "Bibliography", I.P 145.) ومن نقوش هذا القبر

ومما جاء على لوحته نعرف أنه كان يحمل الألقاب والنعوت التالية : الأمير الوراثى ، والسمير العظيم الحب ، عمدة وحاكم ، ورئيس كل الواحات ، والحاجب العظيم للفرعون ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، وكاتب الحسابات الممتاز ، والحاجب الأول لقاعة المحاكمة ، ومدير البيت العظيم ، والمشرف على مخازن الغلال ، ومدير كل أعمال بيت الملك .

ترجمة حياة أنتف لنفسه تنم عن روح العصر الخلقية : وقد ترك لنا « أنتف » هذا على لوحته الشهيرة فصلا عن الأعمال التى كان يقوم بها لراحة الفرعون وصفا رائعا يدل على ما كان له من مكانة ممتازة مما يقرب إلينا صور أمثال هذا الرجل العظيم ، وما كان يجب أن يتصفوا به من الصفات العالية من الوجهة الخلقية بالنسبة لعلاقتهم بالشعب ، كما كشف لنا الغطاء عما كان ينتظره من خلفه لإحياء ذكره ومدّ روحه بالقربان . والواقع أن ما كان ينقشه أمثال هؤلاء الرجال الممتازين على الرغم مما فيه من مبالغات وخيال خصب ، يمكن للمؤرخ من أن يستخلص منه حقائق عظيمة عن حياة القوم من نواح عدة ، ولسنا نميل كل الميل مع هؤلاء المؤرخين الذين يقولون إن كل هذه الوثائق التى تحدثت عن جميل أخلاق أصحابها وفضائلهم ليست إلا تقليدا أجوف تلقفه الخلف من السلف ، إذ أن مجرد تكريرها يؤكد لنا أن القوم كانوا يعلمون أنها هى التى يجب أن يتخذها الرجل المستقيم نبراسا ومثلا يسير على هديه ليصل إلى حسن الأحدوثة فى عالم الدنيا والخلود والنعيم المقيم فى عالم الآخرة . ومن أجل ذلك سنورد هنا الجزء الأعظم مما جاء على لوحته هذه فاستمع إليه وهو يقول مخاطبا الأحياء . أنتم يامن

تعيشون على وجه الأرض ، ويا أيها المواطنون ، وكل كاهن مطهر ، وكل كاتب ، وكل كاهن مرتل سيدخل هذا القبر فى الجبانة ، إذا كنتم تحبون الحياة الدنيا ولا تفكرون فى الموت ، وإن يحبكم إلهكم مدتكم (الآلهة المحلية) ، وألا تعرفوا رهبة أرض أخرى ، وأن تدفنوا فى مقابركم ، وتخلفوا وظائفكم لأولادكم ، وجب على كل فرد منكم يقرأ هذه الكلمات على هذه اللوحة أو يسمعها أن يقول داعيا : ليعط الملك ، لآمون ، رب عيون الأرضين ، قربانا يتألف آلافا من الخبز ، وآلافا من الجعة ، وآلافا من البقر ، وآلافا من الأوز ، وآلاف

من أتم الزمن ، وأتانا من طلع الصبح [وأتانا من الليل وأتانا من الزمن] من أجل روح الأمير الوراثي
ومحافظ خاتم ملك الوجه البحري والسمير الوحيد ، والمقرب من الفرعون ، ومصاحبه مدير عرشه ،
والذي يحيي موظفي المليك ، ويخترع حدوده ، والذي يسمع السر والذي يعود الأمير به ، والذي
يجعل جلالة الفرعون يصاحبه إلى أماكنهم ، قائد القواد ، ومرشد ملابس الزمان ، والرئيس صاحب
الوظائف الرئيسية ، صاحب المكتبة المقدسة ، والممتاز في الحضرة ، والذي يضع كتاب النواميس
(الفرعون) ، والذي يجمع التقارير عن شئون الأرضين والذي يتحدث عن الشئون في المكان السري ،
ومن يدخل محلا للأشياء الغالية ، ويخرج بالحمد ، ومن ينصب كل إنسان في مكانة والده ، ومن يسر
القلب ، ومن يثني على أهل الخطأ ، ومن يصب عنه كلام الظلم ، ومن يضع الأقفية في القصر ، ومن
يجعل كل رجل يعرف واجباته ، ومن يضع الحدود في القصر (الإدارة) ، ومن يغلق الرهينة في المكان
المظلم ، ومن يمسك الأسرات ، ويوحد الكائنات الخالية ، ومن يحفظ الخصوم في مكان الصمت ،
ومن يستدل ميزان الإله الطيب ، ومن يرشد القوم لما يعملونه ، ومن يقول الجميل ، ومن ذلك بنفسه
(ما أولاد) كما تخرج من فم الإله ، ومن يضع الأوامر للقوم على حسب أعاظم السلف ، ومن يعلمه
حساب كل شيء أبجدية ، ومن يشد برء أمراتهم ، والعظيم في شئون حساب الأعداد ، المخطط ..
حمل ، ومن يعرف ما في قلب الملك له الحياة والصلاح والصحة ، والسانح الذي يتكلم من في القصر ،
ورعيا المسالك ، ورب رب القصر وتعليم كل الأرض ، ومن يفصل الماضي ، ومن يحدوه السائر ، ..
من الماضي ، لرى السابقة مع الفرعون ، ومن يستعمل ... مع من يستعملون ... ، ورى القلب مع
أمر به القلوب ، ومن يصبح بصاحبه من كل مال الظهر (أى مرتا) ومن يبني حاجة ناس للقلب ، ومن
يحسن القلب يحمل على حسب قراءة القانون عن الزعيم ... أن قلبه بمر راض ، والعظيم الفرح بين
المحبين ، ورب الحوف من لأيري القلوب ، ومن يقل الحرب ، وبجهة الشرس ، وراه أمان القصر ،
تحرس ... ، ومن يستدعى الأعداء ليمحى ، المتاجب الأول لقاعة المذاكرة ، ... و ...
ودقيق كل هذه الواجبات والتكاليف الطاهرة التي يحمل الكاتب ... في القصر

صفاته : الفائق الوحيد ، المزود بالمعرفة ، والسليم حقا ، ومن هو من ... والصدر ،
ومن يجد الصائح ، ومن يولد ظهره للداخل ، والتقي القلب ، والتام العقل حقا ، ومن يجمع فله ليمحى ،
ورحل ... والمبرأ من الغش ، والمقيد لأسياده والمرتق الذي ... ، والمحبوب من كل السبل ،
والحامي الخلي ، ومن تسمع تصريحاته ، والطيب مع الصبي (أى الوالد الحامي) ، ومن يفضل لأجل ما
يحمل على حسب تصميله ، ومن لا يحي الحال ، ومن يجهم القلب ، ومن يعرف ما في النفس دون أن
تخرج فوه من الشفتين ، ومن يتكلم على حسب ضميره ، ولا يوجد إنسان لم تكن عنده معرفة ، ومن يولي

وجهه من يتكلم الصدق ، وعطوف على من يتكلم الكذب ، ومن يحصل السوء ... وجل ، ومن لا يكون متحيزا مع الفرد ، إذ يمارسه عمل الحق ، ومن يتبع عمل ما يرضى ، ومن لا يرجح من لا يعرف على من يعرف ، ومن يسير وراء الحق ، ومن يلتفت لسماع الشكايات ، ومن يحكم بين الرجلين فيصلح بينهما دون أن يكون محابيا للكاذب ، وإذا عثر من الخطأة ، ومسعد صاحب الحق حقه ، ومطالب المجرم على جرمه ، وخادم الفقير ، ووالد الأيتام ، ومربيه من لا أب له ، وأم الخائف ، وحصن المتخاصمين ، ومحامى المريض ، والمنتقم من جرم أملاكه من هو أقوى منه ، وزوج الأرملة ، ومحامى اليتيم ، وموضع راحة الباكي ، والممدوح لسببه ، ومن يثنى الله عليه ، ومدح ازدهاره ، ومن يجري له كل الشعوب المدح والمبالغة ، الحاجب العظيم لقاعة المحاكمة ، (انظر القائمة) .

أنتف يؤكد صحة كلامه ويتكلم تحريرا عن حياته - فيقول :

" هذه هي صفاتي التي أحملها ، وليس فيها ميل ، وهذه هي محاسني حقا وليس فيها مبالغة ، وليس في هذه الكلمات قول مبالغ فيه من نفسي بالكذب ، ولكن يكون هذا صحيحا لو كنت أشاهد به وحسب ؛ وهذه كانت وظائفي في بيت الفرعون له الحياة والعافية والصحة ، وعندما كنت جالسا في قاعة المحاكمة ، وقلبي هو الذي جعلني أن أنفذها ، بإرشاده لي ، وإنه كان هو مرشدي الممتاز في أحسن حالاته ، وكنت أخشى أن أعصي إرشاده ، ولذلك أفلحت بسببه كثيرا ، ولذا كنت ممتازا بما يعطى أمرني به ، وكنت ماهرا بهديه ، وإنه وحي من الإله الذي في جوف كل إنسان ، وإنه سعيد من أوصله إلى الطريق الطيبة الفلاح ، تأمل هكذا كنت " .

مكانة أنتف : ومن هذا النقش الذي جمع كل أعمال هذا الرجل العظيم ، وما كانت تتطلبه وظيفة الحاجب الأول للفرعون نلحظ أولا ثقل أعباء هذه الوظيفة ، إذا كان حقا كل ما نسبه إليها من مهام . يضاف إلى ذلك ما وصف به نفسه من صفات وأخلاق تضعه في المرتبة الأولى بين الموظفين الذين قرأ سيرهم الأقاصيص الحياتية ، إذ في الواقع نجد أنه قد صور لنا الرجل المثل لا الموظف العظيم ولا غرابة إذن إذا كان « تحتمس الثالث » كان قد انتخبه ليكون في ركابه ورحلاته ، ووكل إليه أشق مهمة ، وهي الإشراف على شخصه والمحافظة عليه في البلاد النائية من الوطن .

هذا وقد ترك لنا « أمنحت » في قبره عدة مناظر معظمها مهشم ، وأهمها منظر الأجانب يحملون الهدايا (راجع Meyer, "Bericht uber eine Expedition nach Aegypten zur Erforschung der Darstellungen der Fremdvolker", P. 728-9.) ، وكذلك فساء أجانب (Ibid. 623) ، وكذلك منظر أكل تلد ، ومناظر لصيد الطيـور والصيد في المستنقعات (راجـع Porter and Moss, "Bibliography". I. P. 146.) .

أمو ترح حاجب الفرعون : كان « أمو ترح » حاجبا آخر للفرعون « تحتمس الثالث » ويرجع تاريخ قبره الى أواخر عهد هذا الفرعون، وقد ظهرت صورته في رسوم مقبرة « وسرحات » في « جبانة شيخ عبد القرنة » رقم (٥٦) ، ويظن الأثرى « دبفز » أنه كان والد « وسرحات » ، وأنه قد لاقى نفس المصير الذى لاقاه الوزير « رخ مى رع » معاصره ، ومن المحتمل كذلك غيره ممن قسا عليهم سوء طالعهم أن يعيشوا في عهد « أمنحتب الثانى » ، إذ نشاهد أن قبره قد اغتصبه « مرى » الكاهن الأكبر للإله « آمون » ونسبه لنفسه ، كما بقى قبرا آخر رقم ٩٥ (راجـع J. E. A. Vol. XXII. P. 96.) . ولقـد حفظ « وسرحات » ذكرى « أمو ترح » بذكره مرتين في نقوش قبره، ولكن بصورة مبهمة .

ألقاب أمو ترح : أما ألقاب « أمو ترح » فهى كالآتى : الأمير الوراثى وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسـمير الوحيد والشاهى ، وحاكم المقاطعات ، والمقرب الممتاز الى رب الأرضين ، وكاتب الملك ، ومدير كل أعمال الفرعون ، والقاضى رئيس « مششت » (مندرة) ، وحاجب الفرعون الأوّل ، والمشرف على قاعة المحاكمة ، وتابع الفرعون في كل بلد أجنبي، والسـمير العظيم الحب، والمشرف على قاعة المحاكمة في الوجه القبلى والوجه البحرى، وحاجب الملك ووالد الإله ومحبوبه، وعينا ملك الوجه القبلى وأذنا ملك الوجه البحرى والمشرف على مخازن غلال الوجهين القبلى والبحرى (راجع Urk. IV. P. 942-62.) . ويوجه عام نجد في نقوش قبره

كل الصفات التي كان تتصف بها « آمنتف » مما يدل على أن حاجب الفرعون والمشرف على قاعة العدل كان يتمتع بسمعة خاصة .

الأهمية التاريخية لمناظر قبره : وقبر هذا العظيم قد لحق به التخريب والمحو بصورة مريعة كما ذكرنا وعلى الرغم من ذلك يمكننا أن نستخلص منه أنه كان يحتوى على بعض مناظر جميلة ، كما يوجد فيه لوحة تذكارية تحدثنا عن معدات الجنازية وما يحظره من رؤيتها من تلاوة الأدعية العادية التي نجدها شائعة في هذا العصر على قبر كل عصر من عصور التاريخ ، ثم يتحدث إلينا عن ترجمته لنفسه فيقول إنه قد خدم الفرعون ، وقبض على زمام إدارة وظيفته منذ السنة الخامسة عشرة ، ثم يذكر لنا أنه كان يدير أعمال البناء والتعمير في عهد الفرعون فكان يشرف على [مبنى] أقامه الملك لوالده « آمون » ، وكذلك على إقامة مسلات عظيمة أقامها الملك « لآمون » وكذلك على إقامة بوابة عظيمة لها برجان من الجرانيت (؟) وغير ذلك مما لا يمكن ذكره على وجه التحقيق لتهشم الحجر (راجع Urk. IV. P. 940.) . كما عثر له على لوحة أخرى في قبره دون عليها أنشودتين لإله « رع » يقول في نهاية الأهمية منهما : إنه كان يتبع سيده في كل خطوة ، وأنه لم يرتكب أي ذنب في كل أعماله ، وأنه كان مخلص القلب لسيده ، وأنه سليم القلب ، سليم الفم ، سليم اليد . (راجع Ibid. P. 944) .

مناظر جزية سوريا و بلاد السودان : وأهم ما يسترعي النظر في قبره منظر إحضار الجزية من الشمال (أي من سوريا) ثم منظر إحضار الجزية من الجنوب أي من بلاد « كوش » ويرجع الفضل في شرح هذين المنظرين إلى ديفز (راجع J. E. A. Vol. XXVII P. 96.) .

وقد كتب على المنظر الأول ما يأتي : ظهور الفرعون الرسمي على العرش العظيم في قصر « خير وليس » بالردهة الشمالية ، وقد كان عليه ساطعا جدا بالقوة والنصر ، وقدمت أعظم الناس أقداره لسلطان جلالته من بلاد « رتنو » الخاسئة « لأجل والده « آمون رع » الذي حفظه وكون رعيته ورسم

تاج الفصل (عنخ) على رأسه عقدا ، والتاسوع الإلهي بمصيره ، والأراضي الجنوبية تحمل ضرائبها ، والأرض الشمالية عنه إلى أقصى حدها احترامه بوسائله … « أمونرع » (راجع Urk IV P 951) وهذا المتن قد وضع فوق صورة « أمونرع » ويتبعه أهل « سوريا » يحملون الهدايا ، وقد ظهروا بصورهم العادية ، ومسرحيتهم النقش التالي : « حضور رؤساء « رتنو » في سلام … بخضوع ورهبة » . ويلاحظ أن واحدا كان يحمل آنية صينية بمقبض رقاب وصحفة ، وقد كتب عليها « آنية من الذهب » ، وآخر يحمل آنية أخرى زرقاء اللون ، وثالثا يحمل عربة ، ورابعا يحضر قوسا وكنانة وسهاما ، وخامسا يقود جوادا . كما يشاهد واحد منهم يحمل آنية من اللازورد . وكذلك يشاهد في نفس المنظر رئيس « رتنو » وأتباعه يقدمون للفرعون آنية جميلة ، وقد ركعوا أمام جلالته ، ويقول متهم المتن : أمير الشمال يجثو على الأرض عند ما كان يقدم الثناء لجلالته ، وذلك بسبب عظمة قوته في كل بلاد الشمال » . وقد أحضر هذا الأمير وجماعته لوائب لازورد وخنجرا ويغورا ، وآنية من الفضة وقميصا من الكتان وغير ذلك من الهدايا الفاخرة . غير أن أهم شيء يلفت النظر في هذا المنظر إهداء دب قد رسم بدقة على جدران المقبرة . ولا غرابة في أن نرى حاجب الفرعون يرسم هذا المنظر على جدران قبره لأنه كان من الضباط الذين لا يفارقون الفرعون في حلاته (راجع J. E. A. Vol. XXVII P. 96) ؛ أما المنظر الثاني الذي يظهر لنا فيه إحضار النوبيين الجزية فقد كتب عليه العبارة التالية : « تقديم المديح لرب الأرضين ، وتقبيل الأرض أمام الإله الطيب … الجزية من قبل رئيس « إرم » (مكان غير معروف موقعه) ويحيونهم عن شيوخهم ، والأعداء جلالته » . أما الهدايا التي أحضرت فيحتمل أنها سلات مملوءة بالبخور . كما يشاهد قرد ، وقائد هؤلاء القوم يقدم بكلتا يديه ذيل زرافة ، وآخر يقدم قطعة من خشب الأبنوس ، وثالث يقدم سن فيل وجلد فهد ، كما يشاهد ضمن الهدايا زرافة ، وكذلك زرافة وقرد يتسلق رقبتها ، وهذا المنظر الأخير نشاهده في مقبرة « رخ مي رع » كما سنرى بعد والواقع أن بعض هذه المناظر كان تقليديا . وكذلك نرى ضمن الجزية سلات ملأى بحلقات الذهب وبيض

التام وكما نلحظ في النظر هنا منظر تقديم هؤلاء القوم أولادهم بمثابة جزية للفرعون وقد كتب على هذا المنظر كله النقش التالي : إحضار طوائف متباينات الجلد «كوش» الخاصة من عاج وأبانوس ، ومثل أنواع الأحجار الثمينة [بوساطة رؤساء كل البلاد ؟] ، وهم يقولون ما أعظم سلطانك أيها الملك الطيب «منخبرو رع» الذي وضعك على عرش «آتوم» ، إنه يقدم كل الأراضي وكل ممالك إلى المكان الذي أنت فيه ، ورؤساؤهم يدخلون إلى جلالتك حاملين على رءوسهم جزيتهم «منخبرو رع» . (راجع J. E. A. Vol. XXVIII. P. 58.) . ولا نزاع في أن الذي رسم هذا المنظر كان في ذهنه منظر جزية سنوية تقدم للفرعون .

مين نخت : كان «مين نخت» من أكبر رجال الدولة في عهد «تحتمس الثالث» وهو والد «منخبر» كاتب الفرعون نفسه . وقد كان «مين نخت» يحمل ألقابا عالية بعضها ألقاب شرف ، وبعضها وظائف حكومية وهي كما يأتي : الأمير الوراثي ، والمقرب العظيم لدى رب الأرضين ، والممدوح من الإله الطيب ، ومدير المديرين في المدن والمقاطعات ، والكاتب الملكي الحقيقي ، ومحبوبه ، والمشرف على مخازن الغلال في القطرين ، والمشرف على كهف النيل ، والمشرف على ثيران الشهود في مخازن غلال «آمون» ، ورئيس عبيد «آمون» ، والمشرف على مخازن ماكولات «آمون» ، ومدير بيت «آمون» ، والمشرف على جياد رب الأرضين ، والمشرف على المطبخ العظيم ، وحامل خاتم «آمون» ، وحامل خاتم ملك الوجه البحري ، والسمير الوحيد ، والقاضي ، وعينا الفرعون في مدن الجنوب ، وأذنا الملك في مقاطعات أرض الشمال (الدلتا) ، والمشرف على مخازن الغلال الذي يحسب غلة الوجه القبلي والوجه البحري ، والمشرف على المخازن العظيمة للملك في الوجه القبلي والوجه البحري ، والمشرف على مخازن الغلال لأرض العصابات في الأرضين (راجع Urk. IV. P 1177 1190.) .

والظاهر أن «مين نخت» بعد ما عدد ألقابه شعر بأنه قد بالغ فيها فقال في ختامها : «إنه لم يقل كذبا ولم يعمل شرا» .

مناظر قبره : ومما يؤسف له أنه لم يترك لنا في قبره مناظر تحدث عن نشاطه في مختلف وظائفه هذه ، وقد عثر له في جبانة شيخ عبد القرنة (رقم ٨٧) ، ويحتوى على ولية عادية ورسم الشعائر الجنازية والاحتفال بها وحديقة غناء وضع فيها كل ما لذ وطاب من المأكولات (راجع Wreszinski, "Atlas" Pl. 278) ، وقد نحت لنفسه محرابين في السلسلة الغربية كما جاء ذكره في عرش أخيه وخلفه « سنمر » ، إذ قد ذكر بلقب القاضي ، وكاتب الملك ، ومدير مخازن الغلال في القصرين المرحوم « مين نخت » .

« من خبر »

قبر هذا العظيم في « جبانة شيخ عبد القرنة » (رقم ٩٩) ، وقد كان من عظماء رجال عهد « تحتمس الثالث » ، وكان يحمل الألقاب التالية . — الحاكم الوراثي ، والذي يضم الأرضين لرب القصر ، والمشرف على كهنة الإلهين « سبك » و« أنوبيس » ، والمشرف على أرض « آمون » الزراعية ، وحامل خاتم ملك الوجه البحري ، والسمير الوحيد ، والمشرف على بلاد الذهب التابعة للإله « آمون » ، والمشرف على ماشية قرن ، وحامل الخاتم ، (المشرف على الخاتم) ، والمشرف على الآلاف من كل شيء (القربان) ، ومدير معبد « أتوم » ، والمشرف على كل كهنة الآلهة جميعا ، وفم ملك الوجه القبلي ، وأذنا ملك الوجه البحري ، وصاحب الملك ، والمشرف على ماشية قرن وماشية حافر ، والمشرف على ماشية ريش ، وعلى المعادن ، ورئيس كل الأحجار الثمينة ، والمشرف على كهنة الإله « آتوم » ، ومدير معبد كل آلهة « عليوبوليس » ، والرئيس الأعظم لسيار القصر الملكى ، والمشرف على الأراضى المنزرعة للإله « آمون » (راجع Urk. IV. P. 529-542) .

رحلة « من خبر » إلى بلاد لبنان :

والظاهر أن أهم عمل قام به هذا الموظف العظيم هو رحلته إلى بلاد « لبنان » لإحضار خشب الأرز من جبالها لتصنع منها نصب الأعلام في معبد الإله « آمون » في « الكرنك » ؛ وقد رسم منظر هذه الرحلة على جدران مزار قبره إذ

مر" فيها حسب الأمر الملكي للذهاب إلى بلاد « لبنان » ، ثم نراه يعود منها ومعه عموده وأناس لا يمكن تمييزهم الآن ، وقد أحضرهم بجانب غنائم ، وكذلك معه عمد الأعلام ، وكانت تجر على زحافات ، ثم يقدم الفرعون تقريره عن هدف الرحلة المبرورة . (راجع Urk. IV P. 531-536.) . ومما يلاحظ هنا أن « سن نفر » كان يحمل لقب حامل خاتم ملك الوجه البحري ، وقد كانت العادة أن يرسل الفرعون من يحمل هذا اللقب في مهمة إلى الخارج ، وذلك منذ الدولة الوسطى ، وقد ترك لنا « سن نفر » فيما تركه عن نفسه بعض مناظر طريفة على جدران قبره غير ما ذكرنا ، منها منظر يمثل فيه أشياء طريفة ثمينة لخزانة الفرعون كالذهب والأحجار الثمينة ، (راجع Urk. IV P. 336.) كما نشاهد منظر تسلمه الجزية التي غنمها الفرعون في حروبه ، وكذلك نراه يفتش على الأثاث الجنازي الذي أعده له الفرعون ، والتماثيل المصنوعة من الأحجار الغالية التي قدمها لمعبد « آمون » ، وأخيرا نشاهد « سن نفر » وهو يتقبل هدية رأس السنة من خدمه وبخاصة زوجه وأولاده وصناعه . وله تمثال في المتحف المصري نقشت عليه الصيغة الدينية ومناقبه وألقابه ، كما وجد له نقش على مدخل معبد « سرابة الخادم » ، ويرى فيه « تحتمس الثالث » ممثلا أمام « حتحور » ربة أرض الفيروزج ، وفي هذا النقش كان فرد آخر اسمه « كنا » يحمل لقب « مدير البيت العظيم الثاني » (راجع Urk. IV P. 548.) .

« آمون مس » كاتب بيت المال : كان كاتب بيت المال للإله « آمون » وقبره في « جبانة شيخ عبد القرنة » رقم ٢٢٨ (راجع Gardiner and Weigall, "Catalogue", No. 228.) ، والظاهر أنه كان في خدمة « أمنحتب الثاني » أيضا .

أمنحاب مدير بيت الفرعون : كان « أمنحاب » هذا مدير بيت الفرعون « تحتمس الثالث » والمشرف على ماشية الملكة « نفر تاري » المؤلهة ، و « نفر تاري » هذه يحتمل أنها بنت « تحتمس الثالث » ، ووجدنا الوظيف

معروف لدينا من تمثال عثر عليه فى خبيئة الكرنك وهو الآن بالمتحف المصرى (Legrain, "Statues", No. 2412.)

«آمون اري نفر» المشرف على الخازن : كان يحمل لقب المشرف على الخازن، وله قبر منزوى فى «الطوخة» «بطيبة الغربية» (رقم ١٩٩) غير أنه قد هشم ولا يمكن دخوله الآن (راجع .Porter & Moss. "Bibliography", I, P. 153) .

«أمنمحات» وكيل آمون : وكان يلقب «وكيل آمون» وله قبر جميل فى «جبانة شيخ عبد القرنة» ، ويحتوى على عدة مناظر طريفة أهمها منظر وليمة (راجع .Porter & Moss. Ibid., P. 86) يشاهد فيها الرجال جالسين على كراسى ، أما النساء فيجلسن على حصير ، ويلحظ هنا خادم يمسك برأس ضيف قبت به بنت الملك فيفرغ ما فى جوفه ، ويشاهد كذلك نساء يعزفن على آلات الطرب ، كما يشاهد أخريات يرقصن بالصاجات ويلفت النظر راقصة تقوم بألعاب بهلوانية مدهشة كالتى نراها فى عهد الأيام . ومن المناظر الطريفة منظر تذرية القمح بالأيدى حيث نجد رجلين يذريان التبن الذى يحتوى على الحبوب فتنفصل الحبوب عن التبن ، ويشاهد رجل يكنس القمح الذى يتناثر على الأرض فيجمعه إلى بعضه . هذا ونرى فى منظر آخر طحن الغلة بطريقتين إحداهما بوضع الحب فى هاون عال وهرسه بمدقة فى يد امرأة تعمل وهى واقفة ، أما الطريقة الثانية فتشمل على حجر طاحون عال تطحن عليه سيدة واقفة وقد تعمل تدريجا ، وليس ثمة لها طرفان وذلك على خلاف الطريقة العادية .

«أمنمحات» حاكم بيت تحتمس الأول : وقد عثر له على لوحة فى «هليوبوليس» . وقد ظهر فى أعلاها «تحتمس الثالث» يقدم خبزا للإله «آمون رع» مما يدل على أن هذا الموظف كان عائشا فى عهد هذا الفرعون (راجع .L. D. III. Pl. 29c) .

« انتف » كاتب الجبانين : كان يلقب كاتب الجنديين في عهد « رعمسيس الثالث » وقبره في « شيخ عبد القرنة رقم ١٦٤ (Gardiner and Weigall, "Catalogue", No. 164.)

« برى » الكاتب : كان هذا الموظف يحمل لقب كاتب فقط ، وقد كشف عن قبره في « الرقة » وعثر فيه على بعض حلى جميلة من الذهب تحتوى على خواتم للشعر (؟) وثلاثة من الذهب تنتهى بجعارين ، ويشمل منها لوحة صغيرة من الذهب كتب على أحد جانبيها لقب « رعمسيس الثالث » وعلى الجانب الآخر اسم « برى » ولقبه ، كما وجد عقدان من حبات الكرنلين وثلاثة جعارين ، واحد منها من اللازورد ، وكذلك عثر على مكحلة من حجر سيناتيت في صورة قرد يقبض على إناء ، ومرآة من النحاس ، وطبق من المرمر (Engelbach, "Riqqeh and Memphis", P. 15, Pls. I, 6 - 12; XI, 3.)

أهمية محتويات قبره : ولا نزاع في أن محتويات هذا القبر تضع أمامنا صورة ناطقة عن الثراء والغنى والبذخ الذى كانت تنعم فيه البلاد في هذا العصر ، وبخاصة إذا علمنا أن هذه الأشياء قد وجدت في مقبرة موظف صغير يحمل لقب كاتب وحسب .

« باثاو » المشرف على الماشية : كان « باثاو » هذا المشرف على الماشية وقد وجد (Legrain, "Repertoire", No. 162, & A. S. VII. P. 134.) اسمه ولقبه على حرب من تمثال قدمه له ابنه « منخف نبو » الذى كان يحمل لقب « مطهر الإله آمون » . وقد عثر على بقايا هذا التمثال في خرائب معبد « رعمسيس الثالث » الجنازى .

« بناحسى » الوزير : كان « بناحسى » هذا يحمل لقب الوزير كما كان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى وكبير القضاة ، والمشرف على محاكم العدل الست العظيمة ، وفم « نخن » ، وكبير كهنة الإلهة « ماعت » ووالد الإله ، ومحبوب الإله (A. S. Vol VII P 130) .

وقد عثر له على لوحة في معبد «تحتمس الثالث» الجنازى المسمى «المعطى الحياة» وقد كتب عليه اسم هذا الفرعون. ولما كان الوزراء الطيبون الذين في عهده معروفين لنا، فإنه من المحتمل جداً أن «بتاحمس» هذا كان وزير الوجه البحرى. وقد عثر له على جعارين تحمل لقب «والد الإله» والوزير.

«بتاحمس» حامل الخاتم: وهذا موظف كبير آخر بهذا الاسم كان ينادى بالألقاب التالية: الأمير الوراثى، وحامل خاتم الوجه البحرى، والكاهن «سم» (أى الكاهن الأعظم في «منف»). والمدير العظيم للصناع (أى الكاهن الأكبر لمعبد الإله «بتاح» في «منف»). وهذه الألقاب وجدت منقوشة على محراب لـ«القرابة» (Roeder, "Naos", Catalogue General No. 700038.).

«من»: عثر لهذا الموظف على نقش في الصخور القائمة على الطريق بين أسوان و«عبلة»، ويشاهد عليها «من» وهو يتعبد أمام طغراء «تحتمس الثالث» وألقابه هى: الأمير الوراثى والعظيم فى بيت الفرعون، والمشرف على كهنة الإله «آمون» (راجع De Morgen, "Cat. Monuments", P. 28, Porter & Moss, "Bibliography", V. P 246.).

«من» المشرف على الكهنة: وجد لهذا الموظف الكبير تمثال فى «المتحف» وهو الآن بمتحف «برلين» ويحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثى، وسمير الفرعون، والمشرف على الكهنة (راجع Schafer, "Agyptische Inschriften zu Museen Berlin", II. P 25, 26.).

«منتو إيوى» ساقى الفرعون: كان هذا الموظف يحمل لقب «ساقى الفرعون» وطفل الرضاعة (راجع Porter and Moss, "Bibliography" I, P. 149.) وقبره فى «الخوخة» يحمل رقم ١٧٢؛ وقد صور فيه وهو يصطاد حيوان الصحراء منها النعام والثعالب، وكذلك نشاهده وهو يصطاد مع أسرته السمك

والطيور، وقد رسم كذلك فى هذا القبر منظر جنى العنب وعمل النبيذ، غير أنه لم يتم، وفى هذا المنظر نشاهد مائدة قربان قد كدست عليها القرابين للآلهة «رننوت» إلهة الحصاد التى مثلت فى صورة ثعبان (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 353 5.).

«نفرحبو» طحان آمون . كان هـذا الرجل يحمل طحانا للإله «آمون» وطحان شعير وقمح . وليس لهذا الموظف إلا لوحة عثر عليها فى «شيخ عبد القرنة» وهى الآن بالمتحف المصرى (راجع Lacau, "Steles du Nouvel Empire", No. 34035 Pl. XXIII) والجزء الأعلى منها قد مثل عليه «تحتمس الثالث» على عرشه أمام «أوزير» و«أنوبيس» والإلهة «أمنت» إلهة الغرب . وفى الجزء الأسفل نشاهد صاحب اللوحة يتعبد هو وزوجه و حماته لهذه الآلهة عليها .

«تمربرت» ساقى الفـرعون . كان «تمربرت» يلقب ساقى الفرعون بيدين طاهرتين، وتابع الفرعون فى كل أرض أجنبية، وهذا اللقب الأخير يفسر لنا أن هذا الموظف كان من المقربين جدا للفرعون، وبخاصة أنه كان ساقيه الخاص على ما يظهـر (راجع Legrain, "Statues", No. 42121).

«نفر — رنبت» المسمى كذلك «رفى» : ؟ هذا الموظف له تمثال فى «ذراع أبو النجا» وكان يلقب صانعا وحمار تماثيل .

«نب وعى» مدير بيت الإله أوزير : عرف من لوحة هـذا الرجل التى عثر عليها فى «العرابة» أنه كان يلقب مدير بيت الإله «أوزير» والكاهن الأكبر للإله «أوزير» . ويلحظ أن الجزء الأعظم من هذه اللوحة قـد خصص لنظر مزدوج مثل فيه الفرعون «تحتمس الثالث» ينصب العمود المقدس للآلهة «حتحور» الذى يعلوه رأسها لابسة تاجها (Lacau, Ibid, No. 34017, Pl. XI.)

« تحت » مدير الغلال : وجد تمثال « لتحت » هذا في « خبيئة الكرنك » ويحمل الألقاب التالية : الحاكم عند ملك الوجه القبلي ، والصادق عند ملك الوجه البحري ، سيد السلام ، ووكيل « جب » ، ومدير الغلال (Legrain, ibid, P. 74, No. 42124.)

« حي » : كان « حي » أحد كهنة معبد الفرعون « تحتمس الثالث » المسمى « منح إست » ويحمل لقب « مطهر آمون » والمهد للمعبد والمعطي الحياة » (راجع A.S.I.P.106).

« خارو » حامل القلم : وجدت له لوحة محفوظة الآن « بمتحف اللوفر » ويلقب عليها بحامل القلم في السفينة « تحتمس سيد الأعداء » (راجع Lieblein, "Dict. des Noms", P. 196, No. 591.)

« سامونت » : كان يشغل وظيفة المشرف على أعمال الإله « آمون رع » في « الكرنك » وقبره في « ذراع أبو النجا » (راجع Gardiner and Weigall, "Catalogue", No. 142.)

« سني مس » مربي الأمير « وزمس » : كان « سني مس » هذا مربيا للأمير « وازمس » بن الفرعون « تحتمس الأول » وقد عثر له على لوحة في خرائب مزار هذا الأمير في « طيبة » الغربية ، يشاهد على الجزء الأعلى منها الفرعون « تحتمس الثالث » يحرق البخور أمام تمثال « تحتمس الأول » وخلفه تمثال صغير للأمير « وازمس » يحمل في يده زهرة البشنين . وفي الجزء الأسفل نقرأ وصية « سني مس » المؤرخة بالسنة الحادية والعشرين من عهد « تحتمس الثالث » لزوجه وأولاده السنة لأجل قربانه ، وقد نقشت هذه الوصية في قاعة الوزير « وسر » في نفس اليوم الذي كتبت فيه ، وهو اليوم الخامس والعشرون من فصل الزرع ، الشهر الثالث في العام الواحد والعشرين من حكم « تحتمس الثالث » (راجع Urk. IV. P. 1066ff.).

« كام حر إبسن » : كان يحمل الألقاب التالية : حامل خاتم الوجه البحري ، والكاهن الثالث للإله « آمون » ، وقبره في « شيخ عبد القرنة » رقم ٩٨ ، ويشاهد

فيه مناظر يظهر فيها ستات المتوفى وزوجه يقدمن طاقات من الزهور له ، والقبر لا يمكن دخوله الآن (راجع L. D. (Text) III, P. 278; Porter and Moss, "Bibliography", I, P. 128) .

« ددیا » المشرف على كتاب ماشية آمون : عثرنا للموظف العظيم على تمثال في « خبيئة الكرنك » وقد نقش عليه الألقاب التالية : المشرف على كتاب ماشية « آمون » ، والمشرف على كتاب « آمون » و « موت » و « خنسو » في « الكرنك » وفي « طيبة » (راجع Legrain, Ibid. No. 42122) .

« ددى » رئيس الشرطة : كان « ددى » رئيس شرطة المازوى[1] في عهد « تحتمس الثالث » ، وبقي يشغل هذه الوظيفة في عهد ابنه « أمنحتب الثاني » . وقد عثر على قبره في « جبانة شيخ عبد القرنة » في « أثلوخة » ، وكان يحمل النعوت والألقاب التالية : المحبوب من رب الأرضين ، والمشرف على الصحراء الواقعة في غرب « طيبة » ، ورئيس فرقة الفرعون ، له الحياة والسعادة والصحة ، وحامل العلم لفرقة الفرعون ، ورسول الفرعون في كل البلاد الأجنبية ، والذي يملأ قلب سيد الأرضين ، وبطل جيشه ، والمهدئ الأرض قاطبة ، والضابط البحري للسفينة « آمون مرى » .

وفي قبره منظر (مهشم الآن) يرى فيه الفرعونان « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثاني » جالسين في محراب . وكذلك فيه مناظر أخرى يظهر فيها جنود يحملون أعلاما ، هذا إلى أنه يرى هو وأسرته يصطادون الطيور والسمك ، كما يشاهد فيه منظر حمل متاع القبر المشهور (راجع Porter & Moss. "Bibliography", I, P. 153; Champollion, "Notices" P. 528, Urkunden. IV, P. 995ff.) .

---

(١) أصبح لقب شرطة المازوي يطلق في عهد الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها على شرطة الصحراء والحدود ، وكانوا رجالا يجندون من المصريين أنفسهم .

« تحتمس » ساقى الملك : وقبره فى الوحة (راجع Gardiner and Weigall, "Catalogue", No. 265) .

« تاى » المشرف على الخزانة : عثر لهذا الموظف الكبير على لوحة فى « سرابة الخادم » وقد ظهر عليها يحرق البخور خلف « تحتمس الثالث » الذى كان يقدم الماء البارد للإلهة « حتحور » ربة الفيروزج ، ويحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والمشرف على الخزانة (راجع Gardiner & Peet. "Sinai", Pl. LXIV. No. 196) .

الوزير « رخ - مى - رع »

قبره بجبانة مدينة الأسرة الثامنة عشرة : تدل شواهد الأحوال كلها على أن الوزير « رخ مى رع » الذى عاصر الفرعون « تحتمس الثالث » وتقلد فى عهده شئون وزارة الصعيد حتى وفاة ذلك العاهل ، ثم استمر فى وظيفته مدة قصيرة فى عهد « امنحتب الثانى » على أنه كان أعظم الوزراء الذين تربعوا على عرش هذا المنصب طوال عهد الأسرة الثامنة عشرة . ولا أدل على ذلك مما تركه لنا من نقوش على جدران قبره الذى يعد أعظم مقابر هذا العهد وأضخمها حجما ؛ إذ لا نزاع فى أنه يعد سجلا سياسيا وأدبيا ودينيا وصناعيا واجتماعيا لهذا العهد الحافل بجسام الحوادث الخارجية والداخلية ، وإنه ليكفى أن نقول هنا إن ما جاء على هذا القبر يضع أمامنا صورة ناطقة لا تحتاج إلى شرح أو بيان عن مدنية مصر فى أزهى عصورها من كل ناحية يريد بحثها المؤرخ . وهذه الصورة تمتاز عما تمثله أمامنا معنى وصفا . فلا تترك المؤرخ أن يحيد عن جادة الحق ، إذ تمثل له كل صورة يجليها وتمده بالنقوش التى توضحها ، من أجل ذلك آثرنا أن نضع أمام القارئ ملخصا مفصلا بعض الشىء عما جاء فى نقوش هذا القبر سيرا من حياة « رخ مى رع » وحضارة العصر الذى عاش فيه .

ألقاب « رخ مي رع »

ألقابه الفخرية التقليدية : الأمير الوراثي ، والحاكم المحلي ، وحامل خاتم الوجه البحري ، والسمير العظيم الحب ، والسمير الذي يستطيع الاقتراب من شخص الفرعون ، وأنبل النبلاء ورئيس النبلاء والمشرف على أجل الوظائف ، والوجيه (صاب) والقاضي الأعظم والناطق عن بلدة « نخن » (فم نخن) ، والمشرف على الملابس الرسمية ، وخادم « حور » ، وتاج ملك الوجه البحري .

ألقابه الإدارية : عمدة المدينة (طيبة) ، والوزير ، ووزير المدينة الجنوبية ووزير مقر الملك ، وحاكم المقاطعات ، والمشرف على بيتي الذهب و بيتي الفضة ، ومن توحد وتضم بيوت الذهب وبيوت الفضة معا تحت خاتمه ، والمشرف على السجلات ورئيس محاكم العدل الست العظيمة ، والمراقب الأمين ، والمراقب الأمين في الإدارة الملكية ، (وماهية هذه الوظيفة ترى حيث يشاهد « رخ مي رع » يختم الأشياء الطريفة) (راجع Pl. LI) ، ومدير أعمال « آمون » كلها في « الكرنك » .

ألقابه في إدارة أملاك آمون . مدير أعمال « آمون » كلها في « الكرنك » ، والمشرف على الأعمال ، والمشرف العام على صناعات « آمون » ، والمشرف على الصناعات ، والمشرف على مصانع « آمون » ، ومدير بيت « آمون » ، والكاتب الأول لقربان معبد « آمون » .

ألقابه الدينية : والد الإله[2] ومحبوبه ، وكاهن « ماعت » (وهذا اللقب رمزي لأن الإلهة « ماعت » ولم يكن لها معبد بل كان لقبا معنويا فقط لإلهة

---

(٢) لفظة الإله ما تشير إلى الملك الحاكم . وهذا اللقب كان يمنحه الملك في كل صاحب منزلة عنده من حيث السن أو الاحترام (راجع Gardiner, "Onomastica", Vol. I. P. 47–58.)

العدالة)، وأعظم الرائين فى البيت العظيم[1] ، والكاهن « سم » (وهو لقب للكاهن الأعظم لمدينة « منف » والكاهن « سم » فى بيت الذهب) ، ورئيس حملة السمل الكهنة ، ومرشد الكهنة المطهرين للقيام بواجباتهم ، ومدير مائدة قربان. ورئيس الرائين لمعابد الوجه القبلى والوجه البحرى .

نعوت « رخ مى رع » : موضع ثقة « حور » سيد مصر ، من يؤتمن ويحدث إليه سرا ، وثقة الملك ، وثقة الفرعون فى البلاد كلها ، والثقة العظمى عند الملك ، ومن يرى الصدق له فى القصر يوميا ، والممدوح من الملك ، والممدوح من القصر ، والممدوح من الملك فى القصر ، ومن يحصل ما يمدحه أصدقاء القصر ، والممدوح فى كل ساعة ، وعينا الملك ، وقلب الملك (له الحياة والفلاح والصحة) ، وأذنا الملك ، ومن يرضى رب الأرضين بمشاريعه ، ومن يقضى بالعدل فى القصر ، وصاحب المكانة الممتازة فى الحجرة الخاصة ، وأمين ملك الوجه القبلى من الرصاصة ، ومن يكفل له سيد مصر معاشه ، ومن جعله ملك الوجه القبلى عظيما ، ومن شرفه ملك الوجه البحرى ، ومن رفع مقامه ملك الأرضين ، والمتقدم فى منزلته ، والماثل للملك ، وضارب من يضرب ، والثور المقتحم ، والضارب المتكلم عنه نفسه (أى عن الملك) والأول فى الأرضين ، ورئيس الأرضين قاطبة ، عظيم العظماء ، وأعظم من فى الأرض ، والمنتصب على رأس القوم ، والأول فى نظر الشعب ، والمراقب على الشئون الاجتماعية ، والإدارى اليقظ ، ومن رأسه عالية فى الشفقة ، ومن يملأ المخازن ، ومن يملأ مخازن الغلال ، والهادى الذى يجلب الرضا للأرض قاطبة ، ومن يضع السنن لكل القضاة ، والمتصرف فى شئون العدالة لرب الأرضين جميعا ، والقاضى العادل ، والقاضى العدل بين الفقير والغنى ، ومن لا يبكى منه مظلوم ، ومن يعمل

---

(١) هذا اللقب كان يحمله كاهن « هليوبوليس » الأعظم وكذلك وجد فى [illegible] (و [illegible] كان عند أعظم رجال الدولة) اسم أحد الأسعد و [illegible] « فقد فسر هذا اللقب » والذى يرى فى أحد النعوت [illegible] الشمس التى كان يسمى (أوم [illegible]) ومكرر [illegible] [illegible] الأسعد [illegible] Gardiner, "Onomastica", Vol. I. P. 36ff & Vol. II. P. 267ff

المتاعب منصرفان راضيين ، ومن يجعل الشاكين ينصرفون مطمئنين ، والحازم في الفصل في الأحكام ، والملقن الفعل للحرف ، ومرشد أصحاب الصناعات ، ومن يرشد الصانع في خطواته (؟) ، ومن يجعل كل إنسان يعرف واجبه ، ومن يجعل كل إنسان يعرف عمله المعتاد ، ومن يعلم كل إنسان الخطوات التي يجب أن يتخذها في عمله) ، ومن يضع القواعد للمرءوسين ، والمدرب في أمور طوائف العمل ، ومن يجعل الهدف ، ومن يبني للأجيال المقبلة ، ومن يضع الوظائف في ترتيبها الصحيح ، ومن يطلب في كل لحظة تثبيته ، والحاكم الذي ينشرح له القلب ، ومن يهب المنائح ، والمختار لنعمه لمن أحسن إليه ، وصانع الجميل لمن يصنعه له ، ومن يدخل المحراب (أي حجرة الملك) ، ومن لا يخفى عنه الإله شيئاً ، والعالم بكل شيء في السماء والأرض وفي كل مكان حتى في العالم السفلي ، ومن لا يكل ، والمتقن كتابه ، والماهر في عده كل أنواع المصائب ، والمنزه عن كل ضعف روحي ، والمحبوب كثيراً ، ورب اللطف ، والساحر برقته ، والسامي في شهرته ، والعالي في مكانته ، والعظيم الاحترام ، والكبير المنزلة ، والثابت الخطوة ، والمتمكن في الحب ، والممدوح من الإله « مين » (رب المحبوب) والممدوح من « إونت » (ربة دعصاد) والممدوح من « سخات حور » (حامية البقرات) ، والممدوح من « أبو بس » ، والممدوح من « آمون » ، وحبيب إلهة الطاح ، وحليف إلهة صيد السمك ، ومن هو رابع من يفصل بين التوأمين (أي الإله « تحوت » إله العلم والحساب والزمن والقضاء)

وهذه الوظائف والنعوت التي كان يشغلها أو يتحلى بها « رخ مي رع » ، إذا صح أنه كان يتولى القيام بأعبائها ويتصف بها حقيقة ، تدل على أنه كان جبار نشاط يفوق نشاط البشر ، وعقلية وذكاء وحسن تدبير قلما نجد مثلها في تاريخ العالم ، اللهم إلا الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله من بين عباده ، والواقع أن المصري في كل عصور تاريخه كان يميل إلى الإغراق في الثناء على نفسه والتمدح بمميزاته ،

ولكن مع ذلك كله كان «رخ مي رع» رجلاً صلباً في ذكائه وحسن تصريفه الأمور، وإلا لما اختاره أعظم الفراعنة وزيراً له طول مدة حكمه. والظاهر أنه قد ورث هذه المقدرة من أسرته التي تربع عدد عظيم منهم على كرسي الوزارة، ولذلك سنتكلم أولاً عن تاريخ أسرته وما لها من ماض عريق في المجد، كما سورها لنا «رخ مي رع» نفسه على جدران قبره.

•

مقبرة «رخ مي رع» وزخرفها: يدل ما وقفنا عليه من معلومات على أن «نفر – ورن» والد «رخ مي رع» كان في أول أمره على ما يظهر كاهناً متواضعاً من بين كهنة الإله «آمون» الطيبيين، وذلك على الرغم من أنه كان ابن الوزير «أمتو» (أحمس). وهو الذي خلفه على كرسي الوزارة ابنه «آمون وسر» الذي يسمى أحياناً «وسر» فقط. والظاهر أن «نفر – ورن» كان يشغل وظيفة كاهن عندما أطل ابنه الصغير «رخ مي رع» على عالم الوجود. ولقد شاءت الصدف والأقدار مما أنه عندما وقع بصره على مولوده الجديد، وهو في مهده، أن يناديه باسم «رخ مي رع» (= أي العارف كالإله «رع»). وشاء الحظ بإرادة الله أن يحقق للمستقبل هذه التسمية في شخص هذا الطفل إلى حد ما، إذ أن «رخ مي رع» عندما وصل في معارج حياته السياسية إلى قمة مجده، وهو في خدمة مليكه «تحتمس الثالث» نحت لنفسه مقبرة فاخرة في جبانة «شيخ عبد القرنة»، وقد كان من بين النعوت التي وصف نفسه بها في نقوش هذه المقبرة النعت التالي: «إنه محيط بكل شيء في السماء والأرض، وفي كهوف العالم السفلي»، وبذلك تحققت نبوءة والده عندما سماه «رخ مي رع» أو العارف كالإله «رع».

وتدل النقوش على أنه كان وقت نحته لهذا القبر يقوم بمهام وزارة الصعيد، وقد قام بأعباء هذه الوظيفة في النصف الأخير من عهد «تحتمس الثالث»، وظل يدير شئون الملك حتى باكورة عهد «أمنحتب الثاني»، أي من حوالي عام ١٤٧٠ حتى ١٤٤٥ ق.م تقريباً، ومن الغريب أن آثار هذا الرجل العظيم لم تذكر في وثائق

خارج قدره، اللهم إلا ما جاء على بعض قطع الاستراكا (الخزف) التي وجدت بالدير البحري تحدثنا عن العمل الذي قام به خاصا بنقل أحجار معبد «رسر أخت» وكذلك ما جاء على ورقة حساب محفوظة الآن في متحف «اللوفر» (راجع Brugsch. "Thesaurus" P. 1099 & 1106.) وقد كان وقتئذ متربعا على كرسي الوزارة، ومن أجل ذلك أصبح من الضروري لتقدير هذا الرجل تقديرا صحيحا أن نفحص النقوش والمناظر التي جاءت على جدران قبره فحصا علميا دقيقا، وبخاصة الوظائف السامية التي كان يشغلها في عهد «تحتمس الثالث» الذي يعد أزهى العصور في تاريخ مصر بل في تاريخ الشرق القديم أجمع.

وهذا القبر العظيم الذي حفظ لنا على جدرانه من النقوش أثر أعظم الوزراء المصريين يحمل الآن رقم ١٠٠ في جبانة «شيخ عبد القرنة» «بجبانة طيبة الغربية». ولا نزاع في أن عظم حجمه واتساع ردهته وجمال صنعه ودقة فنه تبعث في النفوس حتى الآن مع ما أصابه من تهديم وتخريب الهيبة والروعة. والواقع أن نقوش المقبرة وما فيها من جمال فني وما جاء عليها من المتون، تحدثنا عما اتصف به هذا الوزير من رجولة، ومن كان يحسه في أعماق نفسه من مبادئ سامية وتيقظه لكل صغيرة وكبيرة يحتمها عليه الواجب والوظيفة مما جعله نسيج وحده بين الوزراء المصريين السابقين واللاحقين. ومع ذلك فإن محاسن هذا القبر وما كانت تنطوي عليه نفس صاحبه من فضائل ومزايا عدة لم تنج القبر ولا صاحبه مما أصابهما من أضرار جسام. فقد محا المخلف اسم الوزير وصوره، وصور معظم أولاده من كل أرجاء القبر، ومحا العمل العدائي وما انطوت عليه نفوس مرتكبيه من حقد وبغضاء كان بإيعاز من الفرعون «أمنحتب الثاني» كما تدل على ذلك شواهد الأحوال وملابسات الحوادث. ولا نزاع في أن ما أصاب المقبرة من تشويه وما لحق بصور صاحبها من إهانة وتحقير يعد دليلا على مقدار ما وصل إليه «رخ مي رع»[1] من سلطة

---

(١) كل من بحث في حياة «رخ مي رع» الكتاب الذي وضعه مدير الآثار «ديفز» عن هذا الوزير (The Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes) — وبخاصة الوصف الذي سنشير إليه هنا وشرحنا له طرائق في هذا القبر.

في الجاه وطول باع في السياسة والشهرة وحصافة الرأي . وتدل الأحوال كلها على أنه قد وشى بهذا الوزير عند مليكه الحديد « أمنحتب الثاني » فأمر بارتكاب تلك الفعلة الشنعاء . وتلك عجيبة نعرفها في عتاة الملوك الذين لم تحكمهم تجاربهم ولا تقلبات الدهر وغير الأيام من وزن الأمور بميزانها الصحيح ، فيركبون رءوسهم لأية عبثة غير عابئين بما يجره لهم التيه لما اقترفوه من آثام مع من أخلص لهم . ومن ثم فإنه يصبح من الحق أمامنا أن المؤرخين الذين دونوا تاريخ مصر كان يحدوهم روح التسامح عندما وضعوا تاريخ أمثال هؤلاء الملوك ، وأن الأسر المالكة المصرية القديمة التي كانت تسقط من عليائها بين عشية وضحاها على أيدي مثل هؤلاء كانت تستحق ما حاق بها من سوء منقلب جزاء وفاقاً على ما اقترفوه من عسف وظلم وعسف .

موقع قبر "رخ مي رع" وهندسته : نحت الوزير « رخ مي رع » قبره في منحدر الطريق الجبلي لتل « شيخ عبد القرنة » . وقد كان يرمي من نحته في هذه البقعة إلى الاستفادة من خلوها من المقابر ، ولذلك زاد في رفعته بدرجة عظيمة جداً فاقت حد المعتاد في مثل هذه القبور التي كان ينحتها عظماء القوم في هذه الجبانة ومن الغريب أن واجهته على الرغم من كبرها واتساعها وارتفاعها لم تكن من الضخامة بمكانة تلفت النظر . وقاعته الصورية تمتد في داخل صخور التل إلى مسافة تربى على مائة قدم . وخارجة هذه القاعة ضيقة بالنسبة لما هو مألوف ، وتمتاز بسقف يرتفع عن رقعتها بحيث كلما امتدت في جوف الجبل إذ يبلغ ارتفاعه أكثر من ثمانية أمتار عند نهايتها التي تتألف من كوة تبلغ أبعادها ستة أقدام طولاً في مثلها عمقاً .

أما مساحة هذه المقبرة فرحبة إذ يبلغ عرضها نحو تسعة عشر متراً ، ورقعتها مسطحة متوسطة .

مناظر المقبرة : وتحتوي هذه المقبرة على حجرتين ، إحداهما تمتد إلى أعماق التل كما ذكرنا هو والثانية تمتد عامة لواجهة المقبرة في الصخر من الشمال والجنوب وجدران

هاتين الحجرتين قد زينتا بمناظر ومتون هامة ، ويبلغ مسطح جدرانها حوالى أكثر من مائة وأربعين مترا مربعا . وقد غطى هذا السطح العظيم كله تقريبا بمناظر بعضها مألوف معروف لنا، وبعضها فريد فى بابه شيق مبتكر فى موضوعاته . ولا يكاد يماثلها فى صوره مقبرة إلا مقبرة الوزير «وسر» (أو «آمون وسر») التى تحدثنا عنه آنفا . وقد نظمت هذه المناظر على طريقة طريفة فى هذه الجدران . فالجدران النهائية للحجرة الخارجية قد خصصت للموضوعات الشخصية . فنشاهد على الجزء الجنوبى منها مثلا أسماء الوظائف التى كان يقوم الوزير بأعبائها، كما نقرأ على الجزء الشمالى كذلك مشاهد من أعمال الوزير هذا بالإضافة إلى أخرى توضح إشرافه على ضياع «آمون» ومناظر تمثله فى الصيد والقنص فى الصحراء . أما النصف الخارجى من جدران الممر العمودى الطويل للحجرة الكبرى فقد حلى بالمناظر الدنيوية، فنشاهد على الجدران الجنوبية مناظر تمثل «رخ مى رع» وهو يدير أملاك معبد «آمون»، وعلى الجدران الشمالية نشاهد مناظر تحدثنا عن مظاهر الوزير الرسمية، ويعقبها مباشرة منظر يمثل الحفل باعتلاء «أمنحتب الثانى» عرش الملك . ومن هذا يظهر الروح القلق جليا تقلبات الحياة ومفاجآتها المنطوية على القدر ، وما فى الصدور من غلة وضغينة ؛ إذ نرى على حين غفلة مناظر هذا القبر تأتى إلى نهاية مباغتة توحى إلينا بأن هذا الوزير العظيم الذى طالما قاد سفينة البلاد إلى بر النجاة والفلاح قد انقضت حياته الحكومية بنهاية مفجعة قاتمة .

أما الموضوعات الدينية والجنازية فكانت تحتل الأجزاء المرتفعة من رقعة جدران هذه الحجرة عند نهايتها . وتشمل طائفة عظيمة من المناظر الجنازية الخاصة بشعائر الدفن، وما يتبعها من طقوس لإحياء المومية أو التمثال الذى يعمل عليها (شعيرة فتح الفم) .

ومما يسترعى النظر هنا أن اسم «رخ مى رع» قد أزيل جملة من نقوش مقبرته، اللهم إلا ما كان بعيدا عن متناول الذين كلفوا بهذا العمل المشين . أما الحالة التى

قام بها شيعة « آمون » فكانت شاملة كاملة في ناحيتها . وقد كان عملهم محصورا في محو اسم « آمون » واسم الآلهة الأخرى ، ثم اسم معبد « الكرنك » ومحو رسم حفل العيد الذي كان يرأسه الكاهن « سم » وهو الذي كان يقوم بالدور الأعظم في شعيرة « فتح الفم » . يضاف إلى ذلك ما حاق بالمقبرة من تخريب على أيدي الذين اتخذوها مسكنا سواء أكانوا مسيحيين في عصر متأخر حتى زمن قريب جدا .

تاريخ أسرة « رخ مي رع » : (راجع Plates IX, X) . نعرف الوزير « رخ مي رع » كما نعرف كبار الموظفين في هذا العهد مفصلا نسبه على جداره الشمالي من الحجرة الكبرى بصورة طريفة إذ مثل أفراد أسرته حسب سنه جيلين مضيا ، وبذلك يستطيع المؤرخ أن يتخذ هذه الصورة دليلا على تسلسل وظيفة الوزير في عظماء أفرادها المتتابعين . والواقع أننا نجد أفراد الأسرة قد صوروا جميعا في حفل أسرى . فنشاهد الوزير « أمنوسر » عم « رخ مي رع » نفسه قد اتخذ مكانة فخمة تضارع المكانة التي كان يحتلها والد الوزير « رخ مي رع » نفسه . وتدل شواهد الأحوال على أن الابن الثاني للوزير « وسر » المسمى « أمنمحتب » كان هو الخلف المنتظر على كرسي الوزارة ، وبخاصة إذا حكمنا عليه من الألقاب التي كان يحملها . غير أنه لسبب ما نرى أن الذي تقلد الوزارة هو ابن عمه « رخ مي رع » .

ونشاهد على الجدار منظرين مثل فيهما « رخ مي رع » وزوجه جالسين إلى مائدة قربان كان يباركها أحد أبنائه الذي كان يقوم بدور الكاهن لوالده ، وقد ارتدى جلد الفهد الدال على ذلك . غير أن هذين المنظرين قد محيا . وتدل النقوش المفسرة لهما على أن الابن الذي قام بهذا الدور في الصورة العليا كان يسمى « منخبررع سنب » . أما الذي في الصورة السفلى فكان يدعى « أمنحتب » ، وكان الأول يشغل وظيفة كاتب جرية معبد الإله « آمون » والثاني يتقلد وظيفة كاتب خزانة الإله « آمون » .

أما أفراد الأسرة الذين مثلوا في هذه الصورة فيشغلون أربع مجاميع وهي .

(١) أسرة « أحمس » (الذي كان يسمى « عامشو » أيضا)، وهو الذي كان متربعا على كرسي الوزارة في باكورة حكم « تحتمس الثالث » . (٢) أسرة ابنه الوزير وسر (وكان يسمى آمون وسر أيضا) . (٣) أسرة ابن أخيه « نفر — وبن » .
(٤) ثم أسرة « رخ مى رع » وهو ابن « نفر — وبن » .

وتدل البحوث الحديثة التي استقيت من ثلاث وثائق جديدة على أن « نفر — وبن » قد تربع على كرسي الوزارة وبذلك يفسر لنا السبب في تولي « رخ مى رع » رياسة الوزارة، وهو أنه خلف والده في هذا المنصب (راجع Capart, "Bulletin des Musées Royaux." 1935. & Blackman J. E. A. IV (1917) PP 41 & Dunham J. E. A. XV (1929) P. 164)

ففي هذه الوثائق الثلاث لا نجد اللقب المتواضع الذي أعطاه « رخ مى رع » لوالده « نفر — وبن » ونقرأ مكانه الألقاب العالية التي تدل على أنه كان وزيرا للمدينة والوزير وغير ذلك من الألقاب التي كان يحملها ابنه « رخ مى رع » . وإنه لمن البعيد جدا ألا يكون « نفر — وبن » هذا ابن « أحمس عامشو » ووالد « رخ مى رع » . وتدل شواهد الأحوال على أن لقب الوزير الذي كان يحمله « نفر — وبن » قد حذف بدلهة من مقبرة « رخ مى رع » ، وذلك لأن تسميته في هذه الوظيفة كان على يد « حتشبسوت » . وقد تخلص « تحتمس الثالث » لما تسلم زمام السلطة الملكية، ولذلك كان يعد كل من تربع على كرسي الوزارة في عهدها كأن لم يكن . وقد حدث ذلك فعلا مع الكاهن الأكبر « حبو سنب » ؛ إذ إنه قد حرم عليه أن يذكر في نقوش قبره أنه كان وزيرا في عهد « حتشبسوت » .

ولم يكشف لنا حقيقة عن توليه هذه الوظيفة إلا تمثال واحد . ومن المحتمل أن « نفر — وبن » قد عرف أن تماثيل معبده كان سيحافظ عليها كهنته الذين تخلفوا منهم عن تأدية القربان لها . وأظن أن « عامشو » كان وزيرا في عهد « حتشبسوت » .

ولكنها عزلته ، وربما كان ذلك معارضة حبا في امتلاكات الفرعون لشخصه وحيث علامة أنه «منمر ... » وقد أعاده «تحتمس الثالث» وجه في شخصه إلى وظيفته في الوزارة، ثم تولاها «آمون وسر» وهو ابن أخ جد عشانه ساعده وخلفه . ويدعى أن وراثة الوزارة في هذه الأسرة كانت في معظم الغالب متسلسلة فيهم .

أولاد "رخ مي رع" : ومما يؤسف له أن أسماء أولاد «رخ مي رع» قد محيت، غير أنه قد بقي لنا من أسماء السيدات ما يمكننا من أن نحقق شخصياتهن بأنهن بنات «رخ مي رع»، ويدل ما لدينا على أن أسماء بناته على ما يظهر كانت كما يأتي : «تاخعت» و«موت نفرت» و«حنت تاوي»؛ غير أنه ليس من المستطاع أن نستخلص مما بقي لدينا من النقوش أسماء أولاده الذكور على وجه التأكيد غير الاثنين اللذين ذكرناهما فيما سبق ويقومان بدور الكاهن لوالديهما إلا ما يأتي «مري» المشرف على مصانع آمون و«سنوسرت» الكاتب ثم «من آمون» .

أفراد آخرون من الأسرة : ونشاهد في هذه الصورة فرد يدعى «يق» ويلقب : تابع الفرعون في كل الأراضي الأجنبية بموافقة الإله الطيب ، والمشرف على ثمرات «آمون»، وزوجه «آت» وقد جلسا إلى جانب من الوليمة، ويحتمل جدا أنهما والدا السيدة «بث» أم الوزير «رخ مي رع» .

حياة «رخ مي رع» كما وصفها عن نفسه

وقد ترك لنا هذا الوزير العظيم على الجدار الجنوبي الخلفي من القاعة نص تاريخ حياته وهو يحتوي كما جرت العادة والعرف في هذا العهد وما قبله على عناصر قليلة في صميم حياة الموظف الحقيقية ، بل هي في الواقع قصيدة مدح كان يصيبها الموظف أو الشريف على نفسه في ألفاظ وجمل منمقة وهاك ما قصه «رخ مي رع» عن نفسه (راجع Pls. XI, XII) .

ألقابه : لابس الوزارة ، ومدير مدينتي الجنوب والشمال ، ورئيس الأسرار ، والذي يدخل قصر ... سيده الفرعون ، ومن لا يحجب عنه الإله شيئاً ، ومن يحيط بكل ما في السماء وفي الأرض ، ومن في مكانه شيء في العالم السفلي ، والكاهن سم في بيت الشيخ (أي رئيس كهنة منف) ، والكاهن « ورما » (أي رائي الأعظم) في البيت العظيم ... ، والمراقب على الأعمال كلها ، ومقدس الجلالة قلب الملك ، وعين كل ديوان الفرعون ، وهو كاتب الجد وقد لا يتخلله ... ، وصاحب القصر الخاص ، وهو أمير تلك الوجه القبلي من الرماية ، ورئيس تلك الوجه البحري ... (حورو) في يحه ، ومن تحت عنايته ... بين الذهب ... ، ورئيس ... و آمون ، وحسدة المدينة والوزير « رخ مي رع » ، ... ، كانت شريحا ثانية سر الفرعون ، ورجاله راجع من حصل بين القراتين (أي من قدم المبادرة مع تحوت والقراتين وهما « حور » و « ست ») ، وصاحب المكانة العظيمة في الجزيرة الخاصة ، والمدرج في كل ساحة ... ، وصاحب المقام الأول في طرف الشعب » .

ترقيته للوزارة . « ... كانت المرة الأولى التي طلب بها (أمام الفرعون) في حين كان ... بين الألف في الخارج (أي بين المسرح المكشوف خارج القصر الملكي) ... ، ... (١) ، وقد اتبع أهل بيتي ... وصلت إلى ... باب القصر ... أمامي رجال الحاشية ثم سرت ورجال الحاشية يفسحون أمامي الطريق ...... ولم تعد ... كما كانت عليه من قبل ، إذ ... الذي كنت عليه بالأمس ، وذلك ... أن ... في حلل الوزارة ورقيت إلى مرتبة كاهن الإلهة « ماعت » (إلهة العدالة والحق والصدق) ... ومن ثم ... الإنسانية ... بين الصغير والكبير على السواء ... وقد كان كل إنسان ... كما ينظر إلى ... الجدران المرصعة بالفيروزج (أي وهو لابس حلة التشريفة) » .

مجلس مع الفرعون . « ... بجلالته على مجيء ... إلى حضرة الإله الطيب الملك « منخبر رع » — ... وهو ... الفرعون ... يعلم ... حقاً إن جلالته عليم بما يجرى فلا ... شيء ما يجهله ... « تحوت » حقاً ، إذ لا ... موضوع ما قد أخطأ معرفته [...] ... (إله الكتابة) ، ... الذي ... كالإله الذي ... (في المثال) » .

---

(١) ... والبيت العظيم (...) ... القدمين ... الكاهن « ... » والكاتب ، أما الكاهن ... الأعظم ... ، وأما لقب « ... » فيطلق على الكاهن الأعظم ... كما ذكرنا ، وهذه الألقاب الثلاثة ... « رخ مي رع » لأنه كاتب ... الفرعون كما يعمل الكاهن ... الإله سواء أكان ذلك مع الوجه القبلي أم مع الوجه البحري .

خطاب الفرعون لوزيره : « وقد قام جلالته بكلامه أمامى قائلاً : تأمل أرسلنى [illegible] إلى
ظنى لأنه جلالتى يعرف أن الأحكام (التى يحصل فيها عدم رأفة لا نهاية لها ، وأن الفصل فى القصاص
لا ينقطع منه ، ولذلك تعمل على حسب ما أقول فصلة تأتى المسألة التى تتواطأ به ثم [illegible] فى عدمه
ولى قائلاً : " حافظ عليك ، وكن قوياً فى العمل ، ولا تكل ، وتحاشى الشر " .

رجل من رجال يتبع تعاليم الفرعون فى إدارة البلاد : ... وعند عملت على حسب ما أمر
به ... وقد وضع تحت سلطان محكمة العدل ، ولم يستطع أحد منهم أن يقف على ... وبعد ذلك حرجت من
[illegible] ، [illegible] على ظهرى (يقصد أنه كان لا يزال فى مقتبل الشباب ولم يتوكأ على عصا الشيخوخة)
ولم تلحق الكلاب [illegible] (أى أنه كان لا يزال قوياً) ومن [illegible] (علامة على القوة) ولم يوجد
[illegible] ... ، وقد [illegible] الذى لم يرغب فيه ولم يطلب ما يمكن أن يرضيه . [وقد قال المترجم]
[illegible] — هكذا قالوا — لإصلاح هذه الأرض ... .
وكنت أستيقظ مبكراً كل يوم قادماً ... من الفرعون (*) ورأيت [illegible] وهو فى صورة [illegible]
[illegible] ، ورب [illegible] مالك الأرضين ... وقرص الشمس عندما يطلع والأرض السوداء
والأرض الحمراء [illegible] إلى مكانه ، ورؤساؤها يقفون أمامه وكل المصريين وكل أصحاب الرتب وكل عامة
الشعب ... [illegible] ... وقد كان [illegible] القارب فهو كالثور [illegible] (*)
الذى يضرب من يتكلم منه بشر ... وقد [illegible] كالقلب الجريح ... [illegible] الأرضين
[illegible] ، وحالتنا [illegible] بالسلطان [illegible] ، أما الذين [illegible] لاستقامة قلب
[illegible] (الملك) [illegible] (يقصد [illegible]) ... وقد أصبح كل [illegible] بالأعراب
[illegible] ... وقد كان فى [illegible] (أى [illegible]) وقد كانت [illegible] على [illegible] (أى كانت [illegible]
عن [illegible]) » .

علاقته بالفرعون : « وكنت [illegible] ، والواقع أن كنت
رجلاً [illegible] لا أعرف النعاس ليلاً أو نهاراً ، وسواء أكنت واقفاً أم جالساً ... كان [illegible]
[illegible] فى [illegible] وكان [illegible] لا [illegible] لأى
[illegible] ، وذلك لأن كل [illegible] يعتبر [illegible] الناس
[illegible] ، [illegible] على أن لم أعط [illegible]
ولم تحدث [illegible] بسبب [illegible] » .

[illegible]

[illegible] الأرض [illegible]

[illegible]

أعماله الأدبية [illegible]

[illegible]

[illegible]

ونشأتها أو المليه النيقه ، وكسب قلقا في الصلوح كلها مأيا في الضيعه مستعملا الإحساء ، وكسب ماهرا في أحوال القلوب ، وكانت حالة أسس تحيق أعرف الله .

بصيرة «رخ مي رع» يوافق تثبيت ثقتي ، ولم أمل إلى جانب واحد (في المحاكمة) ، ولم أعر الرشوة أي التفات ، ولم أكن صموتا في وجه من أتى حطاما ، ولم أصبح إلى احتقاره في ساعة ضعفه ، وخلصت الرجل الخائف من القوى .

الاعتراف بأن الله بصير بالعباد : «اعلموا أنتم يا من في الوجود أن الله يعلم ما في الأنفس وكل ما فيها من أحشاء مستورة أمامه . تأملوا أنتم أن عينه تبصر طبائع الناس في أكبادهم ، وكل قلب يتضح له من الله نفسه» .

استمانته بزملائه الموظفين : «ليت قلوبكم تسمع أنتم يا من في الوجود ، ويا أيها الأفراد الذين هم على قيد الحياة ، ويا كل كاتب ماهر في كتابته ، ويا من سيقرأ في القبر ، ويرى بأعينه ومن يكون ذرب اللسان صادق البصيرة ماهرا في أحسان الكلمات ، ومن يكون له مدده مع ما يجب أن يعمل ويكون دائما دءوبا ماهرا في السؤال ، ولذلك الرجل حكيم أيا كان من جميع ما حدث من الأحداث الذين قبروا» .

الوزير «رخ مي رع» يطلب تدخل زملائه في تقديم القربان له : «إن آلهة مدنكم سيثنون عليكم ، ويكافئكم ملك عصره في زمانكم ، وإنكم ستخلفون وظائفكم لأبنائكم بعد حياة مديدة بدون أسى ، وستصلون إلى مقابركم في الحياة ، ومن سيعيش على الأرض سيشترك في جنازتكم ، وستعبرون قرابات « حمايات » (قرابينكم) ، وستدعى عرفتكم قبلها ، وستصعدون إلى حجرات دفنكم التي في الأبدية بعد الملل ، ومن الأرض العاطلة ولن يسقط اسمكم من فم ، وسوف تسمع هنالك قدر ما القرابين من (؟) يقدمه الملك و « آمون رع » و « آتوم » و « شو » و « تفنت » و « جب » و « نوت » و « أوزير » و « حور » و « تحوت » و « ست » و « إزيس » و « نفتيس » و « تحوت » وكل « رع » ، وبقدر ما تطلبون قرابين لا تحصى وكل أشياء طيبة لا حصر لها ، والسعد في العالم السفلي وسط النجوم السيارة ، وإنهم (أي هؤلاء الآلهة) يقسمون قربانا من الطعام يوميا على آرائك صاحب القلب « أوزير » لأجل روح الأمير وحاكم المدينة « رخ مي رع » المرحوم

تنصيب « رخ مي رع » وزير الصعيد

الملك يستقبل "رخ مى رع": يشاهد على النصف الجنوبي من الجدار الغربي من القاعة صورة الفرعون « تحتمس الثالث » وهو جالس على عرشه . وقد نقش معه الخطاب الطويل الذي وجهه لوزيره « رخ مى رع » عندما نصبه وزيرا وقد استعرض في هذا الخطاب السلطة التي خلعها عليه ، وكذلك توكيله لاستقبال سفراء الدول الذين يحملون الهدايا إليه . ومن المحتمل أن هذا الحادث قد وقع عند الحفل بعيد « سد » في السنة الثالثة والثلاثين من حكم هذا الفرعون . وقد قلنا في الجزء الثالث من هذا الكتاب إن هذا الخطاب الذي كان يوجهه الفرعون إلى وزيره يرجع عهده إلى الأسرة الثانية عشرة ، وقد أدلينا بالبراهين التي استندنا إليها في هذا الزعم (راجع ج ٣ ص ٤٥٩) .

وفي المنظر الذي أمامنا في هذه المقبرة نشاهد مكان صورة « رخ مى رع » التي محيت بيد أعدائه فيما بعد ، وكان واقفا أمام الفرعون . والظاهر أن وقفته في هذا المنظر كانت تشبه وقفة عمه « عامتو » . وعلى أية حال فقد بقي لنا متن يلخص لنا الموقف والمنظر معا (راجع Pl. XIV) وهو : التعاليم الرشيدة التي فرضت على الوزير « رخ مى رع » واجتماع المجلس في حضرة الفرعون له الثناء ، وطلب الوزير المنصب حديثا المثول أمام الفرعون .

مهام الوزير التي وضعها الملك : "قال له جلالته : انظر إلى قاعة الوزير وكن يقظا اليوم بكل الإجراءات فيها . تأمل إن ذلك هو توطيد حالة البلاد كلها . تأمل إن منصب الوزير ليس حلوا قط بل إنه مر المذاق كالصبر . تأمل إنه الوزير الذي يحيط شعاره بيت سيده . تأمل ! إن القصد منه ألا يجعل نفسه ولا يرضى إدارته اختيارا ما وألا يتخذ من الشعب عبيدا . تأمل ! إن كل ما يسمعه الإنسان في بيت سيده هو أن يتحدث بما يرضى ... » .

حب الشعب له . « تأمل ! إذا حضر شاك من الوجه القبلي أو الوجه البحري ، أي من البلاد قاطبة ، مستعدا للشكاية ... لأجل سماع قضيته مواجهك أن ترى كل إجراء لازم قانوني

قد أخذ على حسب القانون ، وأن يكون كل تصرف يتفق مع العرف الجارى [illegible] من [illegible]
يكتب حاكم ضياع قضايا ، عليك أن تحملها عليه وبذلك تحمل الشك والمؤاخذة ... كل [illegible] أن
يعمل . تأمل ! فإنه هناك في سلوكه شائبا . وعلى ذلك إذا أتى أي أمر (غير مرضى) يلام عليه
فيجب ألا يحتج بأنه أمر من رئيسه ، بل يجب أن يعلم الناس ... التي حققها بواسطة القاضي ... و
حاكم . وعلى القاضي أن يشترك مع رئيسه في النطق بالحكم بالصيغة التالية [illegible] لأصدر حكمي
... وأن المرسل المختص ليتحاكم أمام الوزير أو أمام أي موظف كبير ، وبذلك ... عن الناس
... » .

تمسكه بالقانون ـ تأمل ! إن التمسك بالمبادئ الأولى القانونية ، يد أمان
للحاكم في تنفيذ العمليات الجارية ، وعلى ذلك فإن المدعي الذي يحاكم يستطيع أن
يقول : « ليس هناك عقبة لنيل حقى » تأمل ! تأمل ! إنها تعاليم ثابتة مثل قوانين
« ... » ومثل النطق الملكي ومثل صرامة الوزير ومثل إصدار المرسومات؟...

تحذير مقتبس من التاريخ ـ « تجنب ما حسب الوزير « ... » فإنه قد ظلم في حكمه رجالا
من عزبة ... آخرين ، وذلك خوف الا ... عليه ... بالتحيز وهو ... حاد الظلم ،
وذلك لما تقدم أمامه الناس ... على دعوى ... على أحد أقارب الوزير ... الدعوى ... ها
ويحكم في كسبها بسبب إخاف الوزير ، وهذا كانت ... منه (أي الوزير) في تنفيذ العدالة ... تأديبة
[illegible] ، وهذا تعلم يجب أن تسير على ... » .

إرشادات في المعاملات ـ « يجب أن ترى ... من عرفه كما ترى من لا تعرفه ، وكذلك
الفرد الذي يقترب إليك كالفرد البعيد عنك ... فإذا ... حاكم على حسب هذه الطريقة فإنه سيصيب النجاح
في هذه الإدارة ، ولا تقطع ... قبل أن تسمع شكايته ، وإذا كان هناك خصم يريد أن يشكو إليك فلا ...
... بحكمه ، وإذا رفضت شكايته فعليك أن تجعله يسمع السبب الذي من أجله رفضت شكايته
تأمل ! إنه يقال إن المدعى يفضل سماع أقواله عن أن يحصل في القضية التي حضر من أجلها » .

سلوك الوزير الشخصي ـ « لا تغضب على رجال ... بل اغضب على من ... الغضب عليه ،
... الرهبة في ... حتى يهابك الناس ، لأن ... الموظف الذي ... الناس هو الموظف الحق ،
تأمل ! إن شهرة الموظف تنحصر في أن يفعل ما هو حق . تأمل ! إن الرجل إذا ... خوف منه
مرات عدة أكثر مما يجب ... ذلك إلى اتهام الناس له بعدم الاستقامة ... يقولوا عنه
« إنه رجل ؟ » . تأمل ! إنه لكذب أن تقول : إن الموظف الذي عرف ... من مواصفه ...

على حسب ما أصابه من شهرة . تأمل ! إنك ستصل إلى حيث يكون القيام بوظيفتك ، وذلك ما هو من سياق عملك . تأمل ! إن الفعل الأحق هو أن تكون العادلة المتفقة هي المساحة في نجاح الوزير . تأمل ! إن عمله يحصر في القيام بأداء الإشراف الفني لأنه كاتب « ماعت » (إلهة العدل) ، وهكذا يقال عنه .

الوزير يعمل على حسب نظام : والآن إن القاعة التي تسمع فيها القضايا تحوي حجرة مسجد الأربعاء ، وبها وثائق عن كل الأحكام القضائية ، والرجل الذي سيقضي بالحق على رءوس الأشهاد كليس هو الوزير . تأمل ! إن الرجل حينما يكون قائماً بمهام وظيفته يجب عليه أن يعمل على حسب التعليمات التي أعطيها ، والرجل الذي يعمل طبقاً لما أمر به لا حرج عليه ، فلا تجعل حوائك في أمور قد عرفت من دون الشريعة . تأمل ! إنه لمن سوء طالع الرجل الشرير أن يفضل الرجل الردىء على الرجل المشرف ، عليك بذلك أن تعمل على حسب الشرائع التي أعطيتها . تأمل ! إنه من واجبك بوصفك شريكاً في العمل أن توجه اهتمامك للأرض الزراعية ، وذلك بوضع نظام محكم ، فإذا أعوزتك مساحة ضعها تحت الحصر حتى لك أن تكلف المشرفين على الأراضي والمشرفين على « شكو » وموظفي الأقاليم بدرس المسألة . وإذا كان الشخص الذي سيفحص المسألة موظفاً كبيراً فعليك أن تسأله ما الذي فعله في موضوع الذي أسند إليك ؟

وبعد ذلك الخطاب الرائع شاهد الوزير خارجاً في موكب رسمي بعد حله الجلسة من بين يدى الفرعون حاملاً عصا طويلة ، ويتقدمه حرس الشرف الذي كان يشمل ستة رجال وقد كتب على هذا المنظر ما يأتي : مغادرة عمدة المدينة والوزير « رخ مى رع » البلاط — له الحياة — حيث قد نال تقدير سيد القصر ، كما وكل إليه أمر سياسة مصر ، وإدارة شئونها ، وذلك على غرار ما عمل والده عمدة المدينة والوزير « عامتو » يضاف إلى ذلك أن المتن الذي نقش فوق صورة ستة العظماء يفسر لنا أنهم كانوا يفسحون الطريق لرئيسهم الوزير عند مغادرته قاعة العرش ، كما نفهم منه أيضاً أن ذلك هو نهاية منظر تنصيب الوزير فاستمع إلى ما جاء عنه (Pl. XVI- , 16.) عظم الفرعون له الحياة والسعادة والصحة يخرجون أمام الوزير ، والمديح ينطلق منهم ، ويغنون أنشودة بالكلمات التالية . « يأيها الحاكم صاحب الآثار الجميلة ، يا « منخبررع » يا من يثبت كل وظيفة وبعد

المائدة بالقرابين والهدايا ترسل إليه من كل حدب وصوب تمر على عرشه، يدعى حسب
الأشراف في أماكن أعطيت لهم، ولذلك تكون لاحتفال عيد ... ولذلك يكون قائد القوم
عاشا عليها . وقد كان كل واحد من هؤلاء النبهاء يحمل شيئاً تعبيراً عن الإشارة
إلى الفرح والسرور .

رخ مي رع يستقبل جزية البلاد الأجنبية : ومن النقوش على أن الوزير قد عقد جلسة لاستقبال ممثلي البلاد الأجنبية، ويحتمل أنه كانت رمزاً لقلبه كرسي رئاسة الوزارة إذ نشاهد « رخ مي رع » تتقدمه طائفة من الكتبة والخدم . ويظهر لنا جزء من المتن التابع لهذا المنظر أن الوزير كان يتسلم جزية البلاد الجنوبية (راجع Pl. XVI, 1-8) الخاضعة لمصر، هذا بالإضافة إلى جزية بلاد « بنت » ، وبلاد « رتنو » (آسيا) وكذلك هدايا بلاد الكفتيو (كريت) هذا غير أسرى البلاد المختلفة الذين استولى عليهم الوزير لصاحب جلالة ملك مصر « منخبر رع » العائش عليها .

ونعلم من كافة الإصلاحات والوظائف أن الفرعون قد نصبه من رأس أتباعه وصيا على الأرض قاطبة لأنه أدى للبيت خدمات جليلة على أن هؤلاء الوفود الأجانب قد حملوا للخزانة الملكية التي يجبي بها « رخ مي رع » هذه الجزية .

ولا نزاع في أن هذا المنظر الذي يتقدم فيه أولئك الأقوام الأجانب بخضوعهم لمصر واعترافهم بسيادتها يعد من المناظر الهامة جداً . وعلى الرغم من أن هذا المنظر قد جمع بين أقوام الشمال والجنوب (أي آسيا وبلاد السودان) في صورة واحدة فإن ما حواه من أشكال ومعلومات جعله يمثل مكانة هامة جداً، وخاصة إذا علمنا أن أمثال هذه المشاهد كانت غريبة نوعاً ما على أعين المصريين في زمان الفتوح الأولى وخاصة قبل أن يختلط المصريون بهؤلاء الأقوام اختلاطاً تاماً كما حدث في الأزمان التي تلت العهد الذي نحن بصدده الآن .

العلاقات الخارجية : ونرى أمامنا في هذا المنظر من هؤلاء الأقوام اثنين يمثلان أهالي بلاد «بنت» ثم يأتي بعدهما طراز من الناس يمثل سكان جزائر البحر الأبيض المتوسط أي بلاد كريت ، وهذان الإقليمان يختلفان عن مناطق الجيوش المصرية ، ومع ذلك فإنهما كانا مدينين لمصر بما كان بينهما وبينها من تجارة رابحة ناجحة ، هذا فضلاً عن أشياء أخرى كثيرة غير ذلك . ومن ثم نعلم أن سكان هذين البلدين كانوا يعدون طبقة تختلف عن البلاد التي فتحتها مصر بحد السيف ، وهما بلاد السودان والأقطار الأسيوية ، وكان يجلب منهما الأسرى ومن ذلك نفهم أن بلاد « بنت » وبلاد « كريت » كان يربطهما بمصر رابطة التجارة على وجه خاص . أما بلاد السودان والأقطار الأسيوية فكانت بلاداً تابعة لمصر ، وخضعت لها بحد السيف ، وكان لزاماً على أهلها أن يقدموا الجزية طوعاً أو كرهاً .

بلاد بنت : لقد ذكرت في الجزء الثاني من هذا المؤلف (راجع ص ٢٥٨) كل ما نعرفه عن بلاد « بنت » ، وهو شيء ضئيل ، إذ الواقع أن ما وصل إلينا عن ثقافتها يكاد يكون في حكم العدم . وذلك على الرغم من أن مصر كانت متصلة بها منذ عهد الأسرة الخامسة ، ولا بد أنها بلاد قد حبتها الطبيعة ، إذ لا نجد ما يدل على ميل الأهالي للحروب . يضاف إلى ذلك أن البلدين كانا يشعران بقرابة بعيدة تصل بينهما مما جعل بلاد « بنت » مهيأة للتأثر بالنفوذ المصري ولولا ما كان بين البلدين من بعد الشقة ووعورة المسالك لأصبحت الروابط بينهما مطّردة جداً . وليس لدينا معلومات صريحة تحدثنا عن أن أهل « بنت » كانت لهم طرق تجارية بحرية ، وإن كان ذلك من المحتمل إذ علم من نقوش قبر رقم ١٤٣ في جبانة القرنة أن بلاد « بنت » كانت لها سفن تجارية غريبة الشكل ومن المحتمل أن هذه السفن الخشنة الصنع كانت ميزتها تنحصر في أنها تستطيع السير في الشواطئ المرجانية (Davies. M. M. A. XXX. (1935) Nov. II. P. 40, 49) .

هدايا بلاد بنت : ومن المعلوم أن أهم محصولات بلاد « بنت » الخاصة التي أغرت المصريين بالرحلات الخطرة إلى هذه الجهات الصمغ الذكي

الزاكية (عنتو) وهو ما يمكن أن نطلق عليه اسم بلسم دون أن نتعرض لاسم النبات الذي كان يستخرج منه وقد كان أمل الملكة « حتشبسوت » أن تنقل هذا النبات الذي كان يستخرج منه هذا الصمغ إلى طيبة وقد نقل فعلاً منه عدة شجرات . والظاهر أن مشروع توطينه في مصر لم ينجح تماماً غير أنه مع ذلك لم يهمل كلية إذ نجد بياناً عن هذه التجربة في قبر « رخ مى رع » (راجع Paintings Pl. I.) وقد كان يجلب هذا الصمغ إلى مصر في سلات ويكدس في أكوام أمام الكتبة أو كان يقدم في هيئة هرم أو مسلة تعظيماً لمصر . وذلك لأن حبيباته الحمراء القاتمة تشبه إلى درجة كبيرة الجرانيت الأحمر . وكذلك من محصولات هذه البلاد الذهب فنشاهد سلتين من هذا المعدن في هيئة حلقات وفي سلة أخرى خواتم مطبوعة . ويوجد كذلك سلة مملوءة بمادة حمراء كتب عليها (حجر أسود) اسمه « كم كا » ، وأخرى تحتوي على مادة بيضاء من المرجان (؟) . هذا إلى ثلاث سلات تحتوي وسطاها على مادة حمراء تدعى (حنت) أما الأخريان فيحتويان على ما يظهر بخوراً .

أما المنتجات الأخرى فهي الأبنوس والعاج وجلد الفهد ، وزجاجة من جلد وريش نعام وبيض نعام وذيول زراف وقلائد وسيف من الخشب وهو السلاح القومي . هذا إلى حيوانات حية منها القردة والنسانيس والوعل والفهد (طيبة) (راجع Pl. XVII.) أما الرجال الذين مثلوا في هذه الصورة من أهل « بنت » فينقسمون قسمين الأول منهم لهم لحى طويلة حقيقية وشعور مرسلة طولها الطبيعي وقد شدت بأشرطة بيضاء ، وهذا الجنس هو نفس الجنس الذي نشاهده في رسوم حملة بلاد « بنت » التي رسمت على جدران معبد الدير البحري . أما القسم الثاني فيمثل الجنس الزنجي تقريباً وهو ذو شعر قصير مجعد ويحتمل أن القسمين كانا من الجنس الحامي الذي اختلط بالساميين كما نشاهد الآن في بلاد الحبشة . وكلا الجنسين يلبس القميص القصير الذي يستر الوسط وهو لباس يرتديه أقوام

كثيرون وذلك يرجع إلى تساطته على وجه عام . والمتن الذي تمثل فوق هذا المنظر

جميعه هو

وصورة رسمه « حب » في سلام جدًا [illegible] ويرسم بل مكتب عليه ملك الوجه القبلي والوجه البحري « منخبر رع » [illegible] عنها — [illegible] منه [illegible] من [illegible] ثم [illegible] أحد آخر — وذلك بسبب عظم قوته في كل بلادهم ، لأن كل أرض خاضعة لجلالته . وقد كان « منخبر رع » الأمير الوراثي هو الذي [illegible] الجزية المختلفة الأنواع التي أحضرت لجلالته من كل الأقطار بسبب انتصاراته ، وكل قطر كان خاضعًا لجلالته » وأمثال هـذا المتن يجعل القارئ يفهم أن بلادًا « كفت » لم يفتحها الفرعون بحد السيف ضمن المستعمرات التي أخضعها الفرعون مثل بلاد « سوريا » وأقاليم السودان والواقع أنها ليست من هذا النوع .

الكفتيو : أما النقوش التي دونت فوق رسوم « الكفتيو » فهي : « [illegible] رؤساء « الكفتيو » في سلام ، وكذلك رؤساء الجزر التي في البحر الأخضر العظيم [illegible] جلالة ملك الوجهين القبلي والبحري منخبر رع [illegible] حاملين [illegible] على ظهورهم أملًا منهم في أن يمنحوا نفس الحياة [illegible] لجلالته ، [illegible] بقوته . وقد كان [illegible] « منخبر رع » [illegible] كل الأراضي التي أحضرت لها جلالته من قوة » .

هدايا الكفتيو : أما أنواع المحاصيل التي أحضرتها هـذه الأصقاع فنشاهد مكدسة أمام كتبة وتشمل ما يأتي : — (١) ركاز من فضة (٢) [illegible] محلاة باللازورد (٣) حلقات فضة (٤) ركاز فضة (٥) إناء من الذهب له مقبض محرت (٦) إناء من اللازورد [illegible] فيه أشرطة ومقابض مذهبة (٧) إناء من الذهب له مقبضان في صورة [illegible] (٨) طبق من الذهب (٩) قدح [illegible] من الذهب (١٠) إناء « [illegible] » أزرق اللون (١١) إناء من الفضة ذو مقبضين (١٢) رأس لبؤة من الذهب (١٣) طبق من الذهب (١٤) آنية دقيقة الصنع

من الفضة مرصعة بالذهب (١٥) كأس الشرب من الذهب له قوهة على هيئة رأس وعل (١٦) أربع ركائز من الفضة (١٧) رأس كلب من الذهب الأصفر اللامع (؟) (١٨) رأس طائر له عرف من الذهب (١٩) رأس أسد من الذهب (٢٠) إناء من الذهب له مقبضان (٢١) رأس ثور من الذهب (٢٢) ثلاث ركائز من النحاس (٢٣) آنية من الفضة ذات قنوات لها رأس وعل من الذهب بمثابة غطاء، ومقبضان من الذهب مثبتان بأشرطة من الذهب (٢٤) إناء كبير من الفضة له مقبضان ، أما الهدايا التي شاهدها محمولة على أيدي رجال فمنها (Plates XVIII XX & "Paintings," III - V) (٢٥) طاس مزخرف لونه أصفر (٢٦) خنجر في قراب لونه أزرق (٢٧) طاس مزخرف من الفضة له شريط ورأس وعل وزهيرات من الذهب (٢٨) كأس مدببة من الذهب وجزؤها الأسفل مزركش (٢٩) كل من الأحجار الثمينة (؟) (٣٠) خنجر في قراب أزرق (٣١) إناء ذو قوهة لونه أبيض (٣٢) طاس من الذهب مزخرف (٣٣) خنجر في قراب أحمر اللون (٣٤) ركيزة من النحاس (٣٥) كأس مزركش أسفله مدبب من الذهب (٣٦) إناء ذو مقبضين من الفضة (٣٧) سيف لونه أسمر (٣٨) طاس مزركش من الذهب بزهور زرقاء ونقط (٣٩) إناء من الذهب (؟) (٤٠) ركيزة من النحاس (٤١) إناء من الفضة ذو قوهة (٤٢) إناء من الذهب ذو مقبضين (٤٣) قلادة من الخرز الأزرق (٤٤) إناء من الفضة ذو مقبضين (٤٥) زجاجة مصنوعة من الجلد لونها أحمر قاتم (٤٦) طاس من الذهب مزخرف (٤٧) قلادة خرز (٤٨) طاس ذهب مزخرف (٤٩) كأس من الذهب مزركش (٥٠) ركيزة نحاس (٥١) إناء من ذهب (٥٢) طاس من الذهب مزخرف (٥٣) سمط من الخرز الموشى بالذهب وملون بالأحمر والأزرق على التوالي (٥٤) إناء من الذهب ذو مقبضين (٥٥) زجاجة مصنوعة من الجلد الأحمر القاتم (٥٦) سن فيل (٥٧) إناء من الذهب ذو قوهة .

تحقيق موقع بلاد « كفتيو » : كانت العبارة « بلاد كفتيو والجزر التي في داخل البحر الأخضر العظيم » موضع حدس وتخمين كثير للوصول إلى معرفة ما إذا كانت بلاد « كفتيو » والجزر التي في داخل البحر الأخضر العظيم (أي البحر الأبيض المتوسط) تدل على جهتين منفصلتين أو أن الثانية هي عين الأولى، وأن كلمة كفتيو قد ذكرت في الأول لأهميتها أو أنها اسم أطلق على كل جزر البحر الأبيض جميعاً . والواقع أن العبارة لا تدل على هذا ولا ذاك صراحة، وذلك أن المنظر الذي رسم أمامنا يمثل كل صنف فيه على نوع من الناس له جنسيته المميزة له وثقافته الخاصة به، هذا على الرغم مما يوجد من اختلافات طفيفة مثلا أن كلا من كلمة « كفتيو » و « إيثو — سي » — و « رتنو » ، تدل على صنف خاص من الأقوام الذين نبحث فيهم الآن، وقد أتوا حاملين الجزية والهدايا للفرعون . على أنه مع ذلك قد يتفق أحياناً أن يضاف لاسم هذا الصنف من الناس اسم بعض السكان المجاورين بحاجة شرح وتفصيل . ففي المسألة التي نحن بصددها الآن قد أضيفت عبارة سكان « جزر الأخضر العظيم » للدلالة على أنهم من جنس أهل « الكفتيو » لأنهم من سلالة واحدة وهم ثقافة مشتركة . ومثل ذلك كمثل سكان « خنتي حن نفر » فإنهم لا يختلفون اختلافاً ظاهراً على ما نعلم عن السكان الذين يسمون « إيثو ستي » وهم الذين يقطنون على الشاطئ الأيمن النيل جنوبي الشلال الأول (راجع Gauthier, Dic. Geog. IV. P. 182.) وكذلك سكان « رتنو » (سوريا) فإن لهم فروعا وصلات ثقافية تمتد شمالا من بلاد « رتنو » الأصلية .

والواقع أن كلا من هؤلاء الأقوام الثلاثة له ثقافته الخاصة به، وعلى ذلك فإن الكاتب المصري عندما ذكر « الكفتيو » والجزر التي في داخل البحر الأخضر العظيم كان يريد جنسا واحداً . كما يقال الآن مصر وملحقاتها . على أنه يوجد الآن رأي يميل إلى ربط الثقافة المنوية (أي ثقافة كريت) « بقبرص » والجزر الميلانية وبلاد الأغريق نفسها الواقعة على جانبي بحر « إيجه » . ويرتكز هذا الرأي

عن راحتي اليد . وعلى ذلك يمكن القول هنا أن « كفتيو » تعرف هنا بوصفها جزيرة « كريت » في أرخبيل الأيوبية تدل على ثقافة جزائرية عامة ، وقد حاول الأستاذ « ونرايت » (J. E. A. Vol. XVII, P. 26) أن يثبت عبثاً أن كلمة كفتيو تدل على البلاد الواقعة غربي جبال « طوروس » وعلى الخصوص التي كانت تدعى عند المصريين الشرقي وساحل البحر الأحمر ... ويظهر رجال « الكفتيو » في رسوم مقبرة « رخ مي رع » (Pl. XVII-XX & "Paintings III V) أهمها أن لون شعرهم يميل إلى السواد وشعورهم طويلة ذات خصلات ملتوية على قمة الرأس ، وكذلك يلاحظ أن كلا منهم يرتدي نعلا له لفافة للساق مزركشة (gaiters) ويرتدي قميصا مزركشا ... قصير . ونجد في حالتين أن الرجل منهم كان يرتدي لباسا مصنوعا من جلد حيوان من فصيلة القط شعره غزير ، أو كان يرتدي جلدين مربوطين إلى بعضهما وقرابا للعضو التذكير ملونا في كل الحالات . وقد دل الفحص على أن هذا هو الزي الحقيقي (راجع Davies, Rekh-mi-Re, P. 23-25.) .

النوبيون : أما المتن الخاص بوفود بلاد النوبة فهو كما يأتي : — « وصول رؤساء البلاد الجنوبية في سلام وهم أهل « النوبيين » ... حاملين جزيتهم ومطيعين الأرض ... الملك الوجهين القبلي والبحري « منخبر رع » ... جلالته ... بحرا على المياه ... « منخبر رع » الحاكم ... الوجه البحري ، والسيد ... الوجه ... البلاد ... التي أحضرت ... قوة ... في كل الأراضي » .

والواقع أن ما نشاهده من ثقافة في بلاد النوبة يتضاءل عندما نقرنه بالثقافة « المينوية » التي لعبت دورها في الحضارة الغربية ، هذا فضلا عن أن ما نشاهده في رسوم مقبرة « رخ مي رع » لا يحدثنا عن ثقافة خاصة ببلاد النوبة في العهد الفرعوني ، وذلك لأن مصر كانت قد غذت النوبة بثقافتها ، غير أن نفوذها كان قد تضاءل جدا من هذه الناحية في عهد الهكسوس ، ولذلك كانت حضارة البلاد الأصلية

قد راجت فى تلك الفترة . على أن ما نشاهده فى مقبرة « حوى » من رسوم يدل على الثقافة المصرية فى هذه البلاد وانتشارها من جديد بسرعة مدهشة . (راجع Siegndorff, "Aniba", I. P. 10ff. & 28.) ولا بد من عمل حفائر لمعرفة ثقافة القوم الأصلية لأن ما نشاهده هنا يحصر فى أن أهل النوبة كانوا يمدون مصر بما لا تنتجه وحسب .

أهالى النوبة : (راجع Plates II, XVIII - XX. & "Paintings", VI, VII.)
الواقع أن الباحثين من رجال الآثار لا يعرفون إلا النزر اليسير عن الحدود الفاصلة بين القبائل التى كانت تتألف منها بلاد النوبة قديما ، كما كانوا لا يعرفون الكثير عن مدى امتدادها جنوبا . وإذا فحصنا الصورة التى مثل فيها أهل الجنوب نجد أن الشخصين الأولين يختلفان عن الباقين من حيث الشعر والملبس . غير أن الهدايا التى يحملونها تجعلنا نعتقد أنهما من الأغلبية السائدة فى هذه الأصقاع . ويدل الشريطان المتدليان من شعرهما على أن هذا الشعر ربما كان مستعارا ، ويفهم من هيئتهما أنهما الزعيمان اللذان كانا على رءوس الوفود .

هدايا بلاد النوبة : (Plates, II, XVIII - XX. & "Paintings", VI - VIII.)
أما الهدايا التى تشاهد مكدسة أكواما فى الصورة فتشمل المحاصيل الساحلية التى تنتجها بلاد النوبة ، وتتألف من ريش نعام وبيض نعام وقطع من الأبنوس وقضبان وحلقات من الذهب وثلاث سلات مملوءة من الشام وقرد أخضر اللون جالس على كرسيه الخاص وست جرات من عطور « سنى » وحزمة جلود فهود وست أسنان فيلة ، وسلة من حجر « حاجت » الأحمر وأخرى من حجر « شسمت » الأحمر . ومعظم هذه المواد التى سردناها تشاهدها ثانية محمولة على أيدى رجال الوفود . هذا بالإضافة إلى ذيول زرافات وجلود ، واحد منها لحيوان ملون بالأحمر والأبيض وعاليه مقطوعة ، وآخر يشبه الثعلب وهو الذى يستعمل رأسه عادة فى أطراف الحلة الملكية ، وفى أطراف القضيب السحرى (راجع

(Pl. XXXVII, row 3) أما الحيوانات التي جاء بها هذا الوفد فتشمل فهد وسنانير وزرافة، وكذلك طائفة من كلاب الصيد أمعن الفنان في إخراجها، هذا إلى أبقار من نتاج البلاد نفسها رسمت برءوس جميلة وقرون كذلك ركبت في هيئة غريبة خارجة عن حد المألوف.

أهل الرتنو: والمتن الذي نقش على وفود «رتنو» هو ما يأتي (Fig. 5)

وصول رؤساء «رتنو» في سلام ورءوسهم كل بلاد آسيا الشمالية حاملين جزيتهم على ظهورهم أملا منهم في أن يمنحوا نفس الحياة بسبب ولائهم لجلالته لأنهم رأوا انتصاراته العظيمة جدا حقا إن خشيته قد قهرت قلوبهم والآن يتسلم منهم جزية البلاد كلها السيد محبوب الآلهة وموزع خشيته العظيمة في كل الأرضين، وعمدة المدينة الوزير «رخ مي رع».

وصف أهل رتنو: (راجع Plates II, XXI-XXIII, "Paintings". X-XII) يلاحظ أن رؤساء بلاد «رتنو» قد ميزوا بأشرطة وضعت ملتفة على صدورهم كما هو موضح في صورة الشخصين الأول والثالث، ونشاهد أن كل أفراد البعثة من جنس واحد بيض الوجوه ويلبسون كلهم زيا واحدا، غير أنهم قد جعلوا شعورهم بطرق مختلفة، ومما يسترعي النظر في هذا المنظر أن معظمهم يحلقون رءوسهم أو أنها مقصوصة قصا قصيرا جدا. على أنه يوجد بينهم ثلاثة قد أرخوا شعورهم على أكتافهم وربطوها بأشرطة.

الهدايا التي أحضروها: (راجع Plates II, XXI-XXIII, "Paintings" IX-XII). ومما يلفت النظر هنا أن الهدايا التي أحضرها وفد «رتنو» لا تدل على مدنية عظيمة جدا وثراء جم، إذ لا نجد إلا ثلاثة من رؤساء هذه البلاد قد أحضروا معهم أواني من المعدن الثمين، كما لا يوجد إلا ثلاث أوان ذات أحجام عظيمة في الكومة المعروضة في الصورة. غير أننا نشاهد مع ذلك إبريقين في الصف الثاني يظهر أنهما من الزجاج يتميز صنعهما بأنهما مفلطحتان مبينان. ("Paintings" X) وبالاختصار دلت البحوث الحديثة على أن الأطباق المصنوعة

من الذهب والفضة وهي التي كما نظن أنها من إنتاج بلاد «رتنو» كان عليها أثر من أصل « كريت » . ومن ذلك نستطيع أن نستخلص بحق أن كل التحف الراقية والقطع الجميلة المخروطة التي كانت ترد إلى مصر من الشمال في هذه الآونة لم تكن تصنع في سوريا بل كانت تتداولها أيدي تجار سوريين، ومن المحتمل جدا أن سقوط « كريت » وانتعاش سوريا السريع بعد خلاصها من أيدي الهكسوس قد عكس الوضع وجعلها هي صاحبة الإنتاج الفني العظيم بعد مضي عشرات السنين القليلة التي أعقبت هذا الخلاص . على أننا من جهة أخرى لا نعرف أصل صناعة الأطباق ذوات الحافة المزينة على وجه التحقيق، إذ من المحتمل أن الفكرة كانت في أصلها مصرية، ولكن ما تحتويه من أشكال خيالية عدة راقية تحملنا على أن هذا الطراز من الأواني هو من إنتاج « كريت » مما كان يصدر إلى مصر، أما سائر الكومة فتحتوي على طبقين صغيرين من الفضة وسلة من حلقات الذهب ، وسلة من حلقات فضة وألواح من خشب « مرو » وحزم من يراع « قن » وسلات من أحسن خشب الأبد (صمغ) .. وحجر « سس » وفيروزج ولازورد ، وطبقين من القصدير لهما مقابض، وقرص من اللون الأبيض (?) وأكياس «زسب» وكل من خشب « تي شبس » (?) وأربع زكائب من النحاس، وثلاثة أباريق ... وثلاثة أباريق من زيت الزيتون وستة أباريق من البخور وأربعة أباريق من مرهم لبنان، هذه هي الهدايا التي كانت مكدسة أمام الوزير، أما التي كان يحملها الوفود على أيديهم فهي . ثلاث زكائب من النحاس وأربع أواني نيبه، وثلاث أوان من الفخار، وحقاب من العاج المسطور، وسنا بيلين، وعربة وجوادان ملونها (Pl. II, & "Paintings" Pl. XL)، وأربع قسي وكنانة وخنجر وحربتان من خشب «عوت»، وأسرا شاهد ... وفيلا ؛ وقد أبرز الرسام صورة الفيل بإتقان لا بأس به .

الأسرى : وقد كان ضمن الجزية السنوية بعض الأسرى والظاهر أنهم كانوا رهائن لضمان حسن سير القبائل في البلاد المقهورة . والنص التالي قد كتب فوقهم

هكذا ، أحضر أولاد أمراء الأقاليم الجنوبية وأولاد أمراء الأقاليم الشمالية وهم الذين سموا «بسلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منتو حتب» له يعطى الحياة – من كل الأراضي الأجنبية لأجل أن يعلمهم الصانع وليكونوا عبيدا في ضياع معبد والده آمون رب تيجان الأرضين ، لأن كل الأقاليم قد سحب لواء (الملك) وأخذ بناصيتها بحربة في يده ، ورؤساؤها قد حصدوا تحت نعليه ، وكان الأمير الوراثي قبضة الفرعون في قهره ومحبة القديسة الوردية «منتو حتب» هو الذي سلم القبضة من الأراضي المختلفة وهي التي حصدها من انتصارات جلالته .

ومن هذا المتن نعلم أن البلاد التي خضعت لحد السيف وهي بلاد السورية والأقطار السورية يمكن معرفة مركزها بالنسبة للبلاد الأخرى في نظر الفرعون فإنها كانت في الواقع مجبرة على توريد العبيد والإماء والأطفال جزية تدفع سنويا ، أو كلما اقتضت الأمور وتدل الأحوال على أن هؤلاء الأسرى كانوا ينتخبون من علية القوم في البلاد المقهورة بمثابة رهائن أو عقاب لإرغام أنوف الأسر الحاكمة في تلك الأقطار النائية وجعلهم يدينون بالطاعة للفرعون .

ويلاحظ أن الأطفال الصغار كانوا يجلبون مثل السلع الأخرى التي كانت تقدم جزية من أيدي الرؤساء المقهورين ، ومما يسترعى النظر بوجه خاص أن الأطفال كانوا لا يزالون في حماية نساء يقمن على تربيتهم وهذا ما نشاهده ممثلا في مقابر أخرى من هذا النوع .

الأسرى النوبيون : والأسرى في رسوم مقبرة «رخ مي رع» ينقسمون مجموعتين يقود كلا منهم جنود مسلحون بقضب وعصي رماية . فالمجموعة الأولى تحتوي نوبيين والثانية تؤلف من سوريين . ويتألف الأسرى النوبيون من طائفة قوامها سبعة أفراد تتبعهم سبع نسوة يحملن حملا كاملة ذوات حافات حمراء قاتمة تتدلى من أطرافها أصداف . والظاهر أن هؤلاء النسوة قد رتبن على حسب خصبهن لأن الأولى كان معها أربعة أطفال الاثنان الصغيران من بينهم قد حملا في سلة على الظهر والثانية كان معها ثلاثة أطفال (؟) ، والثالثة والرابعة كان مع كلتيهما اثنان . هذا إلى ثلاث نسوة أخر شعرهن أطول من شعور السابقات

والقدمين أسوى كي عذارى . ثم يأتي بعد ذلك خمس نسوة يتجهن نحو يلبسن من قلادات مصفحه ومودية لا تستر إلا عورتهن . والظاهر أن واحدة منهن كانت تحمل طفلا . وبعض شعورهن طويل على أنهن نوبيات لا زنجيات .

الأسرى السوريون . يبلغ عدد الأسرى السوريين أربعة عشر ويمكن تقسيمهم طائفتين . ويلاحظ أن كل واحد منهم كان يقبض بيده على عباءة طويلة ذات أهداب ولها شق بها . وفي القسم الأول من هؤلاء نجد أنهم قد لبسوا العباءة على جلباب له كمان طويلان ، وأما أفراد القسم الثاني فكانوا يرتدون العباءة على قميص صغير . وكانت النسوة يرتدين جلاليب بيضاء طويلة لها حمالات ملونة . والظاهر أن هذه الجلاليب كانت مجهزة من قبل . ويلاحظ أن الجزء الأعلى من جلباب السيدات كان يشبه (الطرحة) الحالية . وترى إحداهن حاملة طفلا في سلة مربوطة بحبل على كتفها (وهذا يختلف عن الطريقة النوبية) يلف حول جبهتها وربما يسترعي النظر هنا أن الأمهات كانت لهن الأفضلية ولكن يشاهد هنا أن لا مجال للغيرة أو التنافس لأن كل امرأة كان معها طفلان ، وبعضهن كان لهن شعر قصير في حين أن البعض الآخر كانت شعورهن طويلة مرسلة على ظهورهن

أعمال الوزير

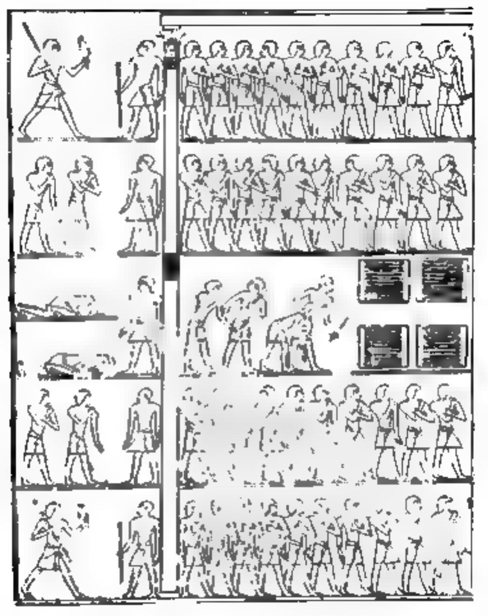
إدارة الوزير : (راجع Plates. XXIV — XXV.) لقد ترك لنا الوزير « رخ مي رع » صورة رائعة تمثل أمامنا مهام الوزير الرسمية ، فنشاهد الوزير وهو يعقد جلسة محكمته التي كانت تعد أكبر محكمة في القطر . وكذلك نشاهد القواعد الخاصة بواجباته مدونة وأخيرا نشاهد صورة لجمع الضرائب من الإقليمين العظيمين اللذين كانا يتألف منهما الوجه القبلي .

والواقع أن القاعة (صورة ٣٦) التي كان يجلس فيها الوزير للقيام بمهام وظيفته كانت على هيئة سرادق يرتكز على ستة عمد في صورة جذع النخيل المزينة سيقانها

عظمة الفرعون، وكذلك نقش عليها عبارة «محبوب ماعت» (إلهة العدل) واسم الوزير «رخ مى رع» . ونفهم من المتن الخاص بعنوان هذا المنظر أن «رخ مى رع» قد عقد جلسة ليستمع إلى القضايا فى قاعة الوزير، وتحاسب الألقاب والنعوت التى حدثت على «رخ مى رع» هنا مع هذا المقام وهى : « الذى يرزع العدالة ويقاتلها، ومن يعمل على حماية المتخاصمين، ومن يقضى بين الفقير والغنى على السواء، ومن لا يمكن اتهامه » (راجع (Pl. XXLV, Col. 3-6 .

القواعد الخاصة بترتيبات المحكمة : ولقد كانت الترتيبات المتبعة عند عقد الجلسة أن يجلس الوزير على كرسى له ظهر يستند عليه وأن يفرش حصير على رقعة القاعة وأن يعلق حول عنقه قلادة الوظيفة (ولا بد أنه يقصد هنا القلادة التى كان يعلق فيها صورة آلهة العدل ويلبسها الوزير حول رقبته عند الفصل فى القضايا فكان عند النطق بالحكم بهذه الصورة ويشير بها نحو من فى جانبه الحق) (A. S. Vol. XL. P. 185ff.) وكذلك كان يضع وراء ظهره جلدا وآخر تحت قدميه . (راجع (Pl. XXVI. Col. 1. وكانت قد وضعت القواعد لتحديد أمكنة الموظفين الذين كانوا يشتركون فى محكمة الوزير فكان يجلس معه رؤساء عشرة الجنوب فى الحزب الذين على اليسار وعلى اليمين . أما المستشار الأول فكان يجلس على يمينه ويجلس الحاجب الذى يقدم المتخاصمين على يساره، وبالقرب منه كان يجلس الكتاب الذين يحتاج إليهم (راجع (Pl. XXVI. Col. 2. . ولكنا نشاهد عشرة رجال على كل من جانبى الطريق الأوسط وعددا آخر يلازمهم من الكتبة وبذلك يبلغ مجموع كل من كان فى حضرة الوزير عند الفصل فى قضايا الناس أربعين موظفا .

عصى الحكام : ومما يلفت النظر أربعة الحصر المفروشة أمام الوزير مباشرة وعلى كل منها عشر عصى ، وتمثل فى مجموعها الأربعين «شسم» الموضوعة أمامه بهذا الاسم . وقد كان المفهوم حتى الآن أنها تمثل أربعين إضمامة من الجلد نقش عليها مواد القانون الذى يقضى على هداه الوزير فى قضايا



(٢٦) منظر قاعة الوزير كمبرع من [illegible]

الشعب ، غير أن شكلها كما يقول الأثري « ديفز » لايدل على ذلك ، إذ كان المنتظر أن تكون أكثف سمكا وأقصر مما شاهده ، كما كان يجب أن تكون محزومة بخيط مثل إضمامات البردي العادية - هذا فضلا عن أنه لم يشر إليها في النقوش قط . وقد يكون من الصواب أن تشير الأربعون عصا إلى الأربعين موظفا الذين كانوا في حضرة الوزير ، أو أنها تمثل الأربعين مقاطعة الطليبية التي تتألف منها البلاد وتتبع الجزية الفرعون . غير أن الاعتراض الوحيد على هذا الرأي الأخير أن « رخ مي رع » لم يكن يدير شئون البلاد كلها بل كانت إدارته قاصرة على الوجه القبلي ، وإذا تجاوزنا عن هذا الاعتراض فإن هذه العصي تكون عصي سلطة وضعت في أيدي موظفي الأقاليم بمثابة تفويض لتنفيذ القانون . وقد شوهدت مستعملة للضرب في يد الحاجب .

صغار موظفي المحكمة : ومما يشاهد في طرقات قاعة المحكمة وخارجها حجاب يتحدثون إلى أفراد يريدون استئناف قضاياهم أو يتناقشون مع أفراد لم يدفعوا ما عليهم من ضرائب ؛ ومما يستلفت النظر أن الفريق الأول كانوا يعاملون من الحاجب معاملة حسنة أما الفريق الآخر فكانوا يساقون بعنف إلى حيث يمثلون أمام الوزير . أما في خارج القاعة فيشاهد منظر غير مألوف . إذ نجد رسولين قد وصلا على جناح السرعة يحمل أحدهما حصن زيتون وسهما وقد استقبل كلا منهما رجل آخر يحمل سهما وعصى ، فالرجلان الأولان هما شرطيان يقومان بعمل رجل بريد أما الثالث فيحتمل أنه حاجب المحكمة . والظاهر أن غصون الأشجار كانت تستعمل رمزا للسلام منذ القدم . أما القصبة أو السهم الطويل فيمكن أن يعد رمزا للسرعة ؛ غير أنه في يد الموظف يدل على القوة المهم إلا إذا كان يحمله فقط على أنه موصل الرسالة للوزير .

وقد خلف لنا الوزير « رخ مي رع » متنا طويلا عدد فيه مهام الوزير ، وقد نقشت سطوره على جدران قاعة الوزير بطريقة تشعر بأنه من وحي مكان الصدارة

إذ قد وصلت الجمل الافتتاحية الخاصة بجلسة الوزير قريبة جداً من الصورة .
وقد عثر على نسخ ثلاث من هذا المتن الهام في قبور ثلاثة وزراء غير « رخ مى رع »
وهي (مقبرة أمنحتب رقم ٢٩ ، ومقبرة « باسر » رقم ١٠٦ ، ومقبرة آمون ومسر
رقم ١٣١) ، وواحدة منها للوزير قبل عهد « رخ مى رع » والاثنتان الأخريان بعده .

ولما كانت هذه التعليمات على جانب عظيم من الأهمية في القضاء والإدارة
في تاريخ العالم فإنا سنوردها هنا كاملة ليرى رجال الحكم المعاصر أن السلف منذ
آلاف السنين قد وضعوا قواعد وأنظمة لم يفقها كر القرون ولم يستطع الفكر الحديث
أن يأتي بأحسن منها (راجع Pl. XXI - XXVIII, CXIX - CXXI) .

واجبات الوزير

النظام الموضوع بجلسة الوزير : « بحصر الإجراء المتبع الذي كان يسير الوزير على نهجه
عندما يعقد جلسة في قاعة الوزارة في أن يلزم الجلوس على كرسي ذي ظهر وأن يفرش على أرضية القاعة
حصير من القصب ، وأن يكون لابساً قلادة الوظيفة (أي القلادة التي كان يحملها القاضي حول عنقه
وبها تمثال العدالة « ماعت ») ويكون بجانبه عصا وأربعون ملفاً من الجلد توضع أمامه أيضاً ، ثم
يجلس أمامه رؤساء عشرة الوجه القبلي على جانبيه ، ويقف المشرفون على بيته والمراقب على الدخول
(الحاجب) على يساره ثم كتبة الوزير على مقربة منه » .

ترتيبات حفظ النظام . « وإذا حدث أن احتدم النقاش بين متقاضيين متكافئين فالواجب
أن تسمع أقوال كل منهما على الترتيب كل في دوره ، وإذا حدث أن أحداً من في المقدمة قال . لن يسمح
أحد بالقرب من قبل نقل الحاجب أن يقبض عليه » .

المحافظة على المؤسسات . « يجب أن يقدم للوزير تقرير عن إغلاق المخازن في الوقت
المحدد وعن فتحها في مواعيدها المقررة ، وكذلك يجب أن ترفع له تقارير عن حالة المعاقل الجنوبية
والشمالية وعن خروج كل من يخرج من البيت الملكي (ديوان إدارة البلاد) كما تقدم له تقارير عن كل ما يدخل
بيد الحكومة ، وكذا يرفع له تقرير عن جميع من يدخل أو يخرج من أرض الحكومة بأنهم دخلوا أو خرجوا ،
وأنهم عندما يحضرون يحضرون بحضرة حاجبه رجال الشرطة على ضباط التحصيل وحاسبو الضرائب
والمشرفون على ملاك الأراضي أن يقدموا تقريراً عن أعمالهم له » .

المنهاج الذي يسير عليه الوزير يوميا : "وكان لزاما على الوزير أن يسأل أمام المرحوم [illegible] له المليات والسعادة والصحة — وأن يقدم له تقريرا عن حالة البلاد يوما [illegible] وكذلك كان عليه أن يحضر «البيت الملكي» على أثر انعقاد رئيس المراكز الأعلى [illegible] هذه الصورة [illegible] وقد كان على رئيس المراكز الأعلى [illegible] وكاتب الوزير [illegible] (الملك بيك) [illegible] تقريرا الوزير [illegible] إن كل أعمالك في أمانة وسليمة وكل موظف [illegible] تقريرا [illegible] كل الأعمال في أمانة وسليمة [illegible] كل موظف [illegible] في تقريرا [illegible] آمنة سليمة [illegible] الحكومة آمن سليم وقد كان على الوزير [illegible] أن يسأل رئيس المراكز الأعلى [illegible] كل أشغالك آمنة وسليمة وكل إدارة من إدارات [illegible] (الحكومة) آمنة سليمة [illegible] تقرير [illegible] في الوقت المحدد [illegible] في الوقت المحدد [illegible] كل موظف قائم بالعمل [illegible] وبعد أن يبلغ كل من رئيس المراكز الأعلى والوزير تقريره [illegible] كان على الوزير أن يرسل [illegible] أبواب الحكومة [illegible] لكل من يريد الدخول وكذلك الخروج لكل من يريد الخروج ، وقد كان على الحاجب أن يخبر بهذا العمل كتابة" .

تحديد سلطان صغار الموظفين : "ولا يجوز لموظف أن يجعل لنفسه سلطة الفصل في قضايا قاعة الوزير ، وإذا اتهم أحد الموظفين التابعين لقاعة الوزير [illegible] (أي الوزير) أن يجيء أمام المحكمة وعلى الوزير أن يعاقبه على قدر [illegible] ويجب ألا يكون في يد أي موظف السلطة [illegible] أي [illegible] في قاعة الوزير كما يجب أن [illegible] تقرير من أي [illegible] هو نفسه" .

عمل حاجب الوزير : "وإذا أرسل الوزير أي حاجب في مأمورية إلى أي موظف [illegible] ولا يجوز [illegible] المصادقة ، كما لا يجوز لموظف [illegible] الحاجب [illegible] الخاص [illegible] تقرير [illegible] للموظف وأن [illegible] الاختيار (؟) . وقد كان حاجب الوزير [illegible] حكام [illegible]

[illegible]

هذا [illegible] أعماله" (1)

(1) [illegible]

موقف الوزير من إجراءات في قضية غامضة : " أما من الإجراءات الهامة التي كان يتبعها الوزير عند ضياع لصبة في ناحية عن أى موظف لم يكن كفئا في أعماله فيحدث عليه (أى الوزير) أن يسمع حججه في هذا الموضوع ، فإذا لم يكن في مقدوره أن يدافع عن نفسه عند ضياع ظروف القضية عليه فإن أن يعيدها إلى أحد الخبراء المفوض في المجلس الرئيسي ، ويطبق على هذا الإجراء إذا لم يكن في مقدوره أن يرى حاجبه من القضية ما دام وقع عليها حمل ذلك كرة أخرى فلا بد من تقديم تقرير عن ذلك كما يجب عليها أحد مشهاد في حيل المجرمين وعن العيب الذي من أجله قدمنا في هذا السجل بالنسبة بحسب رغبته " .

الاحتياطات الخاصة بالوثائق القانونية : " وإذا أرسل الوزير في طلب وثائق خاصة بالمحكمة وكانت هذه الوثائق غير سرية فيجب أن تحمل إليه وهيا وثائق السجل الخاصة بها وتكون محتومة بأختام الحكام والكاتب الذي في معيتهم (أى الحكام) وعلى الحصرون بهذه الوثائق . وعلى الوزير بعد فحصها وختمها أن يعيدها إلى إدارتها ثانية مختومة بختم الوزير نفسه . أما إذا كانت الوثائق المطلوبة سرية فيجب على المسجلين المختصين ألا يسمحوا له بنقلها (من مكانها) ، ومع ذلك إذا أرسل الوزير حاجب مصلحة المدعى فيجب على المسجل أن يسمح بنقلها إلى الوزير " .

أنظمة خاصة بالحقوق المتعلقة بالأرض والمحاصيل : " وإذا تظلم شخص من غبن أو حيف وقع عليه بسبب نزاع على الأرض فعلى الوزير أن يحرم بحسب الحقيقة في أمره فضلا عن ضياع نفسه على يد المشرف على الأراضي ومجلس المراكز . على أن يسمح له بمهلة مقدارها شهران بحسب موضع أرضه إذا كان موقعها في الوجه البحري أما إذا كانت أراضيه قريبة من المدينة الجنوبية (طيبة) أو منف المدينة ، فيسمح له إلا يتأخر أكثر من ثلاثة أيام كما نص على ذلك القانون . وعلى الوزير أن يسمع القضية أى متظلم على حسب هذا القانون الذي في يده ، وعليه أن يتخذ مجلس القاطنة وهو الذي يجتمع به لتقديم تقرير عن حالة مقاطعتهم ، ويجب أن يؤتى إليه بكل وصية لأنه هو الذي يجب أن يوقع عليها بخاتمه ، وهو الذي يقسم الجهة المضيرة من الأراضي (شمو) . أما إذا قرر أى متظلم قائلا : « إن حدودنا قد زحزحت » فيجب أن تؤخذ السابع بأن يكرر ذلك التحقق على حسب إمضاء موظف ، وإذا كان ذلك قد حدث فعلا فعلى الوزير أن يزج حسب ملك الأراضي المضيرة (شمو) من المجلس الذي كان قد زحزح الحدود .

يضاف إلى ذلك أن أى حفير أو كنز يوجد على الأرض فإن أى تدخل بالحفرة عشرية ... تقديم إلى كل قضية كتابة يسمح ... عليه أن يقدم قطعا ما كل ماء ، وإذا جاء ما كل القاطنة أى تظلم ضده أو رفع قضية وهيئتها كتابة فيجب أن يحال إلى الوزير .

المراسلات والتعيينات المالية : "والوزير هو الذي يرسل كل صاحب الحكومة كما يرسل إلى القاطعات ورؤساء المراكز ، وهو الذي يرسل بيده جميع الأوامر [illegible] الخاصة بالحكومة ، وهو الذي يعين أي موظف من موظفي الإدارة مثل المشرف على الوجه القبلي أو الوجه البحري ، ومدير الجنوب أو الإقليم العظيم (مديرية النوبة) وعليهم أن يخبروه بكل ما يحدث في مقاطعاتهم [illegible] في بداية كل فصل مدة أربعة أشهر ، وعليهم أن يحضروا إليه الكاتب الرئيسي الخاص بهم ، وكذلك عليهم أن يحضروا مع مجلسهم" .

المؤن اللازمة لتنقلات البلاط : ومن واجب الوزير الإشراف على مدد الجنود والسير في ركاب الفرعون عندما يبحر في النيل شمالاً أو يصعد جنوباً ، وأن يعين في المناصب التالية من [illegible] كان ذلك في المدينة الجنوبية أم في مقر الملك (أي الحكومة) وذلك تنفيذاً للقرار [illegible] من الحكومة الملكية ، ولابد أن يحضر أمامه طائفة موردي الأغذية لما [illegible] (الملك) حتى [illegible] والمجلس العسكري بالطعام ، ولأجل أن يصل إليهم أعطية الجيش (الخاصة بالطعام) ويجب كذلك أن يعقد جلسة من أصحاب رتبة الثالثة ومعهم أصحاب الوظائف الصغيرة في قاعة الوزير حتى يتبادل كل منهم التحيات مع زميله[1] .

إدارة الحكومة الملكية : ومن واجبات الوزير أن يرسل [illegible] على حسب أوامر الحكومة وأن يبعث مستشاري المقاطعة [illegible] في البلاد كلها ، وأن يرسل العمد ورؤساء المراكز لزراعة الصيفية ، وكذلك عليه أن يعين المشرفين على عمال [illegible] في قاعة الحكومة الملكية ، وينصب من [illegible] ورؤساء المراكز ، ومن [illegible] باسم الوزير في الوجه القبلي والوجه البحري ، وكذلك من الضروري أن يقدم له تقرير عن كل القضايا [illegible] .

السلب والمقاضاة العامة والخاصة : ويجب أن [illegible] تقرير [illegible] ومن أي [illegible] يحاول القيام [illegible] . ومن واجب الوزير أن [illegible] من أي مقاطعة ، وأن يكون [illegible] ، وكذلك من واجبه إرسال الجنود والكتبة [illegible] الفرعون . وكذلك يجب أن تكون [illegible] المقاطعة في [illegible] أو بدل حكم في أي مسألة خاصة بالأرض المزروعة . ومن واجبه كذلك أن [illegible] عقار [illegible] وهو الذي يؤدي كل (شهود) (؟) ويسمع لكل شكوى وهو الذي [illegible] قضيته [illegible] مع جاره [illegible] كل شخص يجب أن يبقى في المحكمة [illegible] رسالة من الحكومة الملكية ، وهو الذي يسمع القضايا [illegible] في أي إدارة حكومية (؟) .

---

(١) هذه الفقرة من القانون تدل على أسمى تعبير عن الروح الديمقراطي في كل عصور التاريخ .

المسالية والتموين : ومن واجبات الوزير أن يفصل في أية قضية خاصة بأي مخزن في ذلك المعبد و ... يفرض أية ضريبة معينة على أي إنسان يجب عليه دفعها (؟) وأنه هو الذي يعمل . في ... الأمر به أو في الحكومة الملكية، وعليه أن يوقع عليها بخاتمه ، كما يجب عليه أن يفصل في كل القضايا القانونية ، وهو الذي يقوم بإجراء التحقيقات الخاصة بالضرائب على حقل المساحة (؟) كما يجب على المجلس العظيم أن يجمع له تقريرا عن تقديراته للضرائب ، وأن يساعده في ذلك جباة الضرائب . وعليه أن يستمع إلى قضية الميراث (؟) ... ويحمل الملكة وكل ... ومن واجبه كذلك الفصل في القضايا الخاصة بها . وأنه هو الذي يفتح بيت الذهب جميعه ورئيس الخزانة الأعلى ، كما أنه من واجباته فحص بيروس(؟) . والمدير العظيم لبيت رئيس المجلس الأعظم ، وعليه أن يجري حسابات لكل الأفراد التي يجب أن يعمل لها حساب، وأن يفحص ... المياه(؟) في أول يوم من فترة مقدارها عشرة أيام والفترة ... .

النظام العام ورفاهية الشعب : أما قضايا الملكة سواء أكانت خاصة بها أم القاطنة ... المراكز أم بأي الناس ما ... فإن كل ... الذي يقدم له لا بد أن يبلغ بأسمه بكل ... على الأرض الزراعية وبكل مرتفع ... ، وعليهم أن يخبروه عن أي اضطراب يحدث بلا أوامر (؟) ... وعليهم أن يخبروه الحاجيات الضرورية مع الدخل ... وأنه يتسلم تقرير عن ظهور نجم الشعرى وعن أمر الفيضان ، كما يقدم له تقرير عن الأمطار (؟) ... الشرف على الأرض الزراعية والمرتفع (...) أو إلى ... الحكومة الملكية .

وإن الوزير هو الذي يجهز الجيش كما يجهزها أي فرد خاص بذلك ، وهو الذي يرسل أي موظف من رجال الحكومة الملكية لأجل أن ... عندما يكون الفرعون في رحلة ... ويجب أن يتسلم له تقرير من كل مجلس ... وأنه هو ... الأسطول ... (؟) ، وأنه هو الذي يختم كل المراسيم الخاصة به ... ويجب الوزير ... مثل كتب ... عندما يرسل في بعوث حكومية ، ويجب أن يتسلم تقرير عما يجب أن يبلغ عنه ... ومعظم الملكة هو الذي يبلغ عنه وعن كل ما ... ومن ... في قاعة الوزير .

وإجمال القارئ يشعر تماما بعد قراءة هذه الوثيقة الهامة بما كان ملقى على عاتق الوزير من مهام جسام سوء يحملها رجال عديدون، غير أنها في بعض الأحيان كانت مهام ... ، وعلى ذلك لا ندهش عندما يحذره الفرعون بقوله : « إن الوزارة ليست أمرا هينا بل هي مرة كالصبر » . هذا ولا نريد أن نعلق على ما في هذه الوثيقة من

ومبادئ سامية وقوانين عادلة ودروس واعظة فى الأخلاق الكريمة وقواعد صارمة يجرى على مقتضاها الموظف الكبير والصغير لا فرق بينهما هذا إلى ما جاء فيها من العدالة المطلقة التى كانت أكبر عامل فى تسيير أمور الدولة والوصول بها إلى بر النجاة ، وكل ذلك كان ملقى على عاتق الوزير الأكبر الذى كان يمثل الحكومة الرشيدة .

جمع الضرائب : (راجع Pl. XXIX - XXXV, XLI) لا نزاع فى أن العثور على مثل هذه الوثيقة الفذة فى بابها فى مقبرة خاصة يبعث فى النفس الدهشة الممزوجة بالسرور والغبطة . غير أن سرورنا وفرحنا يتضاعفان عندما نعلم أنها قد شفعت بصورة ممتزجة بإحصاءات وثيقة تضع أمامنا استعراضا خطير الشأن عن كيفية سير الإدارة المالية فى البلاد ، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن هذا العرض لا يشمل كل البلاد المصرية من أقصاها إلى أقصاها إذ يقتصر البحث فيه على مالية الوجه القبلى ، ويمتد شمالا «بيجة» قرب أسوان حتى مدينة أسيوط الواقعة فى وسط مصر ، ويشمل ذلك الإقليم الذى كان يطلق عليه «رأس مصر العليا» . وكان قد قسم هذا الإقليم قسمين وهما الأراضى الواقعة جنوبى طيبة وقد جزئت إلى أربعين وحدة والأراضى التى فى شمالها كذلك جزئت إلى أربعين وحدة أخرى . وقد مثل هذه الوحدات ثمانون موظفا يشاهد كل واحد منهم يقدم دفعة مما هو مفروض على إقليمه من الحيوانات والمحاصيل الزراعية ، يضاف إلى ذلك ما يقدمه كل منهم من حلقات ذهب أو أنماط من حلقات الذهب والفضة أيضا ، ويلاحظ فى الصورة التى تمثل هذا المنظر أنه قد نقش فوق كل موظف صورته وقد ذكرنا أحيانا لقبه واسم المركز الذى أتى منه وكذلك كمية من الذهب أو الفضة حسب ما لديه أو حسب الدين . وفضلا عن ذلك وجدنا فى تسع حالات أن ضرائب الوحدة كانت تشمل قلادة من الذهب أو الفضة ، وفى حالة واحدة وجدنا أن الجزية كانت تدفع نسيجا . وقد كان هذا المقدار المكتوب يحقق أحيانا ، وفى تلك الحالة

لا نجد الدفع قد رسم فى صورة وكأن بل كان يورد بدلا منه مقدار عظيم من المواد المتحصـل .

النقوش الموضحة : ومتن اللوحة للأجزاء الجنوبية هو : (راجع (Pl. XXIX. row 1, الوزير «رخ مى رع» يفحص مراجعة حسابات ثانية وزير المدينة الجنوبية (طيبة) وهذه المراجعة كما جاء به النص رؤساء المراكز والمستشارين الرجعيين ومأمورو ضرائب المقاطعات وكتابهم وكتاب السجلات الذين فى إقليم «رأس جنوب القطر» وهو الذى يمتد من «الفنتين» وانتهى « ... » . وقد نقشت هذه المراجعة على حسب الكتابات القديمة . وكذلك نجد مثل هذا الإيضاح لإقليم الشمال (راجع ، .Pl. XLI) وقد جاء فيه الوزير « رخ مى رع » يفحص حسابات ثانية وزير المدينة الجنوبية مراجعة (حسابات) العمد ورؤساء المراكز والمستشارين الرجعيين ومأمورى المقاطعات وكتابهم وكتاب سجلات الأراضى وهو الإقليم الذى يمتد من « قفط » وينتهى عند « أسيوط » .

ومن ذلك نعلم أن الصعيد كان له وزير خاص يقوم بشئونه وأن الأراضى التى كانت تحت سلطانه تشمل الإقليم الذى ما بين « أسوان » حتى مدينة «أسيوط» وهـذا الإقليم بدوره كان ينقسم قسمين : إداريين الأول من « أسوان » حتى « قفط » ، والثـانى من « قفط » حتى « أسيوط » . وكذلك كان كل من هـذين الإقليمين بدوره ينقسم أربعين وحدة لكل حاكم خاص . وعلى هـذا التقسيم كانت تجبى الضرائب بوساطة موظفين خصصوا بهذا العمل .

طرق دفع الضرائب فى ذلك العهد : لا يزال موضـوع قيمة النقـد فى مصر القديمة من الموضوعات الغويصة (راجع مصر جـ ٢ ص ٣٣٧) على الرغم مما وصلنا من معلومات متفرقة عنه . وما نعرفه على وجه التأكيد أن البيع فى الأزمان القديمة كان بوساطة حلقات من المعدن لها قيمة معينة . (ومن المحتمل أن كل اثنى عشرة حلقة صـغيرة أو ست حلقات كبيرة كانت تعادل « دبنا ») ، ولكنا نعلم فيما بعـد أن الدفع كان يقدر بوزن الدبن سواء أكان من الذهب أم الفضـة أم النحاس . ويقدر وزن الدبن الذى كان يحتوى عشرة « كدات » مصرية

عجـو واحد وقمحين جراما . ولا تفوتنا أن نذكر هنا أن الذهب كان فى الأزمان القديمة أقل قيمة من الفضة ولكن مقدار إنتاج الفضة أخذ يزداد فى البـلاد بعد الفتح الهكسوسى لدرجة أنه فى عهـد « رخ مى رع » كانت قيمة الفضة تعـادل بالنسبة للذهب ١/٣ أو ١/٢ ، وقد كان النحاس يستعمل كثيرا فى المعاملات الصغيرة إذ كانت قيمته تقدر بنحو ١٥٠ أو ٢٠٠ ٪ من قيمة الذهب . وقـد يكون من باب التقريب لفهم قيمة الذهب أن نعـلم أن ثمن ثور واحد كان يقدر بمـا يقرب من دبن واحد من الذهب . والطريقة التى كانت متبعة لدفع أى حساب مقدر بالحسنات من الذهب والفضة أن يدفع الفرد ما لديه من معدن المعدنين نقدا ثم يدفع الباقى سلعا . و بذلك نفهم الصورة التى تمثل أمامنا موظفا يحمـل حلقات من الذهب والفضة (وكان الدفع بالذهب هو السـائد) ، وكذلك يقدم فى الوقت نفسه الأشياء الأخرى التى كان سيدفعها سلعا . ويجب فى هذه الحالة أن يكون المبلغ المقدر مضافا إليه المواد الأخرى يساوى الضرائب المفروضة .

توزيع الضرائب : ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن الضرائب لم تكن تدفعها المراكز بهـذه الكيفية بل كان يكلف جبايتها موظفون يحتمل أن كل بلد يخصه منهم عدد عظيم ، ويحتمل أن ذلك يرجع إلى أن كل موظف كان له نوع معين من الضرائب أو كان مركلا بمساحة معينة فى الريف يجمع ضرائبها ، وهؤلاء الموظفون هم العمد ورؤساء المراكز (حقاحت) . أما فى المدن التى بها حاميات فكان يكلف جباية خراجها قائد الحامية ، ومن ذلك نعلم أنه كان يقوم بجمع الضرائب فى « الفنتين » قائد حاميتها ومأمور ضرائبها وكاتبه والمستشار الرئيسى وكاتبه أى إلى خمسة موظفين كانوا مسئولين عن جمع ضرائب المراكز أو المدينة التى كانوا مسئولين عن جوارهـا .

الضرائب المحصلة : (راجع : (Pl. XXIX, 2, XXX, fig. 7.) ؛ يلاحظ فى حصر قبر « رخ مى رع » أن ترتيب منظر الضرائب المحصلة قد رسم على غرار

مناظر المقبرة الأخميمية التى سبق الكلام عنها ، وذلك أن محصول المراتب والكتبة والقاسمين لهم كانوا يقفون على يمين الوزير ونشاهد كومة من الطرائف النفيسة مكدسة بينهم وبين دافعى الضرائب . وفى الصف الرابع من هذا المنظر نشاهد الموظفين الذين كان يحتاج إليهم لمعرفة مقدار المعدن المقدم جزية . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الضرائب التى شاهدناها فى الصورة لم تكن لجهة معينة بل فى الواقع كانت نماذج من كل الضرائب التى كانت تقدم عينا . ومن الجائز أنها كانت تشمل هدايا ، وهى أشياء مختلفة لا نجدها ممثلة فى جهات أخرى ، ويظهر أنها قد أتى بها من أقاصى الجنوب ، إذ نشاهد قرنا فيل عظيمين واقفين بجانب الكومة التى فى الصورة . وهكذا نجد فى الصف الأول (Pl. XXIX, 2) قردة ، وجلودا فى سلة وحزمتين من سهام الخ . وفى الصف الخامس (Pl. XXXI row 3,) نشاهد بالقرب من موظفين من إدفو حقائب وحصيرا من البردى وأخرى من الكلأ وحبالا وعشرة أحجار « وجم » (*)

أنواع المواد التى كانت تحصى : ومن قائمة للمواد التى كانت تقدم جزية (راجع : P. 104 — 108.) نعلم أن سلع المبادلة لم تكن كثيرة الأنواع إذ كان يبلغ عددها ستين وعشرين نوعا . ولكن مما يسترعى النظر إغفال ذكر أشياء يجب أن نذكرها هنا . فمثلا يظهر أن الشعير لم يذكر وكذلك لم يأت ذكر الخنازير أو الماعز فى هذه القوائم ، ولم يذكر من أنواع الطيور هنا إلا الحمام إذ كان يعد ضروريا للزينة . والظاهر أن الماعز كان وحيدا فكل نحس منها خسير وحده فى المبادلة ، ومما يؤسف له أن هذا المنظر قد شوهت معالمه بالفجوات التى أحدثت فيه . هذا بالإضافة إلى صعوبة فهم ما بقى منه . وفضلا عن كل ذلك فإن حد الإقليم من الصعيد وهو الذى يحصر بين « طيبة » و « أسوان » كان فقيرا نسبيا فى محصولاته . ولا أدل على ذلك من أن الموظف فى الشمال كان لا يدفع إلا مبلغا يزيد متوسطه قليلا عن نصف ما يدفعه من المعدن زميله فى الجنوب

فقد كان يجلب غلالا وماعزا أكثر ، ولكن ما كان يجلبه من النسيج أقل وكذا الشهد والبردى من محاصيل الشمال العامة . وكذلك نلحظ أن « أرمنت » لم تكن تورد ضرائبها إلا جرة واحدة من الشهد ، وكانت الفضة من المعادن التى يوردها أهل الشمال بحالة جزئية وذلك طبعى لأنها كانت تورد للبلاد المصرية من هذه الجهة فى حين أن الذهب كان يتدفق عليها من بلاد النوبة بوجه خاص . أما ما كانت تدفعه « طيبة » ضريبة فليس لدينا أية معلومات عنه . ولا بد أن ضرائبها كانت ضخمة جدا ويحتمل أنه قد خصص لها قائمة خاصة .

وقد ترك لنا «رخ مى رع» على جدران قبره قوائم توضح لنا الضرائب التى كان يدفعها أهل الصعيد فى عهده ، وذكر لنا اسم الجهة وما تدفعه بالنقد (دبن) ، وما تدفعه من المواد العمل والحيوان والنسيج وغير ذلك . ويبلغ عدد هذه الجهات ثمانين جهة ، أربعون منها فى الإقليم الواقع بين «أسوان» و«طيبة» ، وأربعون ما بين طيبة حتى «أسيوط» (راجع .The Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes" P. 104–106").

(« رخ مى رع » وعلاقته بمصانع آمون وضياعه)

لقد كان من أهم الوظائف التى يشغلها «رخ مى رع» «توليه شئون معبد آمون» الإدارية وبخاصة مصانعه وضياعه . وقد ترك لنا رسوما على جدران قبره توضح لنا ذلك بجلاء (Plates. XXXVI - XXXVIII) نشاهده فى منظر واقفا يفحص الجرايات التى كانت قد أمنت لرجال معبد «آمون» وكذلك نراه يفحص الأثاث الذى صنع لهذا المعبد . وفى نفس المنظر نشاهده يفحص الأحجار والعمل فى الحقول ؛ ولسنا متأكدين إذا كانت هذه الحقول أملاك المعبد أو أملاك « رخ مى رع » نفسه ، وقد دون لنا « رخ مى رع » المتون التى تحدثنا عما قام به فى هذا الميدان (راجع .Pl. XXXVI) وهاك النص : " « رخ مى رع » يفحص موارد الطعام اليومية التى تورد لمعبد وكذلك يفحص إقامة آثار جديدة قد قام بإدارتها لبيت الإله الطيب سيد مصر « منخبر رع » — له حياة أبدية — لأجل معبد آمون ومعابد أخرى تحت إدارته " . على أننا لو دققنا النظر

في بعض أجزاء هذا المنظر وبخاصة ما يتعلق منه بالأشياء المصنوعة في مصانع المعبد عرفنا أنها لم تكن تصنع لتستعمل في المعبد وحده بل نجد أن الكثير منها كان لا يمكن إلا أن يكون أثاثاً جنازياً للدفن الملكي والأخرى كانت لتموين الجيش وإعداده .

تماثيل القبر الملكي : (Pl. XXXVI, XXXVII.) في هذه الآثار الجنازية الملكية أربعة تماثيل قد وجد مثلها في المقابر الملكية فعلاً مصنوعة من الخشب ومغطاة بطبقة من القار كما شاهد في مقبرة « توت عنخ آمون » ، هذا إلى تماثيل أخرى ترى في هذه اللوحة رسمت بأوضاع مختلفة أحدها كتلاً « و طول » فقد لونا باللون الذي يمثل الجرانيت الأحمر ، وكل هذه التماثيل تصور لنا « تحتمس الثالث » وهو على عرش الملك وحده أو معه زوجه « مريت رع حتشبسوت » بنت الملكة « حتشبسوت » .

منتجات أخرى للصناع : (Pl. XXXVIII.) وقد أنتج صناع معبد آمون نفس مئة أخرى منها : (١) ثلاث قلادات من الخرز عليها أقفالها في صورة زهرة البشنين ، وهذا الخرز كان مختلفاً ألوانه بين الأحمر والأزرق كما كان بعضه حبوباً من الذهب . (٢) أربع كلالات . (٣) تسع سكاكين من النحاس أو القلزات . (٤) حزام من الخرز الأحمر والأزرق . (٥) قلادة من الخرز الأزرق . (٦) أربعة خواتم شعر مشطورة من الذهب . (٧) ثلاث أوان من الذهب ومثلها من الفضة . (٨) إناء طويل من الذهب . (٩) ست عشرة (ملعقة) أسحنب من البرنز الأصفر . (١٠) ملاقيط (القار) . (١١) قميص مدرع . (١٢) ثلاث حزم من الجرابيب . (١٣) حزام من الخرز الأحمر والأزرق . (١٤) قلادتان من حبات من الخرز الأحمر والذهب على التوالي . (١٥) سبع أوان خمس منها فضة واثنتان من الذهب . (١٦) أربع مباخر صفراء اللون . (١٧) خمسة أطباق صفراء . (١٨) سوط أصفر فيه عقدة ذهب . (١٩) عشر خوذات صفراء . (٢٠) أمشاط وملاقيط . (٢١) مرهم أصفر

في طبق من الفضة . (٢٢) مرهم أبيض في جرة بيضاء . (٢٣) صندوقان على هيئة ثعبان (لونهما أصفر) . (٢٤) سرير من الأبنوس أشرطة من ذهب . (٢٥) سلالم منحنية للسرير . (٢٦) ثلاثة مضارب سحرية يحمل طرف كل منها رأس عبد وفي الطرف الآخر رأس فسك (ضرب من الثعالب) . (٢٧) أربع أواني وطبق للرهم صنعت من الزجاج والبشبا والمرمر أو تقليدا له . (٢٨) أربع جرات من نفس النوع السابق . (٢٩) ثلاث جرات مرهم من الخزف الأزرق والأخضر والمرمر .

مخابز المعبد : وقد كان للمعبد مخابز خاصة لإطعام موظفيه (راجع Pls. XXXVIII, XLI.) والمتن الذى فوق هذا المنظر يحدثنا عن المكان الذى كانت توسل إليه هذه الأطعمة وهاك نصه : "المشرف على مصانع آمون ومدير مواد القربان في الكرنك والمدينة والوزير «رخ مى رع» يحضر قربان الإله لمعبد آمون ... وهي التي تقدم له يوميا، وهي ما أراده هذا الإله الفاخر ... لأجل أن ترضى قربته (كما) يطلبه، ولأجل أن يستعطف بما يرغب فيه، ويكافئ الملك الذى أقامها له، ملك الوجه القبلي والوجه البحرى «منخبر رع» — العائش أبديا —" . وفي هذا المنظر يشاهد نماذج من الفطائر والمشروبات كانت تقدم لآمون «رخ مى رع» للمسمى «منخبر رع سنب» كاتب خراج معبد «آمون» . كما يشاهد في جزء آخر من نفس المنظر صفان من حاملي القربان يحملون أطباقا عليها أرغفة مخروطة وفي مقدمتهم رجل يحرق البخور . وقد كان الموظف المسئول مباشرة عن ذلك هو «مرى» أحد أتباع «رخ مى رع» ، وقد كان يلقب (المشرف على مصانع «آمون») ، ويشاهد أيضا رجل يحمل صندوقا يظهر أنه كان يحتوى حبات السمسم والدقيق والحب فتكون معانا على أنها هي المواد التي صنعت منها الفطائر والرقاق .

الخبازون وصانعو الجعة : (راجع Pl. XXXVIII, row. 2) وفي هذا المنظر نرى عصير النبيذ كما نشاهد الخبز قائما على قدم وساق ، ونشاهد عمالا

يلاًون قوالب مخروطية الشكل ثم توضع فى الفرن ، والناظر المدقق لما يجرى فى هذه الصورة يجد كل المعلومات التى تتبع فى استحضار الخبز والفطائر بأشكال مزخرفة ودقة متناهية مما يدل على التفنن حتى فى صناعة بسيطة كصناعة الخبز ، وبخاصة إذا علمنا أن اسم كل نوع منها كان يكتب فوقه باللون الأزرق أو الأحمر .

وكذلك نشاهد فى نفس هذا المنظر عملية تحضير الجعة .

حقول «آمون» : ونشاهد «رخ مى رع» فى منظر يفحص الأراضى المروية (راجع Plates XXXIX, XLI.) وعنوان هذا المنظر المفسر له هو :
"«رخ مى رع» الذى يقبض عليه «برمه» (إله المحبوب) والمقرب من الإلهة «رننوتت» (إلهة الحصاد)، والمقرب من الإلهة «سخات حور» (حامية الأبقار) والأمير الوراثى ومن يملأ الخازن ، ومن يجعل مخازن الغلال ملأى ، ومن يصل من عرف حاجة ، ومن لا يرتك منه ذلك ، ومن يرجح الصدق بين الملحح والمقل ، ومن يفصل المتخاصمين بأصواته وهما راضيان وقلبه مطمئن ، ومن هو كالعدل الذى رسمته السيدة «بت» وأحبه الكاهن الطاهر للإله «آمون» «نفروبن» بن الصدقة والوزير «أمتو» ، يتمتع نظره برؤية الأبقار ويتمل فى أعمال الحقول ويفحص أعمال الصيف والشتاء" . ومما يؤسف له جد الأسف أن هذا المنظر مهشم ، غير أن عنوانه وما تبقى منه يدل على فحص الديوان ، وعلى أن نتاجها كان عظيما فى هذا العام . وكذلك يدل بعض بقايا هذا المنظر على عملية كيل الحبوب وعلى دوس القمح وغير ذلك مما يلزم لإعداد القمح بعد حصاده .

حصاد القمح والكتان : (راجع Plates XXXIX. row. 1,2.) يشاهد فى منظر حصاد القمح والكتان رجال يحشون طيورا صيدت من القمح قبل حصده ، ثم يحشون حزما من القمح وصبيا أبيض بعناية بأكورة الحصاد . وخلف هؤلاء نجد حصادين يحصرون السنبل المقطوع من سيقانه فى سلات محكمة أمام الوزير . أما سيقان القمح فقد تركت واقفة لأجل أن تجتث بجذورها فيما بعد وتتم الكلمات التى كان يفوه بها العمال أمام الوزير عن أدب جم ، غير أن معظمها قد محى ولم يبق منها

إلا ما يأتي : لأجل روبيك الظهيرة لأجل روبيك « أيها الصديق » وكذلك تقرأ : « أيها الصديق الذي يجهد « جهده » ؟

وكذلك نشاهد عمالا يحصدون ماصرا (؟) وثورا وعنزة . أما ما في العمال فكانوا منهمكين في حصد حقول الشعير والقمح والكتان بمناجلهم أو في اجتثاث سيقان القمح والكتان . ومما يلحظ أنهم كانوا يحملون حاملات تتألف كل منها من خمسة رجال ولم يبق من المتن المفسر لهذا المنظر إلا الكلمات التالية : حصد برماة صبيان أرباب المقاربة في حقول لأجله في الأراضي الزراعية الكائنة بالمدينة الجنوبية ويقول العامل إن الحقل في حالة جيدة جدا .

حرث الأرض : (Pl. XXXIX row 3.) يشاهد في هذا المنظر خمسة أزواج من البقرات تحرث الأرض وقد فسر المنظر بالمتن التالي : تلين المحصول الطيب وكل أيها الصديق والرجل « رخ مي رع » الشعير ؟ ... ... ثم يقول حراث : « بداية سعيدة ويوم سعيد وسنة سعيدة خالية من كل شر ..... » ويقول حراث آخر مناديا زميلاه : « تقدم يامن أنت القريب حتى نستطيع أن نكون أحرارا في الرواح والقصد » ويبادي الآخر بصوت مرتفع « ... سير إذا أنك السيد » .

استعمال الأراضي البور واستغلالها : (Pl. XL, 1,2 & XLII - XLVII, 1)
كان من أمر المتع وأحبها إلى نفس المصري الترويح عن نفسه بالخروج في أوقات فراغه للصيد والقنص ، وقلما نجد شريفا من عظماء القوم منذ الدولة القديمة إلا صور لنا ما كان يقوم به في هذا الميدان المحبب إلى نفسه فيصوره لنا على جدران قبره أملا منه في أن يتمتع به في حياته الآخرة ، كما كان يتمتع به في الحياة الدنيا . وقد ترك لنا «رخ مي رع» بقبره مناظر تحدثنا عما أصابه في هذا المضمار من براعة وما حقق له فيه من نجاح ، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف زوال الجزء الأكبر الخاص بهذه الناحية من المشاهد التي رسمت على جدران قبره ، ومع ذلك فإن ما بقي يقدم لنا صورة ممتعة تحتوي على شيء كثير من التجديد وحسن الإخراج ودقة الفن .

صيد السمك والطيور . (راجع Plates XLI, 1,2; XLII) يشاهد مف تبي في هذا المنظر جزء من غيضة بردي؛ ولا بد أن « رخ مي رع » كان يريد أن يضرب بحرابه السمك وهو في قاربه كما توحي بذلك (الصورة)، وفي جهة أخرى من نفس المنظر نفهم أنه كان يقوم بصيد الطيور ، وفي جهة ثالثة نشاهده يحاول صيد حيوانات ، وما بقي لنا من هذا المنظر المهشم لا يوحي بشيء جديد بل كان منظراً تقليدياً غير أنه مع ذلك يحتوي على تفاصيل دقيقة تجذب النظر اجتذاباً لما فيه من حركات صادقة تتفق مع ما نشاهده في الطبيعة وربما تهم هواة الصيد في أيامنا ، فغابة البردي التي تظهر جامدة لا حراك في سيقانها أثناء الجو الحار صالحة لأن تكون مأوى أمينا لجم غفير من الحيوانات، وبذلك فإن الصياد الماهر الذي كان يتسلل في مثل هذه الأجمة عندما كان يقترب خلف ستار ثلاثة الطيور التي أمسك بها في يده مرفرفة بأجنحتها يتسنى له أن يصطاد الطيور التي كانت تترك مكمنها عند هذه الفجوة ، وإذا اتفق أنها طارت فضلا عن أنها كبيرة بالقدرة الإلهية فإن عصا الصياد كانت تصيب هدفها الدقيق . والمتن الذي يصف لنا هذا المنظر هو : (Plate XLI) «رخ مي رع» محبوب إلهة البطاح ومطمئن ... البط وصيد السمك في الأحراش . ومع صيد الحيوان يقول[1] : « رخ مي رع » (ألقابه) يمتع رفقة البطاح ... منظر الصيد الجميل ، مشترك في نشاط « إلهة البطاح » . وفي نقش ثالث نقرأ : « رخ مي رع » يشترك في ... الصحراء ... الرياضة في صيد حيوان الصحراء .

وصف منظر الصيد والقنص : (راجع Pl. XLIII) يشاهد في منظري صيد الطيور وصيد حيوان الصحراء تابعون في ركاب الوزير « رخ مي رع » يحملون طيورا ومعهم كلبة صيد ونصل من القسي والسهام، ونشاهد الصياد يفوق سهمه على عدد من حيوان الصيد المحصورة في حظيرة من الشباك؛ ويلاحظ هنا أن احتلاط

---

(١) راجع Pl. XLI, 2.

الحيوان بعضه ببعض في داخل هـذه الحظيرة قد أُخرج بطريقة تجعل فيها حرية الرسام أكثر مما نشاهد في المناظر الأخرى التي من هذا النوع، فسطح الصحراء الذي صور عليه هـذا المنظر قد لون باللون الوردي الخفيف وقـد نثر عليه حصى ملون ، ونرى الحيوانات تجوب الأرض فيها في رقعة هذه الصحراء، وأشـكال الحيوان هنا لا تختلف كثيرا عن النماذج التقليدية ، غير أن ما بقي من الرسم أحيانا لا يعطينا صورة صادقة عن الحيوان وحركاته كما هي الحـال في النعام أو في الضبع التي نشاهـدها تعض بعنق وغيظ السهم الذي نفـذ في صـدرها ، ويلاحظ أن السهام التي أصابت الحيوانات غليظة مما جعل الدم يتدفق منها وجعـل كل حيوان يرثى لمصابه الفنان . ومما يسترعي النظر كذلك أن تأليف هذه اللوحة يمثل اختلاط الحابل بالنابل كما يمثل الارتباك الذي يسود أرجاء الشبكة ، وهذا لا يتفق مع القواعد التقليدية . وقد أظهر الفنان مهارته في حفظ مجاميع الحيوانات منفصلة بعضها عن بعض كما أفلح في تنويعها فالجزء القريب من الميدان لعين الناظر يظهر عليه حيوانات تعدو بسرعة خاطفة في حنق ورعب ، ثم يأخذ بعـد ذلك منظر حركات الحيوانات في الهدوء عند ما تقع فريسة للسهام، وتشاهد الكلاب تنقض عليها في الحال إثر إصابتها .

متجات الصحراء : (راجع .Pls. XLIV, XLV) يظهر أن المصري كان عظيم الاهتمام بإظهار ثمرة مجهوده بوصفه صيادا وكذلك ما كان يبديه من نشاط في جني الكروم وعصيرها وعرض محاصيل الصحراء إذ تشاهد الوزير « رخ مي رع » قد خصص جزءا كبيرا لهذه الأشياء فقد رسمت أمامه هذه المناظر وهو جالس على كرسي عظيم يباشر القيام بأعمالها، وقد كتب فوق صورته متن يفسر لنا ذلك وهو :

« رخ مي رع » الذي أعيد الكاهن المطهر للإله «آمون» « فرعون » ومرضه سيده الطيب « [illegible] » مشرف على محصول تاج و شلع بجزية « طرف سور » . . من ثيران حوليات ترود طرية رأسي دواب ترود قصيرة وحلك وحيوو وحا كهة ومر وشي وأحشاب . . من قلالها وكذلك سر به « مرى سور »

وكذلك تقرأ (راجع .Pls. XLIV, XLV) : إحضار ما حصل عليه من صيد الصحراء بجل

وعلى الدرموس وكل الطرائف الغالية من لحم وخمر بجانبه قربات « طريق حور » ، وعلى أزهار شتى وأعشاب ورياحين شتى وسمك وطيور لا تحصر طارت قربات قرون طويلة وأخرى ذوات قرون قصيرة وجيد ربما كيف نطقنا بذلك كل ما تصبو إليه النفس لأجل روح « رخ مى رع » .

ولا نزاع في أن صورة هذه الأشياء التي أحصيت في هذا المتن توحي إلينا بأنه يوجد في مثل هذه الحالة فاصل بين التاريخ والخيال . فقد يكون من باب المبالغة استنباط أن « رخ مى رع » كانت له ضياع خاصة في الدلتا وبخاصة في النهاية الشرقية منها ، أي المكان المعروف باسم « طريق حور » (القنطرة)، أو أنه كان يتمتع بالصيد فقط هناك ، إذ أنه ليس من المحتمل أن يكون لدى « رخ مى رع » من الوقت بعد أن عددنا المهام التي كانت ملقاة على عاتقه — ما يسمح له بترك « طيبة » والقيام بسياحة طويلة إلى الدلتا ، بل إن ذلك كان مجرد تحقيق أحلام ادعاها هنا وجعلها حقيقة لتبقى في روع الناس والآلهة أنه فرد جدير بالتمتع بكل ملاهي الدولة وخيراتها ، وبخاصة إذا علمنا أن حدود نفوذه كانت تنحصر في صعيد مصر وحسب .

المناظر : (راجع Pls. XLIV, XLVI, I) وسواء أكانت تلك أضغاث أحلام أم حقيقة فإنا نجد أمامنا في الصورة الصيد المقتول مكدسا في كومة تحتوي كل أنواع الحيوان ، هذا الضبع وقد كان يدونها كاتب ، كما نشاهد أنه بجانب كل حيوان مقتول ذكر من قد جيء به ليس في الحظيرة الخاصة بذلك ، ونجد من بين الحيوانات الحية الضبع غير أنها نرى محمولة على خشب ، والسبب في ذلك أن الضبع حيوان صعب المراس ، وصورته هذه منقولة عن التقاليد القديمة منذ الدولة القديمة .

ومن جهة أخرى نشاهد الكروم تجمع وتعصر كما كانت الحال في « طريق حور » (القنطرة)، وهذا الإقليم الواقع على حدود مصر الشرقية كما ذكرنا كان عظيم الخصب مشهورا بنبيذه وقد حافظ على هذه الشهرة العظيمة حتى عهد القرون الوسطى الحديثة . وصورة قطف الكروم وعصرها عادية في ذاتها غير أنه قد أسبغ عليها بهجة ورواء

تلك الأغنية التي كانت يتغنى بها عصارو بنت الكرم أثناء عملهم فينشدون يا « أوزيريس يا سيدي أشفق علينا الحر الشديد ! » وقد كان ما تنتجه هذه الجهات من فاكهة هو الرمان والعنب ، هذا بالإضافة إلى الأزهار والخضر .

غنيمة صيد الطيور : وفي جزء آخر من هذا المنظر نجد غنيمة صيد الطيور التي عاد بها الوزير وقد قام على نتف ريشها وتمليحها ووضعها في القدور عمال متخصصون بذلك ، وكذلك نشاهد السمك ينظف ويجفف في الشمس . وقد كانت ألسنة أولئك الذين كانوا يحضرون هذا السمك لتنظيفه لا تنفك عن الكلام فيقول واحد منهم لصاحبه وهو يجاوره : « أسرع في جر حرف السمكة [illegible] ... ربما تفرحه ما يخص النيل ويقول كثيراً ما الخدم أحضروا السمك نفسه [illegible] . إن وجبة الطعام تأتي من سنة الإدارة » .

وفي منظر آخر (Pl. XLVI, 1, 2) نلحظ أن السمك كان يصاد بوساطة شبكة تجر ثم تحمل إلى الشاطئ ، وكان العمال لا يزالون يتكلمون في أثناء ذلك ، غير أنه لم يصلنا شيء من حديثهم لتهشم المنظر ، أما ما تبقى من هذا المنظر فلا يمكننا أن نستنبط منه إلا ما نجده من رجال يحملون كل أنواع المحاصيل منها طيور مشوية وغير مشوية وسلات بيض وأطباق من الشهد وأباريق مختومة و بردي ونسيج ملفوف .

المناظر الدنيوية

لم ينس الوزير « رخ مي رع » أن يترك لنا صوراً من مناظر شتى لشئون الحياة الخاصة بالتموين وكل ما يتعلق به . ولذلك نجده قد استعرض لنا عدة مشاهد صور فيها كل أنواع المأكولات والمحاصيل سواء أكانت من نتاج البلاد المصرية نفسها أم من المحصولات الخارجية ، وبخاصة ما كان منها معداً لخزائن الإله « آمون » أعظم الآلهة المصرية .

الحبوب المقدمة للإله آمون : (راجع Pl. L, & LI) دون لنا مرح في رع «
منا موق صورته يقول فيه : إنه خبز القول » والشهد غزالة معد « آمون » ، ويحافظ على كل
الطرف عنه في باب معبد « آمون » ، وذلك على حسب ما تعرضه وظيفته بوصفه الراتب الشهري » .
والواقع أن الصورة التي على الجدران تتفق مع هذا النص ، إذ نشاهد حقائب فول
يقدمها فلاحون بخضوع ، كما نشاهد عمالاً يكنسون كومة من هذه الحبوب
ويكيلونها ثم يدون مقدارها ، ويدل ما نشاهده في هذه الصورة على أننا لسنا أمام
كومة قمح ، بل حبوب أخرى حمراء قاتمة ، يغلب على الظن أنها نوع من الفول ،
وتحدثنا النقوش عن ذلك فتقول : « خبز فول » ودع « لخزانة المعبد » ،
والظاهر من الإجراءات التي كانت تتخذ بخصوص هذه المادة أنها كانت
تستعمل غذاء ، إذ نشاهد عاملين يهرسان حباً « الفول » في هاون مصنوع من
جذع شجرة ، وقد كتب عليه الشرح التالي .

« فول الفرن في خزانة « آمون » رب تيجان الأرضين ، لأجل عمل الفطائر التي تزرها جلالته » ،
والظاهر أن هذا الفول كان يهرس فقط كما يدل على ذلك قشوره الخشنة حتى
بعد الهرس ، ولذلك كان من الضروري فصلها ، فكان يغسل الدقيق المتخلف
من الهرس عدة مرات بوساطة « حنفتم إدارة البلح » . وأحياناً نشاهد الدقيق
يغربل بوساطة مدراة مصنوعة من حوص ، وسمع أحد أولئك الذين كانوا يقومون
بهذه العملية ينادي قائلاً : « فليسرع كل طحان منكم تأمل إننا ننفذ أوامره (*) » .

فطائر مصنوعة من الفول (الطعمية) : (Pl. XLIX, & L) . ومما
يلفت النظر ما نشاهده من صنع أربع فطائر من هذا الفول ، وقد عجنت عجينتها
بالماء في حوض . وقد جاء المتن التالي شرحاً لهذا المنظر : خبز دعفان يومياً لأجل الإله
« آمون » ولأجل تاسوع الآلهة التابعين له . ويلاحظ هنا أن العجينة قد أخذت من
الحوض وقطعت أجزاء على هيئة أقماع ، وذلك بدحرجتها على لوح ثم إعطائها
الشكل النهائي باليد ، ولا بد أن هذه الفطائر كانت تسوى على النار ، غير أن

الدليل الوحيد لدينا على ذلك هو وجود فرن لم يوقد بعد . ويحتمل جداً أن هذه الأرغفة هي «الطمية» التي تعمل من الفول في أيامنا .

نوع من الفطائر الحلوة : وكذلك يشاهد في هذا المنظر (Pl. XLIV row 1.) صناعة فطائر أضيف إليها أدم وشهد وبلح ، وكانت تسوى على النار ، أما الشهد والبلح فكانا يضافان إليها في أثناء تسويتها على النار ، وذلك بإذابة الأدم في قدر خاص ، وقد عبر لنا المتن عن هذه العملية بالعبارة التالية : «إذابة الأدم وخبز فطائر» ، وكانت هذه الفطائر تخبز على لوحة بعد تشكيلها في هيئة مثلثات مستطيلة بيضية ثم تدهن كلها بعجينة فيها أدم ، وكانت الفطائر المثلثة الشكل لونها أحمر ، وحافتها صفراء ، وقد نقش فوقها : فطائر بالشهد والبلح (٢٢) .

لف الفطائر في حزم لأجل القربان . ونجد مكتوباً على أحد صناع الفطائر العبارة التالية : «عمل رغفان وفطائر لأجل القربان الصحفة الحية» ، وكذلك نشاهد في هذا المنظر عاملاً قد أمسك حزمتين حلهما بوساطة حبل ، وهما يتألفان من الفطائر المثلثة والبيضية الشكل ، وكل منهما ملون باللون الأحمر ، غير أن حافته قد لونت باللون الأصفر ، والظاهر أنها محزومة في أقفاص من الخوص .

تربية النحل : (Pls. XLVIII & XLIX.) تدل كل ظواهر الأمور على أن الشهد والبلح كانا المادتين الرئيسيتين اللتين استعملهما المصري القديم لصنع الحلوى . وقد أراد الفنان المصري عند التدليل على وجود الشهد ضمن المحاصيل الوطنية التي كانت تجبى لمعبد آمون في عهد الأسرة الثامنة عشرة أن يرجع في تصويرها لنا إلى الماضي البعيد ، أي إلى عهد الدولة القديمة ، إذ قد وضع أمامنا صورة لتوضيح تربية النحل التي كانت تعد بلا نزاع من الصناعات المصرية القديمة الهامة ، والصورة الوحيدة التي بقيت لنا من ذلك العهد السحيق ، يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة الخامسة ، وقد كشف عنها في رسوم معبد الملك

«نوسررع» . ولا يبعد أن يكون فنان الأسرة الثامنة عشرة قد حذا لتقليدها
وليس صورة تشبه التي وجدت في عهد «نوسررع» يرجع عهدها إلى الأسرة
السادسة والعشرين وجدت في مقبرة فرد مدنى «بابس» (مقبرة رقم ٢٧٩) وقد
كشفتها بعثة «مترو بوليتان» في عام ١٩١٨ — ١٩١٩ (راجع Lansing, M.M.
A. XV. (1920) July Part II. PP 21ff.) . ورسم هذه الصورة ردىء جدا
لدرجة أن الباحث لا يعرف أنها منظر تربية عسل إلا من الإيضاح الذي كتب
عليه . أما في منظر مقبرة «رخ مي رع» فواضح بعض الشيء ، فنشاهد الخلايا
فحسب وهي مصنوعة من الطين الأحمر الرمادي ، ولا تختلف في شكلها عن
الأسطوانات المصنوعة من الفخار التي تستعمل حتى الآن في مصر الحديثة لهذا
الغرض بعينه . وقد ثبتت في مواضعها أفقيا على مصطبة من الطين . أما الطريقة
التي كانت تستعمل لجني الشهد فهي طريقة التدخين ، وذلك أن يطلق الدخان
في أصل الخلية إلى أن يهجرها النحل ، وكانت عملية التدخين تعمل بوساطة مصباح
مركب فيه ثلاث فتائل ، وقد أظهر لنا المثال المصري نجاح هذه العملية بأن صور لنا
أن كل النحل قد ترك الخلية ولم يبق فيها إلا نحلة واحدة . وكذلك نشاهد في الصورة
أن الفنان قد أخرج قرصا بيضي الشكل ، غير أنه لم يصور لنا الكيفية التي صنع بها
النحل هذا القرص بشكله هذا .

تحضير الشهد : أما تحضير الشهد فكان يصفى القرص أولا ، ونستطيع أن
نفهم ذلك من إناء مملوء بأقراص بيضاء ، كما نشاهد عمالا يحضرون جرات كبيرة
وأختاما من طين أحضرت من كومة أعدت لذلك الغرض ، ومما يسترعي النظر أننا
نشاهد العامل الذي يقوم بعملية ختم الأواني ، وقد لطخت يداه بالطين ، وكان
يمتاز الإناء الخاص بالشهد بأنه من الفخار الأحمر وفوقه آخر مقلوب بمثابة غطاء .
وقد كان يفصل بين الإناء وغطائه خيط أبيض ، كما استعمل لحبكها حبكا متقنا
مادة الشمع كما يشاهد في الصورة .

خزن الجرار والمحاصيل الأخرى أمام الوزير : (Pl. XLIX, L. & "Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes", Pl. XV.)

وقد كان المصرى يريد أن يحافظ على هذه الجرار بعيدة عن العبث بها ، ولا غرابة فى ذلك ، فإن تاريخ الختامة يرجع إلى عهد قديم وجد عندنا ، ولذلك نجد أن الموظفين المنوط بهم ختم الأشياء الثمينة كانوا من أصحاب المكانات الهامة . وقد كان من هذه المواد التى تجب المحافظة عليها على ما يظهر الشهد والزيت والنبيذ ، والواقع أن تخزين هذه المواد فى مخازن خاصة فى المعبد يعتبر من أهم المناظر التى وجه لها عناية خاصة . ولما كان الزيت والنبيذ من المحاصيل التى اختصت بهما الآلهة ، فإنا نجد بحارة سفن النقل احتلوا مكانة بارزة فى هذا المنظر ، وكان يقوم بإدارة نقل الجرار المختومة ضابط سفينة قربان معبد « آمون » (راجع .Pl. L, row. 3) ، وقد كتب فوق هذا المنظر الشرح التالى : « حمل النبيذ إلى مخازن المعبد » وهى التى يختمها الوزير « رخ مى رع » ، وقد كان رئيس العمال يحض عماله على المثابرة على العمل فى حين كان العمال يشتغلون فى صمت . ويلفت النظر فى هذه الصورة شاب هو فى يحاول أن يرفع إلى كتفه جرة ضخمة وقد انقض عليه رئيس العمل فى أثناء ذلك بعصاه قائلا : « قم لا تتكاسل » .

ونشاهد كذلك هنا عمال الواحات الذين مثلوا بهيئة قذرة ، وقد طلب إليهم رؤساؤهم أن يسرعوا بإنجاز العمل قائلين : « أسرعوا حتى يكمل [illegible] هذا العمل حتى تنادوا هنا بالثناء ومكافأة تكم(؟) » . ومعظم هؤلاء العمال كانوا يرتدون لباسا يستر عورتهم فقط مصنوعا من الجلد .

وعند انتهاء العمل انحنى رؤساء العمال أمام الوزير بخضوع وخشوع ماثلين ثم نطقوا بكلمة كلها ولاء وهى : « والآن يتجمع قبلك أيها الشريف والسيد أموالك إلى الخزانة تحمل جزية كل البلاد الأجنبية ، [illegible] محصول [illegible] وسحائب وأكياس عطرية [illegible] ذات قيمة [illegible] أن عندها أصبح يحصى [illegible] آلاف الملايين (ركل مائة) ملك الوجهين القبلى والبحرى « منخبر رع » [illegible] وهو الذى منه [illegible]

محاصيل أخرى من الدلتا : (Pl. XLIX.) ولدينا منظر آخر فى مقبرة «رخ مى رع» اجتمع فيه بعض محاصيل بلاد الدلتا . فنشاهد فيه حزما من البردى والبواح، وقد يجوز أنها تحوى نماذج مما كان يورد مكيلات عظيمة، كما نشاهد سلالا مصنوعة من الخشب غير أنه ليس فى استطاعتنا معرفة ما كان فيها . وعلى مقربة من هذه السلات نشاهد كومتين يحتمل أن واحدة منهما تشتمل على صمغ «تى شبس» كان يقسمه كاتب الخزانة (Pl. XLIX, row. 2)، وكذلك نرى مساعد كاتب يتسلم جزية الواحات الجنوبية (الخارجة) مع جزية الدلتا فى حضرة الوزير «رخ مى رع» . أما المخزن الذى كان يحتوى هذه السلع فبناء مقبب ضخم من اللبن وليس فيه إلا إطار بابه من الحجر كما نشاهد مما يماثل ذلك فى باب حتى الآن فى المخزن الذى كشف عنه بجوار «الرمسيوم» . ومما يؤسف له أن اسم هذا المبنى قد فقد ويحتمل أنه كان يسمى (مخزن معابد «آمون» والآلهة التابعين له) .

محاصيل الواحات : (Pl. XLIX & "Paintings" Pl. XIII.) يظهر أن كلا من خزائن الذهب والفضة التابعة لمعبد «آمون» ومخزن المعبد الذى على يسارها قد أخذ الواحد مكان الآخر، وذلك لأن الأشياء الموضوعة على يمين الأول (Pl. XLIX, 2, & "Paintings" XIII.) لاتشمل إلا محاصيل مختلطة لواحة أو إقليم غيرها . ويرجع السبب فى ذلك إلى خطأ ارتكبه الفنان . ويمكننا أن نتعرف من محصول الواحات من العنب والسلال التى نشاهدها مصورة فى المنظر . وكذلك نرى سلالا مليئة بالصمغ وغيرها تنحصر فى محتوياتها، غير أن بعضها قد صنعت على هيئة جرار وصلاتها على . وقد أخفى الصانع حبكها، هذا فضلا عن أن ما على إحداها من صور آدمية مصورة بصورة هندسية بارعة الدليل على تقدم الفن فى هذه الجهات . ويحتمل أن هذه الأوانى كانت مملوءة بالنبيذ، وقد وضع فوق هذه الأوانى مادة يجوز أنها نوع أخضر . أما الجرم التى نشاهدها بجوارها فيحتمل أن يكون سببا حفظ لونه الطبيعى فقد كانت كلها ملونة باللون الأحمر . وكذلك المقاتب الطويلة

التي تشاهد في هذا المنظر لونا أرجوانيا ومختومة كل منها من إحدى طرفيه بسد من مميزات الواحات أو بلاد «بنت»، ويحتمل أنها كانت تشمل فاكهة أو سدقا.

حاصلات بلاد النوبة : (راجع Pl. XVIII & "Paintings" XIV) وبجانب محاصيل الواحات تشاهد كومة ثانية تشمل بقطعة حاصلات بلاد السودان، فقد تشمل ريش نعام وحزما من سيقان نبات «تتو»، وأربعة دروع من جلد ثمينة الشكل بها بقع أبيض، وكتلا من الأبنوس، وأسنان فيلة، وجلد فهد وأكياسا مملوءة ذهبا خشنة الصنع، وعددا من القردة تحاول أكل ثمار الدوم الموجود في الأكياس لأن ثمار الفاكهة هو الطعام المستحب عند القردة (راجع "Paintings", XIV,)؛ وأسفل هذا تشاهد قطع صفراء وكتل من الفضة وسبائك وخواتم من ذهب وأكياس مملوءة بالعطر وكراسي ربما كانت لجلوس القردة عليها (راجع Pl. XVIII).

محاصيل أجنبية : (راجع Pl. XLVIII) وفي نفس هذا المنظر نشاهد مبنى كبيرا أكثر فخامة من السابق يظهر بداهة أنه أكبر من الجسر وأطلق عليه الخزانة المزدوجة للذهب والفضة (أي الخزانة)، والداخل فيها يشاهد سلات مملوءة بالفيروزج الأخضر المائل للزرقة، والكرنلين الأحمر (حجر الدم)، واللازورد الأزرق وقطعا من الفضة، ولفائف من الكتان، وحزما من النسيج أيضا، وجرارا مملوءة بصمغ البخور وعطور «سنتر»، وأكواما من البلح، وربطات (كتن)، وقضبانا «تي شمس»، وحلقات من الفضة، وركائز من ذهب الجنوب، وربما في جرار مختومة، وركائز نحاس، وكل هذه المواد قد وردت إلى مصر من الخارج.

عبيد معبد آمون وعملهم :

«رخ مي رع» يفحص أحوال عبيد معبد آمون (Plates LVI, LVII, LXXIII, 3. "Paintings", XXIII) لما ابتعث أملاك مصر في الخارج

وبعد صناعاتها في الداخل أراد الفراعنة أن يختصوا بالأسرى الذين كانوا يستولون عليهم من هذه الأقطار المفتوحة على أن تكون فائدتهم منهم مزدوجة ، فقد كانوا يجلبون هؤلاء الأسرى إلى مصر ليعملوا في المصالح الوطنية وبخاصة مصانع الإله « آمون » ومعابده ، وكذلك كانوا يصحبونهم من الأسر العريقة حتى يكونوا ضماناً للفرعون على عدم قيام ثورات في القبائل التي أخذوا منها . والواقع أن الغنائم البشرية كانت دائماً ذات قيمة عظيمة في نظر كل الشعوب وإن كان جلبهم إلى بلد الفاتحين يحمل في طياته العقاب الصارم وهو ما ينتج دائماً من اختلاط جنسين مختلفين من الناس ، وبخاصة في الأنظمة والمعاملة التي كان يتبعها القاهر مع المقهور . هذا فضلاً عن الاختلاط الجنسي الذي كان لا بد منه وما كان ينجم عنه من تغييرات في الأخلاق والعادات ، وبعهد المملكة الجديدة وما تنطوي عليه من نظم في المعاملة قد مثلت أمامنا في صورة واضحة في مقبرة « رخ مي رع » حيث نجده قد جسم ومثله حاشيته ، وعلى الرغم من أن المتن المفسر لهذا المنظر قد هشم بعض الشيء غير أنه يقدم لنا صورة لا بأس بها من مغزاه إذ يقول : حاكم « رخ مي رع » يقوم بعمل (إحصاء) عبيد أملاك معبد « آمون » ، وكذلك صنع أملاك المعبد — وهؤلاء العبيد هم الذين جاء بهم الفرعون أسرى أحياء مفروض على أعلم أن يكون أولادهم برية — لإعطائهم صبيح ثمان وعطوراً وملابس على أنها ضرائبهم السنوية ... » . وفي متن آخر يقول : « رخ مي رع » يقوم بعمل إحصاء في « الكرنك » والعبيد الذين أتى بهم جلالته من انتصاراته على الأراضي الجنوبية والأراضي الشمالية فكانوا ... ، ولابنه (الملك) الإله الطيب سيد مصر « منخبر رع » له الحياة والسعادة والصحة — لأجل صناعة كتان الفرعون والكتان الناعم والكتان الجميل ... والكتان السميك ... ، وهم العبيد الذين يحصدون الآن ضيعتهم « لآمون » في كل أعياده على حسب ... ثلاثة ملايين من الفرعون » ويلاحظ أن عدد العبيد كان عظيماً ، وكذلك كان ... دفاترهم ولذلك نجد رجال السكرتارية جالسين في راحة مراجعين عملهم الطويل .

الإحصاء . ويدل المنظر على أن هؤلاء العبيد كانوا موزعين على إدارتين رئيسيتين وهما إدارة للغزل والنسيج وإدارة المراعي . ففي الأولى كان الاعتماد على النساء

أكثر من الرجال، غير أنه كان لابد من إعطاء الحوافز الخاصة تحث الحب، على العمل والقيام به خير قيام . على أن للمنظر الذي تشاهد فيه النساء ممسكات بأيدي أولادهن لأجل ختنهن ثم تسجيل أسمائهن (Pl. LVII. row, 1.) يشعر بوحشة وقسوة، وذلك لأن القائمين بهذا العمل كانوا لا يظهرون أي اهتمام لأنهم كانوا يعتبرونهم في نظرهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا، وعلى الرغم من ذلك ليس لدينا من البراهين ما يوحي بأن هؤلاء الصغار كانوا يباعون، ولكن كانت خدماتهم فيما بعد يمكن بيعها ، وغالبا ما كان يؤدي هذا العمل إلى أسوأ استعمال وأشنع نتائج . (راجع Davies, M. M. A. XXIII. (1928) Sec. II. P. 40. & the light on slave deeling, Ibid XXX. (1935). Sec. II. P. 54.) . ومع ذلك فليس لدينا من الأدلة ما يجعلنا نفرض عدم الإنسانية أو القسوة في معاملة هؤلاء الأسرى ، إذ نجد أن الجيل الثاني من هؤلاء العبيد لم يكن أهله بأتعس حالا من المصريين أنفسهم ، وتدل ظواهر الأمور على أن الإماء من هؤلاء العبيد كن أحسن حالا من زميلاتهن من المصريات المسبيات أحيانا، إذ كان لهن حظا من السعادة ورغد العيش في وطنهن الجديد، وقد برهن على أنهن جديرات بأحسن حظوظهن فقد كان المصريون الذين يستأجرونهن يعلمون علم اليقين أنه ليس من صالحهم أن يثيروا غضبهن أو يسلطوا على ثورتهن .

مرتبات الإماء : وقد كانت النساء يتسلمن مرتباتهن من نسيج الكتان الذي كان يوزع عليهن، وقد كان هذا النسيج مزركش الحواشي يقدم في هيئة مقاطع عظيمة ، ولقد أمكن أن نعرف من إحدى الحالات نسبة طول الكتان المدرج إذ نشاهد في الصورة قطعة منه مبسوطة أمامنا لتقسم الكيل (Pl. LVI. row. 1.) . وكذلك كان يصرف لهن الدهن ويحتمل أنه كان عطورا كما يحتمل أنه كان شحما للمصابيح . والظاهر أنه كان على نوعين إذ نجد أنه في حالة يصب من جرة كبيرة كالزيت وفي حالة أخرى كان يكدس كالسمن في طبق . وتدل ملامح هيئة العبد على

أبهى كل من «الليبيات» ذوات الشعور الطويلة، ومن «النوبيات» اللاتي يحملن أولادهن في سلات، ومن «السوريات» اللاتي يجررن غلماناً مزركشة . ويلاحظ أن الأطفال كانوا يلبسون ملابس طويلة . ومن هذه تشاهد صورة شمس ساطعة على فتاة سورية وملابس تحمل به الطفل الذي تحمله (Pl. LVII, row, 1.) .

الرجال العبيد : ومما يلفت النظر أن الرجال الأجانب الذين كانوا يوردون الكتان (Pl. LVI, LVII.) والمصريين الذين يتسلمونه منهم لا يمكن تمييز بعضهم من بعض فقد كانوا يلبسون زياً واحداً وملامحهم واحدة، والنسيج الذي كانوا يقدمونه كان إما مطوياً بعناية ليكون صالحاً للخياطة، وإما منشوراً للاستعمال العاجل، ونشاهد هنا ثانية الأكياس والحزم والنسيج المزركش الأطراف . وأحياناً نجد نسيجاً له حواش يصنعه السوريون (راجع .Pl. XXII, row, 2)؛ وليس لدينا مما تبقى من هذا المنظر إلا رأس واحد تدل تقاطيعه على أنه رأس أجنبي وإن كانت ملابسه لا تدل على ذلك، ويحتمل أن الماشية التي شاهدناها في المنظر كان يرعاها أولئك العبيد الذين لم يبق لنا منهم إلا رأس واحد وهو من الأجانب (راجع .Pl. LXXIII, 3) .

مصانع الإله آمون

رخ مي رع يشرف على الصناع: (Pls. LII, LV & "Paintings", XXIII.)

كان الوزير «رخ مي رع» يعلم تمام العلم ما للصناعة والحرف من شأن عظيم لتحقيق مآرب الفرعون الدنيوية والأخروية، ولذلك وجه بوجه خاص ما للصناع من مكانة عظيمة في إنجاز كل ما يحتاج إليه معبد الإله «آمون» من قطع متينة وأدوات العبادة المختلفة الأشكال والألوان، ومن أجل ذلك خصص لها حيزاً عظيماً من جدران مقبرته صور لنا فيه نشاط أصحاب الحرف والصناعات بصورة لا تحتاج إلى إيضاح أكثر من النظر إليه بالعين المجردة، ومع ذلك فإنه شفع كل حرفة وكل صناعة بما يوضح لنا ما يكون قد خفي علينا فهمه منها، ولذلك تعتبر مناظر قبر هذا الوزير الصناعية

معصه أكثر من أية مناظر أخرى وصلتنا من هذا العهد ، يضاف إلى ذلك أن الزمن قد حمانا مما تتطلب منه فلم يعبث بهذه المناظر الفذة بدرجة مشينة تشوهها كما حدث في المقابر الأخرى التي أتى عليها كر الغداة ومر العشى وزاد في طمس معالمها يد الإنسان وما أحدثه من تخريب وعبث؛ فنشاهد في مقبرة هذا الوزير الصناع وقد اصطفوا أمام الوزير على اختلاف مهنهم وحرفهم من صناع مجوهرات إلى عمال قطع أحجار ودباغى جلود ونجارين ونحاتين فيضع كل المشتغلين بهذه المهن منتجات أيديهم ومصنوعاتهم عند قدمى الوزير العظيم .

"رخ مى رع" يتقدم التماثيل الصناع : فنشاهد هذا الوزير واقفاً وبصحبته أربعون من أتباعه يفحص كل منهم أعمال صناع معبد «آمون» ، ويعطى التعاليم لكل عامل عن واجباته في كل صناعة من أنواع الإنتاج ، وقد كان « رخ مى رع » يوصف هنا بأنه الأمير الوراثي وعمدة المدينة والوزير ورئيس المحاكم الست العظيمة غير أنه كان من الواجب أن ينعت هنا كذلك بأنه الوزير الذي يجمع قرابين الكهنة وجهود الكهنة المطهرين عند أداء واجبهم وإن كان من الصعب تمثيله هكذا في هذا المنظر . والواقع أن وظائفه الخاصة بالكهانة لم تكن مجرد ألقاب شرف وحسب ، وحتى إذا كانت منحصرة في الملاحظة النهائية كما ذكرنا ؛ فإنها كانت مع ذلك عملا ثقيلا آخر أضيف إلى الأعمال التي كانت تنوء بها وظيفة الوزير وسنذكر هنا كل هذه الصناعات بنوع من الاختصار .

صناع الخرز : (Pl. LIV.) يشاهد في هذا المنظر (Pl. LIV row 1.) صانع منكب على أعماله فنجد أولا ثلاث كتل من الخرز الأخضر لعمل قلادة «منات» ، كما نجد جرارا بعضها مصنوعة من الزمرد والبعض الآخر من مادة مطلية ، وأسماطا منظومة بعيات من الخرز الصغير والكبير ، وفوق هذه الأشياء نرى صانعا يثقب خرزا من الحجر ؛ وبجانب هذا الصانع نشاهد صناعا آخرين ينظمون الخرز أو ينظفون الثقوب التي عملت وبجانبهم سلات تحتوى بداخلها على أكوام من الخرز

الأزرق المسائل لحصره . ولا بد أن هذه السلات كانت لوضع القلادات التى فرغ من صنعها .

تفريغ الأوانى المصنوعة من الحجر : (Pl. LIV.) . تدل شواهد الأحوال على أن صورة صناع أوانى المرمر قد انحدرت إلينا من عهد قديم جداً (Pl. LIV, left.) وفى هذه الصورة نشاهد الخطوات التى كان يتبعها الصانع حتى ينتهى من تفريغ آنيته ، وقد كان ذلك يحتاج إلى صبر وأناة . ومما يلفت النظر هنا أن الصانع عند ما كان يكلف تفريغ إناء صعب لم يكن لديه من الآلات ما يساعده على القيام بذلك دون كسر الحجر ، وخاصة إذا كان الإناء واسعاً فى جزئه الأسفل وضيق الرقبة ولذلك كان يصنعه من قطعتين يفرغ كلاً منهما على حدة ثم يلحم بعضهما ببعض عند أوسع نقطة فى جسم الإناء .

النعال وصناعة الجلود : (راجع Pl. LII, LIV.) إن أهم ما يلفت النظر هنا صناعة النعال البيضاء وهذه النعال كانت على نوعين مرصعاً هنا فى وضعين أحدهما عادى والآخر محلى بأشكال غريبة؛ والواقع أنها نعال ذات أشكال خيالية صنعت أرجلها على صورة مضحكة ، ويشاهد هنا كذلك مجاميع من لفافات الجلد مما يدل على أن الجلد الأبيض كان يستعمل مادة كالبردى للكتابة عليه . غير أنه نشاهد كومة أخرى من جلود ذات لون أحمر وقطعة بيضاء يبدو أنها رقيقة تستعمل للكتابة عليها ، ونرى كذلك عندما يحضر كبة جلود وبعده بلا شك أدوات السراجة والمعدات اللازمة للحرفة . ويمكن للإنسان أن يرى فى هذا المنظر الخطوات التى كانت متبعة لتحضير الجلود لعمل النعال .

دبغ الجلود وصناعة النعال . (Pls. LII, LIII.) يشاهد هنا عملية تليين الجلود فى وعاء كبير لتصبح صالحة لصناعة الدروع كما ذكرنا من قبل ، والواقع أن الدرع كانت تحتاج إلى معظم جلد حيوان صغير . وكان الجلد بعد كبه يطلى

صانع آخر (Pl. LIII, row. 1.) فتؤخذ القطعة المرئية منه ليصنع منها مثال الأحذية ، وهنا نشاهد كل الخطوات التي كانت تتبع لإتمام النعل كما نشاهد كل الآلات التي كانت تستعمل في ذلك وكذلك كيفية العمل (راجع Pl. LIII, row. 1.) .

الحبال المصنوعة من سيور الجلد : (راجع Pl. LIII, row. 1.) وفي أقصى المنظر السابق نشاهد عاملا ماهرا في تجارب قد أمسك بقطعة كبيرة من جلد حيوان وأخذ يقطع منها سيورا طويلة بوساطة سكين لتصنع حبالا مفتولة من ثلاثة سيور كل منها . وطريقة فتل هذه الحبال موضحة في الرسم وهي نفس الطريقة التي تستعمل في فتل الحبال المصنوعة من الكتان (راجع Pl. LIII) .

النجارة وآلاتها : (راجع Pls. LII, LIII, LV) عرض في هذا المنظر بعض قطع أثاث مصنوعة من الخشب (راجع Pl. LV) منها مقعد مربع ووسادة وصندوق مطعم وتمثال واقف مصنوع من خشب الأبانوس أو الخشب المطلي باللون الأسود وهو ذو حواف مذهبة ، هذا ويرى محراب ليحفظ فيه التمثال السالف الذكر .

ونشاهد في هذه الصورة عاملان يمسكان طبقة من الجص على صندوق وقد وضعت على سطح مستو لأجل تسخينه وذلك لما نشاهده من إذابة الغراء في إناء موضوع على النار . أما الجص فكان يطحن بحجر ذي أحمر ، هذا ويوجد كذلك نجار منهمك بآلات[1] دقيقة لإنجاز أعماله .

صناعة المحاريب : (راجع Pls. LII, LIII) في هذا المنظر نشاهد صنع محراب من الخشب الأصفر المزخرف بالأبنوس وكل صناعته أربعة عمال . ويرى هنا المحراب مصراعا باب . ونشاهد في ترصيع هذا المحراب صور تعاويذ وحليات ذوات قيمة فنية عظيمة وللمتن المفسر لذلك نقول (راجع Pl. LIII, 3.)

في هذا الترصيع هو الذي جمع القواعد ويرشد أيدي الصناع الذين يشتغلون [illegible] من العاج والأبنوس وخشب «مستر» وخشب «مرو» وخشب الأرز المجلوب من قمة مرتفعات جبال «لبنان»

(1) راجع ما كتبه الأستاذ «لكاكوس» في مجلة الآثار (A. S. XLII. P. 145(1.

ومن هذا المتن يظهر جليا أن الوزير « رخ مى رع » أراد أن يبرز أمامنا صراحة ما له من باع طويل وعلم غزير فى الحرف المربحة أنه كان يتدخل حتى فى هذه الصناعات الدقيقة ليرشد الصناع بخبرته ودرايته فيها ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان سيده الفرعون « تحتمس الثالث » يصنع التصميمات لبعض القطع الفنية ثم يعطيها الصناع لتنفيذها، وفى هذا المنظر نرى كذلك كيفية سير العمل وتدرجه حتى النهاية .

وزن المعادن الثمينة : (راجع .Pl. LV) وقد كان من أهم ما يعنى به عند القائمين بوضع تصميمات القطع المعدنية الثمينة أن يروا الصياغ المقدار اللازم لكل قطعة على أن يسلموها ثانية بعد صناعتها تامة غير منقوصة، ولذلك نشاهد فى هذه الصورة الميزان الذى كانت توزن به هذه المعادن (Pl. LV. row. 2.) . وفى المنظر الذى أمامنا نشاهد خمس حلقات من الذهب وضعت فى إحدى كفتى الميزان وفى الكفة الأخرى وزنة مذهب الشكل والآخر على هيئة رأس ثور كما نشاهد وحدات موازين أخرى بالقرب من الميزان لاستعمالها عند الحاجة . ويلاحظ من بينها وحدة فى صورة فرس بحر، كما نشاهد ثلاث حلقات من الفضة وأربعا من الذهب وضعت فى سلة الوزن . ومن المحتمل أن الرأس الذى يتوج به عمود الميزان هو رأس الإلهة « ماعت » إلهة العدل والحق أى أنها وضعت فى مكانها هنا لتنبه القائم على الوزن أن يزن بالقسطاس المستقيم .

ونشاهد كذلك فى هذا المنظر معظم قطع الأثاث التى كانت تستعمل فى المعبد وبخاصة الأوانى والأمشاج والقواعد التى كانت توضع عليها وكلها قد صنعت من الذهب والفضة على التوالى والمتن المفسر لهذا المنظر هو « إعداد صياغ الإله آمون » والإشراف على صياغ آمون لإنجاز كل عمل لهذا الإله على حسب علمهم القوى وكانوا يصنعون بلا عد لآلاف فى حضرة الحضرة والوزير رئيس الحاكم المدينة « رخ مى رع » .

طرق المعادن ولحم الأوانى : ولدينا مناظر فى مقبرة « رخ مى رع » توضح أمامنا عمليات طرق المعادن ولحم الأوانى عملية الطرق كانت بسيطة ساذجة وذلك

أن تطرق الملقات بوساطة مدقة حتى تصير لوحات رقيقة (راجع Pl. LV)، وهذا المعدن كان يستعمل بعد طرقه فى صنع الأوانى ولكن المقصود هو . صنع أوان عظيمة لأجل أن يستعملها الإله نفسه، وصنع عدد عظيم من الأوانى الفضية والفضة وكلها متجانسة خالصة

وقد كان لا بد من لحم بعض أجزاء الأوانى . فكان المصرى يستعمل فى الوصول إلى ذلك طريقة خاصة يستعمل فيها مصدرا خاصا يجذب والطريقة مشروحة كلها فى الصورة (راجع .Pl. LII, LIII row. 3) .

صهر المعادن : (راجع .Pl. LII. row. 2) وكذلك نشاهد فى الصورة طريقة صهر المعادن وصبها فى قوالب ولما كانت المعادن المصهورة التى يحتاج إليها كثيرة فلذلك نشاهد أنه كان يقوم بهذه العملية عدة فرق كما يشاهد فى المنظر .

صب المعادن : وكذلك لم يحت الفنان أن يرسم لنا كيفية صب المعادن فى القوالب والأشكال المطلوبة (.Pl. LII, LIII)، ونشاهد فى المنظر الخاص بذلك صب مصراع باب لا بد أنه كان من النحاس (.Pl. LII. row. 2) . ولذلك نشاهد قالبًا من الطين المحروق يوجد به ما لا يقل عن سبعة عشر ثقبًا يصب فى أحدها المعدن المصهور، غير أن هذه الصورة صعبة الفهم لأننا لم نر بابًا من النحاس قد صب دفعة واحدة بهذه الكيفية كما أنه ليس لدينا مما وصلنا من الأزمان القديمة ما يثبت ذلك، ومهما تكن العملية التى نشاهدها هنا فإنها تدل على مشروع ضخم ولذلك لم تترك لفرد واحد القيام بها فنشاهد العمال يمشون كأنهم جنود تحت الطلب حاملين آلاتهم وكأنها أسلحة قتال ليساعدوا القائم بالعمل إذا اقتضت الحال .

وقد نقش متن مع هذا المنظر يحتمل أنه كان أغنية يتغنى بها الحدادون وهم سائرون (راجع .Pl. LIII, row 3) ترويحًا للنفس وهى . — [illegible] ع « يا ملك الأكرابطة يا من أعطى الحياة عطاء ! ! إنه موجود كما هو موجود (الآثار) أبديًا [illegible] ويا [illegible] ويطيعه بإصداريها من الحياة والسعادة لأنه يقدم الوحدة الطاهرة [illegible] بيت واحد المقدس .

ونشاهد على يمين هذا القالب حقيبة مملوءة قماشاً ثم ثلاثة رجال (Pl. LIII, 3) يحضرون ركيزة من النحاس وساقين مملوءتين من معدن المعدن . وهؤلاء العمال يصفهم المتن : « بأنهم أحضروا نحاساً أسيوياً وهو الذي جلبه جلالته من انتصاراته في بلاد « رتنو » لأجل صب بابي معبد « آمون » بالكرنك ، وهما اللذان قد غشى سطحهما بالذهب الذي يسطع في أفق السماء وقد كان السبب في ذلك الوزير « رخ مي رع » هو الذي يدير الأعمال لإنجازها » .

المباني والتماثيل

الأعمال الضخمة : (راجع Plates, LIII, LXIII, "Paintings" XXIII)

لقد كان من الأعمال الإدارية التي اختص بها الوزير « رخ مي رع » المباني العظيمة التي أقامها الفرعون في « الكرنك » . ومما يؤسف له جد الأسف أن الصورة التي مثل فيها وهو يشرف على هذه الأعمال قد هشمت ولم يبق لنا من الموظفين الذين مثلوا معه فيها إلا عدد قليل .

ولكن لحسن الحظ قد أبقت يد التخريب على المتن الذي يصف لنا هذا المنظر وهو : "إنه « رخ مي رع » وهو الشريف الذي يضع القوانين لمعبد الرب ... والوجه البحري والقاضي الأول صاحب المكانة الممتازة ، يقوم بفحص كل أعمال مؤسسة « آمون » في الكرنك جاعلاً كل إنسان يعرف عمله المعتاد ، وذلك لأنه « رخ مي رع » هو الموظف المشرف على الأعمال" . وقد استعرض في هذا المنظر أمام الوزير أعمال كثيرة لم يبق منها إلا ما يشير إلى إنجاز مبنى معبد للإله « آمون » بعضه باللبن وبعضه بالأحجار ثم صناعة تماثيل ونقل كل من الأحجار يحتاج إليها بطريق النيل واليابسة . وكذلك نشاهد تنظيم طوائف العمال الذين كانوا يساعدون على إنجاز هذه الأعمال العظيمة .

العبيد وصناعة اللبنات : (راجع Plates LIII, LIX, "Paintings" XVI, XVII)

كانت صناعة اللبنات من أهم الحرف السائدة في طول البلاد وعرضها وبخاصة إذا علمنا أن بيوت الفقراء والأغنياء على السواء كانت تقام من هذه المادة في كل أزمان التاريخ المصري القديم وذلك لاعتبارات صحية ودينية معاً . إذ كانوا يعتقدون أن المباني الدنيوية عرض زائل ، كما كانوا لا يريدون أن يقيدوا من يجيء بعدهم

ملابسهم التي ربما لا تتفق مع ذوقهم أو ذوق العصر الذي يعيشون فيه هـذا فضلا عن أن المبـاني التي بالطين تجعل المنـازل رطبة في أيام القيظ الشديد في مصر التي يمتاز جوها بالحر الشديد خلال أشهر الصيف .

ونشاهد في المنظر الذي خلفه لنا « رخ مي رع » صناعة اللبنات ونقلها ، ويدل العـرض الذي أمامنا على حيوية ومهارة عجيبة فقـد رسمت أمامنا البركة التي تؤخذ منها المياه كأنها لوحة مرصعة بأزهار البشنين وكذلك نبت على شـواطئها المصدرة الكلأ المتموج . ("Paintings" Pl. XVI.) والواقع أن الفنان الذي رسمها قد قدم لنـا بركة نموذجية زين سطحها بالأزرق المزج والعمال فيها قـد انحدروا في المياه فجلسـوا بجوارهم ملونين بالألوان الجميلة مما أضفى على المنظـر بهجة ورواء ، بدلا من أن يرسمها مجـرد حفرة فيهـا ماء والمنظر يعتبر بمثابة ضـوء لامع قد أرسلت أشعتـه على مكان قاتم مظلم . أما اللبنات التي كانت تصنع فترى مصفوفة يزداد عددها كلما ازداد انتاج العمال بالقوالب التي في أيديهم . وعلى مقربة من العاملين اللذين يقومان بضرب الطوب تُرى أكوام من التراب الذي كان يصب عليه الماء رجال قد لطخت أيديهم وأرجلهم بالأوساخ . والمدقق في سحنة هؤلاء العمال يلحظ أنهم غرباء كما يدل على ذلك ما كتب أعلى هذا المنظر إذ يقول المتن : « الأسرى التي أحضرهم جلالته لأعمال المعبد » . والواقع أننا نجد بينهم سودا ذوى شوارب بيضـاء وأعين زرقاء ، كما يوجد بينهـم سوريون يمتازون بجلودهم الحمراء وشـعرهم المصبوغ باللون الأحمر هذا فضـلا عن وجوه أخرى لا يكاد الإنسان يميزها من المصريين . ومما يلفت النظر هنا أن السوريين كانوا كلهم متخـذين في اللبس كما يظهر من شعورهم البيضاء (Plate XVII.) على أن ذلك قـد يكون مجرد لون يدل على بياض البشرة .

أحجار المباني : (راجع "Paintings" Pl. XVII , Plates LVIII LXV)

من المدهش أن العمل الذي يقوم به الصـناع في هذا المنظر قيل عنه في المتن

المصرى له " إنهم يحضرون لك ما يلزمك من الطعام بوساطة صناع جديدة للإله « آمون » فى الكرنك "، غير أن ما نشاهده فى الصورة يختلف عن ذلك إذ نجد أمامنا « سوريا » يضرب (سلطته) فى كومة من قطع الأحجار هذا إلى أن هذه الأحجار لا تدل على أنها آجر محروق لأن هذه المادة كان لا يستعملها المصرى فى تلك الفترة من تاريخ البلاد يضاف إلى ذلك أنه كتب فوق صورة عامل يحمل قطعة واحدة بيضاء من الحجر المتن التالى : "إنه الشرب بعد أن قطع الحجارة فى يده". ونشاهد فى منظر آخر مبنى يقام فى معبد الكرنك وقد صنع له منزلق كالذى نراه حتى الآن فى الكرنك مبنى بالطين والطوب والبراع وأغصان الأشجار وغير ذلك (راجع PL. LX.) كما نشاهد هناك منظراً يصور نجاري الأثقال وبخاصة الأحجار الثقيلة (PL. LVIII.) . وفى ثالث يشاهد تسوية الأحجار (راجع PL. LXII.) والآلات المستعملة لذلك ، ثم نرى كذلك كيفية وضع الألوان والزخرفة (راجع PL. LXXIII. 2.) .

تماثيل معبد « آمون » ونحتها : (راجع Plate. LX.) وقد كان من الضرورى بعد إتمام بناء المعبد من القيام بعمل ما يلزمه من قطع فنية كان لابد منها وبخاصة تماثيل الإله وقد أسعدنا الحظ بأن حفظت لنا صورة عامة نشاهد فيها نحت التماثيل الضخمة التى لا تزال حتى الآن موضع إعجاب العالم بأسره . ففى الصورة نرى تمثالين نحتا من الحجر الطبيعى، وقد وقف عاملون على حالات يعمل كل منها كلف بإنجازه . والظاهر أن هذين التمثالين قد نحتا من الجرانيت الأحمر . وكذلك نرى تمثال « بوهول » ومائدة قربان عظيمة من الحجر الجيرى الأبيض . وهناك تمثال ضخم جالس يمثل « تحتمس الثالث » يعمل فى إنجازه ثلاثة ثمانين كل منهم يقوم بالعمل الخاص به . صانع يهذب القطع الزائدة وآخر يصقل سطح التمثال بحجر صلب أما الأخير فكان يصنع التفاصيل الأخيرة التى يعد بعدها التمثال قد تم جانبيا .

وقد كان الفنى يقوم بإنجاز المطلوبات التى يجب أن تقف الواحدة تلو الأخرى ، غير أنه على ما يظهر جعلها كلها تنجز فى آن واحد ، ففى حين نرى صانعا يعمل بمفرده

كان هناك آخر يقوم بعملية التلوين أو صقل القطع التي أصابها عطب بالجص .
أما مائدة القربان التي كانت لا تحتاج إلا النقش فقد كان يعمل فيها صانع بمفرده
وحسب .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا من الوجهة الفنية أن الفنان قد حاول أن يصور
لنا أحد الصناع وهو يعمل في وضع كان يجب فيه أن يكون جسمه ملتويا وهذا
يذكرنا بالمحاولة الطريفة التي حاولها الفنان في تصوير خادمة في وليمة في مكان آخر
من هذه المقبرة نفسها ، وهي في وضع يظهر لنا ثلاثة أرباع جسمها . أما التمثال
الذي يشاهد واقفا في الصورة فيلحظ أن نقاشا يقوم بنقش متنه باللون الأخضر ،
وهذه الصورة على الرغم من أنها تساعدنا على فهم سير العمل فإنها تتركنا في دهشة
عظيمة إلى حد بعيد جدا ؛ وذلك أن النحات المصري القديم قد أبرز لنا إشارات
هيروغليفية منقوشة في أسلوب الأحجار بآلات خشنة على حسب ما نشاهد في الصورة
وقد وضع هذا المنظر بالمتن التالي : «مائدة مختارة من حاجات الصالح الذي يسلمه في هذا العيد
الذي أقامه جلالته بإرادة الوزير «رخ مي رع» لأجل أن يبرهن على حرصه في معبد آمون رع الإله الذي
في ركابه «في الكرنك»

وليمة أسرية

إن منظر الوليمة التي كان يدعى إليها كل أهل صاحب المقبرة عامة ينظر
إليها في العادة بأنها كانت تقام في عالم الآخرة بعد الموت . ولكن الواقع أنها كانت
لابد تقام كذلك في مدة حياته . وفي الحق أن التمييز عند المصري بين الحياة
الدنيا والحياة الآخرة يكاد يكون لا وجود له ، وذلك لأن روح المتوفى (كا) يمكنه
أن يكرر ما كان يعمله وهو إنسان حي يرزق ، وسنرى فيما بعد أن هذا العمل
المزدوج قد أتاح للمصري أفقا واسعا على شرط أن تكون الأعمال التي يأتيها وهو
في عالم الآخرة من التي يأتيها في الحياة الدنيا . وعلى أية حال فلدينا منظر الوليمة
التي أقامها «رخ مي رع» الوظيفي وهي بلا نزاع لا تمت بصلة لعالم الآخرة .

(راجع Pls. CXI, CXII; "Paintings" XXV) ؛ وقد شغلت الوليمة التي أقامها « رخ مي رع » لعشيرته الأقربين حيزاً كبيراً (Pls. IV, LXIII - LXVII, LXIX, 2 & "Paintings" Pl. XXVI.)

ويلاحظ على وجه الضيفان الفرح والسرور في حين أن محيا صاحب الوليمة لا يمكن قراءته على وجه التأكيد . وذلك على الرغم من أن تقديم الصاحبات له كان من الأشياء المحببة إلى نفسه فإن تقديمها يعتبر في غالب الأحيان احتفالاً دينياً للمتوفى .

وينقسم رسم هذه الوليمة العظيمة التي حفظت أمامنا إلى منظرين علوي وسفلي . أوسع وهو العلوي خاص بوليمة النسوة (Pls. IV., LXIII. - LXVII) والمنظر التالي وهو السفلي خاص بوليمة الرجال (راجع Pls. LXVI - LXVII. LXIX, 2.) ويشاهد « رخ مي رع » وزوجه مريت يشتركان في المنظرين وهما يتقبلان البركات الإلهية من أبنائهما وبناتهما . ويلاحظ أن كلا من المنظرين قد فسر بمتن خاص يكشف لنا عن الغرض الذي من أجله أقيمت هذه الوليمة الشاملة . وهاك المتنين (راجع Pls. LXIII, LXIX, 2.) .

الأول يصف المناظر التي يجلس فيها « رخ مي رع » الصاحبات وعطورهات التي تقدمها له امرأتان وفتاتان وجميعهن بلا شك من بناته وهو : « التمتع برؤية الطعام الطيب وابتهاجها بالرقص والغناء والطبلة وريث البلسم والطيب بزيت الزيتون ومع البخور والعطر والجلة وبعد الليح وكل ما هو طيب مما يقدم لروح (كا) لسيد كم البرابي رخمة المدينة والوزير « رخ مي رع » ، وكانت زوجه حبيبة قلبه « سيدة البيت مريت » في صحبته » . وكتب فوق النسوة المتن التالي عنه ما كن يقدمن تحياتهن لعمدة العاصمة فيقلن : « ليت بيت « رخ » تجديد وتكريمك ! وليتها عرفت محاينا عندما حصلت ! ... ليتك تتمتع بحياة جديدة سعيدة على الأرض وتمدك الحياة والسعادة والصحة .

وفي المنظر السفلي (Plate. LXIX, 2.) يشاهد « أمنحتب » بن « رخ مي رع » ويحتمل أنه كان يقدم أزهاراً مزينة والمتن الموضح للمنظر لا توجد فيه الصعوبة

الضرورية التي لا تتطلبها في المتن السابق . وهو : أتمتع بالابتهاج الطاهر ، وصاحب الطعام الطيب ثم تشرب الصيف ، ومررت المستنقع الذي يحط طائر الزرق لأجل روح الأمير الوراثي وحده ، الدرية والدرير « دخ ن دخ » بتوبته « مرت » . أما المتن الذي نقش فوق القبر بعمود أرهات فهو : أما ما لك فهو معد ومن لبيشتين التي تملكه من حيتاتك اليوم لأنك لن تعرفها ، ويجب مقيد عليك كل أنواع الفاكهة الطيبة والطرائف التي تجرينها حتى تستطيع أن تتمتع بجمالها وسمع تغريدها ، وأن يكون قلبك صديب في أشجارها النضرة ، وأن تمشي بجل أشجارها وتنعم بها كل ما يسير إليه قلبك أبد الأبدين .

أغاني الموسيقيين : (راجع Plate LXIV, LXVI) كان يوجد في كل الولائم موسيقيون يغني كل منهم على الطريقة المصرية المعروفة عند الضرب من آلات الطرب والتصفيق على الأيدي بطريقة منظمة وقد خلفت منظومة للنساء تشعر الإنسان في ألفاظها بنغمة غنائية ، أما أغنية الرجال ففيها طول وليس فيها ما يبعث على الفرح والسرور وهاك المنظومة التي كانت على ما يرجح تتغنى بها النساء : ضع المرهم العطري على شعر ... « ماتت » ، لأن الصحة والحياة معها ... يا « آمون » ، إن السماء لك وضعت لك وإيفت الإله « فتاح » ، بقيم بيديه لك عرانا لتكون حماية مكان واحة قلبك ، تعال يا أيها النسيم لقد هبت بك عنه ما كنت على البرج (؟) .

أما أغنية الرجال فطاطين « دخ ى دخ » مهى : ليت بيعي عظيما عمل يكون في أثلك والنفس طيبة هنا ! أصول على الذكريات الملكية التي وضعت إلى مزاجه فراعين رب الحكل حتى تنعم روحك أنت يا أيها الصحة المنوح من آمون يا « دخ ى دخ » ، وليت السنين التي كتب لك أن تقضي تكون طويلة بالهلاج العظيم . وليتك تقضيها مشمولا بالعطف وبصحة وروح . وما تعولة حتى حيد كتب إلهك وأعمالك مشهورون في يعتك القديم التي ذللت بالأغنية ويوصل بالخلود وليت الحياة تشمره الخلود تكون من نصيبك وليت لك يوم عيد أي يوم عيد حقيق من أعياد الدنيا وكانت تمضي عندك يوم العيد يا أيها الصحة . لأن جمالك قد عدق في قلب « آمون » .

النساء يرجلن شعورهن بأساليب رشيقة : قد حاول ما طلبت إذا تكلمنا بإسهاب عن كل من الطائفتين على حدتهما بل سنقتصر الكلام على ما يلفت النظر في كل ، وأبرز ما يسترعي النظر في زى السيدات أنهن كن يرجلن في أن

يقوم على خدمتهن فتيات رشيقات فى ميعة الصبا وشرخ الشباب، ولا يبعد أن هاتيك الفتيات العذارى كن بنات هؤلاء السيدات، وعلى أية حال نلحظ أنهن كن يقمن أحيانا بمساعدة هاتيك العذارى فى أثناء الوليمة. والظاهر أن النساء جميعا فى هذا الحفل كانت شعورهن طبيعية إذ كانت ترى مسبلة فى ضفائر طويلة. ويلاحظ أن الفتيات الخادمات كانت شعورهن مرجلة بأساليب صبيانية تنم عن الدلال والصبا والأنوثة الناعمة. فمعظم شعورهن قد بدا قصيرا اللهم إلا ضفائر طويلات أسبلت على صفحات وجوههن أو على قمة الرأس. وهذه الضفائر ترى مصفوفة بعناية ودقة ورشاقة وكأن الفنان قد أراد أن يتخذ من شعورهن خمارا أسود يستر به بشرة الوجه الناعمة فتكون محجوبة عن أعين الناس مما يزيد فى الإغراء، ولكن هذا الخمار الشفيف المصرى كان يبدى ما يستر تحته جليا عندما كانت العذراء تلتفت يمنة أو يسرة وسرعان ما تقف منتصبة ثانية حتى ترى خصل الشعر قد تجمعت كرة أخرى فسترت وجهها الصبيح. أما الضفيرة التى كانت فى قمة الرأس فتسدل على ظهر الفتاة اللهم إلا ضفيرة صغيرة منها كانت تسبلها الفتاة على جبينها مصفوفة بأناقة ورقة يعرفها المصريون قديمهم وحديثهم. وعلى أية حال قد يكون من الصعب علينا أن نفرق بين المرأة المسنة والعذراء الفتية عندما يكون كل الشعر مسبلا على الكتف (أنظر لوحة ٣٧) وقد أظهر الفنان براعته فى تصوير شعور الفتيات فى الحفلات التى يكن فيها جميلات خلابات لب المصرى القديم والحديث علينا.

ملابس الفتيات ووصيفاتهن: ومما يلفت النظر فى ملابس السيدات هنا أن الفتيات صاحبات الأجسام الغضة المدللة واللاتى كن يأخذن بمجامع القلوب فى ملابس السهرة المتهتكة من اللاتى قد لا يرتدين الملابس التى تنم بالوقار ويلاحظ قد ظهرن بالملابس المحوكة التى تستر كل محاسنهن. والظاهر أن الفنان كان يشعر فى قرارة نفسه أن المحاسن الخفية عن الأنظار هى التى تكون أكثر إغراء للنفس وتبعثا للخيال ومدعاة لحب الاستطلاع، غير أن الفنان مع ذلك لم يكن فى مقدوره أن يظهر حلية الفتاة كما كانت على حقيقتها.

أما الدور الذي كانت تقوم به أولئك العذارى الحسان فلم يكن فيه كبير مشقة أو عناء إذ كان كل عملهن منحصراً في تقبيل معاصم السيدات المدعوات وتطويق جيدهن بقلائد الأزهار، ويصببن لهن النبيذ أو الجعة في كؤوسهن ، ومرحبات بهن قائلات لكل : « من أجل حضرتك ! أتمنى لك أن تقضي يوماً سعيداً » .

وقد برزت بين أولئك السيدات سيدة خطفت الأعين وتحولت إليها الأنظار وخاصة لما كان أمامها من طعام غزير وكرسيها الوثير الذي كانت تجلس عليه وهو من نوع الأثاث الذي سنراه شائع الاستعمال فيما بعد، وهذه السيدة هي وصيفة الملكة والأم المحبوبة « ت » وابنة الوزير « رخ مي رع » . ونشاهد فتاة خادمة تصب لها الجعة مرحبة بها قائلة : "لحضرتك ، اقضي يوماً سعيداً وأنت على الأرض لأن إلهك «آمون» الذي يعطف عليك ويحبك قد كفل لك ذلك" .

على أن هناك تفاصيل طريفة في وليمة السيدات تستحق الذكر ، منها ما نلاحظه من أن المصري كان يحتاج إلى تصفية الجعة بمصفاة (Pl. LXI. row. 1.) مما يوحي بأنهم لم يصلوا إلى طريقة مهذبة لعمل الشراب .

وكذلك نشاهد في الصف الأول من هذا المنظر ثلاث نسوة يوقعن بأيديهن الضارب على العود ، ويقدم لهن الشراب والعطور (Pl. LXIV. row 2) ، ويدل ظواهر الأحوال على أنهن كن يغنين بنكات لا بغناء يدل على ذلك النقش الذي كتب فوقهن وهو : «هل من تذكارات الإلهة « حتحور » (إلهة الحب) من قلب يقدم على عبادتها الرغبة في أن تشكر شكراً عظيماً ؟ » .

والآلة الموسيقية التي تشاهد خلفهن على الأرض أشبه بالربابة ويحتمل أنها نوع مختلف عن العود المعتاد تمتاز بثقلها عنه . وكان يضرب بها وهي موضوعة على الأرض .

نقد المنظر : ولا نزاع في أن هذا المنظر في نظرنا له مساوئ كما أن له محاسن فصور الفتاة الخادمة ملتفتة لفتة تظهر ثلاثة أرباع جسمها (أنظر الصورة رقم ٣٧)

كانت بعد بلا شك خطوة جريئة من جانب الرسام وهى من الأمثلة القليلة جدا التى حاول فيها الفنان المصرى أن يخرج على التقاليد القديمة فى رسم الصور الآدمية التى كانت دائما جانبية (راجع Davies. M. M. A. XXIII. (1928). Feb. Sec. II. P. 63. and Tomb 95) .

ولا يبعد أن زملاءه قد أعجبوا به لقوة ملاحظته ومهارته فى رسم الصور على حقيقتها . والواقع أن هذه الصورة كانت إجمالا جيدا فى رسم الأشكال الآدمية غير أن الفنان قد ارتكب بعض الأخطاء فى هذه المحاولة إذ قد ترك القدمين دون أن يضعهما فى الوضع الذى يلائم صورته .

تولى أمنحتب الثانى عرش الملك وموقفه من الوزير « رخ مى رع »

صعد تحتمس الثالث إلى السماء كما تقول النصوص المصرية قبل أن يتم الوزير « رخ مى رع » نقوش قبره . وسواء أكان هذا الوزير العظيم يعلم ما كانت تخبئه له الأيام من خير أو شر على يد العاهل الجديد فإن الحوادث لم تساجله والمصائب لم تباغته قبل أن يقوم بالدور الذى لعبه فى تولية الملك الجديد على عرش الملك والاحتفال به . غير أن ما نشاهده من النقوش الخاصة بذلك قد أحيطت بجو من الغموض والإبهام القاتم جدا . فالمناظر الأخيرة التى حفظها « رخ مى رع » (راجع Pl. LXX, LXXI) تصور لنا الاستقبال العاطفى الذى استقبلته به أسرته عندما عاد إلى « طيبة » بقلب ملؤه الفرح والغبطة ، إذ كان قد غادرها فى رحلة لمقابلة مليكه الجديد الذى لم يكن فى مقر الملك (طيبة) .

المتن الموضح لهذه الرحلة : (راجع Fig. 8. & Plates LXIII, LXX, "Paintings" LXVI.) . وقد ترك لنا « رخ مى رع » نقشا عن رحلة لمقابلة مليكه يمكن به فهم الغرض منها وهو « وصول جثة المتوفى « رخ مى رع » سالما من ... »

(وهى بلدة « حو » الحالية) فى صورة القابلة سلاته ليقدم إضمامة أزهار يوصفه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبر رع » — ليته يمنح الحياة عقبها — والآن كان هذا الوزير هو مدير الأعمال المشرف على رجال الصناعة وصاحب الرأس الممتاز جداً فى إدارة أعمال سيده وكل أثرى معبد « آمون » وفى معابد تلك الوجه القبلى ، والوجه البحرى ، ومن كان يصل لقلبه حتى فى الأجيال القادمة كما كان يحب جلالته ، ومن كان يظهر نشاطا يصل الناس بمعرفة انه له ، وقد منح حسب قرضا لما كان له من [illegible] حسن عند سيده (٣) الذى كان يثق به أرباب ، وعندما وصل إلى طيبة (التى يطلق عليها اسم « التى تراقب سيدها ») متسربلا بالعطف الملكى ، تلك الفرح قريب [illegible] « آمون » ، وكذلك كان كل مواطنيه يفسرون الأفراح معا ، وكانت كل البلاد بمعنا السرور ، فأشرف على ملك مصر ، ولعبيدنا « حور » صاحب الساعد القوى ، لأنهم رأوا أن « ماعت » قد [illegible] مكافأة من الذهب الفخار — ليت تبلغا تحمل الحياة والرخاء لأنها ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبر رع » وليتها تجعله يمضى سنين وفيرة مثل « رع » خالدا » .

ومن هذا المتن نفهم إذن أنه عند ما قضى « تحتمس الثالث » كان ولى العهد يقيم فى الشمال فى بلدة « بروتفر ؟ » (ضاحية فى منف) وأن « رخ مى رع » غادر طيبة فى الحال على متن سفينة ليقابل العاهل الجديد الذى وصلت « لرخ مى رع » الأخبار عنه أنه فى طريقه نحو الجنوب ليتسلم مقاليد الأمور هناك وليكون واثقا من أن صعيد مصر فى قبضة يده . غير أن النقوش تخبرنا أن « رخ مى رع » قابل الفرعون الجديد فى « حت نم » (بلدة « حو » الحالية) وتقع على بعد سبعين ميلا شمالى طيبة . ومن الجائز جدا أن المقابلة فى هذه البلدة كانت مجرد صدفة ، وأن الفرعون قد حط عصا رحاله مؤقتا فى طريقه إلى « طيبة » عاصمة ملكه وذلك لأنه ليس من المعقول أن يكون الفرعون قصره فى هذه البلدة وآخر فى « طيبة » . وأما ما قام به « رخ مى رع » من تقديم باقة أزهار للفرعون مع أنه حادث تافه فى البساطة فقد كان فى الواقع ذا معنى عميق جدا إذ كان يدل على أن « رخ مى رع » هو الرأس المنظم للكهنة هذا فضلا عن أنه كان وزير البلاد الأعلى ، وهذه الباقة إذن كانت تحمل فى أزهارها وأوراقها بركة الإله « آمون » للفرعون الجديد ، ولا غرابة إذن فى استعمال الفرعون « رخ مى رع » وعد به مبالغ الحفاوة ومظاهر الرقة والعطف كما تحدثنا

الفرش . ويشاهد في الصور (راجع Pl. LXX) «رخ مي رع» وهو يحمل القلادة التي حباه بها مليكه مطوقا بها جيده وتشمل حبات من الذهب مؤلفة من ثلاثة أخياط وكذلك نشاهد عليا رسغه ومعصمه بأساور من ذهب مما أنعم عليه الملك به في هذه المناسبة . وقد كان في ركاب الوزير أربعة من خدمه يحملون كل ما عساه أن يحتاجه وأربعة آخرون يحملون قربانا من الطعام والأزهار عشارة رمز معبر عن ذلك الاستقبال الرائع الذي قابله به الشعب كما جاء في النقوش السالفة .

استقباله بين عشيرته : (راجع Plates LXX, LXXI) لقد كان طبيعيا أن يكون أول من يستقبل الوزير «رخ مي رع» عند عودته إلى طيبة بعد مقابلة الفرعون هم عشيرته الأقربون ، والواقع أنهم قد استقبلوه استقبالا حارا وقدموا له باقة أزهار معبرين عن فرحهم ، إذ قد علموا الآن أنه قد وطد في وظيفته الرفيعة ولا سيما أن أقدار عشيرته وحظوظهم كانت تعلو وتنخفض على حسب ما يصيبه من نجاح أو خيبة في منصبه ، وهنا نشاهد ابنه «منخبررع سنب» الكاهن الثاني للإله «آمون» يقدم لوالده باقة من الأزهار قائلا : "عسى رائحة الأزهار البهية التي قدمت أمام رب الآلهة «آمون» إله مصر القديم" . وفضلا عن ذلك نشاهد ستة من أولاده الذكور ويظهر أنهم من أقاربه فقط يحملون أزهارا قد نسقت في أشكال متنوعة ، وأسماؤهم قد محيت ويحتمل أن الأخير منهم هو أحد أحفاده ويدعى «ني آمون» ، وكان أولهم هو المتكلم عنهم إذ يقول : «تقبل أزهار البلاح الخاصة لك (أي الإله) بحبه ويمدحك» . أما المستقبلون له من السيدات قريباته فقد كان عددهن لا يقل عن الإحدى عشرة ابنة أو حفيدة وقد كانت كل منهن تحمل بخور مقدسة للإله «موت» وتحمل صاجة وعقد «منات» أو صاجتين من الذهب الخالص أو الفضة وتحيي كل منهن «رخ مي رع» بالكلمات التالية : «إليك آتي في سلام إلى طيبة القاهرة لأنك سلمت مع رب النصر» . أما في «طيبة» فقد احتشدت في بهجة وسرور لأن أهلها قد رأوا «ماعت» خلفك (أي تحميك) . وكلمة «ماعت»

هنا لها معنى عميق . وذلك أننا عندما نعلم أن هذه الإلهة التي تمثل فيها الاستقامة والعدالة كانت غالبا خلف الفرعون في الصور الرسمية وأن «رخ مي رع» كان يمثل الفرعون في هذه الأيام الحرجة فلا نستغرب إذا أن يستقبله الشعب في «طيبة» بحفاوة تقرب من حفاوته بالملك نفسه ، وقد كان ذلك أمرا طبيعيا على الرغم من أنه لم يكن من الملكة في شيء — إذ كان الفرعون بعد أن تأكد من ولاء أهل الصعيد له قد ولى وجهه شطر الشمال آتية من جهة «حور» التي قابله فيها «رخ مي رع» ، وأن وزيره قد قوبل بالترحاب والابتهاج في «طيبة» بوصفه ممثله المفوض.

السفينة التي قام «رخ مي رع» بالرحلة فيها : (Plates LXVIII, LXIX, 1)

لم يفت «رخ مي رع» أن يصور لنا الأبهة والعظمة والجلال التي كانت تحيط به في سفرته الرسمية لمقابلة الفرعون الجديد وإعلانه له بأنه قد أصبح فرعون مصر الجديد، فرسم لنا صورتين عظيمتين للسفينة التي ركبها في سياحته لمقابلة الفرعون؛ ففي الأولى تظهر السفينة وقد أمتلأت أحسن الحفلات مسرعة في سيرها نحو «طيبة» وكل نواتيها يجدفون وشرعها منشورة، أما الصورة الثانية فتمثل أمامنا نجاح الرحلة؛ إذ نشاهد هذه السفينة راسية في مرساها وشرعها مطوية وأنزل منها . وقد غادرها كل من كان على ظهرها لمقابلة الفرعون . ويلاحظ أن هذه السفينة قد رسمت بحجم كبير لتتناسب مع المهمة التي قامت من أجلها، والشخصية العظيمة التي كانت على ظهرها . والظاهر أنها لم تكن سفينة حربية كما يظهر من إعدادها، وبخاصة أن صورة الإله «منتو» إله الحرب لم تكن مصورة عليها
(Davies, "Tomb of Ken Amon", Pl. I, XLII, LXVIII,)

منظر ولية رسمية: (راجع Plates CXI CXII, 1,2 & "Paintings" XXV)

ليس لدينا ما يفسر لنا موضوع هذا المنظر على وجه التحقيق وبخاصة أنه ليس له نظائر في قبور عظماء القوم . والآن يتساءل الإنسان هل هذا المنظر من المناظر التي كانت تحدث عادة في حياة الوزير عندما كانت تحتم عليه الأحوال

(١) راجع : Save Soderberg, The Navy of the 18th. Dynasty (Uppsala 1946)

دعوة موظفيه ليستشيرهم أو يلقى عليهم تعليمات، أو هل كان هذا الاجتماع قد عقد بسبب موت الفرعون ؟ ومما يؤسف له أن المتن الخاص ليس صريحا (Paintings Pl. XXV.) فاستمع إليه : " أنا ... الوراق ومحة القرية والوزير «رخ مى رع» جالس في القاعة الظليلة بعد أن عاد من معبد «آمون» بالكرنك، وقد أتى الحضار حاملة هذا الإله وأستمع من أحوال هذه الأرض " . ويلاحظ أن الصورة التي يوصف بها الوزير في هذا المنظر لها علاقة تربط الكلام بعض الشيء عن الغرض من هذا الاجتماع، وبخاصة وصفه بأنه هو الذي يسيطر على المرافق العامة ويضع المناهج للقضاة . على أنه يوجد متن آخر على يمين هذا المنظر (راجع Pl. CXII, 1) يصف لنا المنظر بعض الشيء، وهو :
" جلوس الجليس بالشرفة ... والضيوف ومكلفون أقسموا أمام الوزير ليتناولوا وجبة في حضرة ... ... «رخ مى رع» عندما حضر من معبد «آمون» بالكرنك بعد أن أتى الحضار حاملا روح الفرعون الراحل معين ... ووضع الأطعمة الخاصة بواجباتهم اليومية (؟) ... ... " .

والواقع أننا نجد صدى لما جاء في المتن الأخير، وبخاصة (وضع الأطعمة الواجبات اليومية)، إذ نشاهد في المنظر طائفة من الكتبة كل منهم يواجه زميله فالذين على اليسار (راجع Pl. CXII. 1.) كتبة في خدمة الوزير، أما من على اليمين فهم كتبة المجلس الذين يعاونون الأوامر الجديدة . وكذلك كان يوجد بينهم حاجب لمراعاة القواعد المتبعة في مثل هذا الاجتماع . ومما يؤسف له أن المتن الذي كان لا بد أن يلقى ضوءا على هذا الاجتماع لم يبق منه إلا نتف صغيرة لا تشفى غلة، غير أن ما بقي مع ذلك يشعر بأن قاعة الوزير كانت مزدحمة، ويكشف عما أظهره من كرم وعطاء نحو ضيوفه .

والمنظر كما هو يحتوى على بقية يحتمل أنه كان فيها ضيفان يطوفون . ومما يلفت النظر في هذه الصورة أن الوزير كان يتناول طعامه محجوبا عن الضيفان بستار متحرك (راجع Pl. CXI) كأنه ملك . وقد يعزز هذا الرأى ما نراه من أشخاص يقبلون الأرض بين يديه . والظاهر أن الخدم كانوا يحضرون الطعام أمام الوزير وهو في حجرة ثم يخرجون به ليقدم الضيفان، ولا نزاع في أن السجف التي أقيمت

بين الوزير وضيفانه كانت تحجبه عنهم تماماً ، ولا أدل على ذلك من أننا نشاهد بعضهم وقد جلس مولياً ظهره شطر الوزير . هذا ويفهم من المنظر أن الخدم كانوا في حركة مستمرة يقدمون الطعام والشراب إلى الضيفان بكل نشاط وهمة .

الصمت المطلق عند ذكر موت الفرعون كان عاديا عند المصريين :

وليس لدينا أية إشارة في هذا المنظر تدل على علاقته بموت فرعون واعتلاء آخر مكانه ، اللهم إلا إذا اعتبرنا إقامة الشعائر الدينية التي أتاها الوزير لتمثال الفرعون المتوفى في المعبد قبل حضور هذا الاجتماع كان السبب المباشر لعقد هذا المجلس من الموظفين . إذ ليس من المعقول أن موت فرعون عظيم مثل «تحتمس الثالث» الذي حكم البلاد عهداً طويلاً يمر دون أن يحزن له الشعب أو يظهروا شعورهم نحوه في مظاهرات قومية أو إقامة حفل ديني . غير أنه قد جرت العادة في معظم الأحيان أن يصمت الشعب صمتاً تاماً عند وفاة الفرعون وربما يعزى ذلك إلى أن إعلان موت الفرعون يعد موضوع حزن وخجل ، إذ أن الفرعون كان يعتبر إلهاً والإله لا يموت بل يبقى حياً خالداً ، ولذلك لا يعبر عنه أنه قضى بل يقال عنه أن حور (أي الملك) قد طار إلى السماء وأن حور آخر من ظهره قد حل محله على الأرض . وكان الملك الجديد يعلن ألقابه وحسب هذا على ذلك كان حور لا يزال يحكم البلاد ولكنه سمي « عاخبرورع » بدلا من « منخبررع » فالملك إذن في الواقع لم يمت ، وفضلا عن ذلك بقى « رخ مى رع » وزيراً .

منظر المتظلمين الشاكين (راجع Pl. XXX)

لسنا نعرف السبب الأكيد الذي حدا بالوزير «رخ مى رع» على أن يضم هذا المنظر إلى المناظر التي تركها لنا على جدران قبره اللهم إلا إذا كان الغرض منه رغبته في أن ينال شهرة الحاكم الشفيق الذي لا يحيد عن الحق كما أظهر نفسه بهذا المظهر في مناسبات سابقة (راجع .Pls. XXIV, XXV) والتي المصور لهذا المنظر

الغريب هو ما يأتى : " إن الوزير « رخ مى رع » يخرج إلى عالم الدنيا عند طلوع الصبح ليؤدى شعائره اليومية ويستمع إلى تظلمات الأهلين وشكاوى الرجل النبيل والرجل الفقير دون أن يميز صغيرا أو كبيرا ، ويقيم العدالة ويجعل الباغى مرتعدا منه من أجل كلمة ويجازى ما يقترف الشر " .

على أن ما يتركه هـذا المتن فى نفس القارئ من أثر حسن فى إقامة العدالة لا يتفق تماما مع ما نشاهد من حوادث تقع فى الصورة التى أمامنا، إذ نشاهد حولها كثيرا من الكتبة والحجاب لا يتناسب مع المقام، هذا فضلا عن المعاملة السيئة التى كان يعامل بها المذنبون والمحاولات الكثيرة التى كان يحاولهـا المتظلمون لإغراء صغار الموظفين بالرشوة لقضاء حاجاتهم . على أن كل ذلك لا يمنع أنه لا يتفق مع ما يجب أن تظهره الحكومة من همة مشكورة ونجاح حقيقى فى القيـام بالواجب الجليل الملقى على عاتق حكومة منظمة عادلة ؛ بل الواقع أن الصورة تدل على أمانة ساذجة فى التعبير، ولذلك يمكن أن تفسر على وجه حسن بالنسبة للحكومة . هـذا فضلا عما بها من صور تعبر عن الواقع بشكل رائع كالمرأة التى نشاهد وقد لفت ذراعها بالأربطة وقد رفعت يدها متظلمة ممن اعتدى عليها بكسرها . وبهذه المناسبة نذكر هنا أن أحد الباحثين قـد جاء فى تقرير وصفه : " إنه قد لاحظ فى القبور المصرية نسبة كبيرة بين النسـاء اللاتى قد أصيبت سواعدهن بأذى أو كسر .

ومما يلفت النظر هنا كذلك أن ذهاب الوزير لأداء فروضه الدينية قبل أن يبدأ القيام بعمله الرسمى يجعلنا نعتقد أن الصلاة فى المعابد لم تكن مجرد تأدية فرض وحسب، بل كانت رادعا خلقيا يظهر أثره عند الفصل فى المظالم والشكاوى بالعدل . ولا نزاع فى أن وزيرنا المؤمن بربه قـد ذهب صباحا ليؤدى فريضة الصلاة داعيا إلى الله أن يلهمه الصواب فى المسـائل التى سيجلس للفصل فيها بعد مغادرته المعبد . وهكذا كان ينظر المصرى إلى الصلاة بأنها وسيلة تلهمه الصواب فى الحياة الدنيا لينال بها الجزاء الأوفى فى الآخرة التى هى خير وأبقى عند الله .

ولا ريب فى أن هذا المنظر (على الرغم من كل ما فيه مما يدل على حدوثه فى عالم الدنيا) كان خاصا بالحيـاة الآخرة ، ولا غرابة فى ذلك فإن المتوفى كان يصرف

يومه فى عالم الآخرة كما كان يصرفه فى عالم الحياة الدنيا، وقد كان يسجل أعماله اليومية على جدران المقبرة كما نسجلها الآن فى يومياتنا عند المساء . وعلى ذلك ليس من الأهمية بمكان أن نعرف إذا كانت هذه الأحداث قد وقعت بعد الموت أو قبله، أو أنها وضعت هنا على حسب ما جاء عن الحياة الدنيا أو عن الحياة الآخرة، وذلك أن الحياة الآخرة والحياة الدنيا كانتا وحدة فى نظر المصرى . وعلى ذلك فإن عبارة « كما كان على الأرض » تدل على أن المتوفى كان لا يزال مستمرا يعمل على حسب ما كان يعمل فى الحياة الدنيا فقط . ولذلك نرى هنا كما جاء فى المتن أن الوزير « رخ مى رع » كان ذاهبا إلى عمله اليومى ولكن المتن يقول فى الحالة التى نحن بصددها إنه كان آتيا من القبر ليقوم بأعماله . والغريب هنا أنه كان لا يركب فى عربته الرسمية وأمامه المتظلمون بل كان يسير فى الطرقات ومعه ضباطه ويقول الأثرى « ديفز » : "إن هذا التواضع وهذا الصمت المنذر بالشر الذى يحدثنا عنه الفراغ الذى نشاهده على الجدار وهو الذى يلى هذا المنظر، قد يوحى إلينا أن هذا المنظر لم يدونه الوزير الذى كان يشعر بدنو سقوطه من عليائه إلا لينتزع عطف الناس ورضاهم عن أعماله . وعلى أية حال فلا يهمنا أن نعلم إذا كان « رخ مى رع » قبل أن تحل به الكارثة كان لديه من الوقت ما يسمح بتسجيل هذا الاجتماع الرمزى معبرا فيه عن أن الموت لن يكون نهاية لنوعه المتواصل من شعبه، أو أن بعض أهله وأصدقائه قد قاموا له بهذا العمل النبيل . ومع كل ذلك قد يكون الأمر على خلاف ما نظن، وأن المنظر قد وضع هنا ليملأ مكانا خاليا على جدران القبر، وعلى أية حال فإنه كان عملا صالحا لم يسبق له مثيل" .

المناظر الدينية

المناظر الجنازية : راجع "Paintings" XVIII, XX - XXIV. & Plates V, 1. (LXXV - XCIV) يظهر فى قبر الوزير «رخ مى رع» كل الشعائر الدينية به مصورة بدقة وبإتقان عظيم وعلى شكل يجعل القبر التى قد يصل القول فيها تفصيلا لم يسبقه من قبل فى أنه مفيدة من هذا رغبة القوم والواقع أن لدينا عدة مناظر يحتمل أن الكثير منها كان يتلى عند الدفن على أنه رقى سحرية وصيغ .

الآلهة التي تقام لها الشعائر: (Fig. 8.) يدل ما لدينا من نقوش هنا على أن الآلهة التي كانت تقام لها الشعائر في مقبرة «رخ مي رع» أربعة وهم: (١) إله الحصاد صاحب الجبانة (راجع LXXVI.) (٢) الإله «أوزير» إله عالم السفلى (راجع LXXVIII.) (٣) الإلهة حاتحور [illegible] (راجع .Pl. LXXXVI) (٤) إلهة الجبانة الغربية (راجع .Fig. 9) — ومما يلاحظ هنا أن الشعائر التي خصصت لكل من هؤلاء الآلهة لا تدل على أنها تختلف عنه تماما.

الروايات المختلفة: ولا نزاع في أن هذه الشعائر نفسها تقام في سطح مقابر «طيبة»، وقد احتوت المقابر التي حول قرب بابها عهد الفرعون «أمنحتب الثالث»، غير أن هذه المناظر لم توجد فيها كاملة ومضبوطة كما وجدت في مقبرة «رخ مي رع»، وقد يكون من العسير علينا أن نتكلم هنا بشيء من الإسهاب عن هذه الشعائر إذ أن ذلك يحتاج الرجوع إلى الماضي البعيد وتتبع تطوراته حتى العصر الذي نحن بصدده.

وقد شرح هذه الاحتفالات الأخرى «ديفز» في كتابه عن «رخ مي رع» فليرجع إليها من يريد الازدياد.

المشتركون في إقامة الشعائر: ومما يلفت النظر هنا أن موكبا من الخدم والحشم المذكور يبلغ عددهم نحو ستة عشر كلهم من الموظفين كانوا يسيرون في ركاب المتوفى مقدمين له الخدمات كلما احتاج الأمر، ولا يبعد أنهم كانوا قائمين على خدمته في أثناء حياته وقد اتخذوا الآن صبغة جنازية، هذا إلى أنه كان في استطاعة المتوفى أن يطلب مساعدة سكان المدن المقدسة إذا اقتضت الضرورة. وتتوقف معظم الظواهر الغريبة التي تصادف المتوفى بعد الموت على العقائد المختلفة التي كان يعتقدها الفرد عن مصيره في عالم الآخرة، وبخاصة الأخطار العلوية والسفلية التي كان لا بد له أن يخترقها وما فيها من مخلوقات شريرة كان لا بد له من التغلب عليها قبل أن يستقر به المقام في جنة الخلد. وقد كان مصير المتوفى يشبه مصير الفراعنة أنفسهم وهم الذين أصبحوا على حسب التقاليد آلهة.

وتاريخ الدفن الذي نشاهده في هذه المناظر يرجع إلى عهود قديمة جدا عندما كان الإنسان يقدم أبناء الإنسان ضحية على مذبح الآلهة. يضاف إلى ذلك أن نقل المتوفى عبر النهر أو على متنه، وكذلك جعل مكان المحيطات والبحيرات والأنهار

دوات الأسماء المعروفة في السماء أو في العالم السفلي كل ذلك يفسر لنا السبب الذي من أجله يجمع كثير من الحوادث الخاصة بالمتوفى على الماء أو في السفن كما يفسر لنا التعبير عن الوفاة برسو السفينة في المياه ، وغير ذلك من الرموز التي تحدث عن بعض الأمور البارزة في عالم الآخرة .

الشعائر الجنازية الخاصة بغذاء المتوفى : (راجع Plates V. 2: XCV - CX. & "Paintings" XXV) على الجدار الشمالي من الحجرة الكبرى لمقبرة « رخ مى رع » نشاهده جالسا يتناول وجباته الأربعة، ويلاحظ أن المنظر قد كرر أربع مرات في أربعة صفوف بعضها فوق بعض والأخير منها قد أخرج بإتقان وعناية ، وقد فسر كل منها بمتن . وقد ضم إلى متون الصفين المتوسطين من صفوف الوجهة المقدسة هذه ، ثلاثة صفوف تمثل حوادث تحدثنا عن الشعائر المختلفة التي بها ينتعش التمثال بعد موت صاحبه أو المومية بعد مفارقة الروح لها ، وبذلك يكون في قدرة التمثال أو المومية أن يسود الحياة ويتمتع بحياة أرغد حالا وأكثر تنوعا مما كان في الحياة الدنيا .

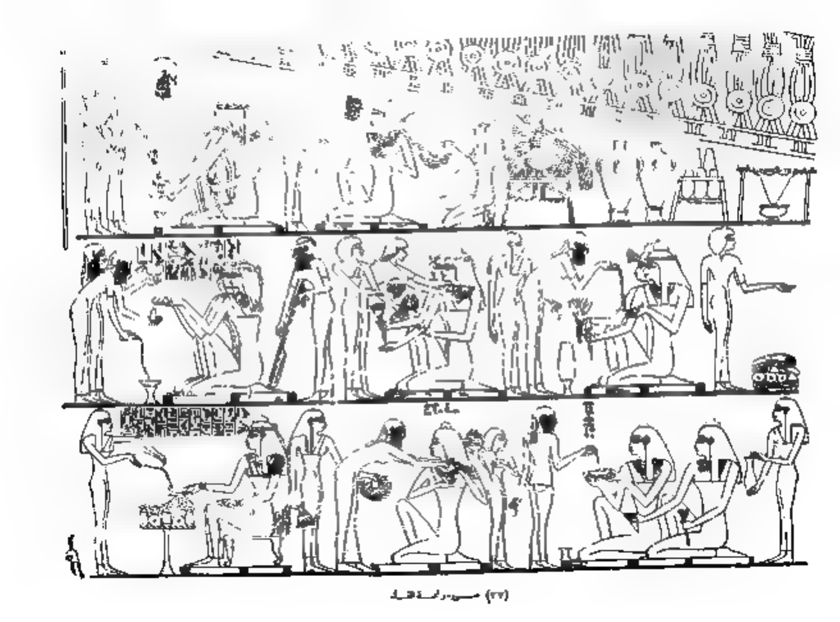
فنشاهد « بت » والدة « رخ مى رع » تظهر مرتين معه عند تناول طعامه . أما الذين كانوا يقومون لأجله بهذه الشعائر فهم أولاده « أمنحتب » و « منومريت » و « منخبررع سنب » ويحتمل كذلك « مرى » .

التعاويذ المفسرة لهذا المنظر : (راجع Pl. CIV. CVIII) أما التعاويذ التي كانت تتلى فتشمل أولا تعويذة لإحضار أشياء منها متون وبعدها تشبع بالخير ، وتعويذة لتطهير موائد القرابين ولأجل البخور ، وتعويذة الدخول لتقبل الطعام (Pl. XCVI, CIV) .

وكذلك المتن الذي كان يتلوه الكاهن على أسفل صف من الصفوف التي ذكرها (راجع Pl. CVIII) .



[illegible]



(٢٢)

إنك تعيش هناك إلها مجهزا بالخبز والجعة وكذلك بالماء البارد . وقد جمعت أعضاءك من أجلك لتنظم لك رأسك متصلة بعضها ببعض ، وكذلك فإن أحسن ما على مائدة القربان يكون ... لأجل «أوزير» عمدة المدينة والوزير «رخ مى رع» . ويقدمها عليه الملك من الطهر تحضر كل القرابين التى تصل لروحك الطاهرة . . . . إليك فيحمل «أوزير» . . . مرحبا بالخادم «أوزير» ويصحبك روحها بين الأرواح . . . فى . . . الأعظم . . . فى العيد العظيم . . . «هليوبوليس» . . . ولا تحجب عنك . . . ولك الملك على حسك . . . لقد أعطيت . . . (حور) . . . . . . تكون . . . فى . . . «أوزيس» . . . فى محبة الصباح ، وتكون صاحب قوة على . . .[1] . . . وذلك . . . فى «هليوبوليس» . . . الملك «أوزير» . . . «أوزير» . . .
. . «أوزير» عمدة المدينة والوزير . . . «أوزيس» «رخ مى رع» .

تاريخ شعيرة فتح الفم : لا نزاع فى أن بعض الاحتفالات الدينية والتعاويذ السحرية يرجع عهد استعمالها إلى عهود غابرة فى القدم، غير أنه ليس لدينا براهين على أنها كانت تنظم وترتب فى صورة تمثيلية كما نشاهد فى مناظر تمثيلية فتح الفم المرسومة على جدران مقبرة «رخ مى رع» ، اللهم إلا إذا استثنينا ما جاء فى «متون الأهرام» عن هذه الشعيرة إذ أنها فى الواقع كانت تتلى فى صورة تدل على أنها تمثل (Sethe Pyr. Text. 9 b,-40) ، غير أنا نرى محاولة حديثة لجمع كل أجزاء هذه الشعيرة فى سلسلة واحدة متصلة الحلقات منطقية الترتيب هى التى نعرفها فى المتون والصور التى تركها لنا «رخ مى رع» على جدران مقبرته ونستطيع أن نصل إلى تاريخ إقامة هذه الشعيرة من الفقرات التى نعرفها فى المتن متجهة إلى العهود القديمة التى كان يحتفى فيها بمدى الهياكل الطينية، أى عندما كان أهل المتوفى يرجون أن تضم أعضاؤه بعضها إلى بعض وألا ينفصل الرأس من الجسم كما جاء ذكر ذلك مرارا وتكرارا فى متون الأهرام . والواقع أن إحياء الجسم أو المومية كما يقال عنها يرجع أصله إلى قصة «أوزير» إله الموتى وإحيائه بعد أن مزق «ست» أخوه أشلاء ثم جمعتها أخته «إزيس» ثانية، ولا تختلف الرواية هنا عن الرواية القديمة

(١) راجع تفسير هذه العبارة فى كتاب الأدب المصرى القديم أدب الفراعنة الجزء الأول ص ١٢٦

إلا في أن « حور » الابن الأكبر لأوزير هو الذي يلعب دور إحياء المتوفى لا « إزيس » ، وذلك لأنه عندما كانت ألاعيب « ست » الشيطانية التي كان يكيد بها لأخيه « أوزير » سائرة في طريقها نجد أن « حور بن أوزير » قد ضحى بإحدى عينيه لنجاة والده ومن ثم أصبحت تلك العين التي ضحيت تدعى العين المقدسة كما أصبحت رمزاً للتضحية ، كما يعتبر الصليب الآن عند المسيحيين رمزاً للفداء مع الفارق أي عين « حور » كانت تعتبر رمزاً لكل شيء مادي يفيد المتوفى مهما كان نوعه .

تمثيلية البعث : (راجع Plates V, 2: CV - CVII) وتنقسم شعيرة فتح الفم في ظاهرها قسمين ، وإن كانت في الحقيقة شعيرة واحدة . وتبتدئ بتمثيلية صغيرة لخلاص المتوفى ، فكان ينحت تمثال من الحجر أو من الخشب على هيئة المتوفى وهذا التمثال كان لا يراه أهل الراحل الذين أخذ منهم الحزن كل مأخذ لأنه فاقد الحياة ولا حراك به . ولكن الكهنة كانوا أولاً يؤدون له شعائر مختلفة خاصة بتطهيره ، ثم بعد ذلك يفهمون ابن صاحب التمثال الذي تغلب عليه اليأس والقنوط أن الحياة ستعود إلى والده في هيئة تمثاله ، وعلى ذلك يتحرك الابن الحزين على والده في هذا التمثال ثم يعمل نفسه هو الحامي له . وبعد ذلك يحضر رمز التضحية (وهي العين المقدسة) لأجل أن يمس الشفاه على منوه وبذلك يخلص والده من كل الأمراض التي كانت قد نزلت به .

صورة تمثيلية لإحياء تمثال المتوفى : دلت كل الأحوال عند فحص الديانة المصرية القديمة وبخاصة ديانة الشعب على أن القوم كانوا لا يرغبون في الاعتقاد في الأشياء المعنوية بل كانوا يتمسكون بأهداب المحسات التي تراها العين وتلمسها اليد وهذا هو السر في تمثيل المصري معبوداته في صور مادية سواء أكانت حيوانات حية أو تماثيل جامدة . ولهذا نجد في موضوعنا هنا أن القوم كانوا يرغبون في وجوب عودة التمثال إلى أحواله أو بعبارة أخرى أحوال من يمثله عندما كان في الحياة الدنيا فترجع إليه كل حواسه ، وهذا هو ما نشاهده هنا من الحوادث

التي تؤدي إلى هذه النتيجة، وتنحصر في استعمال آلات سحرية وتلاوة تعاويذ تأتي بنتائج مدهشة . وقد أوحى الكهنة عامة الشعب هناك إذ جمعوا بين عمليات آلية يمكن فهمها وبين أخرى سحرية لا يمكن تصور كنهها . وكانت هذه العمليات يتلو بعضها بعضاً دون أن يكون لها نتيجة إيجابية .

حديقة لمسرات المتوفى (Pls. CIX, CX, CXIII, 3, 4.) : ومن المناظر البارزة التي حفظها لنا « رخ مى رع » على جدران قبره حديقة غناء، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن ما يحيط بها من مناظر لم يبق منها إلا القليل جداً وكذلك أصبح من العسير علينا فهم الغرض منه تماماً، ولكن لحسن الحظ حفظت لنا بعض النقوش التي كانت على المنظر الذي عن معظمه (Pl. CXIII, 3.)، والظاهر أن المنظر كان يمثل « رخ مى رع » « ومريت » زوجه جالسين إلى اليسار وأمامهما صفان من النقوش، وكذلك نجد صفين من الضيفان الذكور أسفل هذا المنظر والحديقة على اليمين . أما الصف الأعلى فكان يحتوى خدماً يحضرون طعاماً لأكلة خفيفة ومقداراً عظيماً من الأزهار . والمتن المفسر لذلك هو « خذ أزهار البركة العطرة التي أحضرناها لك من خيرة النباتات التي في وسط الحدائق ، تأمل ! إن الخدم يجلبون منتجات وأحضرنا ومعها ذكية الرائحة من كل نوع ، لأجل أن تتمتع بجمالها وتسر بشرابها ، ولأجل أن يتآمر قلبك في باب القصر، ولأجل أن تصل بها ما تصبو إليه روحك أيها الأمير » .

ولا نزاع في أن ذكر الأزهار وتقديمها هنا لم يكن عبثاً لأن هذه الوجبة الخفيفة لم تكن تكراراً للوجبة اليومية التي كان يتناولها المتوفى على مائدته بل الواقع أنها كانت لاحتفال خاص يحتمل أنه الاحتفال المعروف (عيد الوادي الجميل) ، وهو العيد الذي كان يحمل فيه تمثال « رخ مى رع » من مقبرته ثم يوضع في قارب يجر حول البركة التي في وسط الحديقة (راجع Pl. CX, "Paintings", XX.) ، وبذلك كان في استطاعته أن يشرف كرة أخرى على كل شيء ويتمتع بالنسيم العليل والروائح الذكية التي كانت تضوع من أزهار الحديقة، ويجلس في ظلال أشجارها الوارفة .

كل هذا كان يجرى فى أثناء شعيرة «فتح الفم» غير أن هذا المتاع الشخصى من الفرح ، الظاهر يتلاشى ويحتجب بجماله عندما يرى الإنسان النساء يلطمن الخدود ويظهرن حزنهن على الراحل الكريم مظهرات أن الموت مع كل ذلك قد نال النصر فى النهاية على الرغم من الاحتفالات الدقيقة التى كانت تقام لفتح الفم وحده. المنظر الذى كانت تظهر فيه النساء بحزنهن وحنينهن لم يكن من المستطاع حذفه من تلك الصورة . وعلى الرغم من أن المثال أو بعبارة أخرى رجال الفن قد حاولوا أن يجعلوه فى أصغر حيز ممكن بالنسبة لمنظر شعيرة فتح الفم ، ولكنه مع ذلك كان يحتوى على كل شىء فنشاهد فيه أخوى المتوفى « إيرنس » و« تنيس » وكذلك النسوة اللائى كن يحملن بعض القربان أو يرثين الميت ، يضاف إلى ذلك أولئك النسوة ذوات الشعور المرسلة وزوجة الراحل التى كانت تحثو التراب على رأسها .

وبهذا سنحت الفرصة للفنان «رخ مى رع» أن يصور لنا حديقة خلابة نموذجية . على أننا لا نعلم إذا كانت هى حديقة قصر «رخ مى رع» أو هى التى كان مفروضا على وجه عام أن تكون من لوازم القبر المثالى ، فإذا كانت حديقة القصر فلا بد إذن أن يكون المبنى الذى على يسارها هو القصر . أما إذا كانت حديقة لمقبرة فإن هذا المبنى يكون جوسقا أو مزارا خاصا بالعبادة .

وإلى هنا مستودع هذا الوزير العظيم يجمع براعة أبدية هو جدير بها بعد أن تمم خططه ضد أعدائه إلى نهاية المطاف ، فى حين كان أصدقاؤه يخدمونه بولاء وإخلاص فى إقامة شعائره التى أعد من أجلها هذا المثوى الفاخر .

خاتمة : لا ريب فى أن من يلق نظرة فاحصة على الاستعراض السريع الذى خلده لنا «رخ مى رع» فى المناظر والنقوش التى حفظها على جدران قبره الضخم عن الحياة المصرية يجد أنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة فى كل نواحى الحياة ومرافقها خاصة كانت أو عامة وداخلية كانت أم خارجية إلا أحصاها وأوضحها إيضاحا كاملا شاملا . ولعمر الحق كانت هذه الصور وما تنطوى عليه من تفاصيل دقيقة عن حالة

الشعب الاجتماعية والخلقية والسياسية والدينية هي نسيج وحدها في كل ما وصل إلينا من صور التاريخ المصري في أي عصر من عصوره القديمة والحديثة من حيث الكمال والدقة والتفصيل . هذا فضلا عن أنها تصور لنا الحياة المصرية في أزهر عصورها وأمجدها ، وهذه الصورة التي تصف الحياة الدنيا قد شفعت بأخرى تصف لنا الشعائر المصرية القديمة الدينية وما كانت تصبو إليه نفس المصري في الوصول إلى دار النعيم المقيم في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، من أجل ذلك نجد أن « رخ مي رع » جمع في استعراضه الرائع نصيبه من الدنيا بما فيه من سعادة وشقاء وما كان يخطره في عالم الآخرة من ثواب وعقاب ، وكل على حسب ما أتى من الأعمال إن خيرا فخير وإن شرا فشرٌ ، وكل ميسر لما خلق له . ولا نزاع في أن سيرة « رخ مي رع » لا تترك مجالا للشك في أنه كان ميسرا للخير والمجد ، وقد سار في طريقه حتى تسنم قمته ونهج سبيل السعادة حتى أصبحت علما عليه . ولا غرابة في ذلك فقد كان وزيرا لأعظم فراعنة مصر قدرة وذكاء وطول باع في الحروب المظفرة . ولن نكون حائدين عن جادة الحق والإنصاف إذا قررنا هنا أن « رخ مي رع » كان العامل الأكبر في تمهيد السبل للفرعون « تحتمس الثالث » للظفر بأعدائه في داخل البلاد وخارجها ، فقد هيأ له كل ما تحتاج إليه حملاته المظفرة وفتوحه الشاسعة في آسيا وأفريقيا . فقد كان « تحتمس الثالث » قائد مصر الفذ يسير كل عام على رأس جيوشه للفتح والنصر وهو مطمئن البال هادئ النفس من ناحية داخلية بلاده التي كان يدير شئونها وينظم أحوالها رأس وزرائه « رخ مي رع » العظيم ، فكان الفرعون يفتح الأمصار ويجبي الضرائب ويجمع الغنائم ثم يعود إلى مصر سنويا في حين كان وزيره في تلك الفترة يقوم بالتعمير والإنشاء والإصلاح في كل مرافق الحياة المصرية ويعد للفرعون ما عساه أن يحتاج إليه من عدة وعتاد للغزوة المقبلة ، ثم كان في الوقت نفسه يسهر على راحة رعية مليكه ناشرا لواء العدل في أنحاء البلاد ومحققا تنفيذه بنفسه ومنميا ثروة

البـلاد الطيبة بكل ما أوتى من قوة عزيمة وأصالة رأى . ولا غرابة إذن فى أن يمده الفرعون بأنه مثيله وصنوه فى إدارة البـلاد ولا فرق بينهما إلا أن الفرعون كان ينسب إلى نسل الإله الأعظم « رع » ، أما « وخ مى رع » فكان من نسل أسرة عريقة فى المجـد والشرف والجاه والمحتد الأثيل، غير أنه على الرغم من هذا الفـارق الأسمى كانت تجمعهما رابطة أقوى وأعظم أثرا فى نفس الفرعون، فقـد كان « وخ مى رع » أخاه من الرضاعة وتلك صـلة ما بعدها صـلة ورابطة وثيقة جعلتها الأديان الحنيفية وجعلت أخوتها كاملة ؛ فهـذان الطفلان اللذان أرضعتهما « بت » (والدة وخ مى رع) قيانا قـد أتيا بالعجب العجاب معا فى خلق مصر جديدة سيطرت على العالم أكثر من أربعة قرون .

ولقد وفينا تحتمس حقه فى غير هذا المكان . أما « وخ مى رع » فإننا إذا نظرنا نظرة إجمالية إلى مواهبه وحسن بلائه فى إدارة سكان البلاد كما جاء فى النقوش التى خلفها لنا على جدران قبره المحتم علينا أنه قد أوتى من العلم والنشاط وطول الباع فى تصريف شئون الدولة ما لم يستطع أن يأتيـه أحد من السابقين أو اللاحقين من أبناء جلدته ، والواقع أنه كان مشرفا على كل نواحى الإدارة فكانت فى يده أعظم سـلطة قضائية . وكان هو المرشد لكل أصحاب الحرف والصـناعات ، وكان هو روح التجارة الداخلية والخارجية وواضع نظم الضرائب وجبايتها والرى وحفر الترع وشئون الزراعة ، والمشرف على المبانى والمدبر لأحوال الكهنة . وخلاصة القول أنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من مرافق الحياة إلا أشرف عليها بنفسه من قريب أو بعيد، بل بلغ فى ذلك إذ كان أحيانا يوجه الصناع وأصحاب الحرف فى مصانعهم حتى فى أحقر الحرف وأدقها ممـا يدل على علم غزير وتجارب واسعة النطاق مما جعـله فى أعين الشعب الوزير المثالى فى كل عصور التاريخ كما كان أخوه « تحتمس الثالث » الملك المنقطع القرين فى التاريخ المصرى القديم .

أمنحتب الثاني



وفاة تحتمس الثالث وتولية أمنحتب الثاني : لقد وضع أمامنا القائد « أمنحاب » صورة صادقة عن وفاة « تحتمس الثالث » وتولي ابنه « أمنحتب » الثاني العرش مكانه عندما يقول « لقد أتم الفرعون حياته الطافحة بالسنين شجاعة وبطولة ونصراً من السنة الأولى إلى السنة الرابعة والخمسين ، في اليوم الثلاثين من الشهر الثالث من الفصل الثاني وهو حكم الملك « منخبر رع » ثم صعد إلى السماء واتحد مع الشمس ، واختلطت الأعضاء المقدسة مع بارئها ، وعندما أضاء الصبح وأشرقت الشمس وأضاءت السماء نصب « أمنحتب » الثاني على عرش والده وتلقب بالألقاب الملكية » .



(٣٨) مومية أمنحتب الثاني

وعلى إثر وفاة «تحتمس الثالث» ركب الوزير «رخ مى رع» متن سفينة عظيمة وعبر بها عباب النيل حيث كان ولى العهد فى مكان يدعى «حت سنم» (ومكانها بلدة «هو» الحالية بمركز نجع حمادى) وحيّاه بالملك .

نشأته : كان «أمنحتب» الثانى من الفراعنة القلائل العريقين فى النسب، فقد ولد من أبوين يجرى فى عروقهما الدم الملكى، فوالده «تحتمس الثالث» ابن الفرعون «تحتمس» الثانى، وأمه هى الملكة «مريت رع حتشبسوت» ابنة الملكة «حتشبسوت» بنت «تحتمس الأول» كما فصلنا القول فى ذلك . ويدل ما لدينا من الآثار على أنه ولد فى «منف» عاصمة الملك الثانية، إذ منذ حكم والده أصبحت البلاد مقسمة قسمين كبيرين يدير كل واحد منهما وزير خاص الأول مقره فى «طيبة» ويسيطر على الإقليم الذى يمتد من «أسوان» حتى «أسيوط»، والثانى يسيطر على الجزء الواقع شمال «أسيوط» حتى البحر الأبيض المتوسط، ولدينا جعران قد نقش تذكاراً لولادته فى «منف» (راجع A. S. Vol. XXXIX, P. 116.) .

اللوحة التذكارية التى أقامها بجوار «بوالهول» : وقد كشف حديثاً عن لوحة فى الجهة الشمالية الشرقية من المكان الذى يربض فيه تمثال «بوالهول» فى عام ١٩٣٦، وقد أقامها «أمنحتب» الثانى فى هذه الجهة تذكاراً لزيارته لهذا الإله العظيم الذى كان كعبة ملوك الأسرة الثامنة عشرة ومن بعدهم يحجون إليه عند توليتهم عرش الملك كما سنرى بعد . وقد بنى «أمنحتب» معبداً صغيراً لهذه اللوحة وضعها، وقد كشف عن بقاياه أيضاً، واللوحة تعد من أعظم اللوحات التى كشف عنها وأكبرها حجماً حتى الآن، إذ يبلغ ارتفاعها نحو أربعة أمتار وخمسة وعشرين سنتيمتراً، وعرضها نحو مترين وثلاثة وخمسين سنتيمتراً . وتنقسم هذه اللوحة قسمين . القسم الأعلى مثل فيه الفرعون «أمنحتب» يتعبد لصورة «بو الهول» والقسم الأسفل يحتوى على اللوحة الذى يعتبر من أهم النقوش

التي كشف عنها حديثاً، إذ يعطينا من صفحة جديدة في تاريخ حياة هـذا الفرعون وسلفه على يد والده كما يقـدم لنا معلومات هامة عن ممارسته الرياضة ، وتربية الخيل وأساليبها وصيانة « بر الخيول » في تلك الفترة من تاريخ البلاد .

معلوماتنا عن « أمنحتب الثاني » قبل كشف هذه اللوحة في عصر سنه

غرامه بالرياضة البدنية : حقا يدل ما وصل إلينا من الرسـوم والنقوش على أن « أمنحتب » الثاني كان رجل رياضـة عظيما قوى العضلات . كما تدل موميته على أنه كان طويل القامة قوى الساعد .

والواقع أن « أمنحتب » ، كان مولعا بالرماية بل كانت شغله الشاغل طوال حياته منذ نعومة أظفاره ، إذ في « طيبة » الغربية نجد، في القبر رقم ١٠٩ وهو قبر « مين » عمدة مدينة « طينة » وهو الذي حارب في شبابه مع « تحتمس الثالث » في حملاته ، لمة طريفة من طفولة « أمنحتب الثاني » . فقد كان « مين » هذا مدرب الأمير « أمنحتب » ، فشاهده في منظر قبره يعلم ملك المستقبل على حجره وهو عاري الجسم ، مما يدل على أنه كان لا يزال صغير السن جدا عندما وكل أمر تنشئة هذا الأمير لهذا الجندي القديم ، وفي منظر آخر محي في صحن القبر نشاهد هذا الجندي وهو يدرب « أمنحتب » على الرماية وقد كان يرتدي وقتئذ ثوبا شفيفا مصفاحا ، ومفوقا سهمه نحو هدف مستطيل الشكل كان قد أصاب الهدف به أربع مرات من قبل ، وكان يقف خلفه مربيه « مين » مصححا لجسده الوضع الذي يجب عليه أن يتخذه لإصابة المرمى كما تدلنا على ذلك النقوش التي تقول : " إنه (أي مين) قد علم الصبي الغراء الأول في علم الرماية قائلا « شد القوس حتى أذنك » واستعمل كل قوة دراعيك وثب السهم يا أيها الأمير « أمنحتب » . وهذا المنظر كتب فوقه العبارة التالية تفسيرا له . " الأمير « أمنحتب » يتمتع بدروس في الرماية في ساحة القصر في طيبة "

(راجع Davies, M. M. A. (1935), PP 52, 53.) -

متن لوحة (بو الهول) : أما متن لوحة «بو الهول» فينقسم بدوره قسمين .

(أ) مديح الفرعون (ب) وأحلامه .

(أ) مديح الفرعون : "يعيش «حور» الثور القوي ، صاحب الثرة العظيمة ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، «بو السلطان القوي» الذي ظهر ملكاً في «طيبة» ، «حور» الذهبي الذي يتغلب (على كل قوم) بسلطانه في كل الأراضي ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، «منخبرورع» (... صورة رع ...) ابن الشمس «تحتمس» حاكم «هليوبوليس» الإلهي ، ابن «آمون» الذي خلقه ، ونسل «حور اختي» والبقرة الطاهرة من الأعضاء المقدسة ، ومن يرث صورة الإلهة «نت» ، ومن أنجبه في الحياة في عصر الأزل ، لأجل أن يستولي على الملك الذي جمعه ؛ ومن جعله يظهر بنفسه ملكاً على عرش الأحياء ، ومن منحه مصر تحت سلطانه ؛ والصحراء ... ، ومن نقل إليه ... ، والملك إلى الأبد ، ومن أعطاه عرش الأرض (جب) ، ووظيفة الإله «آتوم» المقدسة ، وملك «حور» و«ست» ، ونصيب إلهي الوجه القبلي والوجه البحري ، وجعلهما في سياحة ومسافة ، ومن وضع له يده (ساعت) على جسمه[1] ، ومن ثبت له تاجه على رأسه ، وهو الذي ... الغربيين تحت نعليه ، وأهل الشمال يعترفون بقوته ، وكل الأراضي الأجنبية كذلك ، وقد حزم له رؤساء ... البحر التسع ، والأوحشان في قبضته ، وأهل مصر ... ، والآلهة ... ، وقد رفعه «آمون» حاكماً على ما تحيط به عينه ، وعلى ما تضيئه قرص الشمس ، وقد استولى على مصر كلها ، والأرض الجنوبية والأرض الشمالية في كنفه ، والأرض الحمراء تقدم له محاصيلها ، في حين أن كل أرض أجنبية تحت حمايته ، ... والأراضي في قبضته ... ، وقد ظهر ملكاً على العرش العظيم ... نفسه الساحري (التاجين) ، والتاجان ... (شت) ... على رأسه ، وأصبح (تاج رع) على جبينه ، ... الوجه القبلي والوجه البحري ، ... على الصحراء ... والريشتان ... على رأسه ، والخس (لباس الرأس) ... كتفيه ، ... «آتوم» ... صورة أي (صورة آتوم) على حسب أوامر الآلهة ، ... الإله «آمون» الإله الأول الذي ... ليكون في مقدوره أن يستولي على كل الأرض ... ، ... (آمي) ابن الشمس «تحتمس» حاكم «ايونو» الإلهي ، ووارث «رع» ، ... «آمون» ...

---

(١) كانت صورة الإله «ساعت» تعلق على صدر قاضي القضاة وهو الوزير ... علامة على أنه هو الذي يفصل بالعدل في أمور الناس من كان في حاجة لتلقي أحكام الوزير ، كالإله العدالة ... الذي كان معلقاً في صدره وأشار به ... في جانبه الحق .

والبعد الربعة (الخارجة) من الأصقاع المتقدمة ، الواحد النبيل صاحب السلطة ، والواحد الذي عندما خرج من الفرج كان متوجا بالتاج الأبيض والذي عبر الأرض بوصفه ملكا يجري في عروقه الدم الملكي ، وهو الذي بين أسمه عصرها ترسل عليه من « آتوم » أشعتها ، بإرادة الإله « منتو » في أصابعه ، ومن انتصاراته مثل انتصارات أبي « ست » ، وهو الذي حكم وحده نبات الجنوب مع نبات الوجه البحري (الشمسيه والبردى) ، ومن أهل الجنوب وأهل الشمال في وجل منه ، ومن حميه من ما يمني عليه (رع) ، ومن يملك ما يكتنفه المحيط العظيم ، ومن ساعده وحده لا يقاوم في كل أراضي « التتحر » ، ومن لا نظير له على أعداء حور (؟) ، ومن لا يوجد للإنسانية حام (غيره) ، وهو الذي يأتي إليه أهل الجنوب منحنين ، وأهل الشمال ساجدين على بطونهم ، وكلهم مشتدون في قوته ، وهو الذي يحطم صولاته رؤوسهم كما أمر بذلك رب الآلهة « آمون رع — آتوم » ، ومن يفتح الأراضي مظفرا دون أن يكون له غريم في كل الأرجاء » .

إختلاله العرش وعلمه بفنون الحرب والرياضة : والآن أشرق جلالته ملكا ، وهو لا يزال شابا جميلا سليم الجسم بعد أن أتم الثامنة عشرة من عمره حاذقا على قلبه في قوة ، وقد كان على علم بكل أعمال الإله « منتو » ، إذ كان منقطع النظير في الميدان ، وكان ماهرا في معرفة الخيل ، ولم يكن له مثيل بين أولئك الجنود الكثيرين ، ولم يكن في مقدور واحد منهم أن يشد قوسه ، ولا أن يلحقه في الجري على الأقدام** .

أمنحتب الثاني الهداف . «وقد كان قوي الساعد لا يكل من التجديف ، واتفق أنه كان يجدف في مؤخرة سفينته الملكية الصقرية بأمائتي بحار ، وقد تركوا الشاطئ ، وجدفوا نصف ميل غير أن قواهم خارت ، وارتخت أعضاؤهم ، ولم يكن في استطاعتهم التنفس (بعد ذلك) ، ولكن جلالته كان قويا بمجدافه الذي كان يبلغ طوله عشرين ذراعا … صار والشاطئ، ثم رسا على البر بعد أن جدف مسافة ثلاثة أميال وهو مجداف الجبار دون أن يرتخي من العمل ، وقد كان الأعوان ينظرون إليه معجبين بقيامه بذلك العمل » .

أمنحتب الرامي . «ثم قام بالعمل التالي : وهو أنه شد ثلاثمائة قوس موطدا متانتها إياها بعمرة عمل الصانع لتمييز الجيد من الخبيث من صنعها (في الساحة) ، والآن حضر وقام بعمل ما هو أمام وجوهكم … دخل في حديقه الشمال فوجد أنه قد نصب له أربعة أهداف من النحاس الأسيوي ، سمك الواحد منها قدر كف اليد ، وبين كل هدف وما يليه عشرون ذراعا ، ثم ظهر بعد ذلك جلالته على عربته التي جرها الجياد مثل الإله « منتو » في قوة بأسه ، وقبض على أربعة سهام معا ، ثم سار شمالا راشقها على « منتو » في ثاوية (القتال) مفتقيها من ظهر المعرف ، ثم رمى هدفا آخر

وعدة من التميمة التي لم يؤت مثله من قبل ، ولم يسمع به في القصص : ذلك سيما قد حوى على عاهب من النحاس ، وإنه قد قيه ساقطة على الأرض ، ولكن مثل هذا العمل قد حدث على يد الملك صاحب البأس الشديد ، ومن أعطاه الإله « آمون » القوة إلا وهو ملك الوجه القبلي والوجه البحري « ما خبرو رع » الشجاع مثل « منتو » .

أصبحت الخيال : « وبعد ما كان أميرا حدث السن ، كان متربا بجياده ، متمتعا بها ويرعاها ، وكان يعرف طباعها ، كما كان ماهرا في تدريبها متعمقا في أصولها ، فلما وصل خبر ذلك من القصر إلى مسامع والده « حور » الثور القوي الذي يشرق في « طيبة » ، كان له أن طرب في قلب جلالته عند سماعه ، وفرح بما قيل عن ولده البكر وقال في قلبه : إنه هو الذي سيكون سيد البلاد قاطبة » ، ومن يرجع من يتأمله لأنه يفحص نحب لإحراز الشجاعة ، ويتمتع بالنصر ، وإنه لا يزال طفلا رقيقا ، ولم يصل بعد السن التي يأتي فيها بعمل « منتو » ، ولكن تأمل ! فإنه قد تغاضى عن شهوات الجسم ، وأحب الشجاعة ، لأن الإله هو الذي وضع في له أن يعمل هكذا حتى يستطيع أن تصبح مصر آمنة به ، وتخشى جلالته » (٢) .

وبعد ذلك قال جلالته (تحتمس الثالث) لمن كان في حاشيته : لتعط أكرم الجياد في حظيرة جلالته التي في « منف » والقل له ، اعتن بها واجعلها تطيع القياد ، واجعلها تخب في سيرها ، وروضها جدا كانت جامحة (١) . وبعد هذه المحادثة أصبح الأمير الملكي أنه في حل من القيام بالعناية بخيل حظيرة الفرعون ، وقد قام بما فرض عليه ، وكان كل من الإله « رشف » والإلهة « عشترت » مسرورين منه عندما رأياه يعمل كل شيء يحبه قلبه ، فقد روض جيادا منقطعة النظير ، لا يتعبها التعب ، عندما كان يأخذ بعنانها ، وكان لا يتصبب عرقها حتى بعد شوط بعيد ، وقد شد جياده في « منف » وهو لا يزال صبيا ، ووقف عند محراب الإله « حورام أخت » ، (حورمحيس) أي (حور الأفق) ، وقد مكث هناك حاملا حوله (بحرسه) متأملا جمال محراب « خوفو » و« خفرع » (المنتصر) ، وكان قلبه يتوق لإحياء اسميهما ، وأن يضعه في قلبه ، والآن كان قد اعتاد أن ينفذ ما أمر به والده « رع » .

إصلاح محراب الجيزة . « والآن بعد أن توج جلالته ملكا ، وأخذ الصل مكانه على رأسه ، ونصب « رع » أمير إلى مكانه ، وبعدما كانت البلاد في أمان كما كانت من قبل في عهد سيدهم ، وحكم « عاخبرو رع » الأرضين ، وكل الأرض الأجنبية خاضعة لنعليه عندئذ تذكر جلالته المكان الذي متع فيه بجوار أهرام « حورام اخت » « حور الأفق » فأصدر الأمر بإقامة محراب هناك على أن تنصب فيه من الحجر الجيري الأبيض يكتب عليها اسمه العظيم « عاخبرو رع » محبوب « حور محيس » معطي الحياة مخلدا (١) .

(١) إشارة من الآلهة الأسيوية التي أصبحوا يعبدونها في مصر .

التعليق على هذا النص : ولا نزاع فى أن نص هـذه اللوحة يكشف لنا عن صفحة مجيـدة فى تاريخ حياة الفرعون بل فى تاريخ الحياة المصرية من الوجهة الرياضية والحربية ومقـدار شغف الملوك والشعب بهما ، هذا زيادة على المدائح والنعوت التى كان يوصف بها الفرعون عادة، أن « أمنحتب الثانى » تولى عرش البـلاد فى حوالى الثامنة عشرة من عمره بعـد وفاة والده العظيم « تحتمس الثالث » مباشرة، ولدينا نقوش قد تدل على أنه كان مشتركا معه فى الملك مدة ما ، لا نعرف مداها على وجه التحقيق . وقد كان أول من قدر بحق عمر « أمنحتب الثانى » عند توليه عرش الملك هو الـسير « فلنـدرز بترى » (راجع Petrie, "History", II. P. 154) .

ثم نجد بعد أوصاف هذا الفرعون عرضا رائعا لضروب أنواع الرياضة البدنية التى حذقها هـذا الفرعون وهو لا يزال يافعا، ولا نزاع فى أنها كانت متوجيـه من والده الذى كان كما سبق يجيد ضروب الرياضـة ويتفوق فيها على رجال حشنه قاطبة، غير أن « أمنحتب » قد تخطى والده فى صنوف منها وأحرز قصب السبق فى ضروب لم نعرف أن والده قـد زاولها . وتدل الظواهر على أن « أمنحتب » الثـانى لم يكن مولودا فى « منف » عاصمة الملك الثانيـة وحسب، بل كذلك قد تربى فيهـا ، ولا يبعد أنه كان فى أثنـاء اشتراكه مع والده فى الحكم قـد اتخذ مقر ملكه فى إحدى العاصمتين ، فبينما كان « تحتمس » يسكن « طيبـة » كان « أمنحتب » ابنه قد اتخذ مقره فى « منف » ، ونشاهد أن بطلنا كان قـد أخذ ينكب على التمرينات الرياضية المحببة إليه وإلى والده، وقد رأى معلموه أن يتخذ من إرشاد من والده طريقا أولا على الجرى أشواطا عديدة حتى أصبح لا يدانيه فى هذا المضمار جنـدى من رجال الجيش المحترفين ، ثم نجده قـد تدرب على التجديف فى النيل الذى كان يعد فى تلك الأزمان أعظم طرق المواصلات والتجارة ، فراه ركب ظهر سفينة كبيرة من سفن القصر معدة بمائتى مجداف وهو واقف فى الخلف

يقبض بيديه على مجداف طوله أكثر من عشرة أمتار (يحتمل أنه القمة) . وتدل الأحوال على أن السير في النيل كان صعبا بسبب التيار، فترى أنه بعد أن قطع الملاحون الذين كانوا بصحبته نحو نصف ميل خارت قواهم وتلاشت عزيمتهم، ولم يكد يرى « أمنحتب » ذلك حتى جاء لمعونتهم ، وأخذ يجدف وحده بقوة ونشاط ومثابرة لا تعرف الملل فنرى أنه قطع بمفرده نحو ستة كيلومترات ووصل بالسفينة إلى المرسى بصورة رائعة تسترعى النظر وتدهش اللب . حقا إن القارئ الحديث لا يكاد يصدق أنه كان في استطاعة بشر أن يأتى بمثل هذا العمل الخارق لكل ما هو مألوف، ولكن لا يفوته أن ملوك مصر كانوا من نسل الآلهة، وكان لا بد لهم أن يفوقوا البشر في كل شيء بمراحل ! ! ثم نرى هذا الأمير الفتى يعرض أمامنا صورة أخرى من تفوقه في ضروب الرياضة البدنية والمهارة اليدوية . فبعد أن حاز قصب السبق في مضمار التجديف نجده يبارى في تصويب سهامه في الرماية، فقد كان الرماة في سالف الأزمان يكتفون برمى الهدف وإصابته، ولكن منذ استعمال الخيل والعربات في الصيد والحروب كان من مستلزمات فارس العربة أن يكون ماهرا في الرماية وهو في عربته ، ويكون قادرا على إصابة مرماه على الرغم من حركات الخيل وقفزها بسرعة عظيمة .

ولقد أراد « أمنحتب » الثانى فضلا عن ذلك أن يظهر تفوقه في ضروب الرماية على والده « تحتمس الثالث » الذى كان على ما نعلم أول من استعمل هدفا من النحاس بدلا من المستهدف الذى كان يصنع عادة من الخشب . وقد اختار البقعة التى تحيط « بعفت » على مقربة من السهل الذى أقيم عليه الأهرام و « بو الهول »، وهذه الجهة كانت على ما يظهر مسرحا مختارا للصيد والقنص . وتحدثنا النقوش أن الفرعون قد بذل مجهودا عظيما في العناية باختيار السلاح الذى أراد استعماله في رمايته، إذ قد امتحن نحو ثلاثمائة قوس على التعاقب ليحكم صنعها، وليعرف غثها من ثمينها ، ثم انطلق بعد اختيار سهامه في ميدان الرماية حيث كان قد نصب

له أربعة أهداف على مسافات متساوية كل هدف منها صنع من لوح من النحاس سمكه يساوى سمك راحة اليد، وعندئذ فوّق سهامه بدقة وحذق وقوة ساعد، ثم يخترق منها سهم واحد، هذا فضلا عن أن كل سهم قد اخترق هدفه النحاسي ومرق في الجهة الأخرى هاويا على الأرض. وهناك فرق واضح في الرماية لأن سهم الأمير على الرغم من أنه قد أصاب الهدف إلا أنه لم ينفذ كله منه إلى الجهة الأخرى. إذ يقول المتن " وقد فوّق سهامه على لوحة من النحاس بعد أن تهشمت كل الأخشاب كأنها البردي، وقد وضع جلالته واحدا منها في معبد «آمون» وهو هدفٌ سمكه ثلاث أصابع رشق فيه سهم من سهامه، وقد جعل السهم ينفذ في الهدف مقدار ثلاثة أشبار من الجانب الآخر".

ومن هذا نعلم أنه ضرب الرقم القياسي في الرماية. وبهذه المناسبة لا يسعنا إلا الإعجاب بالمهارة الفنية التي نالها هذا الأمير صبيا وساق بها جياده وهو يفوّق سهامه، وقد كان «تحتمس» الثالث الذي ينسب إليه هذا الفضل يحس حسن مستقبل ابنه في هذا الميدان إلى أبعد حد، ولذلك نجده قد سلمه قياد أكرم جياده التي كانت تربى في الحظيرة الملكية «بمنف»، وكذلك وكل إليه أمر تدريبها، وقد برهن «أمنحتب» من ناحيته على أنه كان خليقا بهذه الثقة الغالية تماما، فنجده قد درب جياده على كل أنواع السير كما مرنها على الجرى أشواطا بعيدة دون أن يلحقها تعب لدرجة أنها كانت تقطع المسافات الشاسعة عدوا من غير أن يسيل عرقها. وقد ترك لنا «أمنحتب» الثاني برهانا قاطعا على حسن عنايته وتمهيده خيله، إذ قد عثر على لوحة صغيرة من «الكرنلين» (حجر الدم) مثل عليها هذا الفرعون وهو يقدم العلف لجواده بنفسه، وقد قلده في ذلك «رعمسيس الثاني» كما سنرى بعد بعد (راجع Hall, "Catalogue of Scarabs" I. P. 161, No. 1640).

وفي خلال إحدى الجولات التي كان يقوم بها للرياضة في سهل «منف» أدى به المطاف إلى الوقوف في بقعة بجوار تمثال «بو الهول» العظيم (وهو الذي يمثل

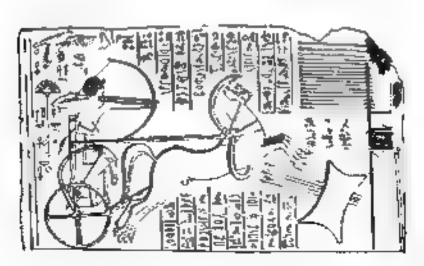
صورة إله الشمس) التي يرمز في حرم معبد « خفرع » ، وقد أعجب تمثال هذا التمثال الذي أصبح محجا الزوار من الملوك وغيرهم . وقد خلدت في نفسه ذكريات عميقة الأثر لهذه الزيارة وتلك اللحظات السعيدة التي أمضاها بجواره ، حتى أنه لما اعتلى عرش الملك كان من أول أعماله إقامة لوحة تذكارا لتلك الزيارة وتبركا بهذا الإله العظيم الذي كان يعتبر في عصره من أعظم الآلهة المصرية ، كما أقام محرابا لهذه اللوحة كان قبلة الزوار الملوك من أخلافه ، وكتبة تركوا لنا فيها آثارهم .

ولقد حقق « أمنحتب » فراسة والده في مستقبله فبرهن على أنه كان ملكا نشيطا وبطلا لا يجد التطرف إلى قلبه سبيلا ، فقد ظهر منتصرا في ساحة الوغى أكثر من مرة على أعدائه في « آسيا » كما سنرى ، على أن انهماكه في مكافحة الثائرين في البلاد الخاضعة لمصر لم يمنعه مزاولة ضروب الرياضة المحببة إليه في أثناء فراغه ، حتى وهو في ساحة الوغى كما تدل على ذلك الوثائق المختلفة التي وصلتنا حتى الآن .

مشاهد أخرى يظهر فيها أمنحتب مهارته في الرماية : لقد عثر مهندس البناء « شفرييه » (A. S. Vol. XXVIII P. 126 Fig. 5) ، في أثناء إصلاح البوابة الثالثة التي أقامها الفرعون « أمنحتب » الثالث على قطعة ضخمة من الجرانيت أسود وجدها يظهر مثل فيه الفرعون « أمنحتب الثاني » ، وهو يفوق سهمه لإصابة الهدف ، هوايته المحببة ، وهذا المنظر يكاد يكون شرحا مصورا للنص الذي جاء في لوحة « بو الهول » الخاص بالرماية (أنظر لوحة ٣٩) ، غير أنه يشير إلى معجزة أخرى من مفاخره في هذا المضمار ، إذ نشاهد فيه « أمنحتب » يتقدم عربته التي يجرها جوادان من أصائل الخيل تعمه أبهة الملك وعظمته فوق خلال سير العربة وهو يفوق سهمه بدقة ويشد قوسه بقوة حتى أنه كما تدل على ذلك متنه « بين » ثم يطلق السهم تلو السهم فيصيب المرمى أربع عشرة إصابة ، ويعد الهدف الذي كانت تفوق إليه السهام هو قطعة من النحاس مستطيلة الشكل . والنقوش التي

على هـذا المنظر تصوير ما قام به الفرعون في هـذا المضمار فاستمع إليها : « الإله الطيب السخي بعونه ، والذي يعمل بساعديه في مقدمة جيشه ، والقوي البأس في حلبة فرسه ، ومن يفوق سهامه نحو عدوه فلا تخطئ هدفها ، ومن يخترق سهامه على قوالب من النحاس فيخرقها كأنها أعواد بردى ، وه لم يكن هدفه المصنوع من الخشب يشبع طموحه لأن قوته كانت عظيمة جدا وساعده شديد منقطع النظير بل هو الإله « منتو » عندما يظهر على عربته » .

وكذلك عثر على قطعة من النحاس منحنية الجانبين وهى تشبه ركيزة من المعدن الثقل كانت مما يقدم أحيانا جزية . وقد استعملت هدفا . وقد وجدت على الأرض وشوهد أنه قـد مرق فيها أربعة أسهم ، ويقول المتن المصرى لها : أما قالب عظيم (هدف) من النحاس الثقيل كان يستعمله جلالته هدفا وكان سمكه ثلاث أصابع (سبعة سنتيمترات) وقد اخترقه صاحب القوة العظيمة بعدة سهام ، وجعلها تمتد في هـذا الهدف الذي يبلغ طوله ثلاثة أشبار ، وأنه هو الذي يفوق سهامه بضربات متتالية ، وهو صاحب الساعد القوى ، ورب القوة ، وإن جلالته لم أنهى هذا العمل العظيم أمام الناس أجمع . (راجع Van de Walle, "Les Rois Sportifs de l'Ancienne Egypte" Chronique d'Egypte: Vol XIII No. 26 Juillet 1938, pp. 234-257) وفى « المدمود » عثر له على قطعة من الحجر



(٣٨) أمنحتب يفوق سهمه لإصابة الهدف

(راجع Bisson de la Roque. "Medamoud" (1927 - 1928) P. 145.) - جاء منقوشا عليها « إن السهم الذي (أمنحتب) قد اخترق سمكه ثلاثة أصابع طول الهدف ، وأن الفرعون قد تحدى أي شخص كان في أن يأتي بمثل هذا العمل الفريد » .

نقوش لوحتي «أمدا» : ولا يسعنا بعد سلسلة البراهين والشواهد التي أوردناها هنا على نبوغ « أمنحتب الثاني » في فنون الرياضة والفروسية إلا أن نثبت هنا مع سلف مقدمة النقش التذكاري الذي دون على اللوحتين اللتين أقيمتا في معبدي « أمدا » و « إلفنتين » إذ أن هذه المقدمة قد رسمت أمامنا بألفاظ معبرة عن صورة هذا الفرعون الشجاع الجسمية والخلقية معا ، وعلى الرغم من أن معظم هذه الأوصاف كانت تقليدية تقال في وصف كل فرعون إن صدقا وإن كذبا ، إلا أن الإنسان لا يسعه إلا اعتبارها حقيقة إلى حد ما عندما يوصف بها « أمنحتب » الثاني (راجع L. D. III, Pl. 65, Kuentz, "Deux Steles d'Amenophis II. (Steles d'Amada et d'Elephantine) Bibliotheque d'Etude de l'Institute Français d'Archeologie Orientale du Caire" Vol. X (Cairo, 1925) pp. 6 - 12; Schafer, A. Z. XXXVIII, p. 67, Sethe, ibid, XLVII, p. 65. وإليك هذه المقدمة : « السنة الثالثة الشهر الثالث من فصل الثالث اليوم الخامس عشر من حكم جلالة ... ... أمنحتب الثاني ... ... الإله الطيب الذي يشبه « رع » والذي خرج من جسمه القوي ، وصورة « حور » على عرش والده ، والعظيم البأس ، من لا نظير له ، والمنقطع القرين ، الفرعون هو الساعد العظيم الخطر ، ومن لا يستطيع فرد من بين جنوده ولا من بين رؤساء البلاد الأجنبية (الهكسوس) ، ولا من بين أمراء سوريا أن يشد قوسه ، لأن قوته عظيمة تفوق قوة أي ملك ، ولا يوجد من يقاومه[1] أسد يحارب بجانبه ، قوي الذراع شديد في المعمعة ، وثور يحمي مصر ، ثابت الجنان في ساحة الوغى

---

(١) وهذه العبارة هي أساس الخرافة المروية التي ذكرها « هيرودوت » وهي التي تقول إن « قمبيز » هو الذي لم يستطع أن يشد قوس ملك « إثيوبيا » (راجع A. Z. XXXVIII, P. 66) ، وهي عبارة صادفها عادة مذكورة في الوثائق القديمة ، ومن المدهش أنه عثر على قوس « أمنحتب » الثاني في قبره وقد نقش عليه نص يصفه بأنه ضارب الحيثيين ، وهازم الكوش ، ومخرب [illegible] ومدمر [illegible] مصر النظيم وحامي جنوده (Cairo Catalogue 24120) .

متقدماً عن ساعة العصر، ومسابق أولئك الذين يجرون عليه، ومصاحب الفئة السريعة على أقدام الصبح كلهم يصاحب رغبتهم حبا للزوارق بآلاف الآلاف، لأنهم يعرفون أن الإله «آمون» كان خلفه، ولأنه لا يعرف على القوة في أعدائه، وهو شبيه الإله «مين» في عام الفزع، ولا يوجد إنسان في مقدوره الوصول إلى ما وصل إليه، يحمل أقواسه مائة عاريين، وكذلك فإنه عاري القدمين. ولا غرابة إذن في أن يقلده الملوك الذين جاءوا بعده.

أمنحتب الثاني يقلد والده في كل أعماله : والظاهر أن «أمنحتب» الثاني كان يقلد والده في كل مراحل حياته من حيث الرياضة، والحروب، وحتى في الصيد والقنص في خلال حملاته في البلاد الأجنبية، فنحن نرى أنه بعد أن خضعت له بلدة «قادش» التي كانت من أعظم البلاد التي قاومت والده مدة طويلة دون أن تخضع لسلطانه، قد قام بنزهات الصيد والقنص كما قام والده في «نيي» بصيد الفيلة، وفي بلاد السودان بصيد الأسود والثيران الوحشية ثم بصيد وحيد القرن (خرتيت)، فنرى «أمنحتب» يخرج في غابات جبال «رابيو» للصيد والقنص يطارد فيها الغزلان والمهارى والأرانب الوحشية، والحمير البرية ويصيد منها عدداً يخطئه العد.

حروب أمنحتب الثاني

بقيت معلوماتنا عن الحروب التي شنها الفرعون «أمنحتب الثاني» في آسيا مقصورة على ما دوّن على لوحة «الكرنك» المهشمة التي نشرها «لجران» (راجع A. Z., Vol. XL, (1903) P. 126.) إلى أن كشف الدكتور «أحمد بدوي» عن اللوحة التاريخية العظيمة في خرائب «منف»، وهي التي تحدثنا عن حروب هذا الفرعون بصورة جلية كاملة إذا ما قارناها باللوحة التي نشرها «لجران». وقد نشر الدكتور «أحمد بدوي» عن كشفه الجديد في مقال رائع ترجم فيه النص وقرن

بعض ما جاء في لوحة «الكرنك» من الوجهة اللغوية . وسنورد هنا نص لوحة «منف» كاملة ثم نعلق عليه مع قرنه بلوحة «الكرنك» في الجزء المشترك بينهما (راجع A. S. Vol. XLII. P. 18) .

موازنة بين لوحتي «الكرنك» و«منف»

وصف لوحة منف[1] : يبلغ طول هذه اللوحة ٢,٨٥ سنتيمترا ، وهي من الحجر الرملي الأحمر المستخرج من محاجر الجبل الأحمر بالقرب من العباسية ، وفي أعلاها المستدير قرص الشمس المجنح ، وفي أسفله منظران أحدهما يشاهد فيه الملك يقدم إناءين من الخمر للإله «آمون» ، والثاني يشاهد فيه الفرعون يتعبد للإله «بتاح رب منف» ، وأسفل هذين المنظرين يوجد المتن ويحتوي على أربعة وثلاثين سطرا ، وقد تحدث فيها الفرعون عن أعماله الحربية ، وينقسم قسمين هامين : الأول يصف لنا حروبه مع بلاد «رتنو» في السنة السابعة من حكمه ، والقسم الثاني يتحدث عن حروبه مع الولايات الأسيوية الواقعة في شمال فلسطين في العام التاسع من حكمه .

---

(١) ويلاحظ أن لوحة «الكرنك» كانت من الجرانيت الوردي اللون ، وقد عثر عليها «ليجران» مرتكزة على البوابة الثامنة من الجنوب في «الكرنك» ، وقد وجدت مهشمة تهشيما كبيرا ، وعلى الجزء الأعلى منها منظران يظهر في كل منهما الملك «أمنحتب» الثاني يقدم القربان للإله «آمون» ، وبين هذين المنظرين سطر من النقوش يذكر الإصلاحات التي قام بها «سيتي» الأول لهذا الأثر بعد أن أتلفه رجال «إخناتون» ، ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن المتن يشتمل على أغلاط كثيرة ، ويرجع السبب في ذلك إلى إهمال أولئك الذين قاموا بإصلاح هذا المتن في عهد «سيتي» الأول بعد التهشيم الذي قام به رسل «إخناتون» في أثناء محاربته ديانة «آمون» .

النص المصري

مقـدمة (1): السنة الرابعة والخمسين، الشهر الأول من فصل الشتاء، اليوم التاسع والعشرون من عهد جلالة «حور» (الملك)، الثور القوي، صاحب السيدتين، سيد التاجين، عظيم القوة، المشرق في «طيبة» «حور» الذهبي، القابض والمسيطر على البلاد كلها، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين «منخبر رع» ابن الشمس: «تحتمس المقدس» (أمير هليوبوليس) معطي الحياة مخلداً، والمحبوب من «رع» و«مونتو» و«آمون» والجالس على عرش والده، وقد حقق أعظم قوة وأشد بأساً بالنسبة إلى خلفهم من قبل، وملك هذين البلاد ... «مونتو» ... وهو القابض بقوة ونشاط بأسه، مثل «منتو» عندما يظهر مدججاً بأسلحته، وبقيه ... على ... لأنه يأخذ بنواصي الثائرين.

التعليـق: ذكرنا فيما سبق أن الفرعون «تحتمس الثالث» قد توفي في السنة الرابعة والخمسين، الشهر الثالث، من فصل الشتاء، اليوم الأخير من الشهر، كما ذكر لنا «أمنمحاب» في تاريخ حياته، وعلى أثر ذلك تولى «أمنحتب الثاني» عرش الملك، ولقد ذكرت لنا لوحة الجيزة أن «أمنحتب الثاني» تولى عرش الملك

(١) نجد التاريخ في لوحة «الكرنك» ممحياً، ولذلك ذهب «بورخارت» وغيره إلى أنه في السنة الثانية من حكم هذا الفرعون مرتكناً في ذلك على ما جاء في لوحة «أمدا» التي أقامها هذا الفرعون في هذه الجهة بعد حروبه الأولى وحولها: إنه عاد من حملته الأولى في بلاد «آسيا»، وكذلك يعتبر المؤرخون أن هذه الحروب قد وقعت في السنة الأولى أو الثانية من حكمه، وبخاصة لأنه أحضر معه أسرى من بلاد «تخسى» وشنقهم في «طيبة» و«نباتا». غير أن هذا التاريخ لا يتفق مع ما جاء في متن لوحة «منف» التي يقول فيها: إنه رحب بجيشه في السنة السابعة في حملته الأولى إلى «آسيا». وكذلك متن لوحة «الكرنك» لا يتفق في كثير من التفاصيل مع متن لوحة «منف» كما سنرى، وهاك مقدمة لوحة الكرنك: [السنة الثانية (؟)] ... في عهد جلالة «حور» الثور القوي، عظيم القوة، جزء من «آتوم»، محبوب الإلهين، العظيم في القوة، المتوج في طيبة، حور الذهبي، الذي يقبض بقوته على كل الأرض، [ملك الوجه القبلي والوجه البحري] .. الأرضين «عاخبرو رع» سيد السيف القوي بالسل الأقواس التسعة، ابن الشمس من جسمه، رب كل الممالك، «أمنحتب الثاني» حاكم «هليوبوليس» الإله، معطي الحياة مخلداً مثل «رع»، وهذه المقدمة حسب النظر في ألقاب الفرعون لا تختلف في قليل أو كثير مع مقدمة لوحة «منف». (راجع Breasted. A. R. Vol. II. § 782)

في العبارة التالية : "والآن أشرق جلالته ملكاً وهو لا يزال شاباً جميلاً سليم الجسم بعد أن أتم الثامنة عشرة من عمره دائباً على ساعديه قوة" ، وقد قام حينئذ بحملته التي ذكرت على اللوحة التي نحن بصددها الآن في السنة الخامسة والعشرين من عمره أي أنه كان وقت سيره على رأسها قد اكتملت تجاربه الحربية ، وبخاصة أنه كان قد عاد من خوض غمار حرب قبلها في السنة الثالثة الشهر الثالث من فصل الشتاء ، اليوم الخامس بعد أن أوقع هزيمة بأسيره «تخسي» في شمال «سوريا» كما جاء ذكر ذلك على لوحتي «أمدا» و«الفنتين» .

الفرعون يخرب شاسو إدوم(1) : (راجع Gardiner, "Onomastica." I. P. 139 & 164.) وصف جلالته على بلاد «رتنو» في حملته الأولى الفقرة [illegible] على [illegible] أمرائه [illegible] الولاء ، وقد كان عيانه [illegible] الحروب على وجه الإلهة «باستت» [illegible] الإله «سخمت» في ساعة غضبها . وقد وصل جلالته بلدة «شاسو أدوم» [illegible] في طريقه [illegible] كالأسد المنصور عندما يجوب الصحراء . وقد كان جلالته يركب عربته الحربية التي كانت تسمى «آمون قوي» و«موت راضية» و«منتو» هو صاحب القوارع القوية » .

قائمة بالغنائم التي كسبها جيشه في هذا اليوم(2) ، [illegible] .

---

(1) هذه البلدة ذكرت في قائمة بلدان سوريا التي فتحها «تحتمس الثالث» وقد وحدها «ماسبيرو» بلدة «[illegible] أدوما» غير أن ذلك لا يتفق والواقع (راجع Maspero "Fragments d'une Etude sur la Geographie Egyptienne de la Syrie" Etudes de Mythologie et d'Archeologie Egyptienne" V PP 132-133.) .

(2) وجاء في متن «الكرنك» ما يأتي :

كان جلالته في مدينة «شاسو أدوم» وقد ضرب جلالته [illegible] هناك [illegible]
[illegible] راجع كان

قائمة الغنائم التي استولى عليها جلالته في هذا اليوم . ثمانية عشر أميراً [illegible]
[illegible] لوحة [illegible] إلا في ذكر [illegible] «شاسو
أدوم» [illegible] لوحة «[illegible]» [illegible] الفرعون كان قد قام بحملة [illegible]
[illegible] على هذه البلدة وهي الحملة الأولى التي [illegible] على بلاد «رتنو» في حملته الأولى [illegible]

وقوع معركة بعد اجتياز نهر الأرنت (نهر العاصي)[1] : وبعد ذلك اجتاز جلالته نهر «الأرنت» (نهر العاصي) فاقتحمه مثل الإله «رشف» ، ومن ثم ظل واجما ليحمي مؤخرته ؛ إذ كان قد لمح بعض الأسيويين قد عبروا متسللين وهم مدججون بأسلحتهم لمهاجمة جيش الفرعون . وحينئذ انقض جلالته عليهم انقضاض الصقر الإلهي . وعلى الرغم مما كانوا عليه من ثقة وطيدة فإن قلوبهم قد خارت الآن ، إذ تساقط الواحد منهم فوق رفيقه حتى قائدهم ، على أنه لم يكن بجانب جلالته أحد بل كان منفردا وحده بسيفه القاطع فأهلكهم جلالته بسهامه ، وتقدم بقلب فرح مثل الإله «منتو» شديد القوى بعد أن أحرز النصر على الأعداء» .

قائمة بالأسلاب التي غنمها جلالته في هذا اليوم : أميران ، وستة أشراف مع عرباتهم ، وخيولهم ، وكل أسلحتهم[2] .

مدينة «ني» تستسلم بدون مقاومة شديدة : وبعد ذلك زحف جلالته نحو بلاد «ني» ، غير أن أمير هذه البلاد ورعاياه من رجال ونساء قد أظهروا الولاء والطاعة ، وظهرت

— ليوسع حدوده على حساب أولئك الذين لم يظهروا له الولاء ، إذ قد يفهم من ذلك أنه قد أخضعهم مرة ، ولكنهم قد عادوا إلى شق عصا الطاعة ثانية فقام بهم ، غير أن ما يلي من المتن يشعر بتقارب المتنين لدرجة أن الحادثة في كلا المتنين واحدة .

(١) وجاء في متن «الكرنك» ما يأتي : الشهر الأول من الفصل الثالث ، اليوم السادس والعشرون ، عبر جلالته مخاضة نهر «الأرنت» في هذا اليوم ، ووصل عبر [... ...] [... ...] مثل «منتو» صاحب «طيبة» ، وقد رفع جلالته ذراعه لأجل أن يرى آخر الأرض (الأفق) وقد لمح جلالته عددا من الأسيويين آتين على عرباتهم [...] آتين مسرعين . تأمل إن جلالته كان مسلحا بأسلحة قتاله وقد ظهر جلالته (على العدو) بقوة [الإله «ست»] في ساعته (أي ساعة غضبه) فتقهقروا عندما نظر جلالته إليهم واحدا منهم ، وبعد ذلك ضرب جلالته نفسه ... ... حربته [...] تأمل إنه حمل هذا الأسيوي (أسيرة [...] وخيله) وعربته وكل أسلحة قتاله . وقد عاد جلالته بقلب فرح مثل والده «آمون» ، ومتعه (أي الملك) عيدا [... ...] .

(٢) وجاء في متن الكرنك : قائمة بما أسره جلالته في هذا اليوم : جواداه ، وعربة واحدة ، ودرع ، وقوسان ، وكنانة مملوءة بالسهام ، وزردة و [... ...] . ومن ذلك نعلم أن المعلومات هنا تتفق غير أن الغنائم كانت مختلفة .

على وجوههم الصحنة (وقد جاءت هذه العبارة في متن الكرنك هكذا ، وقد كان سور هذه المدينة رجالاً ونساء واقفين على جدرانهم وصاحوا من الإله الطيب » .

الملك يستولي على أوجاريت: « وبعد ذلك ضرب جلالته براحته بالقرب من « أوجاريت »[1] ونصب على كل أعدائه هناك . وكان أحكمهم كأنهم لم يمسوا بالأسر ، إذ جعل جلالته يخافهم ثم عاد راجعاً فرح القلب بما أن أصبحت هذه الأراضي الأجنبية قاطبة ملكاً خاصاً له » .

الملك يضرب خيامه في « تارص » وغيرها من الأماكن الحربية . « وبعد ذلك عسكر جلالته على مقربة من « تارش »[2] وهي في شرق « شباتن رام »[3] (= شمس الناهية) ، وبعد حرب أتى « منزاتو »[4] (Mungatu) ووصل جلالته حتى « عنبا » فخرج أميرها يطلب من فخامة جلالته ومعه أولاده ومتاعه ، وكذلك استقبل جلالته أهل بلاد « بنا »[5] (Unia) بسرور » .

قادش تعلن يمين الإخلاص للملك : « وبعد ذلك وصل جلالته أمام « قادش » فخرج أميرها لمقابلة جلالته بسرور ، ومعه صغار أولاده يمين الإخلاص لجلالته » .

---

(١) ركب جلالته قد يمتع (على ما جاء في متن الكرنك) أن بعض المتمردين الذين كانوا في مدينة « أوجاريت » قد عقدوا الاجتماع أن يطردوا الأوامر على طرد حامية جلالته التي كانت في هذه المدينة . ومن أجل ذلك ذبحهم وخلص المدينة منهم .

(٢) « تارص » أو « تاخي » : ذكر هذا المكان في حوليات « تل العمارنة » (٤ ، ٥ ، ١٢٦) وكتبت « تاخسي » وهو المكان المعروف بجبل الأقرع وهو الذي يسميه اليونان (Kasson) وفيه كان يعبد الإله « زيوس كاسيوس » ، ومن ذلك يعرف أن المراد « بأصحاب » الذي كان قد ترك « أوجاريت » بعد عبر « الأرنت » وعسكر على الجانب الشرقي من « جبل الأقرع » .

(٣) شباتن رام هذا المكان لم يأت ذكره إلا في هذا المتن ومعناه « شمس الناهية » .

(٤) قرية منزاتو ومدينة عنبا ، لا بد أنهما يقعان بجوار الأخيرة ، وعلى أية حال فإن كل هذه الأماكن تقع على الجانب الأيمن من نهر « الأرنت » .

(٥) هذه المدينة التي تقع في سوريا الشمالية قد جاء ذكرها منذ عهد « تحتمس الثالث » (راجع Urkunden. IV, P. 789) غير أن موقعها بالضبط لا يعرف حتى الآن ، وقد جاء في المتون الآشورية باسم « بنى » وتقع في الإقليم الواقع شمال « قادش » .

«ثم قام جلالته بإقامة حصن من الخشب بجانب أمامهم في الجهة الشمالية من هذه المدينة، ثم حط في غابات جبال «رابيو» وقنص غزلاناً(1) وحباري وأرانب وحشية وحميراً برية يعجز عنها العد».

الملك يقوم بنفسه بفتح خاتشابو : «ثم سار جلالته بعربته نحو مدينة «خاتشابو»(2)، وقد كان وحيداً لا يرافقه أحد، وبعد مسير قصير عاد من هناك بعد أن جلب معه عشرة من الأمراء وساقهم بجانب عربته، وكانت كلها معه مشدودة بها (مقطوعة) معلقة على عجلة عربته، وسيقت ثيراناً سائقاً أمامه، وعلى ذلك طلبت هذه المدينة الأمان من جلالته».

الفرعون يقبض في عودته إلى الوطن على رسول معادٍ : «وبعد ذلك سار جلالته جنوباً في وادي «شارونا»(3)، فقابل جلالته رسول أمير «نهرين»، وكان يحمل (حول) عنقه كتاباً على لوحة من الآجر، فأخذه أسيراً بجانب عربته، ثم خطا جلالته على جواده وحملها على عربته، ومعه الشريف السوري وحده أسيراً».

العودة نحو منف وملخص الغنائم التي عاد بها الفرعون : «ولقد وصل جلالته إلى «منف» وقد كان قلبه فرحاً مثل قلب الثور القوي».

قائمة الغنائم : «حياة وسعادة وصحة: أمراء سوريا ... (؟)، مارينو ... امرأة، مارينو ... كنعانيون ... وأولاد وكل ما كان من أتباع الأمراء، وكذلك محظيات أمراء من كل الأراضي الأجنبية ... وما كان يحليهن من الفضة والذهب

(1) لا شك أن غابة «رابيو» تقع بالقرب من «قادش» حيث يوجد عدد عظيم من الحيوانات البرية والطيور، فقد ذكر الفرعون «تحتمس الثالث» ١٢٠ فيلاً خلال حملة (راجع Urkunden IV P. 862ff.) ولا نزاع في أن غرض الفرعون من إصابة الصيد أمام أركان الحرب هو إظهار ما كان عليه الفرعون من الحذق في إصابة المرمى.

(2) تقع مدينة «خاتشابو» على بعد ثلاثين كيلومتراً جنوبي «صيدا» على ساحل «فينيقيا»، وقد جاء ذكرها في خطابات «تل العمارنة» «خاتشابو»، والظاهر أنها هي البلدة التي تسمى الآن «حسبية» عند منبع نهر «الحاصباني».

(3) شارونا (شارون): ذكرت هذه البلدة في خطابات «تل العمارنة» باسم «شارونا» وهي في سهل البحر الأبيض المتوسط بين «يافا» و«قيصرية».

الذى كل يحمله ، ويبلغ الكل أربعة عشرة ومائتين وألفين[1] ، يضاف إلى ذلك مشروب وما شابه يجود وكلاتوه وسبعاية عربة بكل معدات الحرب ، وقد أحضر الزوجة الإلهية والزوجة الملكية[2] ، والأمير الملكى العظيم جلالته[3] » .

---

(١) المجموع الذى أعطى فى النص خطأ ويجب أن يكون جملة وخمسين ومائتين وألفين

(٢) المقصود بالزوجة الملكية هو « تى ءا » التى عثرنا على جزء من تمثال فى معابد إخميم ، وكذلك يحتمل أن المقصود هنا بزوج الإله هى أم الفرعون « امنحتب الثانى » « مريت رع حتشبسوت » الثانية وتميز هذه الألقاب هنا صعب جدا ، ومن المحتمل أن « تى ءا » كانت تحمل كل هذه الألقاب بعد أن وضعت « تحتمس الرابع » على العرش

(٣) جاء فى متن الكرنك عن فتح بلدة « ن » ما يأتى : « الشهر الثالث من الفصل الثالث اليوم العاشر وقد زحف جلالته منه ما كان سائرا عبر المتوب إلى مصر على خيله إلى بلدة « ن » . تأمل ثان أسيوى هذه المدينة رجالا ونساء كانوا راضين على جدرانهم يحيون جلالته ... الإله الطيب » ويلاحظ أن هذه المتن يقرب بعض الشىء من متن لوحة « منف » كما يلاحظ أن فى لوحة الكرنك يذكر المتن تواريخ الحملة وقد حلت محلها لوحة « منف » . بعد ذلك جاء المتن بالتقلات العظيمة يرد عن جهة مرد « طراضه » : « وحتى بلدة « ارجارت » قد كتبت بطريقة مختلفة فى متن « الكرنك » تأمل ! إن جلالته قد سمع ما قيل من أن بعض أولئك الأسيويين الذين كانوا فى مدينة « إكاثى » (Ikathy) قد تآمروا على عمل خطة لطرد حامية جلالته الذين كانوا فى المدينة لأجل أن يطردوا ... الذين كانوا على ولاء جلالته ، وعندئذ وضعهم جلالته فى [... هذه الخطة ... وهزمهم (؟) فى الحال ، وجعلهم هذه المدينة ... عند كل بلاد كذا ... الشهر الثانى من الفصل الثالث اليوم العشرون جاء من ... [...] حصل مدينة « إكاثى » ... ... وباقى الأسطر من اللوحة حتى سطر ٢٩ لا نجد منها إلا بعض عبارات مبعثرة أهم ما فيها هى الكلمات الثالثة « من أطفاله » تقرير عما استولى عليه جلالته (سطر ٢٤) عربة (سطرا ٢٦) ، ثلاثة الأسرى (سطر ٢٧) أسلحة حرب لا حصر لها (٢٨) وكان جلالته يحدد شعار ملكه » ويظهر هنا المتن متن لوحة « منف » تجد أن بلدة « إكاثى » لم يرد ذكرها فى المتن الأخير . وكذلك نجد من بين الألفاظ التى جاءت مبعثرة فى متن « الكرنك » مع متن « منف » أنه ليس هناك أى شك بل نجد أن الفرعون قد فتح بلدانا أخرى ربما جاء ذكر بعضها فى متن الكرنك المهشم

وقد كانت آخر بلدة من بها الفرعون فى عودته إلى مصر فى متن الكرنك هى بلدة « ... » (Khatithana) أما فى لوحة « منف » فقد جاء أنه قفل راجعا بعد فتح « خاتثانه » على بلده =

= وحاربوه ، وسبايا «منف» . أما في متن الكرنك فإنه قد ورد أنهما من «حابانا» إلى «منف» وهاك المتن الذي يلي :

« . . . جلالته ليلة في «حابانا» ... ... أمام الرئيس ... ... القبيسة عوضاً من جلالته ، رؤساؤه وضباطه ، وأطفاله قد سيقوا أسرى ، وكذلك كل ثروته . [تقرير عما استولى عليه] جلالته ... ... عليه .

العـودة إلى منف وكذلك في متن الكرنك نجد كاتب اللوحة قد أعطانا تاريخ العـودة إلى «منف» ولم يبق منه إلا يوم الشهر وهو التاسع والعشرون . ونجد في هذا المتن تفصيلات لا توجد في متن «منف» وهاك متن لوحة الكرنك ... ... اليوم التاسع والعشرون خرج جلالته من معبد صاحب الوجه الجميل (بتاح) منصباً إلى «منف» حاملاً معه الغنيمة التي سلبها من بلاد «رتنو» .

قائمة بما استولى عليه :

٥٥٠ + من أمراء المريانا أحياء .
٢٤٠ — من أزواجهم
٦٨٠٠ — دبنا مصنوعة أشكال من الذهب (= ١٥٧٤ رطلا) .
٥٠٠٠٠٠ — دبنا من النحاس (= حوالي مائة ألف رطل) .

٢١٠ جواد .
٣٠٠ عربة .

ولقد شاهدت كل البلاد انتصارات جلالته . اسم الإله الطيب سيد الأرضين ورب القربان ، «منخبرو رع» حاكي ... «طيبة» ، المحتفل بأعياد بيت آمون ، سيد «طيبة» [... ...] ابن الشمس «تحتمس» الرابع معطي الحياة أبد الآبدين .

وإذا قرأنا ما جاء في هذا المتن بما في متن «منف» نجد أن هناك بعض الفروق ، وبخاصة في عدد الأسرى كما نجد أن متن «منف» قد أغفل كمية أوزان الذهب ومقدار النحاس ، وكذلك نلحظ أن أثر ... عن قيام الفرعون عند دخوله «منف» أنه زار معبد الإله «بتاح» ثم ذهب إلى قصره ، وأخيراً نجد أن هذا المتن قد نقشه «تحتمس الرابع» ابن أمنحتب الثاني بعد وفاة والده .

حملة السنة التاسعة

التاريخ : « السنة التاسعة الشهر الثالث من فصل الربيع اليوم الخامس والعشرون . زحف جلالته على بلاد « رتنو » في حملته الثانية المظفرة على بلدة « أبق »[٤] فطلب أهلها الأمان بسبب « أن أموره الفرعون له القوة والشجاعة والصحة من الانتصارات » .

الفرعون يسير نحو « يحا » ويخرب القرى المجاورة : « ثم زحف بعد ذلك جلالته بجياده ومشى بنفسه نحو « يحا » ، فخرب جلالته قرية « ما باسن »[١] وقرية « خاتجلب » وهما قريتان غرب « سوكا »[٢] وقد عاد جلالة الملك كالصقر المقدس ، وعندئذ طارت جياده كالشهاب حينما ينقض من السماء ، ولم يكد جلالته يدخل العاصمة حتى أسر أمراء البلدة وأولادهم وزوجاتهم ، وكل أتباعهم وكل متاعهم الذي لا يحصى من ماشية وجياد والماشية الصغيرة » .

الإله آمون يظهر للفرعون في حلم ويمنحه القوة : « وقد استطاع جلالته أن يستريح فمثل في النوم جلالة هذا الإله الفخم « آمون » رب « الكرنك » إلى جلالة ابنه الملك « عا خبرو رع » يمنحه القوة ، وقد كان الإله « آمون » يرغب في أن يحمي بأعضاء هذا الفرعون » .

الملك يحرس بمفرده أسرى الحرب الذين أسرهم في بلاد السامريين : « وفي الصباح المبكر سار جلالته في عربته صوب بلدة « إتورين » (Iturya) ثم بلدة « مجدل يوتن »[٤] ، وقد كان جلالته في قوة الإلهة « سخمت » ومثل الإله « منتو » في « طيبة » فأسر أمراءهم وجملة عددهم أربعة وثلاثون ، وكذلك استولى على سبعة وخمسين عبداً ، وواحد وثلاثين ومائة أسير ، واثنين وسبعين

---

(١) المقصود هنا هو « ماباسن » التي تقع في أقصى جنوب جبال جلبوا (Gelboa) في شمال فلسطين على بعد عشرة كيلومترات من « بيت شان » (Beth Schan) ، ويدل النص الذي بين أيدينا على أن تلك الحروب شنت على فلسطين الشمالية .

(٢) تقع كل من بلدة « ماباسن » و « خاتجلب » غربي « شويكة » في إقليم السامريين .

(٣) أما « سوكا » فهي بلدة « شويكة » الحالية الواقعة شمالي « كالمس » .

(٤) الظاهر أن بلدتي « إتورين » و « مجدل يوتن » تقعان في إقليم السامريين ، غير أن موقعهما بالضبط لا يمكن تحديده ولكن شواهد الأحوال تنبئ بأنهما على مقربة من بلدة « شويكة » ، وذلك لأنه من المؤكد أن الفرعون بعد رؤيته التي رآها في نومه بجوار شويكة قام بحملة في الصباح المبكر وهاجم هاتين القريتين .

وكنانة به ، ودروعه وقسي جوادها ، وأريج ... عربة حرب بكل معداتها ، كما استولى من كل الرجال الباقين وأطفالهم ونسائهم ، وكل متاعهم . ولما رأى جلالته كثرة الغنائم التي استولى عليها أراد أن يأخذ الأسرى أحياء فحفر خندقين حول أولئك الأسرى ، وسهر على حراستهم حتى مطلع الفجر وفي يده (بلطة) ثلاثة ، وكان وحده وحيدا لا أحد بجانبه ، وكان جنوده بعيدين عنه على الطريق ، ولم يسمعوا إلا صوت ... من الفرعون . وفي الصباح الباكر من اليوم التالي سار الفرعون على جواده ثانية ، وكان مدججا بأسلحة الإله « منتو » .

الفرعون يقيم في « آنا وخرات » في عيد التتويج : « وفي يوم عيد تتويج جلالته[1] جيء ببلدة « آنا وخرت »[2] : قائمة بغنائم جلالته في ذلك اليوم بعينه : سبعة عشر شريفا أسيويا وستة من أولاد الأمراء وثمانية وستون أسيويا ، وثلاثة وعشرون ومائة به (خطرة) ، ... جواد ، وسبع عربات حرب من الفضة والذهب ، وكل معدات حربها ، وثلاثة وأربعون وأربعمائة ثور ، وسبعون وثلاثمائة بقرة ، وعدد لا يحصى من الماشية الصغيرة ، وقد قدم كل الجيش الغنائم التي جلبها للفرعون من ... وجياد وماشية صغيرة » .

الفرعون يستولى على « حرجور » أمير « قباصوسته » : « ثم ... جلالته على « حرمكن » وأسر أمير « قباصوسته »[3] واسمه « حرجور » ، وقد استولى كذلك على زوجه وأولاده وأتباعه ، وعين بدلا منه أميرا آخر » .

العودة إلى « منف » وإحصاء الغنائم : « وبعد ذلك وصل جلالته راجعا إلى مدينة « منف » وقلبه منعم بالسرور من كل البلاد الأجنبية ، وذلك بعد أن جعل كل الأصقاع تحت موطئ نعليه » .

---

(١) يوم تتويج الفرعون كان اليوم ... [illegible] ... « آنا وخرات » ... وخمسة أيام وخمسة شهور من بداية الحملة التي قام بها الفرعون في السنة التاسعة من حكمه .

(٢) وهذه « آنا وخرات » لا يعرف موضعها بالضبط وقد ذكرت في حروب « تحتمس الثالث » (Urk. IV P. 783.) وهي البلدة ... [illegible] ... « حورة » ... التي ذكرت في (Joshua, 19,19) .

(٣) لقد ذكرت إمارة « قباصوسته » في حروب « تحتمس الثالث » (Urk. IV. P. 782.) ويقول ... عن هذا المكان « ... » أنه يقع على ... جنوبي « ... » ويقول عنه « ... » إنه « ... » « تل ... » .

قائمة بالغنائم التي عاد بها جلالته إلى الوطن : «سبعة عشر ومائتا أمير من «رتنو» وتسعة وثمانون ومائة من إخوة الأمراء، وستمائة وثلاثة آلاف من العبرو[١]، ومائتان وخمسة عشر ألفا من البدو، وثلاثة وستة وثلاثون ألفا من السوريين، وستمائة وخمسة عشر ألفا من أسرى «نخس»[٢] (لا عاش) حيث إلى ... وخمسين وستمائة وثلاثين ألفا من أتباعهم، فيكون المجموع الكلي ستمائة وتسعة وثمانين ألف نسمة[٣]، يضاف إلى ذلك ماشيتهم التي لا تحصى، وكل مواشيهم الكثيرة التي أعطاها للملك، هذا إلى ستين عربة حربية من الفضة والذهب، وستين وألف عربة، وعربات حربية من الخشب بكل عدتها الحربية وكذلك عشرون وثلاثون عشر ألفا من الجياد، وذلك بقوة الإله «آمون» الوالد المحبوب منه، والذي منحه حمايته، والإله «آمون» هو الذي منحه الشجاعة[٤]».

أمراء آسيا العظام الذين راعتهم انتصارات الفرعون يرسلون رسل السلام إلى البلاط : «ولما سمع أمير «مسرين» وأمير بلاد «خاتي» وأمير «سانجار» بالانتصارات العظيمة التي أحرزها جلالته، حمل كل واحد منهم هدايا الفضة والذهب إلى كل الأراضي الأجنبية ولد

---

(١) إنه أهم ما يلفت النظر هنا في قائمة الأسرى ذكر أجناس الأقوام الذين كانوا يقطنون «سوريا» بالتفصيل منذ عهد الدولة القديمة، وقد ذكروا بالترتيب من الجنوب إلى الشمال، ومما له أهمية عظمى بين أولئك الأقوام الذين ذكروا هنا لأول مرة بوصفهم سكانا لغرب فلسطين «عبرو» (العبرانيون فيما بعد) وقد جاء ذكرهم فيما بعد في خطابات «تل العمارنة» بلفظة «خبيرو» وهم العبرانيون الذين ذكروا في الكتاب المقدس ويرد اسمهم هنا بصفة ما بالذات (راجع رسالة أنطون يركو Anton Jirku, "Die Wanderung der Hebraer im Dritten und Zweiten Vorchristlichen Jahrtausend (Alte Orient, Bd. 24, Heft, 2. Leipzig).

(٢) وتسمى «نخس» بلاد ما ذكر في الخط المسماري «نوخاشي» Nuchasse، والظاهر أنه في ثنايا هذا الاسم قد حي أصل كلمة «لا عاش»، ومسألة «لا عاش» كانوا يسكنون في الإقليم الواقع بين «قرقيش» و«قادش» (تل نبي مندو)، وبلادهم لا تبعد كثيرا عن نهر الفرات عند ثنيته الغربية على شاطئه الغربي قبالة بلاد الفنيقيين (راجع Vgl M. Noth, "Lecach und Hazrak" (Z. O. P. V. Bd. 52. (1929). s. 138 -

(٣) يلاحظ هنا أن المجموع في المتن خطأ، والظاهر أنه قد ترك عدد ١٥٠٧٠ من الأسرى بسهو.

(٤) وجد هنا كذلك أن الكاتب قد ذكر هنا ونسي أن يذكر غيره، والظاهر هنا أنه عدد جياد لأن الحديث كان عن الجياد.

وطلبوا المرح على أن يطلقوا إلى جلالته أن يمنحهم نفس الحياة كما كان يعمل والد آبائهم، وقالوا: لقد حضرنا بها، بدا على القلاع يا ابن «رع» يا «أمنحتب» يا أيها الإله، يا أمير «هليوبوليس»، ويا أمير الأمراء، ويا أيها الأسد المنصور، وبذلك أبعد الخوف من هذه البلاد إلى الأبد».

ويدل ما لدينا من معلومات على أن «أمنحتب» الثاني قد قام بحروب في آسيا قبل الحملة التي يطلق عليها الدكتور «بدوي» الحملة الأولى في لوحة «منف» السنة السابعة من سني حكمه. غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن بداية لوحة الكرنك التي كانت حتى زمن قريب مصدرنا الوحيد عن حروب هذا الفرعون، قد ضاع منها الجزء الذي دون فيه.

تاريخ بداية الحملة الأولى: وقد ذهب بعض المؤرخين أنها السنة الثانية من حكم هذا الفرعون، وذلك استنباطاً مما جاء على لوحتي «أمدا» و«الفنتين» المؤرختين بالسنة الثالثة من حكم «أمنحتب الثالث»، وقد جاء في نقوشهما ذكر انتصار الفرعون على بلاد «التخسي» الواقعة في شمال «سوريا»، على أن البعض يظن أن هذه الحملة قد قامت في السنة الثالثة، وقد عملت حملته الأولى المظفرة إلى بلاد «رتنو»، على أن هذا التاريخ لا يتفق مع ما جاء في لوحة «منف» التي يذكر فيها أن حملته الأولى كانت في السنة السابعة من حكمه. وقبل أن نفحص هذا التناقض نضع أمام القارئ ما جاء على لوحة «أمدا» خاصاً بإقامة اللوحة التذكارية فيها، وما قام به الفرعون من حروب قبل السنة الثالثة. «وبعد ذلك أمر جلالته بنصب هذه اللوحة لتقام في المعبد في مكان «موقف الملك»[1] ونقش باسم سيده الأرميه العظيم

---

(1) «موقف الملك» هو المكان الخاص الذي يقف فيه الفرعون في تقديس الأحفاد لأداء الشعائر الدينية. وقد عرف من هذه «المواقف» واحد في «أمدا» وثان في «الفنتين»، وثالث في «طيبة» (في معبد «أمنحتب الثالث» في الجهة الغربية من النيل)، وكذلك يوجد واحد في «منف» (راجع Breasted, A. R. II. § 140.).

ابن الشمس « أمنحتب » الثاني حاكم « هليوبوليس » المقدس في بيت الآباء ، رع الإله ، بعد عودته جلالته من « رتنو » العليا ، وكان قد هزم كل أعدائه مادا حدود مصر في حملته الأولى المظفرة .

تضحية الأمراء الأسيويين : وبعد ما عاد جلالته بقلب فرح لوالده « آمون » ذبح بيده الأمراء السبعة الذين كانوا في إقليم « تخسي » وقد علقوا منكسي الرؤوس على مقدمة سفينة جلالته التي كان اسمها « عاخبرو رع » (أمنحتب الثاني) مؤسس الأرضين ، وقد علق ستة رجال من أولئك الخاسئين أمام جدار « طيبة » وكذلك تلك الأيدي[1] . أما الخاسئ الآخر فإنه أحضر إلى بلاد النوبة ، وعلق على جدار « نباتا » لأجل أن يظهر انتصارات جلالته أبد الآبدين في كل الأراضي والممالك أرض السود ، ومنذ ذلك استولى على أهل الجنوب ، وعلى أهل الشمال وهي الأراضي القاصية لكل العالم الذي يضيء عليه « رع » ، وذلك لأجل أن يجعل حدوده كلها على حسب ما يرغب فيه ، ولا أحد يقاوم يده كما أمر والده « رع » و « آمون رع » رب « طيبة » ، وذلك لأن ابن رع من جسده ومحبوبه « أمنحتب الثاني » حاكم « هليوبوليس » المقدس يعطى الحياة والثبات والرضا ، وسرور القلب على جانبه مثل « رع » مخلدا أبدا .

التعليق على هذه النصوص وملخصها : فهذا النقش الذي أرخ بالسنة الثالثة من حكم « أمنحتب الثاني » يدل دلالة واضحة على أن هذا الفرعون قد قام بحروب قبل حملته الأولى التي جاء ذكرها على لوحة « منف » . والواقع أن « أمنحتب » الثاني كان قد قام بهذه الحروب في السنين الأولى من حكمه ، وذلك لأن بلاد « تخسي » هذه لم تذكر لا على لوحة الكرنك ولا على لوحة « منف » الحديثة . غير أن المشكل هنا في ذكر عبارة « حملته الأولى المظفرة » التي جاءت على لوحة « أمدا » ثم جاءت على لوحة « منف » ثانية مع أن الأولى مؤرخة على أكثر تقدير بالسنة الثالثة ، والثانية مؤرخة بالسنة السابعة من حكمه ، فهل تشير هذه الجملة التي على اللوحة الأولى إلى أنه قام بهذه الحروب عندما كان مشتركا مع والده

---

(1) أي الأيدي التي قطعها من كل أصحابها .

في الحكم(١)، وأنه عندما انفرد بالملك تكلم عن حملة في السنة السابعة من حكمه باعتبارها حملته الأولى؟ هذا ما لا يمكن القطع به على وجه التأكيد.

حقاً إن النقوش تدل دلالة واضحة على أن «أمنحتب» كان قد اشترك مع والده في حكم البلاد كما أشرنا إلى ذلك من قبل؛ غير أننا لا نعلم مدة اشتراكه معه في الحكم. هل عندما بلغ «أمنحتب» سن الثامنة عشرة من عمره أشركه معه والده في الحكم، وأعطاه مقاليد الأمور في يده، وبقي يعمل منفردا في حكم البلاد حتى وافى والده الموت، وأصبح هو الملك الوحيد بلا شريك، ومن ثم قام بحملته الأولى المظفرة منفردا في السنة السابعة من حكمه أي أنه قد

---

(١) يعتقد كل من «زيته» (Untersuchung I. P. 55.) و«برستد» في اشتراك «أمنحتب الثاني» في الحكم مع والده «تحتمس الثالث»، ويقول «برستد» إن هذا الاشتراك لا بد كان قد بدأ في السنة الثالثة والخمسين، أو في أوائل السنة الرابعة والخمسين لأننا نجد «تحتمس الثالث» لا يزال يحمد في السنة الثالثة والخمسين L. D. III. Pl. 45e. & Sethe "Untersuchung" I, 23. No. 1. وأن «أمنحتب» الثاني وجد في السنة الثالثة من حكمه. وربما كانت الحملة التي قام بها في «آسيا» قد اتخذت في السنة الثالثة من حكم «أمنحتب» وكانت لا بد من القيام بها لموت «تحتمس الثالث»، وقيام الثورات في آسيا على إثر وفاته — فإنه من الراجح أن «أمنحتب» قد حكم مدة الأولى مع «تحتمس» الثالث، وحارب حروبه في «آسيا» في السنة الثانية وذهب إلى بلاد النوبة في سنته الثالثة [illegible] (راجع Breasted. A. R. II. § 180) في أن الأستاذ «أدولف إرمن» يقول إن هذا الزعم يناقض ما جاء في ترجمة حياة «أمحب» من ترتيب للعرش، إذ يقول إن «أمنحتب» تولى العرش بعد موت والده. أما من ناحية «أمنحتب» الثاني فقال والده «تحتمس الثالث» إلى «سب ولدى» وقد كتب على التمثال «الملك أمير» فإن المصدر الأخير ليس عقلا وموحدا. أما من حيث «أمدا» فإن «أمنحتب» الثاني لم يجر معاه مع والده في وقت واحد بل أكثر شأنه (راجع Breasted, "Temples of Lower Nubia", (A. J. S. L, Vol. XXIII, (1906). P. 48ff. Meyer, "Gesch" II, § 147 N. 1.

ومع كل ذلك فإن اللوحة التي أقامها «أمنحتب» الثاني في «منف» يستنبط منها أن «أمنحتب» اشترك مع والده

حسب سني حكمه بعد أن اشترك مع والده في الحكم ، وبذلك لا يكون هناك أي التباس في هذه العبارة في كلا النصين[١] . كل هذه الاختلافات قد تكون ناشئة أو شطط عن التصرف ، أما النقطة الثانية في نقوش « أمنحتب » الثاني الحربية فتنحصر في عدم انسجام ما جاء على لوحتي « الكرنك » ولوحة « منف » في كثير من النقط ، وخاصة في عدد الغنائم ونوعها ، وكذلك في ذكر المدن التي فتحها الفرعون . والظاهر أن هذا الاختلاف قد نشأ من أن اللوحة الجديدة قد أقامها الفرعون « أمنحتب الثاني » بعد عودته من الحملتين اللتين قام بهما في السنة السابعة والسنة التاسعة من حكمه في « منف » مسقط رأسه ، وهي المدينة التي استعرض فيها غنائم حربه ، أما لوحة الكرنك فيظهر أن الذي أمر بإقامتها هو ابنه « تحتمس الرابع » كما يدل على ذلك الحلية الأصلية التي جاءت على هذه اللوحة ، ولا بد أن الكاتب الذي دون نقوش هذه اللوحة لم ينقلها عن الأصل الذي في « منف » ومن المحتمل أن لوحة « الكرنك » كذلك قد احتوت حوادث حروب هذا الفرعون دون مراعاة الدقة في عدد الغنائم والبلاد التي فتحت ، بل نشاهد أنه قد ذكر عليها أحياناً تفاصيل لم توجد على لوحة « منف » وأحياناً نجد إغفال ذكر تفاصيل أخرى . ولا غرابة إذا كنا نجد أن « تحتمس الرابع » قد نقل حوادث حملة والده من التقارير الرسمية المحفوظة ضمن الوثائق الحكومية التي كانت تحفظ في سجلات خاصة ، ولا أدل على ذلك من أننا نجد تواريخ لتنقلات جيوش « أمنحتب » كانت تدون بكل دقة في صلب اللوحة ، والواقع أن « تحتمس » الرابع كان مغرماً بتخليد ذكر أجداده فهو الذي أقام مسلة « تحتمس الثالث » المنفردة كما فصلنا القول في ذلك بعد أن بقيت ملقاة على الأرض نحو خمسة وثلاثين عاماً .

---

(١) راجع ما كتبه عن هذا الأستاذ « ساندر » عن لوحة « سنوسرت » الثاني وما في ذلك من شبه مع « أمنحتب الثاني » (J. E. A. Vol 32 p 100).

هـذا فضلا عن أنه قد ذكر فيها ما دخل الخزانة من أموال مثل الذهب والماس مما أغفل ذكره في نقش لوحة « منف » ، كما أغفل ذكر تفاصيل الخيالة التي شمت في الوثائق الرسمية .

وسواء أكانت حملة بلاد « تحسى » قد قام بها « أمنحتب الثاني » خلال مدة اشتراكه مع والده في الحكم أم في عهد حكمه المنفرد ، فإنها كانت أول الحروب التي شنها على آسيا ، ومن المحتمل أن بلاد « تحسى » قد ذكرت في الجزء الذي ضاع على لوحة الكرنك ، على أنه لم يذكر على لوحة « منف » ، غير أن من المستبعد أن نجد « أمنحتب الثاني » يحصر مثل أسماء « التحسى » في ثلاثة نقوش أقامها في « أمدا » و « إلفنتين » وفي « أرمنت » ثم لا يذكرها في لوحته التي أقامها في « منف » ومدد فيها بالتفصيل كل البلاد التي فتحها حتى القرى الصغيرة .

ولا غرابة في أن نجد أهل ولايات « آسيا » قد أخذوا يشقون عصا الطاعة على هذا الفرعون الفتى ، إذ كانوا يريدون دائما أن يمتحنوا عود الفرعون الجديد لذلك كانت أخلاقهم ، لو يجدون مصرا أوليا لو مدخلا لزلزلا وهم يعجبون متحررين من نير الحكم المصرى ، وبخاصـة أن بقايا « الهكسوس » كانوا لا يزالون يلفظون النفس الأخير من حياتهم في تلك الجهات . هذا فضلا عن أنه من اللحظات الخطرة في حياة أية دولة ناشئة أن يشرق مجدها والبلاد التي فتحها لم تألف بعد عيشة الخضوع والاستسلام لحاكم لم يروا منه شيئا ، على أن من المشكوك فيه في نظر القوم أن يكون في قدرة الفرعون الجديد أن يظهر من النشاط العظيم ما يجعله ناجحا في إدارة حكم ممتلكاته مثل سلفه المتوفى ، ومشكوك كذلك في أن يكون عنده من المهارة ، وحصافة الرأي ما يجعله يقف ما على هـذه البلاد من حرية بصورة لا تجعل أهلها يفكرون تحت حكمها ، وإذا لم يظهر هـذا الحاكم الجديد أنه في قدرته المحافظة على ما تركه له سلفه من إرث بأي ثمن كان ، وأن عماله لا يزالون قادرين على السيطرة على مقاليد الأمور من غير جور أو فتور ، فإن رعاياه لا بد ثائرون عليه ، ومن ثم

يصبح غير الساحل فرصة سانحة لإعلان العصيان العام في كل أنحاء الامبراطورية والواقع أن أهالي « سوريا » قد أرادوا أن يمحوا عود هذا الملك الحديد كما عملوا مع والده « تحتمس الثالث » الذي خيبت مهارته الحربية رجاءهم ، وقضى على قوتهم قضاء سريعا لم يمكن يتوقع ذلك فإنهم أعادوا الكرة مع ابنه؛ فكان التنكيل بهم أشنع ، فقد قاد تلك الحملة الناهضة إلى بلاد « تخسي » وهي التي نكل بها بالأمراء السبعة كما سبق ذكره ، وتدل اللوحة الجديدة على أن أهالي « سوريا » وفلسطين قد أخذوا السكينة مدة حتى العام السابع من حكمه أي وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، وذلك عندما قام بحملته الأولى وسعد بجيشه على بلاد «رتنو» ليخضع أولئك الأمراء الذين شقوا عصا الطاعة عليه؛ فوصل إلى بلدة « شماش ادوم » نكل بها واستولى عليها في مدة قصيرة وكان هو الذي يقود الجيش بنفسه في عربته السهلة" « آمون قوى » و«موت راضية» و « خنسو » صاحب المشاريع العلية" ، وبعد أن غنم منها عجل النقائم عبر«نهر الأرنت» غير أنه أدرك في الحال أن بعض الأسيوين أرادوا أن يهاجموه من الخلف فعاد إليهم ثانية ، وانقض عليهم انقضاض الباشق الإلهي ، ولم تنفعهم كثرتهم شيئا بل دب في نفوسهم الرعب ، واستولى عليهم الفزع ، وتساقطوا مكدسين بعضهم فوق بعض حتى قائدهم ، وتقول النقوش إنه لم يكن ثمة من يقاتلهم في الميدان إلا «أمنحتب» وليس له رفيق إلا سيفه البتار، وقد غنم في هذه المعركة أميرين من أمراء هذه الجهة، وبعض الأشراف هذا إلى عرباتهم وخيولهم وكل أسلحتهم » .

والظاهر أن مدينة « ني » قد سمعت بانتصارات الفرعون ، وقوته بعث في نفوسهم الفزع حتى أن الفرعون لم يكد يظهر بجيشه أمام المدينة حتى رأى أهلها وعظماءها واقفين على أسوارها مقدمين له فروض الطاعة والولاء .

وبعد أن تم تسليم مدينة « ني » سار الفرعون بجيشه نحو « أوجاريت » (رأس الشمرة) الواقعة على مسافة[1] أحد عشر كيلو مترا شمالي «اللاذقية» وسرب حامية

(١) راجع : Gardiner, "Onomastica", Vol. I. P. 151.

هناك مهرم الملك هزيمة منكرة، وجعل عاليها سافلها ثم قفل راجعا بقلب يعمره الفرح وعلؤه الفخار بعد أن أصبح مسيطرا على كل هذه البلاد الأجنبية قاطبة ، وقد عفا الفرعون إلى تخريب «رأس الشمرة» ما عمه عن أهلها وعن عزمهم على طرد الحامية المصرية من هذه البلدة ، من أجل ذلك ذبح المتآمرين ، وخلص الحامية منهم . (انظر مصور « رتنو العليا ») .

بعد هذا النصر عبر «امنحتب الثاني» نهر العاصي ثانية وعسكر على الجانب الشرقي عند « جبل الأقرع » بالقرب من بلدة «سالى» ، ووقع على منحدر نهر « الأرنت » ، وطرق بلدة تدعى « شمش ادم » (الشمس العالية) وهو مكان غير معروف ، غرب قرية « سماتو » ، ولما سار جلالته إلى قرية « ختزع » خرجوا وعلى رأسهم أميرهم حاملين كل أمتعتهم وقد استقبلهم الفرعون بقلوب فرحة ، وقد سرى خبر ذلك إلى بلدة « ينقا » فخرج أهلها لمقابلته مقدمين فروض الطاعة أيضا ، وكل هذه البلاد تقع بالقرب من « قادش » على الضفة اليمنى لنهر « الأرنت » .

وبعد أن تم للفرعون الاستيلاء على هذه القرى والبلدان زحف إلى مدينة «قادش» العظيمة وعسكر أمامها ، ولم يكد أهلها يعلمون بوجوده حتى خرجوا لمقابلته بقلوب ملؤها الفرح والسرور ، وعقدوا له يمين الطاعة والولاء .

وبعد أن تم «لأمنحتب الثاني» النصر على كل هذه الأماكن ، وبخاصة الاستيلاء على « قادش » أراد أن يقلد والده « تحتمس الثالث » ، بل يفوقه في فنون الصيد والرماية ، فقام أولا بأعمال رياضية تدل على حذقه في إصابة المرمى ، وإحكام رمايته فأصاب هدفين من نحاس بسهامه أمام أهل المدينة ، ثم قام برحلة للصيد والقنص في غابة حيال « رابيو » ورجع من طرادة بغزلان ومهارى ، وأرانب برية ، وحمير وحشية لا يحصى عددها .

وبعد ذلك سار « أمنحتب » بجيشه متوغلا نحو مدينة « خاشابو » الواقعة على مسافة ثلاثين كيلو مترا من جنوبي « صيدا » على ساحل « فينقيا » (وهو

«صحيبة» الحالية عند منبع نهر «الحسبانى»)، ولم يستغرق الاستيلاء عليها إلا مدة قصيرة، وقد عاد منها بغنائم كثيرة، إذ ساق أمامه ستة عشر من أشرافها كما علق عشرين يدا من التي قطعها على مقدمة جواده، وكذلك قاد ستين ثورا، ولعمري فإن أعمال هذا الفرعون في مضمار الفروسية تذكرنا بسيرة «عنترة العبسي»، وأعمال فروسيته.

وبعد أن أحرز هذا الفرعون كل هذه الانتصارات المدهشة، ضرب خيامه في وادي «شارونا» الذي يقع بين «يافا» و«قيصرية»، وقد جعل وجهته الوطن، فقابل هناك رسول أمير «نهرين» وكان يحمل معه خطابا كتب بالخط المسماري معلقا في رقبته وعنوانه للفرعون، وساقه أسيرا بجانب عربته. وبعد أن مكث في هذا المكان فترة قصيرة قوض خيامه وحملها على جياده، وقد بقي معه هذا الشريف السوري أسيرا، وتابع بعد ذلك الفرعون السير نحو أرض الكنانة حتى وصل إلى «منف» عاصمة ملكه الثانية بقلب ملؤه البطولة، وتفيض منه القوة كأنه الثور القوى. وفي هذه المدينة المقدسة التي كان قد ترعرع وشب في ربوعها استعرض أمام الشعب ما غنمه في حملته الأولى المظفرة من البلاد التي قهرها، فدخل «أمنحتب» المدينة في عربته المصنوعة من الذهب تجرها كرائم الخيل، وسير خلفه تسعين وخمسمائة شريف سوري، وأربعين ومائتي امرأة وأربعين وستمائة كنعاني، واثنين وثلاثين ومائتين من أولاد الأمراء وثلاثا وعشرين وثلثمائة من الأمراء، وكذلك حظيات من البلاد الأجنبية كلها يبلغ عددهن سبعين ومائتي حظية يحملن حليهن من الذهب والفضة، ثم يأتي بعد ذلك عشرون وثمانمائة جواد، وثلاثون وسبعمائة عربة بكل ما يلزمها من عدة، ولقد بلغ من عظم هذه الغنائم أن أصبحت الملكة الدهشة من عظم ما أحرزه زوجها الفتى من النصر وما حمله للبلاد من ثراء.

والظاهر أن «أمنحتب الثاني» لم يكن في حاجة بعد ذلك القيام بحملة ثانية في العام التالي: كما كان يفعل والده بل بقي عامين في عاصمة ملكه، ولا يبعد أنه كان ينظم شئون البلاد، ويقيم المباني الفخمة التي خلفها في طول البلاد وعرضها كما سنرى.

وفى العام التاسع من سنى حكمه ماته الأخطار بقيام ثورة فى شمالى «فلسطين» فزحف فى الحال بجيشه فى ربيع هــذه السنة إلى بلدة «إبق» فى شمالى فلسطين وتقع على مسافة نحو خمسة عشر كيلو مترا من «بيت شان» وشنّ على أهلها الحرب ولم يمض طويل زمن حتى طلبوا إليه الأمان، إذ كان قــد هزمهم هزيمة نكراء، وبعد أن استقرت الأحوال فى هــذه البلدة سار بجيشه نحو بلدة «يحا» التى تقع على مسافة خمسة عشر كيلو مترا غربى «إبق» السالفة الذكر، فخرب القرى المجاورة وسقطت فى قبضته قرية «ما يامن» وبلدة «حاتجان» و يقعان غربى بلدة «سوكا» وهى «شويكة» الحالية الواقعة شمالى مدينة «نابلس»، ثم أخذ الفرعون الغضب كأنه الصقر المنقض، وطارت جياده كأنها الشهب المنقضة، ولم يكد يدخل المعمعة حتى استولى على أمراء البلدة وزوجاتهم وأتباعهم وكل متاعهم، ومهما يكن من شيء فيبدو أن الفرعون كان مشغول البال حائر الفكر فى أمر الثورات التى كانت على ما يظهر منتشرة فى جهات «فلسطين»، فكان يفكر فى أمرها ليل نهار، حتى أنه رأى فيما يرى النائم الإله الأعظم «آمون» يبشره بالنصر على الأعداء مما شدّ عزيمته وقوّى روحه لمنازلة الأعداء، ولعله كان الأحلام وتعبيرها سوق رائجة فى هــذا العصر، فقــد كان «يوسف الصديق» الذى يحتمل أنه عاش فى هــذا العصر مشهورا بتوفيقه فى تفسير الرؤى وقتئذ، وستشاهد فيما بعد أن «تحتمس الرابع» قد بشره (بو الهول) بالملك فى رؤيا صادقة، وهو لا يزال أميرا.

ولعل أن هذه الرؤيا قام «أمنحتب الثانى» فى الصباح المبكر، وأعدّ العــدّة لنفسه وسار على عربته منفردا نحو بلدة «أنورين» ثم إلى بلدة «عمول بوتى» وهذان البلدان يقعان فى إقليم السامريين، وهنا نجد الفرعون يأتى بالعجب العجاب فى مضمار الفروسية على غرار ما فعله فى مضمار التجديف والمبارزة فى إصابة الهدف، بل ضرب هذا الرقم القياسى مما فاق ما نقرأه فى القصص الخيالى عن عنترة العبسى، وأبى زيد الهلالى وغيرهما من الفرسان. غير أنه قد أتاح لنفسه إتيان مثل هــذه

بالمعجزات بقوله إنه كان فى قوة « تحتمت » إلهة الحرب ، وقـوة « منتو » إله القتال . فقـد أسر أمراء هاتين البلدتين وبلغ عددهم أربعـة وثلاثين ، وكذلك استولى على سبعة وتسعين عبداً ، وواحد وستين ومائة أسـيرى ، وأربع وعشرين عربة حرب بكل معداتها ، كما استولى على كل الرجال البالغين فيهما ومعهم نسائهم وكل متاعهم . وقد أراد الفرعون أن يستولى عليهم أحياء فضرب عليهم حصاراً بحفر خـندق حولهم ، وسهر على حراستهم حتى الصباح ، وهـو شاهر (بلطته) فى يمينه ، منذراً كل فار بالموت العاجل .

والواقع أن مثل هذه المشاهد الحربية تفوق ما عرفناه فى « الإلياذة » من أعمال « أخيليس » و « هكتور » ، ولا يبعد أن اليونان قد نقلوا هذه الأعمال الخارقة عن المألوف عن المصريين ، وبخاصـة أنهم كانوا ينسبونها إلى من يجرى فى عروقهم الدم الإلهى مثل « أخيليس » ، ويقول المتن بعد ذلك ما يأتى : وفى الصباح المبكر من اليوم التالى سار الفرعون على جواده ثانية (بعتائه) وكان مدججاً بأسلحة الإله « منتو » ، وهذا نفس ما كان يفعله « أخيليس » فإنه كان يدجج بأسلحة إله الحرب وهى التى كانت تهبه النصر . فإذا ما خلعها عنه ذهبت عنه القوة الإلهية .

على أن هـذا النصر المبين لم يرض أطماع هـذا الفرعون الشجاع ، إذ آثر ألا يستريح يوم عيد تتويجه ، ويحتفل به ، بل زحف فى هـذا اليوم على بلدة « أنا وحرات » واستولى عليها ، وأسر أشرافها وخيلها وعجلها وعرباتها وماشيتها ، وقد كان له نصيب الأسد فى الغنائم التى استولى عليها فى هذه المدينة ، مما لم يسمع به من قبل فى أعمال البطولة المنفردة إلا فى أقاصيص « الإلياذة » . وبعد ذلك علم أن « جرجور » أمير إقليم « قبا سومنه » التى يقول عنها « سميره » إنها كانت تقع مكان بلدة « الشيخ ابرق » القائمة جنوبى « حيفا » قد شق عصا الطاعة فأسره واستولى على زوجه وأولاده وأتباعه ، ونصب بدلا منه أميراً من الموالين له .

وكما سبق علمنا أن « أمنحتب الثاني » قد أخضع كل السلالات التي كانت تقطن « فلسطين » في خلال هذه الحملة وقد ذكرت كلها في هذا العرض من الجنوب إلى الشمال، على أن أهم ما يلفت النظر من بين هذه السلالات ذكر « العبرو » وهم الذين جاء ذكرهم في خطابات « تل العمارنة » باسم « الخبيرو » وهم العبرانيون فيما بعد كما ذكرنا ذلك عند الكلام على الهكسوس.

وبعد أن وصل « أمنحتب » في فتوحه إلى هذه النقطة قفل راجعاً إلى أرض الكنانة حاملاً قبله مدينة « منف » كما حدث في الحملة الأولى، وقد كان مغتبطاً مسروراً بما ناله من نصر في كل البلاد الأجنبية التي أصبحت خاضعة له تحت قدميه، وقد كانت الغنائم التي دخل بها عاصمة ملكه الثانية أعظم بكثير من الغنائم التي ظفر بها في حملته الأولى ولا نزاع في أن استعراضها كان من أعظم المشاهد التي عرفت في التاريخ المصري قاطبة فقد ساق إلى منف الأمراء والعظماء والأسرى من كل السلالات التي كانت تقطن « فلسطين » وقد حسب حتى أن عددهم بلغ نحو تسعين ألف أسير، هذا إلى عربات من الفضة والذهب يبلغ عددها نحو الستين عربة، وأكثر من ألف عربة أخرى ملونة وغيرها بعتادها. وكان الفضل في هذه الانتصارات وإحراز هذه الغنائم راجعاً للإله « آمون » والده الذي حماه في ساحة الوغى وأمده بالشجاعة وقوة البأس، وساقه إلى هذا النصر، وهذا الثراء وبذلك فاق والده « تحتمس الثالث » في حملته الأولى إلى « سوريا »، ولم يكد يستقر المكان بالفرعون في عاصمة ملكه حتى وفد على بلاطه عظماء أمراء « آسيا » الذين كانوا يرجفون من كثرة انتصارات هذا الفرعون حتى راعهم ما كان عليه من قوة وشدة بطش. وقد كان كل منهم يحمل من بلاده الهدايا التي تنم عن الولاء والإخلاص. وقد ذكرت لنا المتون أن كلا من أمير « نهرين » وأمير « خيتا » وأمير « سنجار » قد وفدوا على جلالته راجين منه أن يمنحهم نفس الحياة متبعين في ذلك السنة التي سار عليها آباؤهم من قبل — فاستمع إلى قولهم: "لقد حضرنا بهدايا

إلى بلاط الملك يا ابن "رع" يا "أمنحتب" ويا أيها الإله ويا أمير "هليوبوليس"، ويا أمير الأمراء، ويا أيها الأسد المنصور" وبذلك يسعد الخوف من هذه البلاد أبد الآبدين".

هذا موجز عما قام به "أمنحتب الثاني" في آسيا في سبيل توطيد أركان الملك الذي قام بجلائه "تحتمس الثالث"، وأقامه على أسس متينة بالنسبة لمصر. ومما يلفت النظر في تاريخ فتوح "أمنحتب الثاني" تدفق الأسرى الأجانب من "سوريا" و"فلسطين" رجالاً ونساء مما كان له أثر بالغ في الحياة المصرية الاجتماعية كما سنرى بعد.

أما عن حروبه في السودان، فيظهر أنه لم يحدث في تلك الأقاليم النائية ما يستحق الذكر، والظاهر أن تمثيل الفرعون بأحد أمراء "آسيا" في بلدة "نباتا" كان بمثابة درس عملي ناجع في جعل أمراء السودان يخضعون إلى السكينة طوال مدة حكمه. ولقد ترك لنا "أمنحتب" نقشاً في إحدى مقابر رجال عصره في جبانة "شيخ عبد القرنة" ذكر فيه الأقاليم التي كان يسيطر عليها "أمنحتب الثاني" وهي في الواقع الأملاك التي كانت تدين لوالده بالطاعة، فقد مثل على إحدى جدران هذا القبر الفرعون جالساً على عرشه، وقد نقش حول قاعدة هذا العرش أسماء أهالي واحات "لوبيا" وبلاد "كوش" وبلاد "نيبيا" و"نهرين" و"سوريا" وبلاد "مالرس" (يحتمل أن تكون كليكيا الحالية) (راجع L. D. III, Pl. 63a. Petrie, "History", II, P. 157, Maspero, "The Struggle of the Nations", P. 292). هذا ويعد أنه قد أمر بإقامة لوحتين لتحديد أملاكه من جهة الشمال ومن جهة الجنوب في السنة الرابعة من حكمه، واحدة عند أقصى حدوده في "نهرين" والثانية عند أقصى حدوده في الجنوب عند "كاراي" وأقامهما له "أمنحتب" مدير أعماله في معابد الإله في الجنوب والشمال، وكاتب الفرعون "أمنحتب" (راجع Breasted, A. R. II, § 800) ذلك كي يهدأ العمل والده "تحتمس الثالث" عندما أقام لوحة على الضفة الشرقية(١) لنهر الفرات شمالاً، وأخرى عند جبل "بركل" جنوباً.

---

(١) وبذلك يكون ملوك الأسرة الثامنة عشرة قد أقاموا أربع لوحات عند "نهرين" واحدة أقامها "تحتمس الأول" والثانية أقامها "تحتمس الثالث" والثالثة أقامها "أمنحتب الثاني".

آثار أمنحتب الثاني الباقية

في سوريا : لم يعثر الآن على لوحة « أمنحوتب » الثاني التي أقامها عند حدود مملكة الشمال ، كما لم يعثر على لوحة أخرى من اللوحات التي أقامها الملوك الذين سبقوه في هذه الجهة . وكل ما عثر عليه من آثاره في سوريا هو مقبض إناء في « تل الحسي » كتب عليه « قصر عاخبرورع » و « أمنحتب الثاني » (راجع Bliss, "A Mound of Many Cities", P. 89;) ووجد اسمه في شبه جزيرة سينا (Petrie, "Researches in Sinai", P. 107, Gardiner and Peet, "Inscriptions of Sinai", Pl. IX, 206.).

في الدلتا : عثر له في الدلتا على لوحة في « منف » كما عثر له في « ميدوم » على مجموعة جعارين، وكذلك وجد اسمه في مبان بطوخ في مقبرة « ست ميري » ؟ (راجع Rec. Trav., XVI, P. 44.)، والظاهر أن هذا الفرعون قد بدأ بإقامة آثار في بلدة الإلهة « باست » ربة القسوة (بوبسطة) الزقازيق الحالية ، إذ نجد منظرين في أحد مباني المعبد يشاهد فيهما الفرعون « أمنحتب الثاني » يقدم قربانا للإله « آمون » ، وقد أصلح « سيتي الأول » ما أتلف منهما (راجع Naville, "Bubastis", P. 31, Pl. XXXV.).

ولدينا نقش على أمر بنحته هذا الفرعون في محاجر « طرة » ، وهذا النقش له أهمية عظيمة من الوجهة الدينية، والوجهة التاريخية، ففي الجزء العلوي من اللوحة نجد منظرا يشاهد فيه الفرعون واقفا أمام صفين من الآلهة يبلغ عددهم ثلاثة عشر إلها وإلهة ، والظاهر أنهم قد ذكروا ترتيب عبادتهم كل في جهته الخاصة به من « طيبة » حتى الدلتا الغربية ، وهم « آمون » و « حور » و « ست » و « ونوت » و « حتحور أطفيح » و « باست » و « بتاح » و « أوزير »

(١) راجع Lacau, "Steles du Nouvel Empire", No. 34020.

(٢) راجع Petrie, "Memphis", III, P. 36.

و « حتحاى » و « عشتارت » و « سلكت » و « حتحور كمو » والإلهة « وازيت ». ومن ثم نعلم أن « عشتارت » و « حتحاى » كانا يعبدان في أعالي الدلتا. واستمل هذا المنظر بهذا المتن التالي: "السنة الرابعة في عهد جلالة الملك وماضيه « رع » ابن رع « أمنحتب الثاني » معطي الحياة.

لقد أمر جلالته بفتح محاجر قطع الأحجار ثانية لاستخراج حجر جيد (الحجر الأبيض) لبناء معابده الفخمة ذات السنين ، وذلك بعد أن وجد جلالته جدران قطع الأحجار التي في « طرة » قد بدأت تؤول إلى الخراب منذ العهد الذي كان قبله ، وأن جلالتي هو الذي جددها لأجل أن يمنح الرضا بحياة مثل « رع » أبداً ،

وقد عملت بإشراف الأمير الوراثي ، والحاكم ... ورئيس الفرعون حافظ آثاره ... عن معابده ... أعمال معابد الآلهة في الجنوب والشمال كاتب الملك « منحب » " (؟) (راجع Breasted, A. R. II. § 799 - 800 & Petrie "History" II. P. 157 & A. S. XI. P. 258.) ويحتمل أن العمد الثلاثة المنتصبة التي عثر عليها في الإسكندرية هي لهذا الملك ولا بد أنه قد أتى بها من مباني الدلتا (راجع Rec. Trav., VII. P. 177) أما في مصر الوسطى فلم يعثر لهذا الفرعون على آثار ذات أهمية ، اللهم إلا أرمدة جعارين من « غراب » (راجع Petrie, "Kahun" Pl. XXIII, Petrie, "Illahun", Pl. XXIII.) ووجد اسمه في بلدة « دوربت » (بلاص الحديثة) المقابلة لمدينة « قفط » على النيل على تمريقة ضخمة من الصخر المطلي في المتحف (راجع South Kensington Museum London) ولا بد أن هذا الفرعون قد أقام في معبد « المدمود » بعض مبان، إذ عثر له هناك على عمود من الجرانيت الأحمر (راجع Champollion, "Notices", II, P. 291.).

وكذلك وجد له عتب باب هناك من الجرانيت الأحمر أيضاً (راجع Rec. Trav. VII. P. 129.).

وفي « دندرة » عثر له على قواعد وأوان مصنوعة في صورة زهرة اللوتس من الحجر المطلي (راجع Petrie, "Dendereh", Pl. XXIII.).

الكرنك » أقام «أمنحتب الثانى» مقصورة فى «الكرنك» كشف عن بعض مقاصيرها « لجران » بالقرب من (البوابة الخامسة) (راجع A. S., V, P. 34) والأحجار الباقية من هذه المقصورة رسم عليها منظر يشاهد فيه « أمنحتب الثانى » يقود سبعين سجينا أسيويا للإله « آمون » ، وقد وجد معهم اللقب المصرى الذى

ما معناه تلك الأقطار التى ضرب جلالته أهلها فى وديانهم وقد جعلوا فى حالتهم [illegible] لأجل أن يعبر

الماء عندهم" . ويلاحظ أن أربعة وعشرين سجينا ، صفوا صفين كتب معهم أسماء الأقاليم التى جلبوا منها ، ولا يزال من المستطاع قراءة الأسماء الآتية من بينها : « رتنو العليا » ، « رتنو السفلى » ، « خارو » ، « قادش » ، « حلب » ، « [illegible] » ، « تنو » ، « قطنه » .

وفى « الكرنك » كذلك ينسب لهذا الفرعون بناء غريب الشكل كما يقول « بترى » (Petrie, "History", II, P. 158.) فقد بنى الجدار الشرقى الموصل للبوابتين اللتين فى أقصى الجنوب ، وهما البوابة العاشرة والبوابة الحادية عشرة ، وأقام البناء الغريب الشكل الذى يوجد فى وسط هذا الجدار . ولما كان هذا البناء الأخير ليس بمعبد ولا قصر ، فقد ظن أنه قاعة حراسة أو مكان راحة للاحتفال أو قاعة مجلس . ويشبه هذا البناء قاعة معبد واجهتها فى الشمال الغربى ، وخلفها ردهة عظيمة مؤلفة من عشرين عمودا يكتنفها من الجهتين ثلاث حجرات متصل بعضها ببعض .

ولقد أضاف «أمنحتب الثانى» على واجهة بوابة «تحتمس الأول» (وهى البوابة الخامسة) منظرين يمثلان تجديد الأعياد (راجع L. D. III. Pl. 61; Champollion, "Notices", II P. 183.) .

وكذلك نلاحظ أن « سيتى الثانى » قد استعمل قطعا عدة من الأحجار عليها اسم « أمنحتب » عندما كان يجدد المبانى التى كانت أمام محرابه المصنوع من الجرانيت . وكذلك وجدت بقايا معبد جميل من المرمر الفاخر — كان قد أمر هذا الفرعون بإقامته فى معبد الكرنك فى حشو (البوابة) الثالثة التى أقامها « أمنحتب

الثالث»، وقد نشر كثيرا من نقوشها المهندس «لجران» وكذلك «شفرييه» (راجع A. S. Vol. XXIII. (1923). Pl. VI, XXIV, (1924). Pl. I, X & XI, Vol. XXV (1925). Pl. I. & IV. & Vol. XXVIII P. 126.)

وأقام هذا الفرعون معبدا في الجزء الجنوبي من قاعة العمد التي أقامها «تحتمس الأول» وهي التي هدمتها «حتشبسوت» لتقيم مكانها مسلتيها. وقد ترك لنا نقشا هاما على عمود من العمد التي أقامها هذا الفرعون بين البوابتين الرابعة والخامسة، وهذا المتن يصف لنا الثراء الذي أحرزه من حروبه: وهو:

السيادة الملكية: يعيش «حور» الثور القوي، العظيم القوة، محبوب الإلهين: عظيم الثراء والذي حل ليضيء في «طيبة»، حور الذهبي: الذي يقبض بسلطانه على كل الأراضي، الإله الطيب، شبيه «رع»، وصورة «آتوم»، الساحرة — ابن الذي أنجبه، والذي أوجده ليضيء في الكرنك، والذي نصبه ليكون ملك الأحياء، والبطل ما صنعه حضرته، وهو المتعطف له، والباحث عن الأشياء الممتازة، والعظيم المعجزات، البشوش في المعرفة، الحكيم في الخطط، الساحر القلب مثل «بتاح»، ملك الملوك، وحاكم الحكام، الشجاع المنقطع النظير، رب الرعب بين سكان البلاد الجنوبية، والعظيم الخوف حتى نهاية الشمال، ومن تأتي إليه البلاد كلها منحنية، ومحاصيلها يحملونها على ظهورهم، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «عاخبرورع» (أمنحتب الثاني) معطي الحياة، والسيد القادر الذي يستولي على كل أرض، ومن مقامه «سيد» القوة، والمرئي «كالقمر» يأخذ قلبه، ويحرمهم من عروشهم، والذي جعل جلالته أن يتسلموا نفس الحياة المقدر، وهذه حادثة عظيمة لم يسمع بمثلها منذ زمن الآلهة، وذلك أن هذه البلاد التي لم تعرف مصر ترجو الإله الطيب، وأنه والده «رع» الذي يأمر أن يحصل ذلك، وأنه هو مصدر حياته، ولذا يحيي لآمون حامي جلالته لكي يأتي بمحاصيلها له، وأنه هو رب ما يحيط به، وما تطوقه عينه، وكل الأراضي، وكل الممالك، وكل الجزر، والدائرة العظيمة (المحيط) وكلها تأتي إلى حاضرة حتى كل فرد من رعايا جلالته، ابن الشمس «أمنحتب الثاني» الحاكم المقدس لطيبة، العائش أبديا، وهو الواحد الممتاز الذي أنجبه الآلهة».

الإهداء: وقد عمله آثارا لوالده «آمون» فأقام له الأعمدة الفاخرة لجزء المعبد الجنوبية مغشاة بالذهب... جميلة للطلعة، وقد أقامت له آثارا في ... ... وكان أجل مما سبقه، وزينت مما كان من قبل، فقد فاقت ما عمله الأجداد ولقد نصبني لأكون سيد الشعب، وأنا لا أزال صبيا في العش، ومنحني مصر البلاد، ووصل جلالتي عرش الأرض، لأحكم كل جيل الرجال، ولقد نصبت على عرشه وأصحاب الأرض ... وليس لي أعداء في كل الأرض.

إمداد المعبد : وأثث له قدس أقداس من الذهب ، ورصفه من الفضة ، وصنع له أوانى عادية وعدد كانت أكثر جمالا من السماء ، وبيت مائدة كان يحتوى قناطير من جزية كل إقليم ، وكانت مخازن غلاله طافحة بالحبوب النقية ، مشرفة على الجدران ، وأسس له القرب الإلهية ، وأحضر أشياء من أقصى لأجل أن يصل « رع » « أمنحتب الثانى » حاكم «طيبة» المقدس للماء والشباب ، والرب على « رع » أسماء (راجع Breasted, A. R. II, §. 803 - 6; Dumichen, "Historische Inschriften Altaegyptischer Denkmaler", (Leipzig, (1867), II, P. 38.

معبد أمنحتب الثانى الجنازى : وقد أقام « أمنحتب » لنفسه معبدا جنازيا فى جبانة « شيخ عبد القرنة » بالقرب من معبد «الرمسيوم» ، وقد أعاد نظام هذا المعبد الفرعون «أمنحتب الثالث» ليدفن فيه ابنه وزوجه «ست آمون» ، وقد عثر له على تمثال وبعض قطع من التى توضع فى الأساس فى مكان هذا المعبد . وقد بقى الترتيب التاريخى متبعا فى إقامة المعابد الجنازية الفراعنة هذه الأسرة حتى بناء معبد « أمنحتب الثانى » من الشمال إلى الجنوب ، وقد كان « أمنحتب الأول » عند نهاية « ذراع أبو النجا » ثم يأتى معبد « تحتمس الأول » فالثانى ، وقد أقيما فى الدير البحرى ، ثم « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثانى » ، و « تحتمس الرابع » ، و « أمنحتب الثالث » ، وكلها يتبع بعضها بعضا فى سلسلة منظمة متجهة نحو الجنوب حتى « كوم الحيطان » (راجع L. D. III, Pl. 62. & Petrie, "Six Temples at Thebes 1896", Pl. XXIII.) وقد عثر على مواد أساس هذا المعبد (راجع A. Z. XXXVII. P. 143. & Rec. Trav. XIX, P. 86. & Petrie, "Six Temples" Pl. V.) .

وفى أرمنت : عثر على بعض مناظر على قطع من الحجر ذكر عليها اسم هذا الفرعون . ومن بينها قطعة رسم عليها القارب المقدس فى محرابه ، وقد نقش عليه « أمنحتب الثانى » « إذ قام رع بها الأفق تسلمت القربان » (راجع Mond, "Temples of Armant" (Text) P. 174.) . وقد عثر من قبل « بركش » على قطعة من الحجر عليها اسم هذا الملك (راجع Petrie, "History", II, P. 159.)

كما وجد في لوحة نقش عليها الجزء الأعلى من نسخة من لوحة « أمدا » وهي الآن « بمتحف فينا » (راجع A. Z. Vol. XL. P. 83) ، والجزء الأسفل منها محفوظ بمتحف القاهرة (راجع Breasted. A.R. II, § 790, note. g.) ، وقد ذكر اسم هذا الفرعون على جدران مقبرة « أمانو » (Baedeker, "Egypt", P. 258.) ، وقد جاء على لوحة « إلفنتين » زيادة عما جاء في لوحة « أمدا » تشريعات خاصة بالأعياد المقدسة هناك وهي :

« ... إن جلالته أمر بجلب ... لأجل ساحة ... في « إلفنتين » ... كل واحد منها ... عشرة أذرع ... جلالته بإقامة ... وقد أمر جلالته بإقامة يوم ... فيهما القرابين ... الشمس ... والثيران والأبقار ... والبخور ... وكل شيء طيب ... على ثلاثة أيام العيد الاعتيادية ، لأجل أن يقام عيد العظيم لأول الشهر من فصل الثالث ... عساه ... (راجع (Breasted, A. R. II. § 793. »

آثاره في إلفنتين : وفضلاً عن اللوحة التي سلف ذكرها ، وهي التي وجد منها نسختان ، واحدة في « أمدا » والثانية في « أرمنت » توجد قطعة من الحجر يفهم مما جاء عليها أن الفرعون كان يقوم بأعمال التعمير والإصلاح في معبد هذه البلدة (راجع De Morgan, "Cat. Monuments" Vol. I. P. 115.)

وقد وجد اسم هذا الفرعون في « ... » (راجع Baedeker, "Egypt" P. 258.) .

وكذلك وصف لنا « بريس دفن » مسلة يحتمل أنها من هذه الجهة (Revue Arch. I, Ser. II, 2, P. 730.) .

وقد جاء اسم هذا الفرعون على جدران معبد « ... » (راجع A. S. VI, P. 256)

وعثر له على مسلة صغيرة في « أسوان » (راجع A. S. XXIII, P. 163.) .

ووجد نقوش على صخور « أسوان » لكبير ... (L. D. III, pl. 63; De Morgan, "Cat. Monuments" I, P. 93,87.).

وكذلك يوجد نقش آخر لعبادة الفرعون والاسم مفقود (Ibid, I, P. 91, 103.) .

وفي «سهيل» يوجد نقش لشخص يدعى «باخي امون» يتعبد لاسم «أمنحتب الثاني» وهو موضوع على قاعدة (Ibid, I, P. 95, 160.) وفي جزيرة «بيجه» بالقرب من «الفيلة» يوجد تمثال مهشم من الجرانيت في صورة الإله «بتاح» وعليه اسم هذا الفرعون (راجع Champollion, "Notices", P. 160.) .

آثاره في بلاد النوبة : وقد كانت أعمال التعمير في عهد الفرعون قائمة على قدم وساق في بلاد النوبة كما كانت في عهد والده «تحتمس الثالث» ؛ ففي معبد «كلبشه» يشاهد في الردهة الأمامية للمعبد منظر يقدم فيه الفرعون القربان للإله «مين» والإله «مرور — حور — ريع» إله بلاد النوبة (راجع Champollion, bis. I, "Monuments", P. 54.) .

وفي إبريم : يوجد محراب صغير منحوت في الصخر وملون يشاهد في أحد مناظره «أمنحتب» جالساً في مقصورة وأمامه حامل مروحة من الريش ، وحامل مروحة آخر خلفه ، وخلف المقصورة تقف الإلهة «ساتت» ويأتي أمامها موكب من الرجال يقودون أسوداً ، وكلاب صيد ، وذئاباً ، ويمكن قراءة النقوش حتى الآن إذ تذكر لنا ١١٣ ذئباً (راجع Champollion, "Notices" I, P. 84, and Champollion, "Monuments", P. 39.) .

وفي منظر آخر يشاهد الفرعون يقدم القربان للإله «خنوم» والإلهة «ساتت» والإلهة «عنقت» والإله «سبد» والإلهة «حتحور» والإلهة «نخبت» (راجع L. D. III, Pl. 63d.) .

أما في معبد «أمدا» فتدل الأحوال على أن «أمنحتب» قد أتم نقش المعبد الذي كان العمل جارياً فيه في عهد والده . وتشير النقوش إلى اشتراك[1] «أمنحتب» مع والده في حكم البلاد مدة قصيرة ، إذ نجد بابين على كل منهما طغراءا «تحتمس الثالث» و«أمنحتب الثاني» مكتوبين معاً (L. D. III, Pl. 65, b, c) في حين أننا

(١) راجع موضوع اشتراك الملكين في الحكم (J. E. A. Vol. 31. P. 27.) وما ذكرت من قبل.

رى اسم « أمنحتب الثاني » منقوشاً في أماكن أخرى من المعبد (Ibid. d, e.)، وقد استمر العمل في هذا المعبد حتى السنة الثالثة عندما جاء الفرعون إلى بلاد النوبة ، وأمر بإقامة اللوحة المشهورة التي تحدثنا عنها ، وقد جاء فيها عن بناء هذا المعبد ، وعن القرب التي خصصت لآلهته ما يأتي :

« إنه ملك قوى مثل الإله « رع » ، لأنه يحب آباءه ، وقد أقام لهم البيوت ، وقربان القرابين العظيمة التي تزيد من شأنه ... وجدد المعبد الأول من الحجر الرملي وجعله رائعاً ... وجعل بحيرته مملوءة بالماء وقربان دائم في كل يوم ، ورواتب كبيرة وصغيرة في مواعيدها بدقة ... وقد أحضر الثيران لمعبده مثل كل شيء من قربان وعجول وماشية مسمنة ، وجعل هذا المعبد مزوداً دائماً بالرغاوى والخبز ... وقد خصص الحقل للإله الأول لآباء الآلهة ...

إتمام المعبد : تأمل فيه جلالته الذي أقامه المعبد الذي ... ملك الوجه القبلي والوجه البحري « منخبر رع » (تحتمس الثالث) لآبائه كل الآلهة ، وقد أقامه من الأحجار لكن ... والجدران التي حوله من اللبن ، والأبواب من خشب الأرز من أحسن نوع كتبه جبال « لبنان » ، ومداخل الأبواب من الحجر الرملي لأجل أن يبقى اسم والده العظيم ابن الشمس « تحتمس الثالث » في هذا المعبد أبد الآبدين .

احتفال التأسيس : « إن جلالته هذا الإله الطيب ملك الوجه القبلي والوجه البحري سيد الأرضين « عاخبرو رع » « أمنحتب الثاني » عمل الشيء ... لكل الآباء (الآلهة) ، بإقامة المعبد ... من الحجر الرملي ... التي صنعت جدرانه من الحجر الرملي ... ، موائد عديدة عليها أوان من فضة ... وأعلام ... (؟) ومراسيم وقرابين ... المقدسة » (راجع Breasted, A.R, II. § 793 - 795)

وفي « وادي حلفا » يوجد في المعبد القائم من اللبن عمد نقش عليها اسم « أمنحتب الثاني » (راجع Champollion, "Monuments", P. 2. 7; Machver and Woolley, "Buhen", P. 84, 89, 94, 103, 131.) .

وفي سمنة « قمة » عند الشلال الثاني كان العمل في النقوش التي أمر بحفرها « تحتمس الثالث » لا يزال مستمراً عند موته ، إذ قد ظهر اسمه في حين نرى « أمنحتب الثاني » في مناظر يقدم قرباناً للإله « خنوم » و « سنوسرت الثالث » بوصفه إلهاً (راجع L. D. III, Pl. 64b, 66.) .

وكذلك نجد هنا مدخل باين اثنهما « أمنحتب الثانى» (L. D. III. Pl. 67.) .

وفى معبد «سمنه» نجد اسمه منقوشا فى المعبد (راجع "Handbook" ,Murray (1880) P. 545.) .

وفى جزيرة «ساى» (Sai) توجد بقايا معبد يحسب إلى عصر هذا الفرعون، (راجع Lepsius, "Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai", P. 237.) وقد ذكر معبد «نباتا» عند الشلال الرابع فى نقوش لوحة «أمدا» بوصفه المكان الذى أعدم فيه أحد الأمراء السوريين السبعة الذين أعدموا فى «طيبة» وفى «نباتا» .

تماثيل أمنحتب الثانى : وجد لهذا الفرعون تماثيل ضخمة وأخرى صغيرة الحجم، غير أن عددها كان قليلا بالنسبة لما عثر عليه لوالده «تحتمس الثالث» ، فمن التماثيل الضخمة وجد له واحد أقيم أمام البوابة التاسعة فى «الكرنك» غير أنه وجد مهشما، وهو منحوت من الحجر الجيرى الأبيض. وكذلك له جذع تمثال جميل هشم أنفه وذقنه، عثر عليه فى «الكرنك» وهو الآن بالمتحف المصرى . والتمثال — الذى فى صورة مومية — الذى عثر عليه فى «جبه» بجوار «أسوان» نحت من الجرانيت الأحمر . وفى المتحف المصرى يوجد له تمثال فى صورة «أوزير» مصنوع من الجرانيت الرمادى ، وقد عثر عليه فى «القرنة» غير أنه مما يؤسف له قد صنع رأسه (راجع Petrie History II. P. 161) .

ويوجد له ثلاثة تماثيل راكعة ، كل منها يحمل فى كلتا يديه إناء مستدير الشكل يقدمه فيه قربانا ، واحد منها فى «تورين» (راجع Lanzone, Catalogue of Turin", 1375) والتمثالان الآخران ، وهما أصغر من الأول عثر عليهما فى متحف «باريس» (راجع Cat. Sal. Hist. P. 11) وفى متحف «برلين» (راجع L. D. III, Pl. 70.) .

وقد عثر عليهما في «دير بحري»، وهذا الوضع الفني للتماثيل قد أدخله والده من قبله على الفن المصري، وقد استعمل كثيراً في مناظر المقابر التي من هذا العهد كما يشاهد في إحدى مقابر «القرنة» (راجع L. D. III, Pl. 63, 64).

ويوجد له تمثال بجلوب (راجع Budge, "Guide to the Egyptian Collection", P. 232.) وهو مصنوع من «الديوريت» ونقش عليه الفصل السادس من كتاب الموتى (Budge, "History", IV. P. 71.).

وعثر له على لوحة في «الأقصر» يشاهد عليها وهو يتعبد للإله «آمون» (Wiedemann, "Geschichte", P. 376.)، وكذلك يوجد له في متحف «باريس» له وجد في الأساس مصنوع من المرمر، عثر عليه في «طيبة» (راجع Rec. Trav. XVI, P. 30.) كما عثر له على رأس (بلطة) هي الآن في «المتحف البريطاني» (Budge, "Guide" P. 232.)، وكذلك عثر له على قطعة من البساط باسمه في قبر «تحتمس الرابع» (راجع Carter and Newberry, "The Tomb of Thothmes IV", p. 143.)، وكذلك وجد له في نفس هذا القبر لوحان باسمه (راجع Ibid, P. 18.) ويوجد له بردية مؤرخة بالسنة الخامسة من حكمه اليوم التاسع عشر من برموده وتحتوي على مدائح «لأمنحتب الثاني»، ويقال فيها إن الإله «شاى» (الحظ) والإله «رننت» (الطعام) قد نشآه وماساه (راجع Papyrus Rollin, 15, P. 23.) ومن المحتمل أن قطعة الرق التي في «برلين» الخاصة بتأسيس المعبد الذي أقامه «سنوسرت» الأول في «هليوبوليس» من عهد هذا الفرعون، وليست من عهد «أمنحتب الرابع» (راجع A. Z. XII, P. 86.).

جعارين عهد «أمنحتب الثاني»: ظهرت في جعارين هذا الفرعون وتعاويذه خواص جديدة لم تعرف في جعارين العهود السابقة من بداءة هذه الأسرة، إذ نجدها على شكل لوحات صغيرة بيضية الشكل مستوية السطح على كلا الجانبين مرسوم عليها صور، وقد كثر استعمال هذا الصنف من الجعارين في هذا

العهد، والعهد الذي أعقبه، ثم نجده قد اختفى بعد ذلك . وقد كانت هذه الجعارين تستعمل فصوص خواتم لتلبس مسطحة على الأصبع . وقد كان سبب اختفائها ظهور استعمال خواتم مؤلفة كل منها من قطعة واحدة في عهد «أمنحتب الثالث» .

وفي هذا العهد ظهر كذلك ثانية استعمال الحليات الرمزية القديمة، التي كانت تستعمل رموزاً يعرف بها اسم صاحب الخاتم (راجع Petrie, "Scarabs", 1097) .

وكذلك ظهر تقليد الجعل الخشبي يرسم عليه صف من الدوائر ذوات المركز الواحد . ومن خواص جعارين هذا العهد رسم صفين أو أربعة أو ستة حول الطغراء أو التعويذة كل منها فوق الآخر .

هذا وقد استعمل المصريون الجعل في صوغ جعارين تذكارية بكتابة حادث عليه يقصد منها ذلك . ويرجع هذا النوع من الجعارين إلى الملك «تحتمس» الذي ابتدعه ، على ما يظهر كما سبق ذكره . ومن هذا الصنف الجعران الذي يتحدث عن ولادة هذا الفرعون في «منف» . " «منخبرو رع» المولود في «منف» " .

وكذلك الجعران الذي نقش عليه حادث إقامة مسلتين : " «أمنحتب الثاني» الذي أقام له مسلتان في معبد «آمون» " . (راجع Petrie, "Hist. Scarabs", (1889) Pl. 36; Hall, "Scarabs", P. 161, No. 1634) .

وكذلك الجعران الذي نقش عليه : " «أمنحتب الإله حاكم طيبة» الأسد على مصر رب القوة مثل ابن الشمس " أو الذي دون عليه : " «أمنحتب» رب السماء في بيت «آمون» " . ونقوش هذه الجعارين تدل على حوادث في عهده لم نصل إلى كنهها . (راجع Petrie, "History", II, P. 162. Grenfell, "The Scarab Collection at Queen's College, Oxford." J. E. A. II. (1915) P. 228) .

وعثر له على جعارين في «موسكو» الآن (راجع J. E. A. (1915) P. 238) .

وكذلك عثر على جعران «لأمنحتب» وأمه «مريت رع حتشبسوت» (راجع Mariette, "Abydos", II, 40 N) .

آثاره الأخرى : وتوجد آثار أخرى نقش عليها اسم هذا الفرعون منها :

(١) لوحة « نب وع » في العرابة المدفونة (راجع Mariette, "Abydos" II. 534.) .

(٢) تمثال راكع لكاهن الإله « أنحور » في « العرابة المدفونة » (Ibid, II, 372.)

(٣) مجموعة « نفاع أم واس » وزوجه في « متحف الفاتيكان » (راجع Wiedemann, "Geschichte" P. 376.) ومن المحتمل أنه نفس الشخص الذي وجد له نقش على الصخر في « سهيل » .

(٤) لوحة الكاهن الثاني الفرعون « أمنحتب الثاني » المسمى « تفرحبتف » في المتحف الإنجليزي ، وكذلك مخروط له Mission Arch. Franç., Caire. VIII.) P. 277, 56.) .

(٥) وقطعة من تمثال من المراجيت القائد من قواد الفرعون «أمنحتب الثاني» (راجع Florence Museum Catalogue, F. 1504.) .

الملكة « تاعا » : ذكرت هذه الملكة على مجموعة باسمها ، وباسم ابنها « تحتمس الرابع » وقد لقبت بالأم الملكية ، والزوجة الملكية ، مما يدل على أنها كانت أم « تحتمس الرابع » وزوج « أمنحتب الثاني » بطبيعة الحال . ولا يمكن أن تكون زوجة لأن أم « أمنحتب الثالث » معروفة باسم « موت موبا » ، كما أنه لا يمكن أن تكون أما ملكية أخرى زوج « تحتمس الرابع » . وجدنا من الأهمية بمكان لأننا وجدناها في مقبرة « تشونا » (Champollion, "Notices" P. 481.) وقد لقبت بالزوجة الملكية فقط ، وهي مرسومة مع « تحتمس الرابع » ، وقد كان المعتقد أنها كانت زوج الأخير ، وليست زوج والده « أمنحتب الثاني » كما هو الواقع . وقد ذكر اسمها « تحتمس الرابع » بوصفه ابن « أمنحتب الثاني » في مقبرة « حور أم حب » (Mission Arch. Franç. V. 434.) .

وقد كشف حديثاً عن بقايا تمثال للملكة «تاعا» في معبد «أمنحتب الثاني» الذي وصفت به اللوحة العظيمة التي شرحناها فيما سبق، والظاهر أن هذا التمثال قد أحدثه «تاعا» لزوجها «أمنحتب» بعد وفاته، والعمودان اللذان عثر عليهما من هذا التمثال منقوشان، وقد كرر عليهما ألقاب الملكة، هذا فضلاً عن سطر مهشم قرأ فيه : " ملجأ من ... ليته يُعد من حق... تاعا، وليت الملك يكون حاميا في بيت زوجي يكون أماني، وإنه يحميه من ... " إلخ . والواضح أننا نجد بين الكتابات التقليدية التي نقرؤها في هذا النقش عاطفة من الأحاسيس الإنسانية في الكلمات التي تتضرع بها الملكة لإلهه ليخلصها من أحزانها وآلامها . وقد عثر على قطعة من الخزف (استراكا) عرف منها أن الملكة «تاعا» هي بنت «تحتمس الثالث»، وهذه الاستراكا محفوظة الآن بمتحف «اللوفر» (راجع Rec. Trav. XVI. P. 64.).

وكذلك ذكرت بوصفها أم «تحتمس الرابع» على تمثال (راجع Legrain, "Statues" 42080.) .

وكذلك وجد اسمها على قطعة من إناء (راجع University College) ، وقد ذكر ابنها «تحتمس الرابع» في مقبرة «حور محب» بأنه ابن «أمنحتب الثاني» (راجع Mission Arch. Franç. V, P. 434.) . وقد شوهدت أميرة على حجر «حور محب» على إحدى مناظر قبره تدعى «أمنات»، غير أننا لا نعرف بنت من هي ؟ لأنه عاش في عهد أربعة ملوك .

ومن المحتمل أن «أمنحتب» كان له ما يربى على خمسة أولاد لأننا نجد مثلاً على جدران قبر مربيه «تحتمس الرابع» المسمى «حكر إن نحح» (L. D. III. Pl. 69A.) «تحتمس» وهو ولد صغير على حجر مربيه ومعه أولاد ملك آخرون . ومما يؤسف له أن أسماءهم كلهم كانت قد محيت قصداً ، وسنرى الأسباب التي دعت إلى ذلك عند الكلام على تولي «تحتمس الرابع» الملك بعد وفاة والده .

وقد تولى هذا الفرعون العظيم بعد أن حكم البلاد خمساً وعشرين سنة وعشرة أشهر كما يقول «مانيتون» ، وقد أكد لنا ذلك ما جاء على الآثار إذ عثر على إناء

بعد معبد مؤرخ بالسنة السادسة والعشرين من حكم هذا الفرعون (راجع Petrie
"Six Temples", Pl. V.) .

وقد دفن « أمنحتب » في وادي الملوك في قبر نحت[1] في الصخر في ثوب صبغه باللون الأزرق ورصع بالنجوم الذهبية المتلألئة . وفي خلال الضجة التي قامت في عهد « رعمسيس التاسع » من سرقة قبور الملوك جميعها » (راجع A. S. I, P. 115) غير أن موميته قد بقيت نحو ثلاثة آلاف سنة تشاطر الملوك الآخرين حظهم إلى عام ١٨٩٨ م بعد أن نقلت جثثهم في مقبرته في هذه الأثناء ، ومن بينهم ابنه « تحتمس الرابع » وحفيده « أمنحتب الثالث » والفراعنة « سبتاح » و « مرنبتاح » ابن « رعمسيس الثاني » و « رعمسيس الرابع » ، ولكن بكل أسف كان نومها مزعجًا لأن اللصوص قد اقتحموا القبر ونهبوا ما فيه من أثاث غالٍ كرة أخرى ، وعندما علم المسيو « لوريه » مدير المتحف المصري وقتئذ من الأهالي بمكان هذا القبر فتحه ووجد فيه « أمنحتب الثاني » وصيفاته . وقبر هذا الفرعون يشبه كثيرًا قبر « تحتمس الثالث » والده ، ولا يزال في حالة جيدة جدًا ، وجدرانه مزينة بصور مائة جامع من الآلهة ، وكذلك نقش على الجدران نسخة من الكتاب الجنازي العظيم المعروف باسم « كتاب ما يوجد في عالم الآخرة » . وقد كانت مومية « أمنحتب الثاني » عند هذا الكشف لا تزال ثاوية[2] في تابوتها المصنوع من الكوارتسيت (الحجر الرملي) (انظر لوحة رقم ٣٨) . وقد عثر معه على مجموعة تماثيل الآلهة « سخمت » و « أنوبيس » و « أوزير » و « حور » و « بتاح » الخ ، ومجموعة عظيمة من الأواني المصنوعة من المرمر ، وكذلك على تماثيل من كل نوع ، كما وجد معه قوسه الحربي الذي كان يفخر به ، وقد نقش عليه المتن

(١) راجع : Weigall, "Guide" P. 22.

(٢) راجع : Smith, "Royal Mummies", 61069.

(٣) راجع : A. Z., XXXVII, P. 65.

المشهور "مخرب سكان الكهوف ، ومحطم أهل الكوش ، ومخرب حصونهم ... ومجعل مصر عظيم ومهاب جنوده " . وكذلك عثر على أوانى أحشائه ، وقد ترك جسم هذا الفرعون العظيم إرضاء لعاطفة كريمة أبداها بعض من يقدرون عظمة هذا الفرعون فى قبره الأصلى وفى تابوته الذى أودع فيه منذ القدم فلم ينقل إلى « متحف القاهرة » ، غير أن هذه العاطفة النبيلة لم تتوج بالنجاح على أية حال ، لأن اللصوص على الرغم من الحراسة التى كانت تقوم بها مصلحة الآثار قد اقتحموه فى نوفمبر سنة ١٩٠١ ، ولقد عبث اللصوص بمومية عبثاً مخزياً فى أثناء بحثهم عن الكنوز الموهومة التى كانوا يظنون أنها معه ولكن ظنهم قد خاب فلم يجدوا معه ما يشبع نهمهم . ومنذ هذا العهد ظل « أمنحتب » نائماً فى تابوته يوماً هادئاً بقدر ما تسمح به الأحوال فى تلك الفترات التى كانت تنقطع فيها زيارات السائحين الذين كانت تستعرض لأنظارهم جثث الملوك العظام لإشباع رغباتهم الخلقية ، مما لا يدل على حسن ذوق الذين فكروا فى هذه البدعة ، ولا الذين استمروا فى العمل بها ، غير أن أولى الأمر قد فطنوا أخيراً بعد النقد اللاذع الذى وجهه إليهم العالم ، فأراحوا أولئك الملوك العظام من أعين النظارة الذين لا يبغون من وراء ذلك شيئاً إلا حب الاستطلاع لا الموعظة الحسنة (راجع James Baikie, ("History of Egypt", Vol. II, P. 159.

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد أمنحتب الثانى

« قن آمون » : كان هذا الموظف الكبير ابا « لآمون ام ابت » المربية « لأمنحتب الثانى » ، وهى التى قد مثلت فى قبر ابنها ترضع أبناء من الرضاعة « أمنحتب الثانى » على حجرها (Davies, "The Tomb of Kenamon", P. 19, Pl. IX) . وألقاب « قن آمون » هى الآتية : الأمير الوراثى ، وحاكم الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، ومحكم « حور » (الملك) ومحبوبه ، والمشرف على حشرات « آمون » الجميلة ، ومدير

البيت العظيم الفرعون . وقبر هذا الشريف قد نحت في جبانة « شيخ عبد القرنه »
(رقم ٩٢) . (راجع Porter and Moss, "Bibliography" I, P. 123ff.)

ومن المدهش أن اللصوص قد عثروا على بعض تماثيل خاصة له في « شيرمست » بالقرب من الجيزة . وقد وجدت مدفونة في الرمال . ولم يعثر هناك على أثر دفن معها قط وبذلك فإن وجود هذه التماثيل في هذه البقعة لم يفسر تفسيرا مقنعا حتى الآن (A. S. XIX. P 145 & 149.) ، وقد نقش على تماثيل العاربين هذه الألقاب التالية : أمير مرضعة رب الأرضين . والمشرف العظيم على البيت ، ووالد الإله ومحبوب الإله ، والمشرف على البقرات الحلوب ، المقرب من الإله الطيب ، والمشرف على ثيران « آمون » والمدير العظيم لدخل بيت الإله الطيب (؟) وحامل المروحة الخ ، والكاهن الثاني للإله « آمون » .

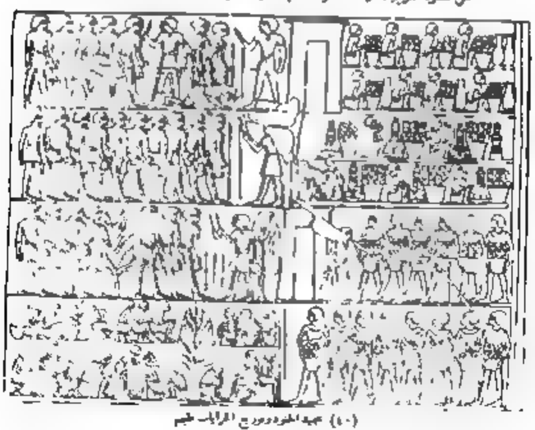
وقد كانت مقبرة « قن آمون » ذات شهرة عظيمة لما تحتويه من مناظر جميلة وأهمها ما يأتي : منظر به « أمنحتب الثاني » تحت مظلته الفخمة ذات السقف المزين بزخرفة بديعة . وقد جلس يتقبل هدايا السنة الجديدة المعروضة أمامه ويرى أمام الفرعون مباشرة تحفة من الذهب مرصعة بالأحجار الملونة على هيئة مجموعة من شجر الدوم يتسلق سيقانها قردة تجني ثمارها ، وقد رصعت أوراقها بالأحجار الخضراء ، والثمار بأحجار حمراء ، (Davies, M. M. A. (1918) P. 33) وكذلك نشاهد في مناظر هذا القبر بعض التماثيل الملكية في محاريب تميزها زخرفات وهذه كانت للفرعون « أمنحتب الثاني » و « تحتمس الأول » والملكة « مريت رع حتشبسوت » زوج « أمنحتب الثاني » ، ونشاهد تمثال واقف للأمير في هيئة الشمس ، وتماثيل أخرى له تمثله وهو راكع أو جالس أو في صورة « بو هول » . هذا إلى مجوهرات وأسلحة ودروع كالتي شاهدناها مثلا مما استخرج من مقبرة « توت عنخ آمون » ، وكذلك نرى مصورا له مرايا ومراوح وآلات . وقد حفظ لنا في منظر صيد مهشم صورة وعلى بابه كلب صيد ، وتعد هذه الصورة من أدق

ما خلفه لنا المصريون في حسن التعبير وصدق التمثيل . ومن بين الدرر التي خلفها المصور المصري في هذا القبر صورة فتاة تضرب على القيثارة وهي بين أترابها كالبدر في وسط النجوم (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 298.) . ومما يسترعي النظر في مقبرة هذا العظيم أن اسمه قد محي من كل أرجاء المقبرة . ولم يفلت من الذين قاموا بهذا العمل إلا مرة واحدة .

«ومرحات» : كان «ومرحات» من أكابر رجال الدولة وحمل الألقاب التالية : «كاتب الملك ، وطفل الرضاعة ، والمشرف على حسابات مدينة الشمال ومدينة الجنوب ، والحاجب الأول ، والمشرف على ماشية الإله «آمون»» ، وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٥٦) (A. S. Vol. VI. P. 67.) . ويحتوي على بعض مناظر تعبر عن بعض نواحي الحياة المصرية القديمة رسمت من غير كلفة أو مغالاة بل مثلت أمامنا الحوادث كما كانت تقع كل يوم . ومن بين هذه المناظر لوحة تمثل «أمنحتب الثاني» وهو يشرف على تجنيد طائفة من الجنود ليلحقوا بالخدمة في ساحة القتال ، وتوزيع جرايتهم عليهم . فنجد وقت الغداء قد حل ، وقدمت مائدة الفرعون له على حدة ، وبيده (بلطة) كما يصدر قائد جيش أن يمسك بيده ، ونشاهد في حجرة مجاورة ضباطه يتناولون طعامهم ، أما عامة الجنود فكانوا متكئين بوجهة متواضعة تحتوي خبزا وماء على الأكل ، أما الذين هم أرقى منهم مكانا فيقدم لهم بالإضافة لخبز لحم ونبيذ مكان الماء . ونشاهد الجنود في الخارج وقد صفوا صياطهم في ساحة وكل منهم يحمل حقيبته ليضع فيها نصيبه من الخبز . على أن مجندي الأحداث لم يكونوا قد تلقوا دروسهم في التدريب العسكري ، ولذلك لم يكونوا صالحين للظهور في صفوف فرق الجيش بعد ، وقد كانت شعورهم طويلة ، وكان لا بد من حلقها ، ومن أجل ذلك نراهم قد جلسوا في الساحة الخارجية ينتظر كل منهم دوره ليحلق شعره (انظر لوحة ٤٠ ص ٦٩٦) . وقد كان حلاقو الكتيبة يقومون بهذه العملية . وقد ظهر على وجوههم ملل الانتظار ،

وربما أعاد ذلك إلى ذاكرتهم كل ما يختلج في نفوسهم من يأس وقنوط لتركهم أوطانهم إلى بلاد مجهولة قد لا يعودون منها قط ، وربما لن تسمح لهم الأحوال بالتمتع ببلادهم التي غادروها عن قريب ، ونلاحظ أن أحد الجنود كاد يتفجر بالبكاء ، فيهدئ أحد رفاقه المرحين ما به من ألم بأن ربت بيده عليه ، ونشاهد آخر يجهد مرآة في أن يشاطر رفيقا له كرسيا بدون ظهر يتركه له الآخر حاملا الكرسي ليجلس عليها في آن واحد يستعمل ظهر رفيقه سنادا يتكئ عليه .

أما الجندي الذي يقوم له الحلاق بإصلاح شعره للمرة الأولى في حياته فعليه تحمل صبر إجراء تلك العملية الشاقة في خطره ؛ فنشاهد الحلاق عندما أراد أن يصلح من شعره الغزير قد ربط شعره الكثيف وأحدث في صفه خصلة خصلة بقص الشعر



(٤٠) تجنيد الجنود وتوزيع الرايات عليهم

إلى عدد صغيرة وجعلها تثبت على رأسه بوساطة نوع من الشحم. وهذا كان أول درس يتعلمه الجندي الجديد في النظام الحربي، وهو شيء حسب الضباط الذين كانوا يحتمون أن تظهر كل جنودهم بمظهر واحد، غير أن الجندي كان لا يروقه هذا النظام لأنه يعدم حريته وشخصيته، حقاً إن هذه الصورة قد رسمت بشكل خشن غير أن ذلك لم يحجب ما تحويه من حياة في باطنها. فإذا قرنا بين أولئك الجنديين العربيين وكل منهما قد دس تحت عبء من الهموم، وبين فرق الجنود المدربين الذين نشاهدهم في أعلى الصورة القائمة يمشون في صفين ليتسلموا جراياتهم من الخبز لوجدنا في الحال الفرق بين الجنود النظامي والجند (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 168; M. M. A. (1926), PP. 13, 14, fig. 11).

ولدينا منظر آخر نشاهد فيه تسجيل الماشية وكيلها وهي الماشية التي كان «وسرحات» مشرفاً عليها للإله «آمون»، كما نشاهد منظر صيد تنبعث منه الحياة والحركة، وفيه يطارد «وسرحات» بسرعة فائقة في عربته حيوانات الصحراء المفترسة، ويلحظ أن جوادي عربة «وسرحات» قد مثلا هنا بحذق عظيمة. وكذلك نجد في قبره منظراً مرحاً يمثله يصطاد هو وأسرته الطيور والبط في البطاح (راجع Wreszinski, ibid, Pl. 183.).

«رع» الكاهن الأول: كان «رع» يشغل وظيفة الكاهن الأول للإله «آمون» في معبد «تحتمس الثالث» المسمى «المعطي الحياة»، وكذلك كان الكاهن الأول «لآمون» في المعبد المسمى «دسرست» (الفاخر المكانة)، ويقع في الجزء الجنوبي من جبانة «طيبة»، وقد أقامه «تحتمس الثالث» لهذا الإله (Schafer, "Egypt. Insch. Mus. Berlin", II. P. 120; Gauthier, "Dict. Geog." II. P. 133.)، وقبر هذا الكاهن يقع في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٧٢). وأهم منظر في هذه المقبرة هو منظر صيد الفرعون «أمنحتب الثاني» يشاهد فيه وهو يطارد الحيوانات الوحشية ممتطياً عربته ومفوقاً سهمه نحوها، ورسم الفرعون في هذا المنظر شبه

في تفاصيل المنظر الذي شاهدناه فيه نفس الفرعون يصوب سهامه نحو هدفه النحاسي ويرى فيه رسم «حور إدفو» محلقاً فوق رأس الفرعون حامياً إياه، كما يشاهد رمز الحياة «عنخ» قابضاً بمظلة خلف جلالته. وكذلك نرى حيوانات وسط الأعشاب المزهرة وفي وسط الطرق الصحراوية الملتوية وهي ترخي لسيقانها وأجنحتها العنان، كما كانت كلاب الصيد تطارد وعلا وتحضره إلخ. وكان في ركاب الفرعون ثلة منتخبة من الجنود يحملون الأقواس والسهام والدروع والأعلام حربية؛ وفي عودته نشاهد رجالاً يحملون الطراد التي أصابتها سهام الفرعون وأتت بها الكلاب.

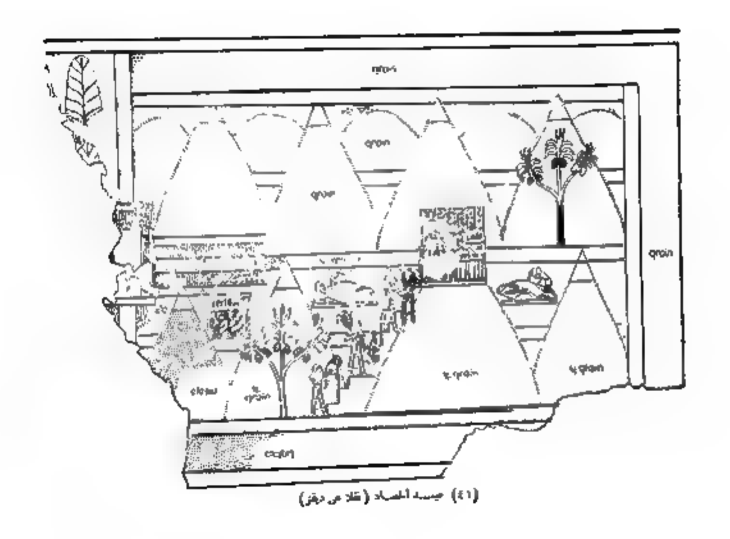
أما المتن الذي يفسر هذا المنظر فإنه مهشم ولكن يفهم منه أن مكان هذا الصيد والقنص كان على ما يظهر الضفة الغربية من النيل، وأن ما غنمه الفرعون في هذا اليوم يعد بالآلاف، وقد أهداه الفرعون هبة لمعبد والده الجنازي، ولما كان «رع» هذا هو الكاهن الأول لهذا المعبد كما ذكرنا فإن ذلك كان يعد من البراهين على وجود هذا المنظر في هذه المقبرة. وهذه الصورة التي ظهر بها «أمنحتب الثاني» تعد فريدة بين مناظر القبور الخاصة كما أنها من الصور التي تقدم لنا برهاناً جديداً على مهارة هذا الفرعون في هذا الميدان، فقد كان بطلاً من أبطال الصيد، كما كان من أعظم الملوك غراماً بالرماية، ومنقطع القرين في إصابة الهدف (راجع Davies, M. M. A., (1935) P. 49, 50.).

«سن نفر»: كان «سن نفر» من أصحاب المكانة العالية بين رجال الدولة في ذلك العهد لما كان له من صلات أسرية وتعدد وظائفه الهامة التي كان يشغلها. فقد كان يحمل لقب الأمير الوراثي، وعمدة المدينة الجنوبية (طيبة)، والمشرف على مخازن غلال «آمون»، والمشرف على ثيران «آمون»، والمشرف على زراع أملاك «آمون»، ووالد الإله ومحبوبه، والمشرف على بقرات «آمون رع» الجميلة، والمشرف على حقول «آمون». وقد كان أخو «سن نفر» عمدة المدينة

والوزير المسمى «آمون أم أبت» ، وقبره فى جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٢٩) وكان «سن نفر» قد تزوج من ثلاث سيدات كن جميعاً مرضعات ملكيات وهن . «سناى» مرضعة الملك ، ولها تمثال مع زوجها فى «خبيئة الكرنك» (Legrain, ibid. No. 42126) ثم «سن أم أغ» المرضعة العظيمة لفرعون «أمنحتب الثانى» (Rec. Trav. XX.P. 211-223). و «سنت نفر» مرضعة الفرعون ومغنية «آمون» (Rec. Trav. ibid. P. 215.)؛ ومع كل ذلك كانت زوجته المحببة إليه هى «مريت» إحدى مغنيات «آمون» وهى التى كانت ترسم معه فى غالب الأحيان (Ibid. P. 223.)؛ ويعرف قبر «سن نفر» فى أيامنا هذه بقبر العنب ، ويقع فى «جبانة شيخ عبد القرنة» (رقم ٩٦)، ويرجع السبب فى هذه التسمية إلى رسم كرم عنب على سقفه ، والجزء الأول من جدرانه ملون بألوان جميلة Rec. Trav. ibid P. 211 - 223, XXI. P. 127 - 133, 137 - 149. & XXII, P, 83 - 97.

منظر عيد الحصاد : ويحتوى القبر كذلك على منظر كبير يظهر فيه عرش ظلال الإله «آمون» التى كان يشرف عليها «سن نفر» (راجع Davies M. M. A. (1929) P. 41ff. fig. 6.) وهذا العرش يشمل مساحة عظيمة مسورة يصل إليها الإنسان من بوابة عظيمة نقش عليها ألقاب «أمنحتب الثانى» ، ويشاهد بعد المدخل مباشرة سلم يصعد فيه إلى ممر مرتفع قد كدست الغلال على جانبيه فى أكوام هرمية الشكل يعلو عليها ألبنها التى عملت على هيئة حيات أسود اللون لبساكى قطعة الدرابزين التى تنتهى دائماً فى قمة الهرم الأصلى . وهذا السلم يكتنفه شرفة تحت فيها نحايين حصصه . ويلاحظ أنه يوجد على أكبر كومة فى هذا المنظر وهى التى يصل إليها الإنسان سلم طوار مثل عليه الفرعون «أمنحتب» يحرق بخوراً ، ويقدم قرباناً محروقاً على مائدة قربان صغيرة ، كما يشاهد ثلاثة خدم يصعدون إلى هذا الطوار ليحضروا قرباناً ، وكذلك يشاهد على كلا جانبى كومة الحبوب جرار بجمع

نواءو بالقرب من المدخل الموصل إلى مخزن الغلال أقيم جوسق صغير يحتوى على حزاز مرسة بأكاليل . وقد لوحظ وجود مناظر مثل هذا المنظر بعينه فى عدة مقابر فى هذه الجبانة سيما مقبرة « خامحو » (رقم ١٢٠) ومقبرة « حسس » (رقم ٢٥٣) ومقبرة « أمحمات سورور » (رقم ٤٨) . والآن كيف نستطيع أن نفسر سلسلة هذه المناظر المتكررة والتى على ما يظهر تمثل نفس الرواية فى الجبانة الطيبية المصرية ؟ فالمخازن المصممة هى بلا نزاع ملك ضياع الإله « آمون » ، وعلى ذلك يمكننا أن نفرض أن الفرعون يحتفل بشعائر عيد الحصاد ، وذلك بتقديم الشكر للإله « آمون » الذى أقيم فى مخازنه المصممة الاحتفال بالعيد ، (انظر لوحة رقم (٤) على أنه لدينا معلومات عن موضوع الحصاد وشعائره من مصادر أخرى . ففى مقبرة « خع أم حات » (رقم ٥٧) نشاهد صاحب المقبرة يقدم قربانا محروقا للآلهة « رننت » التى مثلت فى صورة امرأة برأس حية جالسة على عرش ترضع طفلا هو إله الحبوب الصغير المسمى « نبرى » ويحمل اسم الملك الحاكم « أمنحتب الثالث » . وتكون النقوش المفسرة لهذا المنظر : « خع أم حات » يقدم كل الأشياء الطيبة الطاهرة لـ« رننت » سيدة مخزن الغلال فى اليوم الأول من الشهر الأول من فصل الصيف (الشهر التاسع من السنة) وهذا اليوم هو يوم ولادة « نبرى » . ويلاحظ أنه فى القبور المعاصرة مثل مقبرة « أمحمات سورور » (رقم ٤٨) وقبر « نفر كارع سنب » (رقم ٣٨) وسنتكلم عنهما فيما بعد ، أن صورة « رننت » مصحوبة بالتاريخ ، اليوم السابع والعشرون الشهر الثامن (وهو يوم الحصاد على حسب ما جاء فى مقبرة رقم ٣٨) . ومن ذلك نعرف أن عيد الحصاد لابد كان يظل عدة أيام . ففى اليوم الأول كانت تمسح الأراضى المزروعة قمحا بوساطة موظفين حتى يمكن تقدير المحصول ، وعلى حسب ذلك يجبى الخراج وبعد ذلك يحصد القمح ، ويدرس ثم يذرى فى اليوم الأول من الشهر الجديد ويقدم للآلهة الخاصة بالحصاد (راجع (J. E. A. Vol. VIII P. 236 ، وفى حالة الأفراد كانت الإلهة « رننت » طبيعة الحال تتقبل الصلوات والدعاء فى أثناء عيد الحصاد ، ولكن لما كان هذا العيد يمس كل الأمة فلاجمها



(٤١) مشهد الحصاد (نقلا عن ديفز)

والفرعون وحكومته فقد كان من الضروري أن يستعطف في هذه الحالة الإله الأعظم الذي يحكم العالم . ولذلك نرى في قبر « سن نفر » كما نجد في مقبرتي « ماحو » و « خنسو » أن الإله الذي كان يقرب إليه هو « آمون » . أما في مقبرة « أمنمحات سورر » فلم يعين فيها الإله ، ولكن كون الفرعون يشاهد هنا يضحي في مكان مكشوف وأمام مائدة مكشوفة يوحي بأن الإله المقرب إليه هو إله الشمس والشعيرة التي كان يؤديها الملك في هذه المناظر كانت شكراً للخالق لأجل الحصاد أو قرباناً للإله « آمون » بمثابة نصيبه من الحصاد . كما يلحظ ذلك من الخراج الذي كان يعقد له في اليوم السابع والعشرين من الشهر الثامن ، ويحتمل وجود حفلات أخرى في الأيام الثلاثة التالية التي تنتهي في اليوم الرابع الذي يكون في اليوم الأول من الشهر التاسع ، وهو اليوم الذي كان على ما يظهر بعده يوم ميلاد الملك الرسمي ، وبذلك كان يوجد الملك مع ابن آلهة الحصاد كما يوجد مع ابن الشمس في السماء (الملك) ، وهكذا كان الفرعون بوصفه ابن الإله « رع » وابن إله الحصاد يمنح ويعطي سنوياً لعطايا الشمس والأرض لأبناء مصر . ومما يؤسف له أننا لا نعرف أي حادثة من أسطورة إله الشمس أو أسطورة الإله « أوزير » تمثل لنا حوادث هذا العيد ، غير أن الإعداد المتبع الذي يتخذ لإعداد هرم من القمح وهو عمل كان يتطلب عدة أيام في شغل متواصل لتجهيزه يوحي بأنه كانت تقوم أحداث كثيرة أكثر مما دونت أمامنا في هذه المناظر السابقة .

وفي منظر آخر في هذا القبر تشاهد هدايا أول السنة الفاخرة التي قدمها « سن نفر » للفرعون ، إذ تحول التوشي حتماً [illegible] هذه الهبة الملوكية (حلية) « سن نفر » عصر [illegible] الحديثة [illegible] بداية الأسرة ، ونهاية الزمن [illegible] ، هذا إلى كل الأشياء الهداء [illegible] التي قدمها [illegible] بمادة [illegible] (راجع Davies, M. M. A. (1928) P. 46. Fig. 6.)

والهدايا التي يقدمها شبه الهدايا التي قدمها « قن آمون » السابق الذكر غير أنها ليست عديدة مثلها .

«باسور» : كان «باسور» هذا رجل حرب ويحمل الألقاب التالية ، رئيس الرماة لرب الأرضين، وطفل الرضاعة[1]، رئيس رماة جلالته، وتابع جلالته، والمقرب كثيرا من رب الأرضين، وقبره في «جبانة شيخ عبد القرنة» ، وقد مثل فيه وهو يقدم للفرعون طاقة أزهار (راجع Piehl, A. Z. Vol. XXI. P. 135. (12b.) & L. D, III. Pl. 274.) .

«مري» : كان «مري» من أكبر رجال الدولة في عهد «أمنحتب» فقد كان يحمل الألقاب التالية : الكاهن الأكبر للإله «آمون» والأمير الوراثي، والمشرف على أرض المقرب وآلة الإله في المكان العظيم (؟)

وربما يرجع الفضل في تقلده هذه المناصب العالية إلى أنه كان ابن المربية العظيمة لرب الأرضين المسماة «حناي» وتدل الكشوف الأثرية على أن هذا الكاهن كان له قبران لنفسه أحدهما من «آمون رع» السالف الذكر (رقم ٨٤) في «جبانة شيخ عبد القرنة» ، والثاني في هذه الجبانة كذلك (رقم ٩٥) وهذا قد أقامه لنفسه (راجع Porter & Moss, ibid, I. P. 113 & 125.)، وفي القبر الأخير نشاهد ممثلا مع والدته يتقبل القربان، وفي منظر نشاهد موسيقيا كامل العدة من آلات ورقصات (Champollion. "Monuments", cLXXV) ، وكذلك نشاهد في قبره منظر صناعة العربات (Wreszinski, Pl. 307.) وصناعة المعادن والأواني (Ibid. Pl. 59.) في مصانع الإله «آمون» .

«آمون أم أبت» : كان «آمون أم ابت» وزير الفرعون «أمنحتب الثاني» ويحتمل أنه هو الذي حل محل «رخ مي رع» بعد عزله، وقبره موجود في جبانة شيخ عبد القرنة، وقد ذكر كذلك في قبر أخيه «سن نفر» المشرف على غلال «آمون» (Porter & Moss ibid. I. 65, 66.) وكان «آمون أم ابت» يحمل الألقاب التالية ، الأمير الوراثي والسمير الوحيد ، والقاضي لقلب سيده (؟) والمقرب إلى ملك الوجه القبلي في القصر، الثابت الحظوة، والخاتم المحب، عمدة

---

(١) هذا اللقب كان يمنح لأولئك الأفراد الذين تربوا في القصر الملكي لوضع الملك ثقته بمقربيه .

الخمسة، والوزير عمدة المدينة المتوبية، ومدير بيت الفرعون «أمنحتب الأول» ومدير بيت الملك «تحتمس الأول» والمشرف على كهنة «أحمس نفرتارى» والكاهن الأكبر للإله «آمون» فى «الكرنك» (Weil "Vezere" P. 78 9) ويحتوى قبر «آمون ام ابت» على مناظر ونقوش تشبه مناظر الوزير «رخ مى رع» مما فيها صورة المحقق التى قيل عنها خطأً إنها إصلاحات جلد نقش عليها القانون (راجع رخ مى رع) ومعظم جدران مقبرته قد نزعت عنها نقوشها ومناظرها (Davies, "Five Theban Tombs", P 16. Note. 4.) ومما هو جدير بالذكر هنا أن هذا الوزير كان يتقلد وظائف جارية فى مقابر ملوك الأسرة الثامنة عشرة.

«نب أم كت»: كان هذا الجندى من أتباع الفرعون الذين يسيرون فى ركاب سيدهم أينما ذهب براً وبحراً وفى كل الصحراوات. وكذلك كان يلقب المقرب العظيم لرب الأرضين، والممدوح من الإله الطيب، ورئيس الإصطبل، وحامل المروحة وقبر هذا الجندى فى «الطوخة» رقم (٢٥٦) (راجع Porter and Moss, ibid, Pl. 161).

«سوم نوت»: كان هذا الموظف كذلك من خدم الفرعون الذين يسيرون فى ركابه، ويحمل الألقاب التالية: تابع خطوات الفرعون فى كل أرض صحراوية فى الجنوب والشمال، وساقى الفرعون، طاهر اليدين. (Wreszinski, ibid. Pl. 295.) والظاهر أن معظم مناظر قبر هذا الموظف كانت تنصب على تمثيل مهام عمله بوصفه «ساقى الفرعون»، إذ نشاهده يشرف على تحضير أنواع عدة من الشراب (راجع .Ibid. 295-7).

وفى مشهد آخر نراه يعرض طعاماً شهياً قدم على مائدة صحية (راجع .Ibid Pl. 297-)، وكذلك يوجد منظر آخر لصيد الطيور والسمك فى المناقع ولكنه لم يتم ولا نزال نرى الرسمات التى وضعت لإتمام النظر على الجدار.

«تحوتي» : مصور حتب كاهن الإله «آمون»، وكاتب الملك، وصوره في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٤٥)، وقد اغتصبه شخص يدعى «تحوتي — محب»، الذي كان يحمل لقب رئيس صناع الكتان الجميل (؟) لمعبد «آمون»، ومن المحتمل أن الأخير عاش في عهد «رعمسيس الثاني»، وقد وضع اسمه على صور صاحب المقبرة ومعظم مناظرها . وأهم منظر يسترعي النظر مشهد وليمة جلس إليها ضيوف، ويلاحظ أن السيدات يقدم بعضهن لبعض أزهارًا لشمها في حين نشاهد خادمات رشيقات يساعدنهن في تجميل أنفسهن وتقديم العقود لهن (Porter and Moss. Ibid. P. 73; Wreszinski. Ibid. Pl. 109.).

«تحوتي نفر» : يمتاز قبر «تحوتي نفر» كاتب الفرعون بأنه يحتوي بعض مناظر شائقة للغزل والنسيج (Roth, "Ancient Egyptian and Greek Looms", P. 12, Fig. 9)، وقبره في جبانة شيخ عبد القرنة (رقم ١٠٤) .

«وبن سنو» : هذا الأمير ابن الفرعون «أمنحتب الثاني» أي أنه كان أخا «تحتمس الرابع» وفضلاً عن أنه ابن الفرعون من جسده، فإنه كان يحمل لقب المشرف على الخيل (Gauthier L. R. II. P. 289 - 290.)، ولا نزاع في أن هذا اللقب الذي يحمله ابن ملك يشعر بأنه كان يعد من الألقاب العالية في الدولة .

فهرس الموضوعات

تمهيد

الدولة الوسطى

الأسرة الثالثة عشرة

عصر الهكسوس

فراعنة الأسرة السابعة عشرة

الأسرة الثامنة عشرة

حتشبسوت وتحتمس الثالث

الموظفون والحياة في عهد «حتشبسوت»

(1) يلاحظ أنه قد ذكر خطأ «تحتمس الأول» بدل تحتمس الثالث في صفحة ٢٦٦

الوزير « رخ مي رع »

الأشكال التوضيحية والخرائط

المصورات الجغرافية

فهرس الأعلام والآلهة والأماكن وغيرها

(ث)

(ج)

(ح)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(و)

الأسماء التي ذكرت في هذا الفهرس هي الصحيحة وذلك تحت النظر لتصحيح الأغلاط التي حدثت في متن الكتاب عن جمعها

مختصر المصادر الأفرنجية

List of Abbreviations

A. A. A. = "Annals of Archeology and Anthropology" (Liverpool 1908 —).

A. A. S. O. R. = "Annual of the American Schools of Oriental Research" (New-York, 1920 —).

A. J. S. L. = "The American Journal of Semetic Languages and Literatures" (Chicago, 1884 —).

Am. = Knudtzon, "Die El-Amarna Tafeln" (Leipzig, 1907—1915).

Arundale and Bonomi, "Gallery". = Arundale and Bonomi, "Gallery of Antiquities Selected from the British Museum" (London).

A. S. = Annales du Service des Antiquités de l'Egypte" (Cairo, 1901 —).

A. Z. = "Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde", (Leipzig, 1863 —).

Baikie, "History". = Baikie, "A History of Egypt". (London, 1929).

B. A. S. O. R. = "Bulletin of Schools of Oriental Research" (South Hadley, Mass., 1919).

Benson and Gourlay, "Temple of Mut". = Benson and Gourlay, "The Temple of Mut in Asher" (London, 1899).

B. I. F. A. O. = "Bulletin de l'Institut Française d'Archeologie Orientale (Cairo, 1901 —).

Birch, "Pottery". = Birch, "History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman" (London, 1858).

Bisson de la Roque, "Medamoud". = Bisson de la Roque, "Les Fouilles de Medamoud", (Cairo).

Boeser, "Leyden". = Boeser and Holwerda, "Beschreibung der Aegyptischen Sammlung des Niederlandischen Reichsmuseums du Altertumer in Leiden" (Copenhagen, 1908—1918).

Borchardt, "Statuen." = Borchardt, "Statuen und Statuetten von Konigen und Privatleuten" Catalogue General des Antiquités Egyptien du Musee du Caire. (Berlin, 1911 - 1925).

Breasted, A. R. = Breasted, "Ancient Records of Egypt." (Chicago. 1906 7)

Brugsch, "Thesaurus".=Brugsch, "Thesaurus Inscriptionum Aegyptiacarum" (Leipzig, 1883 – 1891).

Brugsch, "Recueil". = Brugsch and Dumichen, "Recueil de Monuments Egyptiens" (Leipzig, 1865 - 1885).

Budge, "Guide". = Budge, "A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum" (London, 1909).

Budge, "Sculpture" = Budge, " A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)", (London, 1909).

Budge, "The Book of Kings". = Budge, "The Book of the Kings of Egypt". (London, 1908).

Budge, "History" = Budge "A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII, B. C. 30". (London, 1902).

Champollion, "Notices". = Champollion, "Notice Descriptive des Monuments Egyptiens du Musee Charles X." (Paris, 1827).

Champollion, "Letters". = Champollion, "Letters à M. le Duc de Blacas d'Aulps relatives au Muse Royal de Turin" (Paris, 1824).

Davis, "Tomb of Hatshepsut". = Davis, "Excavations at Biban el Moluk The Tomb of Hatshepsut" (London, 1906).

Evans, "Palace of Minos". = Evans, "The Palace of Minos at Knossos" (London, 1921).

Fraser, Coll. = Fraser, "A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser", (London. 1900).

Gardiner, "Onomastica". = Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica", (Oxford. 1947).

Gardiner and Peet, "Sinai". = Gardiner and Peet, "The Inscriptions of Sinai". (London, 1917).

Gardiner and Weigall, "Catalogue". = Gardiner and Weigall, "A Topographical Catalogue of the Private Tombs of Thebes" (London, 1913).

Gauthier, "Dict. Geog". = Gauthier, "Dictionnaire des Noms Géographiques Contenus dans les Textes Hiéroglyphiques" (Cairo, 1925).

Griffith, "Kahun Papyri". = Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob" (London, 1898).

Hall, "Catalogue of Scarabs". = Hall, "A Catalogue of Scarabs in the British Museum" (London, 1913).

Hall "Ancient History". = Hall, "The Ancient History of the Near East" (London, 1920).

J. E. A. = "The Journal of Egyptian Archaeology". (London, 1914 — 1947).

J. P. O. S. = "The Journal of the Palestine Oriental Society", (1923 —).

Lanzone, "Cat. Turin". = Lanzone, "Catalogo generale dei Musei di antichità Regio Museo di Torino"

L. D. = Lepsius, "Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien, (Berlin, 1849).

Legrain, "Statues". = Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers" Catalogue General des Antiquities Egyptiens du Musee du Caire (Cairo, 1906 — 1914).

Legrain, "Repertoire" = Legrain, "Repertoire Geneologique et Onomastique du Musee Egyptien du Caire" (Geneva, 1908).

Lepsius, "Auswahl". = Lepsius "Auswahl der wichtigsten Urkunden des ägyptischen Alterthums" (Leipzig, 1842).

Lepsius, "Letters". = Lepsius, "Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai" (London, 1853).

Lieblien, "Dict. Noms" = Lieblien, "Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabetique". (Christiania, 1871).

Macallister, "Gerza". = Macallister, "The Excavation of Gerza" London, 1912).

Mariette, "Abydos". = Mariette "Catalogue General des Monuments d'Abydos Decouverts pendant les Fouilles de cette Ville" (Paris, 1880)

Mariette, "Abydos II.". = Mariette, "Abydos. Description des Fouilles Executees sur l'Emplacement de cette Ville". (Paris, 1869 - 1880).

Mariette, "Monuments". = Mariette, "Monuments Divers Recueilles en Egypt et en Nubie". (Paris, 1889).

Maspero, "Bib. Egypt". = Maspero, "Bibliotheque Egyptologique", XVII. (Paris, 1904).

Maspero, "Temples Immerges". = Maspero, "Les Temples Immergés de la Nubie. Rapports relatifs à la Consolidation des Temples". (Cairo, 1909 - 1911.).

Maspero, "Guide". = Maspero, "Guide du Visiteur au Muse du Caire". (Cairo, 1915).

Maspero, "Momies Royales". = Maspero, "Les Momies Royales de Deir el Bahari". (Paris, 1889).

Maspero, "Melanges d'Arch". = Maspero, "Melanges d'Archaeologie Egyptien"

Massi, "Description". = Massi, "Description des Musees de Sculpture Antique Greque et Romaine. Musée du Vatican". (Rome, 1891).

Mercer, "Amarna". = Mercer, "The Tell el Amarna Tablets". (Toronto, 1939).

Meyer, "Gesch". = Meyer, "Geschichte des Altertums". (Stuttgart, 1928).

Meyer, "Hist. de l'Antiq." = Meyer, "Histoire de l'Antiquite". (Paris, 1912 - 1926).

M. M. A. = "The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art". (New York, 1909).

Morgan (De), "Cat. Mon.". = Morgan (De), "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l'Egypte Antique". (Vienna 1894 - 1909).

Murray, "Handbook". = Murray, "Handbook for Travellers in Egypt". (London, 1880).

Newberry, "Timins Collection". = Newberry, "The Timins Collection of Ancient Egyptian Scarabs and Cylinder Seals". (London, 1907).

O. I. P. = "The Chicago University. The Oriental Institute. The Oriental Institute Publications". (Chicago, 1924 —).

"Paintings". = Davies, "Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes". (New York, 1935).

Petrie, "Scarabs". = Petrie, "Scarabs and Cylinders". (London, 1917).

Petrie, "Six Temples". = Petrie, "Six Temples at Thebes, 1896". (London, 1897).

Petrie, "Illahun". = Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob" (London, 1890).

Petrie, "Hist. Scarabs". = Petrie, "Historical Scarabs". (London, 1927).

Petrie, "History". = Petrie, "A History of Egypt". (London, 1927).

Petrie, "Season". = Petrie, "A Season in Egypt, 1887". (London, 1888).

Petrie, "Kahun". = Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara". (London, 1890).

Petrie, "H. I. C.". = Petrie, "Hyksos and Israelite Cities". (London, 1906).

P. E. F. Q. S. = "The Palestine Exploration Fund Quarterly Statement". (London, 1869 —).

Piehl, "Recueil". = Piehl, "Inscriptions Hieroglyphiques recueillies en Europe et en Egypt". (Stockholm, 1886 - 1903).

Pierret, "Rec. d'Inscriptions". = Pierret, "Recueil d'Inscriptions Inedites du Musee Egyptien du Louvre". (Paris, 1874 - 1878).

Porter and Moss, "Bibliography I". = Porter and Moss, "Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings", I. "The Theban Necropolis". (Oxford, 1921).

Porter and Moss, "Bibliography II". = "The Theban Temples". (Oxford, 1929).

Porter and Moss, "Bibliography III". = "Memphis" (Oxford, 1931).

Porter and Moss, "Bibliography V". = "Upper Egyptian Sites". (Oxford, 1937).

P. S. B. A. = "The Proceedings of the Society of Biblical Archaeology". (London, 1879 — 1918).

R. E. A. = "Revue de l'Egypte Ancienne". (Paris, 1929).

Rec. Trav. = "Recueil de Travaux Relatifs a la Philologie et a l'Archeologie Egyptiennes et Assyriennes". (Paris, 1870 - 1923).

Rev d'Arch. = "Revue d'Archeologie".

Rouge (De). "Monuments". = Rouge (De), "Notice des Monuments Exposes dans la Galerie d'Antiquites Egyptiennes au Musee du Louvre. (Paris, 1885).

S. A. O. C. = "Chicago University. The Oriental Institute. Studies in Oriental Civilization". (Chicago, 1931 —).

Schafer. "Aeg. Insch. Berlin". = Schafer, "Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin". (Leipzig, 1924).

Schiaparelli. "Catalogue". = Schiaparelli, "Catalogo Generale dei Musei di Antichita di Firenze". (Rome, 1887).

Sethe, "Das Hatschepsut-Problem". = Sethe, "Das Hatschepsut-Problem noch Einmal Untersucht". (Berlin, 1932).

Sethe, "Untersuchungen". = Sethe, "Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Aegyptens". (Leipzig, 1896-1917).

Sethe, "Urkunden IV," Urk. IV". = Sethe, "Urkunden des Agyptischen Altertums". (Leipzig, 1906 — 1914).

Sethe, "Pyramidentexte". = Sethe, "Die Altagyptischen Pyramidentexte" (Leipzig, 1908 - 1922).

Sethe, "Achtung". = Sethe, "Die Achtung feindlicher Fursten - Volker und Dinge auf altagyptischen Tongefasscherben des Mittleren Reiches". (Preussische Akademie der Wissenschaften Philos - Hist. Klass, 1926).

Sharpe, "Inscriptions". = Sharpe, "Egyptian Inscriptions". (London, 1837 - 1855).

W. B. = Erman and Grapow, "Worterbuch der Aegyptischen Sprache". (Leipzig, 1926).

Weigall, "Guide". = Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt". (London, 1913).

Weigall, "History". = Weigall, "A History of the Pharaohs" (London, 1925).

Weigall, "Lower Nubia". = Weigall, "A Report on the Antiquities of Lower Nubia in 1906 - 1907". (Oxford, 1907).

Weil, "Veziere". = Weil, "Die Veziere des Pharaonenreiches". (Leipzig, 1908).

Wiedemann, "Geschichte". = Wiedemann, "Ägyptische Geschichte", (Gotha, 1884).

Wiedemann, "Kleinere Ägypt. Insc". = Wiedemann, "Kleinere Inschriften aus der XIII-XIV Dynastie". (Bonn, 1891).

Wilkinson, "Thebes". = Wilkinson, "Topography of Thebes and General View of Egypt", (London, 1835).

Winlock, "Dier el Bahri". = Winlock, "Excavations at Dier el Bahri", (1943).

Wreszinski, "Atlas". = Wreszinski, "Atlas zur Altägyptischen Kulturgeschichte", (Leipzig, 1923 — 1936).

W. D. V. O. G. = "Deutsche Orient-Gesellschaft, Berlin Wissenschaftliche Veröffentlichungen". (Leipzig, 1900 —).

